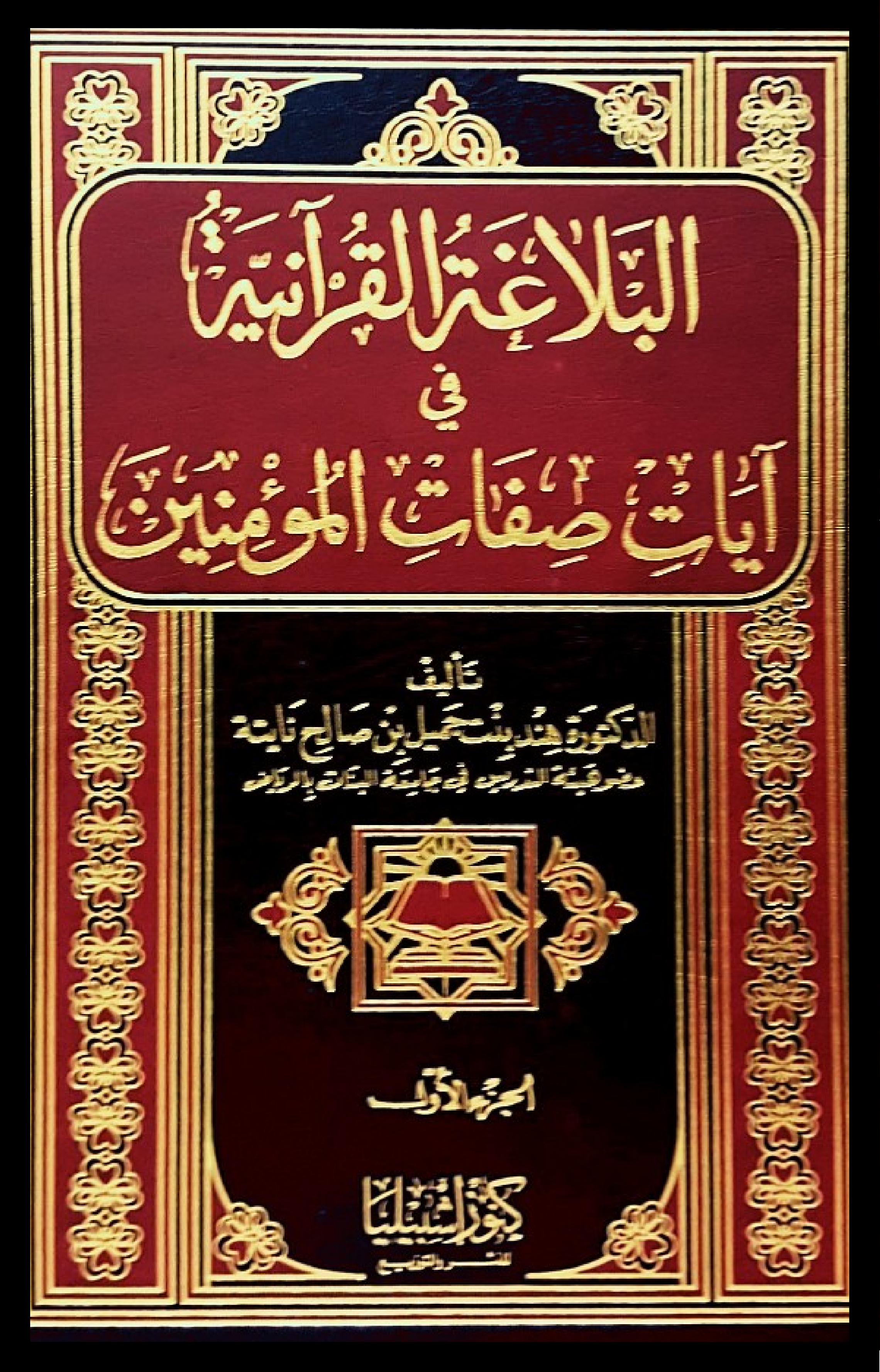

البلاغة القرآنية
في
آيات صفات المؤمنين
تأليف
الدكتورة هند بنت شميل بن صالح نايتة
الجزء الأول
كنوز إشبيليا
للنشر والتوزيع

البلاغة القرآنية في آيات صفات المؤمنين

تأليف

الدكتورة هند بنت جميل بن صالح نايتة
عضو هيئة التدريس في جامعة البنات بالرياض

الجزء الأول





أصل هذا الكتاب

رسالة دكتوراه، تقدمت بها المؤلفة إلى جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية اللغة العربية في الرياض، قسم البلاغة والنقد، وقد وافق مجلس الجامعة على منحها درجة الدكتوراه في البلاغة مع مرتبة الشرف الأولى، وذلك بتاريخ ١٤٢٧/٥/٢٨هـ. وتكونت لجنة المناقشة من كلٍ من:

[١] أ.د. محمد بن سعد الدبل، الأستاذ المشارك بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية كلية اللغة العربية .... مشرفاً.

[٢] أ. د. محمود موسى حمدان، أستاذ البلاغة والنقد بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .... مناقشاً.

[٣] أ. د. سعد الدين كامل عبدالعزيز شحاته، أستاذ البلاغة والنقد في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .... مناقشاً.



البَلاغَةُ القُرآنيَّةُ

في

آياتِ صِفاتِ المؤمِنين

١

ح دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، ١٤٢٩هـ

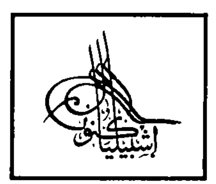
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

نايته، هند بنت جميل بن صالح
البلاغة القرآنية في آيات صفات المؤمنين
هند بنت جميل بن صالح نايته الرياض ١٤٢٩هـ.
٥٧٢ص؛ ١٧×٢٤ سم
ردمك: ١-٤٣-٨٠٠١-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)
٨-٤٤-٨٠٠١-٦٠٣-٩٧٨ (ج١)
١- القرآن - بلاغة أ- العنوان
ديوي ٢٢٥ ١٤٢٩/٣٨٥٥

رقم الإيداع: ١٤٢٩/٣٨٥٥
ردمك: ١-٤٣-٨٠٠١-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)
٨-٤٤-٨٠٠١-٦٠٣-٩٧٨ (ج١)

الطبعة الأولى

١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م



دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع
المملكة العربية السعودية ص.ب ٢٧٢٦١ الرياض ١١٤١٧
هاتف: ٤٧٤٢٤٥٨ـ ٤٧٧٣٩٥٩ ـ ٤٧٩٤٣٥٤ فاكس: ٤٧٨٧١٤٠
E-mail: eshbelia@hotmail.com

مقدمة

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وصلى الله على سيدنا رسول الله؛ الذي قال فأبلغ، وخاطب فأسمع، صلوات الله وسلامه عليه.

أما بعد.

فقد اخترت (**البلاغة القرآنية في آيات صفات المؤمنين**) موضوعاً لأطروحتي هذه، محاولةً أن أضع بين يدي محبي الفن البلاغي ما يخاطب الشعور من بلاغة القرآن الكريم، ماثلةً في صفات المؤمنين لتجلي جلال الإيمان، وروعة البيان.

ودراسة أي صفةٍ كانت، تعني استجلاء غموض الموصوف، أو مزيد الكشف عن جانبٍ من صفات كماله؛ مما يرغب في الوصول إليه، أو الاقتراب منه، أو محاكاته، وتمثُّل صفاته، أو غير ذلك.

ولقد كانت صفات المؤمنين في القرآن الكريم مما لا تخطئه العين، لما لها من علاقة وطيدة بالإيمان والعقيدة، وما يتعلق بها من توابع تشير إلى عمق الإيمان، وتورث الأجر الكريم، ورضا رب العالمين.

ولم أقف على دراسة بلاغية شاملة لآيات صفات المؤمنين مجتمعة، إلا بعض دراسات متفرقة لبعض الصفات في آيات تخللت بعض السور، أو في القرآن كله، ومع هذا فإن تلك الدراسات لم تكن متجهة إلى جمْع كل صفات المؤمنين في بحث واحد؛ لتبرز أهميتها، وتبين دورها البلاغي، لذلك توجهت بالعزم إلى البحث في هذا الموضوع - بعد التوكل على الله تعالى -.

ولقد احتوت خطة البحث على مقدمة، وتمهيد، وستة فصول، وخاتمة، وثبت المصادر والمراجع.

خطة البحث ومنهجه :

أما المقدمة ، فذكرت فيها أهمية هذا الموضوع ، وسر اختياري له ، كما أشرت فيها إلى خلو ساحة البحث من الدراسة الشاملة في مثل هذا الموضوع.

التمهيد:

تناولت في التمهيد : معنى كلمة (المؤمنين) لغةً واصطلاحاً ؛ وبينت مفهوم كلمة (الإيمان) في اللغة والاصطلاح ، وذلك بالرجوع إلى معاجم اللغة ، ومصادر العقيدة وكتب التفسير والحديث ، ثم صفات المؤمنين : مفهومها وأنواعها ، ثم منهج القرآن في وصف المؤمنين ، وأما فصول الرسالة فهي على النحو الآتي :

الفصل الأول: اللفظة المفردة:

ويقسم إلى مبحثين :

المبحث الأول : الحروف والمفردات.

وفيه :

١- الحروف :

(أ) حروف المعاني

(ب) الصلة.

٢- المفردات :

(أ) مادة الكلمة.

(ب) الصيغة.

(جـ) الترادف.

المبحث الثاني : بلاغة اختيار الكلمة.

من حيث :

١- جرس الكلمة.

٢- ظلال الكلمة.

٣- التذكير والتأنيث

٤- التنكير والتعريف.

٥- الإفراد والجمع.

الفصل الثاني: خصائص الجملة:

ودراسة الجملة في القرآن الكريم تقتضي تقسيمها إلى سبعة مباحث :

المبحث الأول : الخبر أنواعه وأغراضه البلاغية.

المبحث الثاني : الذكر والحذف.

المبحث الثالث : التعبير بالجملة الاسمية أو الفعلية.

المبحث الرابع : التقييد والإطلاق.

المبحث الخامس : التقديم والتأخير.

المبحث السادس : الإظهار والإضمار.

المبحث السابع : القصر.

الفصل الثالث: خصائص الجمل:

ويقسم إلى أربعة مباحث :

المبحث الأول : الفصل والوصل.

المبحث الثاني : الحال.

المبحث الثالث : الإيجاز والإطناب.

المبحث الرابع : صور إخراج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر.

الفصل الرابع: صور البيان:

ويقسم إلى خمسة مباحث :

المبحث الأول : التشبيه.

المبحث الثاني : المجاز العقلي.

المبحث الثالث : المجاز المرسل.

المبحث الرابع : الاستعارة.

المبحث الخامس : الكناية والتعريض.

الفصل الخامس: فنون البديع:

ويقسم إلى ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : البديع المعنوي.

المبحث الثاني : البديع اللفظي.

المبحث الثالث : الفاصلة القرآنية.

الفصل السادس: الخصائص الأسلوبية:

ويقسم إلى سبعة مباحث :

المبحث الأول : أثر التقابل في آيات صفات المؤمنين.

المبحث الثاني : الموازنة بين المتشابه اللفظي.

المبحث الثالث : الطول والقصر.

المبحث الرابع : الفرق بين صفات المؤمنين في الآيات المكية والمدنية.

المبحث الخامس : مناسبة الصفات لسياق السورة.

المبحث السادس : الصفات المثبتة ، والصفات المنفية.

المبحث السابع : الصفات الضمنية للمؤمنين.

ثم خاتمة البحث : وفيها ذكرت خلاصة موجزة لهذه الدراسة ، وأبرز ثمارها ونتائجها التي وفقني الله - تعالى - إلى استجلائها ، والاهتداء إليها ، ثم ختمت ذلك بعدة توصيات.

ثم أنهيت البحث بالفهارس العامة ، وتشمل : فهرس الآيات الكريمة موضوع البحث ، والشواهد عليها ، وفهرس الأحاديث الشريفة ، وفهرس

الموضوعات البلاغية، وفهرس للأبيات الشعرية، وثبت المصادر والمراجع، ثم الفهارس العامة.

أما منهج البحث:

فهو المنهج الاستقرائي التحليلي كما تمثله هذه الخطة؛ التي تناولت فيها صفات المؤمنين من جوانب بلاغية متعددة؛ من حيث (حروف المعاني) وأثرها في أداء المعنى ثم (مادة الكلمة)، والدقة في اختيارها للتعبير عن الصفة... إلخ.

كما اقتضت طبيعة البحث أن أقدم لكل موضوع بمقدمة أعرِّف فيها باللون البلاغي، ثم أستشهد لذلك ببعض آيات من صفات المؤمنين، وعند دراستها: أقدم لكل شاهدٍ منها بمختصر حول المعنى، ثم أُبين ارتباط آية الشاهد المباركة بسابقتها، أو ارتباطها بالسورة كلها.

وبعدئذٍ أقوم بتحليل الغرض البلاغي المطلوب في المبحث، ومن ثمَّ أستكمل دراسة الأسرار البلاغية التي وردت فيه؛ وإن لم تكن منطوية تحت المبحث البلاغي نفسه.

وهذا المنهج قد يدعو للقول بأن الألوان البلاغية ستتكرر، مما يؤدي إلى إطالة البحث فيما لا فائدة فيه، ولكن الواقع أن سر تكرار الشواهد البلاغية هو بيان لبعض أسرار تنوعها، وتعددها، واختلافها في كل موضوع.

والجدير بالذكر أني لم أخرج في التفسير، وبيان الأسرار البلاغية عن آراء علمائنا السابقين، بل كنت أستضيء بشعاع مما أشرقت به مؤلفاتهم وجهودهم، وما فهمي ورسالتي إلا فتات مما قدمته موائدهم، رحمهم الله جميعاً وغفر لهم.

وأما ما يتعلق بأصول كتابة الرسائل، فإن الآيات القرآنية وضعتها بين أقواس تدل عليها، وهي الأقواس المعروفة في المصاحف، كما أذكر اسم

السورة، ورقم الآية، في متن البحث، ولا أكرر ذلك، إذا أعيدت الآية أو جزء منها في الموضع نفسه، بُعداً عن الإطالة؛ وما يخص الأحاديث الشريفة، فقد عُنيت بتوثيق الأحاديث النبوية في الهامش.

وأما ما يتعلق بالنقول والإحالات؛ فقد أفدت كثيراً من المصادر والمراجع، وحرصت على عدم الإكثار من النقل المباشر، بل أشير إلى المواضع التي أفدت من القراءة مِنْها، وأما ما احتاج الموضوعُ إلى نقله من النصوص والأقوال، فإنه بمثابة شاهد على فكرة، فأضعه بين علامتي التنصيص الخاصة بذلك.

وفي أول ورود للمصدر أو المرجع؛ أذكر المعلومات المكتبية المتعارف عليها، ولا يتكرر ذلك عند تكرار ذلك الكتاب.

كما أني عنيت بالترجمة للأعلام إلاّ المحدثين منهم، وعنيت كذلك ببيان معتقدهم والتنبيه إلى أهل السنة والجماعة منهم.

أما ما يخص المعاجم، فأضيف إلى رقم الجزء والصفحة الباب والفصل.

ومن المعلوم أن هذا الكتاب هو رسالة علمية، حصلت بها على درجة الدكتوراه، ولقد رغبت أن أضعها بين يدي القراء كتاباً، ولقد بدت لي إضافة بعض النتائج التي رأيت أنها مهمة في موضوع صفات المؤمنين وهي كالتالي:

* من طرائق التعبير عن صفات المؤمنين ما جاء نظمه بترتيبٍ معينٍ فيما بينها حسب ما يقتضيه المقام، فلا اعتماد على علوم البلاغة في نقل معانيها أو في تصويرها.

* علم البديع وأهميته الجمالية والتي لا تمس كمال الإعجاز القرآني، بل تزيده بهاءً ورونقاً.

* أهمية صفة (الحياء) لدى الأمم الأخرى كما هو في صفات المؤمنين، فقد وردت صفةً للمرأة، ولم تأت في القرآن الكريم كذلك للرجل، ولقد بينتها الأحاديث الشريفة لتتم منظومة عقد صفات المؤمنين.

* كما تبين بعد الدراسة كذلك أن كلمة (رجل) هي صفة للمؤمنين محل مدحٍ لأهلها حسب ما يقتضيه المقام، بل وهي تشير في كل موضع جاءت فيه إلى صفة جليلة من صفات المؤمنين.

* الإشارة إلى الخلاف بين أبي حيان وأبي البقاء العكبري في موضوع التقديم والتأخير، ومن ثمَّ بيان الرأي الذي تلمست فيه الصواب بالدليل.

* ولا أكون بهذا قد أتممت نتائج البحث بل لا تزال صفات المؤمنين كنوز ثرة معطاء بالكثير مما يسر الخاطر، أسأل الله أن يوفق الباحثين في استجلائها.

وإني لأدعو بالخير لمن أسدى أليَّ ما وجد من تقصيرٍ في الجهد أو خطأ في الحكم لم أتنبه إليه.

وأخيراً، الله أسأل أن يعصمني من الزلل، والخطأ، والنسيان، وأن أتقوّل على كتاب الله ما لا يرضيه عني، وأن يمنح هذا البحث الرضا والقبول، والحمدلله على نعمة الإيمان والقرآن، وعلى أنْ هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله — سبحانه —.

شكر وتقدير:

وأشكر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وكلية اللغة العربية بالرياض، ممثلة في أسرتها العلمية، وقسم البلاغة والنقد والأدب الإسلامي، ممثلاً في رئيسه وأعضائه، والشكر موصول لسعادة المشرف السابق الأستاذ الدكتور إبراهيم داود على ملحوظاته السديدة.

ولا يفوتني أن أشكر سعادة الأستاذ الدكتور محمد بن سعد الدبل الذي أكمل مسيرة الإشراف، على هذا الجهد المتواضع، حيث أمدني بتوجيهاته القيّمة، وملحوظاته النافعة.

وأشكر زوجي الفاضل الذي كان لي نعم المعين بعد الله الكريم. وأشكر كل من ساعدني في تخطي عقبات هذه الرسالة.

ولعضوي لجنة المناقشة – جزاهما الله كل خير – الشكر لتفضلهما بالمناقشة، وتسديد الرسالة، وتقويم الخطأ، فما عملي إلاّ قصور بيِّن في أن أستشرف من سرائر بيان المولى ﷻ، وإن ذلك العجز هو عين اقتداري، فما لمسته من إعجاز القرآن الكريم وبيانه، إنْ هو إلاّ نور يسطع على القلب، فتهدأ به النفس، ولكن اللسان يعجز عن الإبانة، ومداد القلم يحار في التدوين.

كما أسأله – سبحانه – أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه، وأن يكون زلفى أتقرّب بها إليه – عز وجل –، وألاّ يحرم والديَّ الكريمين من أجره شيئاً، فما وصلت إليه من هذه الدرجة العلمية والاجتماعية كان بفضل الله تعالى، ثم بفضلهما وبرضاهما عني ودعائهما لي، وأن يسطِّر ذلك في صحائف أعمالهما، إن الله على كل شيء قدير.

ولم أنس أن أقدم الشكر الجزيل لإخواني وأخواتي الكرام فقد كانوا عيوناً ترعاني وتسددني. جزى الله الجميع عني كل الخير.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الباحثة

الرياض الزاهرة/ذو الحجة/١٤٢٨هـ

البريد الإلكتروني : dr_hindnayta@hotmail.com

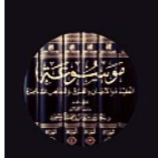
التمهيد

وفيه:

[أ] المؤمنون: لغة واصطلاحاً.

[ب] صفات المؤمنين: مفهومها وأنواعها.

[جـ] منهج القرآن الكريم في وصف المؤمنين.



تحميل كتب و رسائل علمية

قناة عامة



معلومات

t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah

رابط الدعوة

الإشعارات

معطّلة

(أ) المؤمنون لغة واصطلاحاً

اسم المؤمن يطلق ويراد به أمران:

الأول: أنه اسم من أسماء الله – تعالى -، قال عزّ من قائل: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ﴾ [الحشر: ٢٣]، فينصرف معناه إلى الأمن بمعنى سكون القلب[١]، وهو ضد الخوف[٢]، ويكون اسم فاعل من (آمن) الرباعي، المتعدي بالهمزة كما في قوله – تعالى -: ﴿وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾ [قريش: ٤]، إذ الثلاثي منه لازم، واسم الفاعل منه: (آمِن).

الثاني: بمعنى المُصدِّق، فهو من آمن يؤمن إيماناً: بمعنى صدَّق، والأصل فيه: الأمن، بمعنى أمِن كذب من أخبره، وعليه قوله – تعالى -: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾ [يوسف: ١٧]. أي بمصدقٍ[٣]، فكل من آمن بشيء فهو مصدق به.

ويجدر هنا التنبيه إلى أن الإيمان لا يطابق التصديق في المعنى، إذ الترادف بينهما لا يمنع من انفراد الإيمان بمعنى زائد على معنى التصديق، وذلك من وجوه[٤]:

---

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة (١/١٣٣) لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، ت/ عبدالسلام محمد هارون، ط دار الجيل – بيروت.

(٢) ينظر: لسان العرب (١٣/٢١) لأبي الفضل جمال الدين بن منظور (باب الهمزة فصل النون)، دار الفكر، بدون تاريخ طبعة.

(٣) ينظر معجم مقاييس اللغة (١/١٣٥)، ولسان العرب (١٣/٢٣) (باب الصاد فصل القاف).

(٤) ينظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٧/٢٩٠، ٥٢٩)، ط٦، جامعة الإمام.

الأول: أن لفظ التصديق يرد عند الإخبار عن مشاهدة أو غيبٍ؛ فمن قال: السماء فوقنا، يقال له: صدق، وصدقْناه، وأما لفظ الإيمان، فقلما يرد في الخبر عن المشاهد؛ إذ تتضمن دلالته معنى الثقة القائمة على أمن كذب المخبر من جهة، ومعنى الأمانة، والائتمان من جهةٍ أخرى.

الثاني: أن لفظ التصديق في اللغة يقابل بالتكذيب، أما الإيمان فيقابل غالباً بالكفر، والكفر لا يطابق التكذيب، بل فيه معنى عدم الانقياد، ولو صرح بلسانه أنه يعلم صدق المخبر، وامتنع من الانقياد لكان كافراً، وقد يعْرف الحق بقلبه من كفرت جوارحه بالامتناع عن القبول والطاعة والانقياد.

الثالث: اختلافهما من جهة التعدي واللزوم، والحروف المتعلقة مع مجرورها بكل منهما، فلفظ صدَّق يتعدى بنفسه وبالباء، خلافاً لآمن؛ فإنه لو تعدَّى بنفسه تغير معناه، فيقال آمنه: ضد أخافه، وإنما يتعدى آمن بالباء واللام، فيقال: آمن به، وآمن له.

وأما معنى الإيمان، ومعنى المؤمن في الشرع:

فيذهب أهل السنة والجماعة[1] إلى أن الإيمان هو التصديق بالقلب، والإقرار

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٧٠/٧)، والمفردات في غريب القرآن (ص ٢٦)، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق محمد سيد الكيلاني، دار المعرفة، بيروت - لبنان، وعمدة القاري شرح صحيح البخاري (١٦٥/١)، للشيخ بدر الدين أبي محمد محمود ابن أحمد العيني، إشراف ومراجعة: صدقي جميل العطار، ط١، دار الفكر (١٤١٨هـ/١٩٩٨م)، وجامع العلوم والحكم شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم (٢٩/١)، لابن رجب الحنبلي، تحقيق/ شعيب الأرنؤوط، مصر، مصطفى البابي الحلبي، ط٤، ١٣٩٣هـ.

باللسان والعمل بالجوارح[1].

واسم الإيمان يستعمل مطلقاً، ويستعمل مقيداً، فإذا استعمل مطلقاً دخل فيه جميع ما يحبه الله - تعالى - من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة.

ويدخل فيه ما قد يسمى مقاماً وحالاً، مثل الصبر والشكر والخوف والرجاء وغير ذلك[2]، ومما يدل على ذلك قوله ﷺ: **(الإيمان بضع وسبعون شعبة، فأفضلها: قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق)**[3]، وفي رواية

---

(١) وقد وقع النزاع في دخول الأعمال في مسمى الإيمان بين المرجئة وأصحاب أبي حنيفة، كما ذهب أبو منصور الماتريدي إلى أن الإقرار ركن زائد ليس بأصلي، أما الكرامية فجعلوا الإيمان هو الإقرار باللسان فقط، وذهب الجهم بن صفوان إلى أن الإيمان هو المعرفة بالقلب، ويظهر فساد القولين الأخيرين بفساد لوازمهما، فبالأول يكون المنافقون كاملي الإيمان، وبالثاني يلزم إيمان أبي طالب ونحوهم ممن عرف الله تعالى وأحجم عن الانقياد. ينظر شرح العقيدة الطحاوية (٢/٤٥٩)، للقاضي علي بن علي بن أبي العز الدمشقي، تحقيق الدكتور: عبد الله التركي، وشعيب الأرنؤوط، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٨، ١٤١٦هـ، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٤/٨٣٠-٨٥١)، لهبة الله بن الحسن بن منصور الطبري اللالكائي، تحقيق الدكتور أحمد سعد حمدان الغامدي، الرياض - دار طيبة - ط٢، ١٤١١هـ، والإيمان ومعالمه وسننه واستكماله ودرجاته (ص ٥٣-٦٦)، للإمام أبي عبيد القاسم سلاّم، تحقيق ناصر الألباني، الرسالة الثانية، ضمن مجموعة كنوز السنة، دار الأرقم بالكويت، بدون طبعة.

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى (٧/٦٤٢).

(٣) رواه مسلم في صحيحه، صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج النيسابوري، دار المغني، الرياض، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م، كتاب الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها....، ص (٣٩) حديث رقم (٥٨).

أخرى: (الإيمان بضع وستون شعبة، والحياء شعبة من الإيمان)[١]. وقال ﷺ: (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)[٢].

ويذهب أهل السنة والجماعة إلى أن الإيمان يزيد بالعمل الصالح، وينقص بالمعصية، ولا يلزم من انتفاء بعضه زواله بالكلية.

وهنا تجدر الإشارة إلى أن الإيمان الذي يُتفاضل فيه؛ هو الإيمان الكامل، أما الإيمان الواجب، فلا ينتقض إلا بجحود ما يحصل الإيمان به ابتداءً[٣]، وكلما زاد الإيمان في القلب ظهر أثره في الأعمال الظاهرة والباطنة؛ قال ﷺ: (ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب)[٤]، فإذا صدَّق العمل ما في القلب نما ذلك الإيمان، ودفع صاحبه إلى زيادة العمل، وإذا امتنع عن العمل وتهذيب النفس نكت في قلبه نكتة سوداء، حتى يغطي قلبه بالمعاصي فينتقض إيمانه، قال تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤]، فدلت الآية على أن للعمل أثراً في القلب، كما أنَّ القلب هو أساس الإقدام على العمل.

---

(١) صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل البخاري، بيت الأفكار الدولية، الرياض ١٤١٩هـ-١٩٩٨م، كتاب الإيمان، باب أمور الإيمان، ص ٢٥، حديث رقم (٩)، وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان...، ص (٣٩)، حديث رقم (٥٧).

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، ص(٢٦)، حديث رقم (١٣).

(٣) ينظر شرح العقيدة الطحاوية (٤٥٨/٢).

(٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، ص (٣٤)، حديث رقم (٥٢).

«فأصل الإيمان في القلب، وهو قول القلب وعمله، وهو إقرار بالتصديق والحب والانقياد، وما كان في القلب لا بد أن يظهر موجبه ومقتضاه على الجوارح، وإذا لم يعمل بموجبه ومقتضاه دل على عدمه أو ضعفه، ولهذا كانت الأعمال الظاهرة في موجب إيمان القلب ومقتضاه، وهي تصديق لما في القلب ودليل عليه وشاهد له»(١).

بين الإيمان والعطف:

أما إذا استعمل اسم الإيمان مقيداً، مقروناً بالعمل الصالح، أو بالأعمال الظاهرة؛ فإن ذلك العطف، وإن اقتضى التغاير، إلا أنه لا يشترط فيه أن يكون التغاير على جهة التباين التام، بل من الممكن أن يكون بين المتعاطفين تلازم، كما في قوله - تعالى-: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ [المائدة: ٩٢]، أو أن يكون من باب عطف بعض الشيء عليه. كما في قوله - تعالى-: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٨]، والعطف في قوله - تعالى-: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [البقرة: ٨٢]، ونحوها من هذا القبيل، والتلازم قائم بين التصديق بالقلب، والإقرار باللسان، والعمل بالجوارح، إذ كما لا يتم قبول العمل بدون التصديق في القلب؛ لا يتصور قبول التصديق المجرد من العمل، هذا في حال اقتران الإيمان بالأعمال الظاهرة لفظاً، واختصاص الإيمان بما في القلب معنى، إذ دلالة الاسم قد تتنوع بالإفراد والاقتران، كلفظ الكفر والنفاق؛ فإن الكفر إذا أفرد يتناول النفاق، وإذا جمع بينهما كانا صنفين، كما في قوله - تعالى-: ﴿إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٤٠]،

---

(١) مجموع الفتاوي (٧/٦٤٤)، وينظر شرح العقيدة الطحاوية (٢/٤٨٤)

أما في حال بقاء الإيمان في الآية على معناه الشرعي، فيتوجه العطف بأنه من قبيل عطف بعض الشيء عليه، إذ الإيمان هو اجتماع التصديق بالقلب، والإقرار باللسان، والعمل بالجوارح، ومن هنا يتبين ما بينهما من عموم وخصوص ظاهر، ويتنوع العطف من قبيل عطف الخاص على العام.

أما الإسلام لغة:

فهو من أسلم يُسلم إسلاماً؛ بمعنى: انقاد، وأصله من السَّلَم، وهو البراءة، فأسلم به: برَّأ نفسه له من أي شيء، والقلب سليمٌ: بريء من الكفر[1]، وكما يرد الإسلام على الانقياد والاستسلام؛ فإنه يأتي أيضاً على إخلاص ذلك وإفراده، كقوله - تعالى -: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلاً رَّجُلاً فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلاً سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [الزمر: ٢٩].

والإسلام في الشرع: يطلق على أمرين:

أحدهما، الدين المشترك: وهو عبادة الله وحده لا شريك له، الذي بعث به جميع الأنبياء، كما دلت على اتحاد دينهم نصوص الكتاب والسنة، كما في قوله - تعالى -: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩]، وقوله - تعالى - في شأن إبراهيم عليه السلام: ﴿إِذۡ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسۡلِمۡۖ قَالَ أَسۡلَمۡتُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝١٣١ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣١، ١٣٢].

---

(١) لسان العرب (١٢/ ٢٩٥)، (باب الميم، فصل السين).

والثاني: ما اختص به محمد ﷺ من الدين والشرعة والمنهاج، وعنوانه النطق بالشهادتين، أو ما يقوم مقامهما[(١)]، فله مرتبتان:

الأولى: الظاهر من القول والعمل، وهي المباني الخمس.

الثانية: أن يكون ذلك الظاهر مطابقاً للباطن[(٢)]، فعندها يتوافق معنى الإسلام مع معنى الإيمان، ولا بد من التنبيه إلى أن أحكام الدنيا يكفي فيها تحقيق الالتزام الظاهر؛ لأنه لا سلطان لأحد غير الله - تعالى- على البواطن[(٣)]،

---

(١) مما يدل على ذلك ما رواه عبد الله بن عمر قال: بعث النبي ﷺ خالداً بن الوليد رضي الله عنه إلى بني جذيمة، فدعاهم إلى الإسلام؛ فلم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا، فجعلوا يقولون: صبأنا صبأنا، فجعل خالد يقتل فيهم ويأسر، ودفع إلى كل رجل منا أسيره، حتى إذا كان يوم، أمر خالد أن يقتل كل رجلٍ منا أسيره، فقلت: والله لا أقتل أسيري، ولا يقتل رجل من أصحابي أسيره، حتى قدمنا على النبي ﷺ فذكرناه، فرفع النبي ﷺ يديه فقال: (**اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد**). رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب بعث النبي ﷺ خالد بن الوليد إلى بني جذيمة، ص (٨١٩)، حديث رقم (٤٣٣٩). ووجه دلالة الحديث تحريم دمهم بقولهم: صبأنا صبأنا، وهي تقوم مقام النطق بالشهادتين، فهذا دليل على ثبوت وصف الإسلام لهم بهذه الكلمة.

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى (٦٣٦/٧).

(٣) ضوابط التكفير، د.عبدالله القرني (ص ٦٠)، دارعالم الفوائد، مكة المكرمة، ١٤٢٠هـ. وقد ثبت من الهامش (في الصفحة السابقة) كيف أنه ثبت لبني جذيمة ما للمسلمين من حرمة الدم بمجرد الالتزام الظاهر بالكلمة، ويعني هذا قول رسول الله ﷺ لأسامة بن زيد، بعد ما قتل رجلاً من جهينة: (قال: **لا إله إلا الله: أقال لا إله إلا الله وقتلته؟**)، فقال أسامة: يا رسول الله إنما قالها خوفاً من السلاح. قال: (**أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا...**) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب تحريم قتل الكافر بعد قوله: لا إله إلا الله، ص (٦٢)، رقم (١٥٨).

ومن هذا يظهر الفرق بين الإيمان والإسلام في أن الإسلام، والذي يعني تطبيق الأحكام ظاهراً، لا يكفي وحده لتحقيق النجاة في الآخرة، إذا لم يكن مقروناً بالإيمان، مع العلم بأنه مطلوب لتحقيق النجاة في الآخرة لقوله - تعالى-: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْآخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

[ب] صفات المؤمنين مفهومها وأنواعها

مفهومها :

تدرك الأفهام أن الصفة هي الخاصية التي تميز الشيء عن غيره ، سواء أكان ذلك الشيء فرداً من أفراد جنس معين ، أو كان من جنسٍ آخر ، فالصفة تفرد الشيء عن غيره من أفراد جنسه ، كما تفصله عن غيره من الجنس الآخر بعامة ، ومع ذلك يحسن تأصيل مفهوم الصفة بالرجوع الى معاجم اللغة ، فنجدها تقول : وصفت الشيء وصفاً له أو عليه ، وصفاً وصفةً ، بمعنى حلاّه ، ويقال : تواصفوا الشيء إذا وصف الشيء بعضهم لبعض ، استوصفه الشيء : أراده أن يصفه له ، واتصف بالشيء صار صفةً له ، ولقد استعملت المادة أيضاً في البيع بالمواصلة ، فقالوا : إذا باعه على الصفة لزمه البيع. وفي حديث عمر ﷺ : (لا تلبسوا نساءكم الكتان أو القباطي إلاّ يشف فإنه يصف)[١] ، أي يصف كما يصف الرجل سلعته ، كما أطلقت المادة على الخادم والخادمة ، فقيل : وصيف ، ووصيفة ، وذلك لأنهم كانوا يصفون الغلام والجارية عند البيع إظهاراً لمحاسنها ؛ فيقولون وصيف بيِّن الوصافة. ومن استعمالاتها كذلك استوصف الطبيب : إذا طلب المريض من الطبيب أن يصف له العلاج المناسب[٢].

ومن هذه الاستعمالات ندرك أن الصفة خاصة في الشيء ، تجعله واضحاً متميزاً عن غيره ، سواءً أكان إنساناً ، أم أمراً من الأمور التي يحتاج إليها الإنسان في حياته ،

---

(١) رواه بنحوه في المصنف(٥/ص١٦٤) ، لعبد الرزاق بن همام الصنعاني ، تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط١ ، ١٣٩١هـ. باب الحملان على الضعيف والسفر قطعة من العذاب.

(٢) ينظر : معجم مقاييس اللغة (١١٥/٦) ، وبصائر ذوي التمييز (٢٢٣/٥ ، ٢٢٤) لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي ، ت : محمد علي النجار ، المكتبة العلمية ، بيروت - لبنان ، ولسان العرب (٣٥٦/٩ ، ٣٥٧) (باب الفاء ، فصل الواو).

كالبيع بالمواصفة، والدواء والوصيف الذي يقوم على خدمته. هذا هو مفهوم الصفة.

ويرتبط لفظ الصفة بلفظ آخر هو (الوصف)، ولا يخفى أن الوصف مصدر، والمصادر كما يعرف أهل العلم أسماء معانٍ، أي تدل على معانٍ مجردة.

فالصفة مشتقة من الوصف، والوصف معنى لا يتلبس بالذوات بخلاف الصفة؛ فإنها لا تكون إلا متصلة بذات تميزها عن غيرها، وقد يتجوز البلغاء فيخبرون بأسماء المعاني عن الذوات، كقولهم: محمد عدل، وخالد ذكاء، وشيخ الإسلام ابن تيمية عِلْم، وما إلى ذلك، ومن هنا يتحول الوصف إلى صفة.

هذا وقد يستعمل الوصف بمعنى الصفة، وهذا ما بينه ابن النقيب[1] حيث قال: «أصله الكشف والإظهار، من قولهم: وصف الثوب الجسم: إذا لم يستره، ونمَّ عليه»[2]، ولعله في هذا يقتفي قول ابن رشيق[3] حيث يقول:

---

(١) أبو عبد الله محمد بن سليمان بن الحسن بن الحسين؛ العلامة جمال الدين البلخي الأصل، الحنفي، الشهير بابن النقيب، إمام، قاضٍ، زاهد، ومفسر كبير القدر. توفي (سنة ٦٤٢هـ). ينظر شذرات الذهب (٥/٢١٦)، للمؤرخ أبي الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، بدون تاريخ طبعة.

(٢) مقدمة تفسير ابن النقيب في علم البيان والمعاني والبديع وإعجاز القرآن، ص(٣٩٣) للإمام أبي عبد الله جمال الدين محمد بن سليمان البلخي المقدسي الشهير بابن النقيب، تعليق الحواشي د. زكريا سعيد علي، ط١، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة.

(٣) الحسن بن رشيق القيرواني، الفاضل الأديب، من أهل مدينة تعرف بالمحمدية من مدن إفريقية، رحل إلى القيروان، توفي سنة (٤٥٠هـ). ينظر: إنباه الرواة على أنباه النحاة، (٣٣٨/١)، لجمال الدين أبي الحسن القفطي، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي بالقاهرة، ط١، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م، وأما ما يخص معتقده فلم تسفر الكتب عنه، فقد قال عنه الدكتور محمد الصامل: «لم أقف في ترجمته على ما يبين معتقده ولكني رأيته في بابي المجاز والتجنيس يؤول بعض صفات الفعل لله عز وجل»، [المدخل إلى دراسة بلاغة أهل السنة، (ص٤٧)، دار كنوز إشبيليا ـ الرياض المملكة العربية السعودية ط٢، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م].

«وأحسن الوصف ما نعت به الشيء حتى يكاد يمثله عياناً للسامع»[١].

والذي أُريد أن ألفت إليه هنا، أن ما أقصد إليه من الحديث عن صفات المؤمنين هو ما يعبر عن صفة يتصفون بها، وتميزهم عن سواهم، وقد يكون ذلك في صورة اسم مشتق كقائم وساجد، أو في صورة فعل مثل يقيمون الصلاة، ويؤتون الزكاة، وقد تكون غير ذلك مما يؤدي هذا المعنى المقصود.

أنواع صفات المؤمنين من الناحية العقدية:

تبين في التمهيد (موضوع: المؤمنون لغة واصطلاحاً) القول الراجح في معنى الإيمان شرعاً، كما اتضح الخلاف في دخول الأعمال في مسمى الإيمان، وقد تقرر مما سبق أن الإيمان قول وعمل واعتقاد، وهذا يستلزم تقسيم صفات المؤمنين إلى صفاتٍ ظاهرةٍ، وصفاتٍ باطنة.

ونلحظ أن تقسيم صفات المؤمنين يتطلب بيانه اعتبارات مختلفة، ومن الممكن حصرها على النحو التالي:

أولاً: أقسام صفات المؤمنين باعتبار تقسيمها إلى قولية واعتقادية وفعلية:

وقد فُصِّل فيه القول في التمهيد، وخلاصته أن الأعمال الظاهرة من أقوال وأفعال هي ثمرات للأعمال القلبية الباطنة، وكلها داخل في مسمى الإيمان، وبهذا يحصل التلازم في شعب الإيمان عند القوة تلازماً لا يتأتى عند الضعف، فإذا قوي ما في القلب من اليقين والمحبة والمعرفة أوجب ذلك بغض أعداء الله - تعالى -[٢].

---

(١) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده (٢/ ٢٩٤)، لأبي الحسن بن رشيق القيرواني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ، دار الجيل، بيروت - لبنان، ط٤، ١٩٧٢م.

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٧/ ٤٥٠).

ومن جهة أخرى يوجب زيادة ما في القلب من الإقبال على الأعمال الظاهرة؛ سواء في العبادات أو المعاملات، قال- تعالى -: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝﴾ [الأنفال: ٢ -٤]؛ فهذه الآية تدل على أن من صفات المؤمنين ما هو قلبي باطني، كالوجل، ومنها ما هو ظاهر معتمد على ما في القلب، كالصلاة والإنفاق، ومنها ما هو جامع بين الأمرين، كالتوكل، فهو عمل من أعمال القلوب، وفي الوقت ذاته لا يصدق على الفرد إلا إذا عمل بمقتضاه من السعي والتفويض[١].

ثانياً: أقسام صفات المؤمنين باعتبار الذاتية والفعلية:

(أ) الصفات الذاتية:

هي الصفات الدائمة اللازمة التي لا تنفك عن الموصوف بما له من الأحوال، كالصدق واليقين والإخلاص وما شاكلها. وهذه الصفات لازمة، لا يخلو منها المؤمن، أبداً، وإنما تزداد وتنقص باختلاف الأحوال.

(ب) الصفات الفعلية:

فهي صفات عارضة يقوم بها الموصوف من حينٍ لآخر، كالصلاة، والإنفاق، والدعاء ونحوها.

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوى (٧/٥٢٢).

[جـ] منهج القرآن الكريم في وصف المؤمنين

آيات صفات المؤمنين سارت على منهج البحث البلاغي المتعارف عليه، والذي حدد طريقه الإمام عبد القاهر الجرجاني[1]، وإن وصف القرآن الكريم بكونه (أحسن الحديث) يشير إلى أن بلاغته، لا تنحصر في تناسب معانيه؛ بل إنها ممتدة لتشمل كل ألوان البلاغة المتعارف عليها، مما حتم أن يكون منهج دراسته يشمل مبانيه وألفاظه، وترتيب أصواته ومقاطعه، فجاءت تلك الصفات في حديثٍ يروق الأسماع ويبعث اللذة في النفوس.

ويمكن تلخيص منهج القرآن الكريم في وصف المؤمنين في ثلاثة أوجه كبرى، هي: توافق معانيه، وتناسب ألفاظه، وتتابع جرسه. وكل عنصرٍ من هذه العناصر متضمناً فيضاً من الوسائل المستمدة من الألوان البلاغية، ولا أستطيع - ولا أحد كذلك - أن يدعي إحاطته بمنهج القرآن الكريم، ولكن أقدم ما استطعت أن أصل إليه، بعد أن أنهيت دراستي المتواضعة لآيات صفات المؤمنين:

١- من منهج القرآن الكريم المتميز والمتفرّد في وصف المؤمنين، **وضوح الخصائص الصوتية،** لما لها من قدرة على تصوير الصفة ومعانيها بكل ما في الحروف المكونة لها من صفات، تشمل صفاتها ومخارجها ودلائلها الصوتية.

---

(١) عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، من كبار علماء العربية والبيان، أخذ النحو عن ابن أُخت الفارسي، من مؤلفاته: (المغني في شرح الإيضاح)، و(إعجاز القرآن الكبير والصغير)، توفي (سنة ٤٧١هـ). ينظر: إنباه الرواة (١٨٨/٢)، وينظر: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة (١٠٦/٢)، لجلال الدين السيوطي. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت، بدون طبعة.
وأما معتقده فكان شافعياً أشعرياً، لا يخفي دفاعه عن آراء الأشاعرة، وردوده على المعتزلة واضحة في كتابه الدلائل. ينظر: المدخل إلى دراسة بلاغة أهل السنة (ص٤٩).

٢- حاز الجمال الصوتي للقرآن الكريم على البلاغة، وأخذ بجانب كبيرٍ منها، مما لا يتأتى في جمال أصوات الأراجيز والأشعار المقفاة، فقد تميز بهذه الخاصية على كل كلام بليغ، مستمداً كل ذلك من اتساق كلماته، وائتلاف حركاته وسكناته ومداته وغناته واتصالاته، ووصل كلماته وفصلها، فمن ذلك التناوب بين أصوات أواخر الكلمات (الصفات) بالياء والنون، أو بالواو والنون، للتعبير عن المؤمنين، ثم بالألف والتاء للتعبير عن صفات المؤمنات، مما جعل الصفة تبرز لنا المؤمنين، وقد تلبسوا بها حقيقة، فكما ظهر جمال الأقوال، اتضح صدق الأفعال.

٣- **التصوير بالكلمة المفردة:** جاءت أوصاف المؤمنين كلها مختارة لتحتل مكانها في الآية، بحيث لا يغني فيه سواها، ولتنهض بدورها في تأدية معنى الوصف على أكمل وجه، فكانت الصفة كالدعامة للبناء، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإنها شديدة الامتزاج بجاراتها مما أدى إلى إبراز جمال الصفة بكل تماسك وصلابة.

٤- **ومن منهجه الرائع:** أسلوب التوكيد، حيث التعبير بالماضي بدل المستقبل، وبضمير القصر، وبالتقديم.

٥- **التصوير بالتشبيه:** ومما يرجع إليه جانب كبير من سر تأثير التشبيه، أنه أبرز في صورة قوية مقررة في النفوس.

٦- هناك بعض الألفاظ استعيرت من معناها الأصلي، واستعملت في تصوير معنى آخر؛ لتبرزه في صورة حسية ليكون ذلك أبلغ في تصوير المعنى.

٧- **ثم التصوير بالمجاز:** لما له من القدرة على التصوير بالتخييل، الذي يشخص الصفات وكأنها حياة نابضة، ومن هنا أخذ هذا الأسلوب طريقه في التأثير، شأن غيره من الأساليب المصورة.

٨- **التصوير بالكناية:** فله القدرة على إبراز المعاني مؤكدة، لأنه يجلّي الحُكم بالصفة مصحوباً بدليله، وذلك أبلغ في تأدية المعنى وتثبيته في النفس.

٩- **اختلاف التعبير بالجملة الاسمية** لما يدل على ثبوت الصفة ودوامها، والجملة الفعلية فيما يدل على التجدد والاستمرار، فلكل من ذلك موضعه.

١٠- وقد يستخدم **أسلوب الفصل والوصل** إذا تطلب المقام الجمع بين الصفات، ثم تركه إذا كان الفصل هو الأنسب.

١١- ومن عوامل الإثارة والتشويق إلى تلك الصفات الجليلة التعبير بأسلوب **الالتفات** الذي يجدد نشاط السامع وانتباهه.

١٢- وكذلك أخذت صفات المؤمنين حظها من وسائل **التشويق والإثارة والتنبيه**، ويتصل بذلك التفصيل في صفات المؤمنين، ثم الإجمال والبيان بعد الإبهام.

١٣- وسمة أخرى للتعبير القرآني وهو ذلك **التشاكل الواقع بين الحروف في أواخر الآي**، وهو ما يعرف بالفواصل التي تمد المعنى بجرسٍ متميزٍ آسرٍ خلاّب، بجانب أدائه لوظيفته المعنوية، ومما يدل على ذلك الانتقال من فاصلة إلى أخرى، ولا يتغير جمال الصوت ومساره.

١٤- ولا يخفى ما في منهجه الكريم من **الحرص على إبراز جانب الوجدان**، ويتضح ذلك في تعقيبات نهاية كل آية، بذكر صفة تجمل ما تم تفصيله بصفةٍ

تناسب الموقف، وتلهب حماس المؤمنين كما في سورة البقرة، قوله- تعالى- : ﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [البقرة الآية : ٥].

١٥- **ومن بلاغة منهج القرآن العظيمة،** أنه اتُّخِذت القصة القرآنية أسلوباً مميزاً مصوراً للمؤمنين وصفاتهم، من خلال أحداث تلك القصص. فهي مرتبطة بالغرض الذي سيقت من أجله، وهو الغرض الديني، مما يجعل صفات المؤمنين تبدو بصورة واضحة.

١٦- وللقرآن الكريم منهج في مخاطبة العقول والقلوب، فإن كان جانب من الشواهد الإيمانية السابقة، هي للرجال جماعات وأفراداً، فإن هناك جانباً آخر يظهر أهمية النساء في الإسلام، ويبين أنهن شقائق الرجال في الصفات، كما هن في الأحكام؛ لأن الدين عقيدة تمس قلب المرأة كما تمس قلب الرجل.

١٧ ومنهج القرآن الكريم - كذلك - تفرد في وضع الصفات، ونظمها بين الكلام، ومما يثير الانتباه أحكام وضع الصفات في كل آية، ومن ثَمَّ إحكام سردها في السورة، حتى بلغت من جودة السبك، وبراعة التأليف مبلغاً عظيماً، وهو ما يعرف بعلم المناسبة، وفيه نتبين أوجه الترابط والتناسب بين الصفات وبين الآية التي وردت فيها، وبينها وبين السورة كلها، وفي بعض الآيات أجدها وثيقة الصلة بآخر السورة التي سبقتها، بل هي مرتبطة بها، حتى وكأنها امتداد لها.

١٨- ومن منهج القرآن الكريم في اختيار الصفات، **أنها من واقع اللغة العربية التي تعارفها العرب،** وزاد بأن استعمل بعضها في معاني غير ما يعرفون، مثل (الصلاة، والحج) وغيرهما من الألفاظ التي استعملت بمعانٍ

شرعية لم تكن معروفة من قبل، فإنها في القرآن الكريم أصبحت تدل على الصلاة المعروفة، بل وأشاد بفاعليها، وهي لم تكن كذلك من قبل.

١٩- ومن أهم خصائص منهج القرآن الكريم، أنها جاءت **مستلزمةً لمعرفة علوم القرآن وبلاغته، وخصائصه الأسلوبية،** ويستلزم إلى جانب ذلك قدرة خاصة على التذوق والتحليل.



تحميل كتب و رسائل علمية
قناة عامة
معلومات
t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah
رابط الدعوة
الإشعارات
معطّلة

الفصل الأول

اللفظـــة المفــردة

وفيه مدخل ومبحثان:

المبحث الأول: الحروف والمفردات.

المبحث الثاني: بلاغة اختيار الكلمة.



تحميل كتب و رسائل علمية
قناة عامة
معلومات
t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah
رابط الدعوة
الإشعارات
معطّلة

مدخـــل

وُصف القرآن الكريم بقوله - تعالى-: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٣] مشيراً بذلك إلى أن بلاغته لا تنحصر في تناسب معانيه، وإخباره عن الغيبيات، ولا إلى مبادئه وتشريعاته، ولا لما يتضمنه من إشارات علمية قد أثبتتها تجارب العلم الحديث؛ بل يشمل إلى جانب ذلك مباني آياته، واختيار ألفاظه، وترتيب أصواته، فهو حديث يروق الأسماع ويأخذ بالألباب، ويبعث في النفوس لذةً وروعة، ومرجع ذلك تناسب ألفاظه مفردةً ومركبةً، ولقد وضع العلماء كتباً محاولين فيها كشف النقاب عن سر إعجازه في ذلك.

والذي تبين أن أوجه إعجازه لم يصل فيها أحد إلى رأي نهائي؛ بل يشمل كل ما سبق من إعجاز، وما ينكشف عنه في المستقبل.

وما أقوم به في هذا الفصل، هو محاولة أسهم بها في الكشف عن بيان وجه من وجوه الإعجاز، عن طريق الأمثلة التطبيقية لآي من القرآن الكريم الخاصة بصفات المؤمنين؛ فإن كانت تلك المحاولة صائبة فهي من توفيق الله ﷻ، وإن كانت الأخرى، فأرجو التسديد ممن يقرأ هذا البحث.

ولقد اقتضت طبيعة هذا الفصل أن تُدرس صفات المؤمنين من حيث مادتُها وصيغتُها وجرسُها وإيحاؤها، مع التقديم بتعريف موجز لكل موضوع منها، ليتضح منهج الدراسة.

ولكنني قبل البدء في تحرير ذلك بحثت في جلّ الرسائل الجامعية، والكتب المتخصصة في الدراسات البلاغية، والتطبيقية للقرآن الكريم؛ إلا أنني وجدتها

تدرس بلاغة المفردة القرآنية مجتمعة تحت مسميات مختلفة، تدل على الإعجاز، ولم تفصِّل في هذا، مما أضفى على البحث في هذا الفصل شيئاً من الصعوبة، لعدم وجود أمثلة توضيحية في معظم جوانبه، مما جعلني **أفصِّل** الموضوعات في ذلك كما هو مثبت في الخطة.

هذا بالإضافة إلى تعدد الموضوعات وتنوعها، مما أدى إلى طول هذا الفصل عن غيره.

وقد كانت دراسة هذا الفصل ذات موضوع دقيق وجليل في آن واحد؛ لأنه متشعب، يستلزم لتحريره دراسة خصائص صفات المؤمنين المعجمية والصرفية والصوتية، وفي إطار تركيبه العام، ثم أثر ذلك في إبراز جوانب تتضمن بلاغة القرآن الكريم عامةً، وصفات المؤمنين بخاصة. وتعتمد دراسة هذا الفصل على التدبر والتذوق الشخصي، في كثير من موضوعاتها؛ لأن اللغة العربية لها حظ كبير في الجمال الصوتي؛ ولأهلها آذان متميزة في حسها وإدراكها الأصوات.

كما استلزمت طبيعة المفردة في القرآن الكريم؛ أن أتعرض لموضوعين قد أُثيرت حولهما قضية، ألا وهي حروف الصلة، التي أراد بها بعض السابقين من النحاة[1] وغيرهم أنها حروف زائدة في القرآن الكريم، بمعنى أنها لا تفيد معنى سوى التأكيد، ولقد بحثتُ جذور هذه القضية، وتبين من بعض دراسات المتأخرين لها أنها ليست كذلك، وأوردوا لذلك أمثلة تحقق عدم القول بالزيادة؛ فعرضت لهذه القضية، وللآراء التي قيلت فيها، وأوردت مثالين تبين بلاغة بعض تلك الحروف، وتُذهب بقول من قال بزيادتها.

(١) ذكرت أمثلة مفصلة لذلك في مقدمة حروف المعاني، (ص٣٨) وما بعدها من البحث.

كما اقتضت بلاغة المفردة القرآنية، أن لا تقبل القول فيها بالترادف؛ بل كل كلمة منها مستقلة بمعناها؛ لأن هذه مسألة تتعلق بالعقيدة، إذ إن هناك فرقاً بين الوصف بالإيمان أو التصديق، وكذلك فرق بين الإيمان والإسلام، وقد بينت ذلك في موضعه - التمهيد للدراسة -. وبالتالي فإن صفات المؤمنين لا ترادف بينها، فلا تقوم صفة مقام أخرى، ولا تؤدي ذات مفهومها، فكنت أتحرى تلك الفروق الدقيقة الفاصلة بين معنى وآخر قريب منه.

وهكذا نتبين أن للمفردة في القرآن الكريم حظاً كبيراً من الدراسة، يمتد بامتداد الحياة، لما لها من صفات وخصائص متميزة، إذا أُحكم نسجها إلى جنب أختها في الآية الكريمة.

ولقد اقتضى طول هذا الفصل تقسيمه إلى مبحثين:

الأول: الحروف والمفردات.

الثاني: بلاغة اختيار الكلمة.

وتندرج تحت كل مبحث دراسة الموضوعات الخاصة به.

المبحث الأول

الحروف والمفردات

وفيه:

[١] حروف المعاني والصلة

حروف المعاني:

من المعلوم أن الجملة القرآنية بوصفها جملة جارية على منهج اللغة العربية، مؤلفة من عدة كلمات، والكلمة مكونة من عدة أحرف، وكل من الجمل والكلمات والحروف له تأثير كبير في بلاغة القرآن الكريم وإعجازه، فالحديث عن حروف المعاني ضرب من الحديث عن بلاغة القرآن الكريم وإعجازه؛ فهذه الحروف ذات قيم جمالية لا يقدر على أدائها حرف آخر؛ لأنها تطوي حقائق المعاني بين عطفيها، وتحتاج في فهمها إلى دربة على الكلام الفصيح عامة، وفي كتاب الله - العزيز- خاصة؛ لأن عدم الدقة في فهم معانيها قد أدى بكثيرٍ من العلماء إلى القول بزيادتها؛ ومن هنا نشأت قضية القول بالحروف الزائدة في القرآن الكريم.

وفي هذا المبحث سنتعرف على هذه القضية، وعلى مدى العلاقة بين حروف المعاني وحروف الصلة التي سميت بالزوائد.

المقصود بكلمة حرف:

لو رجعنا إلى معاجم اللغة العربية لوجدنا أن الكلمة تتكون من ثلاثة أصول، هي: الحاء، والراء، والفاء، وهي بأصولها هذه تؤدي معاني عدة،

يقول ابن فارس[١] في معجم مقاييس اللغة: «وحرف كل شيء حده، كالسيف وغيره، ومنه الحرف: وهو الوجه، تقول: هو من أمره على حرفٍ واحدٍ، أي طريقة واحدة، قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾ [الحج: ١١]. أي على وجهٍ واحدٍ، وذلك أن العبد تجب عليه طاعة ربه تعالى في السراء والضراء، فإذا أطاعه عند السراء، وعصاه عند الضراء، فقد عبده على حرفٍ، ويقال للناقة: حرف، قال قوم: هي الضامرة، شبهت بحرف السيف، وقال آخرون: بل هي الضخمة، شبهت بحرف الجبل وهو جانبه»[٢].

وفي المعجم الوسيط: «الحرف من كل شيء: طرفه وجانبه، ويقال: فلان على حرف من أمره: ناحية منه، إذا رأى شيئاً لا يعجبه عدل عنه»[٣].

ومن أشمل الحدود في تعريف حروف المعاني، أن «الحرف كلمة تدل على معنى في غيرها فقط، فقوله: (كلمة) جنس يشمل الاسم والفعل والحرف، وعُلم من تصدير الحدّ به أن ما ليس بكلمةٍ فليس بحرف، كهمزتي النقل والوصل، وياء التصغير، فهذه من حروف الهجاء، لا من حروف المعاني. فإنها ليست بكلماتٍ، بل هي أبعاض كلمات، وهذا أولى من تصدير الحدّ بـ(ما) لإبهامها»[٤].

---

(١) أحمد بن فارس بن زكريا: أبو الحسين، مقيم بهمذان، من أعيان أهل العلم، فريد عصره، يجمع إلى إتقان العلماء ظُرف الكُتّاب والشعراء، فقيهاً شافعياً، ينصر مذهب مالك بن أنس على مذهب الكوفيين في النحو، له كتب كثيرة، وأشعار مفيدة جيدة. تلاميذه كثيرون، منهم بديع الزمان الهمذاني. توفي بالري (سنة ٣٩٥هـ). ينظر: إنباه الرواة (١/١٢٧) وما بعدها.

(٢) ينظر: معجم مقاييس اللغة، (٢/٤٢) (باب الحاء والراء وما يثلثهما)، وبصائر ذوي التمييز (٢/٤٥٢).

(٣) المعجم الوسيط (١/١٦٧)، إخراج: د. إبراهيم مصطفى، د. أحمد حسن الزيات، حامد عبد القادر، محمد علي النجار، دار الدعوة، إستانبول، تركيا، ط٢ ١٣٩٢هـ -١٩٧٤م.

(٤) الجنى الداني في حروف المعاني (ص/٢٠)، للحسن بن قاسم المرادي، تحقيق: د. فخر الدين قباوة والأستاذ محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

ومنهم من حدها بقوله: «الحرف كل واحدٍ من حروف المباني الثمانية والعشرين التي تتركب منها الكلمات، وتسمى حروف الهجاء، والحرف كل واحدٍ من حروف المعاني، وهي تدل على معانٍ في غيرها، وتربط بين أجزاء الكلام، وتتركب من حرفٍ أو أكثر من حروف المباني، وهي أحد أقسام الكلمة الثلاثة من اسم وفعل وحرفٍ»[١].

والملاحظ من خلال التعريفين أن الحرف على نوعين: حرف مبنى، وحرف معنى، فحرف المبنى ما كان من بنية الكلمة[٢]، أما حرف المعنى فهو ما كان له معنى لا يظهر إلا إذا انتظم في الجملة[٣].

فحرف المعنى إذاً لا يدل على معنى في نفسه؛ بل بغيره.

ويُعارض بعض النحاة هذا القول، ويرون أن الحرف يدل على معنى في نفسه، وسميت هذه الحروف بحروف المعاني؛ لأنها طرف في الكلام، ولها أثر في زيادة فضله، ذلك أن الحرف يوضع في العادة لمعنى واحد، ثم يتوسع فيه، فيستعمل في غيره.

وحروف المعاني تشتمل على أقسام عدة، ولا تتجاوز ثمانين حرفاً، وتنقسم إلى خمسة أقسام:

أحادية: مثل الهمزة، والباء، والتاء.

ثنائية: إذ، بل، كم، قد...

---

(١) المعجم الوسيط (١/ ١٦٧).

(٢) مثل الباء في بحث، والميم في حمل.

(٣) يُنظر: الجنى الداني (ص/ ٢٠)، وجامع الدروس العربية، للشيخ مصطفى غلاييني، (ص ٢٥٤)، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط٢٩، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.

ثلاثية: إذا، بلى، متى، نعم.

رباعية: إمّا، إلاّ، لعلّ، كأنّ، لكنّ.

خماسية: إنما...

وهذه الحروف لها عمل في إعراب الكلمة، ودور في إعراب الجملة، مثل حروف الجر، والنصب، والشرط، والاستفهام، والحروف الناسخة للابتداء[١].

كما أنها تشتمل على حروف الصلة المعروفة[٢].

وقد جرت ألسنة العلماء في التعبير عن تلك الحروف بأسماء عديدة، تعني في مضمونها الزيادة[٣]:

فالبصريون يصفونها: بالزيادة واللغو.

والكوفيون يسمونها: الصلة والحشو، ولقد وجدت كذلك تحت مسمى التأكيد، والصلة، والمقحم[٤].

وأما حروف الصلة، فهي الحروف التي تزاد للتأكيد، وهي: أن، ما، من، الباء، وهذه الحروف تزاد لإفادة التوكيد في الجملة وتقوية معناها[٥].

---

(١) يُنظر التبيان في إعجاز القرآن، (ص /١٤٩)، د. صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار عمان، عمان - الأردن، سنة ١٤٠٩هـ.

(٢) يُنظر: المعجم المفصل في النحو العربي، إعداد د. عزيزة فوال بابتي (١/ ٤٨٩)، ط دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

(٣) ينظر: البرهان في علوم القرآن (٣/ ٧٢)، للإمام بدر الدين الزركشي، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، دار المعرفة، بيروت - لبنان. (بدون تاريخ طبعة).

(٤) المصدر ذاته (٣/ ٧٠).

(٥) ينظر: المفصل في علم العربية (ص٢١٣)، لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر بن محمد الزمخشري، ط٢، دار الجيل، بيروت، وجامع الدروس العربية (ص ٢٠٧)، والمعجم المفصل في النحو العربي (١/ ٤٨٣).

وبمثل هذا القول يقول بعض النحويين - كالفراء والأخفش وغيرهم - بأن بعض حروف القرآن زائد ؛ فمعناه أنه لا عمل لها ، وأنه يمكن الاستغناء عنها وحذفها ، وهذا الكلام وإن كان يصح في كلام البشر ، فإنه لا يمكن أن يقبل في كلام الله - تعالى - ، والمقام لا يتسع لبيان الزوائد وتاريخها ، وأسباب الزيادة ؛ ولكن لا بأس من الإشارة إلى ذلك على سبيل الإيجاز ، وبيان الرأي الذي تطمئن إليه النفس في هذه المسألة.

إذاً ، فالذي تعنينا دراسته هنا هو زيادة حروف المعاني كما يسميها البصريون ، أو حروف الصلة كما سماها الكوفيون ، وهذه الزوائد نمت في بيئة النحاة وترعرعت ؛ وكان ذلك نتيجةً للقواعد التي قعَّدوها وألزموا بها أنفسهم.

وهذه المسألة عرض لها كثير من المفسرين والباحثين في القديم والحديث ، فمن الذين نفوا القول بالزيادة : الطبري[1] ، والرازي[2] ؛ لأنه عندما ننعم النظر فيه لا نرتاب في أن الذي سمي زائداً ، لم يكن لتأكيد المعنى فحسب ، أو ليجمِّل

(١) الطبري : هو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري ، ولد سنة (٢٢٤هـ) ، وتوفي في شوال (سنة ٣١٠هـ) ، أخذ الفقه عن أهل العراق ، وأدرك الأسانيد العالية بمصر والشام ، كان كثير العلم والحفظ. ينظر الفهرست (ص/٣٢٦) لابن النديم. الناشر دار المعرفة بيروت - لبنان (بدون طبعة).

(٢) فخر الدين الرازي ، محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن ، إمام وفقيه في العلوم العقلية والشرعية ، وذكر عن معتقده بأنه أشعري جلد مجادل للمعتزلة ، وله مصنفات كثيرة ، منها : (الآيات البينات) ، و(إبطال القياس). توفي (سنة ٦٠٦هـ). ينظر : طبقات الشافعية (١/٣٩٦) ، لجمال الدين عبد الرحيم الأسنوي (ت ٧٧٢هـ) ، ت : عبد الله الجبوري ، دار العلوم للطباعة والنشر ، الرياض ، ١٩٨١م/١٤٢١هـ.

به الإيقاع فقط، وإنما هو أمر آخر اقتضاه المعنى، وأوجبته الحكمة البيانية العقلية، فلو ذهب من الكلام، لذهب جزء جوهري من المعنى[١].

وهذا ابن الأثير[٢] يتقدم بالدفاع عن بلاغة القرآن الكريم، وينفي القول بالزيادة فيها، فيقول: «ومن ذهب إلى أن في القرآن لفظاً زائداً لا معنى له، فإما أن يكون جاهلاً بهذا القول، وإما أن يكون متسامحاً في دينه واعتقاده.

وقول النحاة إن (ما) في هذه الآية زائدةٌ، فإنما يعنون به أنها لا تمنع ما قبلها عن العمل، كما يسمونها في موضعٍ آخر كافةً، أي: أنها تكف الحرف العامل عن عمله، كقولك: إنما زيد قائم. فـ(ما) قد كفّت (إنَّ) عن العمل في زيدٍ، وفي الآية لم تمنع عن العمل، ألا ترى أنها لم تمنع (الباء) عن العمل في خفض "الرحمة"»[٣].

وأجد أن ما كتبه الدكتور فضل عباس في كتابه، يعد من أفضل ما كتبه المحدثون في هذه المسألة؛ ولا يعني ذلك نفي ما كتبه بعض المعاصرين،

---

(١) ينظر: لطائف المنان وروائع البيان في دعوى الزيادة بالقرآن، د. فضل حسن عباس، (ص ٥٩-٦٠)، دار النور للطباعة والنشر والتوزيع، ط ١، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م.

(٢) ابن الأثير: الوزير أبو الفتح نصر الله بن أبي الكرم محمد بن عبد الكريم بن عبد الواجد الشيباني المعروف بابن الأثير، الملقب ضياء الدين، مهر في اللغة والنحو وعلم البيان. وزر للأفضل علي بن السلطان صلاح الدين، توفي سنة ٦٣٧هـ. ينظر: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة (٣١٥/٢)، وأما ما يخص معتقده فلا توجد إشارات تحدد موقفه العقدي إلاّ ما جاء في باب المجاز؛ حيث جعل منه التوسع في الكلام ومن أمثلته استبعاده أن تنطق السموات والأرض.. ينظر الموضوع بتوسع في كتاب المدخل إلى دراسة بلاغة أهل السنة (ص٦١-٦٢) وما بعدها.

(٣) المثل السائر (٧٦/٢)، لضياء الدين بن الأثير، تقديم وتعليق: د. أحمد الحوفي ود. بدوي طبانة، نهضة مصر للطباعة. (بدون تاريخ طبعة).

والآية المشار إليها هي قوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

كالدكتور أحمد بدوي، والدكتور محمد عبد الله دراز، والدكتورة عائشة عبد الرحمن، والدكتورة هيفاء فدا في هذه المسألة، وإنما يعد ما كتبه بحثاً مستقلاً في بابه.

وإذا أُريد الوقوف على معنى الزيادة التي يرونها، تبين كونهم مختلفين فيها من ناحيتين:

فمن قائل: إنها زائدة من حيث الإعراب، ولها دور في تقرير المعنى، ومنهم من يرى أنها زائدة في الإعراب والمعنى، بينما ذهب آخرون إلى أنها ظاهرة أسلوبية، ورفض آخرون إطلاق لفظ الزيادة إجلالاً لكتاب الله تعالى، وأطلقوا عليها لفظ الصلة[1].

ومنهم من قال بعدم الزيادة في حروف المعاني؛ لأن ذلك يتنافى مع الدقة المعجزة في استعمال ألفاظ القرآن الكريم، إذ إن حروف المعاني أصيلة في سياقها تقوم بدورها، ولو حذفت لاختل بناء الجملة وتغير معناها، ولذلك نقول مع بنت الشاطئ ومع غيرها ممن سبق من العلماء: «أنه ما من حرفٍ في القرآن تأولوه زائداً، أو قدروه محذوفاً، أو فسروه بحرفٍ آخر، إلا ويتحدى بسره البياني كل محاولة لتأويله على غير الوجه الذي جاء به البيان القرآني المعجز»[2].

فما زعموه زائداً، فإنه جاء ليدل على معنى من المعاني؛ فإن وقفنا على سره فهذا دليل على بطلان من قال بالزيادة، وإن عجزنا، فلنعلم أن هناك سراً

(١) ينظر: لطائف المنان وروائع البيان في دعوى الزيادة بالقرآن (ص ٥٨، ٥٩).

(٢) الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق (ص ١٣٩)، وينظر: (ص ١٨١) المرجع نفسه، د. عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ)، دار المعارف بمصر، ط٢، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م.

حجبه الله – تعالى - عنا، وسينزع ذلك عن غيرنا. إن جلال النص القرآني، وإعجاز نظمه، يفرضان على من يتعرض لأسرار بيانه، أن يجعل همته في البحث عما وشت به حروف المعاني فيما استرقته من مواقع، تبدو للنظرة العجلى أنها طارئة عليها، فإذا وقع على سرها، فذلك الدليل على بطلان القول بزيادتها، وإذا عجز عن الوصول إليه، فليقل: إن هناك سراً حجبه الله عنه، وسينزع الله - تعالى- هذه الحجب عن غيرنا[١].

وممن يفيِّل[٢] القول بالزيادة بعض النحاة، فقد جعلوها مسألة مرتبطة بأصل المعنى، وهذا ما يوضحه قولهم: (ما رأيت أحداً)، كان المعنى نفي رؤية أحد، وهو يختلف عن القول: ما رأيت من أحدٍ، فما زاد إلا التوكيد بـ(من)؛ لأن أصل الرؤية متحقق في المثالين؛ وعليه قاسوا فكرة أصل المعنى، ثم حكموا بزيادة كثير من الحروف، ومع ذلك، فإن أحداً لا يتجرأ بالقول بالزيادة مطلقاً، بل يقولون إنها تفيد أيضاً، ولكن فائدتها منحصرة في توكيد المعنى[٣].

وبعد هذه الجولة نخلص إلى أن الحروف - كما مضى تعريفها - كلها حروف ذات معانٍ، وسأقدمها من خلال التطبيق بأمثلة موجزة تكشف عن الدور

---

(١) ينظر: النبأ العظيم: نظرات جديدة في القرآن الكريم (ص ١٦٣)، تأليف د. محمد عبدالله دراز، اعتنى به وخرج أحاديثه عبد الحميد الدّخاخيني، دار طيبة للنشر، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

(٢) يفيِّل: كفال، وفيَّل رأيه: قبَّحه وخطَّأه. ينظر: لسان العرب (١١/ ٥٣٤) (باب اللام، فصل الفاء).

(٣) ينظر: زيادة الحروف بين التأييد والمنع وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم (١/ ١١)، د. هيفاء عثمان فدا، رسالة دكتوراه (الآن طبعت)، مخطوطة، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

الذي تؤديه في تقرير المعنى، وتأكيد المضمون، وتقوية الصياغة في الأسلوب القرآني.

ومثال ذلك في قوله - تعالى -: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [الأعراف: ٣٥، ٣٦].

فهنا خبران الأول يدل على جزاء المؤمنين، والثاني يدل على جزاء الكافرين، وتدخل الفاء في الخبر الأول، وتسقط من الثاني، فما الأسرار الكامنة في الذكر والحذف؟.

ممن تلمس ذلك: البيضاوي[1] في تفسيره، حيث علل لدخول (الفاء) في قوله - تعالى -: (فلا خوف)، وسقوطها في (أولئك) للمبالغة في الوعد والتسامح في الوعيد، يقول: «وإدخال الفاء في الخبر الأول دون الثاني للمبالغة في الوعد، والمسامحة في الوعيد»[2].

---

(١) عبد الله بن عمر بن محمد بن علي أبو الخير، ناصر الدين البيضاوي، قاضي القضاة، كان إماماً، علامةً، عارفاً بالفقه والتفسير والعربية والمنطق، نظاراً، صالحاً متعبداً، شافعي المذهب، ولي قضاء شيراز، من مصنفاته: (مختصر الكشف)، و(المنهاج في الأصول)، و(شرح الكافية لابن الحاجب)، وغير ذلك. توفي سنة (٦٨٥هـ). وقيل توفي سنة (٦٩١هـ). ينظر: بغية الوعاة (٢/ ٥٠- ٥١)، وشذرات الذهب (٣/ ٣٩٢)، وأما معتقده فهو أشعري. ينظر: المدخل إلى دراسة بلاغة أهل السنة (ص٧٥).

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي (١/ ٣٣٧)، لناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

وفسَّر الشهاب[1] وجه المبالغة والمسامحة بقوله: «ووجه المبالغة في الوعد لعدم تخلفه جعله مسبباً عن التقوى والعمل الصالح المشعر بأنه لا ينفك عنه؛ إذ المعلول لا يتخلف عن العلة غالباً، بخلاف الوعيد فإنه يجوز تخلفه»[2].

وبعد، فإن ذكر الحرف في موضع، وتركه في موضعٍ، لم يأت مصادفة، ولا لغرض الجرس مجرداً، ولا لتجويد القراءة بإحكام قواعد التجويد فقط، وإنما جاء لحكمةٍ بالغة، علِمَها من عَلِمَها وجَهِلها من جَهِلَها، يفتح الله - تعالى - أسرارها لمن يشاء من عباده.

ولهذا فإنني جمعتُ بين نوعي (حروف المعاني - الصلة) تحت مسمى (حروف المعاني) لما سبق بيانه.

ثم إنني سأقدم بعض الشواهد عن حروف المعاني في آيات صفات المؤمنين. بشيء من الإفاضة في شرحها، مبينة قدر المستطاع أثر هذه الحروف في أداء المعنى.

وتتجلى بلاغة حرف المعاني في بيان قدرة الله ﷻ على خلق السموات والأرض، وفي بيان صفات المؤمنين في قوله - تعالى -: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ

---

(١) الشهاب: هو الإمام القاضي شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر المصري المعروف بالخفاجي، من مؤلفاته (حديقة السحر)، و(ديوان الأدب في ذكر شعراء العرب)، توفي سنة (١٠٦٩هـ). ينظر: هدية العارفين (١/١٦٠، ١٦١)، لإسماعيل باشا البغدادي، مطبوع مع كشف الظنون وباسمه (المجلدان (٥-٦)، دار الفكر، بيروت، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

(٢) حاشية الشهاب المسماة: عناية القاضي وكفاية الراضي (٤/٢٧٧)، للقاضي شهاب الدين أحمد بن محمد الخفاجي، ضبطه وخرّج أحاديثه وآياته الشيخ عبد الرزاق المهدي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٠-١٩٥].

حول المعنى:

الآيات المباركات تبين أن الله - تعالى - هو القادر المهيمن على سائر مخلوقاته، رداً على من قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾ [آل عمران: ١٨١]، فالإغناء والإقناء بيده، وتصريف الأمور جميعها إليه، مما يوجب على الناس تدبر الآيات الدالة على قدرته التي منها خلق السموات بعظمها، ثم خلق الأرض بما فيها من أقوات وأرزاق للعباد، ثم الليل والنهار، وما ينتج عنهما من منافع.

فهذه آيات وجود الخالق، ودلائل على قدرته التي لا يعتبر بها إلا ذوو الألباب الذين من صفاتهم؛ مواصلة ذكر الله - تعالى - قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم، في حالة الصلاة وغيرها، ويعلمون يقيناً أنه لم يخلق كل هذا عبثاً؛

بل إلى مصير من جنةٍ أو نار، وتفرع عن هذا دعاؤهم وتوسلاتهم إلى المولى تبارك – وتعالى -؛ أن يجيرهم من النار، وأن يوفقهم لعمل أهل الجنة، وهو إشارة إلى فيض إيمانهم ويقينهم[1].

وترتبط آيات الشاهد المباركة بما قبلها في سورة آل عمران، وهي قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [١٨٩].

فهي تكذيب لمن أنكر قدرة الله ﷻ فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾ [آل عمران: ١٨١]، ثم بين في هذه الآيات المباركات أنَّ له ملك السموات والأرض، وأن في خلقهما بياناً لعظيم قدرته - سبحانه -، وناسبه ذكر أنَّ في خلقهما دلالات واضحة لكل من له عقل ولب[2]، كما تناسبها من وجه آخر، وهو أنه لما فرغ من ذكر آيات الربوبية شرع في بيان أفعال العبودية؛ البدني منها والنفسي[3].

---

(١) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، المعروف بتفسير الطبري (٢/٣٧٦، ٣٧٧)، ت: د. بشار عواد معروف وعصام فارس الحرستاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (١/٢٨٣) وما بعدها، للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ت: محمد زهري النجار، دار المؤيد، مؤسسة الرسالة. ط١، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

(٢) ينظر: البحر المحيط (٣/١٤٥)، لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان، ت: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

(٣) وينظر: حاشية زاده على تفسير البيضاوي (١/٦٩٤)، لمحيي الدين شيخ زاده، المكتبة الإسلامية، محمد أزدمير ديار بكر، تركيا/ دار صادر، بيروت.

كما ترتبط آيات الشاهد المباركة بسابقتها في سورة البقرة، وهي قوله - تعالى - : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [الآية: ١٦٤].

ذلك أنه ذكر في سورة البقرة ثمانية أنواعٍ تدل على قدرة الله - تعالى - : خلق السموات والأرض والليل والنهار، والفلك التي تجري في البحر، وإنزال الماء من السماء، وإحياء الأرض الموات، وبعد ذلك بث الدواب على وجهها، ثم تحريك الرياح وتوجيهها بحكمته إلى ما يشاء من الأماكن بين السماء والأرض، ثم أعاد في هذه السورة [آل عمران] ثلاثة أنواعٍ منها فقط، وهي: خلق السموات، ثم خلق الأرض، وأشار إلى ما بين الليل والنهار من اختلاف، ليدل على قدرة الله ﷻ، ففي ذلك تنبيه إلى أن الذين عرفوا الله ﷻ لا يلتفتون إلى مزيد من الدلائل على وجوده؛ لأنهم بحاجةٍ لأن يستغرقوا في معرفة المدلول.

كما اقتصر الأمر في هذه السورة على ذكر الدلائل السماوية؛ لأنها أقهر وأبهر، لينتقل القلب منها إلى ما هو أشد في إثبات عظمة الله - تعالى - وكبريائه، وهي صفات تناسب ذوي الألباب؛ لأنهم في حال كمال الإيمان.

وأما في سورة البقرة[1]، فإنه ذكر فيها بالإضافة إلى الدلائل السماوية الدلائل

(١) سورة البقرة، الآية [١٦٤].

الأرضية؛ لأنه يخاطب ذوي العقول[1].

وهناك استنباط آخر في بيان اقتصار آية سورة آل عمران على ذكر هذه الدلائل الثلاثة: أن مناط الاستدلال هو ما يحدث فيها من تغيير كلي، وهذه الدلائل متعرضة لذلك التغير الذي يشير إلى تجلي قدرته فيما يحدث من تمازج وتبادل بين عناصر الليل والنهار، وما يجري بينهما من تداخل ينتج عنه افتراقهما، واستقلال كلٍ منهما بعناصره المميزة، وفوائده المتممة لمسيرة حياة الإنسان على الأرض. وكذلك ما يحدث فيها من تغيير جزئي كتبديل أوضاع أفلاكها، وتغير عناصرها بتبدل صورها[2]، فنلحظ أن هذه الإشارة الموجزة منه ﷻ إلى ثلاثة دلائل فقط من مخلوقاته، فيها الكثير من العبر والعظات التي تدل على كمال قدرته، كما تدل على سمو عقل المتدبر لها، المتفكر فيها حتى التحق بوصف ذوي الألباب.

---

(١) ينظر: مفاتيح الغيب (١١٠/٩/٥)، للإمام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين البكري الرازي الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م، ونظم الدرر (١٥٥/٥)، لبرهان الدين أبي الحسن إبراهيم البقاعي، دار الكتاب الإسلامي بالقاهرة، ط٢، ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م، وحاشية زاده (٦٩٤/١)، وتفسير المنار المسمى بتفسير القرآن الحكيم (٢٩٨/٤)، لمحمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، ط ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

(٢) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١٩٥/١).

روي في سبب نزولها: أن قريشاً قالوا للرسول ﷺ: ادع لنا ربك أن يجعل لنا الصفا ذهباً، وذلك حين ذكرت اليهود والنصارى لهم بعض ما جاء به موسى عليه السلام وعيسى عليه السلام من المعجزات، فنزلت هذه الآية. ينظر: أسباب النزول (ص ١١٦-١١٧)، لأبي الحسن علي ابن أحمد الواحدي النيسابوري. دراسة: السيد الجميلي، دار الكتاب العربي، ط ٧، ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م، والبحر المحيط (١٤٥/٣)، وتفسير المنار (٢٩٧/٤).

ولقد تضافرت بعض حروف المعاني في بيان صورة صفات ذوي الألباب وهي تزخر بمختلف العبادات؛ فأوجدت فيها حركة إيمانية متواصلة فيما بينهم وبين خالقهم ﷻ، مبناها المناجاة والدعاء، ومنتهاها القبول والرضا.

الخصائص البلاغية لحروف المعاني في صفات أولي الألباب: ففي قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾.

فهذا القول الكريم «تأكيد لما قبله، ولذلك لم يعطف عليه»[1]؛ لأنه تأكيد لمضمون الآية السابقة، فلم تعطف عليها لما بينهما من كمال اتصال، يدل على اتحاد الكلام وترابط المعنى.

ومراد القونوي[2] بـ(ما قبله) هو الإشارة إلى ما في قوله تعالى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٨٨].

ففي الآية الكريمة تأكيد للنهي عن الظن بنجاة الذين يفرحون بما أخذوه عوضاً عن كتمانهم ما أخذ عليهم من الميثاق بأن لا يكتموا أمر نبوة محمد ﷺ،

---

(١) حاشية القونوي على تفسير البيضاوي (٦/٤٤٥)، لعصام الدين إسماعيل بن محمد الحنفي، ضبط وتصحيح: عبد الله محمود محمد عمر، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م.

(٢) هو: إسماعيل بن محمد بن مصطفى القونوي الحنفي، أبو المفدّى عصام الدين، ولد بقونية، وقرأ على الشيخ مصطفى المرعشي، وجلُّ انتفاعه من عبد الكريم القونوي، درّس بمدارس القسطنطينية. له مؤلفات عديدة، منها: (الرسالة العلمية)، و(الحاشية على المقدمات الأربع لصدر الشريعة). مات حاجاً في طريق عودته إلى الشام في (١٢/صفر ١١٩٥هـ). ينظر: الأعلام (١/٣٢٥، ٣٢٦).

فقد أخذوه ثمناً قليلاً خسيساً من عرض الدنيا[١] ؛ وذلك لأن الله – تعالى - ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران: ١٨٩]، وهو الذي يملك أمر تعذيبهم.

فلهذا ناسب أن تصدر آيات الشاهد بـ(إن) واسمية الجملة، ودخول اللام على (اسم إنَّ) آيات ففيه تأكيد الخبر، ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ وتنزيل المخاطبين منزلة المنكرين ؛ لأن في ذلك دلائل على وجود الله – تعالى- أو للاهتمام بالخبر، وهذه اللام التي في قوله تعالى: ﴿ لَءَايَٰتٍ ﴾ هي اللام المزحلقة[٢] وأما لام ﴿ لِّأُوْلِى ﴾ فأفادت تخصيص أولي الألباب بهذه الآيات، فخصتهم بها دون غيرهم، لأنهم المنتفعون بها، وجاءت ﴿ لَءَايَٰتٍ ﴾ نكرة، إشارة إلى عمومها وعظمها[٣].

وناسب التعبير بهذا الأسلوب ؛ ليكون لهم زاجراً عن الغفلة عن مظاهر قدرته ﷻ، وعن تعنتهم، بدليل تغييرهم ما أنزل الله – تعالى -، وفي هذا

---

(١) ينظر: جامع البيان (٢/ ٣٧٦، ٣٧٧)، و المحرر الوجيز (٣/٣١٥)، للقاضي أبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي، ت: المجلس العلمي بفاس.

(٢) "وهذه اللام حقها أن تدخل على أول الكلام لأن لها صدر الكلام فحقها أن تدخل على إنَّ نحو لَإنَّ زيداً قائم، لكن لما كانت اللام للتأكيد وإن للتأكيد كرهوا الجمع بين حرفين بمعنى واحد، فأخروا اللام إلى الخبر" شرح ابن عقيل (١/ ٢٨٧) لبهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي الهمداني على ألفية ابن مالك، وهو أبو عبد الله محمد جمال الدين بن مالك. أعرب الألفية، وعلق عليها الشيخ قاسم الشماعي الرفاعي، دار القلم، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧م.

(٣) ينظر: تيسير الكريم الرحمن (١/ ٢٨٣).

الأسلوب المبارك، تنزيل لهم لشدة غفلتهم، وتماديهم في غيهم منزلة المنكرين(١).

ومن حروف المعاني - كذلك- حرف الجر (في) في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ .. حيث جاءت (في) بمعنى الظرفية(٢)، فأفادت كمال المعنى بأهمية التدبر في: ﴿ خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾، فدلت هذه الظرفية على ما في بنائها من قوة، تدعو إلى التأمل والتدبر، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴾ [الملك: ٣].

وفي عبق الإيمان والأنس بذكر الرحمن، يوصف هؤلاء بكونهم: (أولي الألباب)، ولهذا الوصف سر بلاغي من حيث موافقة معناه اللغوي لمدلوله البياني، فالألباب جمع لب، وهو خالص كل شيء ولبابه، ولذلك سمي

---

(١) فقد عرف أن هذه المؤكدات الثلاثة لا تكون في جملة إلا إذا كانت دليلاً على شدة الإنكار، وهنا نزل غير المنكر من أهل الكتاب منزلة المنكر؛ لتماديهم في العناد، ولغفلتهم عن تلك الأدلة الكونية الدالة على وجود الله ﷻ.

(٢) ينظر: الأزهية في علم الحروف (ص ٢٦٧)، تأليف علي بن محمد النحوي الهروي، ت: عبد المنعم الملوحي، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، سنة ١٤٠١هـ-١٩٨٢م، ورصف المباني في شرح حروف المعاني (ص ٤٥٠)، للإمام أحمد عبد النور المالقي، تحقيق: د. أحمد محمد خراط، ط٢، ١٤٠٥-١٩٨٥م، دار القلم، والجنى الداني في حروف المعاني للمرادي (ص ٢٥٠).

العقل لباً[1]، ولقد ورد أن اللُّب: لا يكون إلا لأهل الإيمان الذين هم من خاصة عباد الرحمن؛ الذين أقبلوا على طاعة المولى، وأعرضوا عن النفس والدنيا، فألبسهم - تبارك وتعالى- لباس التقوى، وسماهم أولي الألباب، فكرمهم بالخطاب فقال - عز من قائل -: ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [المائدة: ١٠٠]. ويقول تعالى: ﴿ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [البقرة: ٢٦٩][2]. فتبين من معنى اللب أن الممتدحين به هم الصفوة التي استخلصها رب العالمين، فهم الملازمون للإخلاص في عباداتهم، وهم القائمون على عبادة التفكر - خاصة - بديع خلقه - تعالى -، وهم أصفى الناس عقولاً، وفي هذا الأسلوب تعريض؛ لأن المخاطبين هم المؤمنون ذوو الألباب، والتعريض بغيرهم ممن لا يتفكر في خلق الله ﷻ، فهم بمنزلة من حرم نعمة العقل، وعدم التفكير.

ومن **حروف المعاني** التي جاءت في قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا ﴾.

---

(١) اللبُّ: مأخوذ من (لبّ): اللام والباء أصل صحيح يدل على لزوم وثبات، وعلى خلوص وجودةٍ. فالأول: ألبَّ بالمكان إذا أقام به، ورجل لبٌّ بهذا الأمر إذا لازمه، والمعنى الثاني: اللُّبُّ: المعروف من كل شيء، وهو خالصه. ينظر: معجم مقاييس اللغة (٥/١٩٩-٢٠٠) (باب اللام والباء وما يثلثهما).

وقيل: هو ما زكا من العقل، فكل لبٍّ عقل، وليس كل عقلٍ لباً. ينظر: المفردات (ص ٤٤٦).

(٢) ينظر كتاب بيان الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللب (ص ٧٢، ٧٣)، للحكيم الترمذي، ت: د. نقولا زهير، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٥٨م.

فالتعبير عن (أُولي الألباب) بالاسم الموصول (الذين)[١]، وهو خبر مبتدأ محذوف تقديره هم، أي هم (الذين إذا ذُكِر الله..)، ليدل على رفعتهم، وعلو شأنهم، كما أن فيه إيماء إلى وجه بناء الخبر عنهم، **ولقد جاء حرف العطف (الواو)، وهو أحد حروف المعاني**، وقد تكرر ذكره بين أعطاف العبادات، فدل على أن المراد بالذكر في الأحوال الثلاثة: الذكر باللسان مع حضور القلب، وهو التمجيد، والتهليل، والتكبير، ويحتمل أن يكون المراد به الصلاة، وهذا الذكر الناشئ عن التفكر فيما خلق سبحانه وأنشأ[٢]، فعنه - ﷺ -: **(من أحب أن يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله)**[٣]، وكذلك يستنتج منها تشريع معين أنهم يصلون على الهيئات الثلاث حسب طاقاتهم، لقوله ﷺ: **(صلِّ قائماً،**

---

(١) (الذين): واحدها (الذي)، وأصله (ذا) التي للإشارة إلى ما بحضرتك، ثم تقلب من الحضرة إلى الغيبة، ودخلت عليها الألف واللام للتعريف، وحطت ألفها إلى الياء ليفرق بين الإشارة إلى الحاضر والغائب. ينظر: الأزهية في علم الحروف (ص ٢٩١).

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب (١١٠/٩/٥، ١١١)، والبحر المحيط (١٤٥/٣).

(٣) رواه في المصنف (٥٨/٦) ابن أبي شيبة، ت: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٠٩هـ، والمعجم الكبير (١٥٧/٢٠) سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، ت: حمدي عبد المجيد السلفي، دار الزهراء، الموصل، ط٢، ١٤٠٤هـ-١٩٨٣م، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد(٧٣/١٠)، دار الفكر، بيروت، طبعة ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م. " وفيه موسى بن عبيدة وهو ضعيف". وذكره في النهاية في غريب الحديث والأثر (١٧٨/٢)، لمجد الدين أبي السعادات بن الأثير الجزري، خرج أحاديثه أبوعبدالرحمن صلاح بن محمد بن عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

فإن لم تستطع فقاعداً؛ فإن لم تستطع فعلى جنب تومئ إيماءً)[1].

ولقد جاء قوله تعالى: ﴿قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ مجازاً مرسلاً[2]، حيث ذكر الجزء وأراد به الكل، وإنما ذكر هذه الحالات؛ لأنها أغلب حالات المكلفين، وأيضاً فيه مزيد من الدلالة على حرصهم واستعدادهم لذكر الله تعالى دائماً. وجاء التعبير بأسلوب الطباق لما فيه من مناسبة لمثل هذا التشريع، فأشاع جمال البديع بين أركان الصلاة، قوة الإيمان بين أهله؛ فمنهم القائم ومنهم القاعد، ومنهم الذي يصلي على جنبه، فدل على اشتغالهم ومعاناتهم في أداء تلك العبادة لنيل رضا ربِّ العالمين، فكان الطباق كما لحظنا خير ما أشاع الروح الإيمانية بين صفات المؤمنين.

ومن حروف المعاني العطف بالواو: الذي جمع بين تلك الصفات، فجعلهم يتميزون بالذكر في جميع أحوالهم، وأوقات الصلوات، ما بين قائمين وقاعدين ومضطجعين.

من بلاغة التعبير بالمصدر في قوله - تعالى-: ﴿قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ ورد فيه أن ﴿قِيَـٰمًا وَقُعُودًا﴾: «حالان من فاعل ﴿يَذْكُرُونَ﴾، وعلى ﴿جُنُوبِهِمْ﴾ حال أيضاً، فيتعلق بمحذوف، والمعنى: يذكرونه قياماً وقعوداً ومضطجعين، فعَطَفَ الحال المؤولة على الصريحة، عكس الآية الأخرى وهي قوله: ﴿دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا﴾ [يونس: ١٢]؛ حيث عطف الصريحة على المؤولة،

---

(١) أخرجه البخاري في الصحيح، أبواب تقصير الصلاة، باب إذا لم يطق قاعداً صلى على جنب (ص ٢٢١) حديث (١١١٧).

(٢) ينظر: حاشية القونوي (٦/٤٤٨).

و(قياماً وقُعوداً) جمعان لـ(قائم)، و(قاعد)، وأجيز أن يكونا مصدرين، وحينئذٍ يتأولان على معنى ذوي قيام وقعود، ولا حاجة إلى هذا»[1].

وأُرجح أن تكون تلك الأوصاف الكريمة مصادر لسببين:

١- أن المصدر حدث خالٍ من الزمن، فدل على أن ذكر الله ﷻ في كل الأوقات، وليس المقصود وقت الصلاة، وأداء العبادات المعروفة.

٢- التعبير بالصيغ الأخرى مثل اسم الفاعل (قائمين وقاعدين) فيه دلالة على الاستعداد لاتخاذ هيئة معينة؛ ولكن لما كان المراد غير ذلك، فعبر بالمصدر ليرشد المؤمنين أن يجعلوا ألبابهم تنصرف إلى التفكر فيما خلق سبحانه، وتعتاد ألسنتهم ذكر الله ﷻ، وفي هذا صرف لهم عن شواغل الدنيا وأحزانها ومتاعبها، وأيضاً فيه شغل لألبابهم وعقولهم بذكر الله سبحانه عن شغلها بما يلقيه الشيطان فيها من وساوس تورث الأحزان، أو الكراهية للناس، أو تقودهم إلى عمل المعاصي، وبينت أنه لشدة حرصهم وطاعتهم، صاروا كأنهم أنفسهم هم القيام والقعود، فتلاشت معه ذواتهم، وهو كما في قولنا: محمد عدل، والمقصود عادل، أي أنه لشدة حرصه صار هو العدل نفسه.

التعبير بـ(على) في قوله - سبحانه -: ﴿وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾:

١- أراد به اشتغالهم بالذكر في كل الأوقات في منامهم واستراحتهم[2].

---

(١) الدر المصون (٣/٥٣١)، لأحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي، ت: د. أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م، وينظر: حاشية القونوي (٦/٤٤٨)، وحاشية الكازروني (٢/٦٠)، للعلامة أبي الفضل القرشي الصديقي الخطيب، دار صادر، بيروت. (بدون تاريخ طبعة).

(٢) ينظر: حاشية القونوي (٦/٤٤٨).

٢- قيل: إن المراد استعلاؤهم على الجنب؛ بحيث لا يميل إلى ظهره؛ فإن الذكر على تلك الهيئة أصعب وأجهد، وعلى الجنب هو أتم وأكمل[١]، ولا يستغرق المضطجع في نومه، ومجيء (على) على أصل معناها، وهو العلو[٢]، فقد أفاد التمكن من هيئة الذكر والدعاء.

والسر في ترتيب الصفات على هذا النحو: ﴿ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾ تفضيل القيام في الذكر؛ لأن المراد به القيام في صلاتهم، وقعوداً في تشهدهم، وفي غير صلاتهم، ثم على جنوبهم نياماً؛ ولأنها الحالات التي يتم فيها ذكر الصلاة وغيرها[٣].

وورد أن القيام قُدِّم لأنه الأخف على الإنسان، ثم حالة القعود، فالذكر فيها أشق منه في القيام، لأن القعود هيئة تناسب المشتغل في الدنيا غالباً، ثم الاضطجاع، والذكر فيه أشق منه في القعود، ولأنه هيئة استراحة وفراغ الخواطر عن المشاغل؛ ويمكن أن يكون اتبع التقديم فيها لما هو أقصر في زمن أدائها[٤].

وأراني أُرجح هذا الرأي، لأن فيه إطلاق القيام ليشمل الذكر في الصلاة والعمل، وغير ذلك.

ومن حروف المعاني ما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾.

---

(١) ينظر: مفاتيح الغيب (١١١/٩/٥)، ونظم الدرر (١٥٦/٥).

(٢) ينظر: الأزهية (ص١٩٤)، ورصف المباني (ص ٤٣٣)، والجنى الداني (ص ٤٧٦).

(٣) ينظر: جامع البيان (٣٧٧/٢).

(٤) ينظر: البحر المحيط (١٤٥/٣)، ونظم الدرر (١٥٦/٥).

الواو: وهي حرف عطف، والجملة معطوفة على جملة (يذكرون الله)، وقيل: الواو حالية، فتكون الجملة نصباً على الحال[1]، وأجد أن كونها حالية أوفق لبيان حالة صفات المؤمنين الذاكرين، مما ينتج عنه امتداحهم، والرضا عنهم لتفكرهم في إحكام خلق الله - تعالى - السموات.

وأما (في) فإنها من حروف المعاني: التي دلت على استغراقهم في تفكرهم، مما اشتمل معه على كل حواسهم وخواطرهم. ولعظم خلق السموات وإحكامها، فإن الأفكار تتقلب بينها، فلا تجد فيها قصوراً أو فطوراً، وهذا المعنى أوحى به التعبير بالجملة الفعلية: ﴿ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ وجاء حرف الجر - من حروف المعاني - (في) ليحدد مكان التفكر، فلا مجال للتردد فيما يكون فيه الفكر والعظة.

وإنما الإشادة بهذه الصفة - التفكر - لما فيها من: «انتفاء لقوة الشهوة، وسورة الغضب وقهرهما، وضعف داعية الهوى، فزالت نزعات الشيطان ووساوسه، وخطرات النفس، ومغالطات الوهم»[2].

الطباق وأثره البلاغي في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ...﴾.

سار أسلوب الآيات المباركات متميزاً في بلاغته، إذ أوجد الطباق بين أجزاء الطبيعة: السموات، والأرض، والليل، والنهار، وما تضمنته الإشارة بذلك

---

(١) ينظر: البحر المحيط (١٤٦/٣)، وإعراب القرآن وبيانه (٥٩٤/١) لمحيى الدين الدرويش، دار ابن كثير للطباعة والنشر، ط ٨، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

(٢) نظم الدرر (١٥٦/٥).

إلى ما بينها من مخلوقات، وكذلك فيه إشارة لأوصاف أحوال المؤمنين، وأنها ما بين قيامٍ وقعودٍ، كل تلك الصور أوجدت ترابطاً وتمازجاً في الفكر بين المؤمنين وبين تلك المخلوقات.

فلو امتدت يد بشرية نحو القلم ومداده بألوانه المتعددة، لأوجدت مظهراً جمالياً عظيماً عناصره وألوانه وإضاءته، ثم مؤثراته النفسية مستوحاة من تلك الآيات.

فذلك الطباق قد مثَّل عظمة السموات والأرض، وبيَّن إحكام خلقها، ثم ما يحدث بينها من ظهور الليل بسواده، والنهار بضيائه، يمثلان إبداعاً وجمالاً، ثم اختفاؤهما وعودتهما، وما تنشره تلك الألوان بين السموات المرتفعة، والأرض المنخفضة، من ظلالٍ تزداد في جهة، وتقل في أخرى.

وتعددت الجمل المباركة في بيان صفات المؤمنين، تؤازرها حروف المعاني المختلفة، فقد استفتح قوله — تعالى -: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩١] بالدعاء (ربنا) مبالغة في التضرع، وتأكيداً لإظهار كمال اليقين، والإيمان بالله ﷻ[1]. وهو تمهيد للنفي بأحد حروف المعاني (ما) التي تنفي[2] بطلان خلق السموات والأرض، فأثبت بذلك أنهما حق، لما فيه من الإقرار والاعتراف بقدرة الله ﷻ، وهذا أسلوب من أساليب

---

(١) ينظر: إرشاد العقل السليم (٨٤/٢، ٨٥)، للقاضي أبي السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي، وضع حواشيه: عبد اللطيف عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

(٢) ينظر: إعراب القرآن وبيانه (٥٩٤/١). لمحيي الدين درويش.

اللغة العربية المعروفة، إذ إن العرب تبني صيغة النفي على اعتبار سبق الإثبات كثيرا[١]، وأرى في هذا الأسلوب إقراراً بما في الكون من دلائل، مبناها عظمة هذه المخلوقات، ومن ثم فهي تدل على عظيم قدرة الخالق؛ لذلك بادر المؤمنون بالالتجاء إلى الله - تعالى - والاعتصام به، حذراً من أن يحل عليهم غضبه، فيستحقوا دخول النار؛ فتضرعوا إلى ربهم الذي رباهم؛ راجين أن ينقذهم من عذابها؛ لأنهم أدركوا قدرة الله - تعالى - في تلك المخلوقات الباهرة.

أما (الفاء) في قوله - تعالى -: (فقنا) فهي للعطف، وترتيب السؤال "أي الدعاء" على الإقرار، كأنه قيل: وإذ قد أطعناك ونزهناك، فقنا عذاب النار[٢]، **ولهذه (الفاء) سر بلاغي** إذ أنها «دلالة علمهم بما لأجله خلقت السموات والأرض، مما حملهم على الاستعاذة من النار»[٣]، كما أن فيها تنبيهاً على أن الدعاء، إنما يجدي بعد معرفة الله ﷻ على وجه الضراعة[٤].

وأرى أنَّ هذه (الفاء) قد بينت كذلك مدى تلاحق النظر في الأجرام المخلوقة، وشعور الخوف من غضب الله - تعالى -، فقد تمثلت هيئة النار لناظريهم، وتعاظمت في نفوسهم صورها؛ فابتهلوا داعين: (سبحانك) تلطفاً وتذللاً لله - تعالى -، وفيه إشارة إلى ما يجب من أدب الدعاء مع الله ﷻ،

---

(١) التحرير والتنوير (٣/٤/١٩٨)، للشيخ محمد الطاهر بن عاشور، بدون تاريخ طبعة.

(٢) ينظر: البحر المحيط (٣/١٤٧)، وإرشاد العقل السليم ٢/٨٤.

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١/١٩٦).

(٤) ينظر: حاشية القونوي (٦/ ٤٥١).

وذلك بتقديم الثناء قبله، وفيه تنبيه على أن العبد كلما ازدادت معرفته بخالقه وقدرته ازداد تقربه إليه، **وجاء التقديم بطلب الوقاية من النار على غيرها من الدعوات**؛ لشدة خوفهم الذي مبناه تصديقهم بأن وعد الله – تعالى - حق، وأن قدرته فوق قدرة المخلوقين، وكلُّ ما تلا ذلك من دعوات إنما هي تذلل له سبحانه بقبول دعوتهم.

حروف المعاني وأسرارها البلاغية في قوله – تعالى -: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [آل عمران: ١٩٢].

فالتعبير بـ(إنَّ)، وهي أحد حروف المعاني، إنما جاء: «للاهتمام، إذ لا مقام للتأكيد هنا»[١]، وأرى أنها لتوكيد الخزي الذي نشأ من دخول قد، وهذا التوكيد هو دلالة على الاهتمام والخوف من عذاب الخزي.

وأما (الفاء) في قوله تعالى: ﴿فَقَدْ﴾ لربط الجواب بالشرط لاقتران الجواب بقد[٢]، **وأما مدلولها البلاغي**: فهو بيان مدى بشاعة دخول النار، لما فيه من شدة تغيير للهيئة، وعذابٍ للجسد، وإهانةٍ للنفس، ولا تزال حروف المعاني تتدفق، فتجعل أدعية المؤمنين تفيض بمكنون الخوف من الله – تعالى-، مما يدل على عمق الإيمان، ففي قوله - تعالى -: ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ نجد (الواو) إما استئنافية وإما حالية[٣]، وأجد كونها استئنافية مناسباً؛ لأن ما بعدها تقرير لمصير الظالمين بالاستقرار في النار، وأما المؤمنون، فإنهم المنصورون، **ثم حرف**

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير (٣ / ٤ / ١٩٨).

(٢) ينظر إعراب القرآن وبيانه (١/ ٥٩٧) لمحيي الدين درويش.

(٣) المصدر والموضع ذاته.

النفي **(ما)** ينفي نصرة الظالمين الكافرين، **وأما (اللام) وهي كذلك من حروف المعاني** في قوله تعالى: ﴿لِلظَّٰلِمِينَ﴾ فإنها لنفي امتلاكهم الأنصار، وفي ذلك تأكيد لخزيهم بدخول النار؛ حيث لا يجدون ولياً ولا ناصراً.

ووضع الظاهر ﴿لِلظَّٰلِمِينَ﴾ موضع المضمر: للإشارة إلى سبب دخولهم النار ثم حرف الجر (من) في قوله – تعالى -: ﴿مِنْ أَنصَارٍ﴾ دل على تأكيد نفي المناصرين، فناهيك عن كل حلفاء العشيرة، وفي ذلك إيذاء نفسي، وتبكيت للمشركين الذين يحتمون بالقبيلة، ويلوذون بالأحلاف والأنصار، كما أن فيها سد طريق النجاة عليهم.

ومن حروف المعاني ما ورد في قوله – تعالى -: ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ﴾ [آل عمران: ١٩٣].

(إنَّ) جاءت للتأكيد، إشارة إلى اعترافهم بذنوبهم، فقالوا ما قالوه مع علمهم بأن المخاطب عالم بكل شيء[(١)]، ولبيان سبب النداء فقد جاء التعبير باللام في قوله - تعالى -: ﴿لِلْإِيمَٰنِ﴾، أي لأجل الإيمان[(٢)]، فأفادت تفخيم شأن المنادي، وهي لذلك متعلقة بقوله – تعالى -: ﴿يُنَادِى﴾.

---

(١) ينظر: نظم الدرر (١٥٩/١).

(٢) ينظر: كتاب اللامات (ص ٤٨)، لأبي الحسن علي بن محمد الهروي النحوي، ت: يحيى علوان البلداوي، مكتبة الفلاح، الكويت، ط١، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، ونظم الدرر (١٥٩/٥)، والبحر المحيط (١٤٨/٣).

وجاء أنها- أي اللام- بمعنى الباء أي بالإيمان[1].

ومن حروف المعاني في قوله - تعالى-: ﴿أَنْ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا﴾ وجاء فيها أنَّ ﴿أَنْ﴾ تكون مصدرية، وأن ما في حيزها في تأويل مصدر منصوب، وإما أن تكون ﴿أَنْ﴾ المفسرة، وهي الواقعة بعد جملة فيها معنى القول، ففسرت ما جاء به المنادي، وبينت نوع دعوته عليه الصلاة والسلام، وهي الإيمان بالله - تعالى- والباء في قوله تعالى: ﴿بِرَبِّكُمْ﴾ فهي للاختصاص، فالمولى - تبارك وتعالى - هو المختص بالعبادة وحده[2].

ثم جاءت (الفاء) في قوله - تعالى-: ﴿فَـَٔامَنَّا﴾، فدلت على المبادرة في إبراز الإجابة، وتعجيل القبول والإيمان من غير تراخٍ، والمعنى: فآمنا بك وبربنا[3]، وهذا إيجاز حذف، وبلاغته تتمثل في التركيز على الإيمان؛ لأنه هو مناط النجاة من النار، أما من كان الإيمان به؛ فهو حاضر في القلب لا يفارقه، ويدل عليه السياق، ثم انصرف البيان إلى حصول الإيمان.

وما جاء في قوله - تعالى-: ﴿رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ﴾ [آل عمران: ١٩٣].

في الجملة المباركة تفريع نشأ من قوله تعالى: ﴿فَٱغْفِرْ﴾، وبلاغته تكمن في دلالته على سرعة استجابتهم رضوان الله عليهم إلى منادي الإيمان، فما كان منهم إلاَّ أن بادروا إلى النداء؛ ليبادرهم المولى ﷻ بالمغفرة، لذلك فرعوا عليه

---

(١) ينظر: البحر المحيط (٣/ ١٤٨).

(٢) ينظر: ذات المصدر والموضع.

(٣) ينظر: البحر المحيط (٣/ ١٤٨)، والتحرير والتنوير (٣/٤/١٩٩).

قولهم: (فاغفر لنا ذنوبنا)، فهم حقيقون بترجي المغفرة، بعد بذل ما في وسعهم من اتباع الدين[١]. ولبيان ثقتهم بالله ﷻ فإنهم قالوا: (لنا)، أي: من أجل[٢] أن يغفر الذنوب، كذلك فإنها تفيد علمهم بأن الله - تعالى- إنما يَمُنُّ بالمغفرة على من يشاء من عباده المؤمنين، وفي إضافتها - أي اللام- لـ(نا) الفاعلين شمول في الدعاء، وطلب المغفرة، وإيحاء بمزيدٍ من التذلل بين يديك مقرين بذنوبنا فاغفر لنا، والإلحاح في الدعاء دليل على الإيمان عندما جمعوا إلى طلب المغفرة، طلب محو ذنوبهم، قائلين بحرف (الواو) في قوله - تعالى-: (وكفِّر)، وهذا الطلب للتشريف، بعد أن نُزِّهُوا بالإيمان[٣].

ويتوالى عطاء - حروف المعاني - كاشفاً عن خبايا نفوسهم، فهذه (عن) وقد بينت إدراك هؤلاء المؤمنين لعظم الخطيئة، وعبء الذنوب، فها هي تطلب وترجو من الله - تعالى- إبعادها عن كل ذلك، مع إحساسها بالإيمان، واستشعارها قدرة البارئ ﷻ على إنفاذ وعده، فهو الذي - خلق السموات والأرض-، فهي تطلب من المولى أن يدخلها في زمرة الأبرار، لتضمن لنفسها النجاة. ولقد عبَّر بالظرف (مع) الذي للمصاحبة[٤]، قد أفاض في الإشعار

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير (٣/٤/١٩٩).

(٢) ينظر: اللامات (ص ٤٨)، للهروي.

(٣) ينظر: نظم الدرر (٥/١٥٩).

(٤) ينظر: الكشاف (١/٤٤٥)، لأبي القاسم جار الله الزمخشري، تحقيق: محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، ١٤١٥هـ ١٩٩٥م، ورصف المباني للمالقي (ص ٣٩٤).

بمعنى الملازمة والمخالطة؛ فإن وصفهم بالأبرار؛ ثم الاختلاط بهذه الفئة المتميزة. وفي ذلك يقول الطاهر بن عاشور[(١)] : «إن في سؤالهم الوفاة مع الأبرار هي أن يموتوا على: (الحالة الكاملة)، والمعية مع الأبرار أبلغ في الاتصاف بالدلالة؛ لأنه برٌّ يُرجى دوامه وتزايده، لكون صاحبه ضمن جمعٍ يزيدونه إقبالاً على البر بلسان المقال ولسان الحال»[(٢)].

وفي قوله - تعالى-: ﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ [آل عمران: ١٩٤]، فجيء بالواو دون الفاء؛ إذ جعلوها دعوة مستقلة يرجون تحققها، ولم يجعلوها نتيجة فِعْلٍ مقطوعٍ بحصوله[(٣)].

ثم الاسم الموصول (ما)، وقد أجمل ما في حَيِّز الصلة للاهتمام بشأن الوعد وتعظيمه؛ لذلك فهم على شوقٍ في انتظار الوفاء به، ولحرف الجر ﴿عَلَىٰ﴾ شأن لا يؤديه إلا بمتعلقه ﴿وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾، فيكون التعلق بالوعد، وذلك كما في قولك: وعد الله الجنة على الطاعة، أي وعدتنا على تصديق رسلك، أو أن

---

(١) الطاهر بن عاشور: هو محمد بن عاشور: رئيس المفتين المالكيين بتونس، وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس، مولده ووفاته بها. عُيِّن بهما شيخاً للإسلام، من أعضاء المجمعين العربيين في دمشق والقاهرة، له مصنفاتٍ مطبوعة من أشهرها: (التحرير والتنوير)، و(مقاصد الشريعة الإسلامية)، و(موجز البلاغة)، توفي (سنة ١٣٩٣هـ- ١٩٧٣م). ينظر: الأعلام (١٧٤/٦) لخير الدين الزركلي، ط٣. (بدون تاريخ طبعة)، وشيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر بن عاشور، حياته وآثاره (مواضع متفرقة)، لبلقاسم الغالي، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.

(٢) التحرير والتنوير (٢٠٠/٤/٣).

(٣) ينظر: التحرير والتنوير (٢٠١/٤/٣).

المتعلق محذوفٌ، تقديره: ما وعدتنا منزَّلاً على رسلك[١]، وأرجح أن يكون المتعلق محذوفاً، أي: ما وعدتنا منزلاً على رسلك، فيكون استعمال ﴿عَلَىٰ﴾ مجازياً؛ لأن الوعد إنما يعلم بإخبار المرسل، فألسنتهم حملت عبء الإخبار بذلك الوعد، وبلاغته في دلالته على تمكُّن بلوغ الموعود به.

وفسَّر هذا الموعود بأنه الجنة، وقيل: هو النصرة على الأعداء أو استغفار الأنبياء لهم[٢].

وفي تلك اللحظات الروحانية التي بين العباد وخالقهم، وقد غمرهم الإيمان بطلب المغفرة والرحمة، خطرت في أنفسهم أهوال اليوم الآخر، وهو يوم يشهده الأنبياء والرسل، وخاصة خلقه - سبحانه -، ولترفعهم بدينهم أن يلحقهم ذل وخزي، وهم أهل الإيمان، فقد جاء التعبير بالفعل المضارع، وقد اقترن بلا الناهية، ولكن لما كان النهي من الصغير إلى الأكبر؛ فقد خرج الأسلوب من حقيقة النهي إلى غرض بلاغي آخر وهو الدعاء، وهذا الفيض من المعاني، قد أوحى به التعبير بحرفين: (واو) العطف، و(لا) الناهية، وهما من حروف المعاني، وسرهما البلاغي يكمن في الإيحاء بإقرارهم بذنوبهم؛ لأنهم طلبوا المغفرة تجنباً للإخزاء.

ولقد تنوع الأسلوب في بيان إقرارهم بالذنب إظهاراً لتذللهم، ومحواً لذنوبهم، وتنوعت معه حروف المعاني؛ حيث يقول - تعالى -: ﴿إِنَّكَ لَا تُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ﴾.

---

(١) ينظر: الكشاف (١/٤٤٥)، والبحر المحيط (٣/١٤٩)، وإرشاد العقل السليم (٢/٨٦).

(٢) ينظر: البحر المحيط (٣/١٤٩).

ظاهر هذا الأسلوب يدل على التعليل لما سبق من دعاء وتوسل[1]، كما أن فيه بسط المنادمة بالمخاطبة[2]، وهي عادة جرت بين مَنْ أنِس الحديث، فأحب أن يطيله؛ لذلك جاء التوكيد بـ(إنّ)، وهي أحد حروف المعاني التي أكسبت التوكيد قوة؛ لأن الموقف لا يحتمل توكيداً، فالله - تعالى- وعده حق، ثم جاءت (لا) النافية، فآزرت (إن) في توكيد نفي إخلاف الوعد، - تعالى — الله علواً كبيراً.

ووعد الله — تعالى - لرسله بإظهار الدين، والنصرة على الأعداء، وحسن العاقبة، وإرث الجنة، كلها مما لا تجب على الله تعالى، حتى ولو تقدم بها وعد؛ لأن القول لديه — سبحانه - لا يبدل ولا يخلف موعده[3].

وبعد هذا التلطف في الدعاء، والإلحاح في الطلب، وتكرار النداء، وبعد إدامة الذكر والفكر في بدائع خلقه - جل وعلا -، واستفتاح الدعاء بالثناء عليه وتعظيمه، يكونون قد استكملوا شروط الدعاء وآدابه المطلوبة؛ فهم خليقون بالإجابة؛ لذلك استهلت الآية الكريمة مبشرةً بالإجابة، مستفتحةً بحرف (الفاء)، وقد طوت الزمن إكراماً للمؤمنين. ولحرف (الفاء) هنا دلالة أخرى؛ حيث بينت أن السبب في مبادرتهم الإجابة إنما هو تقلدهم أسبابها، وحرصهم على تحصيلها بما دل عليه تذللهم في الدعاء[4]، وصيغة الفعل (استجاب) بما فيه من أحرف الزيادة، فقد دل على قوة الإجابة، وجاء ملائماً للإلحاح في الدعاء،

---

(١) ينظر: البحر المحيط (٣/١٤٩).

(٢) ينظر: نظم الدرر (٥/١٦٠).

(٣) المصدر والموضع ذاته.

(٤) ينظر: تفسير المنار (٤/٣٠٥).

وتمام الانكسار؛ وأيضاً دل عليه تكرار لفظ الربوبية، مع إسقاط حرف النداء (يا)؛ ليدل على استشعار قرب المنادي الداعي من خالقه – تعالى -، ولما أقر أعينهم بالإجابة، ليكمل أنسهم، بيَّن أنهم المخصوصون بتلك الاستجابة، وقد استخدم لذلك حرف الجر (اللام) **وهو أحد حروف المعاني - في قوله – تعالى -:** ﴿لَهُم﴾، وفي ذلك تشريف لهم، وليزداد إشراق القبول في نفوس المؤمنين، فقد نفى إضاعة العمل، وأكّد ذلك بقوله – تعالى -: ﴿أَنِّي﴾، وقد نسبه إلى نفسه الجليلة فقال - سبحانه -: ﴿أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَـٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ﴾ [آل عمران: ١٩٥]، وفي قراءة فتْح همزة ﴿أَنِّي﴾ **التفات** إلى التكلم، وبالخطاب أظهر كمال الاعتناء بشأن الاستجابة، وتشريف الداعين بالخطاب، والغرض من ذلك تأكيد الاستجابة، وبيان أن سببها هو أعمالهم الصالحة التي قدموها، وليس مجرد الدعاء[١]، **ثم النفي بلا - أحد حروف المعاني-** قد أشاع الطمأنينة في قلوب المؤمنين إزاء خوفهم ألا تقبل حسناتهم، ولقد جاء التعبير بالإضاعة ﴿لَآ أُضِيعُ﴾ عن ترك الإثابة، مع أن الإضاعة غير حقيقية، فأعمالهم غير موجبة للثواب حتى يلزم من عدم الثواب عليها ضياعها لبيان كمال نزاهته[٢].

وفي هذا الأسلوب استعارة تبعية، إذ استعيرت الإضاعة للترك، لما في كلٍ من انتفاء تحقق المطلوب. وفي قوله – تعالى -: ﴿مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ﴾ **بعد ذلك (احتراس)** من أن يُتَوهَّم أن المراد بالخطاب الذكور فقط، فجاء التعبير بحرف

---

(١) ينظر: إرشاد العقل السليم (٢/ ٨٧).

(٢) ينظر: المصدر والموضع ذاته.

الجر ﴿مِّنكُم﴾ أراد به كائناً من كان[1]. فيجمع ذكوركم وإناثكم في الآخرة بالثواب، كما جمع بينهما بحرف العطف (أو)، فقد ورد فيه أنه هنا بمعنى (الواو)، فأفاد العموم[2]. وتتوالى حروف المعاني، لتظهر مدى الدقة في البيان القرآني؛ حيث إنَّ كل حرفٍ منها قد حدد المعنى، وأحاط الألفاظ بسياج البلاغة فقوله - تعالى-: ﴿مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ﴾ نجد أن ﴿مِّن﴾ جاءت فبينت الجنس، وأنَّ البشرية كلها سواء في العبودية لله المتوحد في كل شيء[3]، ثم تتكرر ﴿مِّن﴾، ويختلف معها المعنى، ففي قوله تعالى: ﴿بَعْضُكُم مِّنْ بَعْضٍ﴾ أراد بها التبعيض الحقيقي، فالذكور والإناث، وإن اختلفوا في النوعية، إلا أن أصلهم واحد، وهذا يعلل اشتراكهم في الثواب.

ولما قرت أعين الداعين بإجابته - سبحانه-، وكان قد تقدم[4] ذكر الأنصار في قوله - تعالى-: ﴿فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [آل عمران: ١٧٠]، ناسب بعد ذلك أن يخص المهاجرين بالثناء؛ إظهاراً لفضلهم، فقال - تعالى-: ﴿فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ﴾ جاءت (الفاء) للتفريع، عن قوله- تعالى-: ﴿لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم﴾، وهو من ذكر الخاص بعد العام للاهتمام بذكر الخاص[5].

---

(١) ينظر: البحر المحيط (١٥٠/٣)، ونظم الدرر (١٦١/٥).

(٢) ينظر: البحر المحيط (١٥١/٣).

(٣) ينظر: البحر المحيط (١٥١/٣)، والتحرير والتنوير (٢٠٣/٤/٣).

(٤) ينظر: نظم الدرر (١٦١/٥).

(٥) ينظر: حاشية الكازروني (٦٢/٢)، والتحرير والتنوير (٢٠٤/٤/٣).

وسره البلاغي يكمن في الاهتمام بالخاص، لذكره أولاً في ضمن العام، ثم إفراده بالذكر لمزية فيه؛ فالذين هاجروا تحملوا في سبيل الدعوة، والعمل على نصرتها ما لم يتحمله أحد سواهم.

وتمضي حروف المعاني تبث في الجمل مختلف المعاني، وتسهم في تصوير الأحداث بدقة، فهذا حرف الجر (من) يُنقِّل الذاكرة في تاريخ الرسول ﷺ، وما حصل للمؤمنين في مكة قبل الهجرة، من إيذاء على أيدي مشركيها، ثم محاولات المسلمين الفرار بدينهم إلى الحبشة أفراداً وجماعات، وقد تركوا خلفهم المال والأهل والولد. ثم حرف العطف (الواو)، وقد تكرر مرتين في قوله- تعالى-: ﴿وَقَٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟﴾ يستكمل صورة المؤمنين المجاهدين وهم بين كرٍ وضرب في معركةٍ محتدمة، أذاقوا المشركين فيها الموت، ونالوا هم الفوز بالشهادة في سبيل الله- تعالى-.

والجملة المباركة قد حُذف مفعولها، وتقديره: (قاتلوا الأعداء)، وفي الجملة الأخرى: (قُتلوا في سبيل الله).

وللحذف هنا بلاغة تشير إلى دقة في التعبير، مما يوجب دقة في الفهم، وهو أن المراد امتداحهم باقتحام ساحات الموت، وموجبات القتل، وليس المهم أمر قاتلٍ معين[1]، ولهذا الموقف الإيماني خاصية مميزة؛ إذ الدين في مستهل أمره كان ضعيفاً، وأفراده قلة: فحق لهؤلاء المهاجرين المقاتلين أن ينالوا حسن الثواب، بدليل قوله - تعالى-: ﴿فِى سَبِيلِى﴾ ذلك أن حسن مقامهم ناتج عن

(١) ينظر: نظم الدرر (٥/ ١٦٢).

أن القتل كان في سبيل الله - تعالى-، ولفظ السبيل جاء مجازاً ؛ مراداً به دين الله- تعالى- ؛ حيث شبه دين الله بالسبيل، والجامع بينهما هو التوصل إلى الغاية المنشودة، ثم استعير السبيل للدين استعارة تصريحية أصلية، والقرينة إضافته إلى لفظ الجلالة.

وصورة المجاز في قوله - تعالى-: ﴿فِي سَبِيلِي﴾ دل على تمكن المؤمنين من دينهم، وأن المشركين لم يظفروا منهم، ولم ينالوا ما يريدون. ثم أسلوب القسم بما فيه من معنى التوكيد، وفيه معنى اللطف، ولفت الانتباه نحو مكانتهم العالية. فقال - سبحانه-: ﴿لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ﴾.

فهاتان الجملتان المباركتان جواب لقسم محذوف، تقديره: والله، وهو تأكيد لمحو ذنوبهم، وتأكيد لدخولهم الجنة، وليس بعملهم ؛ بدليل قوله- تعالى-: ﴿مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾، فالتعبير بالعندية تعظيم لشأن الجواب، وهو ﴿لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ...﴾، والمراد بقوله- تعالى-: ﴿عِندَهُۥ﴾ أي في خزائن ملكه، التي هي في غاية العظمة[1].

ولتوسط حرف الجر ﴿عَنْهُمْ﴾ بين القَسَم بتكفير ذنوبهم في قوله: ﴿لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ﴾، وبين القسم بإدخالهم الجنة في قوله: ﴿وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ﴾ نجد أحد حروف المعاني، وهو ﴿عَنْهُمْ﴾، فقد تكفل ببيان صورة المؤمن النقي الذي مُحيت سيئاته، وتهيأ لدخول الجنات.

---

(١) ينظر: نظم الدرر (١٦٣/٥)، وإرشاد العقل السليم (٨٨/٢).

ومن اللطائف[1] البلاغية في آيات سورة آل عمران، قوله- تعالى-: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آية: ١٩٠].

١- قوله - تعالى-: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ..﴾ جملة استئنافية مقررة لمضمون ما سبقها.

٢- توكيد الخبر بـ(إن) واسمية الجملة واللام؛ لأهميته.

٣- تنكير لفظ (آيات) للدلالة على التكثير والتفخيم.

٤- الوصل بين جملة: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، وجملة: ﴿وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ لاتحادهما في الخبرية والاسمية.

٥- في قوله- تعالى-: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ مجاز مرسل، علاقته المحلية؛ إذ المراد ما فيها من أجرام بديعة الصنع تدل على وجود الخالق- تبارك وتعالى-، وتثير العقول للتبصر والتفكر.

وما جاء في قوله- تعالى-: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آية: ١٩١]:

١- حيث الفصل بين جملة ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ...﴾ الآية، وما قبلها، لكون هذه مبينة لصفات المؤمنين.

---

(١) ينظر: معجم البلاغة القرآنية (١/ ٥٠٥)، للدكتور محمد بن سعد الدبل، الناشر مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

٢- في الآية إيجاز بالحذف، إذ التقدير: هم الذين يذكرون الله...

٣- وكذلك في قوله – سبحانه -: ﴿وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ...﴾ فيه إيجاز بالحذف؛ إذ التقدير: كائنين على جنوبهم.

٤- الوصل لكمال الاتصال بين قوله – تعالى -: ﴿يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ..﴾ وبين قوله: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾؛ لأن كلاً منهما جملة فعلية فعلها مضارع. ولما بينهما من ترابط في المعنى؛ فالذين يدأبون على ذكر الله ﷻ في قيامهم وقعودهم وعلى جنوبهم، لا شك يحرصون على التفكر في خلقه - سبحانه -.

٥- كما أن في قوله - تعالى-: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ فيه إبراز الظاهر محل الضمير؛ لكمال العناية بمفهوم التفكير. وفي لفظة ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ﴾ إيجاز قصر؛ حيث إنها تجمع إلى جانب العلم النظري بهذه المخلوقات ما يقوي العقيدة، ويظهر دلائل الخضوع لله ﷻ.

٦- وفي قوله - تعالى -: ﴿مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَـٰطِلًا..﴾ فيه إيجاز بالحذف؛ إذ التقدير ما خلقت هذا المخلوق البديع باطلاً.

وفي قوله – تعالى -: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ۖ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [آل عمران: ١٩٢].

من اللطائف البلاغية التالي:

١- تأكيد الخبر بـ(إن)، واسمية الجملة، لأهميته، وتهويل أمره.

٢- الإظهار موضع الإضمار في ذكره (النار) لتهويل أمر الكفر، ودلالة على فظاعتها.

وكذلك جاء في قوله- تعالى- : ﴿ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَـٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴾ [الآية : ١٩٣].

في قوله - تعالى- : ﴿ سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَـٰنِ.. ﴾ فيه معنى التفسير بعد الإبهام، والتقييد بالإيمان؛ ففي ذلك كله تفخيم لشأن الإيمان وفيه إطناب بالتكرار.

وفي قوله - تعالى- : ﴿ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴾ [الآية : ١٩٤].

تكرار النداء فيه معنى الدعاء والخضوع والالتماس.

النهي في قوله - تعالى- : ﴿ وَلَا تُخْزِنَا.. ﴾ تضمن معنى الأمر للالتماس والدعاء.

وفي قوله - سبحانه- : ﴿ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴾ تأكيد الخبر بـ(إن) واسمية الجملة دلالة على صدق الإيمان.

قوله- تعالى- : ﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَـٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ .... ﴾ [الآية : ١٩٥].

في قوله - تعالى- : ﴿ أَنِّى لَآ أُضِيعُ ﴾ :

١- أفاد النفي إثباتاً، فيصير المعنى أني أوصل ثواب جميع أعمالكم إليكم.

٢- في الآية تفصيل بعد إجمال في قوله - تعالى- : ﴿ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟.. ﴾ لبعث الطمأنينة في نفوس المهاجرين، وإلهاب لحماس من لم يهاجر.

٣- وفي قوله - تعالى- : ﴿ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴾ اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله.

٤- العطف لكمال الاتصال، واتحاد الجمل في الخبرية.

ولا يخفى أثر علم البيان في قوله - تعالى-: ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ مجاز مرسل لعلاقة المحلية ؛ فإن الأنهار لا تجري وإنما يجري فيها الماء.

ولا يخفى أثر رعاية الفاصلة بتنوع حروفها بين ما سبق من الآيات، وما فيه من جمال بديع.

ويتضح دور حروف المعاني في بيان صفات المؤمنين الذين أقروا بوحدانية الله ﷻ، والتزموا طريقه المستقيم، حيث يقول - تعالى-: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٠-٣٢].

ترتبط آيتا الشاهد بما سبقهما قوله- تعالى-: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعْدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُ ۖ لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ ۖ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ﴾ [فصلت: ٢٦-٢٩].

ذلك أنه لما بيّن في هذه الآيات المباركة السبب الذي من أجله وقع أولئك في الكفر، وهو إعراضهم عن الاستماع للقرآن، وصرفهم غيرهم عن اتّباعه، توعدهم بعذابٍ شديدٍ في الدنيا والآخرة، ثم إنه تعالى بعد أن فصل الوعيد، أردفه بهذا الوعد الشريف.

ولما ذكر في تلك الآيات الأعداء إنذاراً ووعيداً، أتبعه هنا بذكر المؤمنين وأوليائهم بشارة[1].

والآيات الكريمة في مجملها بيان صفات المؤمنين الذين اعترفوا بربوبيته، وأقروا بوحدانيته، ثم استقاموا على العمل الصالح، وداوموا عليه، كما أنها بيان لذلك الجزاء الذي يتناسب مع مبدأ الإقرار والاستقامة.

ولقد تضافرت بعض حروف المعاني مع بقية ألفاظ الآيات، فكان لها دور بارز ومميز في التعبير عن المراد.

من الأسرار البلاغية لحروف المعاني، وأثرها في معاني الآيات الكريمة:

افتتاح الآية المباركة بحرف التوكيد ﴿إنّ﴾: «متضمن الثبات على الإقرار؛ إذ الإقرار بدون الثبات كلا إقرار، وعن هذا حَمَل الاستقامة على الاستقامة في العمل دون الثبات على الإقرار، ثم جوَّز ذلك تصريحاً بما علم إلزاماً أو تضمناً»[2]. وفي هذا السياق قال القونوي ما مضمونه: أن ﴿إنّ﴾ للتأكيد عندما يكون المخاطب شاكاً أو منكراً. وهنا الخطاب - في هذه الآيات - مع خالي الذهن؛ لأن الخبر مجهول، فلا أحد يعلم أن الملائكة تتنزل؛ لذلك فقد يقع الخبر موقع الاستغراب، ومن شأن مثل هذا الخبر أن يستغرب؛ إذ كيف يتصور الإنسان أن تتنزل عليه الملائكة عند النزع- وفي القبر وعند البعث - ولكي يقع هذا الخبر موقع التسليم، ولأول وهلة: أُكد لذلك الخبر.

---

(١) ينظر: مفاتيح الغيب (١٤/٢٧/١٠٥)، ونظم الدرر (١٧/١٨٢).

(٢) حاشية القونوي (١٧/١٥٩).

كما أن توكيد خبر البشارة للمؤمنين بـ(إنَّ) يطوي بين عطفيه سراً آخر، هو كبح جماح المشركين، وتقريعاً وتوبيخاً لهم على تلك النهاية المهينة[١].

و(إنَّ) داخلة على الموصول (الذي) صلته تقوم على أمرين:

الأول: القول، وهو إعلان الربوبية، ثم إعلان الاستقامة على ذلك. وكان لا بد للنفس على ضوء تلك البشارة أن تتشوف إلى معرفة خبر هؤلاء المؤمنين؛ فجاء تعريف المسند إليه بالموصول، إشارة إلى وجه بناء الخبر، وهو مدح ثواب الموصوفين بهاتين الصفتين الماثلتين في قولهم: ربنا الله - ثم استقامتهم على ذلك -؛ مما جعلهم أهلاً للتبشير بالجنة.

والملاحظ أن إقرارهم بالوحدانية، جاء التعبير عنه **بأسلوب القصر (ربنا الله)، بتعريف الطرفين** - المسند والمسند إليه - ولهذا الأسلوب سر بلاغي: هو تأكيد الربوبية[٢] لله - تعالى - فلا رب لهم سواه، فهو خالقهم، ومربيهم بنعمه عليهم، وفي ذلك إعلان لتبرئهم من الخضوع لغيره؛ إذ لا فضل ولا نعمة تقتضي تلك الربوبية لهذا الغير سبحانه. **ولقد كان في اختيار (ثم) وهي إحدى حروف المعاني دور في بيان أهمية الإقرار** بالربوبية، وأهمية الاستقامة عليها؛ فقد ذهب جلُّ العلماء إلى أنها تعني التراخي الرُّتَبي بين الاستقامة والإقرار في المرتبة وفضلها عليه؛ لأن الاستقامة لها الشأن كله، ونحوه قوله ﷻ: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴾ [الحجرات: ١٥].

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير (١١/٢٤/٢٨٢).

(٢) التأكيد ناشئ من كون جمله القصر في قوة جملتين: (لا رب لنا إلاّ الله).

والمعنى: ثم ثبتوا على الإقرار ومقتضياته، فعن أبي بكر ﷺ: استقاموا فعلاً. كما استقاموا قولاً[١]، وبالنظر في أقوال المفسرين تبين ما الآتي:

أولاً: أن نظرات المفسرين لمعنى التراخي في ﴿ثُمَّ﴾ مختلفة؛ فمنهم من يراه يعطي الجملة معنى البعد الزمني، وآخرون يرون أنه يضفي معنى التدرج والارتقاء لما يستعار له هذا الحرف[٢].

ثانياً: أن مجمل آراء المفسرين في التعبير بالحرف ﴿ثُمَّ﴾ في هذه الآية أنه المبالغة في امتداح هؤلاء المؤمنين بصفة الاستقامة، وبيان أنهم قد استقروا في هذه الصفة، وأنهم داوموا عليها مهما طال عليهم الزمان؛ فهم في استقامة ترضي ربَّ العالمين، فلا الزمن، ولا تبدل الأحوال بهم، ينال من مسيرهم المستقيم.

ثالثاً: والذي يظهر لي أنه من باب الترقي في الفضيلة؛ لأن الاستقامة تشمل قولهم: ربنا الله، ثم المداومة عليها.

البلاغة في وصف المؤمنين بالاستقامة من جهتين: المعنى الحقيقي - أو اللغوي لمعنى الاستقامة، ثم خروجها عنه إلى المجاز بالاستعارة. ويتبين الآتي:

---

(١) ينظر: الكشاف (٤/ ١٩٣)، والبحر المحيط (٧/ ٤٧٥)، وإرشاد العقل السليم (٥/ ٤٤٤)، ونظم الدرر (١٧/ ١٨٣)، وروح المعاني (١٢/ ٢٤/ ٣٧٢).

(٢) ينظر: من أسرار حروف العطف في الذكر الحكيم ص (٢٥٣، ٢٥٤) للدكتور محمد الأمين الخضري، الناشر: مكتبة وهبة، القاهرة، ط١ ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

الاستقامة: مأخوذة من الفعل (استقام)، ومعناه في عرف اللغة[1]: استقلَّ بغير ميلٍ ولا انحناء؛ ولكن المراد به - في الآية الشريفة- حسن العمل القائم على الحق والصدق، على سبيل الاستعارة الأصلية؛ حيث شبه الثبات على الحق، وما يتبعه من حسن العمل بالاستقامة المشاهدة في المبصرات المعتدلة، كالعود أو نحوه، ثمَّ استعيرت الاستقامة للثبات، وما يتبعه من حسن العمل.

والسر البلاغي في هذا الاستعمال: إبراز الأمر في صورةٍ حسيةٍ تراها العين، ليظهر حسن الثبات على الحق، فتأنس النفس إليه، وترغب فيه فتتمثله، وتتصف به، وتحرص عليه.

حروف المعاني بين صفات المؤمنين الدنيوية والأخروية:

أولاً: صفاتهم الدنيوية:

قوله تعالى: ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟...﴾:

فحروف المعاني في هذه الآية الكريمة؛ تصور السماء وقد اتصلت بالأرض، وتكشف للمؤمنين جزءاً من العالم الغيبي - حيث الملائكة، يصلون أهل الأرض بأهل السماء على وجه الحقيقة، بعد أن كان ذلك مستبعداً ومستحيلاً لدى كثيرٍ من الناس، فهاهم أولاء الملائكة ﴿تَتَنَزَّلُ...﴾ إلى الأرض تكريماً من الله ﷻ لمناجاة المؤمنين، وللتخفيف عنهم عند موتهم وعند بعثهم -،

---

(١) حقيقة الاستقامة: عدم الاعوجاج والميل، و(السين والتاء) فيها للمبالغة في التقوّم. ينظر: بصائر ذوي التمييز (٢/١٤٦).

ومن قال بأن استعمال الاستقامة هنا على وجه الاستعارة، الطاهر بن عاشور. ينظر: التحرير والتنوير (١١/٢٤/٢٨٢).

وأفادت الصيغة ﴿تَتَنَزَّلُ...﴾[1] نزول الملائكة عليهم السلام - على سبيل التدرج المتصل، حين نفخ الروح فيهم إلى أن يموتوا، ثم إلى أن يدخلوا الجنة، وذلك بتأييدهم في كل أحوالهم الدنيوية[2]، ولقد وردت مادة الإنزال في سبعةٍ وعشرين موضعاً عديت بـ(على) فيما يخص الإنزال، ممن نزل عليهم الوحي من النبيين[3].

ومن معانيها ما يتضمن معنى فوق؛ ويدل على الجهة التي جاء منها؛ فيدل على التشريف والتكريم[4]، فعلى ما سبق بيانه، فإن (على)، تعني هنا:

أولاً: أن كل ما جاء من الآيات معدّى بـ(على) يفيد التشريف والتكريم للأنبياء؛ فإنه على البشر من باب أولى.

ثانياً: أن معنى الحرف (على) في هذه الآية الكريمة أفاد ملازمة الملائكة للمؤمنين؛ لما يبعث روح الأمن فيهم، ويجللهم بهيبة إيمانية متميزة؛ حيث الطمأنينة والسكينة، وذلك أن الملائكة: «تتنزل عليهم، يمدونهم فيما يعن لهم

---

(١) تتنزَّل: أصل النزول هو الانحطاط من علوٍ، ويكون بإنزال الشيء نفسه. ينظر: المفردات (ص ٤٨٨).

(٢) ينظر: نظم الدرر(١٧/ ١٨٣)، وروح المعاني (١٢/ ٢٤/ ٣٧٢)، وفتح القدير (٤/ ٧٢٢)، للإمام محمد بن علي الشوكاني، تحقيق: سيد إبراهيم، دار الحديث، ط١ ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

(٣) ينظر: من أسرار حروف الجر في الذكر الحكيم (ص ١٠٧)، للدكتور محمد الأمين الخضري، مكتبة وهبة، ط١، ١٤٠٩هـ -١٩٨٩م.

(٤) ينظر: درة التنزيل وغرة التأويل (ص ٢٢٥)، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بالخطيب الإسكافي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

من الأمور الدينية والدنيوية بما يشرح صدورهم، ويدفع عنهم الخوف والحزن بطريق الإلهام»[١].

ثالثاً: (على): أحد حروف المعاني التي تفيد العلو، وجاءت في هذه الآية الكريمة تلقي بظلال الأمن على المؤمنين وتدل على امتداد الرحمة بين السماء وأهل الأرض، والملائكة تقول لهم: ﴿أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا...﴾، **أسلوب نهي** الغرض منه التوجيه والإرشاد إلى ترك الخوف، وبث الطمأنينة. **وأصل (ألاّ)، (أنْ) مدغمة في (لا).**

من آراء العلماء الآتي:

(أنْ) في موضع نصب، أي: (بأن لا تخافوا ولا تحزنوا)[٢]، وتحتمل (أنْ) أن تكون[٣]:

١- المخففة من الثقيلة، وعليه (لا) ناهية، واسمها منوي، وقد يكون ضمير الشأن: ((بأنه لا تخافوا ...)).

٢- المفسرة، وعليه (لا) ناهية، وشروطها أن تصلح مكانها (أي)، وعلامتها أنْ تقع بعد جملة فيها معنى القول دون حروفه، ولا تقع بعد صريح القول[٤].

٣- الناصبة، وعليه (لا) نافية (وهي المصدرية)، أو ناهية[٥].

---

(١) روح المعاني (٢/٢٤/٣٧٢).

(٢) ينظر: إعراب القرآن (٤/٦٠) للنحاس.

(٣) ينظر: الدر المصون (٩/٥٢٥).

(٤) ينظر: الجنى الداني (ص ٢٢٠، ٢٢١)، ومغني اللبيب (ص ٤١-٤٢) لجمال الدين بن هشام الأنصاري، تحقيق: د. مازن المبارك ومحمد علي الحمد، بيروت، ط١، ١٩٨٥م.

(٥) ينظر: إعراب القرآن (٦/٦٣٤) لمحيي الدين درويش.

وأجاز السمين[(١)] الأوجه الثلاثة، وكذا فعل محيي الدين درويش، بينما رجَّح الزمخشري[(٢)] كونها مفسرة، أو مخففة، وضميرها (أي ضمير الشأن) هو اسمها[(٣)].

ويؤيد كونها مفسرة قراءة ابن مسعود ﷺ: (لا تخافوا): أي قائلين، أو يقولون[(٤)]؛ لأن ما بعد (أنْ) جاء بمعنى القول[(٥)]، ولم يستبعده محيي الدين درويش[(٦)].

---

(١) أحمد بن يوسف بن عبد الدائم بن محمد شهاب الدين السمين الحلبي الشافعي، نزيل مصر توفى سنة ٧٥٦هـ، له من التصانيف: الدر المصون في علم الكتاب المكنون في تفسير القرآن، شرح تسهيل الفوائد لابن مالك في النحو، العقد النضيد في شرح القصيد، عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، القول الوجيز في أحكام الكتاب العزيز، وغير ذلك.

(٢) محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الزمخشري، وكنيته أبو القاسم جار الله، كان واسع العلم، كثير الفضل، ولد (سنة ٤٩٧هـ) أخذ الأدب عن أبي الحسن علي بن المظفر النيسابوري، وأبي منصور الحارثي، جاور بمكة ولقب لذلك بجار الله. مات سنة (٥٣٨هـ). ينظر: البلغة في تاريخ أئمة اللغة (١٨٠)، محمد بن يعقوب الفيروزابادي، اعتنى به بركات يوسف هبود، المكتبة العصرية، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، وبغية الوعاة (٢/٢٨٠)، ولا يخفى معتقد الزمخشري بأنه من أئمة المعتزلة. ينظر: تفصيل ذلك في المدخل إلى دراسة بلاغة أهل السنة (ص٥١).

(٣) ينظر: الكشاف (٤/١٩٤).

(٤) ينظر: المصدر والموضع ذاته.

(٥) ينظر: إملاء ما من به الرحمن (٢/٢٢٢)، لأبي البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري، تحقيق: إبراهيم عطوة عوض، دار الحديث، طبعة سنة ١٤١٢هـ -١٩٩٢م.

(٦) وممن أجازه السمين الحلبي وأبو البقاء.

وفي الوجه الثالث حملها على النفي يحتاج إلى تكلف وتأويل بعيدين.

وأما في الوجهين الأولين، فهو إشارة إلى تجدد حياتهم بما هو خير، حيث الملائكة تخاطبهم وتؤانسهم بحديث البشرى.

ثم العطف بالواو بين الحزن والخوف والبشرى، وهو من باب التوسط بين الكمالين، وهذه الجمل الثلاثة تتشابه لفظاً ومعنى، فالجملة الأولى والثانية ﴿**لا تخافوا، ولا تحزنوا**﴾ نهي، والأخيرة (وأبشروا) أمر، وفي هذا إشارة إلى كمال العناية بشأن المؤمن؛ فلا خوف ولا حزن؛ بل البشرى بالجنة والرضا؛ لأنهم في كنف المولى، وناسبه التعبير بالأفعال في صيغة المضارع: (تتنزل، تخافوا، تحزنوا)؛ لأنه رضا متجدد بتجدد الحدوث، ويطيب حديثهم حيث قولهم: ﴿وَأَبْشِرُوا بِٱلْجَنَّةِ...﴾ الآية. وتقترن البشرى بحرفٍ من حروف المعاني (الباء) في قوله تعالى: ﴿بِٱلْجَنَّةِ﴾ لتبيِّن نوع البشرى، وهو الإلصاق بالجنة، تأثراً بمعنى (الباء)؛ مما يشير إلى دوامهم فيها، ويستمر التواصل، ويطيب اللقاء بين الملائكة وبين المؤمنين، ويزداد الأسلوب توكيداً والكلام تأثيراً بقول الملائكة، قال - تعالى -: ﴿نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ۝ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ [فصلت: ٣١-٣٢].

فقد تكرر فيها حرف من حروف المعاني التي منها (في)، ولقد تكرر هذا الحرف مرتين بطريق العطف، وتكرارها على هذا النحو، مع إمكان

الاستغناء عنها بحرف العطف لنيابته عنها، إنما هو لتمكين الولاية في الآخرة وتأكيده[١].

والسر البلاغي في التعبير بلفظ (في) مراد به أن موالاتنا لكم متحققة في حياتكم الدنيا، وفي حياتكم الآخرة؛ فهي محيطة بكم إحاطة الظرف بالمظروف[٢]، ويزداد الحديث طولاً؛ ويزداد تكريمهم بقوله - تعالى-: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا﴾؛ إذ

---

(١) من النظرة العجلى في العطف بالواو، نجد أنها عندما تعطف على مجرور يكون المعطوف أحياناً غير مقترنٍ بحرف الجر، وذلك كقوله تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾، وقوله - تعالى-: ﴿حَٰفِظُوا عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٨]، وأحياناً يقترن بحرف الجر كهذه الآية: ﴿نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْآخِرَةِ﴾ [فصلت: ٣٢]، وغيرها، ويفهم من كلام النحاة أن إعادة حرف الجر هو الأصل؛ ذلك أنهم في ثنايا حديثهم عن عطف المجرور بحتى جعلوا الواو أصلاً يقاس عليه في ذلك، وهذا ما قالوه في ذلك: «وإذا عطفت على مجرور فقال ابن الخباز الموصلي، وأبو عبدالله الجليس.. لزم إعادة الجار فرقاً بينهما وبين الجارة، وقال ابن عُصْفور: الأحسن إعادة الخافض ليقع الفرق بين العاطفة، وإذا عطفت على مجرور، أعدت الجار، نحو: مررت بهم حتى بزيد، فإن كانت الجارة لم تحتج للباء، وإن كانت العاطفة، أعدت الباء كما تعيدها مع الواو». ارتشاف الضَّرَب من لسان العرب (٤/٢٠٠)، لأبي حيان الأندلسي، ت/د. رجب عثمان محمد، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

(٢) لأن لفظ (في) موضوع لتلبس الظرف بالمظروف، مثل: النقود في جيبي، فإذا كان ما بعد (في) يصلح لأن يكون ظرفاً حقيقياً لما قبلها كانت (في) مستعملة فيما وضعت له، وأما إذا كان ما بعدها لا يصلح لأن يكون ظرفاً لما قبلها، فتكون مستعملة في غير ما وضعت له، وهي المجازية، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾ [البقرة: ١٧٩]. ينظر: مغني اللبيب (ص ٢٢٣).

قدم الجار والمجرور ؛ لأنه أراد قصر ما تشتهيه أنفس المؤمنين في الجنة عليهم، لا يتجاوزهم إلى غيرهم، وأشاع حرف اللام، وهو أحد حروف المعاني - معنى اختصاصهم بذلك التعميم لتقر أعينهم ولا تحزن نفوسهم لأجل ما منعوه أنفسهم من الشهوات في الدنيا.

والنُّزل: هو ما يعطى للضيف أول حلوله ؛ سواء كان رزقاً أم غيره، وهو مشتق من النزول، لأنه كرامة النزيل[1]، والاستعارة لما يعطونه من الرغائب ؛ ووجه الشبه سرعة إحضاره ؛ كأنه مهيأ من قبل حضورهم[2].

ومن أمثلة حروف المعاني: التي تمثل ما لليوم الآخر من عقبات وصعوبات، يجتازها المؤمنون الذين تحلّوْا بما في الآية من صفات، وقد أعان على توضيحها ما جاء بها من حروف المعاني في قوله تعالى: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ۝ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ۝ فَكُّ رَقَبَةٍ ۝ أَوْ إِطْعَـٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ۝ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ۝ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ۝ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ۝ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ۝﴾ [البلد: ١١-١٨].

القرآن الكريم في هذه الآيات المباركة يخبر عن المؤمنين الذين آتاهم الله ﷻ المال، وغيره من المنافع، والتي تقتضي من العبد أن يقوم بحق شكرها ؛ فلا يستعين بها على المعاصي، بل يوجهها في عمل الخيرات ؛ لاقتحام العقبة،

---

(١) ينظر: بصائر ذوي التمييز (٢/٥٢).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير (٢٨٧/٢٤/١١)، أصل النزل: ما يُقدم للضيف، والمؤمنون ليسوا ضيوفاً، فشبه جزاء المؤمنين بالنزل بجامع الإكرام في كلٍ، واستعير النزل للثواب على سبيل الاستعارة الأصلية.

ولأهمية اجتياز هذه العقبة فقد فسرها، وبين صفات المؤمنين الذين هم قادرون على اجتيازها[1].

وترتبط آيات الشاهد بسابقتها في سورتي الفجر والليل:

حيث إن المولى تبارك — وتعالى - في سورتي الفجر والليل يكشف جانباً من الشخصية التي أحبت المال؛ فجمعته، وحرصت على عدم إنفاقه في وجوه الخير فتنفع به عباد الله - تعالى -، وتنتفع بأجره في الآخرة، لذلك جاء في سورة (البلد) بيان مآل جامع المال، وهو عدم استطاعته اقتحام العقبة: الذي يتمثل في الجمع بين جانب مالي، وهو فك الرقبة وإطعام المسكين اليتيم، وخص القريب منهما، حتى لا تنطوي نفوسهما وبطونهما على حاجة ملحة، وهذا القريب يستطيع قضاءها، ثم ذكر الجانب الآخر، وهو الجانب الإيماني وتوابعه المترتبة عليه، كالصبر وإشاعة الرحمة[2].

وللتناسب وجه آخر، هو أنه لما ابتلي الإنسان بضيق رزقه، وكان ذلك عقوبة على عدم تراحمه مع ذوي الحاجة؛ فلم يطعم المسكين، ولم يكرم اليتيم؛ ذكر في سورة (الليل) ندمه يوم القيامة، وتذكره حبس المال. وفي هذا الأسلوب إلهاب لحماسة ذوي الأموال، وأهل الدين، أن يتذكروا غيرهم

---

(١) ينظر: جامع البيان (٥٢٤/٧، ٥٢٥)، وتيسير الكريم الرحمن (١٠٢٩/٢).

(٢) ينظر: تناسق الدرر في تناسب الآيات والسور (ص ١٣٧)، للإمام جلال الدين عبدالرحمن السيوطي، ت: عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ -١٩٨٦م.

فيصلوهم كما أمر الله - تعالى -، وكما بيَّن في سورة (البلد)[1].

البلاغة بين حروف المعاني وصفات المؤمنين، ففي قوله - تعالى -: ﴿فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ﴾ نجد (الفاء) للعطف[2]، حيث عُطفت جملة (لا اقتحم العقبة)، وهي إنشائية معنى، وخبرية لفظاً، كأنه قال: (لا تقتحم العقبة)، على الجملة الأولى (ألم نجعل له عينين ولساناً وشفتين..) أي أنه عَطَفَ إنشائية معنى وخبرية معنى على الجملة الأولى، وهي إنشائية، أراد بذلك الترتيب على ما سبق من الكلام. والتعقيب على ما سيأتي من معانٍ مرتبطة **(بلا)**[3]، **وهي كذلك من حروف المعاني** التي للنفي، دلت أنه لم يقتحم العقبة، وفي النفي بها تصوير لغضب المولى تبارك وتعالى من العاصي الذي اتبع هواه، وتنكّر لنعمه - سبحانه -، وقد بيَّن هذه النعم فيما سبق من آيات كريمة؛ امتناناً على عباده، وتذكيراً لهم بما يجب عليهم فعله؛ وكذلك فقد ظهر للنفي بها وجه آخر، حيث إنها تلمح إلى ما يكون عليه العاصي من الحسرة والندم؛ لأنه لم يُعِدّ لليوم الآخر عدته، ويفعل ما فعله غيره من المؤمنين، وفي ذلك إذكاء لروح المؤمنين بالاندفاع في مشاق العبادات، حتى يكونوا ممن قال فيهم: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ أَصۡحَـٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ﴾ [البلد: ١٨]، والملاحظ أنه لم يذكر (لا) إلاّ مرة

---

(١) ينظر: تناسق الدرر من تناسب الآيات والسور للسيوطي (ص ١٣٨).

(٢) ينظر: إعراب القرآن وبيانه (٨/٣٢٢) لمحيي الدين درويش.

(٣) و«قد تدخل (لا) النافية على الماضي قليلاً، قال تعالى: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ﴾ [القيامة: ٣١]؛ لأنه في معنى: فما صدَّق وما صلّى، وقوله تعالى: ﴿فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ﴾ أي: ما (اقتحم)». رصف المباني (ص ٣٣١) للمالقي.

واحدة[1]، ولقد قيل: «إنه فعل ماض لم يكرر معه (لا)، إما استعمالاً لأداة (لا) كاستعمال (ما)، وإما إجراءً لهذا الفعل مجرى الدعاء، نحو: فلا سلم ولا

---

(١) لأن العرب لا تكاد تفرد (لا) إلاَّ مع الفعل الماضي حتى تعيده مرتين أو أكثر، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ﴾ [القيامة: ٣١]. وتنظر: حاشية ابن التمجيد (٢/ ٢٨١) لمصلح الدين مصطفى بن إبراهيم الرومي الحنفي، ضبط: عبد الله محمود محمد عمر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ، والبحر المحيط (٨/ ٤٧١). وقلما يتكلم العرب مثل هذا الأسلوب، فلا يقولون: لا حييتني، تريد ما حييتني؛ فإن قلت لا حييتني ولا زرتني صَلَح. ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥/ ٣٢٩)، والبحر المحيط (٨/ ٤٧١). وما ذهب إليه سيبويه من جواز إفرادها مستشهداً بقول الشاعر سعد بن مالك:

مـــن صـــدَّ عـــن نيرانهـــا فأنـــا بـــن قـــيسٍ لا بـــراح

ينظر: الكتاب (٢/ ٢٩٦)، لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، تحقيق /عبد السلام هارون، الهيئة العامة المصرية للكتاب، ١٩٧٧م. جعله للضرورة كما نقل عنه ابن النحاس، وقدَّر في الآية المباركة التكرير؛ لأنه - سبحانه - قد بيَّن المعنى بما يفيد التكرار. وينظر: إعراب القرآن للنحاس (٥/ ٢٣٠). والمبرد يجيزه - أي عدم التكرار - في الاختيار، نحو: لا رجل في الدار، لا زيدٌ في الدار. ينظر: المقتضب (٤/ ٣٦٠، ٤٦٤)، لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق محمد عبد الخالق عظيمة، عالم الكتب.

والبيت في الأمالي الشجرية (١/ ٢٨٢)، إملاء الشريف ضياء الدين أبي السعادات المعروف بابن الشجري، دار المعرفة بيروت - لبنان، وشرح المفصل: (١/ ١٠٨، ٢/ ٢٢٤)، للعلامة موفق الدين بن يعيش النحوي، عالم الكتب، بيروت. وينظر: كتاب همع الهوامع شرح جمع الجوامع (ص ١٢٥)، للسيوطي، تصحيح السيد محمد بدر النعساني محمد، مكتبة الخانجي، ط١، ١٣٢٧هـ، وينظر: شرح التصريح على التوضيح على ألفية ابن مالك لجمال الدين أبي محمد بن هشام الأنصاري (١/ ١٩٩)، للشيخ خالد بن عبد الله الأزهري، طبع دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.

والبيت من مجزوء الكامل، للشاعر: ابن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة البكري، شاعر جاهلي، من بني بكر وفرسانها، قُتل في حرب البسوس. ينظر: الأعلام (٣/ ٨٧).

عاش، ونحو ذلك، وإما لأن العقبة قد فسرت بمجموع أمورٍ: فاقتحامها فعل كل واحدٍ منها، فأغنى ذلك عن تكريرها؛ فكأنه قال: فلا فك رقبة، ولا أطعم، ولا كان من الذين آمنوا»[1].

وأراني أرجح ما ذهب إليه ابن قيم الجوزية[2] من أن (لا) لم تكرر؛ لأنه أجرى الفعل مجرى الدعاء - كما سبق -، فكون الجملة دعائية يعني ظاهرها الدعاء على المخاطب، والمراد بها الإغراء بالأمر، من باب التلطف في الخطاب، حتى يفعل الإنسانُ ما هو مطلوب منه[3].

---

(١) بدائع التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن قيم الجوزية (٥/ ٢٢٠)، جمع/ يسري السيد محمد، دار ابن الجوزي، ط١، ١٤١٤هـ ١٩٩٣م. وينظر: البحر المحيط (٨/ ٤٧١).

(٢) ابن قيم الجوزية: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن جرير الأوزاعي الدمشقي، شمس الدين بن قيم الجوزية، ولد سنة (٦٩١هـ)، سمع من ابن تيمية الدرس، برع في جميع العلوم، وفاق الأقران، وغلب عليه حب ابن تيمية حتى لم يخرج عن شيء من أقواله، بل ينتصر له في جميع ذلك، من مؤلفاته: (بدائع الفوائد)، و(طريق السعادتين)، و(إعلام الموقعين). توفي (سنة ٧٥١هـ). ينظر: البدر الطالع (ص ٦٥٩)، تحقيق حسين عبد الله العمري، دار الفكر - دمشق/ دار الفكر المعاصر - بيروت، ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

(٣) وهذا الأسلوب من أساليب العربية المتعارف عليها، فقد ورد في أحاديث الرسول ﷺ عند قوله لمعاذ ﷺ: **(ثكلتك أمك يا معاذ، وهل يكب الناس على مناخرهم في نار جهنم إلا حصائد ألسنتهم)**. غريب الحديث (٣/ ١٨٤) لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي، مراقبة الدكتور محمد خان، دائرة المعارف العثمانية، دار الكتاب العربي، لبنان - بيروت، ط١، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٦م، والنهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ٣٨٠)،.

ومنها قول حسان بن ثابت ﷺ:

إن التي ناولتني فرددتُها قُتِلَتْ - قُتِلْتَ - فهاتها لم تُقْتَلِ

والبيت من الكامل. ينظر: ديوان حسان بن ثابت (ص ١٦٦) شرحه علي العسيلي، منشورات مؤسسة الأعلمي، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م:

ولدقة معنى ﴿ٱقۡتَحَمَ﴾[1] في تصوير المعنى المراد ؛ فقد ناسب التعبير به ، حيث أراد أنه وثب ورمى به فيما رآه من الخير رغبة فيما عند الله - تعالى - ، حتى أنه يهجم إليه خشية أن يبتدره غيره ، وجُعلت الأعمال الصالحة عقبة ، واقتحامها : أداؤها لما في ذلك من معاناة ومشقة في مجاهدة الإنسان نفسه ، ونزع هواه وشيطانه[2] ، وهذه المواقف الإنسانية تصور دخيلة المؤمن التي ارتقت إلى مصاف كاملي الإيمان ، بعد أن تخلصت من التمسك بالدنيا وما فيها من زخارف زائلة ، فهي ترنو إلى عالم الكمال الذي تدوم فيه اللذات.

ومن هذه المعاني جاء التعبير بلفظ ﴿ٱلۡعَقَبَةَ﴾ مناسباً للفظ ﴿ٱقۡتَحَمَ﴾ ؛ لأن العقبة مكان شاق يقتحمه الناس حتى يصلوا إلى الجنة.

﴿ٱلۡعَقَبَةَ﴾[3] : الطريق في الجبل ، فمن فسَّر العقبة بأنها فك رقبةٍ أو إطعام في يومٍ ذي مسغبة..[4] ، فإنه يرى أنها استعارة لأفعال البر ، التي يتكبدها الإنسان ، فقد شبهها بعقبة الجبل ، وهو ما صعب منه فلحقته مشقة في صعوده

---

(١) معنى ﴿ٱقۡتَحَمَ﴾ من (القَحْم) : وهو الكبير المسن (...) وقحم الرجل في الأمر يقْحمُ قحوماً ، واقتحم : رمى بنفسه فيه من غير (روية) لسان العرب (٢/٤٦٢) ، (باب الميم ، فصل القاف).

(٢) ينظر : الكشاف (٤/٧٤٤) ، ونظم الدرر (٢٢/٥٩).

(٣) العين والقاف والباء : أصلان ، أحدهما يدل على التأخير ، والآخر على الارتفاع والشدة. ينظر : معجم مقاييس اللغة (٤/٧٧) ، ولسان العرب (١/٦٢١) ، (باب الباء ، فصل العين).

(٤) يُنظر : معاني القرآن للفراء (٣/٢٦٥) ، والكشاف (٤/٧٤٥) ، والبحر المحيط (٨/٤٧١).

وفي سلوكه واقتحامه[(١)]. وهذه الاستعارة تصريحية تحقيقية لفكّ رقبةٍ، وجه الشبه العلو والرفعة عند الله تعالى في المشبه. والعلو الحسي في المشبه به، وكون المشبه به الطريق في الجبل دون الجبل، لكون المشبه طريقاً موصلاً إلى الجنان والرضوان، والاقتحام ترشيح للاستعارة[(٢)]، ولأهمية ذلك ولشدته؛ فقد ضرب الله تعالى اجتياز العقبة مثلاً لمجاهدة النفس، ومكابدة حبائل الشيطان، حين يتمثل للإنسان فيمنعه أعمال البر، فجُعل صعود الطرق في الجبال الوعرة، وما يلقاه من مشاق، نبراساً لمن أراد اقتحام العقبة.

ولقد ورد أنها - أي العقبة - تمثيل صورةٍ بصورة.. فعن «مقاتل: هذا مثل ضربه الله - تعالى -، يريد به أن المعتق رقبة، والمطعم اليتيم والمسكين، يقاحم نفسه وشيطانه، مِثْل أن يتكلف صعود العقبة، فشبه المعتق رقبةً في شدته عليه بالمكلف صعود العقبة»[(٣)].

و«قالت طائفة: بل هي عقبة حقيقية، يصعدها الناس، قال عطاء: هي عقبة جهنم، وقال الكلبي: هي عقبة بين الجنة والنار، (...)، وقال مجاهد

---

(١) يُنظر: تلخيص البيان في مجازات القرآن (ص ٣٦٧)، للشريف الرضي، تحقيق/ محمد عبد الغني حسن، دار إحياء الكتب العربية، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل (٢/٥٩٨)، وحاشية ابن التمجيد (٢٠/٢٧٩)، ونظم الدرر (٢٢/٥٩).

والاستعارة هنا أنه: شبه العمل الشاق بالعقبة، وهي الصخرة، التي تعترض في الطريق، بجامع ما يلزم من الجهد الشديد في كلٍ، ثم استعيرت العقبة للعمل الشاق، استعارة تصريحية أصلية؛ لأنها في اسم جنس.

(٢) حاشية ابن التمجيد (٢٠/ ٢٧٩). وينظر: حاشية القونوي (٢٠/٢٨٠)..

(٣) بدائع التفسير (٥/٢٢١)، والمراد بقولهم: تمثيل، فإنه من باب التسامح في لفظ الاصطلاح.

والضحاك: هي الصراط يضرب على جهنم (...)، وقول هؤلاء أصح نظراً وأثراً ولغةً، (...) وفي أثر معروف: (إن بين أيديكم عقبة كؤوداً لا يقتحمها إلا المُخِفُّون)[١]، أو نحو هذا، وأن الله سمى الإيمان به، وفعل ما أمر وترك ما نهى عقبة، فكثيراً ما يقع في كلام السلف الوصية بالتضمر لاقتحام العقبة»[٢]، ونجد ابن قيم الجوزية عدَّ العقبة من باب الحقيقة، وهو غير صحيح؛ لأن في مضمون معناها الإيمان، وهو لفظ لا يراد به المعنى الحقيقي للإيمان، إذ هو مستعمل في غير ما وضع له.

ومن حروف المعاني التي تسهم في إبراز صفات المؤمنين (الواو) في قوله تعالى: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ۝ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ﴾، ومجيء حرف العطف (الواو)، أدى إلى تكرار الاستفهام عنها، وتشريكها في حكم الاستفهام بالفعل الماضي الذي أفاد تعظيم أمرها وتأكيده، مما يحتاج معه إلى عمل الخير لينقذ نفسه منها، فمن تلك الأعمال قوله تعالى: ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾، وهو كناية[٣] عن تحرير الرقيق، وهذا أحد مبادئ الدين الإسلامي، أن الناس سواسية، ولا فرق بينهم إلا بالدين، فلا سيد ولا مسود.

---

(١) رواه البيهقي. قال في مجمع الزوائد (١٠/٤٥٥): "رواه الطبراني في الأوسط وفيه جنادة ابن مروان قال أبو حاتم: ليس بالقوي، وبقية رجاله ثقات".

(٢) بدائع التفسير (٥/٢٢١).

(٣) ينظر: حاشية القونوي (٢٠/٢٨٠)، وهي كناية عن صفة؛ حيث عبَّر بفكِّ الرقبة بحل الحبل منها، وأريد لازمه وهو حريتها.

ومنها - أي حروف المعاني - (أو) التي للتخيير في قوله: (أو إطعام)، ففي ذلك رحمة بالمؤمنين، فالذي لا يقدر على إعتاق الرقبة لا يكلف فوق طاقته، مما يكون سبباً في تبصيره، فخُيِّر بين العتق والإطعام، وكذلك قيد هذا الإطعام بأحد حروف المعاني (في) التي تؤذن برسوخهم في العطاء في وقتٍ كان الناس أشد استحقاقاً للصدقة، كما أفادت أن الأجر مرتبط بالإطعام في يوم الحاجة إليه، ويتكرر العطف بـ(أو) في قوله: ﴿يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ۝ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾، فيضيف معنى آخر إلى ما ينبغي أن يكون عليه المجتمع المسلم، فقد أفادت أنه مسؤول عن المسكين الذي لا مال له، كما هو مسؤول عن اليتيم القريب.

وجاء التعبير بأسلوب الكناية[1] عن المسكين الذي لا مال له: منعاً لحرجه، وإثارة لهمة المؤمنين في سدِّ حاجته، والكناية أبلغ أثراً في النفوس؛ لما فيها من البعد عن السؤال مباشرة، ممن قد يكون في إجابته نفاق.

صفات المؤمنين وحروف المعاني في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾:

﴿ثُمَّ﴾ ومواءمتها لما وضعت له في اللغة:

هي من أدوات الربط بين اللفظ والمعنى، وعلى رقتها وقلة عدد حروفها: الثاء والميم المشددة[2]؛ فإن لها المقدرة العجيبة على ربط كثير من الألفاظ،

---

(١) ينظر: حاشية القونوي (٢٠/٢٨٠).

وهي كناية عن صفة الفقر، فقد عبر بالتراب، وأراد لازمه وهو الفقر؛ لأن من التصقت يده بالتراب فذلك يعني أن ليس في يده شيء.

(٢) ينظر: معجم مقاييس اللغة (١/٣٦٩)، (باب ما أوله ثاء في المضاعف).

وإنتاج الأكثر من المعاني، وتتميز عن الفاء في هذا المقام، بأنها «لمّا تراخى لفظها بكثرة حروفها تراخى معناها؛ لأن قوة اللفظ مؤذنة بقوة المعنى»[١]، ولم يعبر بالفاء التي هي لمعنى المسارعة نظراً لقلة عدد حروفها[٢]، وفائدتها: الجمع بين شيئين في صلة وترتيب وتشريك، إلاّ أن (ثم) امتازت عن (الواو) - في هذا المقام - بالترتيب والمهلة، وعن الفاء بدلالتها على التراخي، ولهذا الاختيار أثر في المعنى كغيرها من حروف المعاني، فقد عطفت الإيمان على (فك رقبة)، مما جعل المفسرين يقفون أمامه طويلاً، لما في معنى (ثم) من التراخي الرتبي والزمني، وذلك لتراخي الإيمان وتباعده في الرتبة والفضيلة عن العتق والصدقة، لا في الوقت فقط؛ لأن الإيمان هو السابق، ولا يثبت عمل إلا به؛ لأن درجة ثواب الإيمان أعظم بكثيرٍ من درجة ثواب سائر الأعمال[٣]، ويذكر ابن قيم الجوزية أن الإيمان مؤخر: «في اللفظ، مقدم في الفضيلة والرتبة على تباعدٍ وتراخٍ، يدل على ذلك أن رسول الله ﷺ لما سُئل أي الأعمال أفضل، قال: (الإيمان بالله)، قال: ثم ماذا؟ قال: (بر الوالدين)، قال: ثم ماذا؟ قال:

---

(١) شرح المفصل، لابن يعيش (٩٦/٨).

(٢) ينظر: من أسرار حروف العطف في الذكر الحكيم (ص ١٥٣، ١٥٤).

(٣) ينظر معاني القرآن وإعرابه (٣٣٠/٥)، والكشاف (٧٤٥/٤)، ومفاتيح الغيب (١٦٩/٣١/١٦)، والبحر المحيط (٤٧١/٨)، والدر المصون (١٠/١١)، وإرشاد العقل السليم (٤٣٢/٦)، والفتوحات الإلهية (٣٢٨/٨)، للإمام سليمان بن عمر العجيلي الشافعي الشهير بالجمل، ضبط وتصحيح إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

(الجهاد في سبيل الله)[١]، ويدل على أن (ثم) هاهنا لتراخي الرتب، لا لتراخي الإيمان»[٢].

وخلاصة القول: إن المراد أنهم آمنوا إيماناً صحيحاً، أرفقوا به بعض الصفات التي تحققها القدرة المالية، ليكونوا في مصاف درجاتٍ إيمانية عالية، كما أنهم اتصفوا بالصبر والتواصي بإشاعة الرحمة، التي تمثلوها في إطعام المسكين، وفك الأسير، وإعتاق الرقبة، بذلك ارتقى هؤلاء المؤمنون من عظيم الصفات إلى ما هو أعظم، وهو الإيمان الذي لا يُقبَلُ عمل إلا بتحققه، ومن ثم فإنهم ارتقوا بإيمانهم وبأمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر، والصبر على المكاره والشدائد؛ فكانوا من أصحاب الميمنة.

وترى الدكتورة بنت الشاطئ[٣] أنه لا حاجة: «إلى احتراز بمثل قولهم: إن

---

(١) رواه البخاري ومسلم في صحيحهما بلفظ: أي العمل أفضل؟ قال: الصلاة على وقتها، قال قلت ثم أي... إلخ. ينظر: صحيح البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل الصلاة لوقتها، (ص ١٢١)، حديث (٥٢٧)، وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال، (ص٥٨)، حديث (٨٥).ورواية أخرى بلفظ: "أي الأعمال أفضل؟ قال: الإيمان بالله، والجهاد في سبيله... إلخ" دون ذكر بر الوالدين. ينظر: صحيح البخاري، كتاب العتق، باب أي الرقاب أفضل، (ص٤٧٧)، حديث (٢٥١٨)، وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال، (ص٥٧)، حديث (٨٣، و٨٤). ولم أجده باللفظ الوارد عند ابن القيم.

(٢) بدائع التفسير (٥/٢٢٢)، وينظر: مفاتيح الغيب (١٦/٣١/١٦٩).

(٣) بنت الشاطئ: عائشة عبد الرحمن، عالمة أديبة، محققة، أستاذة، نالت درجة الدكتوراه سنة ١٩٥٠م، عملت أستاذة للأدب في عدد من الجامعات العربية، ونالت العديد من الجوائز، جمعت بين الدراسة العميقة لعلوم الإسلام وعلوم العربية، وحققت العديد من النصوص، وأشرفت على أطروحات علمية كثيرة، من مؤلفاتها: أبو العلاء المعري، والإعجاز البياني للقرآن الكريم، ومن تحقيقاتها: تحقيق رسالة الغفران للمعري، وغيرها، توفيت سنة ١٩٩٨م. ينظر: أعلام التراث في العصر الحديث (ص ٢٢٠)، لمحمود الأرناؤوط، مكتبة دار العروبة، الكويت - ودار ابن العماد، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

الإيمان شرط في صحة الطاعات ؛ لأن هذا من أصل العقيدة، وإنما يحترز عن الظن بأن ظاهر الإيمان يغني عن المجاهدة والبذل والإيثار، وأن أداء العبادات يعفي من تكاليف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتواصي بالصبر والحق والمرحمة»[1]. وتعقيباً على هذه المقالة : أن الإيمان بالله - تعالى- الدرجة الأعظم، وأنها تزيد بفعل الطاعات، وأنه ليس للإيمان غناء عن فعل الطاعات، وأن الطاعات لا تقبل إلا بالإيمان بالله - تعالى-. وأذكر بعض لطائف التعبير بهذا الحرف :

١- أن فيه معنى التهييج والإلهاب لحماس الذين آمنوا أن يفعلوا مثل ما تقدم من أعمال الخير التي وردت في الآية الكريمة.

٢- أضاءت (ثم) معاني الآيات بحركة دائبة في السعي الحثيث لتفقد أحوال المؤمنين، لمعرفة ما هم عليه.

٣- التلاحم بين طرفي الآية الكريمة فيه من السعة والبذل والعطاء إلى الالتزام، والتضييق على النفس في الجزع عند المصائب، والتضييق على النفس في مكابدتها عدم مقاطعة الرحم.

زمن (كان) وأثره في مدلول (ثم) :

دل على أنَّ هؤلاء الموصوفين من الراسخين في الإيمان ؛ لأن طباعهم وأخلاقهم وغرائزهم كلها سَوِيٌّ على الفطرة، وأن الإسلام ما زادهم إلا رسوخاً وتثبيتاً، فبعد التخلق : «بهذه الأخلاق الزكية العالية النفيسة الغالية في

---

(١) الإعجاز البياني (ص ٢٠٥).

حال كفره، أو مبادئ إسلامه للدلالة على صفاء جبلته، وجودة عنصره من الراسخين في الإيمان المعبر عنه بقوله: ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾، أي عندما دعاه إليه الهادي، ولم تحمله حمية الأنفة (...) على الإباء عن أن يكون تابعاً بعدما كان متبوعاً»[1].

والسر في إسناد الفعل الماضي (آمن) الواقع صلة إلى ضمير الجماعة (الواو)، هو الإشارة إلى تلبس هؤلاء المحسنين بالإيمان، وعلى استصحابهم له، وهم يقومون بفعل الطاعات المتقدمة. ودخول حرف الجر (من) على الموصول دل على اندماجه بفعل الطاعات في زمرة هؤلاء (الذين آمنوا)، فكان مؤمناً؛ «لأن كونه من الذين آمنوا أدل على ثبوت الإيمان من الوصف بمؤمن؛ لأن صفة الجماعة أقوى من أجل كثرة الموصوفين بها، فإن كثرة الخير خير»[2]، كما أن في ذلك بثاً لروح الطمأنينة والأنس بين المؤمنين، فكل أعمالهم محل قبول ورضا بإذن الله ﷻ.

وفي قوله - تعالى -: ﴿يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ۝ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾.

احتباك له سر في بلاغة التركيب؛ حيث ذِكْر: «القرب أولاً يدل على ضده ثانياً، وذكر المتربة ثانياً يدل على ضدها أولاً، وسر ذلك: أنه ذكر في اليتيم القرب المعطّف، وفي المسكين الوصف المرقق الملطف، فهو لا يقصد بإطعامه إلا سدِّ فاقته، ودخل فيه اليتيم البعيد، والفقير من باب الأولى، وإن كان أجنبياً»[3].

---

(١) نظم الدرر (٦٣/٢٢).

(٢) التحرير والتنوير (٣٦١/٣٠/١٥).

(٣) نظم الدرر (٦٣/٢٢)، وينظر: مفاتيح الغيب (١٦٩/٣١/١٦).

[٢] المفردات

(أ) مادة الكلمة:

دراسة مادة الكلمة القرآنية تعني معرفة أصلها، وحروف الزيادة فيها، وكذلك العدول عن معتاد حالها إلى صيغةٍ أخرى، كما تفصح عن دور الكلمة في أداء المعنى، والنهوض ببلاغة الأداء، وهذا بلا شك له دور كبير في جعل المراد صورة نابضة في حسِّ المستمع، فيستجيب لها العقل والقلب بمختلف الانفعالات.

ولكن ذلك لا يمكن أن يكون به وحده الإعجاز، ولا كان به التحدي الذي أعجز العرب؛ إذ هو لم يرد أن التحدي كان ولو بكلمةٍ منه.

وعلى كل حال، فموضوع الكلمة ومادتها في القرآن الكريم أصبح قضية لا تزال تشغل الباحثين والدارسين، ويظل القرآن الكريم وإعجازه في أعين الناس، محاولين استنباط نماذج إعجازه بقدر ما يتيحه العقل البشري.

فهذا الجاحظ[١] قد وجد في الكلمة فصاحة تمتاز بها على غيرها من الكلمات بتلاؤمها، وعدم تجافي مخارجها، ولا تكرار مادتها بما فيه إخلال بفصاحتها[٢].

---

(١) الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني الليثي المعروف بالجاحظ. صنف في معظم الفنون، له مقالة في أصول الدين، وإليه تنسب الفرقة المعروفة بالجاحظية من المعتزلة. توفي (سنة ٢٥٥هـ) بالبصرة. ينظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان (٣/٤٧٠، ٤٧١)، لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، تحقيق/ الدكتور إحسان عباس، دار صادر، ودار الثقافة، بيروت- لبنان، الطبعة بدون.

(٢) ينظر: البيان والتبيين، (ص ٤٩، ٥٠)، للجاحظ، تحقيق، فوزي عطوي، ط بدون، الشركة اللبنانية للكتاب، طبعة سنة ١٩٦٨م.

ثم يتألق نجم الخطابي[1]، وتزهو فكرته بين ما سبقه من آراء العلماء حول فصاحة الكلمة، وأنَّ لها مدخلاً في الإعجاز؛ ولكنها لا تنفرد به، فأضاف إليها حسن النظم في التأليف، وصحة المعنى مُوفيَينْ على الغاية حيث يقول: «واعلم أن القرآن الكريم إنما صار معجزاً؛ لأنه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف، مضمناً أصح المعاني من توحيدٍ له عزَّت قدرته، وتنزيه له في صفاته، ودعاء إلى طاعته...»[2]، ومراده من ذلك القول: إن الإعجاز مرده إلى ثلاثة أمور: وضع أفصح الألفاظ في أحسن صور النظم تعبيراً عن أصح المعاني.

ثم يبزغ في الأفق نجم عبد القاهر شيخ البلاغة والبيان العربي بنظرية النظم، التي جعلها محور البلاغة بعد أن استوعب كل ما سبقه من أفكار بلاغية، واستفاد منها، مما ساعده على بيان العلاقة بين النحو ومعاني الكلام، وهو أيضاً اهتم ببيان أهمية المفردة من حيث نقاؤها من الغريب الوحشي، ومن حيث تلاؤم حروفها وخفتها، يقول في ذلك: «هل يقع في وهمٍ وإن جَهَد أن تتفاضل الكلمتان المفردتان من غير أن ينظر إلى مكان تقعان فيه من التأليف والنظم بأكثر من أن تكون هذه مألوفة مستعملة، وتلك غريبة وحشية، أو أن

---

(١) الخطابي: أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب الخطابي البستي، فقيه، أديب، محدث، له التصانيف البديعة، منها: (غريب الحديث)، و(معالم السنن) في شرح سنن أبي داود، و(كتاب بيان إعجاز القرآن)، توفي (سنة ٣٨٨هـ). ينظر: وفيات الأعيان (٢/ ٢١٤)، ويشهد له الدكتور محمد بن علي الصامل بأنه من أهل السنة، بالمعنى الخاص (أي: أهل الحديث والسنة والأثر)، المدخل إلى بلاغة أهل السنة (ص٣٤).

(٢) بيان إعجاز القرآن الكريم، للخطابي، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن (ص ٢٧)، تحقيق: محمد خلف الله أحمد ود. محمد زغلول سلام، دار المعارف بمصر، ط٣، ١٣٧٦هـ، ١٩٥٦م.

تكون حروف هذه أخلف، وامتزاجها أحسن، ومما يكد اللسان أبعد؟ وهل تجد أحداً يقول: هذه اللفظة فصيحة إلاّ وهو يعتبر مكانها من النظم، وحسن ملاءمة معناها لمعاني جاراتها، وفضل مؤانستها لأخواتها»[1].

ويتعمق الشيخ عبد القاهر في أعماق الكلمة، فيتناول مادتها بالدرس، ويناقش أصحاب قضية اللفظ والمعنى؛ فيقنع بأفكاره كل من درس أفكاره بإنصاف، ومن أقواله في هذا الشأن: «إن أخذنا بالثاني[2]، وهو أن يكون تلاؤم الحروف وجهاً من وجوه الفضيلة، وداخلاً في عداد ما يفاضل به بين كلامٍ وكلامٍ على الجملة، لم يكن لهذا الخلاف ضرر علينا؛ لأنه ليس بأكثر من أن نعْمِد إلى الفصاحة فنخرجها من حيِّز البلاغة والبيان، وأن تكون نظيرة لهما، وفي عداد ما هو شبههما من البراعة والجزالة، وأشباه ذلك مما ينبئ عن شرف النظم، وعن المزايا التي شرحت لك أمرها، وأعلمتك جنسها، أو نجعلها اسماً مشتركاً، يقع تارةً لما تقع له تلك، وأخرى لما يرجع إلى سلامة اللفظ، مما يثقل على اللسان، وليس واحد من الأمرين بقادحٍ فيما نحن بصدده، وإن تعسف متعسف في تلاؤم الحروف، فبلغ به أن يكون الأصل في الإعجاز، وأخرج سائر ما ذكروه في أقسام البلاغة من أن يكون له مدخل أو تأثير فيما كان له القرآن معجزاً، كان الوجه أن يقال له إنه يلزمك على قياس قولك، أن تجوِّز أن يكون

---

(١) دلائل الإعجاز (ص ٤٤)، قراءة وتعليق محمود محمد شاكر، الناشر مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة، ط٣، ١٤١٣هـ، ١٩٩٢م.

(٢) أما الرأي الأول، فهو أن نجعل تلاؤم الحروف "العمدة في المفاضلة بين العبارتين، فلا نعرج على غيره". دلائل الإعجاز (ص ٥٨).

هـهنا نظـم للألفـاظ، وترتيـب، لا عـلى نسق المعـاني، ولا عـلى وجـه يقصد به الفائدة، ثم يكون مع ذلك معجزاً، وكفى به فساداً»[١].

وبالنظر في قوله هذا يتبين:

١- أنه لا ينكر أن يكون للكلمة دور في الإعجاز، غير أنه لا ينفرد به.

٢- أن هـذا الـدور لا يتجاوز الخفة على اللسان والألفة، ولا يخفى أن هاتين الصـفتين (الخفـة والألفـة)، بالإضـافة إلى موافقـة المسـموع عن العرب في البنية، هي ما يعنيه المتأخرون بفصاحة الكلمة[٢].

ولقـد تـناول ابـن الأثـير صـفات الكـلمة في الفصـل الـثامن مـن كـتابه (المثل السـائر) تحـت عـنوان: الفصـاحة والبلاغة، وأرجع فصاحتها إلى صفة الحسن، وقـرر أن حسنها ناشئ من كونها صوتاً يستلذه السمع، ذلك: «أن أرباب النظم والنـثر – ويعـني بهـم الشـعراء والكـتاب – غـربلوا اللغـة باعتـبار ألفاظهـا(...)، فاختـاروا الحَسَـن مـن الألفـاظ فاستعملوه، ونفـوا القبيح منها، فلم يستعملوه، فحُسْـن الألفـاظ سبب اسـتعمالها دون غيرهـا، واسـتعمالها دون غيرهـا سـبب ظهورها وبيانها، فالفصيح من الألفاظ-إذاً-هو الحسن»[٣].

---

(١) دلائل الإعجاز (ص ٥٩، ٦٠).

(٢) يـنظر: الإيضـاح (ص٥)، للخطيـب القـزويني، تحقـيق د. عـبد الحمـيد هـنداوي، مؤسسـة المختار، ط١، ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م.

والخفـة: هـي المعبر عـنها بـالخلو مـن التـنافر. والألفة: هي المعبر عنها بالخلو من الغرابة، وأما موافقة المسموع في البنية، فالمراد به: عدم مخالفة القياس.

(٣) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر (١/ ٩١).

ثـم مضى مجيباً على سؤال مفترض، مضمونه: من أين علم الكُتَّاب والشعراء الحَسَن والقبيح، حتى استعملوا الحَسَن وتركوا القبيح؟ وخلاصة هذا الجواب: أن الألفـاظ مـن قبـيل الأصـوات، والأصـوات مـنها مـا هـو حَسَن كـصوت البلـبل والـشحرور، وهـذا النوع يستلذه السمع، ومنها ما هو قبيح كصوت الغراب ونهيق الحمـار، وهـذا النوع يكرهه، والألفاظ جارية هذا المجرى: فلفظة المزنة والديمة حسنة يستلذها السمع، ولفظة البعاق قبيحة يكرهها، والألفاظ الثلاثة من صفة المطر(١).

وقـد عـاد ابـن الأثير إلى هذه المسألة مرةً أخرى، فتناول صفات اللفظة المفردة بـشيء مـن التفـصيل في المقالـة الأولى تحت عـنوان: الـصناعة اللفظية، فقرر أن للألفاظ نغمة لذيذة كنغمة أوتار، وصوتاً منكراً كصوت حمار، ثم عرض لبيان الوحـشي مـن الألفـاظ، فـربط بـين الـثقل والغـرابة، ذلـك أن الوحـشي عنده هو الـذي يقـل استعماله، فـتارة يخـف على السمع فلا يكره استعماله، وتارةً يثقل فيكـره اسـتعماله، وهـذا الـنوع فـيه عيبان: أحـدهما أنـه غـريب الاسـتعمال، والآخر أنه ثقيل علـى الـسمع، كـريه على الذوق، وهو الذي يسمى الوحشي الغليظ المتوعر، وضرب لهذا النوع أمثلة منها: قول تأبط شراً(٢):

---

(١) ينظر: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر (١/ ٩١).

(٢) هـو: ثابـت بـن جابـر بـن سفيان بن عَمَيْثَل بن عَديّ بن كعب بن حَزَن بن تيم، من مضر بن نزار، وقيل: إنه: ثابـت بـن عميـثل، وأمـه امـرأة يقـال لها: أميمة من بني القَيْن. وتأبط شراً لقـب لُقِّـب بـه، واختلفت الـروايات في مناسبتها، منها: أنه رأى كبشاً في الصحراء، فاحتمله تحت إبطه، فجعـل يبـول عليه طـول الطريق، ولما قرب من الحي ثقل عليه، فرماه، فإذا هو الغول، فقال له قومه: ما كنت متأبطاً يا ثابت؟ قال: الغول، قالوا: لقد تأبطت شراً، فسُمِّيَ بـذلك. ينظر: الشعر والشعراء (ص ٦٢، ٦٣)، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٢٨٢هـ، قسطنطينية.

يظـــل بمَـــومَاةٍ ويمْـــسي بغيرِهـــا جَحِيْشاً ويَعْروْرِي ظُهورَ المسالك[١]

فلفظـة (جحيش) - كمـا قـال - مـن الألفـاظ المنكـرة القبيحة، وهـي بمعنى (فريد)، وفريد لفظة حسنة رائعة.

وقول أبي تمام[٢]:

قـد قلـت لمـا اطلخـم الأمـر وانـبعث عـشواء تالـيةٌ غبـساً دهاريـسا[٣]

---

(١) البيت من البحر الطويل. ينظر: ديوان تأبط شراً (ص ١٥٢)، جمع وتحقيق وشرح: علي ذو الفقار شاكر، دار العرب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.
والموماة: المفازة، الجحيش: المنفرد، يعروري: يركب.

(٢) هو: أبو تمام حبيب بن أوس بن الحارث بن قيس بن الأشج بن يحيى بن مروان بن مر بن سعد بن طيئ، مولده بجاسم من قرى دمشق، نشأ فقيراً، أرسل إلى كُتّاب القرية ليتعلم القراءة والكتابة، وليحفظ القرآن الكريم، عمل ليكسب قوته بعرق جبينه، وكان طموحاً، فرحل إلى مصر، وهي يومئذٍ قبلة أنظار العالم، لما فيها من حركة علمية، فاستفاد من ذلك، وخاصة أنه كان ذا ميل إلى الأدب، فجالس الأدباء والشعراء، وحفظ أربعة عشر ألف أرجوزة غير القصائد، ولم يقل الشعر قبل أن يحفظ سبعة عشر ديوان شعر للنساء، ألمّ بالنحو، وعرف قواعده، ولقد استقر في أعماق نفسه الإحساس بالجمال في الطبيعة، وكل ما حوله، مما ساعده في دقة التصوير، وبراعة الوصف، حيث أدرك أثر الألوان والأضواء، وأما الدين: "فدعك من نصرانية أبيه، فما كانت إلا افتراء من افتراء خصوم أبي تمام". أبو تمام الطائي حياته وشعره (ص ٦٢)، لنجيب محمد البهبيتي، دار الفكر للطباعة والنشر. توفي أبو تمام في جمادى الأولى سنة (٢٣١هـ). ينظر: أخبار أبي تمام (مواضع متفرقة)، لأبي بكر محمد ابن يحيى الصولي، حققه: محمد عبده عزام وآخرون، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط٣، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، ووفيات الأعيان (٢/ ١١)، والأغاني (١٥/ ٦٩).

(٣) البيت من البحر البسيط. ينظر: ديوان أبي تمام (٢/ ٢٥٦)، بشرح الخطيب التبريزي، وهو من قصيدة يمدح بها عيَّاش بن لُهَيْعَة الحضرمي. والمراد بقوله: اطلخم الأمر: اشتد، وعنى بالعشواء: الداهية يعشى بها، و(غبساً دهاريساً): دواهي سود مظلمة. الديوان، تحقيق: محمد عبده عزام، دار المعارف، الطبعة الرابعة.

«فلفظة (اطلخم) - كما قال أيضاً- من الألفاظ المنكرة التي جمعت الوصفين القبيحين في أنها غريبة، وأنها غليظة في السمع، كريهة على الذوق، وكذلك لفظة (دهاريس) أيضاً»[1].

وما ذكره ابن الأثير في الموضعين — الفصاحة، وصفات الألفاظ - يلتقي مع ما أقره عبد القاهر من دور الكلمة في الفصاحة، وهو ما يتمثل في خفة الكلمة وألفتها بين أهل الفن من الشعراء والكتاب، وهاتان الصفتان تتصلان اتصالاً واضحاً بمادة الكلمة، ولا ريب أن إلف الكلمة مرده إلى خفتها، وتلك ناشئة من ائتلاف حروفها وانسجامها، وهو ما عبر عنه الرافعي[2] بصوت النفس مريداً به: «الصوت الموسيقي الذي يكون من تأليف النغم بالحروف ومخارجها (...)، ومواقع ذلك من تركيب الكلام ونظمه على طريقةٍ متساوقة، وعلى نضَدٍ متساوٍ، بحيث تكون الكلمة كأنها خطوة للمعنى في سبيله إلى النفس إن وقف عندها هذا المعنى قُطع به»[3].

---

(١) المثل السائر (١/١٨١).

(٢) مصطفى صادق الرافعي، عالم بالأدب، شاعر، من كبار الكتاب، شعره نقي الديباجة، ونثره من الطراز الأول. له ديوان شعر، وتاريخ آداب العرب، وغيرهما، مات سنة ١٩٣٧هـ. ينظر: الجامع في تاريخ الأدب العربي (ص ٣١٠)، حنا الفاخوري، دار الجيل، بيروت، بدون تاريخ طبعة، ومشاهير الشعراء والأدباء (ص٢٢٧)، عبد. أ. مهنا وآخر، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط١، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

(٣) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية (ص ٢٤٩، ٢٥٠)، لمصطفى صادق الرافعي، المكتبة التجارية الكبرى بمصر، ط٨، ١٣٨٤هـ ١٩٦٥م.

على أن مادة الكلمة قد تكون كلها أصولاً، بحيث لا يستقيم معناها الذي وضعت له، إذا حذف حرف منها، وقد يكون إلى جانب الأصول حروف زائدة اقتضاها المعنى الذي أُريد التعبير عنه بها، سواءً أكانت تلك الزيادة بتكرير أحد هذه الأصول، أو بزيادة حرف من حروف الزيادة التي بينها علماء فن الصرف.

وأياً ما كان الأمر، فسأتناول مادة الكلمة في إطار موضوع هذا البحث؛ سواء أكانت كلها أصولاً أم مزيداً عليها، محاولة الكشف عن دورها في بلاغة البيان القرآني، مستعينةً في ذلك بما يفتح الله تعالى عليَّ؛ موقنة أن وراء ما أذكره أسراراً لا يعلم كنهها إلا هو عزَّ شأنه.

ومن الشواهد التي أتقدم بدراستها ما جاء في قوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَـٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٧٣].

حول المعنى:

الآية الكريمة تتحدث عن فئةٍ معينةٍ من فقراء المسلمين الذين حبسوا أنفسهم في سبيل الله تعالى، وأوقفوها على طاعته؛ وليس لهم إرادة في الاكتساب، أو ليس لديهم القدرة عليه؛ فهم يتعففون عن إبداء حاجتهم، حتى إن من يراهم - وهو لا يعرف حالهم - يحسبهم أغنياء من شدة ترفعهم عن ذلِّ المسألة، فهؤلاء أجدر بالبذل والعطاء، **والقرآن الكريم يحقق بذلك مبدأ التكافل الاجتماعي**، ففي قوله - تعالى -: ﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ بعد قوله سبحانه: ﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾ ترغيب للمؤمنين في عدم

السؤال، وحث للمقتدرين أن يراعوا، وينظروا حاجة إخوانهم من الفقراء، فلا يحوجونهم إلى السؤال.

وترتبط آية الشاهد بسابقتها، وهي قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٢].

فقد بين – سبحانه – أنه ليس للرسول ﷺ منع الصدقات عمن خالفه في الدين ولم يهتد، متكلفاً بحملهم على الإيمان حتى يمنع عنهم الصدقة، فيكون منعه سبباً لدخولهم الإسلام؛ بل له أن يتصدق عليهم لوجه الله – تعالى –، ولا يجعل صدقاته منوطة بإيمانهم، فإن مثل هذا الإيمان لا ينتفع به، بل المطلوب هو الإيمان طوعاً واختياراً.

ولما كانت الآية الكريمة تشمل صدقات المحاويج من المؤمنين وغيرهم، بيَّن في قوله – تعالى –: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا...﴾ الآية. أشد الناس استحقاقاً لها، فقال ﴿لِلْفُقَرَاءِ..﴾، أي ذلك الإنفاق للفقراء، وهذا الأسلوب هو «كما لو تقدم ذكر رجلٍ فتقول: عاقل لبيب: أي ذلك الذي مرَّ وصفه عاقل لبيب»[1].

وروي عن سبب النزول: أنها نزلت في فقراء المهاجرين، وكان عددهم نحو أربعمائة، والمراد بهم أصحاب الصُفَّة، فهؤلاء لم يكن لهم سكن ولا عشائر بالمدينة؛ فلازموا المسجد يتعلمون القرآن، ويصومون ويخرجون في كل

---

(١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٦١٥/٢)، لنظام الدين الحسن بن محمد بن الحسين القمي النيسابوري، ت د. حمزة النشرتي والشيخ عبد الحفيظ فرغلي ود. عبد الحميد مصطفى.

الغزوات. روي عن ابن عباس ﷺ وقف رسول الله ﷺ يوماً على أصحاب الصفة، فلما رأى شدة فقرهم طيَّب قلوبهم فقال: **(أبشروا يا أصحاب الصفة، فمن لقيني من أمتي على النعت الذي أنتم عليه راضياً بما فيه فإنه من رفاقي)**[١].

وهذه الفئة المباركة من المؤمنين لهم سمة وعلامة مميزة، فهم ليسوا كغيرهم من المجاهدين، لذلك التُفِت في الحديث عنهم من الغيبة في قوله تعالى: ﴿يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ﴾ إلى الخطاب في قوله - تعالى-: ﴿تَعْرِفُهُم﴾، وفي الالتفات إيقاظ من الغفلة عنهم، وإشارة إلى أهمية البحث عنهم، والتعرف إليهم، فهم جديرون بسد حاجتهم.

ولقد جاء وصفُهم بصفة جامعةٍ مميزةٍ هي ﴿ٱلتَّعَفُّفِ﴾، قال تعالى: ﴿يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ﴾ من (عفَّ)، أصلها عفْفَ، ضُعِّفت الفاء الأولى التي هي عين الكلمة.

والعين والفاء أصلان صحيحان، أحدهما الكف عن القبيح منها، والعِفَّةُ: الكف عما لا ينبغي، يقال: رجل عف وعفيف، وقد عفَّ يعف عِفَّةً،

---

(١) ينظر مفاتيح الغيب (٧٠/٧/٤)، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٦١٥/٢، ٦١٦). والحديث في تاريخ بغداد (٢٧٦/١٣)، للخطيب أحمد بن علي بن ثابت البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ.). وذكر الشيخ الألباني أنه حديث ضعيف جداً، وعزاه للخطيب البغدادي، والديلمي. ينظر: ضعيف الجامع الصغير (ص ٨)، محمد ناصر الدين الألباني ، أشرف على طبعه زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

وعفافة. والأصل الثاني: يدل على قلة الشيء[١]، وهي حالة تحصل للنفس، تمتنع بها عن غلبة الشهوة[٢].

وجاء الوصف بهذه المادة ليتمم مع بلاغة الآية الكريمة وصفهم بالعفة، وبلوغهم فيها درجة إيمانية عالية، تناسب مقام أصحاب الصفة.

الوصف بهذه المادة جاء دقيقاً في موضعه من حيث:

أولاً: أنها مصدر يدل على المبالغة في الوصف.

ثانياً: (أل) التعريف، لتدل على أن تعففهم من نوعٍ خاص، جعلهم محل قبول من الله ﷻ حتى أن قرآناً كريماً نزل بشأنهم.

ثالثاً: الزيادة في مادة الكلمة، حيث زيدت التاء وضُعِّفت عينها، فدلت على حاجتهم الملحة، وعلى مقدار ما يُعانون في مدافعة النفس، ومغالبة الحاجة لمواصلة الترفع عن الطلب إلى ما لا نهاية حتى الموت.

وتنبعث من مادة الكلمة أصوات؛ تتفاعل مع معنى الآية الكريمة، وتتناسب مع السياق العام للآية من ناحيتي المعنى الذي جاءت الكلمة تسهم في تصويره، ومن ناحية الصوت الذي يؤدي إيحاءً معيناً، ودلالة جعلتها مناسبةً لموضعها الذي جاءت فيه.

فالبَدْء (بالتاء)، وهو حرف مهموس، يوحي بهدوء وسكينة هؤلاء المحتاجين، وتناسب جو الاستعطاف الذي يعبر عن أهل الإيمان الذين لا

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة (٤/٣) (باب العين وما بعدها في المضاعف).

(٢) ينظر: المفردات (ص ٣٣٩).

يريدون أن تبدو معالم فقرهم؛ فأظهروا التعفف إيحاءً بعدم الحاجة، ومجيء التاء مشددةً تبين عن ثقلِ المعاناة، وشدةِ ما يلاقونه من بؤس العيلة.

ولما كانت (التاء) حرفاً يضعف الاعتماد عليه[١] عند خروجه، فقد نهضت (ال) التعريف بدفعها من مخرجها من طرف اللسان وأصول الثنايا إلى الخارج، ثم لحق به حرف العين متناسباً بشدته مع مخرج التاء[٢].

فاللسان والصوت لا يستعليان عند النطق به - أي حرف العين - إلى الحنك، بل اللسان يستفل إلى قاع الفم[٣]، وهو بصفاته ومخرجه من وسط الحلق[٤] يدل على هدوء وسكينة طباع هذه الفئة المؤمنة، على الرغم مما يعتمل في نفوسهم وأحوالهم من ألم الحاجة وإلحاحها، كما يحصل لحرف العين عند النطق به، وإزاء هذه الصفات الهادئة الندية الرخوة للموصوفين وللحرف، فقد ساعد همس حرف الفاء على خروج اللفظ بكامله، وبهمس صفاته، وبمخرجه من باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا[٥].

---

(١) ينظر: سر صناعة الإعراب (١/ ٦٠)، لأبي الفتح عثمان بن جني، دراسة وتحقيق د. حسن هنداوي، ط٢، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، دار القلم، دمشق، وينظر: التناسب البياني في القرآن دراسة في النظم المعنوي والصوتي (ص ٢٩١)، للدكتور أحمد أبو زيد، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، سنة ١٩٩٢م.

(٢) ينظر: التمهيد في علم التجويد (ص ١١١)، للإمام محمد بن محمد بن الجزري، تحقيق/ د. علي حسين البواب، مكتبة المعارف، الرياض، ط ١، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

(٣) ينظر: سر صناعة الإعراب (١/ ٦١)، والتناسب البياني (ص ٢٩١).

(٤) ينظر: التمهيد في علم التجويد (ص ١٣٥).

(٥) ينظر: التمهيد في علم التجويد (ص ١٣٧)، والتناسب البياني في القرآن (ص ٢٩٠).

وإنَّ هذا الحرف قد تكرر مضاعفاً عند النطق به، ليعلن عن شدة الحاجة، ويلفت الأذهان إلى آثار حاجتهم لمدِّ يد العون والمساعدة؛ إعانة لهم على مقصدهم، وتثبيتاً لهم على دينهم، فهم الرعيل الأول، وهم النبراس الذي تحمَّل أعباء الجهاد، وصبر على ويلات الحروب، وعلى الحاجة دون مللٍ أو إخلال بمبادئ الدين.

وهكذا تمضي الزيادة في مادة الكلمة، ويستمر معها عطاء اللغة معاني سخية؛ فمادة (العين، والفاء المضعفة) عندما تضاف إليها السين، كما في قوله - تعالى- : ﴿ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ﴾ [النساء: ٦].

أصبح (يستعفف) بمعنى طلب العفة[١]، وإنَّ إعجاز القرآن الكريم قد تبدى واضحاً – كذلك - في اختيار (السين) لهذا المعنى، فقد جعلوها لضعفها دلالة على ما تعرفه النفس من المعنويات، وإن لم تره العين[٢]، فالعفة من الأمور المعنوية التي يحسها المرء، ويتلمسها بلطف الموصوف، وهي معانٍ تناسب همس (السين) برقتها ورخاوتها.

كما أن في صفيرها المهموس[٣] إشارات منبئة عن حالة المحتاج الذي يتعفف، ويتكلف في التستر على حاجته، ولكن ذلك لا يخفى على ذوي الألباب.

---

(١) المفردات (ص ٣٣٩).

(٢) ينظر: الخصائص (٢/١٦١)، لأبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، بدون طبعة.

(٣) ينظر: التمهيد في علم التجويد (ص ١٢٦، ١٢٧).

ولعظمة صفة التعفف ولصعوبتها؛ فقد خوطب – عليه الصلاة والسلام- بقوله – تعالى-: ﴿تَعْرِفُهُم﴾[١] من أجلهم بأسلوب الالتفات، لتشرئب الأعناق نحوهم؛ لأنهم استغلقوا على أنفسهم بحاجتهم؛ فلم يُعرف أمرهم، وانشغلوا بأمر الدين عن الدنيا، فهم لذلك ليسوا كغيرهم من المجاهدين، فالذي يميزهم هو (سيماهم).

وقد ورد عن مجاهد[٢] أنها التخشع والتواضع[٣]، وعن الربيع والسدي: أثر الجهد من الجوع والفقر، وعن الضحاك: صفرة ألوانهم من الجوع[٤].

قال تعالى: ﴿تَعْرِفُهُم بِسِيمَـٰهُمْ﴾، فالباء لزيادة الوصف؛ فهي لإلصاق التعفف بهم دليلاً على التزامهم ذلك.

و(سيما): أصلها سَوْم، قلبت واوها ياءً لكسرة السين، فأصبحت سيماهم[٥]، والسَوْم: مصدر سُمْتُ بالشيء أسوم به سَوْماً[٦]، و«السين والواو والميم أصل يدل على طلب الشيء؛ (....) ومنه السوم في الشراء والبيع، ومن الباب:

---

(١) ينظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٢/٦١٦).

(٢) هو: مجاهد بن جبر، أبو الحجاج المكي، مولى بني مخزوم، تابعي مفسر من أهل مكة، شيخ القراء والمفسرين، توفي (سنة ١٠٤هـ). ينظر: الأعلام (٥/٢٧٨).

(٣) ينظر: تفسير مجاهد (ص ١١٧)، لأبي الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي المخزومي، تحقيق عبد الرحمن السورتي، ط١، ١٣٩٦هـ ١٩٧٦م.

(٤) ينظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٢/٦١٦).

(٥) ينظر: معجم لسان العرب (١٢/٣١٢)، (باب الميم، فصل السين).

(٦) ينظر: الاشتقاق(ص ٣٦٩)، لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد، تحقيق عبد السلام محمد هارون، الناشر مؤسسة الخانجي بمصر، مطبعة السنة المحمدية، ط ١٣٧٨هـ ١٩٥٨م.

سامت الراعية تسوم، وأسمتها أنا، قال - تعالى -: ﴿فِيهِ تُسِيمُونَ﴾ [النحل: ١٠]، أي ترعون (....)، ومما شذ عن الباب: (السُّومة)، وهي العلامة، تجعل في الشيء، والسِّيما مقصور من ذلك»[1].

ومن أجمل صفات المؤمنين (الأوابون)، والتي وردت للاستشهاد على مادة الكلمة قوله تعالى: ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا﴾ [الإسراء: ٢٥].

حول المعنى:

الآية الكريمة تسبر أغوار النفس البشرية، وتبين أهمية ما يعتمل بداخلها، وتكشف جوانبها، وتعالج الأخطاء فيها، وذلك عن طريق ربط السلوك الإنساني وآدابه الاجتماعية برابطة العقيدة؛ التي تستند إليها كل الروابط الأسرية والاجتماعية.

لذلك توجهت الآية المباركة بالخطاب إلى عموم المؤمنين، تبين لهم أن الله - تعالى - مطلع على أسرارهم، ومكنونات نفوسهم، ومقاصدهم نحو آبائهم وأمهاتهم؛ فكل ما يضمرون لهم من تكريم، أو استخفاف بحقوقهم، أو تنكرٍ لفضلهم؛ فهو - سبحانه - لا تخفى عليه دقيقة من أمرهم؛ ويكون الحساب على ذلك، فلا ينظر إلى الأبدان، ولا إلى الأعمال، وإنما إلى القلوب وما فيها من خيرٍ أو شر نحوهم، ولعظم التقصير في جانب الوالدين أو أحدهما؛ فإنه - سبحانه - قد جعل باب التوبة والرجعة عند الخطأ مفتوحاً، بعد أي هفوة

(١) معجم مقاييس اللغة (١١٨/٣)، (باب السين والياء وما يثلثهما).

- مهما صغرت - لعظمها عند الله — تعالى -، ولقد اشترط لقبول الأوبة حسن النية، ثم طاعتهم فيما يأمرون، وأداء حقوقهم كاملة[١].

والآية مناسبة لما قبلها، وهو قوله تعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴾ [الإسراء: ٢٣- ٢٤].

ذلك أنه ﷻ لما أمر بعبادته وتوحيده، أتبعه الأمر ببرِّ الوالدين؛ وذلك لأن الوالدين سبب في وجود الإنسان، وأن السبب الحقيقي لإيجاد الإنسان هو الله - تعالى-، لذلك أمر أولاً بتعظيم نفسه — سبحانه -، ثم تعظيم الوالدين[٢].

ولقد قرن المولى - تبارك وتعالى - بين الأمر بطاعته، وطاعة الوالدين؛ لبيان أن المزلق فيهما أو في أحدهما خطر، بل ومن الكبائر[٣].

كما أن مدار الأمر فيه مبني على النية والعمل القلبي، فالتقصير دون قصد، أو عن ضيق صدرٍ وحرجٍ، الحكم فيه لله وحده؛ لأنه الذي لا تخفى عليه ما تضمره النفوس من الإخلاص في الطاعات، وعدم الإخلاص فيها، لذلك سبحانه لم يوجب في الشرع له حداً، كما هو الأمر في غيره لمن تعدى الحدود والواجبات.

---

(١) ينظر: جامع البيان (٢٢/٥)، وتيسير الكريم الرحمن (٩٦٤/١)، وفي ظلال القرآن (٢٢٢٢/٤)، لسيد قطب، دار الشروق لمحمد المعلم، ط ٢٥، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب (١٤٨/٢٠/١٠).

(٣) ينظر: كتاب الكبائر (ص ٩-٣٩)، للإمام الحافظ شمس الدين الذهبي، المكتبة الثقافية، بيروت — لبنان.

أما من حيث مادة الكلمة (الأوابون) جاءت ملفتة للنظر من حيث:

*** التوافق الصوتي بين مادة الكلمة ومعناها:**

قوله تعالى: ﴿لِلْأَوَّٰبِينَ﴾ واحدها: (أوّاب)، من أوب، فالهمزة والواو والباء أصل واحد بمعنى الرجوع[١]، يؤوب أوباً وإياباً وأوبة[٢].

وأقدم للدراسة مادة الكلمة بعد أن أدخلت عليها (ال) التي للتعريف، ثم أدخلت عليها لام الجر التي للاستحقاق، ثم ضعّفت (الواو)، فأصبحت على صيغة (فعّال)، ثم زيدت الياء والنون للجمع.

ولقد تجسدت معاني الأوبة والرجوع عن الذنب بأصوات مادة الكلمة، بعد أن أدخلت عليها هذه اللواحق، حيث إنها استهلت باللام؛ ومخرجها من حافة اللسان[٣]، وتكررت[٤] مما جعل صوتها متردداً في مخرجه، دون السماح له بالخروج من بين الشفتين، فهذه الترددات المتوسطة بين الشدة والرخاوة[٥] توحي بالتنبيه لما هو آتٍ من قبول التوبة، ومغفرة الذنب، ومحو آثاره، ثم الهمزة: بمخرجها من أقصى الحلق، وبما فيها من شدةٍ[٦] بيان لشدة الألم الذي

---

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة (١/١٥٢)، (باب الهمزة والواو وما يثلثهما).

(٢) ينظر: لسان العرب (١/٢١٧)، (باب الباء، فصل الهمزة).

(٣) ينظر: التمهيد في علم التجويد (ص ١٤٠، ١٤١)، والتناسب البياني (ص ٢٩٠).

(٤) نتج هذا التكرار لأن لام الجر أدخلت على (ال) التعريف.

(٥) ينظر: التمهيد في علم التجويد (ص ١٤١)، وينظر: سر صناعة الإعراب (١/ص٦٠، وص٣٢١).

(٦) التمهيد في علم التجويد (ص ١٠٧)، والإتقان في علوم القرآن (١/١٣٣)، لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي، دار المعرفة، بيروت- لبنان، طبعة وتاريخ بدون.

تُعانيه النفس في الاعتراف بالذنب، وبما فيها من وصفٍ بالقوة، يوحي بما ينبثق منها من عزيمة صادقة للإقدام على التوبة، وما فيها من انفتاح[1] تشير به إلى انفتاح بابها، ثم يمتد صوت الواو لمجيء الألف بعده، والتي انتصبت ممشوقة القوام إعجاباً من السامع وترحيباً بهذه العودة، وبالتصميم على التوبة الخارجة من صميم القلب، وليدل كذلك على طول الأمل في قبول التوبة.

ثم الباء بشدتها، قد منعت الهواء من الانتشار، بل أطبقت عليه بين الشفتين؛ فكأنها تقول لهذا التائب: مكانك اثبت على التوبة، فقد عرفت مكمن الخطأ؛ وتعرفت طريق العودة، فلا داعي إلى الإسراف في الحزن على ما بدر منك فالله — تعالى- قد بادرك بالمغفرة، كما بادأته بالتوبة. ثم يمتد الصوت بها حيث حرف الياء، التي هي امتداد لكسرة الباء، لدلالة الثبوت على هذه الأوبة، فقد استمدت الياء ما في الباء من إيحاءات، ثم (النون)، وهو صوت يجد الإنسان له لذةً وطرباً نتيجة لجهده، وهو حبس النفس ومنعه أن يجري، مما أحدث هذه الذبذبات الرائعة، ثم ما للنون من صفة الانشراح فإنها أضفت على الصفة أنس القبول.

وفي المقطع الأول للكلمة (أوَّا) أجد ثقل شدَّة (الواو)، ثم جهر الألف الممدودة، وإطلاق الصوت بها قوة تبين مقدار توجُّعٍ وأسفٍ وندمٍ على ما فرط فيه هذا المؤمن.

---

(١) الانفتاح: أي "أن اللسان لا ينطبق مع الريح إلى الحنك عند النطق بها، ولا ينحصر الريح بين اللسان والحنك، بل ينفتح ما بينهما، ويخرج الريح عند النطق بها". التمهيد في علم التجويد (ص ٩٠).

ولقد لحظت على هذا المقطع (أوَّا) من كلمة (أوَّاب) أنه مشترك في عدة كلمات: توَّاب، أوَّاه، أوَّاب، فعلى ما يحمله حرف الواو من صفة الضعف[١]، ناسب انكسار نفس الأوّاب، والأوّاه، والتوَّاب، كما أجد أن الذي ساعدها على أداء المعنى المراد هو تضعيفها، ومؤازرة الهمزة بمخرجها من أقصى الحلق، والألف بشدتها، كل ذلك قد أعانها على التعبير عن المعنى المنوط بها.

*** بين التوافق اللفظي والمعنوي لقوله - تعالى-: ﴿ الأوابين ﴾:**

فقد ناسبت الصفة معنى الآية لمناسبة معناها موضوع المخلصين في أعمالهم ونواياهم، فأعمالهم سالمة من الكبائر، وهذا ما يناسب مقام المؤمنين الصالحين الذين خصصت الآيات السابقة للحديث عن مثالبهم، فهم الصالحون الأوّابون، والله — تعالى- للصالحين محسن، وللأوَّابين غفور.

*** مناسبة (مادة الكلمة) لموضوع السورة:**

موضوع سورة (الإسراء) متصل مباشرة بالعقيدة؛ فقد جاء وصف المؤمنين بالأوَّابين الذين تحقق فيهم عمق الإيمان، فهم المؤمنون الذين يذكرون ذنوبهم فيتوبون عنها ويرجعون[٢]، وقيل: هم الرجّاعون إلى الخير مرةً بعد مرة بعد جماح نفوسهم عنه[٣].

---

(١) ينظر: الخصائص (٢/ ١٦٠).

(٢) تفسير مجاهد (ص٣٦١)، ورغائب القرآن وغرائب الفرقان (٧/ ١٦٣).

(٣) ينظر: نظم الدرر (١١/ ٤٠٤، ٤٠٥).

وهي كذلك صفة للمطيعين أهل الصلاة عامة[1]، ويكون الأوّاب صيغة مبالغة لبيان قوة كيفية الوصف وكثرته، حتى تكون هذه الصيغة وصفاً للممتثل أمر ربه، المراقب لنفسه، المغلوب بالتفريط، فهو يؤوب كلما راجع نفسه وذكر ربه، هو أوّاب لكثرة رجوعه إلى الله – تعالى- بالتوبة[2].

وخلاصة المعنى لما سبق:

١- أن شرط المغفرة الصلاح النفسي، وأمرها عقدي؛ لذلك لا بد أن تكون النفس مؤمنة طيبة، تستشعر بخطئها فتعود عنه مسرعةً، وفي ذلك حث على الإخلاص في أداء العبادة لله وحده.

٢- عظم فضل الوالدين عند الله - تعالى - يتطلب العودة السريعة إليهما عند الشعور بأدنى تقصير قد يجعلهما أو أحدهما في حزن عميق.

ومن أدق صفات المؤمنين التي جاءت مادتها معبرّةً عن معناها، ما ورد في قوله – تعالى- : ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الحج: ٥٤].

حول المعنى:

يمتدح المولى - تبارك وتعالى - العلماء بكتابه، الذين عرفوا حججه وبراهينه، واستبانت لهم شُبه أهل الضلال، وظهر لهم ضعفها؛ فكانوا على إيمان ويقين بصدق ما يوحى إلى رسول الله ﷺ بأنه الحق من رب العالمين، فآمنوا به، وخضعوا واطمأنوا إليه؛ فكانت ثمرة الإيمان بالله – تعالى - الهداية إلى الطريق المستقيم.

---

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم (٣/٤١، ٤٢)، ولباب التأويل في معاني التنزيل (٤/٩٩).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير (٧/١٥/٧٥).

وترتبط الآية الكريمة بسابقتها ؛ وهي قوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴾ [الحج : ٥٢ ، ٥٣].

فهي تبين أن القرآن الكريم نسيج محكم من آياته - تعالى - ، وأن العلم بهذه الآيات صورة جميلة للمؤمنين الذين أُخبتت قلوبهم للذكر الحكيم ، فلم تسمح للشيطان بأن يلقي شبهة في نفوسهم ، ولم يجد أولياؤه فيها منفذاً يصلون منه إلى ترويج الادعاءات الباطلة حول القرآن العظيم ؛ وحول آياته المتشابهات ، فهذه صورة المؤمنين العلماء ؛ تقابل صورة الكافرين والمنافقين ، الذين يسعون في إلقاء الشبه لدحض آيات الله — تعالى - الدالات على قدرته ووحدانيته ؛ فهؤلاء قد بالغوا في تصورهم أنهم يستطيعون إخفاء نور الحق ، وأن بإمكانهم إضلال كل الناس ، غافلين عن علم الله — تعالى - بما يحاولون فعله ؛ وأنه سيحق الحق ويظهر أمره ، وأنه يدحر الظلم ويجعله وأهله في نار الجحيم ؛ حيث يقول تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ سَعَوْا۟ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴾ [الحج : ٥١].

أصل مادة الكلمة ﴿ أُوتُوا ﴾:

(أأتى) الهمزة الأولى متحركة ، والثانية ساكنة ، فتقلب الهمزة الثانية حرف علة يتناسب مع حركة الهمزة الأولى ويجانسها[1] ، فلما كانت الهمزة الأولى

---

(١) ينظر: شرح مختصر التصريف العزّي في فن الصرف (ص ١٧١)، لمسعود بن عمر سعد الدين التفتازاني، شرح وتحقيق: عبد العال سالم مكرم، منشورات ذات السلاسل، الكويت، ط١ ، ١٩٨٣م، والمنهج الصرفي في الإبدال والإعلال والتعويض والتقاء الساكنين. والإدغام (ص ٤٥)، للدكتور إبراهيم البسيوني، دار الطباعة المحمدية.

مضمومة لتناسب بناء الفعل لما لم يسم فاعله - بضم أوله وكسر ما قبل آخره -، فقد قلبت الهمزة الثانية (واواً) حسب القاعدة، فأصبحت (أُوتوا).

التوافق الصوتي بين المادة والمعنى في قوله - تعالى - : ﴿أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ﴾:

في بناء الفعل (أوتوا) لما لم يسم فاعله، دلالة على العلم بالفاعل، وفيه تعظيم لثمرة العلم ذاته، وليس بالنظر إلى فاعل الإعطاء[١]، ولعظم ثمرة العلم، فإنه دل على ذلك بما يناسبها من صفات أصواتها، فالبَدْء بقوة الهمزة[٢] لتدل على قوة المعطي، وبمخرجها من أقصى الحلق[٣]، فقد ساعدت في الامتداد الصوتي للواو - وهو صوت مد طويل - لتنتهي إلى مخرجها من بين الشفتين، لتمثل امتداد العلم والأجل في تحضيره وتحصيله، وما يكون عليه صاحبه من لين الطباع، وفي همس التاء بمخرجها من طرف اللسان، وأصول الثنايا العليا؛ ما ينبئ عن تريثٍ في تلقيه وتحصيله، وامتداد الصوت به كان نتيجة امتداد حرف اللين (الواو)، وهو صوت طويل لبيان، امتداد إعطاء العلم لأهله. ثم حرف اللام بخفته[٤] يلتقي مع صوت العين المستفلة[٥]، فيعينها على

---

(١) ينظر: نظم الدرر (١٣/ ٧٣).

(٢) ينظر: الخصائص (٢/ ١٦٠).

(٣) ينظر: التمهيد في علم التجويد (ص ٨٣).

(٤) ينظر سر صناعة الإعراب (١/ ٦٠). والحرف المهموس ضعف الاعتماد عليه في موضعه حتى جرى معه النَّفس.

(٥) هو حرف بين الشديد والرخو. ينظر: سر صناعة الإعراب (١/ ٦١). والعين حرف مجهور، أي انه حرف أشبع الاعتماد عليه، ومنع النفس أن يجري معه حتى ينقضي الاعتماد، ويجري الصوت. ينظر: المصدر ذاته (١/ ٦٠).

الاندفاع من مخرجها من وسط الحلق ؛ لتلتقي أخرى باللام والميم، وهما أخف الحروف وأكثرها امتزاجاً وانذلاقاً، مما يصور نفس العالم وعقله، وقد استنارا بضياء العلم، وامتزجا كذلك بحقائق الدين، فآمنت نفسه لما عرفت من الحق، ولقد دل على ذلك تردد التعبير بالحروف الهامسة والمنذلقة ؛ مما أضفى على الصفة أصواتاً لينة تناسب ما ورد في الآية من صفات المؤمن المخبت الذي هداه الله – تعالى- إلى الصراط المستقيم.

* بين التوافق اللفظي والمعنوي وهيئات ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْعِلْمَ﴾:

بني الفعل (أوتوا) للمفعول ؛ فلم يذكر الفاعل ؛ لأن الغرض منه منصب على (العلم)، وليس على الفاعل، وإن كان الفاعل معلوماً لا يغيب، فالعلم هو الفيصل في معرفة الحق من الباطل، فتكون (ال) في (العلم) للجنس، ففي ذلك إفاضة في الوصف، فيشمل كل علم في الدين.

* من حيث مناسبة الوصف ﴿أُوتُوا ٱلْعِلْمَ﴾ لموضوع السورة:

بما في السورة المباركة من تعريف عن شرائع الحج، بكل ما فيها، وبكل جزئياتها، وليس العلم فقط بسورة الحج ؛ بل بها وبغيرها.

والشواهد من القرآن الكريم على ذلك لا تنتهي، فقال الله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [الحج: ٣٤- ٣٥].

حول المعنى:

لقد اقتضت حكمة الله – تعالى- على أن يكون لكل أمةٍ منها منسكاً، والحكمة من ذلك إقامة ذكره، والالتفات إلى شكره وحده - جلَّ وعلا- وفق مقتضى إرادته، فانقادوا واستسلموا له؛ والمسلمون آخر الأمم، وقد شرع الله لهم كما شرع لغيرهم، ومن ثم أمروا بأن يخضعوا ويستجيبوا لما شرح لهم، ومن هنا.. زفَّ البشرى بخيري الدنيا والآخرة للمخبتين خاصة، وهم الذين وصفهم بالخوف منه وما يتبعه من ترك المحرمات، وكذلك هم الصابرون على البأساء والضراء، وهم الذين أدوا الصلاة على وجهها، وأنفقوا أموالهم كما فرض الله – تعالى - عليهم، وتصدقوا بما يرفعون به درجاتهم عند الله ﷻ.

وترتبط الآيتان بما قبلهما، وهو قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾﴾ [الحج: ٣٠-٣١].

إذ قد نهى الله ﷻ عن الرجس بأنواعه، مبطلاً بذلك عادة المشركين، مبيناً أن الحنيفية هي دينه الذي ارتضاه، وتوعد من خالفه، بعد ذلك ناسب أن يصف – سبحانه - طريق الحنيفية، وهو أداء المناسك، وأصول العبادات لله وحده، التي ترتقي بالمؤمنين إلى منازل إيمانية، وصفاتٍ روحانية سامية لما وصف القائمين بهذه العبادات بـ (المخبتين) الذين وصفتهم الآية المباركة بالصفات المتقدم ذكرها.

* **البلاغة في مادة صفات المؤمنين في قوله — تعالى - : ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ﴾ :**

المخبتون: واحدها مخبت، من أخْبَت، فالخاء والباء والتاء أصل واحد يدل على خشوع، يقال: أَخْبَتَ إخباتاً إذا خشع[1]. وفي اللغة: ما اتسع من بطون الأرض[2].

والمراد بالمخبتين هنا المطمئنون[3]، وفُسِّرت كذلك بالمتواضعين، أو المخلصين[4]، وعلى هذا التفسير جُوِّز أن يراد بقوله تعالى: ﴿فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟﴾ معنى: «الاستسلام الذي هو الانقياد والتواضع لله تعالى»[5].

لذلك فإن في صفة (المخبتين) استعارة: حيث استعير هذا الوصف للمتواضعين، كأنهم سلكوا أنفسهم في الانخفاض، والمراد بهم هنا (المؤمنون)؛ لأن التواضع من شيمهم؛ كما كان الكفر من سمات المشركين[6]، لقوله - تعالى- : ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [غافر: ٣٥].

والاستعارة تصريحية؛ ذلك أنه شبه التواضع بالإخبات، وهو النزول إلى المنخفض من الأرض؛ بجامع التوجه إلى أسفل في كلٍ، ثم تنوسي التشبيه، وادُّعي أن التواضع من أفراد الإخبات، ثم استعير الإخبات للتواضع، واشتُق منه

---

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة (٢/٢٣٨)، (باب الخاء والباء وما يثلثهما).

(٢) ينظر: لسان العرب (٢/٢٧)، (باب التاء، فصل الخاء).

(٣) ينظر: تفسير مجاهد (ص ٤٢٥).

(٤) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٢/٨٩).

(٥) حاشية ابن التمجيد (١٣/٦٤).

(٦) ينظر: التحرير والتنوير (٨/١٧/٢٦١).

المخبتون بمعنى المتواضعين على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية. وتتمثل بلاغة الاستعارة في تصوير الأمر المعنوي، وهو التواضع بأمرٍ محسوسٍ تراه العين، والمشاهد المحسوس أكثر تأثيراً في النفس من المعنوي المدرك بالعقل - كما لا يخفى -.

السر في اختيار مادة (خبت) للمؤمن المتواضع:

*** من حيث التوافق الصوتي بين مادة الكلمة ومعناها:**

فقد استهلت البشرى بصوت (الواو) بمخرجه من بين الشفتين، وبما له من صفة الانفتاح[1]، بانسياب الهواء إلى الخارج فيه، مناسبة للبدء بإعلاء البشرى؛ لإذهاب الأكدار، بعد ما ذكر من صفات الكافرين وعذابهم، ولتطمئن النفس المؤمنة، بعد ما ذكر من شرائع الحج، وما فيه من معاناة، ثم (الباء)، وهو صوت شديد، مخرجه متوافق مع مخرج (الواو)[2]، للإيماء إلى الإرادة – المباركة - في إبلاغ البشرى، ثم ما لحرف (الباء) من دلالة صوتية معبرة متميزة في النطق[3]؛ ذلك أن إحداث مثل هذا الصوت يشبه النذير، ثم حرف (الشين) بتفشيه في الفم، يتناسب وانتشار الإخبار، وما فيه من صفات الهمس والرخاوة[4]، يتناسب وأنس بشرى المؤمنين، والشدَّة في موضعها إشباع

---

(١) ينظر: سر صناعة الإعراب (١/ ٦٠)، والتمهيد في علم التجويد (ص ١٤٧).

(٢) وهو من بين المخرج الثاني عشر من بين الشفتين. ينظر: التمهيد في علم التجويد ص (١٠٩)، وينظر: (ص ٤١٧).

(٣) فقد شُبِّه لفظها بصوت خفقة الكف على الأرض. ينظر: الخصائص (٢/ ١٦٣)، وهو حرف مجهور/ شديد، ومعنى الشديد: الحرف الذي يمنع الصوت أن يجري فيه. ينظر: سر صناعة الإعراب (١/ ٦١).

(٤) ينظر: التمهيد في علم التجويد (ص ١٢٨).

صوت الخبر- للمخبتين-، وكذلك ساعدت في الانتقال منها إلى حرفي اللام والميم، وهما من الحروف الذلاقة[١]، بصفاتها[٢] تناسب صفة الاستبشار في قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ﴾.

ثم حرف (الخاء) بهمسه وفخامته[٣]، يناسب نفس (المخبت) التي اطمأنت بالإيمان، ومخافته تناسب عظمته عند خالقه. كما أن في استعلائه[٤] شموخاً واعتزازاً، بالرغم مما لصفته من التواضع؛ فهو في ذل الطاعة، والعزة عن المعصية، وبقوة مخرجه من أقصى الحلق[٥] ما يدل على عمق ما في النفس من السكينة، وحبس هذه المشاعر يتم عن طريق حرف (الباء) لإطباق الشفتين، ومنع الهواء من الخروج[٦] فيه حبس للمعنى في عمق مخرج الخاء، ثم يأتي حرف التاء بهمسه؛ ليعود بطرف اللسان إلى الداخل[٧]، ليتم النطق به بعد أن يلتصق بالثنايا العليا، وفي تلك العودة مزيد من التحفظ على معاني الدين

---

(١) ينظر: سر صناعة الإعراب (١/٦٤). والمذلقة: يعتمد عليها بذلق اللسان، وهو صدره وطرفه.

(٢) ومن صفاتها أنها متشرحة خفيفة سريعة الاندماج بغيرها. ينظر: التمهيد في علم التجويد (ص ٨٥)، والتناسب البياني في القرآن (ص ٢٩١).

(٣) ينظر: التمهيد في علم التجويد (ص ٨٦)، و(ص ١١٩).

(٤) ينظر: سر صناعة الإعراب (ص ١/٦٢)، والتناسب البياني (ص ٢٩٠). ومعنى الاستعلاء أن تلتصق في الحنك الأعلى.

(٥) ينظر: التمهيد في علم التجويد (ص ١١٩)، والتناسب البياني (ص ٢٩٠).

(٦) ينظر: سر صناعة الإعراب (١/٦١).

(٧) ينظر: المصدر والموضع ذاته، والتمهيد في علم التجويد (ص ١١١).

ولحظاته الروحانية، فالنفس دائمة الشغل به، دؤوبة على حفظه. ثم حرف الياء وتردده بين الشدة والرخاوة[1]، وامتداد الصوت به، يدل على امتداد جذور الإيمان في أعماقهم، وعلى اتساعه للكثير، ثم حرف النون بانذلاقه وانشراحه، فإنه يبادر ليمتزج بالياء، فينشأ صوت يتحلى به اللفظ، فيظهر جمال مادة الكلمة ومعناها، وبالتالي انسجامها مع أخواتها في الآية المباركة.

* **من حيث التوافق بين اللفظ والمعنى وهيئات المؤمنين:**

فقد أُطلق الخَبْتُ على المؤمن المتواضع السهل اللين الجانب، لما بين الخبت والتواضع من ترابطٍ، فالمؤمن المخلص إنما يكون في حالة دعة وسكون وطمأنينة؛ فتكون عضلات جسده هادئة ساكنة متراخية، كل عضلة منها في موضعها الطبيعي، وعندما أخبت لله — تعالى- زادت نفسه طمأنينة.

فهو دائم أمام عظمة الخالق، هادئ النفس، ساكناً كأنما نُزِّلت نفسه من علياء إلى أرض خفيضة صلبة مستقرة، وهو كذلك المنخفض من الأرض عند نزول الغيث، تتجمع به المياه، فيكون من هذا التجمع عدة فوائد، منها سرعة استجابة تلك الأرض إلى الإنبات، وقد تثمر وتنتج واحةً غناءً، وربما كانت مكاناً لتجمع المياه يمكن الاستفادة منها.

* **من حيث مناسبة اللفظ لموضوع السورة:**

وكما ناسبت المادة هيئات المخلصين له - تعالى -، فإنها أيضاً ناسبت موضوع السورة - وهو الإيمان بالله تعالى - الذي يعد الحج من أعظم الدلائل عليه؛ إذ الأصل أن لا يحج البيت إلاّ مؤمن، فأداء شعائره يقتضي إيماناً

---

(١) ينظر سر صناعة الإعراب (١/ ٦٠-٦٢).

راسخاً، وأنه «لا يخفى حسن وقع ذلك هنا من حيث إن نزول الخبت مناسب للحاج»[١]؛ «لأن أفعال الحج من نزع الثياب، والتجرد من المخيط، وكشف الرأس، والتردد في تلك المواضع الغبرة المحجرة، والتَّلبُّس بأفعال شاقة لا يعلم معناها إلاّ الله - تعالى - مؤذن بالاستسلام المحض، والتواضع المفرط؛ حيث يخرج الإنسان عن مألوفه إلى أفعال غريبة، ولذلك وصفهم بالإخبات»[٢]، وقد ناسب هذا الوصف أن يقابل بالبشرى؛ لأن فيها دلالة على الراحة النفسية التي وصل إليها المؤمن المؤدي لمناسك ربه، وهي مقابلة للحالة النفسية التي آل إليها الكافر؛ فأصبحت نفسه محط الشياطين، تُطَوِّح به كيف شاءت، فحرم لذلك الراحة، وانتهت به إلى مكانٍ سحيقٍ، حيث قال - تعالى-: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١].

وفي الأمر بالبشرى: تعريض بعقاب المشركين؛ فإذا كان المخبتون أهلاً للبشارة؛ فإنَّ هذا يعني أن المشركين يستحقون الإنذار بالعقاب. **وقد وضع الظاهر ﴿ٱلْمُخْبِتِينَ﴾ موضع ضمير الغائب**[٣]؛ وهذا ما يقتضيه الانتقال من خطاب الأمة بقوله - سبحانه-: ﴿أَسْلِمُوا۟﴾ إلى خطاب النبي ﷺ بأن يقال: (وبشرهم يا محمد). **ووضع المظهر موضع الضمير خروج على خلاف مقتضى**

---

(١) روح المعاني (١٤٧/١٧/٩)، لأبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي، تحقيق علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط ١، ١٤١٥هـ ١٩٩٤م.

(٢) البحر المحيط (٣٤٢/٦).

(٣) ينظر: حاشية ابن التمجيد، وحاشية القونوي ٦٤/١٣، ٦٥.

الظاهر، كما يقرر أهل العلم[١]، والسر في هذا – كما يلوح لي - هو الإشادة بالتواضع، لما فيه من دلالة على الشعور بعظمة الله ﷻ، والأسلوب المبارك فيه «تجريد للخطاب إلى رسول الله ﷺ، أي المتواضعين، أو المخلصين، فإنَّ الإخبات من الوظائف الخاصة بهم»[٢]، أي أنه جَرَّ من جماعة المؤمنين المشار إليهم بواو الجماعة في قوله – تعالى -: ﴿فَلَهُۥٓ أَسۡلِمُواْ﴾ جرَّد منهم المخبتين، إشادة بصفة الإخبات فيهم، وإشارةً إلى أنَّ صفة الإخبات بلغت مبلغاً عظيماً.

وللمخبتين ولأعمالهم دلائل إيمانية، ولا يخفى أن صلة الموصول تضمنتها، فهي أربع صفات: الوجل عند ذكر الله - تعالى- كما قال- سبحانه-: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ﴾، من وَجِل يوجل وَجَلاً، بمعنى خافت وفزعت[٣]، وأقدم للدراسة مادة الكلمة بعد أن أدخلت عليها (التاء) التي للتأنيث، لتناسب المسند إليه ﴿قُلُوبُهُمۡ﴾، فأصبحت ﴿وَجِلَتۡ﴾ وقد أراد بها خافوا خوفاً شديداً[٤]، يرتجف منه القلب، وخَصَّ القلب بالذكر لأنه مستقر العواطف.

---

(١) ينظر: الإيضاح (ص ٧٥)، والمطول شرح تلخيص مفتاح العلوم (ص ٢٨١)، للعلامة سعد الدين التفتازاني، تحقيق د. عبد الحميد هنداوي، منشورات علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

(٢) إرشاد العقل السليم (٣٨١/٤).

(٣) ينظر: جمهرة اللغة لابن دريد (١١٣/٢)، (باب الواو والجيم)، لأبي بكر محمد بن الحسن الأزدي البصري، طبعة دار صادر، بيروت، ط١، ١٣٤٥هـ، ولسان العرب (٧٢٢/١١)، (باب اللام، فصل الواو).

(٤) ينظر: نظم الدرر (٤٨/١٣).

وينصدع لذكره من يخاف سطوته وعقوبته - سبحانه[١]-، وقد أطلقت القلوب وأُريد بها المؤمنون، وإنما أسند الخوف إلى هذا الجزء ﴿قُلُوبُهُمْ﴾؛ لأنه الذي يظهر الخوف فيه، وسره البلاغي: يتجلى في أنه صوّر القلوب أشخاصاً، وقد ملأها الخوف وهي ترتجف، وهو أكمل وصف للمؤمنين على سبيل المجاز المرسل؛ حيث أنه ذكر الجزء وأراد الكل، والعلاقة المحلية.

السر في اختيار مادة ﴿وَجِلَتْ﴾ وصفاً للمخبتين جاء مناسباً من جهة:

*** التوافق الصوتي بين مادة الكلمة ومعناها:**

فالواو وهو حرف مجهور، قد أُشبع الاعتماد عليه في موضعه، ومُنع النفس أن يجري حتى ينقضي الاعتماد عليه ويجري الصوت[٢]، فهذه الصفات بما فيها من تعملات لها دلالة على لحظات أخذ العبرة عن ذكر الله – تعالى-؛ مما يؤدي إلى ظهور آثار الخوف، كما أنه عند النطق بها؛ ما يناسب تأوهات النفس الخائفة مما يعتريها بعد سماع ذكر الله – تعالى -، إذ تتقلص المشاعر الإنسانية الجامحة، وتتقلص عضلات القلب تقلص الشفتين عند النطق بها، ومن ثم الانتقال إلى حرف الجيم، وبما له من صفة الشدة؛ فقد اشتد لزومه لموضعه وقوي[٣]؛ مما يتناسب ووصفه بالخوف لدى المؤمن، فإن شدة الخوف والفزع اللتين تعتريانه لا تؤثران في إيمانه؛ بل تجعله متمسكاً مصراً على دينه؛ كما هو موضع حرف الجيم. ثم بعد الحرفين: (الواو) بجهره، و(الجيم) بشدته، يأتي

---

(١) ينظر: بصائر ذوي التمييز (١٦٥/٥).

(٢) ينظر: سر صناعة الإعراب (٦٠/١).

(٣) ينظر: التمهيد في علم التجويد (ص ٨٧).

حرف اللام بصفة انذلاقه وخفته ؛ ليتم التعادل بين الحروف، وأيضاً بين الخوف والرجاء في شخص المؤمن وعقله. ثم (التاء) بشدتها. وكما ناسبت مادة الكلمة بأصواتها وصفاتها معنى الوصف بالوجل ؛ فكذلك ناسبت المادة بمعناها هيئات المخبتين.

فإنه يلاحظ من مجيء الوصف على هذه الصيغة (فَعِل) خفة تشير إلى السرعة، وهي هنا تتعلق بالقلب، فقلة عدد حروفها يومئ إلى سرعة اضطراب القلب - وهذه حقيقة - ، وبلاغتها تكمن في موافقتها للحقيقة، فعلى خضوع المخبت وهدوئه، فإنه يرتعد ويفزع من خوف الله - تعالى - ، ويتناسب وصف المخبتين بـ(الوجل) مع موضوع هذه السورة — الحج - ؛ لأنها سورة تدعو إلى تحري إقامة شعائر الله ﷻ، ولا يستطيع أداء تلك المناسك، وإقامة الفرائض بما يرضي ربَّ العالمين، إلا من كان على خوفٍ شديد من الله تبارك وتعالى.

ومن أوصاف هؤلاء ﴿ٱلْمُخْبِتِينَ﴾ (الصبر) على المصائب، وذلك ما يعبر عنه بقوله — تعالى - : ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ...﴾.

والصبر: الحبس، يقال صَبَرْتُ نفسي على ذلك الأمر، أي حبستُها[1]، وهو نقيض الجزع، يقال: صبر يصبر صبراً[2]، وأقدم للدراسة مادة الكلمة، وقد أدخلت عليها (أل) لتدل على كمال الصبر، ثم الألف وقد دخلت

---

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة (٣/٣٢٩).

(٢) والصبور من أسماء الله - تعالى - هو الحليم الذي لا يعاجل بالعقوبة. ينظر: لسان العرب (٤/٤٣٧، ٤٣٨)، (باب الراء، فصل الصاد).

عليها، فجعلتها على صيغة اسم الفاعل[١]، ثم الياء والنون لتفيد جماعة الصابرين.

وقد جاء التعبير بصفة الصبر اسمية إيذاناً بالرسوخ في الاتصاف بها، والصابرون هم الذين صار الصبر عادتهم[٢].

وقد اختلفت رؤى المفسرين لمفهوم الصبر: فابن كثير قصر معناه على المصائب[٣]، والبقاعي[٤] يرى أنه الصبر على ما يواجه المرء في حياته[٥]، أي أنه أطلقه ولم يقيده، بينما يخصصه أبو السعود[٦] بمشاق التكاليف[٧]. كما قصره

---

(١) وهذه الصيغة تدل على قرار الصفة في صاحبها، لا على تجددها ووقوعها بالتدريج شيئاً فشيئاً. ينظر: المغني الجديد في علم الصرف (ص ٢٤٧)، لمحمد خير حلواني، دار الشرق العربي، لبنان-بيروت.

(٢) ينظر: نظم الدرر (١٣/ ٤٨)، وحاشية القونوي ١٣/ ٦٥).

(٣) ينظر: تفسير القرآن العظيم (٣/ ٢٤٦).

(٤) البقاعي: هو الإمام برهان الدين إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط البقاعي الشافعي، المحدث المفسر، علامة ومؤرخ، ولد (سنة ٨٠٩هـ)، وتوفي سنة (٨٨٥هـ). ينظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب (٤/ ٧/ ٣٣٩)، لأبي الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة: بدون.

(٥) ينظر: نظم الدرر (١٣/ ٤٨).

(٦) أبو السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي، الإمام الكبير عالم الروم، برع في جميع الفنون، فاق الأقران، وأخذ العلم عن أكابر علمائها، وصار قاضياً للعسكر، ثم صار مفتياً بقسطنطينية، له تصانيف عديدة. المشهور منها: (إرشاد العقل السليم)، وهو من أجلّ التفاسير وأحسنها، توفي (سنة: ٩٨٢هـ). ينظر: البدر الطالع بمحاسن مَن بعد القرن السابع (ص ٢٧٣).

(٧) ينظر: إرشاد العقل السليم (٤/ ٣٨٢).

الطاهر ابن عاشور على ما يصيب الإنسان من أذى في سبيل الله[1]. ولست أرى ما يدعو إلى التخصيص بأمرٍ دون آخر، فالصبر خُلقٌ دعا إليه الإسلام بإطلاقٍ دون تحديد، وهذا ما أراه في قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة ١٥٥ - ١٥٦]، **وأما اختيار مادة ﴿ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ وصفاً آخر للمخبتين؛ فلأنه جاء مناسباً من جهات:**

*** التوافق الصوتي بين مادة الكلمة ومعناها في قوله - تعالى - : ﴿ٱلصَّٰبِرِينَ﴾:**

فالبدء بحرف (الواو)، وضم الشفتين عند النطق به؛ يشير هنا إلى العزيمة المتمكنة والبداية القوية، ثم اللام المذلقة بخفتها تدل على سرعة الاستجابة للحوادث؛ مما يسهل الانتقال منها إلى حرف الصاد، وهو حرف مهموس رخو[2]، يتناسب وصفة من حبس نفسه على أمرٍ شاقٍ، وهو قانع به، راضٍ عنه؛ فمثل هذا الموقف يحتاج إلى تؤدة في القول، يشير إلى ذلك همس الصاد، كما يشير إلى رخاوة في المعاملة بما هو معلوم عن رخاوة الصاد، وذلك حتى تتكامل جوانب صفة الصبر، ثم في إطلاق الصوت بحرف المد (الألف) بعد الصاد؛ إيحاء بجوانب أخرى للصبر. هي امتداد العزم والمضاء على ذلك، وهناك جانب آخر هو الاعتزاز بالصفة والتسامي بها، ثم تتلوها (الباء) بصوتها المتميز[3]، إعلاناً بتحقق الصفة، وتمكن الموصوفين من الصبر على ما أصاب، وفي شدتها إشارة إلى قوة الصبر، وفي جهرها تأكيد واعتزاز بها. ثم الراء بجهرها وتكرارها، هي

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير (٢٦١/١٧/٨).

(٢) ينظر: سر صناعة الإعراب (٦٠/١).

(٣) فقد شبهه ابن جني بخفقة الكف على الأرض. ينظر الخصائص (١٦٣/٢).

أيضاً تتلاحم مع الجهر بحرف (الباء)، ثم حرف آخر مجهور، وهو (الياء)، ليدل على تمكنهم من الصبر، وعلى تغلغله في نفوسهم. ثم (النون) تعلن بخفتها وزنة صوتها المتميز ثبات حالة الصابرين.

كما لحظ أن مادة الصفة تتكون من عددٍ من الأصوات المجهورة والشديدة، وفي ذلك دليل على قوة الصوت، وهي بالتالي بيان لقوة إرادة الصابرين، ولا شك أن الصبر من مستتبعات الإخبات، لما بين الوصفين من ترابط، لذلك سأبين البلاغة فيها:

*** بين التوافق اللفظي والمعنوي في قوله - تعالى -: ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ﴾ وهيئات المخبتين:**

لما بيَّن – سبحانه - في هذه الآية الكريمة ما يسبقها من الإشادة بالمناسك وشعائر الحج، ثم أمر بالاستسلام، وفي قوله - تعالى -: ﴿فَلَهُۥٓ أَسۡلِمُواْ﴾ نجد أن صفة الصبر قد حققت جانباً من الاستسلام الذي هو التسليم والانقياد؛ الذي لا يتأتى إلاَّ لمن تحلّى بالصبر. ثم وصفهم بإقامة الصلاة، وهذا الوصف مدلول عليه بقوله –تعالى-: ﴿وَٱلۡمُقِيمِي ٱلصَّلَوٰةِ﴾، وهذه الصفة من مادة: (قوم) القاف والواو والميم: أصلان صحيحان، يدل أحدهما على جماعةِ ناسٍ، والمعنى الآخر على انتصاب وعزْم[1]، والمراد: القيام الذي هو نقيض الجلوس، يقال: قام قوْماً وقياماً[2]، ومفهومه: المداومة على أدائها وتعديل أركانها.

---

(١) فيكون قام بمعنى عزم. ينظر معجم مقاييس اللغة (٥/ ٤٣)، (باب القاف والواو وما يثلثهما).

(٢) ينظر: لسان العرب (١٢/ ٤٩٦)، (باب الميم، فصل القاف). والمراد بقوله قواماً: أي القيام.

وجاء التعبير عنها بالجملة الاسمية ؛ لأن العبد ينشغل دائماً بالصلاة وأدائها على وجهها الأكمل، وهي من أعز ما يقدمه المؤمن[١]، ولأن الانشغال بها يكون بالنفس كما هو بالبدن.

وذهب البقاعي إلى أن التعبير بالوصف هنا دون الفعل ؛ إشارة إلى أن هذه الصلاة لا يقيمها على وجهها المشروع، مع تلك المشاق والشواغل، إلا راسخ في حبها ؛ فهؤلاء لما تمكنوا من حبها في قلوبهم، والخوف من الغفلة عنها، صاروا كأنهم في صلاة[٢].

*** التوافق الصوتي بين مادة الكلمة ومعناها: في قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُقِيمِى﴾:**

فحرف (الواو) - وقد تكرر العطف فيما بين هذه الصفات - جعل لها صوتاً متميزاً، ومعاني متدفقة مترابطة بوشيجة الواو، ثم (اللام والميم)، بانذلاقهما وانشراحهما، فيهما إشارة إلى ما يجب على المؤمن المصلي أن يلتزمه في صلاته ؛ من اندفاع نحو أدائها في وقتها، وانشراح وانبساطٍ أثناء إقامتها، ثم الانتقال إلى حرف (القاف) بثقله وشدته، مما يمنع معه الصوت من الجريان[٣]، فهذا الثقل يشير إلى ما في الصلاة من مشقة على بعض النفوس ؛ حيث يقول - تعالى- : ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٥]، وذلك نظراً لما يكون عليه المصلي من جمعٍ لقواه الجسدية والفكرية، يدلل على ذلك الصوت بثقله - بواسطة حرف المد الياء- ولكن بتدرج الانتقال الصوتي من القاف إلى خفة حرف الميم، وبما له من سرعة في الامتزاج بغيره، مما أكسب (القاف) اعتدالاً يتناسب وتعديل

---

(١) ينظر: مفاتيح الغيب (١٢/ ٢٣/ ٣١).

(٢) ينظر: نظم الدرر (١٣/ ٤٩).

(٣) ينظر: التمهيد في علم التجويد (ص ٦١).

أركانها، ثم الانتقال من ثقل القاف إلى خفة حرف الميم، بما له من سرعة في الامتزاج بغيره، مما أكسبه مرونةً؛ امتدت آثارها إلى حرف الياء التي قبلها؛ والتي بعدها، ولقد ألقت على هذه القاف بظلالها؛ فأكسبتها هي الأخرى مرونة تشعر بمرونة إقامة الصلاة التي اعتادوها.

فهذه الأصوات المتكررة بلفظها وإيحائها - الميم، والياء ثم الميم والياء- تؤلف توازناً صوتياً متميزاً، وكأنه ترنمات شادٍ بما هو محبب، مشيراً إلى ما في إقامة الصلاة من تعديل لأركانها، وأدائها على وقتها وهيئاتها المطلوبة.

*** بين التوافق اللفظي والمعنوي لمقيمي الصلاة وهيئات المخبتين:**

لقد جاء من معاني الإخبات: الاطمئنان، والتواضع، والإخلاص، فهذه بلا شك صفات لا بد أن تلازم مقيمي الصلاة؛ لأن من شروط المصلي أن يكون مطمئناً في أداء أركانها وواجباتها، خالياً من مشاغل الحياة، بعيداً عن قلق النفس واضطرابها ومنغصاتها، متواضعاً لله، مشعراً نفسه بذلتها وعظمة خالقها، ثم الإخلاص في القراءة والدعاء والتسبيح؛ وهذه صفات تناسب المخبت وهيئته، فتردد بعض أصوات الصفة، وبصورة متوازنة يشير إلى ما عليه صفات المخبت المتواضع من توازنٍ في طبعه ومسلكه، وانخراطه في نمط حياة إيمانية مستقيمة، كما أشارت بذلك الآية في قوله — تعالى- : ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.[الحج: ٥٤].

*** مناسبة مادة كلمة ﴿وَٱلْمُقِيمِى﴾ لموضوع السورة:**

معلوم أن سورة الحج تقرر شرائع الإيمان، وتبين مناسك الحج، وأن الصلاة هي عمود الدين، وبها يستقيم أمر المؤمن؛ ولما كانت عظيمة لا يقيمها إلا

عظيم في دينه، فناسبها أن تكون وصفاً للمخبت، حتى يتم المؤمن مناسكه التي شرع الله – تعالى -، ومادة الكلمة بكافة مخارج حروفها المتناسبة تشير إلى الترابط بين شرائع الدين، وبسلاستها وتوازنها الصوتي ترسم بدقة خطوات الحاج، وكيف يكون تردده على تلك الأماكن المقدسة؛ حيث يقول – تعالى - في ذلك: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾ [الحج: ٣٤].

ثم الإنفاق مما رزقوا، وهو ما يبينه قوله – تعالى -: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ ﴿يُنفِقُونَ﴾: من نفق: (النون والفاء، والقاف): «أصلان صحيحان، يدل أحدهما على انقطاع شيء وذهابه، والآخر على إخفاء شيء وإغماضه، ومتى حُصِّل الكلام فيهما تقاربا»[1]، ومن أمثلة ذلك: نفق الفرس والدابة (وغيرهما) بمعنى مات، ونَفَقَ البيع نَفَاقاً: راج، ونفق: ماله ودرهمه بمعنى ذهب وفني[2]، ومن مجموع ما ورد – هنا- في معنى النفقة؛ فإنه يدل على ذهاب الشيء وفنائه، وذلك فيه امتداحهم بصفة كمال النفقة والعطاء حتى نفاد المُنْفَق. والمراد هنا أنَّهم: «ينفقون مما آتاهم الله - تعالى- من طيب الرزق على أهليهم وأقاربهم، وفقرائهم ومحاويجهم، ويحسنون إلى الخلق مع محافظتهم على حدود الله- تعالى»[3]، وقد جاء الإنفاق في صورة المضارع ﴿يُنفِقُونَ﴾؛ للإشارة إلى تجدده بتجدد الرزق، مما يعني حصول الإنفاق وقتاً بعد آخر على

---

(١) معجم مقاييس اللغة (٥/٤٥٤)، (باب النون والفاء وما يثلثهما).

(٢) ينظر: لسان العرب (١٠/٣٥٧، ٣٥٨)، (باب القاف، فصل النون).

(٣) تفسير القرآن العظيم (٣/٢٤٦).

وجه التجدد الاستمراري. كما أن في هذه الصفة: ترغيباً وتشويقاً للآخرين في بذل المال المستمر، بالرغم من كونه أحب الأحباب إلى النفوس؛ فكانت هذه الصفة مدحاً لهم؛ لأنهم لا يبخلون به، ولأجل عظمتها يُحسنون ظن الخَلَف ﴿يُنفِقُونَ﴾، أي: «يجددون بذله على الاستمرار بالهدايا التي يغالون في أثمانها، وبغير ذلك إحساناً إلى خلق الله امتثالاً لأمره، كالخَبْت الباذل لما يودعه تعالى فيه من الماء والمرعى»[١].

* التوافق الصوتي بين مادة الكلمة ومعناها في قوله تعالى: ﴿يُنفِقُونَ﴾:

حيث إن ابتداء الوصف بالياء، وهي بمخرجها من وسط اللسان، ما بينه وبين وسط الحنك الأعلى[٢]، بهذا يلتصق اللسان بالحنك الأعلى بقدر ما يسمح بمرور الهواء، ففيه إيماء لالتصاق حب النفقة بهم وتمكنها منهم، وبما لها من صفة الجهر وبتوسطها بين الشدة والرّخاوة[٣] تنبئ عن نفس هذا المنفق المؤمن؛ فهي لا تحتاج إلى شدة حتى تبخل بالنفقة، ولا هي نزلت إلى مستوى رخو يحتاج معه إلى دفع وشحذ؛ بل هي بينهما تُقيم ما تؤول إليه النفقة، ومن يُرجع إليهم الإحسان، محتسبة في ذلك الأجر والنفع الدنيوي والأخروي، ثم (النون) وبمخرجها من طرف اللسان مع أصول الثنايا العليا[٤]، وهذا المخرج

---

(١) نظم الدرر (١٣/ ٤٩).

(٢) ينظر: التمهيد في علم التجويد (ص ١٥٠)، والمعروف أن مخرج (الياء) هو مخرج (الجيم) ينظر: (ص ١١٥).

(٣) ينظر: سر صناعة الإعراب (١/ ٦٢).

(٤) ينظر: التمهيد في علم التجويد (ص ١٤٥).

يدفع بالياء إلى الخارج، وبهدوءٍ وتدرجٍ، وما فيه من صفة الانذلاق والخفة، فهذه الصفات تناسب معنى الإنفاق، وانشراح هذا الصوت، وهو ذهاب المال وفناؤه في خفة وسرعة، مما يعبر عن شعور عميق بالراحة، والانتقال به إلى مخرج (الفاء)، وهو من أطراف الثنايا العليا مع الشفة السفلى، يتمم خروج تلك الحروف بهمسه[1]، مما يشير إلى أحد أنواع الإنفاق التي تتم سراً، ولما كانت هذه الصدقة عظيمة جليلة، فقد ناسبها أن يعبر عنها بثقل القاف[2] إيحاءً بعظمة هذا العمل الجليل، ويمتد الصوت بالحرف ليدل على وجوب امتداد مواصلة هذا العمل واستمراره حسب ما يقتضيه زمن الجملة الفعلية. ثم الانتهاء بحرف النون ﴿يُنفِقُونَ﴾ بجهره وغنته[3] فيه إيحاء جميل بجميل فعالهم، بل وطيب آثاره يومئ إليها صوت النون الأغن، بما فيه من انذلاق وسرعة امتزاجه بغيره، وهكذا فقد أصبحت القاف والواو والنون أسرة واحدة متآزرة تآزر المنفقين بأهل الحاجات، كما أظهرت تآلفاً بين المنفقين والنفقة.

*** بين التوافق اللفظي والمعنوي لقوله – تعالى -: ﴿يُنفِقُونَ﴾ وهيئات ﴿ٱلْمُخْبِتِينَ﴾:**

لقد جاء في معنى الإخبات لغةً: أنه ما اتسع من بطون الأرض؛ لذلك فإنني أجد تلازماً بين اتساع بطون الأرض، وبين صفة المؤمن الموسر الذي يجد ما ينفق؛ فيتسع ماله لحاجات المحتاجين، ومن جانبٍ آخر فإنها ترتبط بالمخبت

---

(١) ينظر: التمهيد في علم التجويد (ص ١٣٧)، وسر صناعة الإعراب (١/ ٢٤٧).

(٢) ينظر: سر صناعة الإعراب (١/ ٢٧٧)، وينظر صفات القاف في المصدر ذاته (١/ ٦١).

(٣) ينظر: سر صناعة الإعراب (٢/ ٤٣٥).

المتواضع من أنه ينفق بتواضع ؛ كما هو حال الأرض المنخفضة التي تمتلئ ماءً، فتفيض سخاءً بالخيرات. والتلازم بين أصوات المادة وبين ﴿ٱلْمُخْبِتِينَ﴾ قائم على طول مادتها، وكما تآزر المقطع الأخير من الصفة بعضه مع بعض كذلك جمع المخبت بين هذه الصفات الأربع.

مناسبة مادة الكلمة لموضوع السورة:

لما كانت المناسك وإقامة شعائر الحج من أركان الإسلام التي تحتاج إلى بذل المال والسخاء ؛ كان المنفق في ذلك محل قبول، وجدير بالإشادة بهذه الصفة.

ولقد وردت هذه الصفات في عقد منتظم من البلاغة القرآنية المعجزة ؛ حيث التعبير بحرف الجر (من) في قوله -تعالى- : (مما) يومئ إلى الاعتدال في الإنفاق، كما بين ذلك في قوله - سبحانه- في وصف عباد الرحمن : ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان : ٦٧].

ثم قدم الرزق على النفقة في الذكر في قوله - تعالى- : ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾، ولذلك عدة معانٍ، منها : أن النفوس جبلت على حبِّ المال، وتذكير لأهل المال بفضل الله - تعالى -، وأنه اجتباهم على غيرهم، فمن واجبهم فعل تلك النفقات. ثم إنه - سبحانه - لا يأمر عباده إلا بما يطيقون، فلا نفقة على غير الموسر، وناسب - من جهة ثانية - أن يسند الرزق إلى (نا) الفاعلين ؛ حفزاً للنفوس بالإسماع، وتليين القلوب، حتى لا يغلبهم حب المال، فيمسكوا عن النفقة فالله- تعالى - هو الذي رزقهم.

شخصية المؤمن في ضوء الصفات التي وردت في سياق الآية جاءت على نسق بلاغي معين فتشابهت أطرافها[(١)] **لتتناول جميع صفاتها** ؛ حيث ختمت الآية بلفظ ﴿ٱلْمُخْبِتِينَ﴾ ، وهي تتلاءم تمام الملاءمة مع قوله – تعالى –: ﴿فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟﴾ ؛ لأن الذي يسلم وينقاد لما أمر به هو المتواضع ، ومن كمال البلاغة ، وتعدد صفات المخبتين ، إلاّ أنها جاءت بأسلوب بديع ، تم فيه جمع كل نظير إلى نظيره ؛ ذلك لأن وجل القلوب ، والصبر ، وإقامة الصلاة ، والإنفاق ، كلها أمور متناسبة ، ولا تضاد بينها ؛ لأنها تتصل بالله ﷻ. وهو ما يسمى بمراعاة التنظير[(٢)].

ومن نافلة القول إن المراد بإقامة الصلاة والإنفاق ما هو مفروض ، ومسنون ، إذ ليس هناك من دليل على أن المراد به كل منهما ؛ أو أحدهما ؛ بدليل ذكر (المنسك) قبل ذلك ، وهو (الهدي) ، والهدي ليس بمفروض ؛ بل هو سنة ؛ فكان ذلك مرجحاً لإرادة الفرض والنفل معاً.

ومن الشواهد على مادة الكلمة وأثرها البلاغي ما جاء في قوله – تعالى –:
﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾ [الزمر: ٢٢-٢٣].

---

(١) أي: كان آخرها ملائماً لأولها: فإقامة الصلاة ، والإنفاق من رزق الله ، دليل عملي على ما في القلب من الوجل لذكر الله ، وتحمل مشاق الحياة والصبر على شدائدها.

(٢) ويسمى التناسب والائتلاف والتوفيق ، وهو أن يجمع في الكلام بين أمر وما يناسبه لا بالتضاد. ينظر: الإيضاح (ص٣٠٥).

حول المعنى:

يقرر المولى تبارك – وتعالى- أنه لا يستوي من شرح صدره للإسلام فأصبح متسعاً بنوره لتلقي أحكامه، وعمل بها منشرحاً على بصيرة من أمره، لأنه يرجع أموره إلى الله ﷻ، وإلى كتابه العظيم. فهذا ليس كمن صدَّ عن آياته ﷻ، ولم تطمئن نفسه إليها، وجعل تعلقه بغيرها؛ فهؤلاء لهم الوعيد الشديد؛ لأن القرآن الكريم جاء أحسن الحديث، وبه تطيب النفوس، وتقر العيون، وجعله مثاني لتثنِّي معانيه ومواضيعه لحاجة القلوب إلى التزكية مرةً بعد أخرى، كما يفعل الماء بالأرض.

وترتبط آيتا الشاهد بسابقتيها: وهما قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر: ١٧-١٨].

فهاتان الآيتان المباركتان بيان لأوصاف المؤمنين الذين اجتنبوا عبادة الأصنام، فعبدوا الله تعالى وحده، واتبعوا هداه فبشَّرهم، وأكد لهم البشرى، وهو وعد كريم أتبعه بعتاب رقيق لرسوله ﷺ على شدة حرصه على هداية أهل الضلال بقوله - سبحانه-: ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِى ٱلنَّارِ﴾[1] [الزمر: ١٩].

ولمزيد تبكيت أهل النار، وتقريراً لاستبعاد خروجهم منها، بين منازل المتقين بأنها غرف مبنية بعضها فوق بعض، فدل على العلو والارتفاع مما يومئ إلى

---

(١) ينظر: حاشية زاده (٤/١٩٩).

علو منزلة أهلها ﴿أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾، وأكد لهم هذا الوعد بأنه لن يخلفه، وذلك أيضاً من دواعي البشرى، حيث قال تعالى: ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ﴾ [الزمر: ٢٠].

وبعد أن غلّب جانب الوعود الشريفة العظيمة للمؤمنين على جانب الوعيد بالتعذيب، بيَّن أن الغرض من ذلك هو الدعوة إلى الله – تعالى-، ووجوب إفراده بالعبادة سبحانه، وما ذلك إلاّ لأن الدنيا مصيرها إلى زوال، وأنها لا تنفع، فمصيرها إلى فناء، فنفّر منها بعقد مشابهة زوالها بجفاف الزرع وزواله؛ حيث قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر: ٢١].

ولقد روي في سبب نزول قوله - تعالى-: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ﴾ [الزمر: ٢٢] أنها نزلت في حمزة[1] وعلي رضي الله عنهما، وفي أبي لهب وولده من جانب آخر، فأراد بالذين شرح الله تعالى صدورهم حمزة وعلياً، وبالذين قست قلوبهم أبا لهب وأولاده، فهم المقصودون بقوله - تعالى-: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ

---

(١) حمزة بن عبد المطلب بن هاشم، القرشي، عم النبي ﷺ، وأخوه من الرضاعة، أسد الله وأسد رسوله، سيد الشهداء، أسلم ولازم نصرة رسول الله ﷺ، وهاجر وشهد بدراً، واستشهد في أحد في السنة الثالثة من الهجرة. ينظر: الاستيعاب في أسماء الأصحاب (٢٧١/١)، لأبي عمر يوسف بن عبد البر القرطبي المالكي، (مطبوع على هامش الإصابة)، دار العلوم الحديثة، مصورة عن الطبعة المغربية بتاريخ ١٣٢٨هـ، والإصابة في تمييز الصحابة (٣٥٣/١)، تأليف شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني المصري، دار العلوم الحديثة، مصورة عن الطبعة المغربية بتاريخ ١٣٢٨هـ.

قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾، وأما قوله - تعالى -: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ﴾ [الزمر: ٢٣]، فإن نفراً من الصحابة قالوا: يا رسول الله لو حدثتنا؛ فأنزل الله ﷻ: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ﴾[1].

أما من حيث مادة الكلمة، فإن الفعل ﴿تَقْشَعِرُّ﴾ لافت للنظر في هذه الآية المباركة؛ ذلك أن أصله: من القشع: انقشع الغيم، وتقشّع، وأقشع وقشعته الريح، والقشعة هي القطعة اليابسة من الجلد[2]. يقال: «اقشعر الجلد: اضطرب، وقام شَعْره عليه (...) أي تعلوه قشعريرة»[3]، ويقال: اقشعر جلده: إذا تقبَّض وتجمع من الخوف، والمصدر الاقشعرار، والقشعريرة أيضاً، ووزنه: افْعَلَلَ. اقعشر اقشعراراً: أي أخذته قشعريرة. وفُعلِّلة: قُشْعَريرة[4].

---

(١) ينظر: أسباب النزول (ص ٣٠٧).

(٢) ينظر: أساس البلاغة (ص ٥٠٨، ٥٠٩)، لجار الله الزمخشري، دار صادر، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م. وينظر: لسان العرب (٢٧٣/٨)، (باب العين، فصل القاف).

(٣) بصائر ذوي التمييز (٢٧٠/٤)، وينظر في تصاريف هذه المادة ومعانيها: أدب الكاتب (ص ٣٥٣)، لأبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الكوفي المروزي، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، دار المطبوعات العربية، بيروت- لبنان، بدون تاريخ طبعة.

(٤) ينظر: الدر المصون (٤٢٣/٩)، وينظر: شرح شافية ابن الحاجب (١٧٨/١)، للشيخ رضي الدين الأستراباذي النحوي، تحقيق: محمد نور الحسن ومحمد الزفزاف ومحمد محيى الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، طبعة ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م، وشرح مختصر التصريف العزي في فن الصرف (ص ٤٣، ٤٤)، والمغني في تصريف الأفعال (ص ١٣٧)، للدكتور/ محمد عبد الخالق عضيمة، دار الحديث، ط٣، ١٣٨٢هـ- ١٩٦٢م.

وكل هذه التصريفات تؤدي معنى أن الجلد تغير وزال عن وضعه الطبيعي عند سماع القرآن الكريم ؛ فلذلك أصبحت جلودهم تنقبض وتتجمع بشدة.

ورد في الكشاف أن : «تركيبه - يعني : الفعل تقشعر- من حروف القشع ، وهو الأديم اليابس ، مضموماً إليها حرف رابع وهو الراء ليكون رباعياً ودالاً على معنى زائد»[1].

والمعنى الزائد الذي يقصده هو الشدة في الخوف ، فالمؤمنون إذا سمعوا حديث القرآن دبَّ الخوف في قلوبهم ، لكنه ليس مجرد خوف ؛ بل خوف شديد ، وهذا ما بينه قبل ، وما أوردته عنه حيث قال : «اقشعر الجلد إذا تقبض تقبضاً شديداً» ، وهو بهذا البيان يشير إلى أن مادة الكلمة (ق ، ش ، ع) تدل على الشدة ، وإنما دلت عليها بما تدل عليه حروفها ؛ فهي تدور حول زوال ما به بقاء الشيء على وضعه[2] ، فقشع الغيم وانقشاعه : زواله عن صفحة السماء ، والقشعة : القطعة اليابسة من الجلد ، وإنما سميت بذلك لزوال طراوتها ، فإذا أُضيفت إلى تلك الأصول الثلاثة الراء ، بما فيها من تكرار الصوت ، ألحت إلى شدة التقبض واليبس ، ومن ثم فاستخدام الفعل (اقشعر) في هذا السياق يدل على أن الخوف في قلوب المؤمنين قد بلغ أقصى مداه ، وأن الأمن من عقابه - تعالى- لم يعد في القلب كما كان.

وقد جوز الزمخشري أن يكون اقشعرار الجلد من قبيل التمثيل ، وأن يكون من قبيل الحقيقة ؛ حيث قال : «وهو مثل في شدة الخوف ، فيجوز أن يريد به الله

---

(١) الكشاف (٤/ ١١٩).

(٢) ينظر : معجم المقاييس اللغة (٥/ ٨٨) ، (باب القاف والشين وما يثلثهما).

- سبحانه - التمثيل تصويراً لإفراطِ خشيتهم، وأن يريد التحقيق، والمعنى أنهم إذا سمعوا بالقرآن وبآيات وعيده أصابتهم خشية تقشعر منها جلودهم، ثم إذا ذكروا الله ورحمته وجوده بالمغفرة لانت جلودهم وقلوبهم، وزال عنها ما كان بها من الخشية والقشعريرة»[١].

وتعبير الزمخشري بالمثل جارٍ على التسامح في إطلاق المصطلح؛ فليس ثمة تمثيل في النص؛ لأنه يقتضي هيئة مركبة مستعملة في غير ما وضعت له، ولا توجد هذه الهيئة؛ بل الموجود اقشعرار الجلد فقط، وهو مفرد لا تركيب فيه، ومن ثم فهو كناية؛ حيث استخدام اقشعرار الجلد، وأُريد به الخوف؛ لأن اقشعرار الجلد دليل عليه، وفي الكناية تصوير للمعنى، وإبرازه في هيئة مخصوصة. وقد حاول القونوي بيان التمثيل، فتكلف في ذلك حيث قال: «شبَّه الهيئة المنتزعة من الخائف وخوفه حين استمع القرآن، وما فيه من الوعيد، بالهيئة المأخوذة من الجلود واقشعرارها حين وجود أمر هائل، فذكر اللفظ المركب الموضوع للمشبه به وأريد المشبه»[٢].

وفي هذا القول تكلف ظاهر، فالخائف وخوفه شيء واحد، والجلود واقشعرارها شيء واحد؛ وإلا فهل تعتبر الصفة جزءاً مناظراً للموصوف حتى يدَّعي التركيب؟ والذي يرجح أن اقشعرار الجلود كناية جواز الحمل على الحقيقة؛ فإن الكناية — كما يقرر ذلك أهل العلم - تصحبها قرينة لا تمنع من

(١) الكشاف (٤/ ١١٩).

(٢) حاشية القونوي (١٦/ ٥١٣).

إرادة المعنى الحقيقي، وهنا قرر الزمخشري أنه يجوز أن يريد به التمثيل، وأن يريد به التحقيق، ومن ثم رأيت أن الزمخشري تسامح في المصطلح. والله أعلم.

*** التوافق اللفظي بين مادة الكلمة ﴿تَقْشَعِرُّ﴾، ومعناها:**

وتوافق مادة الكلمة مع معناها قد رسم لنا صورة المؤمن وقد سمع القرآن الكريم، فتغير جلده وتيبس، ثم عاد فَلاَن ظاهره كما لان باطنه، فمع ما سبق بيانه عن أسباب القشعريرة، ما يدل أن منابع روعة القرآن الكريم متنوعة، وأن تحديدها بوعد ووعيد وجنةٍ ونار؛ ليس ذلك وحده محط الروعة وأسباب القشعريرة؛ فلا الصيغ، ولا تناسب الألفاظ، ولا غيرهما من أسباب الإعجاز؛ بل شيء آخر يدركه الحس، وقد وردت فيه أقوال كثيرة عن السابقين، منها: «أنك لا تسمع كلاماً - غير القرآن - منظوماً ولا منثوراً، إذا قرع السمع خلص له إلى القلب من اللذة والحلاوة في حال، ومن الروعة والمهابة في أخرى ما يخلص منه إليه، تستبشر به النفوس وتنشرح له الصدور»[1].

ومن آثاره في النفوس: «الروعة التي تلحق قلوب سامعيه عند سماعه، والهيبة التي تعتريهم عند تلاوته، وقد أسلم جماعة عند سماع آياته»[2].

وهذه المعاني التي اقتضاها معنى القشعريرة جاءت متناسبة متساوقة مع من شرح الله تعالى صدره؛ فكانت القشعريرة إحدى نتائجه وآثاره.

*** التوافق الصوتي بين مادة الصفة ومعناها:**

كما أن مادة هذه الكلمة لها صوت متميز، ساعد بصورة قوية في بيان المعنى المراد.

---

(١) بيان إعجاز القرآن، للخطابي ضمن ثلاث رسائل (ص ٧٠).

(٢) الإتقان في علوم القرآن (٢/١٥٦).

ففي البَدْء بهمس تاء المضارعة ﴿تَقْشَعِرُّ﴾ دلالة على أن القشعريرة مع أنها تقبضات وتقلصات يكتنفها الرضا والسكون اكتناف الهمس للتاء. ثم (القاف)، وهو حرف لهوي[1] قد ساعد مخرجه في تصوير معنى الكلمة، حيث إنه ساعد في بيان حالة الجسم عندما يستمع إلى القرآن الكريم، فتكون بداية التأثير هي ما يعتمل في داخله من تقبضات وانفعالاتٍ، تؤدي إلى تقبض الجلد، وناسبت بداية الحرف من أول الحلق وثقله وشدته، ذلك التغير الذي يحصل لجلد الإنسان؛ حيث تيبسه وتجمعه نتيجة خوفٍ مما سمع، كما ناسبت شدته في بيان الحالة النفسية التي تعتري المستمع إلى هذا المنطوق العظيم، والرهبة مما يتضمنه من معنى، ثم إن في قلقلة حرف (القاف)، واستعلائه وانفتاحه[2] ما يناسب شعوراً متماوجاً في الداخل، لا يمكن وصفه ولا تحديد معالمه، فما حصل لأساطين البلاغة في عصر النبوة، حيث وصفوه بالسحر والشعر والكهانة، يشهد كل أولئك بذلك تحيراً في أمره، ولما كانت القاف من الحروف الصُّلْبة[3]، كان من المناسب اختيارها للتعبير عن تيبس الجلد في هذه المادة.

ثم تأتي الشين: حرف التفشي[4] بما فيه من قدرة على الانتشار في الفم، تساعد في استخراج حرف القاف، كما تدل على انتشار هذه القشعريرة والتيبس على الجلد، فتأتي عليه جميعاً. ثم تأتي العين بمخرجها من وسط الحلق[5]، فتشير

---

(١) لهوي: منسوب إلى اللهاة بين الفم والحلق. ينظر: التمهيد في علم التجويد (ص ١٣٨).

(٢) ينظر: التمهيد في علم التجويد (ص ١٣٨).

(٣) ينظر: الخصائص لابن جني (٢/ ١٥٨).

(٤) ينظر: المصدر ذاته (٢/ ١٦٣).

(٥) ينظر التناسب البياني في القرآن (ص ٢٩٠).

إلى لطف الأثر القرآني في النفس، وإلى استجابة الحواس، وتداعي مشاعر الإيمان. كما أن في عدم إطباق اللّسان إلى الحنك عند النطق به[١] ما ينبئ بتدافع تلك المشاعر من داخل النفس إلى الجلد في صورة تقبضات ويبسٍ، ثم تختتم تلك المادة بحرف الراء، وبما له من صفة التكرير التي انفرد بها دون سائر الحروف[٢]؛ لتؤذن ببدْء انقضاء تلك الحالة، ليكون بعدها لين الجلود وانبساطها.

مناسبة مادة الكلمة لموضوع السورة:

والمادة (القشعريرة): تتناسب وانتشار النور في صدر المؤمن المتسبب عنه الانشراح. والله أعلم.

وفي إسناد القشعريرة إلى الجلود قوله تعالى: ﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ﴾ بيان لموقف نفسي تجلله الرهبة ثم الأمان في جنب الله - تعالى - ﴿رَبَّهُمْ﴾ الذي رباهم وأحسن إليهم، مما أوجب شعوراً بهيبة القرآن الكريم وعظمته، فكانت القشعريرة صفة من صفات الذين يخشون ربهم، والخشية تعني الخوف المشوب بالتعظيم[٣] الذي ينتج عنه التمنع عن المعاصي تهيباً من مقام ربِّ العالمين، وهذا الوصف الكريم قد رسخ وتأصل فيهم[٤]، لذلك جاء التعبير عنهم بالاسم الموصول: ﴿ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾.

ولما كانت الخشية مما وقر في القلب، وظهر على الجوارح في مختلف المواقف، فإن التعبير بالجملة الفعلية: ﴿ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ﴾ يدل على استمرارها، وتجددها مع كل الظروف.

---

(١) ينظر: التناسب البياني في القرآن (ص ٢٩١).

(٢) ينظر: الخصائص (١٦٤/٢)، والتمهيد في علم التجويد (ص ١٢٤، ١٢٥).

(٣) ينظر: المفردات (ص ١٤٩).

(٤) ينظر: روح المعاني (٢٤٩/٢٣/١٢).

(ب) الصيغة :

الاستعمال الدقيق للمفردة القرآنية، أحد الظواهر الأسلوبية التي تثير الانتباه إلى عظمة إعجاز القرآن الكريم.

فمن أرجح الآراء: ما ذهب إليه بعض أهل العلم، من أن لغتنا العربية لا يوجد ترادف بين مفرداتها ؛ لأنه «كما لا يجوز أن يدل اللفظ الواحد على معنيين ؛ فكذلك لا يجوز أن يكون اللفظان يدلان على معنى واحد ؛ لأن في ذلك تكثيراً للغة بما لا فائدة فيه»[١]. وهذا الملحظ الدقيق يتجسد في توخي الدقة حتى في فهم معاني صيغ الأفعال، وأبنية المشتقات، فإن كل مفردة منها تدل على حدثٍ معينٍ بزيادة حرفٍ أو أكثر، ولعلو مكانة هذا الباب في العربية ؛ ولأهميته، فإنهم وضعوا له ضوابط منها أنَّ «قوة اللفظ فلأجل قوة المعنى، إنما تكون بنقل اللفظ من صيغة إلى صيغة أكثر منها حروفاً ؛ فلأجل ذلك يقْوى المعنى لأجل زيادة اللفظ، وإلاَّ كانت زيادة الحروف لغواً، لا فائدة وراءها، وذلك يكون في الأسماء والأفعال والحروف»[٢]، وبناءً على هذه الطريقة، جعلت الصيغ الصرفية إحدى وسائل إثراء اللغة العربية بشكل فعَّال ؛ لأن لها مقدرةً فائقةً في الاشتقاقات الصرفية، وبذلك تنامت معانيها وأغنتها عن المزيد من المفردات.

---

(١) الفروق اللغوية (ص ١٢)، للإمام اللغوي أبي هلال العسكري، تحقيق: حسام الدين القدسي، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ طبعة.

(٢) الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز (ص ٢٨٠)، تأليف: السيد الإمام يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي اليمني، مراجعة وضبط محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١ ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

وفي ضوء ما تقدم فإننا: «نعني بالصيغة هنا: ورود الكلمة على حالة معينة من بين الصيغ التي نجدها في تصريف الكلمة»[١]، فهذا له دور خاص في بلاغة الأداء.

ولتوخي البلاغة في التعبير عن المعنى، لا بد من الدقة في تخير الصيغة التي تعبر عنه، وذلك ما يبدو من خلال استجلاء ما بين النص والصيغة من تقارب وانسجام، وهذا ما بينه المحققون من أهل العربية إذ قالوا: «إذا كان الرجل عدةً للشيء قيل فيه: مفعل، مثل: مرحم، ومحرب، وإذا كان قوياً على الفعل قيل: فعول، مثل: صبور، وشكور، وإذا فعل الفعل وقتاً بعد وقتٍ قيل: فعَّال، مثل: علاَّم، وصبَّار؛ وإذا كان ذلك عادة له قيل: مفعال، مثل: معوان، ومعطاء، ومهداء، ومن لا يتحقق المعاني يظن أن ذلك كله يفيد المبالغة فقط، وليس الأمر كذلك؛ بل هي مع إفادتها المبالغة تفيد المعاني التي ذكرناها»[٢].

ولأن القرآن بلسان عربي؛ فإن للصيغة دوراً في الإبانة عن المعنى، وهذه أمثلة تبين دورها في العبارة عن المعنى، ففي قوله - تعالى-: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، فإن صيغة (فعّال) أبلغ من صيغة

---

(١) جماليات المفردة القرآنية في كتب الإعجاز والتفسير (ص ٢٤١)، د. أحمد ياسوف، إشراف الدكتور: نور الدين عتر، دار المكتبي للتوزيع والنشر، سورية – دمشق، ط١، ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م.

(٢) الفروق اللغوية (١٢، ١٣)، وللمزيد الاطلاع على مختلف كتب الصرف في باب معاني الصيغ. مثل: شرح شافية ابن الحاجب.

فاعل ؛ لأن التوّاب هو الذي تتكرر منه التوبة مرةً بعد أخرى[(١)]، ولقوله ﷺ: (كل ابن آدم خطاء وخير الخطّائين التوابون)[(٢)].

ومن الأمثلة التي وردت في الدلالة على صيغ الأفعال: قوله - تعالى -: ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ﴾ [البقرة: ٢٨٦] ؛ حيث إن الفعل المجرد (كسب) جاء مناسباً ؛ إذ جعل الثواب على أدنى ملابسة للطاعة، وخص الفعل المزيد (اكتسب) ببناء المبالغة، ليكون العقاب على مزاولة عظيمة للفعل.

ومن صيغ الحروف استعمال (إنَّ) المشددة، فهي آلة في مدلول المعنى من استعمال (إنْ) المخففة، وكذلك الشأن في استعمال (لكنَّ) المشددة أكثر من المخففة (لكنْ)[(٣)].

ومثل هذا في اللغة له مواضع كثيرة، تصعب على الحصر، والفيصل في ذلك هو الذوق الصحيح، فعلى من أراد التأليف في موضوع، أن يتفقد - بالإضافة إلى صحة المعنى - مواضع الحس في ذات الصيغة، ليضع يده على الموضع الصحيح عند تناولها ؛ بالاستعمال في التعبير عن المراد[(٤)].

---

(١) ينظر: الطراز للعلوي (ص ٢٨٠).

(٢) ينظر: الجامع الصحيح (سنن الترمذي)، لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة، بتحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، الناشر المكتبة الإسلامية، كتاب صفة القيامة (رقم ٢٤٢٣)، وسنن ابن ماجه، لمحمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٥هـ)، حققه محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر العربي، كتاب الزهد، (رقم ٤٢٤١)، وسنن الدارمي، كتاب الرقائق، باب في التوبة (٢/ ٢٠٩)، أبو محمد عبد الله بن بهرام الدارمي، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م.

(٣) ينظر: الطراز (ص ٢٨١).

(٤) ينظر: المثل السائر (١/ ٢٩٣) وما بعدها.

ومن الآيات التي تنظم الصيغ في عقدٍ فريدٍ ما جاء في قوله - تعالى -:

﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَـٰشِعُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَـٰعِلُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَـٰفِظُونَ ۝ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَـٰنَـٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴾ [المؤمنون: ١-١١].

حول المعنى:

أخبر المولى ﷻ عن فلاح المؤمنين، وعن نوالهم الرتبة العلية الدائمة في الجنة، فقد روي أن الله - تعالى -: **(لمَّا خلق جنة عدنٍ قال لها: تكلمي فقالت: قد أفلح المؤمنون)**[1].

وقد وصف - تعالى - المفلحين بأنهم المتطامنون في صلاتهم، وأنهم الذين يُعْرِضون عن فضول الكلام، ويؤدون الزكاة، ويحفظون الأمانة التي ائتمنوا عليها من الله ﷿ ومن خلقه، لذلك استحقوا إرث الفردوس والخلود فيها[2]، **وترتبط الآيات الكريمة بآخر سورة الحج؛ ذلك أنه**: «تعالى خاطب المؤمنين بقوله - سبحانه -: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الحج: ٧٧].

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك عن أنس (٢/٤٢٦)، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ورواه عبد الملك بن حبيب السلمي موقوفاً على أبي العالية. ينظر: وصف الفردوس: (ص ٦)، لعبدالملك بن حبيب السلمي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

(٢) ينظر: المحرر الوجيز (١١/٢٢٢).

وفيها ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾، وذلك «على سبيل الترجيه، فناسب ذلك قوله - سبحانه - : ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ إخباراً بحصول ما كانوا رجوه من الفلاح»[1].

كما أن سورة (الحج) قد بينت الذين يُرجى فلاحهم وفوزهم، وآيات سورة (المؤمنون) تبين صفات هؤلاء المفلحين الفائزين، وهم الذين وفّقوا في أداء أنواع العبادات بالهيئات التي يجب أن يكون عليها المؤمن حتى يستحق الفلاح والفوز؛ فجاء التعبير عنهم بمختلف صيغ الأفعال والمشتقات التي تؤهلهم لوراثة الجنة، والتي دلت دلالة قاطعة على عمق الإيمان في نفوسهم؛ فظهرت بصورة متمكنة، أشارت إليها أحوال أفعالهم، وروي في سبب نزولها عن عمر بن الخطاب ﷺ أنه قال: (كان إذا نزل الوحي على رسول الله ﷺ يسمع عند وجهه دوي كدوي النحل، فمكثنا ساعة فاستقبل القبلة ورفع يديه، فقال: اللهم زدنا ولا تنقصنا، وأكرمنا ولا تهنا، وأعطنا ولا تحرمنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وارض عنا، ثم قال: لقد أنزلت علينا عشر آياتٍ من أقامهن دخل الجنة، ثم قرأ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ إلى عشر آياتٍ)[2].

---

(١) البحر المحيط (٦/٣٦٥)، وينظر: نظم الدرر (١٣/١٠٥).

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند (أول مسند عمر بن الخطاب)، والترمذي في جامعه، أبواب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ، ومن تفسير سورة المؤمنين (٣٢٢٢)، والحاكم في المستدرك (كتاب الدعاء والتكبير (١٩٦١)، وأسباب النزول (ص ٢٥٨)، والجامع لأحكام القرآن (٦/١٢/١٠٩)، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تحقيق: محمد إبراهيم الحفناوي، خرج أحاديثه: محمد حامد عثمان، دار الحديث، ط١، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.

وعن أبي هريرة[١] ﷺ أن رسول الله ﷺ: (كان إذا صلى رفع بصره إلى السماء، فنزل قوله - تعالى -: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَـٰشِعُونَ ...﴾ الآيات)[٢].

صفات المؤمنين بين صيغ الأفعال وبلاغة معانيها في قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾:

ورد أنه استهلت الآيات المباركة بقوله سبحانه ﴿ قَدْ ﴾؛ لأنها: «تفيد التقريب إذا دخلت على الماضي، وهي لقوم يتوقعون أمراً، فيقال لهم: قد كان ذلك»[٣]، وجاء أنه «ليس من الوجه الابتداء بها إلاَّ أن تكون جواباً لمتوقع، وقوله - جلَّ وعزَّ -: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ على هذا المعنى؛ لأن القوم توقعوا علم حالهم عند الله تبارك اسمه، فقيل لهم: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾»[٤].

---

(١) أبو هريرة الدوسي صاحب رسول الله ﷺ، وأكثرهم حديثاً عنه، وقد اختلف في اسمه اختلافاً كثيراً، فقيل عبد الرحمن وقيل عبد شمس وقيل غير ذلك. وقد رآه رسول الله ﷺ وفي كمه هرة فقال: **(يا أبا هريرة)**، وكان من أصحاب الصفة، أسلم عام خيبر، وشهدها مع رسول الله ﷺ، ولازمه وواظب عليه رغبة في العلم، فدعا له رسول الله ﷺ، ينظر: الاستيعاب (٤/ ٢٠٢)، والإصابة (٤/ ٢٠٢).

(٢) أسباب النزول (ص ٢٥٩)، والمؤتلف والمختلف (١/ ٣٨٨)، للإمام الحافظ أبي الحسن علي بن عمر الدار قطني البغدادي، دراسة وتحقيق د. موفق عبد القادر، دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

(٣) كتاب حروف المعاني (ص ١٣)، لأبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي، تحقيق د. علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة. سوريا، ط٢، ١٤٠٦هـ.

(٤) الصاحبي (ص ٢٤٠)، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: السيد أحمد صقر، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة.

والمراد مما سبق أن كلمة ﴿ قَدْ ﴾ هنا لإفادة ثبوت ما كان متوقعاً لهم، والمؤمنون كانوا متوقعين حصول مثل هذا الفوز المؤزر، وهو الفلاح، وعليه فإن ﴿ قَدْ ﴾ أفادت ما توقعوه لا الإخبار به بناءً على أعمالهم الصالحة المؤدية لذلك.

والذي يلوح لي أن هذا إخبار من الله تعالى، وليس توقعاً من المؤمنين، كما سبق بيانه؛ لأنه مفتتح السورة المباركة، وهذا الخبر موجه إلى من خلا ذهنه منه، ومن شأن من خلا ذهنه أن يأتي إليه الخبر غير مؤكد، ولكن الملحوظ أنه أكد حتى يستوثق المؤمنون لأول وهلة به؛ لأنه إخبار بأمرٍ عظيمٍ، والخبر العظيم بحاجةٍ إلى التأكيد؛ لأن النفس قد تتساءل عن هذا الخبر مستغربة: أحدث هذا؟ فجاء لذلك مؤكداً لتطمئن نفوسهم إلى خبر هذا الفلاح.

ولقد ساعد على توضيح هذا المعنى وتأكيده، البشارة لهم بصيغة (أفلح)، وذلك «مثل قولك: أسقيته، يفيد أنك جعلت له سقياً أو حظاً من الماء»[1]، ويقال: أَبْشِرْ: إذا دخل في البشارة، ويقال: أفلح إذا أصاره إلى الفلاح[2]، والإصارة بمعنى التصيير، فيكون متعدياً كما كان لازماً؛ وهو المشهور في

---

(١) الفروق اللغوية (ص ١٣).

(٢) ينظر: حاشية ابن التمجيد (١٣/ ١٣٥)، وتفسير روح البيان (٦/ ٨٧)، للشيخ إسماعيل حقي البروسوي، تعليق: أحمد عزو، عناية دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.. "وتستعمل هذه الصيغة للتعدية نحو: أجلسته، وللتعريض نحو: أبعته، وللصيرورة، والمراد بالصيرورة، صيرورة ما هو فاعل أفعل، صاحب الشيء، أو أفعل صار ذا أصله الذي هو مصدر الثلاثي بمعنى أنه فاعله". شرح شافية ابن الحاجب (١/ ٨٨)، وتصريف الأفعال (ص ١١٠)، د. محمد عبد الخالق عضيمة.

الاستعمال، والهمزة للتصيير، والمعنى المراد هنا: أنه جعل لهم حظاً ونصيباً من الفوز؛ لذلك يقال: إنهم أفلحوا، والفلاح: الفوز والظفر بالمراد، والبقاء في الخير[١]. فإضافة الهمزة - بقوتها- في أول الفعل (فلح) تشير إلى مبدأ العزيمة في اكتساب الفلاح، وتدل على أنه فاعل هذا الفلاح بتقلده صفات المؤمنين المذكورة.

كما لا يخفى أثر التعبير بالماضي في قوله تعالى: ﴿أَفْلَحَ﴾، فقد أفادت تحقق دخولهم في الفلاح، ولما كانت الصيغ ذات أثرٍ في تحقيق المعنى المراد؛ فإنه قد أوثر التعبير بالفعل المضارع في قوله ﷻ: ﴿وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١]، امتداد للفلاح الذي جاء في آخر سورة الحج في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: ٧٧].

أي: لتكونوا على رجاء من الفوز بالمطلوب الذي مضى أول سورة — المؤمنون- تعليقه بتلك الأوصاف التي منها رعاية الأماكن[٢]، ثم امتدحهم بصيغة اسم الفاعل ﴿ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾، جمع مفردها مؤمن من (أَأْمِن)، وأصل الأمن طمأنينة النفس وزوال الخوف[٣].

ولا يخفى مجيء لفظ ﴿ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ على صيغة اسم الفاعل، فهذه الصيغة بما حصل فيها من تغيرات، وما طرأ على مادتها الأصل من حروف، ابتداءً

(١) ينظر: المفردات (ص ٣٨٥)، ونظم الدرر (١٣/ ١٠٥)، وتفسير روح البيان (٦/ ٨٧).

(٢) ينظر: نظم الدرر (١٣/ ٢٦٤).

(٣) ينظر: المفردات (ص ٢٥).

بحرف الميم المذلقة، وهو يدل على سهولة المؤمن، ويشير بخفته إلى ما سيأتي من باقي حروف الصيغة، مما كشف معه مكنون نفس المؤمن، وقد تفاعلت مع الإيمان، وارتبطت بوشيجته؛ كما ارتبط صوت الميم - بقصره- مع امتداد صوت الواو، ثم امتزاجه بسكون صوت الواو؛ مما أظهر معه صوت الهمزة، فألمحت هذه الأصوات المتداخلة إلى ما يكون في نفس المؤمن من إيحاءات لصفات المؤمنين، يستدل بها إلى كيفية الوصول إلى درجة الكمال.

ثم جاء التعبير بالصفة الثانية - في صلة للموصول- على صيغة اسم الفاعل ﴿خَٰشِعُونَ﴾ في قوله - تعالى- : ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ﴾، والجملة يحتمل أن تكون عطف بيان، أو صفة للمؤمنين، ويحتمل أن تكون خبراً لمبتدأ محذوف تقديره: (هم الذين)، وعلى هذا الاحتمال، تكون الجملة مفصولة عن الجملة السابقة ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ لشبه كمال الاتصال[1]، فالجملة الأولى تثير سؤالاً تقديره: من هم المؤمنون؟ فنزِّل هذا السؤال منزلة الواقع، فكانت الجملة الثانية بمثابة الجواب عليه. والقيمة البلاغية لذلك تتمثل في بنية هذا التعبير التي تدل على تلاحم الكلام، ولشدة ما بين الجملتين من اتصال؛ كانت الجملة الأولى والثانية شيئاً واحداً. أي أن المؤمنين الذين أفلحوا هم المؤمنون الذين يخشعون في صلاتهم. والخشوع: هو «الضراعة، وأكثر ما تستعمل فيما يوجد في القلب، ولذلك قيل: إذا ضرع القلب خشعت الجوارح»[2].

---

(١) وهو ما يسمى بالاستئناف البياني.

(٢) ينظر: المفردات (ص ١٤٨)، وينظر: تفسير روح البيان (٦/ ٨٧).

والمراد بهذا: تأديتها كاملة على أتم وجه. والمتأمل لهذه الصيغة يجدها خير ما يجسد صورة المصلي؛ وهو قائم بين يدي العزيز الحميد، وقد أشارت إلى ذلك الألف التي أضيفت بعد فاء الكلمة؛ فأومأت إلى عظمة هيئة المصلي، وقد بدا الخشوع على جوارحه، فهو منكس الرأس، خافض العينين إلى موضع مصلاه، جامع يديه وقدميه بهيئة المنكسر الذليل أمام عظمة الجبار، وقلبه ينبض بالدعاء والاسترحام، ولسانه يلهج بذكر الله – تعالى –، وقد علاه شعور الرجاء بقبول عمله ودعائه. وعبر بالاسم هنا ﴿خَٰشِعُونَ﴾ دون يخشعون؛ لأنه يفيد الثبوت والدوام، ولكن لما كان المؤمن لا يكون في حالة صلاة دائمة، ولكن الخشوع حالة توجد في قلب المؤمن، فهي تظهر على جوارحه بصورة مستمرة في كل صلاة؛ لأنه في حالة تذكرٍ دائم لها، ومحافظ عليها؛ فإنه بذلك يكون على استعدادٍ واستحضارٍ دائمين لموقف الخشوع، إيماناً بالله – تعالى –، وحباً في أداء الصلاة؛ فلذلك ناسب الوصف بصيغة اسم الفاعل لما لها من دلالة على ذلك.

ولأهمية الخشوع يقول – تعالى –: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٥].

يريد بذلك الإشادة بأهمية الخشوع في الصلاة، وأنه ملازم لها، كما أن «وصفهم بالخشوع في الصلاة ليدل على أنهم بلغوا الغاية في القيام على الطاعات البدنية (...)، والتجنب عن المحرمات، وسائر ما توجب المروءة اجتنابه»[1]؛ لأن

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٢/ ٩٩)، وحاشية القونوي (١٣/ ١٣٧).

الخشوع وصف للمؤمن في الصلاة خاصة، وهو كناية عن سكون الجوارح؛ حيث عُبر بسكون الجوارح، وأريد به الإقبال التام على العبادة - وهي الصلاة -؛ لأن سكون الجوارح دليل خشوع القلب[1]، **وكان لاختيار أحد حروف المعاني أثر في تجسيد هيئة المصلين الخاشعين**، وهو حرف الجر (في)، ففيه خاصية: بيان للهيئة التي يجب أن يكون عليها المصلون في صلاتهم قلباً وقالباً؛ فهم «أذلاء ساكنون متواضعون مطمئنون قاصرون بواطنهم وظواهرهم على ما هم فيه»[2].

فالصلاة تحفظهم من عبث الشيطان، وهم يحفظونها من عبث الأفكار والجوارح، والذي وضّح هذين المعنيين ما روي عن أبي الدرداء[3] ﷺ: «إعظام المقام، وإخلاص المقال، واليقين التام، وجمع الاهتمام، ويتبع ذلك ترك الالتفات، وهو من الشيطان؛ فقد روى البخاري[4]،

---

(١) فإن القلب لما كان في الجسد كالملك المطاع، كان مداراً لصلاح كل الأعضاء.

(٢) نظم الدرر (١٣/١٠٦).

(٣) عويمر- وقيل: عامر - بن زيد، وقيل غير ذلك- بن قيس بن أمية بن عامر بن عدي الأنصاري الخزرجي، مشهور بكنيته، أسلم يوم بدر، وشهد أحداً، كان تاجراً قبل الإسلام، فلما أسلم لزم العبادة، توفي آخر خلافة عثمان ﷺ. انظر: الاستيعاب (٤/ ٥٩)، والإصابة (٣/٤٥).

(٤) محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي البخاري، جبل الحفظ، وإمام الدنيا في فقه الحديث، له: الجامع الصحيح (صحيح البخاري) أصح الكتب بعد كتاب الله. توفي سنة ٢٦٢هـ. ينظر: تقريب التهذيب (ص ٤٦٨)، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، قابله وقدم له محمد عوامة، دار الرشيد، حلب، ط١، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م، وطبقات الحفاظ (ص ٢٥٢)، عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

وأبوداود[١]، والنسائي[٢] عن عائشة[٣] رضي الله عنها قالت: سألت رسول الله ﷺ عن الالتفات في الصلاة، فقال: **(هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد)**[٤]»[٥].

وفي تقديم المسند على المسند إليه في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾ تخصيص المسند بالمسند إليه[٦]. ويرى الطاهر بن عاشور أنه «للاهتمام بالصلاة للإيذان بأن لهم تعلقاً شديداً بالصلاة؛ لأن شأن الإضافة

---

(١) سليمان بن الأشعث السجستاني: إمام في الحديث، روى عنه أحمد بن حنبل وروى هو عن أحمد بن حنبل، أحد أئمة الدنيا فقهاً وعلماً وحفظاً ونسكاً وورعاً وإتقاناً، صاحب كتاب السنن والناسخ والمنسوخ مات سنة ٢٧٥هـ. ينظر: طبقات الفقهاء (ص ١٧٢)، أبوإسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي، تصحيح خليل الميس، دار القلم، بيروت، بدون تاريخ طبعة، وطبقات الحفاظ (ص ٢٦٥).

(٢) أحمد بن شعيب بن علي بن سنان بن بحر بن دينار الخراساني النسائي. القاضي الإمام الحافظ شيخ الإسلام أحد الأئمة المبرزين والحفاظ المتقنين والأعلام المشهورين طاف البلاد وسمع من خلائق، له من الكتب السنن الكبرى والصغرى، مات سنة ٣٠٣هـ. ينظر: تقريب التهذيب (ص ٨٠)، وطبقات الحفاظ (ص ٣٠٦).

(٣) عائشة: أم المؤمنين بنت أبي بكر الصديق بن أبي قحافة بن عثمان، أم عبد الله القرشية التيمية، ولدت بعد البعثة بأربع سنين أو خمس، تزوجها رسول الله ﷺ بمكة، ودخل بها بعد الهجرة، أفقه النساء طراً، روت عن النبي ﷺ أحاديث كثيرة، توفيت سنة ٥٨ هـ، وقيل: ٥٧، ودفنت بالبقيع. ينظر: الاستيعاب (٤/٣٥٦)، والإصابة (٤/٣٥٩).

(٤) صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب الالتفات في الصلاة (ص ١٥٦)، رقم (٧٥١).

(٥) روح المعاني (٩/١٨/٢٠٦، ٢٠٧).

(٦) ينظر من أسرار تقديم المسند على المسند إليه في: الإيضاح (ص ١٠٧).

أن تفيد شدة الاتصال بين المضاف والمضاف إليه ؛ لأنها على معنى لام الاختصاص»[١]. وأرجح أن يكون التقديم للتخصيص، وذلك ؛ لأن:

* الخشوع من صفات الصلاة، فقدم المسند لبيان أن هؤلاء هم الذين يخشعون في صلاتهم فلذلك استحقوا الفلاح.

* والاهتمام بالصلاة يؤديه معنى قوله - تعالى -: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ [المؤمنون: ٩]، **وقيد الخشوع بالصلاة**، للجمع بين وصفهم بأداء الصلاة وبالخشوع، ومع أن الخشوع ليس من أعمال الصلاة ؛ لأن محله القلب، فإن تقييدها به ؛ يشير إلى أهمية الخضوع لله ﷻ، فهو أحد نتائج الخشوع، كما أن الخشوع في الصلاة يستدعي مشاعر الإيمان، مما يجعل: «المصلي يناجي ربه، فيُشْعر نفسه أنه بين يدي ربه فيخشع له، وهذا من آداب المعاملة مع الخالق - تعالى -، وهو رأس الآداب الشرعية، بل ومصدر الخيرات كلها»[٢]. ولما كان الخشوع مصدر هدوء النفس، واستقرار الأفكار، وهو مشهد يتكرر مراتٍ كل يوم ؛ ناسبه النفس الآمنة المطمئنة التي تأنس إلى السكينة والألفة، لذلك امتدحهم - سبحانه - قائلاً: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ لتتكامل فيهم الخصائص النفسية للمؤمن المفلح.

واللغو في اللغة: مصدر للفعل (لغا)، وهو الكلام الذي لا يعتد به، وهو الذي يورد لا عن روية وفكرٍ، فيجري مجرى اللّغا، وهو صوت العصافير ونحوها من الطيور[٣].

---

(١) التحرير والتنوير (٩/ ١٨/ ١٠).

(٢) المصدر ذاته (٩/ ١٨/ ٩).

(٣) ينظر: المفردات (ص ٤٥١)، ولسان العرب (١٥/ ٢٥٠)، (باب الألف، فصل اللام).

ولقد بين الطبري[١] معنى اللغو في الآية المباركة بأنه الباطل ؛ حيث قال : «الذين هم عن الباطل وما يكرهه الله من خلقه معرضون»[٢]، كما فسر الصاوي[٣] اللغو بأنه : «كل ما لا فائدة ولا نفع فيه من القول أو العمل مكروهاً أو مباحاً، كالهزل واللعب وضياع الأوقات فيما لا يغني، والتوغل في الشهوات، وغير ذلك مما نهى الله – تعالى – عنه، وبالجملة فينبغي للإنسان أن يُرى ساعياً في حسنةٍ لمعاده، أو درهمٍ لمعاشه»[٤]، وهو تفسير أوضح، وبيان أشمل مما بينه الراغب[٥]، والطبري ؛ لأن معاني هذه الآية الكريمة اشتملت

---

(١) محمد بن جرير بن يزيد، أبو جعفر الطبري، إمام المفسرين، وأحد الأئمة الكبار، جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد، سمع من ابن منيع وهناد وغيرهما، وأخذ عنه الطبراني وابن كامل وطائفة، استوطن بغداد وأقام فيها، له من التصانيف : التفسير المشهور، والتاريخ المشهور أيضاً، وغيرهما كثير. توفي سنة ٣١٠هـ. ينظر : طبقات المفسرين (٩٥)، جلال الدين السيوطي، تحقيق علي محمد عمر، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ١٣٩٦هـ، ١٩٧٦م، وطبقات المفسرين (٣٧٤)، محمد بن علي بن أحمد الداودي، صبطه عبد السلام عبد المعين، منشورات محمد علي بيضون (دار الكتب العلمية)، بيروت- لبنان، ط١٤٢٢، ١هـ/٢٠٠٢م.

(٢) جامع البيان (٥/ ٣٥٠).

(٣) أحمد بن محمد الخلوتي، المشهور بالصاوي، فقيه مالكي، نسبته إلى (صاء الحجر) في إقليم الغربية بمصر، توفي بالمدينة، من كتبه : (حاشية على تفسير الجلالين)، و(الفرائد السنية)، وغيرهما. توفي (سنة ١٢٤١هـ/ ١٨٢٥م). ينظر : الأعلام (١/ ٢٤٦).

(٤) حاشية الصاوي على تفسير الجلالين (٢/ ٣/ ١٠٥)، لأحمد بن محمد الصاوي المالكي الخلوتي، مراجعة الشيخ علي محمد الصباغ، الطبعة الأخيرة، دار الجبل - بيروت.

(٥) الحسين بن محمد بن المفضل ؛ الراغب الأصبهاني، نزيل بغداد، صاحب المصنفات البديعة، له التفسير الكبير، والمفردات، ومحاضرات الأدباء، توفي سنة ٥٠٠ هـ. ينظر : البلغة في تاريخ أئمة اللغة (٧٠)، وهدية العارفين (١/ ٢٥٦).

على كثيرٍ من خصائص الأخلاق الفاضلة التي تليق بكرامة المؤمن ؛ كما بينت الطريق الصحيح الذي يجب أن ينتهجه في مواجهة ما يعرض له من صعوبات ؛ لضمان حياة هنيئة كريمة. و﴿مُعۡرِضُونَ﴾ من الفعل **أعْرض**. يقال: أعرض عن الشيء: إذا ولاّه ظهره[1].

ولصيغة **﴿مُعۡرِضُونَ﴾ قيمة بلاغية** تنبئ عن نفس المؤمن، وقد تباعدت عن اللغو وما فيه من متع لا توافق نفسه المؤمنة المفلحة التي تسامت بالالتجاء إلى الله - تعالى-، كما أنها أفادت بلوغهم كمال الإيمان ؛ فنفوسهم وجوارحهم متعالية عن الدنايا، كما أفاده حرف الجر ﴿عَنِ﴾، و﴿مُعۡرِضُونَ﴾ أدت المعنى المراد دون غيره من الصيغ، فقد أشارت الميم المضمومة إلى العزم على الإعراض، وتجافي اللغو والابتعاد عن أهله، وفي هذه إشارة إلى انشراح نفس المؤمن وتطامنها بما هي فيه. ثم بانتهاء الصيغة بالواو التي تدل على الكثرة ؛ فقد أشعرت بامتداد صوتها مع صوت ضمة الضاد إلى إعراض لا نهاية له.

وأخيراً فوصف المؤمنين بالإعراض قد دعمته حروف الزيادة التي كونت هيئة المؤمن المعرض الملتزم بما عليه، فكان عدةً وقدوة في الالتزام.

---

(١) ينظر: لسان العرب (١٧٦/٧)، (باب الضاد، فصل العين).

وهذه الصيغة اسم فاعل من غير الثلاثي، فصيغة اسم الفاعل منه على وزن مضارعه المبني للمعلوم، ثم يبدل حرف المضارعة ميماً مضمومة، وبكسر ما قبل الآخر: أعرض يعرض إعراضاً فهو معرض. ينظر: المقتضب (١١٤/٢)، (٧٤/١ -٧٧)، وهي صيغة تدل على قرار الصفة في صاحبها. ينظر: المغني الجديد في علم الصرف (ص ٢٤٧)، د. محمد خير حلواني. وهي وصف لمن كان عدة في الشيء. ينظر: الفروق اللغوية (ص ١٢).

وهي كناية عن صفة: ذلك أن الإعراض عن الشيء هو أن يولي الإنسان ظهره، أو جانبه لشيء آخر، ويلزم من ذلك الترك؛ فالإعراض كناية عن الترك.

ولقد ناسب وصفُهم بالإعراض عن اللغو وصفَهم بالخشوع: ذلك أنه - تعالى - جمع له الفعل والترك الشاقين على الأنفس، وهما القاعدتان الأساسيتان في التكليف[1]، وهذا الفعل والترك أسلوب بديعي يسمى **طباق إيجاب، أفاد وصفهم** بالخشوع في الصلاة، وتركهم اللغو[2]. **وتتجلى أسرار بلاغة هذا اللون البديع** في أنها جعلت المؤمن بين الأمر بفعلين متضادين: أحدهما الأمر بالخشوع، والآخر الأمر بترك اللغو، والإعراض عنه، وهنا يتجلى عمق الإيمان، وتتكون شخصية المؤمن المفلح، **وحقيقة إعراضهم - عن اللغو - لاشتغالهم** بالجد بما أمرهم به - تعالى - عن كل ما سواه[3]، ويرى أبو السعود أن الإعراض في عامة أوقاتهم، بدلالة التعبير بالاسم، لا ما هم فيه من الحالة الإيمانية الداعية إلى الإعراض، ولا مجرد الاشتغال بالجد في أمور الدين كما قيل[4]، وأرى أنه الرأي الأنسب؛ لأن من أطاقت نفسه تحمل جهد الاشتغال بأمور الدين، فإنها بلا شك ترغب عن كل ما فيه عبث. ولهو وإضاعة الأوقات بما لا فائدة فيه، فمن ذاقت نفسه الراحة بجنب الله - تعالى - شقيت بجنب ما سواه.

---

(١) ينظر: الكشاف (٣/١٧١)، والبحر المحيط (٦/٣٦٦).

(٢) ينظر: إعراب القرآن وبيانه (٥/١٨٨)، لمحيي الدين درويش.

(٣) ينظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/٦)، للزجاج، والبحر المحيط (٦/٣٦٦).

(٤) ينظر: إرشاد العقل السليم (٤/٤٠٢).

ثم تتكامل صفات المؤمنين بفعلهم الزكاة، حيث يقول — تعالى- : ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ﴾، لا يخفى أن لفظ ﴿فَٰعِلُونَ﴾ جاء في صيغة مشتقة من الفعل الثلاثي (فَعَلَ)[1]، وقيمتها البلاغية تتمثل في المناسبة لمعنى الزكاة، لأنها تدل على القدرة على فعل الفعل، وعلى التهيؤ له إيماناً بالله - تعالى - ، كما تنبئ هذه الصيغة للمتأمل بالتصميم والإرادة الجادة باتخاذ كل طرق الطاعات القولية والفعلية. كذلك فإن صيغة اسم الفاعل هنا متناسبة من حيث الزمن؛ لأنها تفيد دوام واستمرار فعل الزكاة في أوقاته المناسبة له، والأيام المشروعة لأن يفعلوها. ثم وجود الألف بين أصوات الصيغة (فَعَل) للإشارة إلى ما يتطلبه بذل المال في سبيل الله — تعالى- من جهدٍ في تحقيقها، فهذا التفاعل بين المعنى والصيغة من حيث مدلولها ساعد على استجلاء المعنى المراد تصويره، قد حددته الألف بموقعها بعد فاء الفعل.

ولأهمية الزكاة - فهي الركن الثالث من أركان الإسلام - فإنه قد أشاد بفاعليها. والزكاة: من الفعل (زكا): الزاء والكاف والحرف المعتل، أصل يدل على نماء وزيادة، ويقال: الطّهارة: زكاة المال[2]. ويقال: «الزكاة لما يُخْرج الإنسان من حق الله - تعالى- إلى الفقراء، وتسميته بذلك لما يكون فيها من رجاء البركة؛ أو لتزكية النفس؛ أي: تنميتها بالخيرات والبركات»[3].

---

(١) وهو فعل ثلاثي مجرد، لذلك فإن صيغة اسم الفاعل منه على وزن (فاعل)، وهذه الصيغة يكثر اشتقاق اسم الفاعل منها؛ سواءً أكان الفعل لازماً أم كان متعدياً. ينظر: المغني الجديد في علم الصرف (ص ٢٤٨). وأما دلالتها: فهي كما سبق في صيغة (معرضون).

(٢) ينظر: معجم مقاييس اللغة (١٧/٣).

(٣) المفردات (ص ٢١٣).

والمراد بها هنا الزكاة المفروضة: وهذا بيِّن، ويحتمل أن يُراد بالزكاة الفضائل، كأنه أراد الأزكى من كل فعلٍ[١].

وأرى أن المراد بها هنا الزكاة المفروضة؛ لأن الآية السابقة قوله - تعالى -: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ تطهيراً لهم عن الدنايا؛ فلذلك ناسب وصفهم في الآية التي بعدها بالزكاة المشروعة. واللام **بمعنى لأجل في قوله- سبحانه -:** ﴿لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ﴾ أي من أجل أن فعل الزكاة من الأمور المقبولة المرضية لله ﷻ، وبها ينال العبد نماء عمله وطهارة نفسه.

ثم وصفهم مادحاً لهم بقوله - تعالى -: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ [المؤمنون: ٥-٦].

ولا يخفى أن لفظ ﴿حَٰفِظُونَ﴾ جاء في صيغة اسم الفاعل من الفعل (حفظ)، وقد استعمل هنا فيما يتفقد ويتعهد[٢]. واسم الفاعل منه على وزن (فاعل)، بمعنى قائم على حفظها، فهم «يضبطونها، وذكرها بعد اللغو الداعي إليها، وبذل المال الذي هو من أعظم أسبابها عظيم المناسبة ثم استثنى من ذلك، فقال: ﴿إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ﴾ اللائي ملكوا أبضاعهن بعقد النكاح، ولعلو الذكر عُبِّر بـ﴿عَلَىٰٓ﴾»[٣]، فالآية الكريمة ثناء وتعظيم لهؤلاء المؤمنين الذي قدَّموا رضا ربِّ العالمين فوق كل رغبة دنيوية.

وعُبِّر بالاسم ﴿حَٰفِظُونَ﴾ ليدل على ثبوت الحفظ ودوامه عن غير ما أحل لهم، وهو ما دخل في حيز الاستثناء بقوله تعالى: ﴿إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ

---

(١) ينظر جامع البيان (٥/٣٥٠)، والمحرر الوجيز (١١/٢٢٢).

(٢) ينظر: المفردات (ص ١٢٤).

(٣) نظم الدرر (١٣/١٠٨).

غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ ولقد قُدر متعلق ﴿عَلَىٰٓ﴾ بأنه: يلامون في إطلاق ما حظر عليهم، إلاّ على أزواجهم فلا يلامون في تزوج أربع، وملك اليمين[١]. **وجملة الصيغة المباركة ﴿حَـٰفِظُونَ﴾ كناية عن نسبة؛** حيث نسب الحفظ إلى الفروج - والمراد بها هنا فروج القميص[٢] محفوظة عن المحرم -، والمراد نسبته إلى أصحابها. **والغرض من الكناية:** الوصف بالعفة، والإشادة بها، والترفع عن دواعيها.

ثم امتدحهم المولى تبارك وتعالى بقوله - سبحانه -: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَـٰنَـٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ﴾.

الأمانة: من الأمن، ومادته: الهمزة والميم والنون، ومن هذه المادة أصلان متقاربان، أحدهما الأمانة التي هي ضد الخيانة، والمراد بها سكون القلب، والآخر: التصديق، والمعنيان متدانيان[٣]. قرأها ابن كثير[٤] بالتوحيد أمانة، وقرأها الباقون بالجمع[٥]، وآثروا «التوحيد لخفته، ولأنه يدل على ما يدل عليه

(١) ينظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/٦)، والكشاف (٣/١٧٢).

(٢) ينظر: البرهان في علوم القرآن (٢/٣٠٥، ٣٠٦)، والإتقان في علوم القرآن (٢/٦١)، وجماليات المفردة القرآنية (ص ٢٥٧، ٢٥٨).

(٣) ينظر: معجم مقاييس اللغة (١/١٣٣)، (باب الهمزة والميم وما يثلثهما).

(٤) عبد الله بن كثير، من قراء مكة، كان مولى عمرو بن علقمة الكناني، قرأ على ابن أبي السائب، ولقي من الصحابة أبا أيوب وابن الزبير وأنس، وإليه صارت رئاسة القراءة بمكة دون منازع، مات سنة ١٢٠هـ بمكة. ينظر: الفهرست (ص ٤٢) محمد بن إسحاق النديم، دار المعرفة، بيروت (د.ت)، والنشر في القراءات العشر (١/١٢٠)، محمد بن محمد بن الجزري، أشرف على تصحيحه علي محمد الضباع، دار الفكر، دون تاريخ.

(٥) ينظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/٧) للزجاج، وإعراب القرآن (٣/١١٠) للنحاس.

الجمع، ويناسب قراءة التوحيد أنَّ بعده: ﴿وَعَهْدِهِمْ﴾، وهو مصدر»[١] يدل على القليل والكثير، **وقراءة الجمع: (أماناتهم)** مناسبة من جهة أن الله – تعالى- ائتمن الخلق على أشياء كثيرة، منها الوضوء والغُسْل والصيام، والوديعة، وحفظ السر لمن ائتمن غيره عليه، وغير ذلك، فهذه مما بينهم وبين الله – تعالى -، أو بينهم وبين عباده كالودائع والبضائع[٢]. فهذا الجمع جاء على اعتبار تعدد أنواعها واختلافها، وكذلك تعدد القائمين عليها. **وفي قراءة ابن كثير: (أمانتهم)** على الإفراد، ما يدل على أنه: «ليس المراد رعى جميعهم أمانةً واحدةً، بل المراد رعي كل واحدٍ منهم ما عنده من الأمانة التي اؤتمن هو عليها من جهة الحق أو الخلق»[٣]، ولا تعارض - عندئذٍ - بين القراءتين.

ثم امتدح – سبحانه - المؤمنين بأنهم ﴿رَٰعُونَ﴾ حيث قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ﴾ والرعْي: مصدر، وفعله رَعَى الكلأ ونحوه، وراعى أمره: أي حفظه[٤].

---

(١) الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها (٢/١٢٥)، لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي، ت/د. محيى الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٥، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

(٢) ينظر: إعراب القرآن للنحاس (٣/١١٠، ١١١)، ومفاتيح الغيب (١٢/٢٣/٧١) وتفسير القرآن العظيم (٣/٢٦٦)، لأبي الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي، ضبطه حسين زهران، دار الفكر، ط٢، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، ونظم الدرر (١٣/١٠٩).

(٣) حاشية ابن التمجيد (١٣/١٤٢).

(٤) ينظر: لسان العرب (١٤/٣٢٥ - ٣٢٧)، (باب الألف، فصل العين).

(راع) على وزن فاع، راعى - يرعى - راع، أعلت إعلال قاضٍ. وأصلها (راعو) قلبت الواو ياءً لتطرفها وانكسار ما قبلها، فصارت راعي، فحدث لها ما حدث لقاضٍ. ينظر هذا التغيير في: المغني الجديد في علم الصرف (ص ٢٤٩).

ولهذه الصيغة (راعون) قيمة بلاغية: حيث إنها جاءت على وزن اسم الفاعل: لترسم لنا هيئة المؤمن القائم على شؤونه الدينية، قيام مجدٍّ حريصٍ على مراقبة الله ﷻ في أداء العبادات التي بينه وبين ربه، والتي بينه وبين الخلق من ودائع ومؤتمنات، يجعل كل ذلك في رعايته وكنفه بهمةٍ وأمانةٍ مجرداً من الزمن، هذا شأن الصيغة في بيان كيفية المراعاة، دون التقيد بزمنٍ ماضٍ أو حاضرٍ أو مستقبل، وذلك ليتناسب مع امتداحهم بالمراعاة، والقيام بها حدثاً واقعاً كلما حان وقته، والتعبير بالاسمية أدل على ثبوتها لها. ورعاية **العهد مجاز**[1] بمعنى ملاحظته عند كل مناسبة، وأرى أنها استعارة مكنية: حيث شبه العهد والأمانة، بشيء مادي ثمين، يحافظ عليه ويراعى، ثم حذف المشبه به، وأثبت لازم المشبه به للمشبه، وهو المراعاة، وإثبات المراعاة للأمانات قرينة، وهي استعارة تخيلية، أي تخيل للسامع أو القارئ أن الأمانات مما يراعى ويلاحظ. وفي هذا بيان لمشقة القيام على الأمانة، مما يستحق معه المؤمنون الوصف بالفلاح، ولعظم الأمانة، وعظم مراعاتها، فقد جاءت الإشادة بفعل الصلاة تالية لها، إشعاراً بأهمية ذلك.

كما جاءت على صيغة الفعل المضارع لتدل على حدوث الحفظ في أوائل أوقاتها، وقيامهم بها على الوجه المرضي، مما ندب إليه المولى - تبارك وتعالى - فيجددون تعهدها بغاية جدهم، لا يتركون شيئاً من مفروضاتها ولا مسنوناتها؛ بل يجتهدون في إكمالها[2].

---

(١) ينظر: أساس البلاغة (ص ٢٣٨)، والتحرير والتنوير (٩/١٨/١٧).

(٢) ينظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/٧)، وحاشية ابن التمجيد (١٣/١٤٢)، ونظم الدرر (١٣/١٠٩)، وحاشية القونوي (١٣/١٤٢).

ولقد جاء من الصيغ مضارعاً ﴿يُحَافِظُونَ﴾ ؛ مع إضافة الألف بصوتها الممدود بعد صوت الفتحة القصير بعد الضمة ؛ مما يشعر بالاستعداد لأدائها، نظراً لاحتياجها إلى همةٍ وعزم.

ومجيء ﴿يُحَافِظُونَ﴾ بصورة المضارع مخالفاً لما سبق من فواصل الآيات، إذ جاءت كلها اسمية: خاشعون، معرضون، فاعلون، عادون، راعون، بينما هذه - يحافظون - على صورة الفعل المضارع لتناسب تجدد الصلاة واستمرارها[1].

وجاء التعبير بأسلوب الاستعارة المكنية في قوله تعالى: ﴿هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾.

فقد شبهت الصلاة بشيء مادي ذي قيمة وأهمية، وحذف المشبه به، وأبقى على شيء من لوازمه وهو المحافظة، وهي من أعظم دلائل أهميتها.

ولقد وردت موحدة على قراءة حمزة[2] والكسائي[3] للجنس، ليفيد الخشوع في جنس الصلاة، أية صلاة، وبالجمع عند الجماعة، إشارة إلى

---

(١) ينظر: حاشية ابن التمجيد (١٣/ ١٤٢).

(٢) حمزة بن حبيب الزيات القارئ ؛ أبو عمارة الكوفي التيمي، صدوق زاهد، كان إمام الناس في القراءة، مجود عارف بالفرائض والعربية، له: كتاب القراءة، وكتاب الفرائض. توفي سنة ١٥٦، أو ١٥٨هـ. ينظر: النشر في القراءات العشر (١/ ١٦٦)، وتقريب التهذيب (١٧٩).

(٣) الكسائي: النحوي علي بن حمزة بن عبد الله بن يهمن بن فيروز، أعجمي الأصل، من القُرَّاء السبعة، من الكوفة، كان يتنقل في البلدان، قرأ على عبد الرحمن بن أبي ليلى، وحمزة بن حبيب. توفي بقرية من قرى الري سنة (١٧٩هـ). ينظر: الفهرست (ص٤٤، ٤٥).

أعدادها وأنواعها[١]، وكذلك (الصلاة) التي وردت في قوله - تعالى -: ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ﴾، فلأن الخشوع مطلوب في كل فردٍ، وذهب ابن التمجيد[٢] إلى أن قراءة الجمع تناسب التكرار والتجدد مرة بعد أخرى[٣].

ولقد أثر حرف الجر في معنى الآيتين في قوله - تعالى -: ﴿عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ يُحَافِظُونَ﴾ وفي قوله - سبحانه -: ﴿فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ﴾، إذ ورد ذكر الصلاة فيهما، وهما موضعان ومعنيان مختلفان، وذلك لاختلاف دلالة حرف الجر في كلٍ، لذلك لا يعد ذكر الصلاة تكراراً، فقوله سبحانه: ﴿فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ﴾ أي يؤدونها بخشوع: سجودها وركوعها. وأما قوله - سبحانه -: ﴿عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ﴾، فهو أداؤهم الصلاة جميعها، وفي أوقاتها المطلوبة؛ كما يجب بدلالة حرف الجر ﴿عَلَىٰ﴾ الذي يدل على تمكنهم من أداء الصلاة كما ينبغي.

وبصدد ذكر جزاء المؤمنين المفلحين قال - تعالى- عنهم: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ﴾ جاء التعبير عنهم بأسلوب القصر، حيث تَوَسُّط ضمير الفصل[٤] لتقوية الخبر

---

(١) ينظر: إملاء ما من بن الرحمن (١٤٧/٢)، ونظم الدرر (١٠٩/١٣)، وحاشية القونوي (١٤٢/١٣، ١٤٣).

(٢) ابن التمجيد: هو مصطفى بن إبراهيم (مصلح الدين)، مفسر، من علماء الدولة العثمانية، كان معلم السلطان محمد الفاتح المتوفى (سنة ٨٨٦هـ) عن ٥٣ عاماً، له: (حاشية تفسير البيضاوي) بهامش حاشية القونوي، توفي نحو: ١٤٧٥م-٨٨٠هـ. وهناك خلاف حول سنة وفاته. ينظر: الأعلام (٢٢٨/٧).

(٣) ينظر: حاشية ابن التمجيد (١٤٣/٣).

(٤) ينظر: الإيضاح (ص ٥٩).

عنهم، فهم الأحقاء بذلك، ثم تعريف الطرفين المسند والمسند إليه (أولئك الوارثون) وهو قصر حقيقي تحقيقي أراد به أنهم الأحقاء في تسميتهم وُرَّاثاً.

كما حذف معمول (الوارثون)[1] ليحصل إيهام وإجمال وتشوف؛ حيث يترقب السامع بيانه[2].

وللإشارة بـ(أولئك) إلى المؤمنين المتصفين بصفة الفلاح في قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ﴾ «وإيثارها على الإضمار، للإشعار بامتيازهم بها عن غيرهم، ثم تنزيلهم منزلة المشار إليه حسًّا، وما فيه من معنى البعد؛ للإيذان بعلو طبقتهم وبعد درجتهم في الفضل والشرف، أي أولئك المنعوتون بالنعوت الجليلة»[3]، فهم الخاشعون، وهم عن اللغو معرضون، وللزكاة فاعلون، وهم حافظون راعون لأماناتهم، لذلك فهم الوارثون. وهذا الأسلوب جارٍ على طريق الاستئناف بالوصف، لما فيه من إيماء إلى سبب الخير، فهذا مثل قول القائل: أحسنت إلى زيدٍ صديقك القديم، حقيق بالإحسان، وذلك أبلغ من الاستئناف بإعادة الاسم في قولهم: أحسنت إلى زيد، زيد حقيق بالإحسان[4].

ولقد أجرى الإرث في قوله - تعالى-: ﴿هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ﴾ على أنه استعارة للاستحقاق، وفي ذلك من المبالغة ما فيه، لأن الإرث أقوى أسباب التملك[5]،

---

(١) تقدير المعمول: هو الجنة.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير (٩/١٨/٢٠).

(٣) إرشاد العقل السليم (٤٠٤/٤)، وروح المعاني (٩/١٨/٢١٥).

(٤) ينظر: حاشية ابن التمجيد (١٣/١٤٣).

(٥) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٢/١٠٠)، وحاشية ابن التمجيد (١٣/١٤٤)، وروح المعاني (٩/١٨/٢١٥)، وتفسير لباب التأويل في معاني التنزيل ٣٧٤/٤، والتحرير والتنوير (٩/١٨/٢٠).

وهو أطيبها ؛ لأنه يحصل دون تعب في إيجاده، **وهي استعارة تصريحية تبعية، حيث شبه الاستحقاق بالإرث**، بجامع التملك في كلٍ، ثم استعير الإرث للاستحقاق، ثم اشتق منه الوارثون بمعنى (المتملكون) على سبيل الاستعارة التبعية، والقرينة: الفردوس، وهو الجنة، والجنة لا تورث. **وتتمثل بلاغة الصيغة المباركة ﴿ٱلْوَٰرِثُونَ﴾ وهي كما مرَّ في غيرها من أبنية المشتقات** حيث إنَّ هذه الصيغة تختم بها صفات المؤمنين، وهي التي تبيِّن نتائج أعمالهم، وأخبار أحوالهم، فهم المفلحون، وصيغة (الوارثون) لم تأت في القرآن الكريم على هذا الوزن إلا في هذه الآية المباركة، وهي تمثل هيئة من أوتي القدرة على مد يديه إلى ما شاء من الخيرات ؛ وهو مطمئن اطمئنان المالك الشرعي الذي يتصرف بأمنٍ في ملكه، وكذلك فإن هذه الصيغة المباركة بمعناها قد رسمت هيئة شخصية فائزة هادئة متزنة تمتلك ملكاً عظيماً.

والقرآن الكريم كما يخاطب العقول بدرجاتها ؛ فإنه يحادث المشاعر ؛ لأنه العليم بمكنونها، فقد أراد أن تطمئن نفوسهم، لما أشار إلى وراثة الجنة بقوله — تعالى- : ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ﴾، وهو أسلوب يثير سؤالاً مضمونه: إلى من تؤول الجنة، وإلى متى، فقال — سبحانه - : ﴿ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ **استئناف بياني، وبصيغة الفعل المضارع ﴿يَرِثُونَ﴾** ؛ لاستحضار وتقريب مشهد المؤمنين الذين سيرثون الفردوس بمجرد موتهم وانتقالهم إلى الدار الآخرة، فقد قرَّبتْ البعيد بشكل واقعي وملموس، يثير في النفوس أشواقها، فليس بينهم

وبينها إلاّ احتياز[١] صفات المؤمنين، وفضائل أعمالهم. حروف الصيغة (يرثون) المزيدة على الأصل قد أثرت على أصواتها بطريقة جعلت المعنى يتفاعل مع الصيغة، فيعبر عن المراد، وذلك أن انفتاح مخرج الياء المضارعة، ثم امتداد الصوت بضمة الثاء، وبازدياد هذا الصوت طولاً؛ إيحاء بامتداد الأمد، ثم انتهاؤها بالنون وبصوتها الأغن، يوحي أنساً في أجواء البشارة بالجنة.

وهي استعارة تبعية لإجرائها في الفعل؛ وجملة: ﴿ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ﴾ «صفة كاشفة، أو عطف بيان، أو بدل، وأياً ما كان ففيه بيان لما يرثونه، وتقييد للوراثة بعد إطلاقها تفخيماً لها وتأكيداً»[٢].

ولا بد من وقفة عند كلمة ﴿ٱلْفِرْدَوْسَ﴾: فهي بمادتها وصيغتها تثير في النفس معاني تجعل القلب ينبض عند سماعها؛ لكونها أشبه بغمغمات لا يجلى معناها إلا خبر سمعي. ومن أجمع الأقوال التي وصفتها ما روي عن عبادة بن الصامت ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **(في الجنة مائة درجة، ما بين كل درجة ودرجة كما بين السماء والأرض، والفردوس أعلاها درجة، منها تفجر أنهار الجنة الأربعة، ومن فوقها يكون العرش، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس)**[٣]، وفي رواية:

---

(١) الاحتياز – بالحاء -: الاتصاف، كأن المتصفين بدخول الجنة استولوا عليها وامتلكوها – ومنها قوله تعالى: ﴿أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ﴾ [الأنفال: ١٦] أي منضماً إليها. ينظر: لسان العرب (٥/ ٣٤١)، (باب الزاي، فصل الحاء).

(٢) روح المعاني (٩/ ١٨/ ٢١٥).

(٣) المصدر ذاته، وينظر: سنن الترمذي، كتاب صفة الجنة، (رقم ٢٤٠٠٤)، وسنن أبي داود، لأبي داود سليمان بن أشعث السجستاني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت، كتاب الأدب، (رقم ٤٤٠١).

(فإنه أعلى الجنة وأوسط الجنة، ومنه تفجَّر أنهار الجنة وفوقها عرش الرحمن)[١]، ولقد روي أن الجنة تعني بلسان الحبشة: الفردوس، ومع هذا، فإن الجنة تختلف عن غيرها من الجنان، كما روي عن أبي موسى الأشعري ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: **(الفردوس مقصورة الرحمن فيها الأنهار والأشجار)**[٢].

أسلوب بشارة في قوله تعالى: ﴿هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾: بعد أن أطلق عليهم ﷻ صفة (الوارثون) بين طبيعة هذه الوراثة أنها الفردوس، وهي أعلى منزلة في الجنة، بشرهم بالخلود والبقاء الدائمين، دون تقييد بزمنٍ، حيث دلَّ على ذلك بصيغة اسم الفاعل ﴿خَٰلِدُونَ﴾، وكذلك تخصيصهم بتلك الوراثة بقوله - سبحانه- هم دون من عداهم، كما قدم الجار والمجرور ﴿فِيهَا﴾ تخصيص بالبقاء، فهم فيها دون غيرها.

ومما يتجه إليه الوصف بالبلاغة في الآيات الكريمة:

تصدير الأوصاف المباركة، وختمها بذكر الصلاة، إشارة إلى عظم شأنها[٣] كما أن في ذلك تحريضاً على مداومتها وإقامتها، كما هو مدلول الإقامة

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٣/ ٢٦٦)، والحديث في: الجامع الصحيح (سنن الترمذي) (٤/ ٦٧٥) رقم (٢٥٣٠)، كِتَاب صِفَةِ الْجَنَّةِ، بَاب مَا جَاءَ فِي صِفَةِ دَرَجَاتِ الْجَنَّة، وسنن ابن ماجة (٢/ ١٤٤٨)، رقم (٤٣٣١)، كِتَاب الزُّهْدِ، بَاب صفة الجنة.

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب (١٢/ ٢٣/ ٧٢، ٧٣)، والحديث أورده السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٢٥٥)، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار المعرفة، بيروت. وعزاه إلى ابن جرير، وابن مردويه.

(٣) أنوار التنزيل (٢/ ١٠٠).

المعروف، فهي أم العبادات[١]، وتكرار الاسم الموصول إيحاء إلى وجه فلاحهم، وبيان أسبابه، وأن كل خصلة من هذه الصفات سبب لفلاحهم، لا مجموعها؛ لأن هناك صفات أخرى يكون بها الفلاح[٢].

ومن الشواهد القرآنية على تلاحم الصيغ في توضيح صفات المؤمنين، ما جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴿٦١﴾ وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنطِقُ بِالْحَقِّ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٧-٦٢].

حول المعنى وارتباط الآيات بسابقاتها:

هذه الآية الكريمة إحدى اللوحات المشرقة لصفات المؤمنين، الذين ﴿يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾، وكان لهم مع ذلك صفات أخرى ملازمة، ارتقت بهم إلى مصاف السابقين، وهذا الوجه المشرق للبشرية يقابله وجه آخر انغمس في غمرة الكفر، من إعراضٍ عن عبادة الله - تعالى - وعن التصديق بآياته، وبالغوا في الشح في الإنفاق والتكذيب بالبعث والحساب، وذلك ما يحكيه القرآن الكريم حيث يقول - تعالى -: ﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٣-٥٦].

---

(١) ينظر: حاشية ابن التمجيد وحاشية القونوي (١٣/ ١٤٣).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير (٩/ ١٨/ ٩).

والقارئ للآيات السابقة تصافح أذنيه صفات المؤمنين التي ورد التعبير عنها بصيغ الأفعال مرةً، وبصيغ المشتقات أخرى، ولا أجد من المستساغ الفصل بين الصيغ المختلفة؛ لأنها تأتي كما سبق في الآية الواحدة أكثر من صفة، لذلك يحسن النظر إليها كما هي مجتمعة تحت لواء الاسم الموصول؛ لتتضح صورة ﴿سَٰبِقُونَ﴾ متكاملة.

المعاني البلاغية في صيغ الأفعال، وأبنية المشتقات في صفات المؤمنين:

يقول المولى - تبارك وتعالى -: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ﴾.

افتتاح الجملة المباركة بـ(إنَّ) للاهتمام بالخبر[1]، وهي استئناف مسوق لبيان من يستحقون رضوانه – تعالى - من خلقه، وهم الذين استجابوا لدعوة الرسول ﷺ، فعبدوا الله، وخافوا عقابه وأكد الخبر ليقع موقع التسليم والقبول لأول وهلة.

ولبيان صفات الذين يسارعون في الخيرات ترغيباً في فعلها، وإقناط للكفار منها، وإبطال لما يدَّعونه من خوف عذابه سبحانه[2].

وقد ربط بعض المفسرين صفة الخشية هنا بصفة الخشية التي وردت وصفاً للملائكة في قوله - تعالى-: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٨]، حيث قال الشيخ محيي الدين

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير (٩/١٨/٧٦، ٧٧).

(٢) ينظر: إرشاد العقل السليم (٤/٤٢١).

زاده[١]: «والمصنف رحمه الله - تعالى - فسَّر هذا التركيب في سورة الأنبياء - أي قوله - تعالى -: ﴿وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾ بقوله: وهم من عظمته ومهابته مرتعدون، ثم قال: وأصل الخشية خوف مع تعظيم»[٢].

أي أن الخشية أكثر ما تستعمل في التعظيم[٣]، والخوف[٤] أكثر ما يستعمل في أمور العباد، لذلك تضاف الخشية إلى العلماء؛ فهم يعظمون - الله تعالى -؛ لأنهم يدركون جلال الألوهية، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨]، والمراد من ذلك أن الخشية تتحقق في الخاصة من عباده - سبحانه -، كما تتحقق في الملائكة.

وكان من صفات هؤلاء المؤمنين الذين يبادرون في عمل الخيرات أن الإيمان قد تغلغل في نفوسهم، فإيمانهم بالله - تعالى - لم يقتصر في الاقتناع القائم على دلائل قدرته الظاهرة التي يقر بها الجميع، ولكن المراد حصول المعرفة

---

(١) الشيخ محيي الدين زاده: أحمد بن مصطفى أبو الخير عصام الدين، مؤرخ تركي مستعرب، ولد في (بروسة)، ونشأ في أنقرة، تنقل مدرساً في الفقه والحديث وعلوم العربية، وولي القضاء بالقسطنطينية سنة (٩٥٨هـ)، وكف بصره، وله مؤلفات غزيرة منها: (مفتاح السعادة)، و(الرسالة الجامعة في وصف العلوم النافعة) و(الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية)، و(نوادر الأخبار في مناقب الأخيار)، توفي (سنة ٩٦٨هـ). ينظر: هدية العارفين (١/ ١١٩)، والأعلام (١/٢٥٧).

(٢) حاشية زاده (٣/٤٠٦)، وينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٢/٦٨، ٦٩).

(٣) ينظر؛ معجم مقاييس اللغة (٢/١٨٤)، (باب الخاء والشين وما يثلثهما)، وبصائر ذوي التمييز (٢/٥٤٤، ٥٤٥).

(٤) ينظر: بصائر ذوي التمييز (٢/٥٤٦).

والتصديق القلبي بمدلولها، مما يظهر معه إقرار باللسان ظاهراً، وهو حقيقة الإيمان[١]. وإن هذا التصديق بالآيات خاصة، تناسبه صيغة الفعل المضارع ﴿يُؤْمِنُونَ﴾؛ لدلالتها على التجدد؛ فهم كلما رأوا آية من خلقه، أو أنزلت آية من كتابه، صدقوا بمدلولها[٢]، **وأصل الصيغة (آمن)**[٣]، وإن ما حصل من زيادة على فعلها قد عبَّر عن عمق التفكر في مدلول الآيات، وربطها بقدرة الصانع، مما ينتج عنه إيمان راسخ بصدقهم. **وفي التعبير بصيغة ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ دون غيرها**: يعقلون، أو يفهمون، أو يتدبرون، أو وصفهم بأولي الألباب؛ فلأن المراد - والله أعلم - أن يؤمنوا بآيات الله الدالة على قدرته، والدالة على صحة معتقدهم، مؤمنين بها كما عرفوها جملة وتفصيلاً، وبذلك كانت فاصلة مناسبة تختتم بها الآيات الكريمة.

وجاءت (الباء) في قوله تعالى: ﴿بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ﴾ لتدل على ملابسة تصديقهم آيات الله سبحانه بما يدل على صدق إيمانهم، واحتفاءً بأمرهم، وإشادة بصدقهم، فقد جاء الوصف في حيز صلة الموصول إيماءً إلى جزائهم بالخيرات. وأسلوب الآية المباركة يتجدد ليجدد مدحهم؛ فقد تقدم الجار والمجرور ﴿بِـَٔايَٰتِ﴾، وتأخر لفظ الجلالة ﴿رَبِّهِمْ﴾ لتخصيص المدح بالإيمان بهذه الآيات التي من عند

---

(١) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٢/١٠٧)، مفاتيح الغيب (١٢/٢٣/٩٣)، وحاشية زاده (٣/٤٠٦)، وروح المعاني (٩/١٨/٢٤٤).

(٢) ينظر: نظم الدرر (١٣/١٥٩)، وروح المعاني (٩/١٨/٢٤٤).

(٣) ينظر: التمهيد لهذا البحث في أصل (يؤمنون) صفحة (٢) من البحث.

الخالق، لا بغيرها من عمل المخلوقين، وفي إضافتها إلى ضميرهم دليل على أنهم يؤمنون بها؛ بل ويجلونها؛ لأنها من صنع وإبداع رب العالمين، وفي ذكر لفظ الربِّ ﴿رَبِّهِمْ﴾ تذكير بنعمه عليهم، فهو - سبحانه - مربيهم بفيض من نعمه.. وإثبات لكمال إيمانهم، وأنه المطلوب وجوده في نفس كل مؤمن. فقد نفي عنهم الشرك بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ﴾، وفي ذلك إثبات لخلوص إيمانهم بالله ﷻ، فهو إيمان لا تشوبه شائبة تثلمه؛ وتكون سبباً في عذاب صاحبه، والمراد بذلك نفى الشرك الخفي[1] عنهم؛ ليكون كل منهم مخلصاً لله — تعالى- في عبادته، لا يقدم عليها إلا لوجه الله — تعالى-، خالصةً لطلب رضوانه دون سواه.

ولقد أضاف الألوسي[2] رأياً قال عنه: إنه رَأْيُ بعض المحققين، وهو «التعميم أي لا يشركون شركاً جلياً ولا خفياً»[3]، ولقد جاء النفي مُسْتهلاً به تقرير صفة الإيمان ﴿لَا يُشْرِكُونَ﴾ بامتداد الصوت دلالة على امتداد عدم قبول

---

(١) ينظر: مفاتيح الغيب (٩٣/٢٣/١٢)، والبحر المحيط (٣٧٩/٦).

(٢) شهاب الدين السيد محمود بن عبد الله أبي الثناء الألوسي، المفتي البغدادي، آية في النباهة والذكاء، خاتمة المفسرين، ونخبة المحدثين، أخذ عن الشيخ علي البغدادي، ومحدث الشام عبد الرحمن الكزبري، وغيرهما، كتب ودرس، وتتلمذ عليه كثيرون، من تصانيفه: روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، وشرح درة الغواص، وغيرها كثير. توفي سنة ١٢٧٠ هـ. ينظر: التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول (٥١٧)، صديق حسن القنوجي، مكتبة دار السلام، الرياض، ط١، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م، وأعيان القرن الثالث عشر (٤٧)، خليل مردم بك، قدم له عدنان مردم بك، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٩٧٧م.

(٣) روح المعاني (٢٤٤/١٨/٩).

الصفة القادمة ﴿يُشْرِكُونَ﴾، وأصلها (شرك)، فدل حرف المضارعة المضموم بعد أن تداخل في صوت (الشين) نتيجة لتفشيه في النطق على التشريك المرفوض في الدين؛ حيث إنه يتداخل بسهولة ويسر في عمل المرء، دون أن يشعر بأثره السيئ، فهو يتداخل في النفس، مما ينتج عنه تداخل في الأعمال التي بين العبد وربه، ولقد تلاحم الزمن بين الصيغة ومدلول الآية فزمن المضارع يدل على الحدث وتجدده، فهذا مناسب لزمن فعل الشرك، فهو من الحالات الطارئة حيناً بعد حين؛ فكلما ظهرت للمؤمنين بوادر أعمال الخير قد يدخلها شيء من العمل غير المطلوب لخلوصها لله – تعالى-، ولتذكيرهم بفضل الله - تعالى -[1] عليهم، فعبر بما يناسب من الأسماء الحسنى، وهو (رب) وهو سبب عدم إشراكهم، ثم جاءت (الباء) لتدل على ملابستهم[2] وتمكنهم من صفاء عقيدة الإيمان، ومن ثمَّ اتصافهم بهذه الصفة، وهو اعترافهم به وحده - سبحانه -، فترتب على ذلك عدم الإشراك، لتعلق الباء بقوله - تعالى-: ﴿يُؤْمِنُونَ﴾. ولقد كان لنظم الآيات على نسق معين، مما يفيد وجوب إخلاص العبادة لوحدانيته؛ ذلك بأنْ تَقَدَّم الجار والمجرور ﴿بِرَبِّهِمْ﴾ على قوله - تعالى-: ﴿لَا يُشْرِكُونَ﴾، فأوحى بمعنى اختصاصهم بعدم الإشراك بالله – تعالى - شيئاً أو أحداً، فلا يقبل عمل من أشرك في عمله غير المولى – سبحانه -؛ سواء الشرك الخفي والجلي.

---

(١) ينظر: نظم الدرر (١٣/ ١٥٩).

(٢) ينظر: روح المعاني (٩/ ١٨/ ٢٤٤).

ولذلك أخر ذكره عن الإيمان بالآيات[١].

وتتوالى الأوصاف الكريمة في وصف مشاعر هؤلاء المؤمنين، مستخرجة مكنونها، مظهرة خفيها، لتكون نبراساً لذوي العقول الصافية، ليدركوا مراميها، حيث يقول تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ﴾.

والصفات التي ذُكرت للمؤمنين، وهي: الخشية، والإيمان، وعدم الشرك، كلها صفات قلبية. أما الصفة الرابعة ﴿يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا﴾ فهي صفة محسوسة؛ ولكنها ترتبط بأمر معنوي، وهو الخوف من الله – تعالى-، فهذه الصفات الأربع جعلتهم في مكانة علية، كما يؤمئ إلى ذلك الإخبار عنهم باسم الإشارة بعد ذلك: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ﴾. لذلك فقد امتدحهم - سبحانه - بصفتي: الإيتاء، والوجل. فالإيتاء: هو الإعطاء، وخُصَّ دفع الصدقة في القرآن بالإيتاء[٢]، وهذا هو الكثير الغالب في الآيات التي تتحدث عن إيتاء الزكاة، ولكن في هذه الآية قراءة أخرى هي: (يأتون ما أتوا)[٣]، بمعنى يفعلون ما فعلوا، ويعطون من الزكاة والصدقات، وكل ما يجب القيام به[٤]، وقد جاء

---

(١) ينظر: إرشاد العقل السليم (٤/٤٢١).

(٢) ينظر: المفردات (ص ٩).

(٣) وهي قراءة شاذة، نسبت إلى النبي ﷺ، وعائشة رضي الله عنها. ينظر: مختصر في شواذ القرآن، من كتاب البديع (ص ٩٨)، لابن خالويه، عني بنشره ج. براجشتراسر، طبعة مكتبة المتنبي، بدون تاريخ. وينظر: الكشاف (٣/١٨٧). ونسبت كذلك إلى ابن عباس، والحسن، والأعمش. ينظر: المحرر الوجيز (١١/٢٣٩)، والدر المصون (٨/٣٥٢، ٣٥٣).

(٤) ينظر: معالم التنزيل (٤/١٥١، ١٥٢)، والكشاف (٣/١٨٧)، والمحرر الوجيز (١١/٢٣٩).

تفسيرها على هذا المعنى في ضوء ما روي عن عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت: (يا رسول الله، هل هو الذي يزني، ويسرق، ويشرب الخمر، وهو على ذلك يخاف الله؟ قال: لا، يا ابنة الصديق، ولكن هو الذي يصلي ويصوم، وهو على ذلك يخاف الله أن لا يقبل منه)[١]. وبذلك تتفق القراءتان في الإخبار عن هؤلاء المؤمنين بالسبق، والمسارعة إلى الخير[٢].

وأياً كانت القراءة (يؤتون)، أو (يأتون) **فإن صيغة الفعل المضارع فيه تتناسب مع المعنى الذي تدل عليه.** في تكوين صورة مثالية للمؤمنين الذين هم في شغلٍ دائم في إنفاق أموالهم في أوجه البرِّ، وأعمالهم في الطاعات، فاستعمال غير هذه الصيغة، كالماضي مثلاً، أو أحد أبنية المشتقات، لا يصور حالة المنفق المتجددة وهو يمد يده بالعطاء للمحتاجين.

ذلك أن الإنفاق لا يكون ملازماً للمؤمن؛ ملازمة الاسم لصاحبه، وإنما كلما تيسر المال؛ وتَجَدَّد حالُ الحصول عليه وتوفره.. ولقد خلا التعبير القرآني عن المؤمنين من ضمير الفصل (هم) كما حصل في سابقيها؛ وذلك لأن في ذكر الضمير المنفصل بياناً لاختصاصهم بهذا الفعل دون غيرهم، وهو في الواقع غير ذلك؛ لأن كثيراً من المؤمنين وغيرهم يبادرون في إنفاق أموالهم، إما لحب الشهرة، أو بطراً، أو جاهلية، أو غير ذلك.

---

(١) مسند الإمام أحمد (ص ١٨٨٥)، حديث (٢٥٧٧٧)، سنن الترمذي، أبواب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ، ومن سُورَة الْمُؤْمِنِين، (٥/ ٣٢٧)، حديث (٣١٧٥)، وسنن ابن ماجه، كتب الزهد، باب التوقي على العمل، (٢/ ١٤٠٤)، رقم (٤١٩٨).

(٢) الدر المصون (٨/٣٥٢، ٣٥٣)، ونظم الدرر (١٣/١٥٩، ١٦٠).

وقد ينفق بعض المؤمنين، ويرى أنه يؤدي الواجب عليه، أما هؤلاء، فإن وجه امتداحهم وارتقاء عملهم، أنهم يعطون ما أعطوا وهم وجلون خائفون ألاّ يقبل منهم، وفي هذا المعنى تتجرد أنفسهم المؤمنة من مِنّة الإنفاق والبذل والإحساس بالكبرياء. وفي التعبير بالموصول (ما) – وهو لغير العاقل – إشارة إلى التعميم؛ سواء المعطى كان نقداً أو غيره مما ينتفع به، مما يقوَّم بالمال، ولتحقق معنى الإعطاء، فقد عبَّر بالفعل الماضي[1] قوله تعالى: (آتوا)، وهم على هيئة معينة صورها نظم الجملة الحالية: ﴿وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ حيث دلالة الواو على الحال، فالجملة تصف حال المؤمنين النفسية، وتبين جانباً إيمانياً عميقاً هو الخوف من عدم القبول، ثم إضافة الضمير (هم) إلى القلوب؛ يدل على تحقق تلك الصفة فيهم. ولقد تناسب الوصف بقوله تعالى: ﴿وَجِلَةٌ﴾ مع معنى أنها ترتقي بالمؤمنين إلى درجات علية؛ لأنها تعبر عن شدة الخوف، وقد ولج في ذواتها ودواخلها، وجال في كل جزئية منها؛ لأنهم على علمٍ بتقصيرهم مهما بذلوا؛ فلا يقدِّرون الله - تعالى - حق قدره، وإن اجتهدوا[2]. ثم التناسب من جهة الصيغة: وهي صيغة مبالغة[3]، فقد استعملت دون غيرها من الصيغ الفعلية، أو إحدى صيغ المشتقات، للتعبير عن مقدار الخوف الذي تغلغل في قلوبهم، وأنه من الكثرة بمكان ليتناسب مع موقف الرجوع إليه، فإن شيئاً لا ينجيهم من عذاب الله[4].

---

(١) ينظر: روح المعاني (٩/١٨/٢٤٤).

(٢) ينظر: نظم الدرر (١٣/١٦٠).

(٣) صيغة مبالغة على وزن فعِل، نحو حذِر. فقلوبهم وجِلة من صيغة المبالغة وجِلَ.

(٤) ينظر: جامع البيان (٥/٣٧٠).

ثـم تناسـب الصيغة من حيث وزنها وأداء المعنى ﴿وَجِلَةٌ﴾ لما في معناه من خفة وسرعة تناسب حال المؤمن الذي ينفق ويعطي ويفعل الخيرات وهو وجل خائف، يسري الخوف في حناياه، يعصف بكل ما فيها من أثرة قد تؤدي بها إلى البخل بما آتاها الله تعالى.

كما أن جرسها يعبر – كذلك - عن وصف الوجل؛ حيث الفتحة على الواو تدل على ارتفاع نبضات قلب الخائف، ثم انخفاضها أخرى مع كسرة الجيم طلباً للرحمة عند فعل الخيرات، ثم العودة إلى الفتحة أخرى لتعبر مع اللام المنزلقة عن كمٍ من مشاعر الخوف المتدفقة، ثم الوقف على الهاء ساكنة يشير إلى احتباس هذا الشعور القلق، ويؤيد ذلك اسمية الصفة التي تدل على ثبوت ودوام مبدئهم من حب الإنفاق والعطاء؛ فلا يخيفهم نفاد أموالٍ، ولا مخمصة في سبيل الله تعالى، بل يخيفهم عدم القبول.

وهذه المشاعر الإيمانية تجلل كل ما سبق من صفاتهم؛ لأن من حق جملة الحال: «إذا جاءت بعد جملٍ متعاطفة أن تعود إلى جميع الجمل التي قبلها، أي يفعلون ما ذكر من الأعمال الصالحة، بقلوبهم وجوارحهم، وهم مضمرون وجلاً وخوفاً من ربهم أن يرجعوا إليه فلا يجدونه راضياً عنهم»[1]، ولقد قيد الوجل بعد إنفاق الأموال بقوله – تعالى -: ﴿أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ لئلا يُتوهم أنهم وجلون خشية الفقر بعد النفقة والعطاء، وفي قوله - تعالى-: ﴿أَنَّهُمْ﴾ جُوِّز «أن يكون التقدير: وجلة (من أنَّهم)، أي خائفة من

---

(١) التحرير والتنوير (٩/ ١٨/ ٧٧).

رجوعهم إلى ربهم، ويجوز أن يكون (لأنهم) أي: سبب الوجل الرجوع إلى ربهم»[١].

ولقد سُمِّي عدم المكث في الدنيا رجوعاً، لإحساسهم وتيقنهم بأن الدنيا دار فناء. والألف التي تمثل جانب الصيغة ﴿رَاجِعُونَ﴾، والتي تدل على التأهب والتيقن لذلك، فامتداد الصوت بفتحة (الراء)، بما فيها من تكرار صوتي، ينشأ من حركة اللسان، ثم حرف اللين (الألف) يشيران بخاصة إلى ما في طريق العودة من معاناة. والرجعة إلى رب العالمين ﴿رَبِّهِمْ﴾ الذي يؤمنون به، فلذلك عبر بحرف الجر (إلى) لتكون عودة لائقة مأمونة العواقب؛ فيوقن بأنه عمل مقبول، ومحل رضا من الله – تعالى -، فقد أدت (إلى) معنى بلوغهم الغاية.

لقد أشار المولى - تبارك وتعالى - إليهم باسم الإشارة ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ الموضوعة للبعيد، للدلالة على بعد مكانتهم، ورفعة منزلتهم، وهذا يدل على: «زيادة تمييزهم للسامعين؛ لأن مثلهم أحرياء بأن يعرفوا»[٢]؛ لأن المولى - تبارك وتعالى - يمتدحهم بأنهم يسارعون في عمل الخير، ومجيء الصفة على صيغة الفعل المضارع ﴿يُسَٰرِعُونَ﴾ التي تدل على المنافسة في الإسراع؛ ما يصور حالة المؤمن وهو يجتهد ويكد ويتعب؛ حتى يلحق بركب منْ رضي الله عنهم؛ لذلك فهم يسارعون. كما أن هذه الصيغة تصور حال المؤمن بمن يساجل آخر في

---

(١) الدر المصون (٨/٣٥٣)، وينظر: روح المعاني (٩/١٨/٢٤٤).

(٢) التحرير والتنوير (٩/١٨/٧٨).

عمل الخيرات؛ إذ إنها تدل على المشاركة بين طرفين، فأما أحدهما فهو - كما يقول البقاعي - المؤمن الساعي في الخير. وأما الطرف الثاني فهو مؤمن آخر، يجتهد ليسبق صاحبه[1]، كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦]، في جملة ﴿يُسَٰرِعُونَ﴾: «جائز أن يقال: يسارعون في الخيرات، ومعناه معنى يسرعون، يقال: أسْرعتُ، وسارعت في معنى واحد، إلا أن سارعت أبلغ من أسْرَعت»[2]؛ لأن امتداد صوت الألف بين أصوات الكلمة كوَّن هيئة المؤمن، وهو في أخذٍ وردٍ، بين انشغالٍ في عمل الخيرات، وتطلُّعٍ إلى تحصيل مراتب علية، ولقد جاء صوت السين بضعفه[3] ليصور هذه النفس وهي تسعى نحو المعالي الإيمانية بأناةٍ وخضوعٍ، وإنما المسارعة تكون في المبادرة إلى الخير. والمعروف أن السبق لا يكون إلا في طريقٍ، لذلك استعير حرف الجر (في) ومجروره الخيرات؛ حيث قال - تعالى -: ﴿فِى ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ حيث شبهت أعمال الخيرات بطريق، وحذف المشبه به وأبقى شيئاً من لوازمه على سبيل الاستعارة المكنية. وأعمال الخير وعاملوها؛ لا بد أن يكلل عملهم بالقبول، وهم ينعمون بالقرب من عمل الخيرات، كما دل عليه حرف الجر (اللام) في قوله سبحانه: ﴿وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾.

---

(١) ينظر: نظم الدرر (١٣/ ١٦٠).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ١٧).

(٣) فالسين تستعمل لما لا يظهر ولا يشاهد حسًّا، وهو وصف لمشاعر داخلية في المؤمن. ينظر: الخصائص (٢/ ١٦٠، ١٦١).

والمقصود ثمرات هذا العمل، ولقد ورد في العائد (لها) أوجه، أظهرها: «أنه يعود على الخيرات لتقدمها في اللفظ، وقيل: يعود على الجنة، وقيل: على السعادة وقيل على الأمم»[١].

وأرجح أن يكون عائداً على الجنة؛ لأنها المتطلع إليه، وهي محط اشتياق المؤمن؛ ولأن من معاني اللام انتهاء الغاية، فكأنها بهذا تبشر بقبولهم وانتهائهم إلى الجنة.

والمراد بـ﴿السابقون﴾ قيل: «لجميع الناس، لأنا نحن نسارع لهم في المسببات أعظم من مسارعتهم في الأسباب، ويجوز أن يكون (سابقون) بمعنى: عالين، من وادي سبقت رحمتي غضبي، أي أنهم مطيقون ومعاونون عليها»[٢].

ولقد تضافر على نجح مسعاهم الآتي:

أولاً: تخصيصهم يقصر السبق عليهم لا يتجاوزهم إلى غيرهم عن طريق تقديم المسند إليه (هم) على المسند[٣] المشتق وتقديم الجار والمجرور (لها) لرعاية الفاصلة.

ثانياً: المدلول البلاغي لحرف الجر (اللام) في قوله - تعالى -: ﴿لَهَا﴾.

ثالثاً: صيغة اسم الفاعل ﴿سَٰبِقُونَ﴾ التي تفيد تحقق وقوع الفعل تلتقي في مضمونها على أمر واحد تحقق له صفة السبق التي في قوله - تعالى -: ﴿وَهُمْ لَهَا

---

(١) الدرر المصون (٨/٣٥٣، ٣٥٤)، وينظر: الكشاف (٣/١٨٧)، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل (٢/١٠٧)، وحاشية زاده (٣/٤٠٦).

(٢) نظم الدرر (١٣/١٦٠، ١٦١).

(٣) يراجع في قضية تقديم المسند إليه على المسند المشتق. كتاب عروس الأفراح ومواهب الفتاح، لابن يعقوب.

سَبِقُونَ﴾، وذلك لبيان أن المتصفين بكل تلك الصفات قد بلغوا مرتبةً عاليةً فيها، يقول في ذلك أبو السعود: «والموصولات الأربعة عبارة عن طائفة واحدة متصفة بما ذُكر في حيِّز صلاتها من الأوصاف الأربعة، لا عن طوائف كلٌّ واحدةٍ منها متصفة بواحدة من الأوصاف المذكورة كأنه قيل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٧]، و ﴿بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ...﴾ [المؤمنون: ٥٨]، وإنما كرر الموصول إيذاناً باستقلال كل واحدةٍ من تلك الصفات بفضيلة باهرة على حيالها، وتنزيلاً لاستقلالها منزلة استقلال الموصوف بها»[١]، كما أضاف: «أن الإتيان بالموصولات للإيماء إلى وجه بناء الخبر، وهو أنهم يسارعون في الخيرات ويسابقون إليها، وتكرير أسماء الموصولات، للاهتمام بكل صلةٍ من صلاتها، فلا تذكر تبعاً بالعطف، والمقصود الفريق الذين اتصفوا بصلة من هذه الصلات»[٢].

ولقد تآزرت **صيغ الأفعال، وأبنية المشتقات** في تكوين صورة معينة للمؤمنين - السابق ذكرهم -، وساعدها في تكوين هذا النسيج التصويري ترتيب صفاتهم كما وردت في الآية الكريمة، مما جعلها تشرق بصفات المؤمنين الذين بلغوا مرحلة الصديقين[٣]؛ لأن الصفة الأولى، وهي الإشفاق من خشية عذابه، مما يستدعي معها الاحتراز عما ينبغي، ولقبول هذا الخوف والخشية يجب وضعها في موضعها المناسب، بعيدة عن الرياء في الطاعات، مما يدخل في باب الشرك. ولا بد لمن استجمع كل هذه الصفات، أن يجعلها محاطةً بالخوف والوجل من

---

(١) إرشاد العقل السليم (٤/٤٢١)، وينظر: روح المعاني (٩/١٨/٢٤٥).
(٢) التحرير والتنوير (٩/١٨/٧٦، ٧٧).
(٣) ينظر: روح المعاني (٩/١٨/٢٤٥).

التقصير، فتلك أعلى مراتب الصديقين[١]. وقدمت المجرورات على عواملها ؛ لمراعاة الفاصلة مع الاهتمام بمضمونها[٢]، فقد جاءت الفواصل تبعاً للمعنى، مع أن كل حرفٍ من حروف الجر قد أخذ مكانه البلاغي، فأدى ومتعلقه معناه المنوط به، فانتظم بذلك عِقد المعاني وانتظمت معه وحداته جميعها.

ونلحظ أن هذه الصفات منها ما هو قلبي ؛ وهو الإيمان وعدم الشرك والخوف، ومنها ما هو حسي، وهو إعطاء المعروف، ولكنها مرتبطة بمعنى قلبي، وهو خوفهم ألاَّ تُقبل منهم. فهؤلاء هم الذين يُفيضُ عليهم الخيرات، ويُسبغ عليهم نعمة الرضوان، وهم في مقابل الكافرين - الذين ذكروا في الآيات السابقة - الذين يظنون أن المال والولد دليل على رضوان الله — تعالى - عليهم، ولم يكن لديهم أدنى تفكير بأن ما هم فيه إنما يمدهم في طغيانهم. ولقد أعطاهم من الخيرات ما أعطاهم ولكنه - سبحانه - سلبهم نعمة الشعور والإحساس وهي ما يميز الإنسان عن غيره من المخلوقات. حيث قال تعالى: ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ۝ فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ۝ فَذَرْهُمْ فِى غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ۝ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ۝ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٢، ٥٦].

(جـ) الترادف:

يحسن أن أُقدم بين يدي موضوع الترادف مدلول هذا اللفظ اللغوي، ليلقي بظلال معناه على المراد.

---

(١) ينظر: مفاتيح الغيب (١٢/٢٣/٩٤).

(٢) ينظر: الفتوحات الإلهية (٥/٢٤٦)، والتحرير والتنوير (١٩/١٨/٧٧).

الترادف لغة:

التتابع، وترادف الشيء تبع بعضه بعضاً، ويقال: ردفت فلاناً، أي: صرت له ردْفاً، والفعل (رَدِف) ردفاً: ركب خلفه، وهو يعني التوالي والتتابع[(١)].

الترادف اصطلاحاً:

ويرى أبو البقاء الكفوي[(٢)] أن الترادف: «هو الاتحاد في المفهوم، لا الاتحاد في الذات، كالإنسان والبشر، وحق المترادِفَيْن صحة حلول كل واحدٍ منهما محل الآخر (...) والمترادفان يفيدان فائدة واحدة من غير تفاوت، والتابع لا يفيد وحده شيئاً، بل بشرط كونه مقيداً بتقدم الأول عليه، (...) والمترادفان مثل: ﴿عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾ [البقرة: ١٥٧]، والمخلّص في هذا أن يعتقد أن مجموع المترادفين يُحصّل معنى لا يوجد عند انفرادهما، فإن التركيب يحدث معنى زائداً»[(٣)]، فهو يرى أن الترادف هو اتحاد الدلالة على المراد.

---

(١) ينظر: المفردات (ص ١٩٣)، ولسان العرب (٩/ ١١٥)، (باب الفاء، فصل الراء).

(٢) أبو البقاء الكفوي: هو أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي الحنفي القاضي. ولد في (كفا)، ونشأ فيها، وأخذ العلوم، تفقه على مذهب أبي حنيفة، وعُيِّن قاضياً في الآستانة في (كفا)، ثم في (القدس). وتوفي بها سنة (١٠٩٤هـ)، ينظر: إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون (٢/ ٢٥٣)، لإسماعيل باشا بن محمد أمين البغدادي، مطبوع باسم كشف الظنون المجلد الثالث والرابع، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، بيروت، لبنان، وهدية العارفين (١/ ١٨٧).

(٣) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية (ص ٣١٥، ٣١٦)، لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، قابله على نسخ خطية د. عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

الترادف بين القبول والرفض:

إن فكرة الترادف من بين المصطلحات التي نمت في البيئة العربية، وأخذت حيزاً من تفكير مثقّفيها وأدبائها، وبخاصة بعد ما جمعه الرواة الأوائل من ألفاظ مترادفة، جُمعت من لسان خلص العرب، وأُثبتت في كثير من المؤلفات، ولقد كان الترادف ظاهرة شائعة؛ بل هي إحدى دعائم الثقافة العربية.

ومن الجدير ذكره، أنه ورد عن الأصمعي(١) أنه كان يحفظ للحجر سبعين اسماً(٢). ولقد ظهر عدد من علماء اللغة أنكر الترادف، كالمبرِّد(٣)، وأبي هلال العسكري(٤)، وغيرهما؛ فأبو هلال العسكري قد وضع مؤلفه الشهير: (الفروق اللغوية)، وهو علم على فكرته، ودليل على انتمائه إلى طائفة منكري الترادف، حيث وضع لكل مفردة منها الفروق الدقيقة التي تميزها عما يسمى بمرادفها.

---

(١) الأصمعي: عبد الملك بن قريب بن عبد الملك بن علي بن أصمع بن عمرو بن عبد الله الباهلي، كان أنشد الناس للشعر والمعاني والنحو، يكنى أبا سعيد. توفي بالبصرة سنة (٢١٣ هـ)، وقيل سنة (٢١٧هـ)، وله الكثير من المؤلفات. ينظر: الفهرست (ص ٨٢).

(٢) ينظر: الصاحبي (ص ٢١).

(٣) المبرد: محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الأزدي، أبو العباس المعروف بالمبرد، إمام العربية في بغداد بزمنه، وأحد أئمة الأدب والأخبار، من كتبه: (الكامل)، و(المذكر والمؤنث)، و(المقتضب)، توفي (سنة ٢٨٦هـ). ينظر: الأعلام (١٤٤/٧).

(٤) أبو هلال العسكري: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، فاضل كامل، كنيته أشهر من اسمه، ولد بعسكر مكرم، وتنقل في التجارة إلى بلاد متعددة، نفسه طاهرة، ومن تصانيفه: (كتاب الفروق)، و(النظائر). ينظر: إنباه الرواة (١٨٩/٤).

وهنا سأكتفي بإيراد ما قرره أبو هلال العسكري في هذه المسألة ؛ فهو يقول : «لا يجوز أن يدل اللفظ الواحد على معنيين مختلفين، حتى تضاف علامة لكل واحدٍ منهما ؛ فإن لم يكن فيه لذلك علامة أشكل وألبس على المخاطب، وليس من الحكمة وضع الأدلة المشكلة ؛ إلاّ أن يدفع إلى ذلك ضرورة، أو علة، ولا يجيء في الكلام غير ذلك، إلا ما شذّ وقلّ، وكما لا يجوز أن يدل اللفظ الواحد على معنيين، فكذلك لا يجوز أن يكون اللفظان يدلان على معنى واحد ؛ لأن في ذلك تكثيراً للغة بما لا فائدة فيه»(١).

وظاهر أن هناك وجهتين في ظاهرة الترادف في اللغة، إحداهما تثبتها، والأخرى تنفيها، وليس من همي أن أنعطف إلى أيٍ منهما بالتأييد، ولكن الذي أنا بصدده : الحديث عن الترادف في القرآن الكريم فقط، والذي يدرك حساسية الأداء، ودقة السياق للألفاظ في القرآن الكريم، يعلم يقيناً أن القرآن الكريم لا تجتمع فيه لفظتان مرادهما واحد، ودون فرق بينهما، لِما للقرآن الكريم من خاصية متميزة في اختيار ألفاظه، بحيث تبدو تلك الألفاظ مختلفة المعاني، لما بينها من فروق دقيقة في دلالتها، فكل كلمة منه وضعت كي تؤدي لمحاً خاصاً، وإيحاءً مختلفاً ؛ لذلك لا يوجد في القرآن الكريم ترادف، بل كل لفظةٍ مستقلة بذاتها، وتصور معنىً جديداً، وإنه : «لما بين الكلمات من فروق، ولما يبعثه بعضها في النفس من إيحاءات خاصة، دعا القرآن الكريم ألاّ يستخدم لفظ مكان آخر ؛ فقال سبحانه :

---

(١) الفروق اللغوية (ص ١٢)، لأبي هلال العسكري .

﴿ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ﴾ [الحجرات: ١٤].

فهو لا يرى التهاون في استعمال اللفظ؛ ولكنه يرى التدقيق فيه، ليدل على الحقيقة من غير لبس ولا تمويه»[١].

وأيضاً في قوله - تعالى -: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقُولُوا۟ رَٰعِنَا وَقُولُوا۟ ٱنظُرْنَا ﴾ [البقرة: ١٠٤].

شاهد آخر على نفي الترادف، ذلك أن لفظ راعنا لا يؤدي معنى ﴿ ٱنظُرْنَا ﴾، فالأمر جاء بأن يقولوا: ﴿ ٱنظُرْنَا ﴾؛ وهذا يدل على أنه لا تقوم كلمة مكان أخرى في معناها بشكل دقيق ومتطابق من جميع الجهات[٢].

ومن هنا فإنني سأعرض لشاهدين مختلفين في القرآن الكريم، وسأُبين الصفات التي تتقارب معانيها، وأُبين ما فيها من فرقٍ حتى يظهر أنها ليست مترادفة؛ بل تستقل كل منها بمعناها، حتى تؤدي المعنى المنوط بها.

وتتعدد صفات المؤمنين وتتنوع، وكل منها متفرد بذاته؛ ولا ترادف بينها، من ذلك ما جاء في قوله - تعالى -: ﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝١٩ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ۝٢٠ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ۝٢١ وَٱلَّذِينَ

---

(١) من بلاغة القرآن الكريم (ص ٥٧، ٥٨)، د. أحمد أحمد بدوي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة - القاهرة. وينظر: جماليات المفردة القرآنية (ص ٥٨).

(٢) ينظر: جماليات المفردة القرآنية (ص ٥٩).

صَبَرُوا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: ١٩-٢٤].

مقتضى المعنى:

أثبت الحق – سبحانه – رجاحة التذكر لأصحاب العقول الذين يلتزمون بما ألزمهم به ربهم مما عقدوه على أنفسهم من الشهادة بربوبيته، وبما أخذوه على أنفسهم من ألوان الطاعات، مما لم يلزمهم به ﷻ من الإيمان به – تعالى –، وغيره من المواثيق بينهم وبين الله – تعالى – وبين عباده؛ وأدوا ما عليهم من حقوق لله – تعالى – ولخلقه[1].

وترتبط هذه الآيات بسابقتها قوله – تعالى –: ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ [الرعد: ١٨].

ذلك أنه بعد ما بيَّن ﷻ ما للطائعين من جزاء، أتبعه بجزاء المعرضين، وأن هذا الجزاء من القسوة والذل بما لا ينفع معه افتداء بكل ما في الأرض، وتبع هذا إنكار أن يتساوى العالم والجاهل، وأن أولي الألباب هم المنتفعون بما أنزل

---

(١) وفي بسط هذه المعاني يراجع: جامع البيان (٤/٤١٩-٤٢١)، والكشاف (٢/٥٠٤)، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٦/٣٧٠، ٣٧١). والنظم القرآني في سورة الرعد (ص ١٥٨-١٦٠)، للدكتور محمد بن سعد الدبل، عالم الكتب، القاهرة، بدون تاريخ.

الله - تعالى -، فناسب ذلك أن يبين صفاتهم ليرضي تشوق النفوس المؤمنة لمعرفة سُبُل السلامة الموصلة إلى جنات عدنٍ[١].

بلاغة القرآن الكريم تنفي الترادف:

حيث قال - تعالى -: ﴿ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ﴾ الآيات.

لأهمية الوفاء بالعهد وهو حفظ الشيء ومراعاته؛ ولأنه خليقة تأصلت في نفس العربي منذ بزوغ فجر الإسلام، فإن المحافظة والوفاء بعهد الله - تعالى - هو أحق بالرعاية والالتزام[٢]؛ ولأن عهده ﷻ هو أمانته التي ائتمن الخلق عليها، وندب إليها، وأمر بها في الكتاب والسنة عن طريق رسله الكرام؛ وهي عهد الربوبية والعبودية، وتخصيصه بأنواع العبادات دون سواه، وغير ذلك من العهود التي تكون عادة بين العبد وربه من مثل الالتزام بالنذر[٣].

ولما كان أولو الألباب على بصيرةٍ من دينهم، وهدايةٍ من ربهم، فقد نفى عنهم نقضه فيما بينهم وبين إخوانهم المؤمنين؛ فدل على التزامهم بالمواثيق بينهم وبين الله ﷻ، وبينهم وبين العباد. فكان معنى الميثاق أعم وأشمل.

واستدل بأن الميثاق مراد به العموم؛ لأنه تحلى بـ(أل) للتعريف التي هي لام الجنس[٤]، فاستغرق الوصف جميع المواثيق؛ فهو لذلك أعم من (عهد الله)[٥]؛ حيث اشتمل عليه وعلى غيره من المواثيق.

---

(١) ينظر: نظم الدرر (١٠/٣٢٥، ٣٢٦).

(٢) ينظر: المفردات (ص ٥٢٨، ٥٢٩).

(٣) ينظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٦/٣٧٠).

(٤) ينظر: حاشية زاده (٣/١١٦).

(٥) ينظر: التحرير والتنوير (٧/١٣/١٢٦).

ومن البلاغة في صفات المؤمنين ؛ قوله – تعالى -: ﴿وَلَا يَنقُضُونَ ٱلۡمِيثَٰقَ﴾ أن الميثاق: هو ما أُخذ ووُثِّق على الحقيقة، ولقد شبه الميثاق بالحبل بجامع الإحكام في كلٍ، ثم تنوسي التشبيه وادعي أن الميثاق من أفراد الحبل، واستعير الحبل للميثاق، وحذف المستعار – وهو الحبل -، ورمز إليه بشيء من لوازمه، وهو النقض في قوله – تعالى -: ﴿يَنقُضُونَ﴾.

والقرينة هو إثبات النقض للميثاق، وهو استعارة **تخييلية**[1]، وسر البلاغة في ذلك: أنه لما كان عهد الله ﷻ، والعهود بين الناس بعضهم ببعض، ووصل الأرحام، كل ذلك يحتاج إلى قوةٍ في العزيمة، ومقدرة على الوفاء، لما فيه من المعاناة وبذل الأسباب ما فيه، كانت هذه الاستعارة التخيلية، تذكيراً للمؤمنين بما يجب لحفظ تلك الأمانات، ومراعاته بإحكام، كإحكام الحبل للوثيقة.

وفي التعبير بالفعل المضارع تأكيد استمرارهم على حفظ ميثاقهم وعهدهم، **وفي ذلك بلاغة** تجعل الأمانة تستقر في الأرض ؛ باستقرار حفظ الميثاق، واستمرار حفظ مبادئ الدين الحنيف التي امتدح بها أولو الألباب.

ومن الدقة في اختيار صفات المؤمنين في هذه الآيات، ومما ينتفي معه الترادف هو وصفهم بوصفين في آنٍ واحدٍ (هما: الخشية والخوف)، يلتقيان عند معنى الخوف، ويختلفان في مفترقٍ يؤدي إلى أنه لا يمكن لصفةٍ في القرآن الكريم أن تؤدي معنى الأخرى، وهذا يجعل جمال القرآن الكريم يتجدد بإعجازه،

---

(١) إثبات لازم المستعار للمستعار له في الاستعارة (الاستعارة تخيلية)، وهو اصطلاح تعارف عليه أهل علم البلاغة، وليس باستعارة، لأنه لم يستعر لشيء.

وبمعانيه، وبألفاظه، كما هو معجز بنظمه. حيث يقول - تعالى -: ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ﴾.

فالخشية: هي خوف يشوبه تعظيمٌ، وأكثر ما تكون فيما هو معلوم، وتتعلق بمنَزِّل المكروه وهو الله - تعالى -، ولا تكون من ذات المكروه، لذلك اتصف بها العلماء في قوله - تعالى -: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُا۟﴾. [فاطر: ٢٨][١].

والخوف: يكون من حدوث المكروه عامة، كالخوف من المرض والعدو، أما الخوف من الله - تعالى - فهو الكف عن المعاصي، وتحري عمل الطاعات[٢].

فالملاحظ أن **الخشية** تكون من الله ﷻ، وعن علم به.

وأما **الخوف**، فقد أوقع الخوف من الله عز وجل منزل الخوف على المؤمنين كما في قوله تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [النحل: ٥٠].

وخوف مما هو محدث كما في قوله - تعالى -: ﴿وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ﴾ [الرعد: ٢١].

فالخشية قريبة في معناها من الخوف، ولكن لا تؤدي معناها، ولا ترادفها، ولا تحل محلها؛ لأن الخشية غير الخوف، ويظل القرآن الكريم نسيج وحده، متفرداً في صفاته ومنهجه وأسلوبه.

ومن الشواهد الدالة على نفي الترادف في القرآن الكريم قوله - تعالى -: ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ۝ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ [فاطر: ٣٤-٣٥].

---

(١) ينظر: الفروق اللغوية (ص ٢٠٠)، وبصائر ذوي التمييز (٢/٥٤٤).

(٢) ينظر: بصائر ذوي التميز (٢/٥٤٥).

مقتضى المعنى:

من فيض نعمه سبحانه — وتعالى — على عباده المؤمنين الذين اصطفاهم لوراثة كتابه، وجاء ذكرهم في الآيتين السابقتين، أنه امتن عليهم بالراحة النفسية بعد انقطاعهم عن كل أسباب الحزن والأسف، التي قد تعرض بسبب نقصٍ في جمالهم وصحتهم، أو طعامهم وشرابهم، ثم إكرامهم فضلاً منه بالإقامة في جنة النعيم والتمتع بدوام خيراتها[1].

وترتبط هاتان الآيتان المباركتان بسابقتيها في قوله - تعالى -: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ۝ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ...﴾ [فاطر: ٣٢-٣٣].

ذلك أنه بعد أن بيَّن اختلاف أحوال العباد بعامة، استأنف في ذكر أحوال أهل الجنات استئنافاً بيانياً؛ وكأنه إجابة سؤال تقديره: ما شأنهم؟ لذا استهل بالإخبار عنهم بذكر نفائس الجنة من مختلف الحلي، وأبهى الملابس، ثم ذكر بعدئذٍ ما يبعث على طمأنينة نفوسهم، إذ الشفقة تدعوهم لأن يتحروا معرفة حال ظالم نفسه بالمعاصي بعد أن اقتُصّ منه؛ فناسب ذلك أن يجيء التعبير بالفعل ماضياً؛ تحقيقاً لشمول النعيم بها[2]، فقال - تعالى-: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾ الآيتان.

---

(١) ينظر: جامع البيان (٦/٢٥٥، ٢٥٦)، وتيسير الكريم الرحمن (٢/٤٤٥، ٤٤٦).

(٢) ينظر: نظم الدرر (١٦/٥٩، ٦٠).

البلاغة في القرآن الكريم تنفي الترادف:

الجملة من قوله - تعالى -: ﴿لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ تبين بعض صفات المؤمنين في اليوم الآخر، وتنفي أن يكون بالمؤمنين في دار المقامة ما يكدر عيشهم، ويقلق إقامتهم، فجاء الوصف بلفظين متقاربين في مؤداهما. ذلك أنه لما تذاكر المؤمنون ما شاهدوه من كُرب يوم القيامة وأهوالها؛ فناسبه النظر في تبدل أحوالهم إلى راحة دائمة قد بلغت منتهاها؛ فلا نصب أو وجع أو مشقة تصيب أبدانهم، تدل على كمال صحتهم واستدامة عاقبتهم، وأيضاً لا كلال ولا إعياء ولا عناء ناتج عما يحدثه النصب، ولا أي حدثٍ مما ينتج معه كدر نفوسهم، ومع مجيء الوصفين متلاحقين، وبمعنيين متقاربين[1] إلاَّ أن أحد اللفظين لا يمكن أن يحل محل الآخر، مما لا يحدث ترادفاً، والقرآن الكريم من ذلك بعيد، وسرُّ الوصف بهاتين الصفتين يشير إلى أنَّ الذي حسنت عافيته طابت نفسه، واستجلت محاسن نعيم الجنة؛ واستمتعت بالعطايا والهبات. ولمَّا كان معنى المس هو الإصابة في ابتداء أمرها[2]؛ فقد اتضح بأن الراحة قد بلغت

---

(١) في معنى (نصب، لغوب) يراجع: تفسير غريب القرآن (ص ١٣٣)، لأبي بكر السجستاني، مكتبة التراث بالقاهرة، وتفسير المشكل من غريب القرآن (ص ٢٠٠)، للإمام مكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق د. علي حسين البواب، مكتبة المعارف، الرياض، ط ١٤٠٦هـ- ١٩٨٥م، والنكت والعيون (٤/٤٧٥، ٤٧٦)، لأبي الحسن بن محمد بن الماوردي البصري، تعليق السيد عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ومؤسسة الكتب الثقافية، مكتبة المؤيد بالرياض، ط١، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، والكشاف (٣/٥٩٦)، والتبيان في تفسير غريب القرآن (ص ٣٤٧)، للعلامة شهاب الدين بن أحمد الهائم المصري، تحقيق د. فتحي أنور الدانولي، دار الصحابة للتراث بطنطا، ط ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير (١١/٢٢/٣١٧).

أنهم في مأمنٍ، لا يقاربهم أو يمسهم شيء من ذلك، ولما جاء الوصف: ﴿لَا يَمَسُّنَا﴾ منفياً مكرراً، دلَّ على تأكيد المراد بحصوله[1].

وأن النفي أثبت لهم تمام الخلاص من الأكدار والمنغصات، وتآزر ذلك النفي مع التعبير بالنكرة بقوله - تعالى -: ﴿نَصَبٌ﴾ و﴿لُغُوبٌ﴾، فقد صور المؤمنين وهم يرفلون بأثواب النعيم، وحُليِّ الجنة وهم في أعلى مقامات الراحة، ولا أدنى نصب يمسهم، ولا أدنى لغوب يقضُّ مضجعهم.

وتنتظم صفات المؤمنين في عقدة منظومة لا ينتهي، وكل وصفٍ لا يرادف الآخر، ومنه قوله تبارك وتعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَـٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَمَآ أَلَتۡنَـٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖۚ كُلُّ ٱمۡرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٞ ۝٢١ وَأَمۡدَدۡنَـٰهُم بِفَـٰكِهَةٖ وَلَحۡمٖ مِّمَّا يَشۡتَهُونَ ۝٢٢ يَتَنَـٰزَعُونَ فِيهَا كَأۡسٗا لَّا لَغۡوٞ فِيهَا وَلَا تَأۡثِيمٞ ۝٢٣ وَيَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ غِلۡمَانٞ لَّهُمۡ كَأَنَّهُمۡ لُؤۡلُؤٞ مَّكۡنُونٞ ۝٢٤ وَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ ۝٢٥ قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبۡلُ فِيٓ أَهۡلِنَا مُشۡفِقِينَ ۝٢٦ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ۝٢٧ إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلُ نَدۡعُوهُۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ۝٢٨﴾ [الطور: ٢١-٢٨].

حول المعنى:

الذُّرِّيَّة من تمام زينة الحياة الدنيا، قال تعالى: ﴿ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ [الكهف: ٤٦] فبهم يتم الأنس، وتكتمل الفرحة، وبهم تتبدد الأحزان، وتشرق بهجة النفوس، وتشتد عزائم الآباء[2]، ولما كان دأب المؤمنين الحرص على

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير (١١/٢٢/٣١٧).

(٢) ينظر: جامع البيان (٧/١٣١، ١٣٢)، والبحر المحيط (٨/١٤٦).

إيمانهم، وإنجاح سلوكهم؛ فقد أراد المولى – تبارك وتعالى – أن يكافئهم على الإحسان إحساناً، فتفيض بالفرحة نفوسهم في الآخرة؛ كما كانت تسعد بهم في الدنيا، فتصير «الذرية تبعاً لهم بالإيمان، ومن باب أولى إذ اتبعتهم ذريتهم بإيمانهم الصادر منهم أنفسهم»[١].

وذلك؛ لأن الآباء المؤمنين يلقنون أبناءهم الإيمان[٢]، ووجه الفضل في ذلك أن هؤلاء الأبناء يرتقون في الجنة إلى درجات عالية إكراماً لآبائهم، وإن لم يكن سعيهم واجتهادهم يصل إلى تلك المراتب، وما يضفي ألواناً أخرى من السعادة أنه – تعالى – لا ينقص من عمل الآباء شيئاً، بل يرفع الأبناء إلى درجة الآباء، ولهذا قيدت البشرى بذلك؛ حتى لا يتوهم الآباء نقص درجاتهم إلى درجات أبنائهم[٣]. وعن علي ﷺ قال: سألت خديجة رضي الله عنها النبي ﷺ عن ولدين ماتا لها في الجاهلية، فقال: رسول الله ﷺ: **(هما في النار)**، فلما رأى الكراهة في وجهها قال: **(لو رأيت مكانهما لأبغضتهما)**، قالت يا رسول الله: فولديَّ منك؟ قال: **(في الجنة)**، قال: ثم قال رسول الله ﷺ: **(إن المؤمنين وأولادهم في الجنة، وإن المشركين وأولادهم في النار)**[٤]. ثم قرأ رسول الله ﷺ:

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (٢/٧٥٤).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير (١٣/٢٧/٤٨).

(٣) ينظر: معالم التنزيل (٥/٢٣٥)، وبدائع الفوائد (٤/٢٦٢).

(٤) رواه عبد الله بن أحمد في زوائد المسند، مسند الإمام أحمد (ص ١٢٩)، رقم (١١٣١)، قال ابن الجوزي في جامع الأسانيد: «في إسناده محمد بن عثمان لا يقبل حديثه، ولا يصح في تعذيب الأطفال حديث». قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/٤٤٠): «رواه عبد الله بن أحمد، وفيه محمد بن عثمان ولم أعرفه، وبقية رجاله رجال الصحيح».

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ﴾ الآية[1]. وترتبط الآيات الكريمة بسابقتها قوله - تعالى -: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَعِيمٖ ۝ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ وَوَقَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ۝ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ۝ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٖ مَّصۡفُوفَةٖۖ وَزَوَّجۡنَٰهُم بِحُورٍ عِينٖ﴾ [الطور: ١٧-٢٠].

فقد ذكر سبحانه – وتعالى- في هذه الآيات ألواناً من نعيم المتقين، وصنوفاً من المتع بعد أن امتنَّ عليهم بما هو أعظم، وهو نجاتهم من النار، وفوزهم بالجنة، يتقلبون في أفيائها بين مختلف المتع الجسدية والنفسية، فناسب ذلك وصف المتقين، وقد بدأ بهم لشرفهم، ثم أتبعهم من هو أدنى منهم مرتبة، لتكون النعمة شاملة تامة[2].

بلاغة القرآن الكريم تنفي الترادف:

ففي قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ﴾ [الطور: ٢١].

يبدو في الآية الكريمة استخدام القرآن الكريم للفظين: ﴿وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ﴾، و﴿أَلۡحَقۡنَا﴾، وكل من اللفظين يعني في ظاهره الوصول إلى الغاية، والانتهاء إليها، ولكنه عند البحث عن معنى المفردتين نجدهما غير مترادفتين؛ وأن إحداهما لا تؤدي معنى الأخرى تماماً، بل يظل يفرق بينهما ذلك المعنى الدقيق، فقوله - تعالى-: ﴿وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ﴾ من (تبع)، فالتاء والباء والعين أصل واحد، وهو

---

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم (٤/ ٢٦٥).

(٢) ينظر: نظم الدرر (١٩/ ١٤).

التلو والقفو[١] على وزن: افتعلت إذا مروا بك فمضيت معهم، وتبعتهم تبعاً، ويقال: أَتْبعُهم حتى أَتْبَعْتَهُمْ، أي: حين أدركتهم[٢]. كما يقال: تبعه واتبعه بمعنى قفا أثره، وذلك تارة بالارتسام، أو بالائتمار[٣].

ويتضح من معنى (اتبعتهم) أنه الاتباع والسير حتى بلوغ الغاية، مع بذل الجهد والمثابرة.

أما الفعل ﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ﴾ ؛ فإن اللام والحاء والقاف أصل يدل على إدراك الشيء وبلوغه غيره. يقال: لحق فلان فلاناً فهو لاحق، ومنه اللحق، واللّحوق والإلحاق، كلها بمعنى الإدراك[٤]. وألحق الشيء بالشيء وألحقه بمعنى لحقه، ولحقته ولحقت به أدركته[٥]. وفي الحديث: (**أسرعكن لحاقاً بي أطولكن يداً**)[٦]، وبعد هذا البيان اللغوي لمعنى اللفظتين نستنبط أن اللفظتين متقاربتان

---

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة (١/٣٦٢)، (باب التاء والباء وما يثلثهما).

(٢) ينظر: مجمل اللغة (١/١٥٣)، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا اللغوي، تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م، ولسان العرب (٢٨/٨)، (باب العين، فصل التاء)، وتاج العروس (٣٨٨/٥)، (فصل التاء، باب العين)، للإمام اللغوي محمد مرتضى الزبيدي، دار البيان للنشر والتوزيع، بنغازي، الطبعة بدون.

(٣) ينظر: المفردات (ص ٧٢).

(٤) ينظر: معجم مقاييس اللغة (٢٣٨/٥)، (باب اللام والحاء، وما يثلثهما)، ولسان العرب (٣٢٧/١٠)، (باب القاف، فصل اللام).

(٥) ينظر: المفردات (ص ٤٤٨)، وبصائر ذوي التمييز (٤٢٣/٤).

(٦) ينظر: تاج العروس (٦٠/٧)، (فصل اللام، باب القاف)، والحديث أخرجه مسلم في صحيحه (ص ١٣٣٢)، رقم (٢٤٥٢)، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل زينب أم المؤمنين، وفي سنن النسائي (المجتبى)، لأحمد بن شعيب النسائي، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م بلفظ قريب منه (ص ٣٧٤)، رقم (٢٥٤٣)، كتاب الزكاة، فضل الصدقة.

جداً في المعنى، ولكنَّ إحداهما لا تؤدي ما تؤديه الأخرى، بل تفترقان عند معنى الإدراك؛ **فالاتباع** يكون بالتصميم على المضي في طريق الإيمان؛ سواء بالارتسام، وهو المتابعة دون مساءلة، أو بالائتمار، وهو عمل الطاعات حسب الإرشادات والأوامر.

أما **اللحاق**، فهو إدراك يعني به الوصول إلى الشيء دون معاناة، وذلك يستنبط من تفسير الآية المباركة كما مضى، ويعني أن ذرية المؤمنين المؤمنة، تلحق بدرجة آبائهم في الجنة، وتصل بهم إليهم نتيجة لإيمانهم إن كانوا كباراً، أو لإيمان آبائهم إن كانوا صغاراً، ودليل على ذلك ما روي عن حديث السيدة خديجة رضي الله عنها عن ولديها في الجاهلية، هذا من جهة، ومن جهةٍ أخرى فإن تعدي الفعل (اتبعتهم) للإيمان بالباء يشير إلى بيان حال الذرية، لما فيها من معنى الملابسة كما ذكر الزمخشري[1]. وأفاد تنكير لفظ الإيمان في قوله - تعالى -: ﴿بِإِيمَـٰنٍ﴾، إما تعظيم الإيمان، ويتبعه تعظيم منزلتهم، وإما أنه مجرد إيمان، ولكن يؤهلهم لدرجة آبائهم العالية، وعلى كلا هذين المعنيين، فإن المراد من التنكير اشتراط الإيمان الذي تقدم الحديث عنه[2].

اختلاف الصيغ في الألفاظ ينفي الترادف في أداء ذات المعنى:

فقد اشتركت صيغتا اللفظين (اتَّبع: افتعل)، واللفظ: (ألحقنا: أفعلنا) في الدلالة على اختلاف المعنيين.

---

(١) ينظر: الكشاف (٤/٤٠١).

(٢) المصدر والموقع ذاته.

وذلك أن من معاني صيغة (افتعل) التي وردت في كتب الصرف الاتخاذ، كقولك: اشتوى القوم، أي اتخذوا شواءً، فزيادة الهمزة والتاء دلت على زيادة في معنى الفعل (تبع)[١]. والصيغة المباركة تصور ذرية المؤمنين وقد اتخذت الإيمان - بالله تعالى - طريقها في الحياة، فدلت على امتزاج هذه العقيدة بنفوسهم؛ فكانوا وآباءهم سواء في التمسك بتعاليم الدين، وعدم الخروج عنه إلى غيره، كما أن فيها دلالة على الاختيار والطواعية دون إكراه، فهذه الحالة الإيمانية مما يناسب امتداحهم بصفة الاتباع، فهم متبعون في دينهم غير مبتدعين.

أما صيغة (ألحق)، فهي على وزن (أفعل)، فإن من معانيها التي وردت في كتب الصرف: الوصول، كقولك: أغفلته، أي: وصلت غفلتي إليه، ومنها الدخول في المكان والوصول إليه، فمعنى هذه الصيغة يدل على وصول هذه الذرية إلى آبائها في درجتهم التي هم عليها دون تقييد بعمل؛ بل هو كرامة لعمل الآباء، فضلاً من الله ﷻ[٢].

نخلص من ذلك إلى أنه كما لا يجوز أن يدل لفظ واحد على معنيين مختلفين دلالة تامة، حتى يضاف إلى أحدهما ما يميزه عن الآخر، فكذلك الصيغ، مع

---

(١) ينظر: الممتع في التصريف (١/١٩٢، ١٩٣)، لابن عُصْفور الإشبيلي، تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة، دار المعرفة، ط١، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، وشرح شافية ابن الحاجب (١/١٠٨)، وشرح مختصر التصريف العِزيّ في فن الصرف (ص ٤٠)، والمغني في تصريف الأفعال (ص ١٢٧)، د. محمد عبد الخالق عضيمة.

(٢) تنظر معاني هذه الصيغة في: الممتع في التصريف (١/١٨٨)، وشرح شافية ابن الحاجب (١/٩٠)، وشرح مختصر التصريف العزي في فن الصرف (ص ٣٦)، والمغني في تصريف الأفعال (ص ١١١، ١١٢).

إفادتها المبالغة؛ فإنها تفيد معاني أخرى، ذكرت في كتب اللغة وتصريف الكلام.

وهكذا فإنه إذا كان اختلاف الحركات يوجب اختلاف المعاني، فاختلاف المعاني أنفسها أولى أن يكون كذلك[1].

وأعتقد أن في قول أبي هلال العسكري دفعاً لرأي الطاهر بن عاشور الذي بدا له «في المخالفة بين الصيغتين تفنن لدفع إعادة اللفظ»[2]، إذ الدقة البيانية في الكتاب الحكيم تترفع عن أن يكون الاختلاف بين الصيغتين، أو اللفظين لمجرد التفنن للخروج من دائرة التكرار.

---

(١) ينظر: الفروق اللغوية (ص ١٣).

(٢) التحرير والتنوير (١٣/٢٧/٥٠).

المبحث الثاني

بلاغة اختيار الكلمة في آيات صفات المؤمنين

وفيه :

[أ] جرس الكلمة

الجَرْس:

في اللغة: «هو صوت خفي، يقال: ما سمعت له جرساً، أي: ما سمعت له حساً، وفي الحديث: **(فيسمعون جرْس طير الجنة)**[(١)]، (...) وسميت النحل جوارس من هذا، لأنها تجرس الشجر أي تأكل منه (...) من الجرس أي الصوت والحس»[(٢)]، وأضاف الزمخشري: «وجَرَس الكلام: نغم به (...) والحروف كلها مجروسة إلاّ أحرف اللين»[(٣)].

ويستنتج من هذا التعريف: أن الجرْس هو صوت ذو ذبذبات معينة مرهفة، تختلف باختلاف الصوت، وتتميز بمصاحبتها له؛ فتوقظ في الحسِّ معنى هذه المفردة، كما أن صوت النطق بها يوقظ في الذهن المعنى المراد، مما يجعل هذا الصوت صورة مجسدة في الحس والعقل معاً، فينبعث لذلك شعور خاص إزاء المعنى.

---

(١) عن أبي حاتم وعبد الرحمن عن عمه الأصمعي قال: "كنت في مجلس شعبة، فقال: (فتسمعون جرْس طير الجنة) فقلت: جرس! فنظر إلي وقال: خذوها عنه فإنه أعلم بهذا منا". جمهرة اللغة (٢/٧٥)، لابن دريد، وينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (١/٢٥٢)، للإمام مجد الدين بن الأثير الجزري.

(٢) جمهرة اللغة لابن دريد (٢/٧٥)، وينظر: مجمل اللغة (١/١٨٣)، لابن فارس.

(٣) أساس البلاغة (ص ٨٩).

وإن في تشبيه الجرْس بنقر الطائر عند التقاط الحب، أو في تشبيهه بالنحل حين يأكل الشجر، ما يدل على اختلاف هذه الذبذبات المنبعثة تبعاً لاختلاف شدة التقاط الحب، وصلابة الموقع الذي عليه ذلك الحبُّ؛ فكذلك الجرْس في الكلمات، يختلف اختلافات بينة ليستطيع الوفاء بحق المعاني؛ وهو ما وصف بقوله إنه: «يشكل التلاؤم الصوتي بين الألفاظ ضرباً من التناغم، أحسه القدماء في بحثهم لتركيب الحروف، فميزوا ما يتآلف من الحروف وما يتنافر»[1]، ووصفوه في مؤلفاتهم، وضربوا له الأمثلة. فمن ذلك ملاحظتهم ملاءمة أصوات الحروف للأحداث المعبر عنها، ومن أمثلة ذلك: «قولهم: النضح. للماء ونحوه، والنضخ: أقوى من النضح، قال الله - تعالى -: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾ [الرحمن: ٦٦]، فجعلوا الحاء لرقتها للماء الضعيف، والخاء لغلظها لما هو أقوى منه»[2]، وهكذا يتناسب الحرف مع المعنى الذي وضع له قوةً وضعفاً، ومن ثم تتناسب الكلمة مع الغرض الذي سيقت له في الكلام؛ بل وأمر هذه الألفاظ أعجب، واختيار الحروف فيها أدق؛ ذلك أنهم يرتبون الحروف على حسب ترتيب الحدث، فيقدمون الحرف الذي يُضاهي أول الحدث ويناسبه، ويؤخرون الحرف الذي يُناسب آخره، وكذلك تتوسط الأحرف التي تناسب أواسط الحدث[3]. كل ذلك يؤدي صوتاً معيناً في الأذن؛ وهو ما

---

(١) جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي عند العرب (ص ٢٢٣)، د. ماهر مهدي هلال. ومن الواضح أن المقصود بالقدماء ابن جني. ينظر: الخصائص (٢/١٥٧، ١٦٤).

(٢) الخصائص (٢/١٥٨).

(٣) ينظر: المصدر ذاته (٢/١٦٢).

اصطلح عليه بالجرس - كما تقدم -، ولكنَّ تطبيق مثل هذه القاعدة قد لا يستبين في كل الألفاظ، فقد يستغلق على بعض الدارسين، فيجب ألاَّ يتكلفوا ما لا يشعرون به، وما لا يستطيعون ملاءمته للمعنى.

ولتطبيق نظرية الجرس لا بد من ذكر الأثر النفسي الذي يبعثه الصوت لوجود الصلة المحكمة بين الصوت والمعنى، ولا بد كذلك من ملاحظة ملاءمة صفة الحرف الذي يعبر به؛ لأن لكل حرفٍ صفات مختلفة؛ فمنها ما اجتمع فيه أكثر من صفةٍ متضادة، لذلك يجب على الدارس أن يختار الصفة المناسبة لذلك المعنى؛ لأن القارئ المتأمل لكتاب الله ﷻ يلاحظ على أصوات حروفه «هذا ينقر، وذاك يصفر، وثالث يهمس، ورابع يجهر، وآخر ينزلق عليه النفس، وآخر يحتبس عنده النفس، وهلمَّ جراً، فترى الجمال اللغوي ماثلاً أمامك في مجموعة مختلفة مؤتلفة: لا كركرة، ولا ثرثرة»[1].

وكل أصوات هذه الحروف إنما تنزل منزلة النبرات المتسقة المنسجمة بعضها مع بعض، لذا لا بد من جهةٍ معينةٍ من التراكيب والتأليف، حتى يتداخل بعضها في بعض، ويتألف منها شيء مع شيء، فتتداخل خواصها وتجتمع صفاتها، لينشأ عنه ذلك الجرس، وهذا لا يكون إلاَّ من الترتيب الصوتي؛ الذي يثير بعضه بعضاً على نسب معلومة ترجع إلى درجات الصوت ومخارجه وأبعاده[2].

وأخيراً يطيبُ لي أن أقدم خلاصةً للطريقة المثلى، التي تنبغي لدراسة الجرس في القرآن الكريم، وهنا أذكر ما قرره بعض الباحثين حيث قال: «يجب أن

---

(١) النبأ العظيم: نظرات جديدة في القرآن الكريم (ص ١٣٢).

(٢) ينظر: إعجاز القرآن الكريم والبلاغة النبوية (ص ٢٤١، ٢٤٢).

نكتفي بمناسبة الأصوات للمواقف، ومُساعدتها على تجلّي المعاني، وليس المطابقة الكلية كما في نظرية المحاكاة؛ وعلى الدارسين أن يحذو حذو ابن جني[١] الذي أطلق على هذه الظاهرة الإمساس والمصاقبة، أي المقاربة؛ وأن يكتفوا بمعرفة صفات الحروف، وقدر ملاءمتها للموقف في الآية، وخصوصية الصفة النغمية للحرف لارتباطه بحركةٍ ما، واتصاله بحروف معينةٍ، فالكاف مثلاً من حروف الهمس، وكذلك من حروف الشدَّة، وتبرُزُ صفة معينة لاعتبارات خاصة»[٢].

الجرس وأثره في إعجاز القرآن الكريم:

إن أول شيء لامس آذان قومه ﷺ هو صوت القرآن الكريم؛ بما فيه من حركةٍ وسكون، وقد قسِّم أقساماً متنوعةٍ، ومقاطع منسجمة بعضها مع بعض، ولقد توزعت أصوات حروف اللين والغُنَّة بين حروفه وكلماته وجمله، بشكل جعل الصوت القرآني يخيل إليهم وكأنه شيء من أشعارهم، بل هو نمط من الكلام لم تعهده قط، فليس له صفات منثورهم ولا مسجوعهم، لذلك كان أقرب الأوصاف إليه هو الشعر، فقد ربطوا هذا الأثر النفسي الذي يبعثه الجرس

---

(١) أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، من علما اللغة والأدب والنحو والتصريف، أخذ عن أبي علي الفارسي، ولازمه، وتصدر للدرس بعده، أخذ عنه الثمانيني، وعبد السلام البصري وغيرهما، قال عنه المتنبي: ابن جني أعلم بشعري مني، له من التصانيف: (الخصائص)، و(سر صناعة الإعراب)، وغيرهما كثير، توفي سنة (٣٩٣هـ). ينظر: البلغة في تاريخ أئمة اللغة (ص ١١٥)، وهدية العارفين (١/ ٥٢٤).

(٢) جماليات المفردة القرآنية (ص ٢٣٦).

بالأثر النفسي الذي يتركه الشعر ؛ لذلك لم يكن لهم بد من وصفه بكونه شعراً، فهو الذي يثير في النفوس عواطفها، ويبعث مكنونها بما له من بديع القوافي المنظومة والجمل المرصوفة.

ولقد أجمل الرافعي القول في بيان أثر جرس القرآن المعجز عند تلقي القوم له لأول وهلة ؛ فقد وصفه بأنه : «الصدمة الأولى للنفس العربية، وإنما هي في أوزان الكلمات وأجراس الحروف دون ما عداها، وليس يتفق ذلك في شيء من كلام العرب، إلاّ أن يكون وزناً من الشعر أو السجع»[1].

تلك لمحة سريعة عن مفهوم الجرس، وأثره في التعبير القرآني، وهنا أنتقل إلى سوق شواهد من الجرس في صفات المؤمنين :

منها قوله - تعالى - : ﴿نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ۝ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا مِن دُونِهِ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا﴾ [الكهف : ١٣-١٤].

حول المعنى:

في آيتي الشاهد المباركتين شرع - سبحانه - في تفصيل قصة أصحاب الكهف ؛ يقصها على نبيه بالحق والصدق الذي لا شك فيه، فهم فتية لا يتجاوز عددهم العشرة[2]، فزادهم الله إيماناً بسبب أصل اهتدائهم، وزادهم هداية علماً وعملاً صالحاً، وكان من نتائج الإيمان الصادق أن صبَّرهم، وجعل قلوبهم مطمئنة في تلك الأحوال المضطربة، لطفاً وبراً بهم.

---

(١) إعجاز القرآن الكريم والبلاغة النبوية (ص ٢٤٣).

(٢) بدليل التعبير عنهم بجموع القلة : (فتية).

وكان محور إيمانهم، إفراده سبحانه بالعبادة، فهو الذي خلقهم ورزقهم، وهو الذي خلق السموات والأرض، وهو المستحق للعبادة وحده دون تلك الأوثان والأصنام التي لا تملك نفعاً ولا ضراً، فاستدلوا بتوحيد الربوبية على توحيد الألوهية. وترتبط الآيتان الكريمتان بسابقتيها، وهما: قوله - تعالى -: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَـٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَـٰتِنَا عَجَبًا ۝ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ [الكهف: ٩-١٠].

ذلك أن القوم – قريشاً - سألوا عنهم النبي ﷺ على سبيل الامتحان، فبين المولى - تبارك وتعالى - أنه لا عجب من قصتهم؛ لأن آياته كلها عجب – سبحانه -.

والخلاف وقع في مدة مكثهم، فقد كان الحزبان على جهل بتلك المدة، جاءت الآيات الكريمة ناطقة بكلمة الحق في شأنهم فقال - تعالى -: ﴿نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ﴾ آيات الشاهد.

ويروى في سبب نزولها: أن قريشاً بعثت من أبنائها النضر بن الحارث، وعقبة بن أبي معيط، إلى أحبار اليهود بالمدينة ليسألاهم عن صدقه ﷺ؛ لأنهم أهل كتاب، وهم على علم بذلك، فلما سألوهم قال الأحبار: سلوه عن بعض الأمور، فإن أخبركم فهو نبي مرسل، وإن لم يفعل فهو متقوّل، فمما سألوا عنه قصة هؤلاء الفتية، فقال لهم: غداً أخبركم، ولم يقل إن شاء الله، فاحتجب الوحي عن المصطفى خمسة عشر يوماً، فأرجف الكفار، ولفقوا أقاويل عنه ﷺ، منها عجزه عن الإجابة لانقطاع الرئي عنه، وبعد انقضاء الأمد، جاءه الوحي بجواب ما سئل عنه[1].

---

(١) ينظر: البحر المحيط (٦/٩٣).

وهذه الآية المباركة في شأن الفتية المؤمنين الذين صدّقوا الله تعالى فصدقهم، ومنحهم القوة التي جعلتهم يقرون أمام الملك بوحدانية الله تعالى دون خوف أو وجل.

ولقد صوَّر القرآن الكريم ذلك المشهد بأسلوب الاستعارة؛ إذ أُحكم وضعها بين جمل الآيات المباركة؛ فجاءت بنظمٍ بديعٍ رائعٍ؛ إذ شُبهِّت القلوب بأشياء يخشى تناثرها، ثم استعيرت هذه الأشياء للقلوب بعد تناسي التشبيه، ثم حُذِفت ورمز إليها بشيء من لوازمها وهو الربط على سبيل الاستعارة المكنية.

ولا يخفى ما عليه ألفاظ هذه الاستعارة من طلاوة وسلاسة قد نسجت أصواتها بجرسٍ متميزٍ، يتناسب وأسلوب قصة الإيمان المتفرد.

فاستهلت القصة المباركة بصوتٍ خفيض: ﴿إِنَّهُمْ﴾، ليكون بَدْء الحكاية أو القصة مما يلقي في نفس القاصّ مهابةً، ويعطي القصة حقها من التقدير ﴿إِنَّهُمْ﴾، ثم تداخل صوت النون – ساكن فمتحرك – مما أنتج صوت الشدَّة تقديراً وتعظيماً لشأنهم، ثم الهاء بمخرجها من أقصى الحلق؛ فإنها تهمس بوصفهم فتية، وينتهي التعريف بهم بميمٍ ساكنةٍ، ليعود بعدها إلى صوت الكسرة المنخفض ﴿فِتْيَةٌ﴾، ومع صوت الفاء المهموسة ما يعبر عن لين جانب أعمار الفتية، ثم الوقوف على التاء الساكنة، وهي حرف مجهور[1]، فيه دعوة إلى التريث والنظر في شأنهم، ثم ينطلق الهواء مع فتحة الياء المجهورة؛ ولكنه انطلاق يسير تناسب وقصر صوت الفتحة ثم إلى همس الهاء الساكنة، كل ذلك الخفض والدعة في وصفهم ﴿فِتْيَةٌ﴾ ليتوصل به إلى سر عظمتهم، والحكاية عنهم.

---

(١) أي أشبع الاعتماد عليه في موضعه، ومنع النفس أن يجري معه حتى ينقضي الاعتماد عليه ويجري الصوت. ينظر: سر صناعة الإعراب لابن جني (١/٦٠).

ثـم تـتوالى أصـوات الفـتحة بقصـرها وخفـتها في قولـه - تعـالى- : ﴿ءَامَنُوا﴾ لتناسـب هداية المؤمن واطمئنانه، عند الوقف على الساكن (الواو)، وهو وقف يتناسـب وأسـلوب القصـة للتشـويق، إذ يثير انتباه المستمعين إلى مـا سيأتي بعد ذلـك. وهـو الإيمـان ﴿بِرَبِّهِمْ﴾ - دون غـيره مـن أسمائـه الحسـنى - ويظل صوت الـباء المكسورة متصلاً بسابقتها الواو الساكنة في قولـه - تعالى - : ﴿ءَامَنُوا﴾، ثم فتحة الـراء بصـوتها وذبذبـتها المتكررة، ثـم العـودة إلى الباء المكسورة المشددة؛ فهـذا الانخفـاض، ثـم الصـعود الصـوتي المتوازن، إشارة إلى ما هم عليه أنفسهم مـن اتـزان الإيمـان، ومع هذا فإنَّ في الراء وتضعيف الباء بالشدة ما يلفت الانتباه إلى عظمـة الذيـن آمنوا بـه، ثم ينتهي الموقف بالميم الساكنة؛ ليبتدئ مشهد آخر مـن القصـة بصـوت الفـتحة ثـم الكسـرة في قولـه - تعـالى- : ﴿وَزِدْنَٰهُمْ﴾ ارتفـاع وانخفـاض في الصـوت، إشارة إلى عملية الزيادة، ثم السكون مرةً أخرى، ليعبر عـن فـاعل هـذه الـزيادة، وهـو الله - تعـالى -، لذلـك انطلـق الصـوت بالـنون المفـتوحة، وبمـا لـهـا مـن انشراحٍ وخفةٍ لتعبر عن سبحات الرضا في هذا الموقف، فانـتقل مـن الفـتحة الممتدة بألف اللين (نا) بامتداد صوته - تعظيماً -، ولتتضح أهمـية إسـناد الفعـل إلى (نـا) الفـاعلين، وفي سـكون هـذا المـد وهمـس الهـاء المضـمومة (الضـمير) إشـارة إلى نـوع المـزيد لهـم، وتمهـيداً للوقـف عـلى المـيم السـاكنة، ليدل هذا الساكن على أنَّ هؤلاء هم المختصون بالزيادة دون غيرهم، ثـم الانـتقال إلى همـس الهاء المضمومة مرةً أخرى في قولـه تعالى: ﴿هُدًى﴾ فيها تلاؤم صوتي رائع.

هذا من جهة ؛ ومن جهةٍ أخرى كان التعبير عنهم بالضمير (الهاء المضمومة)، وهو ذات الحرف الهاء في قوله – تعالى - : ﴿هُدًى﴾، وكأن المراد أن الهداية الربانية هي جزء من ذات الإنسان ومعتقده.

وينتهي المشهد بالألف اللينة الساكنة، لتبدأ مرحلة أخرى في جزاء هؤلاء المؤمنين الذين أصابهم الخوف والفزع ؛ من قومهم فتداركتهم العناية الإلهية ببعث الأمن والطمأنينة في نفوسهم. وهذا المعنى عبر عنه بأسلوب الاستعارة قوله - تعالى - : ﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾، فالبدء بالفتحة في ثلاثة أصوات متتالية كوّن توازناً صوتياً يدل على سهولة ذلك الأمر على رب العالمين، ثم الطاء الساكنة[1] بما لها من صفات تمثل التفاف حبلٍ على سلعةٍ أو متاع، وذلك يمثل قلوب الفتية وقد استقرت مطمئنة بالإيمان.

ومما هو ملاحظ أن شِدة صوت الطاء الساكنة قد اخترق هدأة هذه الصورة، وكون صوتاً مقلقلاً لا يمكن الوقوف عليه، لتستبين حركة السكون، فقد ساعدت هذه الصفة على أن ينتقل منها إلى حركة الفتحة على النون المذلقة المنشرحة بطبعها، ليدل على حركة إحكام الربط عند الوقف على الألف الساكنة في قوله تعالى: ﴿وَرَبَطْنَا﴾ بعد الوقوف على سكون الطاء، ومن ثم يعود الصوت متوازناً يمثل جرساً ينتقل برشاقة وخفة ؛ حيث الحركتان القصيرتان في قوله - تعالى- : ﴿قُلُوبِهِمْ﴾ وهما الضمة بقوتها لتشعر عن ثبات قلوبهم، ويمتد الصوت مضموماً فيقوى ممهداً لنطق الضمة الممتدة بحرف اللين

---

(1) وهي حرف مُطْبَقٌ، وهو صوت يصوره إطباق اللسان إلى الحنك الأعلى. ينظر: سر صناعة الأعراب (1 / 61).

(الـواو)، ويستمر التوازن الصـوتي حركتان فساكن في قولـه — سبحانه -: ﴿ بِهِمْ ﴾، وهـذا السـاكن يُتمم صـورة نفسية لهؤلاء المؤمنين، يبدأ بعدها بيان موقفهـم العملـي، ودورهـم الجهـادي، فقـد جـاهدوا الكافـرين باللسـان، وناهضـوهم بـالكلام، ويمـثل ذلـك قولـه - تعـالى-: ﴿إِذْ قَامُواْ ﴾، فالـبدء بالكسرة، ثـم السكون، يمثل بداية الحركة المناهضـة، ثـم القـاف بثقلها، تمثل أعباء ما حصل بعد ذلك، وهـو صوت متوازن - حـركة فسكون، ثم حركة فسكون - توازنـاً صـوتياً نـتج عـن امتداد الصوت بحرف القـاف لإتمام النطق بالحـرف اللين، ويتبعه مقطع آخر - حركة مد صوت قصير - هي الضمة بثقلها يمثل شيئاً من تثاقلهم لإحكام القول، ثم مقطع مكون من صوتين أحدهما فتحة قصيرة، والآخـر فتحة طويلـة - اقتضـاها حـرف الألـف -، وهـي حـرف اللـين (فقـا) بخفتها ينسـاب انسياب القول. ثم صوتا الحركة والسكون في قولـه - تعالى-: (لُواْ) من قولـه — تعالى -: ﴿فَقَالُواْ﴾، ذلك التوازن الصوتي في مقاطع الكلمتين يـدل عـلى تثبتهم لينطقوا بكـلمة الحق ﴿رَبُّنَا رَبُّ﴾، فالـراء المكررة بالفتحة، ثم الباء المشددة، وبضمةٍ قويةٍ عند النطق بها، إيحاء بقوة الإيمان، فقد دخل الإيمان قلوبهـم، وهـم قـد تمسكوا بـه، وهذا التداخل تُشْعِر به شدَّة الباء، وخاصةً بعد إضـافتها إلى (نـا) التي للجمع؛ حيث فتحة النون التي تهيئ للانتقال إلى صوت المد الطويـل في قولـه تعـالى: ﴿رَبُّنَا﴾ ليسـاعد في نطق ﴿رَبُّ﴾، ولـيعاود الصوت توازنـه، فـتحة الـراء المكـررة، فالباء المشددة، ثم الانتقال من ضمة الباء المشددة ﴿رَبُّ﴾ إلى صـفير سـكون السـين الأولى في قولــه - تعــالى-: ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ ثــم

انطلاق الصوت بالفتحة ثلاث[1] مرات يمثل امتداد السموات[2] وارتفاعها، ثم عملية الانتقال من كسرة التاء وفتحة الواو فسكون اللام في قوله – تعالى -: ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾ ثم فتحة الألف وسكون الراء المكررة يؤدي إلى تردد الصوت - حركة فسكون، حركة فسكون -، ثم الانتقال من هذا الصوت المنتظم إلى الكسر، وهو آخر صوت في كلمة ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾ ليمثل الانتقال من علو السموات إلى انخفاض الأرض، الذي اتصل بفتحة اللام ثم سكون النون (لنْ) - وهما حرفان مذلقان- مما يتواءم مع الخفة المطلوبة في نفي دعاء غير الله - تعالى -، ثم يتكرر الصوت أخرى، فتح فسكون في قوله - سبحانه -: ﴿نَّدْعُوَاْ﴾ ثم ينتقل الصوت من الواو المفتوحة إلى انخفاض الواو المفتوحة إلى انخفاض الميم المكسورة في قوله - تعالى -: ﴿مِن﴾ مع النون الساكنة ثم الدال ذات الصوت الطويل في قوله – تعالى -: ﴿مِن دُونِهِۦٓ﴾ هي امتداد في نفي أي مدعو.

وخفاء صوت النون نتيجة التقائه بصوت الدال المضمومة، فيه خفاء لما يدعى من دون الله – تعالى - وإبطال له... ثم توالي ثلاث حركات: النون فالهاء الممتدة الصوت لوقوع همزة مكسورة بعدها: ﴿مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا﴾.

ومن صفات المؤمنين (المتقون)، فقد تجلى فيها جرس صوتي متميز عند بيان ما لهم من النعيم، وذلك في قوله - تعالى -: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴿٣٥﴾ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا﴾ [النبأ: ٣١-٣٦].

---

(١) وتضعيف السين في (السموات) ناشئ من عدم نطق حركة اللام الشمسية.

(٢) في السين الثانية من السموات الميم فالواو المفتوحتان.

حول المعنى:

الآيات المباركة عرض لمشهد تعليم المتقين، بعد نجاتهم من النار، وخلاصهم من عنفها؛ فأصبحوا في مفازةٍ من النعيم وقد أحاطهم بحدائق ذات بهجة، إشارة إلى اعتزالهم مشاق اليوم الآخر، ورمزاً مجسداً للعناية بمقدمهم؛ فهذه الحدائق ممتدة لتناسب هذا المشهد مع ما سيأتي بعد من متع النعيم بكواعب حسانٍ متقارباتٍ في السن والجمال؛ فتدار الكؤوس ملأى بخمر الآخرة، وقد انتفت عنها صفات خمر الدنيا، ويطيب المجلس وجلساؤه، ويخلو شرابه من المنغصات، ويزداد أنسه في هدوئه وبعده عما يكدر الخاطر ويكد الذهن، من لغوٍ وكذبٍ.. ولعظم سوء اللغو والكذب؛ فقد نفاهما عن المؤمن الكامل الإيمان، إذ جاء التنفير منهما بقوله -تعالى-: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون: ٣]. ونفَّر عن الكذب، وبين أنه من صفات المنافقين أصحاب مسجد الضرار، فقال ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [التوبة: ١٠٧].

والملاحظ أن صفة اللغو مقدمة على الكذب؛ لأنه - أي اللغو- مدعاة إليه، وهو أحد أسبابه.

وترتبط آيات الشاهد المباركة بسابقاتها في تقابلٍ عجيبٍ؛ لبيان صفات الكفار ومآلهم، قال - تعالى -: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ كِتَٰبًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ [النبأ: ٢١-٣٠].

وبالنظر في هذه الآيات، نلحظ وصفاً عميقاً معبراً عن جهنم؛ وهي تترصد الطاغين، فتخطفهم وتلقي بهم في أعماقها أحقاباً وأزمنة، يتقلبون بين نارها المتأججة، فلا برد يتقون به لهبها، ولا شراب يروي من حرها، وهي صورة تقابل صورة المتقين الذين يرفلون بألوان النعيم. فقد استهلت تلك الصفات الكريمة بالتأكيد لما سيأتي من أوصاف نعيم الجنة، لتستأنس أنفسهم، وفي ذلك إثارة لنوازع الحسرة وكوامن الندم في نفوس المكذبين، حيث الإقامة للفريقين، ولكن شتان ما بينهما.

ومع أن أوجه الإعجاز القرآني متعددة متنوعة؛ فإنها تلتقي جميعها في نهر العجز عن الإتيان بمثله، فهذه الآيات الكريمة أنموذج لذلك، فيه مشهد تصويري للمؤمنين في الجنة، يثير في الذهن صوراً متتابعةً لصفات المتقين، لا تنتهي عند حدٍ، وهذا شأن الإعجاز؛ فإن الأذن تتمتع بصور صوتية لا تنتهي عند حدٍ هذه الصور التي تنبثق من الحروف المنطوقة وهي تتمثل في نظم الكلمات فالجمل، ومنها يتألف الكلام، بما يجعل ذوي القلوب الواعية يرهفون السمع لما تجيش به النفوس، لنستبين مزيداً من صور المعاني، مما يسهم في عملية الاستيعاب والفهم والتأثر.

الجرس الصوتي:

استهل وصف نعيم المتقين بـ(إنّ) رغبةً في التأكيد، وإشعاراً بالمحبة والرضا؛ لأن قول المولى – تبارك وتعالى – حقٌّ، وهذا أسلوب جرى عادة بين المحبين، يدل على الصفاء. والبَدء بهمزة (إنَّ) مكسورة يدل على انخفاض عيش المتقين، ثم النون بما فيها من شدةٍ توحي بعظم إرادة الحق في الإحسان

للمؤمنين، وشدَّة النون وقد تكونت من نون ساكنة متبوعة بنون أخرى مفتوحة، ثم لامٍ مكسورةٍ يجعل الصوت يرتفع بنغمٍ ناعم، ثم صفة انذلاق اللام وانشراحها، ثم خفتها على اللسان، مما يدل على عطاءٍ ثرٍ سخيٍ، ثم تتبع بلامٍ أخرى تساند الأولى، فتدل بما لها من صفاتٍ على تتابع العطاء؛ ولكن وقف السكون يكسب لفظ (المتقين) حداً لا يتجاوزه إلى غيرهم ممن وردت صفاتهم في الآية السابقة، ومن ثم حَسُن الانتقال من الساكن في اللام الثانية ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ إلى الميم المضمومة، ثم يجيء الساكن بعدها ليُوجد توازناً صوتياً يجعل صيغة المتقين وقد استهلت بقوة الضمة، وباستدارة الشفتين عند النطق بها يوحي بقوة الحرص على اتقاء المعاصي، ثم (الشدة) على التاء تدل على تداخل وامتزاج الصفة بأهلها، وأما صفة الهمس في (التاء)؛ فإنها تناسب وصف المؤمنين في الجنة، حيث الأمن والهدوء والطمأنينة، ثم الانتقال من الشدة إلى الكسرة المنخفضة ثم صوت المد الطويل (الياء) مما أدى إلى اتضاح صوت مخرجه من أقصى اللسان بالقرب من الجوف، مما أكسبه جرساً يوحي بعمق صفة التقوى، وإنه وإن تلاشى شيء من شدة القاف، فإن ثقلها ينبئ عن رسوخ الصفة في الموصوف.

ثم في تسكين حرف المد (الياء) ما يحد من امتداد الصوت بها، ثم امتزاجه بحرف النون ليسيرا معاً إلى نحو طرف الثنايا العليا، وليتناسب مع خفة انذلاقها، وفي صفة انشراحها كذلك ما يلقي بأضواء الفوز على جرس الكلمة. بينما نجد أن الفتحة بخفتها في (الزاي) في قوله - تعالى-: ﴿مَفَازًا﴾ تكسب اللفظة جرساً خفيفاً متوالياً لتتابع حركة الفتح في حروف النون والميم والفاء، وهذا الجرس يتناسب وتألق بُشْرى الفوز في نفوس المتقين.

ويتوالى جرس الفتح بخفة في الألفاظ. ففي قوله - تعالى-: ﴿ حَدَآبِقَ وَأَعۡنَٰبٗا ﴾ حركتان قصيرتان: (فتحة الحاء، وفتحة الدال) متواصلتان بحرف اللين تمثلان صوتاً ممتداً، ويليه كسر الهمزة يدل على رخاء يتناسب مع نعيم الحدائق، وكسر الهمزة فيها يرفع من ثقل القاف، ويخفف من شدته؛ فينطلق مستعلياً.

بينما نجد أن توالي الفتحتين ثم السكون في قوله – تعالى-: ﴿ وَأَعۡنَٰبٗا ﴾ قد اختلف جرسها، وكذلك أثره في السمع عنه في ﴿ حَدَآبِقَ ﴾، وذلك لاختلاف صفات ومخرج الصوت الساكن وهو (العين) في أعناب عنه في حدائق.

فمخرج العين الساكنة من وسط الحلق، وكونها منفتحة تجعل اللسان لا ينطبق مع الهواء إلى الحنك عند النطق بها، بل يظل منحبساً في مخرجه، يمثل ما عليه عناقيد العنب وقد نُضِّتْ حباتها، وتراصت حتى كونت ذلك الشكل المخروطي منتهياً بحبة عنبٍ تعني النهاية، ويمثل هذه النهاية النون المفتوحة باندلاقها لتساعد العين الساكنة في الاندلاق، ولتمهد لصوت المد بالانطلاق، ليشير إلى كثرة أعنابها، ثم يختتم اللفظ بالباء المفتوحة مما يمنع السمع لامتزاجه بحرف العين في أوائل الكلمة، ثم يستكمل المولى أوصاف نعيم المتقين بدقة متناهية في اختيار اللفظ المناسب من حيث المعنى والوزن؛ ثم بتوازن نبره، مما أنشأ معه جرساً ذا جمال وسلاسة. فمن ذلك وصف نساء الجنة ﴿ وَكَوَاعِبَ ﴾ على صيغة الجمع، لما فيه من التناسب بين نبر حركاتها وحروفها؛ وبين المعنى من جهة وبين جرس اللفظ من جهة أخرى، وهذا لا يتحقق في الوصف بقوله (كاعب).

فتوالي حركات الفتحة ثلاث مراتٍ فيه من الرشاقة والخفة ما يذكر بصفة الحسناء. ثم مخرج الواو (واو العطف) من بين الشفتين وخروج الهواء منساباً دون أن يلتصق اللسان بالحنك يشي بشيءٍ من الخفة نحو الوصف ﴿وَكَوَاعِبَ﴾ الذي ابتدأ بالكاف، وبما لها من صفتي الشدة والقوة تنبيهاً وإشعاراً بأن ألواناً من النعيم تنتظرهم غير التي سبقت، وتذهب الفتحة بشدة الكاف وبقوتها لتُبْقي صفاء الأنس بكواعب الفتيات، ثم الواو كذلك بما لها من صفات وبمخرجها تسهم في تخفيف شدة الصوت، وتظهر شيئاً من همس، ثم تتصل فتحة الواو بحرف اللين الساكنة بعدها، لتصور وقار الفتيات بالإضافة إلى حسنهن، وفي كسر حرف العين إشارة إلى ما يتمتعن به من دلال وخفة طبع، ويليه إطباق الشفتين حيث مخرج الباء بما فيه من سلاسة، فتم الانتقال من الكسرة إلى الفتحة، لتضفي عليهن عبق الهدوء، ولقد شبهت الباء عند لفظها بخفقة الكف على الأرض[1]، وتخف غلظة هذا الصوت بشيء من امتدادٍ ناتج عن فتحة الباء، تمهيداً لانطلاقه.

ومما يميزهن، وما يزيد المتعة بهن، كونهن أتراباً في سنٍ واحدة، ولقد عبر كذلك جرس نبرات اللفظ عن هذا المعنى؛ حيث الهمزة المفتوحة والتاء الساكنة متبوعة بحركة الراء الممتدة، فهذا التداخل يعطي معنى الاستواء في الأعمار.

ثم وصف مشربهم بقوله – سبحانه -: ﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا﴾ أي: كأساً ممتلئة. فلماذا عبر عنه بلفظ المفرد، ووصف الفتيات بالجمع ﴿وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا﴾؛ لأن

---

(١) ينظر: الخصائص (٢/١٦٣).

جمع كأس على كؤوس وأكؤس. وهذا الجرس لا يتناسق مع باقي نبرات الآيات، ولا يتواءم مع جَرْسِها[١].

والملاحظ أن هناك تعادلاً بين نبرها - فتحة فسكون، فتحة فسكون - مما يدل على اعتدال مزاج أهل الجنة، ثم أنها جمعت بين حرفين لهما صفة الشدة، وهما الهمزة والكاف؛ فدلت على شدة تأثيرها، ثم السين المفتوحة مما أعطى النبر صوتاً منفتحاً منشرحاً، ولكن حرف السين له ما يشبه الصفير الذي تبدد شيء منه بحركة الفتحة ثم الألف بعدها لإطلاق الصوت؛ وبما لهذه السين من صفة الضعف حتى أنهم جعلوها لما لا يظهر ولا يشاهدها حسًّا[٢]؛ فإنها تدل على ضعف تأثير هذه الكأس على العقل.

وجاء هذا التعبير المتميز (كواعباً، وكأساً) مبتدئاً بشدة الكاف؛ ليعلم أنهما من نعم أهل الجنة، فلا خوف من عقوبة غضبٍ تطالهم، ولا من أثرٍ سيئ يلحقهم.

ثم وصفت الكأس بأنها ﴿ دِهَاقًا ﴾، أي ممتلئة بما يحبونه من الشراب؛ فالبدء بالدال المكسورة فالفتحة، جعل لهذا اللفظ سلاسة، وأغدق على عمق الهاء وهمسها وعلى ثقل القاف جزالة. وإنَّ همس الهاء ومخرجها من أقصى الحلق، ثم امتداد الصوت به إثر الفتحة، ناسب أثر الكأس على شاربيها حيث الأنس والانشراح.

---

(١) ينظر: المثل السائر "النوع السادس في اختلاف صيغ الألفاظ واتفاقها"(١/٢٩٧، ٢٩٨).

(٢) ينظر: الخصائص (٢/١٦١).

ومن جهةٍ ثانية ، فإن حرف اللين (الألف) قد طال بتأثيره حرف القاف المفتوحة ؛ فأدى إلى انفتاح الفم عند النطق بها ، تحول معها مدلول ثقلها إلى امتلاءٍ. وهو المراد بالوصف أنها كأس ممتلئة. والله أعلم.

وهذا المركّب ﴿ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴾ يجري مجرى المثل ، فعن ابن عباس : سمعت أبي في الجاهلية يقول : اسقنا ﴿كَأْسًا دِهَاقًا ﴾ ، أي مملوءة خمراً دون تقتير ؛ لأن الخمر كانت عزيزة المنال ، فلا تُقدم إلاّ بمقدار ، وكلما كانت ملأى كان ذلك أسرَّ للشارب[١].

ثم حرف السين بصفيره وهمسه في قوله - تعالى - : ﴿لَّا يَسْمَعُونَ﴾ ، وبتأثير السكون عليه ؛ وبما سبقه ، وبما فيه من خفة الفتحة ، أشعر بسكون المكان وهدوئه ، ولما جاء الفعل منفياً بلا ، فقد دل على نفي حتى هذا الصوت الهامس.

ولقد خص المولى - تبارك وتعالى - من الأصوات ما يكدر صفو المؤمن وهو اللغو ، ثم جاءت هذه الصفة بمعناها ونبرها وأصوات حروفها متناسبة مع حروف الآية ومعناها - كذلك - ، فاللام ، وهي حرف من الحروف الذلقة ، وقد جاء مفتوحاً ، وهو - بما له من خفة على اللسان - ، وخاصة بعد الفتحة ، ومن سرعة امتزاجه بغيره ، يعبر عن حالة التماوج والاختلاط بين المتلاغين. ثم امتزاجه بالغين ، وهو حرف ساكن مجهور[٢] ، وبما له من صفاتٍ ، فقد نفى عن

---

(١) ينظر : تفسير ابن عباس (ص ٥١٥) ، تحقيق : راشد عبد المنعم الرجّال ، مكتبة السنة ، القاهرة ، ط١ ، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م ، والتحرير والتنوير (٣٠/١٥/٤٥).

(٢) أنه "حرف أشبع الاعتماد في موضعه ، ومنع النفس أن يجري معه حتى ينقضي الاعتماد ، ويجري الصوت". سر صناعة الإعراب (١/ ٦٠).

المؤمنين أن يُغَيَّبوا في صخب المحادثات الباطلة، مما يكدر صفو نفوسهم التي اطمأنت بالإيمان.

ثم نفى كذلك سماع الكذب، وهو من الصفات المستقبح إسماع المؤمن إياها، حيث قال تعالى: ﴿وَلَا كِذَّبًا﴾ قرأها الجمهور (كِذَّاباً)، وقرأها الكسائي بتخفيف (الذال). فعلى قراءة التخفيف، فإن معناها كذباً أو مكاذبة. أما قراءة الجمهور: فإنها موافقة لرشاقة اللفظ فيما بينها وبين جاراتها في قوله تعالى: (﴿أَعْنَبًا﴾، ﴿أَتْرَابًا﴾)، ومع ذلك فلم تخلّ اللفظة بالمعنى، ولم تحد عن القصد في معناها وجرسها[1].

وذلك أن أصل الكلمة (كَذِب)، فنلحظ التناوب بين الحركة والسكون؛ مما يمثل حالة الكذب في الصدر، وهي تتدافع ولا تنطلق كاملة حتى لا تبين الحقيقة، وفيها ما يؤذي، والبَدْء بالصفة مكسورة الكاف، وهو حرف شديد يدل على عظم الخسران والهوان من أول وهْلة، ثم الذال، وهي رخوة مشددة تدل على مزيد الخسران، وبؤس النهاية، ثم الألف اللينة الساكنة تمتد بالصوت، وكأنها تعلن سوء هذه الصفة. ثم مخرج الباء، وهي حرف شُبه صوته بخفقة الكف على الأرض. ولوصفها بالغلظ[2] فإنها قد جاءت مفتوحة، وكذلك ما قبلها، ثم كونها بين حرفي مدٍّ أكسبها جرساً عالياً منطلقاً بدون تردد، مما يشعر بذهاب الكذب، وأن لا فائدة منه، وهذه النبرة المعبرة قد تآزرت مع أداة النفي (لا) لتكسب المعنى مزيداً من النفي. والله أعلم.

---

(١) ينظر: نظم الدرر (٢١/٢١٠).

(٢) ينظر: الخصائص (٢/١٦٣).

ولما كان الجزاء هو عطاء معاوضة لهم على أعمالهم، فهذا أطيب لنفس الآخذ، ومما يطيب نفس القارئ كذلك تلك الأصوات المتناسبة مع فرحة النفس، يقول – تعالى –: ﴿ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴾.

فالبدْء بالفتحة على الجيم الشديدة تصوير لطلاوة عطاء عظيم، وإكبار للمعطي. ثم الانتقال من الزاي الطويلة إلى حركة السكون الناشئ من التنوين المدغم في الميم ﴿ مِّن رَّبِّكَ ﴾ يعطيها جرساً أطول، ثم ينتقل منه إلى كسرة الميم الخفيفة مع حركة الراء المكررة نتيجة إدغام النون في الراء يجعل القارئ يعايش هذا الجرس بحسه وشعوره، ثم توالي حركات الفتحة من الكاف إلى العين إلى الطاء، ثم الوقف يعطي صوتاً متموجاً تأنس له النفس، ثم الوقف على سكون التنوين مما يحدث معه صوت النون، وما يتفرع عنه من حدةٍ في صوتها فيتغير معه سكون النفس لتنتقل إلى الكسرة في الحاء، لتدل على خفض العيش ورضاء النفس بما هي فيه، ثم من الكسرة إلى الفتحة ترقياً إلى الخفة، والاعتدال لمدِّ الصوت الساكن بحرف اللين (سَا) بالإضافة إلى ما في السين من همسٍ وصفيرٍ، مما يناسب عطاء أهل الرضا والإيمان، ثم الباء المفتوحة الممتدة بالألف اللينة إلى فتح الفم (بَاْ) فيها صوت ممتد ناغم نتيجة الانتقال من إطباق الشفتين؛ مما يعبر عن أنس النفس يعلن بنقره في السمع انتهاء أوصاف النعيم.

ونلاحظ نهايات ألفاظ الفواصل بأصواتٍ ممتدةٍ تمتزج بالنَفَس لتكرارها مراتٍ متوالية، مما يمثل نغماً متجانساً لتعدد النطق به، مما يكوّن جرساً واحداً مستقره الإحساس والشعور.

ومن صفات المؤمنين التي ألقت بجميل ظلال معانيها ما جاء في قوله - تبارك وتعالى -: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ﴾ [الليل: ٥-٧].

حول المعنى:

الآيات المباركة بيان لطريق أهل الصلاح، فهم الذين أنفقوا من مالهم في سبيل الله - تعالى -، واتقوا ما حرمه، واجتنبوا ما نُهوا عنه، وهم من ﴿وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ﴾، وقد اختلف المفسرون في معنى الحسنى: فمنهم مَن قال: إنها تصديق بالخلف من الله - تعالى- على إعطائه ما أعطى من ماله[١]، وقيل: بل صدق بأن الله واحد لا شريك له. وقيل: بل صدَّق بالجنة.

وأما قوله - تعالى-: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ﴾، أي سيهديهم الله - تعالى - للعمل بما يرضيه في الدنيا، مما يوجب له الجنة في الآخرة[٢].

وترتبط هذه الآيات من سورة الليل بما سبقها من سورة الشمس، وهي قوله-تعالى-: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٩]، ذلك أن آية سورة الليل. تفصيل لما أجمل في سورة الشمس؛ لأنه لما قال - سبحانه -: ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾ بين في سورة الليل صفات هؤلاء المفلحين الذين زكت نفوسهم[٣].

كما ترتبط بسابقتها من سورة الليل، وهي قوله - تعالى-: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۝ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ۝ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ﴾ [الليل: ١-٤].

---

(١) وهو رأي مجاهد. ينظر: تفسير مجاهد (ص ٧٦٥).

(٢) ينظر: جامع البيان (٧/٥٣٢)، وينظر: بدائع التفسير (٥/٢٤١، ٢٤٢).

(٣) ينظر: تناسق الدرر في تناسب الآيات والسور (ص ١٣٨).

فإن القرآن الكريم جاء إلى العرب والبشرية قاطبة، لذلك كانت معانيه وأدلته مستوحاة من الكون، ومنها الأرض التي نعيش عليها، فسبحانه يقسم بظواهر الطبيعة ومشاهد الكون من الليل والنهار على أن سعي الناس مختلف، وطرق معاشهم كذلك مختلفة.

وقد يكون اختيار الليل بظلامه مناسباً لتصوير الكافر الذي عصى الله تعالى، فكذَّب رسوله الكريم، وأما المؤمن، فإن النهار بإشراقه وضيائه يمثل جانب حياته الإيمانية؛ حيث التصديق، ثمَّ ما يتبع ذلك من نفقة المال رغبة فيما عنده سبحانه.

وإلى جانب ذلك، فقد رُسِمَت هذه الصورة بالألفاظ والعبارات المناسبة، فكانت صورة رقيقة رخية الجرس، هادئة النبر بما يتواءم وصفات هؤلاء المؤمنين.

ولقد غلب عليها طابع الأصوات القصيرة، فالفتحة[1] قد ترددت ثماني عشرة مرة، وبجريانها في الفم أعطت ألفاظ الصفات جرساً خفيفاً؛ يتناسب ومضمون العطاء والتقوى والصدق.

وأصبحت الآية الكريمة تسير ألفاظها متتابعة، مما يوحي بهدوء المؤمن واستقامته، واعتدال طريقه، فهو الذي ينفق من مال الله — تعالى - الذي استخلفه عليه، وهو الذي يتجنب ما نهى الله عنه، ويؤمن بأن ما عنده هو الأبقى.

---

(١) وهي حركة خفيفة تدل على الاعتدال.

ثم السكون بوقف جرسه ورد خمس عشرة مرةً، وهو يوحي بتأملات المؤمن وتفكره فيما ينفعه في أخراه. والوصف بالفعل الماضي: (﴿أَعْطَىٰ﴾، ﴿وَٱتَّقَىٰ﴾) يفيد تحقيق حصولها، كما أن كِلا الفعلين جاء ساكن الحرف الثاني، وكذلك آخره، وهذا الوقف بالساكن مرتين يوحي بأن العطاء وتجنب المعاصي يحتاج إلى تؤدة وأناة فيما يعطيه، وكذلك التقوى، من مستلزماتها الصبر عمَّا فيه معصية.

بينما صفة الصدق ﴿صَدَّقَ﴾ ورد الساكن فيها مرةً واحدة؛ لأن التصديق يستلزم الوقوف عند حدوده، ولأن ما في القاف من ثقل يغني عن ساكن.

وهذا سبب مناسب لأن يكون التعبير بالفعل دون المصدر عطاء وتقوى؛ لأن كلاً منهما يفيد المبالغة فيه بالإطلاق.

ثم السين الساكنة، وردت ثلاث مرات: ففي قوله – سبحانه-: ﴿بِٱلْحُسْنَىٰ﴾ همس السين الساكنة ينبئ بجرسه عمَّا في الجنة من نعيم الأمن، وهذا الجرس الهادئ بالإضافة إلى معنى اللفظة، جاء متناسباً متناسقاً مع جرس صيغ صفات المؤمنين الواردة في الآية، ولذلك لم يعبر عنها بلفظ (الجنة)؛ بل بما يؤول إليه المؤمن، فكل ما في الجنة حسن. ويمضي حرف السين بتأثيره في الآية المباركة، ففي قوله - تعالى-: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ﴾ نجده مستمداً أثره من همس صوت الفاء[1] التي تخرج من بين الثنايا العليا وباطن الشفة السفلى[2]؛ مما يوحي بسهولة أمر المؤمن، ثم السين الأولى بصفيرها، وبقوة دفع الفتحة لها تؤذن بتأكيد ما

---

(١) ينظر: سر صناعة الإعراب (١/ ٢٤٧).

(٢) ينظر: التمهيد في علم التجويد (ص ١٣٧).

سيؤول إليه أمره. ثم السين المشدّدة[1]، وهذا يعني تكرارها، وازدياد صفيرها بهمسٍ بمساعدة تأثير الكسرة، مما أعانه على الخروج من الفم مخرج الياء من وسط اللسان، كل ذلك للإعلام ببشرى تيسير أمر المؤمن إلى ما فيه الخير أو إلى الجنة.

ولا يزال تأثير الساكن على جرس الآية، فهمس السين الساكنة في قوله - تعالى -: ﴿لِلْيُسْرَىٰ﴾ قد ارتفع صوت صفيره بتأثير قوة الضمة التي على الياء، وبمخرجها من وسط اللسان، فإنه أعان جرس السين على الظهور.

وهذا الجرس يعبر بوضوح وهدوءٍ عن تمهيد البشرى بالجنة، والوصول إليها.

ثم حرف اللين (الألف المقصورة)، وقد تردد أربع مرات، وهو بطبيعته ساكن وما قبله مفتوح. مما أضفى على الآية بعامة مزيداً من اللين، وعلى تلك الصفات بخاصة. فالعطاء والتقوى يكونان بلين وطواعية نفس المؤمن، وكذلك (الحسنى)، و(اليسرى). فقد اكتسب اللفظان مداً في الصوت يناسبه امتداد البقاء والمكث فيهما. والله أعلم.

[ب] ظلال الكلمة

الظل: معروف في أول النهار، فإذا نسخته الشمس ثم رجع، فهو فيء حينئذٍ، والظُّلَّةُ: ما استظللت به من شيء[2]. يقال: ظل نهاره يفعل كذا وكذا، يظل، وظَلاً وظُلولاً، وظَلِلْتُ أنا وظَلَلْتُ وظِلْتُ، لا يقال ذلك إلاّ في النهار[3]،

---

(١) وهي سين مشدّدة "بلا خطرفة، وهو ما لا غنَّة فيه، وهو القسم الأول من المشددات". التمهيد في علم التجويد (ص ٢٠٤).

(٢) ينظر: جمهرة اللغة لابن دريد (١/ ١١٠).

(٣) ينظر: لسان العرب (١١/ ٤١٥)، (باب اللام، فصل الظاء).

وعلى ذلك فيقال: أظلتني الشجرة[١]، كما يقال لكل موضع لم تصل إليه الشمس: ظِل[٢].

ومن هذه الاستعمالات اللغوية للفظ الظل يُفهم: أن الظل هو ما ينشأ من انعكاس ضوء الشمس، أو غيرها على أي كائن تواجهه فلا يصل ضوؤها إلى ما وراءه، أي أنَّ الظل ما يكون خلف ذلك الكائن.

ولقد أشار البقاعي إلى هذا المفهوم في لمحة خاطفة عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾ [الفرقان: ٤٥]، حيث قال: «وهو ظلمة ما منع ملاقاة الشمس»[٣]. ومن هنا اقتطفُ القول: إن ظل الكلمة هو ما وراء معناها اللغوي.

ومن هذا المنطلق نقول: إن الكلمة لها معنى معجمي، ولها ظل يكمن وراء هذا المعنى اللغوي يتراءى للمتلقي من سياق الكلام، وبعبارة أخرى يتضح المعنى الكامن من مادة الكلمة؛ بل من الظلال التي تدل عليها مادة الكلمة؛ وكذلك فإن للصور البيانية والبديعية ظلالاً تلقي بأشرعة المعاني على العقول ثم على النفوس.

ويكون للألفاظ والصور ظلال تتسع بقدر اتساعها للمعاني، وبالتالي فإن لها القدرة على تجلية صور الأمور المعنوية في صور ملموسة أو مشاهدة بالبصر،

---

(١) ينظر: مجمل اللغة (٢/٥٩٩)، (باب الظاء وما بعدها في المضاعف)، ومعجم مقاييس اللغة (٣/٤٦١)، (باب الظاء واللام، وما يثلثهما).

(٢) ينظر: بصائر ذوي التمييز (٣/٥٣٧).

(٣) نظم الدرر (١٣/٣٩٧).

نتبين ذلك في أساليب البلغاء الذين لهم قدرة على استخدام اللغة استخداماً موحياً ؛ أو كانت لهم القدرة على اقتناص الصور من مجالٍ بعيدٍ، ومما يستشهد به لذلك قول أبي تمام يصف هزال البعير من كثرة السير وقطع الفيافي[1] :

رَعَتْهُ الفيافي بعد ما كان حِقْبةً رَعَاها، وماءُ الطَّلِ يَنْهلُ سَاكِبُه[2]

فلننظر إلى كلمة الرعي منسوبةً إلى الفيافي ؛ فإننا سنجد لها ظلالاً غريبةً ؛ حيث تتراءى لنا وهي ترعى البعير، فتأكل شحمه، فتحيله نضواً مهزولاً ، فإننا سنقف مشدوهين أمام تلك الصورة البارعة التي رسمتها ظلال تلك الكلمة.

ومن نافلة القول أن نتحدث أو نثبت لكلمة القرآن ظلالاً ؛ فإن ذلك يلمسه من يتذوق القول البليغ ، ومع ذلك يجمل بالبحث أن يتضمن شواهد من تلك الظلال لعلها تؤكد بالدليل الحي ما هو متصور ثابت في العقول ، ومن هذه الشواهد :

ما ورد في قوله - تعالى -: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾[آل عمران: ١١٠].

حول المعنى:

لقد فضَّل الله ﷻ هذه الأمة ؛ لما لها من صفات الخيرية ، فهي خير الناس للناس ، لما بين أفرادها من التناصح ، بالدعوة إلى الخير عامة ، وبالإرشاد إلى

---

(١) ينظر: ديوان أبي تمام (١/ ٢٢٢).

(٢) البيت من البحر الطويل. الفيافي: الأماكن الخالية، والمعنى: أنه قُطِعت عليه القفار من الأرض فهزل بعدما كان سميناً ؛ فكأنها رعته بعدما رعى نبْتها.

دين الله الصحيح خاصة، ولأمرها بالمعروف، ونهيها عن المنكر، ولسعيها في مصالح الآخرين[1].

وترتبط الآية الكريمة بسابقتها، وهو قوله - تعالى -: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ [آل عمران: ١٠٩].

ذلك أن لله — تعالى - وحده ملك السموات والأرض؛ فإن مرجع أمور العباد إليه ﷻ، ولقد أراد أن ترجع إليه أمور أمة محمد ﷺ بخير، فقال مادحاً لها: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ...﴾؛ ليمعنوا في رضاه وشكره وحمده سبحانه، وليزداد أهل الكتاب حسرة على ما فرطوا في دينهم، ليزدادوا حيرةً وضلالاً[2].

صفات المؤمنين وظلالها:

لقد صورت الآية المباركة صفات المؤمنين مجتمعةً في صفة واحدة، وهي ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾، ثم بيَّنت الهيئة التي عليها هذه الأمة، ومن مضمونها نستبين تبعات صفات ﴿أُخْرِجَتْ﴾، والحديث عن ذلك ينحصر في شيئين:

أولهما: أنه لو جاء ﴿أُخْرِجْتُمْ﴾ على صورة الجمع فيكون الطلب متناسباً مع تأمرون، ولكن مجيئه على صورة ﴿أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ فهي صفة للأمة، وهو المراد من الخطاب.

ثانيهما: أنَّ قوله — تعالى —: ﴿أُخْرِجْتُمْ﴾ جائز من حيث فصاحته، ولكن لا يجوز القراءة به؛ لأن القراءة سنة متبعة؛ إذ لو قال - سبحانه-: «﴿أُخْرِجْتُمْ﴾

---

(١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن (١/ ٢٤٦).

(٢) ينظر: نظم الدرر (٥/ ٢٤).

فيراعى ضمير الخطاب في كنتم، لكان عربياً فصيحاً، والأولى جعله ﴿أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ صفة لأمة لا لخير، لتناسب الخطاب في ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾، مع الخطاب في تأمرون وما بعده»[1].

يلفت النظر إذ أنه يحسم الحدث وهو خروج الأمة، ويعطيها ما تستحقه من الإجلال، فهي كما في قوله - تعالى-: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ﴾ [طه: ٣٩].

كما أن الفعل جاء على هذه الصورة: «للدلالة على أنها لم تخرج بنفسها لهوى أو مصلحة ذاتية، وإنما ﴿أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾، فالله - تعالى- هو الذي أخرجها لتدعو الخلق إلى عبادة الخالق دون المخلوق، ليس لها هدف سوى ذلك، فإن هو تحقق كان ذلك غاية ما تطمح إليه وتسعد به»[2].

وهذا الفعل صفة للمؤمنين ذات ظلال تتوارى خلفها يد كريمة لطيفة، وهي: «خرج هذه الأمة إخراجاً، وتدفعها إلى الظهور دفعاً من ظلمات[3] الغيب، ومن وراء الستار السرمدي الذي لا يعلم ما وراءه إلا الله - تعالى-، إنها كلمة تصور حركة خفية المسرى، لطيفة الدبيب، حركة تخرج على مسرح الوجود أمة، أمة ذات دور خاص، لها مقام خاص ولها حساب خاص»[4]. وهذه اليد الكريمة التي أخرجتها فأوصلتها ﴿لِلنَّاسِ﴾، فجاءت (اللام) تعلن وصول الأمة بدينها وشرعها

---

(١) البحر المحيط (٣/٣١)، وينظر: الدر المصون (٣/٣٥٠).

(٢) وسطية أهل السنة بين الفرق (ص ٢١٥)، تأليف: د. محمد باكريم محمد با عبد الله، دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

(٣) أعتقد أنّ ما في الغيب ليس ظلمات، بل هو عالَم الغيب المحجوب عنا.

(٤) في ظلال القرآن (١/٤٤٧) لسيد قطب.

إلى العموم، أي عموم الناس على مرِّ العصور، وإن لم يكونوا مؤمنين، فيدخل فيها المسلم والكتابي والذمي، وكل من كان تحت حماية الدولة المسلمة، فإن تلك الأمة تحمل لهم الخير وسعادة الدارين في أوصافها التي منها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، في قوله - تعالى -: ﴿تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾، فهذه الصفات إحدى كنوز بلاغة القول التي وصف بها المؤمنون وتفرد بها المولى ﷻ في كتابه الكريم. وذلك من عدة نواح:

إن هذه الجمل الكريمة من الآية المباركة: وصف متمم للفائدة بأنهم ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ ولهذا الوصف ظلال تبعث في المفردات حياة وحركة دائمة دائبة، بل هو ظل مشهد لحركة قيام لهيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فهم كذلك قعود، مشتغلون بأمر الدعوة إلى الله - تعالى-، وبأمر إصلاح الناس، يتجاذبون الحديث والنقاش، ويديرون الرأي فيما بينهم؛ لما فيه مصلحة الإسلام والمسلمين، وكل منهم يسعى ويجتهد في ظلال الإيمان بالله - تعالى -.

وكما أن لصفات المؤمنين ظلالاً، كذلك فإن لخطابهم بالفعل ﴿كُنتُمْ﴾ ظلالاً يوحي بها معنى الآية الكريمة.

ذلك أن في مباشرة الخطاب إليهم طمأنينة لنفوسهم، وبعثاً لهمة إيمانهم ألا يترددوا في إمضاء تكليف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فهم المنصورون ولهم الغلبة بإذن الله ﷻ.

في هذا الخطاب تأكيد لعهد الفوز والنصر، فذلك مكتوب في الأزل عنده -سبحانه - وبالخطاب تم استنطاقهم الموافقة على السير في هذا السبيل. وهو شرع الدين الإسلامي.

وفي تأخير وصفهم بالإيمان في قوله - تعالى -: ﴿وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ مزيد عناية بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فهو من باب **عطف العام على الخاص**؛ ليذكر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مرتين، وهو بذلك يوحي بتمام العناية بهذا الخاص: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

كما أني أجد أن تأخير الوصف بالإيمان ألقى بظلال الامتثال والطاعة لأمر الله ﷻ، وتحمل مشاق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والالتزام بذلك إيفاءً بعهد الإيمان، وإتماماً لشروطه. بأنه تصديق بالقلب وعمل بالجوارح وقول باللسان.

وتتضح ظلال صفات المؤمنين عندما نتدبر قول الله - تعالى - في سرد بعض صفات المؤمنين: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَـٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٦].

ويتدبر معاني هذه الآيات الكريمة يتضح التالي:

وعد الله تعالى عباده المتقين جنة عرضها السموات والأرض، وبين صفات هؤلاء المتقين، فهم الذين ينفقون في السراء والضراء، وهم الذين تجردوا من

سيئ طبائع البشر، وهي إنفاذ الغضب؛ فأمسكوا عن مقابلة الإساءة بمثلها، بل ترقوا أكثر من هذا، فعفوا وتجاوزوا، مما أكسبهم صفة الإحسان بنوعيه، إحسان للخلق، وإحسان للخالق، وقلوبهم وجلة إزاء الذنوب، لذلك فهم يبادرون بالاستغفار والتوبة، فاستحقوا لذلك الوصف بالعاملين ففازوا بالأجر والمثوبة، وظفروا به كاملاً موفوراً[١].

وترتبط آيات الشاهد بقوله – تعالى -: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضۡعَٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۝١٣٠ وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ۝١٣١ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾ [آل عمران ١٣٠-١٣٢].

الآيات أمر ونهي وترغيب وترهيب؛ لبيان الأصلح في أمور الدين والدنيا؛ ولأثر الربا السيئ على المرابي وعلى المجتمع؛ فقد جاء النهي عنه مع التوبيخ والوعيد الشديد لفاعله. كما أن في النهي عن أكل الربا قطعاً لأواصر حب الدنيا، والتعلق بشهواتها وزينتها، ثم الأمر بالمسارعة بما يضمن نجاة المؤمن وفوزه، وعدم الإخلاد إلى التواني لتحصيل ثوابهم؛ فقال – تعالى -: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ...﴾ الآيات[٢].

ويمكن أن نتبين ظلال معاني صفات المؤمنين في ضوء الشواهد التالية:

بعد أن خفت صوت النهي المبارك عن أكل الربا في الآيات المتقدمة؛ ليكمل بذلك للمجتمع المسلم حياةً طيبةً طاهرة من دنسه؛ جاءت أوصاف المؤمنين المتقين؛ فألقت بظلالها على طبيعة هذا المجتمع الذي تطهر من المال الحرام

---

(١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن (١/٢٥٣-٢٥٤).

(٢) ينظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/٣٢٣)، ونظم الدرر (٥/٧٢، ٧٣).

فتطهر أهله، وزكت نفوسهم، وتسامت في آفاق الإيمان الطاهرة، فهاهم أولاء يصدقون إيمانهم بالنفقة، بل ويتخذون لها سبلها، فيبحثون عن مواقعها حتى تصيب مكانها، فيتخلص المجتمع المسلم من الحاجة والفقر؛ فلا يلجأ إلى الربا، ولا يستسلم لاستغلال المرابين؛ فهم يبذلون في السراء والضراء، هي صورةٌ للمؤمن مشرقة في مناسباته وعموم نفقاته، وإطلاق لفظ النفقة فيه تعميم وشمول وعدم الاقتصار على الأموال؛ بل يتجاوزها إلى كل ما فيه منفعة للمؤمنين، وقضاء لمصالحهم، وكما تجردت نفوسهم المؤمنة من تسلط حب المال؛ تطهرت كذلك من الغضب وتوابعه، وأصبحت منشغلة بطاعة الله ﷻ، وطاعة رسوله الكريم؛ فلا مكان لغيظ، ولا كراهية، بل نفس تسامت بإيمانها عن إنفاذ الغضب، وتحملت تبعة كظمه؛ فأصبحت ممتلئة بآثاره.

ولقد ذكر ابن عاشور نقلاً عن المبرد أنه استعارة تمثيلية[١]، وهو قريب؛ ولكن الأقرب أن تكون استعارة تبعية في اسم الفاعل (كاظمين)[٢]؛ لأنه يُستوحى من هذا المعنى أن كاظم الغيظ يمتلئ بالغضب، وهو يرده ولا ينفذه؛ كأنه شخص قد ملأ قربة، وخشي على تدفق مائها، فربطها، فتبدو نفس

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير (٣/٤/٩١).

(٢) (كاظمين): من كظم الكاف والظاء والميم أصل صحيح يدل على معنى واحد، وهو الإمساك، والجمع للشيء كذلك يسمى كظماً، من ذلك يقال: الكاظم. اجترع الغيظ وأمسك عن إبدائه، وجمعه في جوفه. ينظر: معجم مقاييس اللغة (٥/١٨٤) (باب الكاف والظاء وما يثلثهما).

المغتاظ في صورة هذه القربة. وسر جمالها: أنها تصور الأمر المعنوي وهو الغيظ – الذي ملأ هذا المغتاظ – في صورة حسية مدركة بالبصر؛ فتجعل المؤمن المغتاظ يسمو بفعله وإيمانه. وأما ظلال هذه الصفة فهو غير سر جمال الاستعارة التبعية؛ لأن ظلال كاظم الغيظ تلقي بهيئة شخص متألم وقد تجمل بالصبر والصمت والحلم حتى لا تستبين حقيقة ما بنفسه من آثار الغيظ، وربما تحول غيظه – لحسن إيمانه – إلى حسنة تمحو السيئة، وتزيل آثار الغضب وتمحق منابعه. ومع هذا، فإن العفو والصفح هما المخرج والمتنفس من مضائقه[1].

وبعد ذاك، قد ارتقت مراتبهم إلى درجات المحسنين، واعتلوا إلى مقاماتهم ومحبة خالقهم – سبحانه -؛ لحسن صفاتهم: القولي منها والفعلي.

هذا جانب من حياتهم، وقد أسبغ عليها الإيمان نفحات من نوره، فأشرقت وأزهرت، ولكن - إن خبا موقع في النفس من وهج اليقين ولو لسويعات - فإن لطف الإيمان يتداركها، ورقة شمائله تقوِّمها، فيبادرون بالتوبة والأوبة والاستغفار؛ لأن ضيق قلوبهم وعقولهم لا متسع فيه لتلك الذنوب والآثام، فقد امتلأوا إيماناً ويقيناً؛ لأنهم ﴿وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ﴾ ولم يُقيموا عليه.

ولقد جسَّدت تلك الصفات الكريمة بما فيها من مشاق صورة حية للمؤمنين، أوحت بظلال معانيها إلى آفاق الطهر في المجتمع، فناسب أن يوضع جزاؤهم

---

(١) هذه ظلال الصفة في النفس ليس للعقل سلطان عليها؛ فلا يقحمها بتفصيل المعاني وتجسيد صور البيان والبديع، بل هي ألفاظ تنقل ما يجيش بالنفس من خواطر بعد إدراك المعنى.

موضع المدح الذي يملأ النفوس رضا، وهو قوله – تعالى -: ﴿وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ﴾ منفقون مستغفرون متسامحون.

ومن صور البلاغة في صفات المؤمنين: قوله - تعالى -: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾، حيث التعبير بالاسم الموصول يوحي بأهمية الخبر ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾، وفي حذف مفعول ﴿يُنفِقُونَ﴾ **إيجاز بالحذف** أراد به التعميم، ولبيان أهمية النفقة، وأن المهم منها في هذا المقام كونها في السراء والضراء، وهذا دليل على إرادة التعميم[1].ثم التعبير بالفعل المضارع ﴿يُنفِقُونَ﴾ يدل على التجدد والحدوث، وهو يناسب السراء والضراء من جانب آخر.

ثم الطباق بين ﴿ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾ تصوير لهيئة المؤمن وهو يتفقد أحوال إخوانه المسلمين العامة منها والخاصة، ولكلٍ من الجانبين مقامه من حيث السرية والعلن.

أما الاسمية في قوله: (﴿وَٱلْكَـٰظِمِينَ﴾ و﴿وَٱلْعَافِينَ﴾)؛ فدلالة على ثبوت الصفة ورسوخها فيهم، مما كون شخصية مؤمنة سوية لا تتردد بين الكظم تارة، وبين إنفاذ العقوبة أخرى، وكذلك دل العفو على تسامح واطمئنان النفس. وفي هذا الوصف ﴿ٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ﴾ إشارة إلى المكظوم بأنه الغيظ، وأنها صفة عظيمة عزيزة، لا ينالها كل مؤمن.

---

(١) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١/ ١٨٠)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٣٣).

كما أن في الآية تذييلاً ؛ حيث ختمت بقوله - تعالى-: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ إشارة إلى منزلة المتقين المذكورة في أول الآية، وذلك ترغيب في هذه الخصال وحث عليها[1].

ومن الشواهد ما جاءت فيه ظلال صفات المؤمنين بين النفي والإثبات في قوله- تعالى- : ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢- ٦٣].

حول المعنى:

يخبر المولى ﷻ عن صفات أوليائه وأحبائه بأنهم آمنوا بالله — تعالى - إيماناً كاملاً، وصدَّقوا هذا الإيمان بالتقوى، فبها يمتثلون أوامره، ويجتنبون نواهيه، فكل من كان مؤمناً كان تقياً، وكل من كان تقياً كان لله ﷻ ولياً. وذكر ثوابهم على ذلك فقال - سبحانه -: ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ في الآخرة من عقابه ؛ لأنه رضي عنهم فآمنهم، ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ولا يلحقهم حزن على ما فاتهم من أمور الدنيا[2].

وترتبط الآيتان بسابقتها، وهي قوله - تعالى -: ﴿وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [يونس: ٦١].

---

(١) ينظر: إرشاد العقل السليم (٢/ ٣٣).

(٢) ينظر: جامع البيان (٤/ ٢٢٣)، وتيسير الكريم الرحمن (١/ ٧٦٦).

يخبر المولى ﷻ عن سعة علمه، واطّلاعه على كل شيء، يستدعي كمال سلطانه على جميع أحوال العباد، فهو يدعوهم في مقابل ذلك أن يراقب العبد ربه؛ فلا يعصيه في السر ولا في العلن، وفي هذا الأسلوب تخويف لمن عصى، ورجاء لمن أطاع، فكان من المناسب أن تتطلع النفوس، وتشرئب الأعناق لمعرفة حال الفريقين[1]؛ فقال - عز من قائل -: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ...﴾ الآية.

ظلال المعاني في صفات المؤمنين:

افتتحت الآية المباركة بأداة التنبيه (الهمزة)، و(إنَّ) للتأكيد واسمية الجملة، وفي ذلك إشارة وتنبيه ليس من غفلة، ولكن لبيان أن ما سيلقى شأنه عظيم، ويهتم المؤمنون بمعرفته، والتنبيه إليه، وفي ذلك تسلية للرسول ﷺ وعزاء له، كما أن فيه شداً من عزيمة المؤمنين، وذلك بما تبعثه صفة ﴿أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ﴾[2] من تصوير لمعنى المقاربة بين العبد وربه، وتبادل أسباب الولاء؛ فالعبد منشغل ومستغرق القلب للتعرف على نور جلال الله ﷻ، ويبذل نفسه وجوارحه: السمع منها، والبصر، واللسان، والحركة، والجهد. كل ذلك مسخر لما فيه طاعة الله - تعالى -،

---

(١) ينظر: نظم الدرر (٩/١٥٣).

(٢) ولي الله: هو الذي يتقرب إلى الله ﷻ بأنواع العبادات المفروض منها، والمندوب إليها، مع استغراق عقله وقلبه في معرفة جلال الله ﷻ، ويتجرد فيها العبد من كل ما سوى الله - تعالى -، فالحب والبغض والموالاة والمعاداة، ومتابعة الرسول ﷺ في كل ما جاء به، لا تكون إلا في الله ﷻ. ينظر: مفاتيح الغيب (٩/١٧/١٠١، ١٠٢)، ولباب التأويل في معاني التنزيل (٣/٢٥٤)، وعقيدة المؤمن، (ص ١٧٣)، لأبي بكر جابر الجزائري، دار الشروق، جدة، ط٥، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

ومنخرط في زخم الحياة تتنازعه الأهواء، وترغبه المغريات، وتنتابه الآلام، وهو بين هذه وتلك في ولاية الله - تعالى - وكنفه، يتلقاه بالأمان من الخوف الذي كان يجهد نفسه به لاتقاء محارم الله - تعالى - في الدنيا، وهو - سبحانه - الذي يبعده عن آفة الحزن من الندم على التفريط، وعلى ما فات من نعيم الدنيا، لتظل نفسه مستقرة، متنعمة بالإيمان بالله - تعالى - وبالولاء له.

كما أن مجيء الصفة المباركة ﴿يَتَّقُونَ﴾ بالفعل المضارع، تصور أمر هذا الولي إما ساعياً في إنفاذ طاعة، أو رائحاً في قضاء حاجة. يتجدد إيمانه بتبدل الأحداث.

[ج] التذكير والتأنيث

الحديث عن التذكير والتأنيث في صفات المؤمنين ليس أمراً غريباً في البيان القرآني، ذلك أنه كتاب يتغيا إقامة مجتمع إنساني كامل، والذي خلق الكون جعله قائماً على عنصرين رئيسين، وجعلهما آية للعظة والاعتبار. قال - تعالى - : ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الذاريات: ٤٩].

كما أنه استدل على قدرته التي لا تُسامى بخلق الذكر والأنثى، وذلك حيث قال: ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ۝ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ﴾ [النجم: ٤٥-٤٦].

وما تضمَّنه القرآن الكريم من التشريع ليس وقفاً على الرجل وحده؛ بل هو للرجل، وللمرأة معاً.

أجل هو لهما معاً؛ فما دام كل منهما مسؤولاً عما قدم في حياته؛ فإن من العدل أن يرسم الطريق، ويبين الخصائص التي تجعل أيّاً منهما على الصورة المثلى في السلوك، فإذا تحلى بها، والتزم طريقها استحق الجزاء الأسنى، وإذا جانبها، ومال إلى طريق آخر يباينها كان مصيره هو ما ينتهي إليه ذلك الطريق.

ومن هنا كان التذكير والتأنيث في عرض صفات المؤمنين بياناً لمنهج القرآن الكريم في خطاب الرجل والمرأة، وكان فيه من البلاغة ما يخاطب العقول والمشاعر، كما هو شأن بيانه - أبداً - في عرض مبادئه وقضاياه.

وكان لزاماً على هذا البحث أن يلمّ بهذا الجانب من صفات المؤمنين ليستطلع، ويكشف ما يُتاح له استطلاعه، والكشف عنه.

ونلحظ بلاغة التذكير والتأنيث مجسدةً في طائفةٍ كثيرةٍ من الآيات منها قوله الحق تبارك - وتعالى -: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: ١٢٤-١٢٥].

الآيتان المباركتان تقرير إلهي بأن العبد المؤمن يجازى على إيمانه، وعلى ما أتى به من الصالحات، يدخل فيها سائر الأعمال القلبية والبدنية، واشترط في قبولها الإيمان؛ فهو أصلها وأساسها، ويحاسب المؤمن على تلك الأعمال بدقةٍ متناهية، ثم يدخل الجنة فضلاً من الله ﷻ ورضواناً.

ثم قضى - سبحانه - بفضل الإسلام الذي استسلم صاحبه لله - تعالى - مظهراً كمال العبودية والطاعة. ولقد أدخل في أولئك من ينتسب إلى الإسلام لكمال العدل[1].

وترتبط الآيتان الكريمتان بسابقتها قوله - تعالى-: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [النساء: ١٢٣].

---

(١) ينظر: جامع البيان (٢/٥٦٧، ٥٦٨)، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٤/١١٩)، وتيسير الكريم الرحمن (١/٣٨٣).

ولما كانت أماني أهل الكتاب مذكورة في قوله - تعالى- : ﴿وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ﴾ [البقرة: ١١١].

وهم يعنون بذلك أن المسيء منهم لا يجازَى ولا يعاقب على سيئاته، فقطع عليهم التفكير في ذلك، وأكد أنه لا محالة مجازَى كل مسيء على فعله، وفي ذلك تحذير من المعاصي فناسبه إيلاؤه بأجر المحسنين تبشيراً لهم فقال - تعالى - : ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾.

صفات المؤمنين بين التذكير والتأنيث:

تنص الآية السابقة على آية الشاهد على أن مجازاة المسيء قدر إساءته، ولكنها لم تنص على المذكر والمؤنث؛ حيث قال - تعالى - : ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ بينما الآية وهي محل الشاهد، فقد فصَّل فيها شأن المذكر، كما فصل في شأن المؤنث؛ فهو دليل على الاهتمام بأمر المؤمن والمؤمنة، وفيه حث للمؤمنات على إيجاد الإيمان الكامل مع العمل الصالح، وسر البلاغة في لفظي: ﴿ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ﴾ ماثلة في النظر إلى العمل في حد ذاته لا إلى فاعله؛ فالكل في الوعد بالحياة الطيبة في الدنيا، والجزاء الكريم في الآخرة سواء، لا يثاب الذَّكر؛ لأنه ذكر، ولا تغمط أنثى حقها لأنها أنثى.

كما أن في اختيار الوصف بمذكر ومؤنث، فيه إشارة إلى سن ما قبل التكليف، وأن أعمال الصالحات من هؤلاء المؤمنين والمؤمنات مقبولة، وأنهم يُثابون عليها، بفضلٍ من الله ﷻ، وأن سيئاتهم لا يحاسبون عليها فهم غير مكلفين.

فإنه لما أجمل بقوله - تعالى -: ﴿مَن يَعْمَلْ﴾ بين بقوله - سبحانه -: ﴿مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ﴾ لذلك أعاد الضمير في قوله — تعالى -: ﴿فَأُولَٰئِكَ﴾ حيث البشارة بالجنة مراد بها كل من الذكر والأنثى أياً كان؛ لأن المعول عليه هو الإسلام والاستسلام والانقياد لله ﷻ وعمل الطاعات.

ولقد ورد في الآية الكريمة ما يدل على أن العمل الصالح لا بد أن يكون مقترناً بالإيمان، مما يكون سبباً لدخول الجنة حيث يقول - تعالى -: ﴿مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ فقد جاء في معنى (مِن) إما أن تكون للتبعيض؛ إذ إن عمل الصالحات على الكمال مما لا يطيقه بشر؛ فدل على الرفق في الدين، وتشمل هذه البعضية الفرائض وما أمكن من النوافل[1]، وفي هذا إشارة إلى أن العمل القليل مع الإيمان الصحيح يكفي.

وبعد أن أجمل بقوله - تعالى -: ﴿مَن يَعْمَلْ﴾ بين بقوله: ﴿مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ﴾، لذلك فإن (مِنْ) هنا بيانية[2] لتزيل إبهام (مَنْ)، ويمكن أن تكون بيانية لأن العمل الصالح هنا لا يصدر من فردٍ دون فرد ولا نوع دون نوع؛ فكل فردٍ من أفراد الذكور، وكل فردٍ من أفراد الإناث، يمكن أن يصدر منه العمل الصالح، ومن يعمله سواء هذا النوع أو ذاك فهو حقيق بالوعد في الحياة الطيبة والجزاء الحسن. ولتعميم الحكم والترغيب في العمل، فقد جاء الوصف نكرة، أي أن

---

(١) ينظر: الكشاف (١/٥٥٦)، والمحرر الوجيز (٤/٢٦٤)، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٤/١١٨)، ونظم الدرر (٥/٤١١)، وإرشاد العقل السليم (٢/٢٠٠).

(٢) ينظر: الدر المصون (٤/٩٧)، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٤/١١٨).

الخطاب أخص به كل واحدٍ من الفئتين، دون النظر إلى خصوصية غير خصوصية الإيمان. وأما تقديم الذكر على الأنثى في هذا المقام؛ فلما له من فضل الدرجة لقوله - تعالى -: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ [البقرة: ٢٢٨]؛ ولأن الرجل له قيادة الأسرة عامة، والأنثى خاصة؛ ولأن معظم التكاليف الشرعية لا تستطيع المرأة القيام بها فسقط تكليفها بها لذلك.

ولما كان سياق آية الشاهد المباركة في خطاب قومٍ مؤمنين، وهم المسلمون، وذكر معهم أهل الكتاب لمشاركتهم في الإيمان بوعد الله. ولأنه لا يتمنى وعد الله إلاَّ من آمن به، وهؤلاء لما قصروا في الأعمال؛ ظناً منهم أن الإيمان يكفي في دخول الجنة. لذلك تلفت الآية المباركة نظرهم إلى أن العمل لا بد منه لتصديق الإيمان الذي في القلب[1].

ويمكن أن يضاف أن العمل الصالح قُدِّم لأنه محل الخلاف بين المشركين وبين أهل الكتاب، الذين كان الشيطان يمنيهم بالإنقاذ من النار، إن هم عصوا وارتكبوا محارمه، فالآية الكريمة تقطع السبيل على مثل هذه الأفكار؛ بأن قدمت العمل الصالح، بل وجعلته شرطاً في دخول الجنة. ولهذا قدم ما هو محل الشاهد ومحل الخلاف فيما بينهم.

ولقد أشار إليهم المولى ﷻ باسم الإشارة ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾؛ لأنهم جديرون بالجزاء المذكور لتحقق ما تضمنه الشرط من العمل الصالح المبني على الإيمان.

وفي الآيتين السابقتين من سورة النساء لطائف بلاغية وأسرار جمالية، منها:

---

(١) ينظر: الكشاف (١/ ٥٥٥)، وتفسير المنار (٥/ ٤٣٦).

١- استهلال مطلع الآيتين بالشرط من قوله - تعالى -: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ وفي ذلك شحذ لعزيمة المؤمن، وحمله على الإكثار من الأعمال الصالحة بناء على ما في الآيتين من الجزاء، وهو ما يسمى ببراعة الاستهلال.

٢- وفي التعبير بقوله - تعالى -: (مِنْ) التبعيضية تيسير المضي في عمل الخير، وعدم تكليف النفس بما لا تستطيع.

٣- وفي التعبير بقوله - تعالى -: ﴿مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ﴾ تفصيل بعد إجمال، وزيادة في الإفهام. ولا يترك في النفس سؤالاً.

٤- وفي التعبير بالجملة الاسمية من قوله - تعالى -: ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ دلالة على الثبوت والاستمرار في عمل الخير المقرون بالإيمان.

٥- وفي التعبير بالفعل المضارع من قوله - تعالى -: ﴿يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ﴾ دلالة على التجدد والحدوث والاستمرار.

٦- وبين جملة ﴿يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ﴾، وجملة ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ الوصل باتحاد الجملتين بالخبرية.

٧- وبين جملة ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا﴾ وسابقتها الوصل للاستئناف.

٨- وفي التعبير بلفظة ﴿نَقِيرًا﴾ الدلالة على التناهي في نفي الظلم ورفعه عنه ﷻ وفاءً بحقهم.

٩- وقوله - سبحانه -: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾ جملة معترضة لا محل لها من الإعراب، جيء بها لتأكيد وجوب اتباع دين إبراهيم عليه السلام الذي هو دينه[1].

---

(١) ينظر: الكشاف (٥٥٧/١)، والدر المصون (٩٨/٤).

ومن تنوع الأسلوب القرآني بين التذكير والتأنيث ما جاء في قوله - تعالى -: ﴿ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [النحل: ٤١-٤٢].

الهجرة من أسمى الصفات التي سعى في الوصول إلى مبتغاها كل من المؤمنين والمؤمنات، ولكن آية الشاهد جاء التعبير فيها بصيغة التذكير فقط؛ حيث قال - تعالى -: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ...﴾.

يخبر المولى تبارك - وتعالى - عن فضل المؤمنين الأوائل الذين هاجروا تاركين أوطانهم وأبناءهم؛ بسبب ما لاقوه من الإيذاء والاستهزاء من قومهم؛ ليردوهم عن دينهم، هؤلاء لهم أجر في الدنيا بالرزق الواسع، والنصرة على الأعداء، وفي الآخرة ثواب عظيم. ومن أوصافهم الصبر والتوكل على الله ﷻ، وهما متناسبتان كل المناسبة لمشاق الهجرة وتحمل الأذى[1].

وترتبط الآيتان الكريمتان بسابقتيهما في قوله - تعالى -: ﴿ وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَـٰذِبِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَـٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [النحل: ٣٨-٤٠].

أقسم المشركون المكذبون لرسول الله ﷺ أيماناً على تكذيب المولى - عز وعلا - جهلاً منهم؛ فهم ينكرون البعث والحساب والجزاء، فمن بلغ هذا الحد من الطغيان لا يبعد منه أن يَقْدُم على إيذاء المسلمين، وحينئذٍ تكون الهجرة واجبة على المؤمنين فراراً بدينهم وإطاعة لربهم ﷻ[2].

---

(١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن (١/٩٢٩).

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب (١٠/٢٠/٢٨).

صفات المؤمنين بين التذكير والتأنيث:

الآية الكريمة بيان لفضل المهاجرين في سبيل الله - تعالى -، كما تشتمل في مضمونها الثناء على النساء المؤمنات المهاجرات، وإنما جاءت الآية الكريمة تنص على ضمير المذكر لتغليب عدد المهاجرين على عدد المهاجرات، ومن ثم جاء النص القرآني على أسلوب التغليب مراعاة للكثرة من جانب، ومن جانبٍ آخر فلأن الهجرة تكليف شاق منوط بالرجال أولاً، ثم النساء ثانياً.

وكذلك فإن الرجال هم عِدة الأمة، ومحل فخر العربي في الجاهلية والإسلام، حيث الحروب والمواقف الجسام؛ فناسب ذلك التعبير بالمذكر، وليلقي المهابة في نفوس المشركين اعتداداً بالمؤمنين، ولبيان أن الإسلام في خير وقوة ومنعةً من أبنائه ورجاله، كما أن في ذلك فخاراً بالمهاجرين، وبعثاً لهمتهم، وإذكاءً لروح الصبر والتوكل اللذين هما من مقومات الهجرة، وهما أسس الجهاد في سبيل الله - تعالى - والطريق الأمثل في الوصول إلى الجنة.

والتعبير بالاسم الموصول وصلته فيه إشارة إلى إلحاق المهاجرات بما في حيز الصفة من فضل الهجرة، فلهن ما للرجال المجاهدين من الفضل.

والتعريف بالاسم الموصول جاء مناسباً ليكسب الأمة تخصيصاً بالكرامة يليق بمكانتها، وبما أعدَّ لها من أجرٍ عظيمٍ؛ كما أنبأت به الآية الكريمة فيما بعد.

ويدل التعبير بالفعل الماضي ﴿هَاجَرُوا﴾ على أن الهجرة زمن محدود انقضت أيامه وفضيلته بفتح مكة، لما روي أنه قال ﷺ: **(لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونية، وإذا استنفرتم فانفروا)**[1].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب فضل الجهاد والسير، (ص ٥٣٨)، رقم (٢٧٨٣).

وللهجرة شروط، منها: أن الهجرة إذا لم تكن لله – تعالى - لم يكن لها موقع من الأجر، وكانت بمنزلة الانتقال من بلدٍ إلى بلد[1]، ولقد أشار بإيجاز حرف الجر في قوله – تعالى -: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ...﴾ إلى شروط أخرى تتلمس فيما يضفيه الحرف من معانٍ:

الأول: أفاد هذا الحرف معنى العمق؛ فدل على أن الإيمان بالله ﷻ قد بلغ من نفوسهم ومشاعرهم مبلغاً عظيماً جعلهم يفارقون أهليهم ويتركون ديارهم.

الثاني: أنها أعطت إيحاءً بما وجده المؤمنون من العناء والمشقة؛ لبعدهم عن ديارهم؛ ومع هذا فإنهم على صلةٍ شديدةٍ بالله – تعالى -؛ لأن الهجرة لله ﷻ وفي سبيله.

الثالث: أنها استعارة للطريق الذي قطعوه في سبيل الوصول إلى دار الهجرة، فأوحت بالبعد الزماني والمكاني.

ولنتدبر بلاغة التذكير والتأنيث في قوله - تعالى -: ﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [النور: ٢٦].

لقد اختلف المفسرون في المقصود بالخبيثات، فذكر بعضهم أن المقصود بها الأقوال الخبيثات للخبيثين من الرجال، وكذلك الرجال الطيبون لهم الأقوال الطيبة، ومنهم من قال إن الخبيثات هن النساء الخبيثات للخبيثين من الرجال،

---

(١) ينظر: مفاتيح الغيب (١٠/٢٠/٢٨).

وبالمقابل فالخبيثون من الرجال لهم الخبيثات من النساء، والطيبون من الرجال لهم الطيبات من النساء. وبناءً على هذا فإن السيدة عائشة رضي الله عنها طيبة ؛ لأنها لأطيب البشر[1].

ولقد رجح الطبري أن يكون المراد بالخبيثات الأقوال لمناسبتها للآية التي قبلها، قوله – تعالى –: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ﴾ [النور: ٢٣-٢٥].

حيث جاءت الآيات الكريمة توبيخاً للقائلين بالإفك في حق السيدة عائشة رضي الله عنها[2]، والأرجح أن المراد بالخبيثات والخبيثين النساء والرجال ؛ لأن هذه الآيات [٢٣-٢٥] تفصيل لما أجمل في الآية السابقة من السورة قوله – تعالى –: ﴿ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٣].

وترجيح هذا التفسير أفاد براءة السيدة عائشة رضي الله عنها بأنها زوجة أطيب الطيبين. وفائدة أخرى وهي وعده – سبحانه – بالمغفرة والأجر الكريم لهم، وكذلك استدل بقول السيدة عائشة رضي الله عنها أن المراد بالطيبين

---

(١) ينظر: جامع البيان (٥/٤١٣)، والكشاف (٣/٢١٩)، والمصباح في تهذيب تفسير ابن كثير، إعداد جماعة من العلماء (ص ٧٤٦) بإشراف الشيخ صفي الرحمن المباركفوري. دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

(٢) ينظر: جامع البيان (٥/٤١٣).

والطيبات: النساء والرجال، وأنها خُلقت طيبة عند طيب، وأنها وُعدت مغفرة ورزقاً كريماً[(١)].

وإن هذا الأسلوب أشد ما يكون من أساليب **التقريع والتوبيخ** للقائلين بالإفك.

وأن ما ذكر كالعلة في بيان سبب **تخصيص المؤنث بالذكر وتقديمه على المذكر**، ثم هذا التبادل في وصف الطيبات وبأنهن للطيبين، والطيبين للطيبات؛ فهو للإشادة بذكر الطيب، وتقبيح الخبيث؛ فكلٌ يقترن بما يناسب جنسه.

وجاء فيه أنه من إضافة القول إلى من يليق به، فالأقوال الطيبة أو النساء الطيبات، والرجال الطيبون ينضمون بعضهم إلى بعض، ويلتحمون بعضهم ببعض[(٢)].

وقد يحصل لبس لدى البعض جراء هذا التقسيم، لأن من أهل الدنيا من هو طيب، ولكن ابتلي بالاقتران بالخبيث، ولقد علل لذلك ابن القيم بأن الله - تعالى - جعل الدور ثلاثة: داراً أُخلصت للطيبين، وهي حرام على غير الطيبين، وهي الجنة، وداراً أُخلصت للخبيثات والخبيثين وهي النار، ولا يدخلها غيرهم، وداراً جمعت بين الفريقين، وامتزج بها الطيب والخبيث،

---

(١) ينظر: الانتصاف حاشية على الكشاف (٢١٩/٣)، لأحمد بن المنير الإسكندري، مطبوع مع الكشاف، وحاشية الأستاذ محمد عليان مرزوقي الشافعي، ومشاهد الإنصاف على شواهد الكشاف، دار المعرفة ،بيروت، بدون تاريخ، والبحر المحيط (٤٠٦/٦)، ونظم الدرر (٢٤٣/١٣)، وإرشاد العقل السليم (٤٥٠/٤)، وروح المعاني (٣٢٦/١٨/٩)، والفتوحات الإلهية (٢٨١/٥ ، ٢٨٢).

(٢) ينظر: حاشية زاده (٤٢٠/٣ ، ٤٢١).

ولهذا وقع الابتلاء، ووقعت المحنة بسبب هذا الامتزاج والاختلاط، وذلك لحكمة إلهية لا يعلمها غيره، حتى يكون يوم المعاد، يتميز الخبيث من الطيب، وكل يفترق عن قرينه بما هو أهل له[1].

ولفضل الطيبين والطيبات فقد جاءت الإشارة إليهم بقوله - تعالى -: ﴿أُولَٰئِكَ﴾ لتدل على علو رتبتهم وعلو منزلتهم[2]، وغلّب ضمير التذكير؛ لأنها قضية يشترك فيها المذكر والمؤنث، وحق لها أن تجري مجرى المثل، وهي في آخر القصة كالتذييل[3].

والقنوت صفة لأمهات المؤمنين، التي رغبهن فيها ﷻ، وذلك بمضاعفة الأجر، حيث يقول - تعالى -: ﴿وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣١].

مقتضى المعنى:

الخطاب في هذه الآية المباركة خاص بنساء النبي ﷺ، الغرض منه بيان إشراقهن وعلوهن على غيرهن من نساء الأرض، وتميزهن في صفاتهن القولية والفعلية، وعلو رتبتهن على جميع نساء المؤمنين، فعلى الجميع أن يتحلوا بما لهن من صفات، كما أن أسلوب الشرط الذي افتتحت به الآية المباركة فيه حث ودعوة مباشرة إلى عمل الخيرات؛ لأن جواب الشرط بيان لثواب عظيم وفضلٍ كبير.

---

(١) ينظر: بدائع التفسير (٢٤٧/٣).

(٢) ينظر: نظم الدرر (٢٤٧/١٣).

(٣) ينظر: التحرير والتنوير (١٩٥/١٨/٩).

وترتبط الآية الكريمة بسابقتها قوله - تعالى -: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٠]، فقد اتجه الخطاب في هذه الآية الكريمة إلى أمهات المؤمنين- رضي الله عنهن- بواسطة النبي ﷺ، وجاء خطابهن بوصف (نساء) دون غيره؛ فلأن موضوع الآية الكريمة يقتضي وجوب الالتزام بطاعة الله — تعالى — وطاعة رسوله الكريم. وهذه قضية في خاصها مقصود بها أمهات المؤمنين، وهي تخص نساء الأرض جميعاً[١]، ولما كان ذلك الالتزام يؤدي إلى درء المفاسد المترتبة على المعصية، ويجلب الخير الموعود به في الآية التالية[٢]، قال — تعالى -: ﴿وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ...﴾ الآية.

صفات المؤمنين بين التذكير والتأنيث في قوله - تعالى-: ﴿وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا﴾.

اسم الشرط (مَنْ) للعاقل، والمقصود به نساء النبي ﷺ، وهو يجزم فعليه، ويصلح للمذكر والمؤنث، كما يصلح للمفرد والجمع، فعلى قراءة الجمهور بالتذكير ﴿وَمَن يَقْنُتْ﴾ مراعاة لمدلول (مَنْ) الشرطية، و﴿تَعْمَلْ﴾ بالتأنيث حملاً على المعنى.

وفي قراءة (تقنت)[٣] مراعاة لمدلول المؤنث[٤].

---

(١) ينظر: دراسة تحليلية لسورة الأحزاب (ص ٢٦٣)، د. محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، مصر، القاهرة، ط٢، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

(٢) ينظر: نظم الدرر ١٥/ ٣٤٢.

(٣) ينظر: الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها (٢/ ١٩٧).

(٤) ينظر: البحر المحيط (٧/ ٢٢١).

ولقراءة التذكير سرٌّ بلاغي حيث إنه يبعث في نفوسهن حمية الإقنات، بأن يكن على مستوى الرجال في قوة الإيمان والعزيمة الصادقة، ويستشعرن قوة الإيمان، ويتقلدن بالعزيمة الصادقة، مما يوحي إليهن بأنهن شقيقات الرجال في أعمال القلوب، ولما عليه المرأة من الضعف فقد أشارت الآية المباركة إلى الترفق بحالهن؛ فلا يكلفن بما فيه إحراجهن.

وأما الفعل ﴿تَعْمَلْ﴾ فقد جاء بالمؤنث، لمعنى الجمع، وفي هذا إشارة إلى الرفق بهن في عمل الجوارح[1]، فهن محل القدوة للنساء المؤمنات، بل وللرجال معاً، وجاء وصفهن بقوله - تعالى -: ﴿يَقْنُتْ﴾ أي تلتزمن الطاعة والخضوع[2]، فهذا الوصف مناسب لمعنى الآية المباركة، ذلك أنها ترسم بدقة دور أمهات المؤمنين رضي الله عنهن في نشر الدعوة، ومساعدتهن الفاعلة لرسول الله ﷺ، فحياة القانتة تمنعها إغضابه ﷺ، وإثارة مشاعره بطلب لا يمكن تحقيقه، وتكون هانئة بعيشه، فذلك مدعاة لصفاء ذهنه، وتفرغ قلبه لمهام الدعوة[3]، وإنفاذ أمر الرسالة، كما دل على ذلك وصفه ﷺ (رسوله). أتلمس أن هناك محذوفاً تقديره (من يقنت قلبها منكن) فأفاد ذلك أن المراد هو لزومهن الطاعة والخضوع بقلوبهن، وبجوارحهن، لا بأفعالهن العبادات المجردة عن الخضوع والطاعة، والقرآن الكريم بذلك يشير إلى دورهن الفعَّال في رسالة الإسلام.

---

(١) ينظر: نظم الدرر (١٥/ ٣٤٢).

(٢) ينظر: نزهة القلوب في تفسير غريب القرآن العزيز (ص ٣٦٣)، لأبي بكر محمد بن عُزيز السجستاني، حقق نصوصه وعلق عليه: د. يوسف عبد الرحمن المرعشلي، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

(٣) ينظر: نظم الدرر (١٥/ ٣٤٢)، وينظر: المفردات (ص ٤١٣).

ومجيء الوصفين (تقنت، تعمل) بالفعل مضارعاً؛ فدل على التجدد، وهو يتزايد مع ذلك مع إيتاء الأجر بتجدد العمل، وليس في ذلك دلالة على تكلف مشاق في العمل الصالح، بدليل تنكير (صالحاً) الذي دل على العموم والشمول، بمعنى أي عمل صالح، لأن الأساس هو طاعة الله تعالى وطاعة رسوله ﷺ؛ ثم ما يأتي بعد ذلك من عمل الصالحات مهما كان نوعه أو قدره، فلها أجره العظيم.

ولما كان وعد الإيتاء من الله - تعالى - فقد جاء مسنداً إلى ضمير العظمة (نحن) المستكن في الفعل (نؤت) لتعظيم شأن العطاء؛ لأنه صادر عمن لا تحد عظمته بحدود. ولأهميتهن رضي الله عنهن ؛ فقد أفرد الضمير العائد عليهن بقوله: ﴿تقنت﴾ فلأن: «هذا موضع يكثر فيه الواحد، كقولك: هو أحسن فتى في الناس»[1]، مما يدل على أن الإقنات أمر عظيم لا يستطيعه كل أحد.

كما أن في هذا الأسلوب إلهاباً لحماسهن وتشويقهن لما في جواب الشرط من الأجر العظيم، وكذلك فيه دعوة لهن بالتزام الطاعة، والعمل على درجة واحدة، كما أن فيه إثارة مشاعرهن نحو الفضيلة وتثبيتهن عليها.

[د] التنكير والتعريف

لكي أتحدث عن التنكير والتعريف في صفات المؤمنين، ينبغي الإلمام بمفهوم النكرة والمعرفة؛ ليكون ذلك مهاداً للإلمام بإشراقاتهما البلاغية في هذا العرض.

---

(١) الخصائص (٤١٩/٢).

لقد أفاض العلماء قديماً وحديثاً في بحث التنكير والتعرف، ومن جملتهم: ابن هشام[١]، فقد قال في تعريف النكرة: «هي عبارة عن نوعين:

أحدهما: ما يقبل (أل) المؤثِّرة للتعريف، كرجل وفرسٍ ودار وكتاب.

والثاني: ما يقع موقع ما يقبل (أل) المؤثرة للتعريف، نحو: «ذي، ومن، وما؛ في قولك: مررت برجلٍ ذي مالٍ، وبمَنْ معجبٍ لك، وبما معجب لك»[٢].

وبمثل ذلك قال الأشموني»[٣].

وهما بذلك يوضحان قول ابن مالك:

نكـــرةٌ قـــابلُ أل مُؤثِّـــراً   أو واقـــعٌ موقـــع مـــا قـــد ذُكـــرا

---

(١) عبد الله بن يوسف المعروف بابن هشام، من أشهر النحويين، له: (قطر الندى وبلُّ الصدى)، و(مغني اللبيب)، وغيرهما، توفي (سنة ٧٦١هـ). ينظر: البدر الطالع (ص ٤٠٦)، وهدية العارفين (١/ ٣٨٠).

(٢) أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك (١/ ٨٢، ٨٣)، لابن هشام، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت- لبنان، ط٥، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

(٣) أبو الحسن علي بن محمد بن عيسى نور الدين الأشموني، نحوي، صنف شرحاً على الألفية لابن مالك في النحو، ونظم (جمع الجوامع). توفي (سنة ٩٠٠هـ). ينظر: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون (١/ ١٧٤)، لمصطفى بن عبد الله القسطنطيني الرومي الحنفي المشهور بحاجي خليفة، دار الفكر، بيروت، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م، وهدية العارفين (١/ ٥٩١)، و معجم المؤلفين (٧/ ١٧٤)، لعمر رضا كحالة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون طبعة.

وينظر: حاشية الصبان على الأشموني (١/ ١٠٤، ١٠٥)، دار إحياء الكتب العربية، عيسى الحلبي وشركاه بالقاهرة، بدون تاريخ طبعة.

وقد علّق الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد على ذلك بقوله: «هذا تعريف بالرسم؛ لأن انقسامهما إلى هذين القسمين خاصة لها. وأما تعريفها بالحد فهي عبارة عما شاع في جنس موجودٍ أو مقدرٍ، ومثَّل للأول برجلٍ، لأن ثمة رجالاً كثيرين، ومثَّل للثاني بشمس؛ لأنه لا يوجد إلا واحدة، ولو قُدِّر وجود غيرها لكانت فرداً شائعاً في جنسها»[1].

وقال ابن هشام في تعريف المعرفة: «هي عبارة عن نوعين:

أحدهما: ما لا يقبل (أل) البتة، ولا يقع موقع ما يقبلها، نحو: زيد وعمرو.

الثاني: ما يقبل (أل)، ولكنها غير مؤثرة للتعريف، نحو: حارث، وعبّاس، وضحَّاك، فإن (أل) الداخلة عليها للمح الأصل بها»[2].

ولكن الشيخ محيي الدين لم يعلق على هذا التعريف، بمثل ما علق به على النكرة، ويفهم من ذلك أن المعرفة هي: ما دل على معين غير شائع في جنسه.

هذا هو مفهوم النكرة والمعرفة عند النحاة، وهم لا يزيدون في دراستهما على التحديد.

أما إشراقاتهما فهي ما يعنى به البحث البلاغي، في مثل دراستي هذه، وإنما تنبثق تلك الإشراقات من السياق.

التنكير والتعريف من طرق التعبير في كلام العرب:

فالتنكير: «لا أداة له سوى أن يُخْلى اللفظ من أدوات التعريف، والأصل في الكلمة التنكير؛ لأنه مطلق، ثم يأتي التعريف ليحصره في العلمية، والإحاطة

---

(١) هامش أوضح المسالك (١/ ٨٢) بتصرف.

(٢) أوضح المسالك (١/ ٨٣)، وينظر: حاشية الصبان على الأشموني (١/ ١٠٤، ١٠٥).

بحدوده ومعرفة كنهه على وجه التحديد»[١].

وللحديث عن بلاغة النكرة: فإنها تفيد معناها بحسب موقعها من الكلام، مطلقة من أي قيد، وكل المعاني التي استفيدت من النكرة؛ إنما استفادتها من المقام الذي وردت فيه[٢].

فموقع النكرة من السياق أو النظم هو الذي يضفي عليها تألقها حسب المقام؛ فإذا كان تقليلاً؛ فإنها تدل على التقليل، وتدل على الشوق والرغبة في العلم بالشيء إذا كانت لا تدل على شيء معينٍ، وتدل على العموم إذا كانت بعد نفيٍ أو استفهامٍ، وتدل على التعظيم. إذا كانت من الله ﷻ، كما أنها تدل على التحقير إذا كان في السياق ما يوحي بذلك، وكذلك تدل على تهويل الأمر، ولكن ذلك ليس بحسب استعمال لفظة معينة تدل على التهويل، وإنما تدل النكرة على ذلك بحسب المقام الذي وردت فيه[٣]. ولا يختص ذلك بالمسند إليه أو المسند، بل يمتد ليشمل كافة مواضعها من جملة الكلام، وكذلك الشأن في المعرفة على تعدد أنواعها.

وطرق التعريف ستة، كما وردت في كتب البلاغة، ولكل مقال منها مقام تُحمد فيه، ويقوم على بيان المعنى المراد:

---

(١) بلاغة الكلمة، والجملة، والجمل (ص ٤٦)، للدكتور: منير سلطان، منشأة المعارف بالإسكندرية، ط ٣، ١٩٩٦م.

(٢) ينظر: من بلاغة القرآن الكريم (ص ١٢٨)، د. أحمد أحمد بدوي. والنظم القرآني في آيات الجهاد (ص ٦٨)، د. ناصر بن عبد الرحمن الخنين، مكتبة التوبة، الرياض، ط١، ١٤١٦هـ ١٩٩٦م.

(٣) ينظر: الإيضاح (١/ ٤٠-٥١).

١- التعريف بالضمير: وذلك إذا كان المقام مقام حكاية أو خطاب أو إشارة إلى مفهوم.

٢- التعريف بالعلمية: فقد يؤتى بالاسم العلم للتعظيم أو للإهانة أو للكناية أو غير ذلك، مما يناسب استحضار خصوصية هذا العلم.

٣- التعريف بالاسم الموصول: ويتم التعريف به بواسطة ذكر جملة فيها تعريف بمعين، وبه تحصر المعرفة بينك وبين سامعك عنه؛ فلا تدخل بين ذلك المعرف وغيره من الأمور، كما أن فيها توجيهاً لذهن السامع إلى ما سيرد ليأخذ عنه، وكذلك الإيماء إلى وجه بناء الخبر، أو لتعظيم شأنه، أو لتحقيقه أو إلى إهانته أو إلى تنبيه المخاطب على الخطأ.

٤- التعريف باسم الإشارة: لصحة إحضاره في الذهن، أو أن السامع غبي لا يتميز الشيء عنده إلا بالحسِّ، أو بيان حاله في القرب أو البعد أو التوسط[1].

٥- التعريف باللام: فلكون المراد به إما نفس الحقيقة كما في قوله - تعالى -: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾ [الأنبياء: ٣٠]، أو المراد به العموم والاستغراق نحو قوله - تعالى -: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾ [العصر: ٢]، أو معهوداً بتقديم ذكر أو علم، كقوله - تعالى -: ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ۝ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ﴾ [المزمل: ١٥- ١٦].

٧- التعريف بالإضافة: إذا كان لا معرف له سوى الإضافة، أو إذا كان المقام مقام اختصارٍ، ولا طريق لذلك غيرها، أو إذا كانت الإضافة مغنية عن تفصيلٍ غير كافٍ، أو تعظيماً لشأن المضاف أو المضاف إليه.

---

(١) ينظر: المصباح في المعاني والبيان والبديع (ص ١٣-٢٢)، تأليف بدر الدين بن مالك. تحقيق د. حسني عبد الجليل يوسف، طبع ونشر مكتبة الآداب، بدون تاريخ.

ويمكن الوقوف على شيء من أسرار بلاغة التعريف والتنكير في الآيتين الكريمتين من قوله - تعالى- : ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة : ٧١-٧٢].

افتتحت هاتان الآيتان الكريمتان بذكر المؤمنين والمؤمنات للترغيب في الإيمان والدعوة إليه، ولتبعثا في النفس بواعث الاقتداء والتبعية تأسياً بصفاتهم الجليلة التي وضحتها الآية الأولى، ومن ثمَّ الجزاء العظيم الذي أعد لهم ثواباً من الله – تعالى – تكريماً وتفضلاً منه – تعالى - على عباده في الآية الثانية، وترتبط هاتان الآيتان الكريمتان بسابقتيهما وهما قوله - تعالى-: ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [التوبة : ٦٧- ٦٨].

جاءت هاتان الآيتان الكريمتان لبيان صور المنافقين المتعددة، والتي يتأذى بها المجتمع المؤمن، ويأباها الخلق القويم، من مثل أمرهم بالمنكر ونهيهم عن المعروف، وبخلهم بالأموال وغير ذلك، فهؤلاء وعدهم – سبحانه- بالخلود في نار جهنم وباللعن. ثم قابل هذه الصور بصور صفات المؤمنين، وبيان لصور

نعيمهم. ثم الوعد بالخلد فيها، ولهم - رضوان من الله - في مقابل حال أضدادهم. فنلاحظ في خطاب المنافقين وعيداً وتهديداً، وذلك بذكر نماذج الكفر الماضية، والتي تماثلهم كفراً وضلالاً، ولا شك أنها ستماثلهم عذاباً. قال - تعالى -: ﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [التوبة: ٧٠].

ولقد جاءت آيتا الشاهد الكريمتان مستهلتين بالواو في قوله - تعالى-: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ..﴾ عطفاً على قوله - تعالى -: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ﴾ ترغيباً للمنافقين في التوبة والرجوع عن النفاق[1]، والمراد بالمنافقين: المبطنون الكفر، وغير مجاهرين به، والمراد بالكافرين الذين جاهروا بكفرهم، وذلك بدليل العطف بالواو.

صفات المؤمنين بين التنكير والتعريف:

ففي قوله - تعالى-: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ..﴾ جاء الوصف بالإيمان اسماً معرَّفاً (بأل) التي للجنس لتفيد الشمول والعموم لكل من تحققت فيه صفة الإيمان، في عهد النبوة ولما بعدها. ثم أخبر عنه بولاية بعضهم لبعض؛ ليدل على أن هؤلاء الأولياء لربهم ولبعضهم قد ثبتوا على الإيمان، وفي عطف المؤمنات على المؤمنين، دليل على أن هذا الكمال قد شمل نساء المؤمنين كذلك. فعمهن الخير، ومن المعلوم أن الواو لمطلق الجمع، فهي لا تفيد ترتيباً

---

(١) ينظر: نظم الدرر (٨/٥٤٣).

ولا تعقيباً. ولما كان شأن المؤمنين في الدنيا والآخرة بخلاف شأن المنافقين، فقد وصف المؤمنين بالموالاة بعضهم لبعض. فقال – تعالى –: ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ أولياء: جمع، واحدها ولي. هو أن يحصل شيئان فصاعداً حصولاً لا يتخلله ما ليس منه، ويستعار للقرب من حيث المكان والدين والنسبة والصداقة، ومن حيث النصرة والاعتقاد[1]، ومنها المولى: بمعنى الصاحب والحليف، وابن العم وكل من ولي أمر واحد فهو وليه[2]. وعلى هذه المعاني؛ فليست هناك ولاية بين المؤمنين والكافرين. **وإنما جاء التعبير في وصف ولاية المؤمنين نكرة ﴿أَوْلِيَآءُ﴾** لتعظيم شأن العلاقة القائمة بين المؤمنين بعضهم مع بعض، فالمؤمنون متراحمون لما بينهم من ولايةٍ وصلةٍ لا تنفك؛ لأن الذي أحكم عراها هو الدين الإسلامي.

ولهذا يتضح السر في التعبير عن نسبة المؤمنين بعضهم إلى بعض بالولاية؛ وعن نسبة المنافقين (بمن) الاتصالية في قوله – تعالى –: ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾. وذلك أنه لما كان مرجع المنافقين الجمود على الهوى والطبع والعادة والتقليد من التابع للمتبوع منهم قال: ﴿مِّنۢ بَعْضٍ﴾ أي في صفة النفاق، هم فيها كالجسد الواحد، أمورهم متشابهة: في أقوالهم وأفعالهم وجميع أحوالهم، والقصد: أن حالهم يضاد حال أهل الإيمان.

---

(١) ينظر: بصائر ذوي التمييز (٥/٢٨١).

(٢) ينظر: مجمل مقاييس اللغة (٤/٩٣٦) ، (باب الواو واللام، وما يثلثهما).

أما في الحديث عن المؤمنين فلم يقل (مِنْ) كما قال في المنافقين؛ فللدلالة على أنه لم يقلد واحد منهم الآخر في أصل الإيمان، ولم يوافقه بحكم الهوى، بل تراهم جميعاً متجهين بالذات وبالقصد الأول إلى اتباع الرسول ﷺ[(١)].

وفي وصف المؤمنين بالخلود في الجنة، فقد أثبته - سبحانه - لهم بالاسم ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾، وجيء بالصفة على وزن اسم الفاعل دلالة على ثبوتها لهم وعلى خلودهم فيها.

وفي تنكيرها تعظيم لشأنها؛ فلا موت فيها لقوله - تعالى -: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾ [الدخان: ٥٦].

ومع شاهد آخر فيما يتعلق ببلاغة التعريف والتنكير؛ بقول الحق سبحانه: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [التوبة: ١٢٠].

حول المعنى:

الآية الكريمة نهيٌ عُبِّر عنه بصيغة النفي للمبالغة في بيان كمال أوصافهم[(٢)]، وفي ذلك حث للمؤمنين على وجوب الطاعة للرسول ﷺ حتى يتحقق كمال

---

(١) ينظر: جامع البيان (٤/١٣١)، ينظر غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٥/٥٠٦)، ونظم الدرر (٨/٥٤٣)، وإرشاد العقل السليم (٣/١٦٨)، والتحرير والتنوير (٦/١٠/٢٦٢).

(٢) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١/٤٢٤، ٤٢٥)، ونظم الدرر (٩/٤٣)، وتيسير الكريم الرحمن (١/٧٣٧).

الإيمان؛ فلا ينبغي لأحدٍ أن يتخلف عن ركب رسوله الكريم، ولا يطلب الراحة لنفسه؛ بل الواجب أن تُقدم نفسه الشريفة – عليه الصلاة والسلام - على نفوس كل المؤمنين. وخص أهل المدينة بالخطاب لأنها دار الرسول ﷺ، وهي دار الهجرة ومقر النُّصرة.

ويبين المولى - تبارك وتعالى - أن الثواب العظيم لكل محسنٍ من هؤلاء، وذكر أن من صفاتهم المجاهدة في سبيله – تعالى - ونصرة دينه، ودك حصون الشرك، وأخذ أوطانهم، ورفع راية الإسلام، واحتمال ما يصحب كل ذلك من نصب ومشقة وظمأ ومجاعة؛ فهؤلاء الذين أحسنوا في مبادرتهم إلى طاعة أمر الله – تعالى - ستكتب أعمالهم ولا تضيع أبداً، وقد يتطلب الأمر مع ذلك البذل والعطاء؛ فإنهم لن يكفروه وإن كان صغيراً، وفي هذا حث لهم وترغيب وتشويق إلى الخروج إلى الجهاد في كل ما فيه من تبعات[1].

وترتبط آية الشاهد بسابقتيها، وهما قوله تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾[التوبة: ١١٨ - ١١٩].

ذكر المولى - تبارك وتعالى - قصة المؤمنين الثلاثة الذين خلفوا، ووصف ما كانوا فيه من ضيق وشدة إزاء تخلفهم، كما بين فيها أن توبة الله – تعالى- على عباده هي أسمى الغايات وأجلّها، وأنها النهاية التي إليها يسعى خواص عباده،

---

(١) ينظر: جامع البيان (٤/ ١٧٠، ١٧١)، وتيسير الكريم الرحمن (١/ ٧٣٧).

ولحسن مآلهم، ولمنه - تعالى - عليهم بالصدق، أمر بالاقتداء بهم، فناسب ذلك في الآية التالية لها أن يرغب المؤمنين في الوصول إلى مرتبة المحسنين، ثم بين صفاتهم[(١)].

صفات المؤمنين بين التنكير والتعريف:

إنه لما حث ﷺ المؤمنين في الآية السابقة على أن يكونوا مع الصادقين، أخرج الأمر بذلك مخرج العموم، ليشمل كل مؤمنٍ، فمن كان مقصراً كانت آمرةً له باللحاق، ومن كان سابقاً كانت حاثة له على حفظ مقام الاستباق، ولعله عبَّر بـ(مع) ليشمل أدنى الدرجات[(٢)].

لهذا جاءت الآية التالية تصف الذين صدقوا بالمحسنين، فجاء الوصف معرفاً بأل التي للجنس، بقوله - تعالى -: ﴿ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

والسر البلاغي في ذلك: أنه جاء: «لمدحهم والشهادة عليهم بالانتظام في سلك المحسنين؛ وأن أعمالهم من قبيل الإحسان، وللإشعار بعلية المأخذ للحكم، وإما جنس المحسنين وهم داخلون فيه دخولاً أولياً»[(٣)]، ولهذا ناسب أن يقع التعريف بوصف المحسنين مع الإظهار بدل الإضمار ليدل على أن من عمل الأعمال الجليلة الصالحة وهو مخلص في أدائها لله - تعالى -؛ فإنه يدخل في عداد هؤلاء المحسنين، المذكور في الآية صفاتهم؛ كما دخل الصحابة - رضوان الله عليهم -، ففي هذا التشريف بالحكم الذي دل على هذا القبول

---

(١) ينظر: نظم الدرر (٩/٣٨ - ٤١)، وتيسير الكريم الرحمن (١/٧٣٥ - ٧٣٦).

(٢) ينظر: نظم الدرر (٩/٤١، ٤٢).

(٣) إرشاد العقل السليم (٣/٢٠١)، وينظر: روح المعاني (٦/١١/٤٤، ٤٥).

والرضا التعريف بـ(أل) الجنسية في قوله – تعالى –: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [التوبة: ١٢٠].

وتتوالى الأسرار البلاغية في إظهار مزية **التعريف** بأل في صفات المؤمنين؛ فنجدها تنبض بالمعاني؛ فتحيي الصور في النفس ترغيباً وتعظيما – كما سبق – أو شمولاً وتعميماً، وذلك كما في قوله – تعالى –: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

وخلاصة المعنى فيها:

أن الذين قاتلوا المشركين المكذبين بالحق، مبتغين بقتالهم رفع راية الدين ونصرة الإسلام، هؤلاء ﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ بتوفيقهم لإصابة الطرق المستقيمة الصحيحة؛ لتحقيقهم دين الله - تعالى -، وكل من فعل ذلك؛ فإن المولى ﷻ يمده بالعون والنصرة على من جاهد من أعداء الدين[١].

وترتبط هذه الآية الكريمة بسابقتها قوله – تعالى –: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٨].

ذلك أنه لما بيّن ﷺ دلائل التوحيد، وبطلان الشرك، وقرّع المشركين، وهددهم بتقرير مثواهم في جهنم؛ شرع في تثبيت المؤمنين على ما هم عليه من مجاهدة النفس الأمارة بالسوء والشيطان وأعداء الدين؛ فقال – تعالى –: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا...﴾ الآية[٢].

---

(١) ينظر: جامع البيان (٦/ ٩٠).

(٢) ينظر: حاشية زاده (٤/ ١٩).

صفات المؤمنين بين التنكير والتعريف:

لما كان من أغراض سورة (العنكبوت) تثبيت المسلمين الذين فتنهم المشركون[1]، ناسب هذا الغرض أن يجيء وصف المؤمنين ﴿ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ معرفاً بأل للجنس، لتدل على العموم، والغرض من ذلك بعث النفوس المؤمنة إلى تحقيق غرض من أغراض هذه السورة؛ وهو تثبيت المؤمنين وحثهم على الجهاد؛ لأن نفوس المؤمنين كانت في حاجة إلى مثل ذلك الدعم والإخبار بمعية الله ﷻ، ففي ذلك من أنس القلوب ما يبعث على طمأنينتها بأن النصر حليفها، وأن الفوز بالجنة مآلها.

والآية الكريمة قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ...﴾ [التوبة: ١٢٠]، نظائر منها ما جاء في قوله - تعالى-: ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٧-١٢٨].

فهذه إحدى المواضع المباركة في القرآن الكريم التي وردت فيها صفة الإحسان نكرة قوله – تعالى -: ﴿مُّحْسِنُونَ﴾، فدلت على التعظيم بما للسياق فيها من أثر، وبما لمعناها من ارتباط بسابقتها قوله - تعالى-: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّـٰبِرِينَ﴾ [النحل: ١٢٦].

حيث التوجيه إلى إقامة العدالة بين الناس، وبيان أوجه الفضل في ذلك، فأفضل العقاب ما كان بالمثل دون زيادة ولا تمثيل، أما الوجه الأفضل من الاستيفاء فهو الصبر؛ لما له من حسن العاقبة.

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير (١٠/٢٠/٢٠١).

وببيان جزاء المتقين والمحسنين تنتهي الآية إلى معية الله تعالى - وتكون بعونه لعباده المؤمنين وبتوفيقه لهم.

فهيبة المعية مع الله - تعالى -، وبما فيها من عظمة قربهم من المولى قد أكسبت صفة الإحسان هيبة وجلالاً، ولو أردنا أن نسوق الكثير من الآيات التي تذخر ببلاغة التعريف والتنكير؛ لبلغ البحث أضعافاً كثيرةً، ولكن كما قالت الحكماء يكفي من القلادة ما أحاط بالعنق.

[هـ] الإفراد والجمع

قبل أن نتحدث عن بلاغة الإفراد والجمع، يحسن أن نتبين ما قيل فيهما في لغة العرب حتى يبدو معناهما دقيقاً لا يستر ملامحهما شيئاً، فنقول: جاء في القاموس المحيط، أن الفرد: نصف الزوج، والمتحد: جمعُ فِرَاد، ومن لا نظير له، جمع أفراد وفُرادى.. وراكبٌ مفردٌ ما معه غير بعيره.. وجاءوا فرادى: أي واحداً بعد واحدٍ، والواحد فَرْدٌ فَرِدٌ، وفريد.. واستفرد الشيء أخذه من بين أصحابه.. ولقيته فَرْدَين أي لم يكن معنا أحد.

أما الجمع، فهو تأليف المتفرق ... وجماعة الناس ... والمجموع: ما جمع من هاهنا وهاهنا، وإن لم يجعل كالشيء الواحد، والجميع: ضد المتفرق ... وجُمَّاع الناسِ، كُرمَّان: أخلاطهم (من) قبائل شتى، ومن كل شيء مُجْتَمعُ أصْلِهِ، وكل ما تجمع وانضم بعضه إلى بعض[1].

---

(١) ينظر: القاموس المحيط (١/ ٣٤٣، ٣٤٤)، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، (باب الدال فصل الفاء)، و(٢/ ٩٥٤- ٩٥٥)، (باب العين فصل الجيم). دار إحياء التراث العربي- بيروت- لبنان بدون تاريخ.

وفي حديثه عن معنى الكلمة قال ابن هشام: «وتطلق في الاصطلاح - يعني اصطلاح النحاة - على القول المفرد. والمراد بالقول المفرد اللفظ الدال على معنىً: كرجلٍ وفرس، والمراد باللفظ: الصوت المشتمل على بعض الحروف؛ سواء دلّ على معنى كزيد، أم لم يدلَّ على معنى كديز - مقلوب زيد - (...) والمراد بالمفرد ما لا يدل جزؤه على جزء معناه، نحو: زيد، فإن أجزاءه وهي الزاي والياء والدال - إذا أفردت - لا تدل على شيء مما يدل هو عليه، بخلاف قولك: غلام زيد، فإن كلاً من جزئيه -وهما الغلام وزيد - دل على جزء معناه، فهذا يسمى مركباً لا مفرداً»[1].

ويفهم مما سبق أن المفرد ما دل على واحدٍ من جنسه، وأن الجمع ما دل على أكثر من واحدٍ.

على أن هذا الجمع نوعان، ما يخص العاقل وحده، وهو ما سمي بجمع السلامة[2]، وهي ما سَلِم بناء واحده، سواء أكان لمذكر أم مؤنث، ومنه ما هو للعاقل وغيره، وهو جمع التكسير، وهو ما دل على أكثر من واحدٍ مع تغير في صيغة مفرده[3].

ومن بين الآيات التي تزخر ببلاغة الإفراد والجمع قول الله - تعالى -:

﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ

(١) شرح قطر الندى وبل الصدى (ص ٢٢-٢٣)، لجمال الدين بن هشام الأنصاري، تحقيق: عرفات مِطرْجي، مكتبة دار حراء بجدة، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

(٢) ينظر: الأشموني ضمن حاشية الصبان على الأشموني (٤/ ١١٩).

(٣) المصدر ذاته (١/ ٨٠).

وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

هذه الآية المباركة خطاب لأهل الكتابين من اليهود والنصارى؛ لأنهم كانوا أكثروا الخوض في أمر القبلة حين حُولت إلى الكعبة، وكان كل فريق يدَّعي خيرية التوجه إلى قبلته من القطرين المذكورين.

وتقديم المشرق على المغرب مع تأخر زمان الملة النصرانية: إما لرعاية ما بينهما من الترتيب المتفرع على ترتيب الشروق والغروب، وإما لأن توجه اليهود إلى المغرب ليس لكونه مغرباً، بل لكون بيت المقدس من المدينة المنورة؛ واقعاً في الجانب الغربي، فقيل لهم: ليس البر التوجه إلى تينك الجهتين[1]. ثم أخذت الآيات الكريمة في بيان صفات أهل البر والتقوى.

وتتصل الآية بما قبلها وهو قوله - تعالى-: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ ۚ فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ ﴿١٧٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ

(١) ينظر: كتاب التسهيل لعلوم التنزيل (١/ ٦٩)، وإرشاد العقل السليم (١/ ٢٣٤).

ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ﴾ [البقرة: ١٧٤-١٧٦].

فإنه لما بيَّن البارئ جل وعلا: «كفر أهل الكتاب الطاعنين في نسخ القبلة وتكذيبه ﷺ، وكتمان الحق وغير ذلك إلى أن ختم بكفرهم بالاختلاف في الكتاب، وكتمان ما فيه من مؤيدات الإسلام أتبعه الإشارة إلى أن أمر الفروع ليس أحق من أمر الأصول؛ لأن الفروع ليست مقصودة لذاتها، والاستقبال الذي جعلوا من جملة شقاقهم بعد أن كتموا ما عندهم من الدلالة على حقيقته، وأكثروا في الإفاضة في عيب المتقين به ليس يقصدونه لذاته، وإنما المقصود بالذات الإيمان، فإذا وقع: تبعته جميع الطاعات من الصلاة المشترط فيها الاستقبال وغيرها»[1].

والملاحظ أن هذه القيم الجليلة قد حرص الدين الإسلامي على غرسها في نفس المؤمن؛ لذلك جاءت كلها مجتمعة في آية واحدة.

ويروى في سبب نزولها: عن قتادة ﷺ قال: «ذكر لنا أن رجلاً سأل نبي الله ﷺ عن البر؛ فأنزل الله - تعالى- هذه الآية»[2].

توجيه قراءتي الرفع والنصب في ﴿ٱلْبِرَّ﴾ من قوله - تعالى -: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾:

---

(١) نظم الدرر (٣/ ١).

(٢) أسباب النزول للواحدي (ص ٤٩)، وقال السيوطي في الدر المنثور (١/ ١٦٩): "أخرجه عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر عن قتادة".

١- قرأ حمزة، وحفص[١] عن عاصم[٢] بنصب ﴿ٱلْبِرَّ﴾ على أنه خبر ليس مقدماً على اسمها ﴿أَن تُوَلُّوا﴾، وهو مصدر مؤول. ورجحت هذه القراءة؛ لأن المصدرَ المؤولَ أعرفُ من المحلّى بالألف واللام؛ لأنه يشبه الضمير من حيث إنه لا يوصف، ولا يوصف به، والأعرف أنه ينبغي أن يجعل الاسم، وغير الأعرف: الخبر[٣]؛ ولأن في الاسم طولاً، فلو روعي الترتيب المعهود لفات تجاوب أطراف النظم الكريم[٤].

٢- وقرئ برفع ﴿البرُّ﴾ على أنه اسم ليس، و﴿أَن تُوَلُّوا﴾ خبرها، وهو مصدر مؤول، أي ليس البرُّ توليتَكم.. ورجحت هذه القراءة من حيث إنه وليَ الفعلَ مرفوعُه قبل منصوبه[٥].

---

(١) حفص بن سليمان الأسدي القارئ، أعلم أصحاب عاصم بقراءته، أقرأ الناس دهراً، وهو فيها ثقة ثبت ضابط، متروك الحديث مع إمامته في القراءة. توفي سنة ١٨٠هـ. ينظر: النشر في القراءات العشر (١/١٥٦)، وتقريب التهذيب (ص ١٧٢).

(٢) عاصم بن أبي بهدلة بن أبي النجود الأسدي، صدوق له أوهام، حجة في القراءة، وإليه انتهت رئاسة الإقراء بالكوفة، أخذ عن السلمي، جمع بين الفصاحة والإتقان، وأخذ عنه أبو بكر بن عياش وعاصم وغيرهما، مات سنة ١٢٨هـ. ينظر: النشر (١/١٥٥)، وتقريب التهذيب (ص ٢٨٥).

(٣) ينظر: إملاء ما من به الرحمن (١/٧٧)، والدر المصون (٢/٢٤٤، ٢٤٥).

(٤) ينظر: إرشاد العقل السليم (١/٢٣٤).

(٥) ينظر: الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها (١/٢٨١)، والدر المصون (٢/٢٤٥).

ويرى العلامة أبو السعود أن ذلك أقوى من حيث المعنى: «لأن كل فريق يدعي أن البرَّ هذا، فيجب أن يكون الرد موافقاً لدعواهم، وما ذلك إلا بكون البر اسماً، كما يتضح عنه جعله مخبراً عنه في الاستدراك بقوله ﷻ: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ...﴾»[1].

وذهب الزجاج إلى أن المعنى على قراءة النصب: ليس توليتكم وجوهكم البر كله، وعلى قراءة الرفع ليس البرُّ كله توليتكم وجوهكم[2]. وهاتان القراءتان وإن كانتا متفقتين في المعنى، إلاَّ أن لقراءة الرفع من الترجيح ما لا يخفى؛ لأنه لما كان المراد نفي البر عما اختلفوا فيه، كان الإعلام عنه بقراءة الرفع إفادةً من أول الأمر بأنه لا يرى البر في تولية الوجوه قبل المشرق والمغرب.

ولما نفى - سبحانه - كون البرِّ في تولية الوجوه قبل المشرق والمغرب، جاء قوله - تعالى-: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ﴾ تحقيقاً للحق بعد بيان بطلان الباطل، وتفصيلاً لخصال البر بما لا يختلف باختلاف الشرائع، ويكون بذلك على تقدير حذف مضاف أي (بر من آمن) وعمل الأعمال الصالحة التي بيَّنها وليس البرُّ ذلك الخلاف الذي وقع بشأن القبلة[3]، فلما كان السابق هو نفي أن يكون المراد بالبر تولية الوجوه قبل المشرق والمغرب، لذلك فإن الذي يستدرك إنما هو من جنس ما ينفى. وذلك

---

(١) إرشاد العقل السليم (١/ ٢٣٤).

(٢) ينظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٢٤٦).

(٣) ينظر: إعراب القرآن (١/ ٢٧٩) للنحاس، والكشاف (١/ ٢١٥، ٢١٦).

كما في قولهم: ليس الكرم أن تبذل درهماً، ولكن الكرم بذل الآلاف؛ فلا يناسب ولكن الكريم من يبذل الآلاف. وهذه الصفات جاءت بين صيغتي الإفراد والجمع ففي قوله - تعالى -: ﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾ أي أخلص الإيمان لله ﷻ استجابة لما دعت إليه آية الوحدانية؛ فأثبتت له صفات الكمال والتعالي عن النقص[1]، فهو الجدير بإخلاص الإيمان له. لا كإيمان اليهود والنصارى والمشركين بقولهم: عزير ابن الله، وقولهم: المسيح ابن الله[2].

وإنما قدمت هذه الصفة على غيرها من أعمال الجوارح كالصلاة، والزكاة؛ لأن أعمال القلوب أشرف من أعمال الجوارح؛ ولأن قبولها لا يكون إلا إذا كانت صادرة عن نفسٍ مؤمنة[3]. وجاءت هذه الصفة بصيغة المفرد للدلالة على أنها تلزم كل فردٍ على حدة بأن يؤمن بكل ما سيأتي من خصالٍ، وأن كفر الجماعة مهما عظموا لا يضره؛ ما دام ثابتاً على إيمانه. وقد يكون المراد النفس المؤمنة، كما أشار إلى ذلك أبو حيان[4]

---

(١) ينظر: نظم الدرر (٣/٣).

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب (٣٢/٥/٣)، وإرشاد العقل السليم (١/ ٢٣٤).

(٣) ينظر: مفاتيح الغيب (٣٥/٥/٣)، وينظر: البحر المحيط (٥/٢).

(٤) محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيَّان الأندلسي الغرناطي، نسبه ينتهي إلى قبيلة من البربر، نحويّ عصره ومفسره ومحدثه، أخذ القراءات عن أبي جعفر الطباع، أخذه عنه أكابر عصره كالسبكي، ومن مؤلفاته: (إتحاف الأريب بما في القرآن من الغريب)، توفي (سنة ٧٤٥هـ). ينظر: بغية الوعاة (١/ ٢٨٠)، والبدر الطالع (ص ٨٠٦).

- فهي مقر الإيمان -، ثم التعبير عن إيتاء الأموال صفة للمؤمنين؛ فإنه جاء بصيغة المفرد في قوله - تعالى -: ﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ فعلام يعود الضمير في قوله - سبحانه -: ﴿عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾؟.

* إما أن يعود على المال، أي آتاه كائناً على حبِّ المال، كما في قوله ﷺ حين سئل أي الصدقة أفضل؟ **(أن تؤتيه وأنت صحيح شحيح)**[1]، وقول ابن مسعود ﷺ: (أن تؤتيه وأنت صحيح شحيح تأمل العيش وتخشى الفقر، ولا تمهل، حتى إذا بلغت الحلقوم قلت: لفلان كذا ولفلانٍ كذا)[2].

* وإما أن يكون الضمير لله-تعالى-أي: آتاه كائناً على محبته-تعالى- لا على قصد الشر والفساد فيه، وعلى ذلك يكون فيه نوع تعريض لباذلي الرشا وآخذيها لتغيير التوراة.

* وإما أن يكون عائداً على المصدر، أي حب الإيتاء، ويكون المراد أن يعطيه وهو طيب بإعطائه[3].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الوصايا، باب الصدقة عند الموت (ص ٥٢٨)، رقم (٢٧٤٨)، والنسائي في كتاب الزكاة، باب أي الصدقة أفضل، (ص ٣٧٤)، رقم (٢٥٤٤).

(٢) ينظر: الكشاف (١/٢١٦)، وإرشاد العقل السليم (١/٢٣٥). وحديث ابن مسعود بنصه رواه البخاري، كتاب الزكاة، باب أي الصدقة أفضل وصدقة الصحيح الشحيح (ص ٢٧٦)، رقم (١٤١٩)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب: بيان أن أفضل الصدقة صدقة الصحيح الشحيح، (ص ٥١٥)، رقم (١٠٣٢)، والنسائي في كتاب الوصايا، باب الكراهية في تأخير الوصية (ص٥٣١)، رقم (٣٦١٣)، والحاكم في كتاب التفسير، من سورة البقرة (ص٦٠٩) رقم (٣١٣٢). وغيرها من كتب السنة.

(٣) ينظر: الكشاف (١/٢١٦، ٢١٧)، والبحر المحيط (٢/٦).

وهذه الوجوه، وإن كانت جيدة، تدل على أن ذلك الإيتاء له عظيم الثواب عند الله — تعالى - لما فيه من بذل المال ابتغاء مرضاة الله ﷻ.

إلاّ أنني أرجح الوجه الثاني، وهو أن يكون إيتاء المال غالباً فيه حب الله —تعالى - على حبه للمال؛ لأن في ذلك إشارة إلى التصديق في حال الصحة والشح بتأميل الغنى، وخشية الفقر، كما أن في ذلك دليلاً على كرم النفس، وتصديق الإيمان بالاعتماد في الخلف على من ضمن الرزق، وهو على كل شيء قدير[1]، ومن الملاحظ أن الضمير إذا عاد على المال فذلك من باب التتميم، وهو أن يؤتى في كلامٍ لا نوهم خلاف المقصود بفضله، تفيد نكتةً[2]. ولما كانت هذه المسألة مما يتفاوت الناس في الإيمان بها، ناسبها التعبير بالمفرد في قوله — تعالى -: ﴿ءَاتَى﴾، ويتبع ذلك الاختلاف في الحكم والأجر، على ما يتبع ذلك من ملابسات، وهو المسؤول عن أداء مثل هذه الأعمال الخيِّرة لقوله - تعالى -: ﴿يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ [النبأ: ٤٠].

كما أن صيغة المفرد وما يتبعها من صفاتٍ إغراء لنفس المؤمن بإعطاء ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل، والسائلين وفي الرقاب، فكل واحدةٍ من هذه الفئات أو مجموعها؛ فإنه مما يثير في النفس الدافع إلى الاستجابة إلى أحدهم، أو إلى مجموعهم حسب الحاجة، وهذه القابلية والاندفاع تختلف من شخص إلى آخر، ومن حالة إلى أخرى.

---

(١) ينظر: نظم الدرر(٣/ ٤، ٥).

(٢) ينظر: الإيضاح مع البغية (٢/ ١٤٥/ ١٤٦).

وأما إفراد الصلاة، فيدل على أنها المفروضة[١]، وأنها من ضمن أركان الإسلام التي ينبغي إتمامها بأركانها وواجباتها، وفي الإفراد إلزام لكل شخص، فذلك من دلائل الإيمان.

ثم إيتاء الزكاة في قوله - تعالى -: ﴿وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ﴾ فالتعبير بلفظ ﴿ءَاتَى﴾ يدل على اليسر والسهولة. ولذا خصَّ دفع الصدقة في القرآن بذلك اللفظ[٢].

وفي ذلك مدح وثناء عليهم؛ لأنهم يؤدون صدقات أموالهم، ويبذلونها إلى مستحقيها بيسر وسهولة، وفي ذلك أيضاً تعريض باليهود؛ حيث كانوا يمنعون الناس منها[٣]. والمراد بالزكاة هنا: إما المفروضة، على أن المراد بما مرَّ من إيتاء المال التنفل بالصدقات، ويكون تقديمه على الفريضة مبالغة في الحث عليه.

أو المراد بهما المفروضة، ويكون الأول لبيان المصارف، والثاني لبيان وجوب الأداء[٤].

ويرى البقاعي أن السر في مجيء ذلك بعد قوله: ﴿وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ أنه لما ذكر ما يزكي الروح بالمثول بين يدي الله ﷻ والتقرب بنوافل الصدقات، ذكر ما يطهر المال وينميه، وهو حق الخلق[٥].

---

(١) ينظر: إرشاد العقل السليم (١/ ٢٣٥).
(٢) ينظر: المفردات (ص ٨).
(٣) ينظر: مفاتيح الغيب (٣/ ٥/ ٣٥).
(٤) ينظر: إرشاد العقل السليم (١/ ٢٣٥).
(٥) نظم الدرر (٣/ ٧).

وأما الوفاء بالعهد، فقد جاء بصيغة الجمع في قوله - تعالى -: ﴿وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَـٰهَدُوا۟﴾ للتنبيه على وجوب التخلق بها، والمراد بالعهد: ما أخذه الله - تعالى - من العهود على عباده بإقرارهم، وما أخذه على ألسنة رسلهم وأنبيائهم بالقيام بحدوده، والعمل على طاعته، ويندرج فيه كل ما يلزم المكلف مما يكون بينه وبين ربه، كالنذر، والأيمان، أو ما يكون بينهم وبين نبيهم من الطاعة في العسر واليسر؛ فلا يقولون إلاّ الحق، لا يخشون ولا يخافون في الله - تعالى - لومة لائم، وكذلك العهد يتضمن ما يكون واجباً بين الناس بعضهم وبعض، كإنفاذ العقود وإتمام المعاوضات، ويتضمن العهد كذلك، ما يكون بين الناس مندوباً إليه المواعيد وأداء الأمانات أو الأسرار[1].

وأياً ما كان، فإن العهد خليقة وجبلّة في العربي يقدرها، ومن أجلها يبذل الغالي والرخيص؛ وفاءً واعتزازاً، ولما كان من أصل الدين الإسلامي، الالتزام بلا إله إلا الله، ومعناه الوفاء بمبادئها؛ فقد أشادت الآية الكريمة بالعهد، وذكرت بخيرِ الموفين بعهودهم، المؤدين لالتزاماتها، لهذا، فقد جاء (العهد) هنا لفظاً مفرداً؛ لأنه خليقة، وإن تغيرت أحوالها؛ فإن وصفها لا يتبدل.

والملاحظ على الصفات الكريمة في هذه الآية، أنها تجمع بين معظم أركان الإيمان والإسلام، لذلك ناسبها الإفراد؛ لأنها مسألة تتعلق

---

(١) ينظر: معالم التنزيل (١/ ٢٠٥)، ومفاتيح الغيب (٣/٥/٣٨)، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٢/ ٢٢٣).

بشخص كل مؤمن، وبمقدار عقيدته، وهذه يتفاوت فيها الناس، ثم إنه لما ذكر ما تفرع عن الإيمان بالله - تعالى - وهو: (**الإيمان باليوم الآخر، والملائكة، والكتاب، والنبيين**)، ذكر إيتاء المال بيّن مستحقيه، وهم: (ذوو القربى، واليتامى، والمساكين، وابن السبيل، والسائلون، وفي الرقاب)، ولما أشاد بذكر الصلاة فإنه أشار إلى أهميتها ودل على ذلك بلفظ (أقام)، وكذلك الشأن في الزكاة، لما ذكر كل ذلك ناسبه وصفهم بالصدق مشيراً إليهم بالتقوى: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ دلالة على رفعة شأنهم؛ لأن نجح التحلي بهذه الصفات؛ لا يكون إلا بالتقوى؛ لأنها من الأعمال التي بين العباد وخالقهم.

قال الله تعالى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٨٥-٢٨٦].

خلاصة المعنى:

هاتان الآيتان المباركتان فيهما إقرار رسول الله ﷺ بالقرآن الكريم، وبما جاء فيه من قيم الدين وتعاليمه، وتبع ذلك بيان صفات المؤمنين، وهي إقرارهم بالأنبياء والرسل على نبينا وعليهم أفضل الصلاة والسلام، واعترافهم بنبوتهم وفضلهم، وعدم المفاضلة بينهم، ومن

صفات المؤمنين رضاهم بما جاءهم من الأوامر والنواهي، وتقديم فروض الطاعة، لما هم ملزمون بأدائه مسلِّمين لله ﷻ، كما أن من صفاتهم الدعاء الذي هو مخ العبادة أن يغفر تقصيرهم في أداء العبادات، وكان عاقبة إخلاص الإيمان هو الإقرار بالعبودية لله ﷻ، وألاَّ يكلفهم فوق طاقتهم، وأن الجزاء والمثوبة على قدر ما وسعهم من العمل.

ولكرم المؤمن على ربه - سبحانه -؛ فإنه يعلمه أدب الدعاء، وحسن الدعاء، ويبين له فضل قول: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ..﴾ ففيها منتهى الأدب في الإقرار بضعف الإنسان الذي يتمثل في النسيان مرةً، وفي الخطأ أخرى، ومن صفات المؤمنين علمهم بأهمية التكاليف الإلهية، وما يترتب عليها من عدم الوفاء بعهدها، إن هم عجزوا عن القيام به ولم يستطيعوا إنفاذه. ومن صفات المؤمنين الخوف من أن يكلفوا ما لا يطيقون من أنواع العبادات الذي ترتب عليها طلب العفو عن تقصير العمل، ثم طلب الرحمة الذي ينبئ عن معتقد صحيح بأنَّ أحداً لا ينجو من عقابه إلا أن يتغمده الله ﷻ برحمته، وآخر صفاتهم في هذه الآية الكريمة هي تقديم فروض الولاء لله - تبارك وتعالى - في أن يبادلهم ربهم ولاءه، فذلك منتهى غاية المؤمن وهو أشرف مطالبه[1].

وترتبط آيتا الشاهد بما قبلها وهو قوله - تعالى -: ﴿لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٨٤].

---

(١) ينظر: جامع البيان (٢/١٩٨-٢٠٣)، ومعالم التنزيل (١/٤١٨-٤٢١).

فإنه لما أظهر كمال قدرته في قوله - تعالى -: ﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ دلَّ على كمال سلطانه في محاسبة خلقه على كل صغيرة وكبيرة؛ فجاء الأسلوب المبارك يلفت الانتباه إلى كمال علمه محذراً أن يقع المؤمن تحت طائلة الحساب، إشارة إلى أن الإيمان وما يتبعه من الأعمال الصالحة عاصم من العقاب.

واختص الدعاء في الآية الكريمة بالنصيب الأكبر من الصفات، ذلك أنه لما نزل قوله - تعالى -: ﴿وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ﴾ الآية «اشتد ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ، فأتوا رسول الله ﷺ ثم بركوا على الركب، فقالوا: أي رسول الله، كلفنا من الأعمال ما نطيق: الصلاة، والصيام، والصدقة، وقد أنزلت عليك هذه الآية ولا نطيقها، قال رسول الله ﷺ: **(أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم: سمعنا وعصينا؟ بل قولوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير)**، فلما قرأها القوم، وذلت بها ألسنتهم أنزل الله في أثرها: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ...﴾ فلما فعلوا ذلك نسخها الله، فأنزل الله ﷻ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ قال: **(نعم)**، ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ﴾ قال: **(نعم)**، ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا﴾ قال: **(نعم)**، ﴿وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا...﴾ قال: **(نعم)**»[1].

صفات المؤمنين بين الإفراد والجمع: في قوله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ﴾.

---

(١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/٣٣). وأخرجه مسلم في الصحيح، كتاب الإيمان، باب بيان أنه سبحانه وتعالى لم يكلف إلا ما يطاق، (ص ٧٧)، (رقم ١٢٥).

لقد جاء التعبير عن صفة الإيمان بالمفرد ﴿ءَامَنَ﴾ ؛ لأنها تعبير عن صفة إيمانه ﷺ الذي هو رأس إيمان كل مؤمن، ولقد آمن عليه الصلاة والسلام بما ظهر له من المعجزات الدالة على صدْق المَلَك الذي أنزل عليه الوحي، لذلك عبر بعدم ذكر الفاعل لشمول ما أنزل إليه، فقال: ﴿أُنزِلَ﴾، فكذلك آمن المؤمنون تبعاً لإيمان رسولهم - عليه الصلاة والسلام-، وتصديقاً لما جاء به، إيماناً يتبعه العمل الصالح[١]. والذي دل أن المراد من الإيمان هو إيمان رسولنا محمد ﷺ (الألف واللام) التي للعهد في قوله -تعالى-: ﴿ٱلرَّسُولُ﴾، ولقد كان إيمانه وتصديقه - عليه الصلاة والسلام - إقراراً منه واعترافاً بفضل ﴿رَّبِّهِۦ﴾ عليه الذي رباه وأحسن إليه[٢]. وقدم ذكره ليدل على أن إيمانه هو أصل لإيمان المؤمنين به، وأنه المتبوع، وإيمان المؤمنين متأخر، فهم التابعون[٣].

ومجيء الوصف بصفة الإيمان، وبصيغة الجمع، وبالاسم معرفاً بأل ليدل على أنهم بلغوا مرحلة الرسوخ الإيماني، وأنهم ارتقوا أسباب الكمال؛ لأنهم آمنوا بما آمن به رسولهم، وليدل كذلك على أن الإيمان قد شملهم وعمهم.

فهذا الأسلوب المبارك قد جمعهم «في كلية كأن قلوبهم قلب واحد لم يختلفوا؛ لأن القبول واحد، والرد يقع مختلفاً»[٤].

---

(١) ينظر: مفاتيح الغيب (١١٢/٧/٤)، ونظم الدرر (١٦٨/٤).

(٢) ينظر: نظم الدرر (١٦٩/٤).

(٣) ينظر: البحر المحيط (٣٧٨/٢).

(٤) نظم الدرر (١٧٠/٤) نقلاً عن الحرالي.

أما وجه توحيد الضمير في قوله - تعالى -: ﴿كُلٌّ ءَامَنَ﴾ مع رجوعه إلى كل المؤمنين مراعاة للفظ ﴿كُلٌّ﴾ التي تدل على الجمع، وهي من ألفاظ العموم؛ ولأن المراد بيان إيمان كل فردٍ منهم؛ ولأن هذا الضمير عائد إلى محذوف تقديره كل إنسان أو كل فرد آمن بالله - تعالى - من غير اعتبار الاجتماع[1].

كما اعتبر ذلك في قوله - تعالى -: ﴿وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ﴾ [النمل: ٨٧]، أي كل واحدٍ من المبعوثين عند النفخة[2].

ولقد بلغ هؤلاء المؤمنون درجات الكمال، كما يأذن بذلك حرف العطف (الواو) في قوله - تعالى -: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾، والمعنى في العطف بالواو على وجهين:

الأول: أن يكون مرفوعاً بالفاعلية، معطوفاً على قول ﴿ٱلرَّسُولُ﴾ فيكون ﴿ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ معطوفاً على ﴿ٱلرَّسُولُ﴾، وكان التنوين عوضاً عن الضمير المحذوف في ﴿كُلٌّ﴾، والوقف[3] يكون على كلمة ﴿ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾، والضمير المعوض عنه بالتنوين تقديره: كلهم.

---

(١) ينظر: الكشاف (١/٣٢٦)، ومعالم التنزيل (١/٤١٨)، وإرشاد العقل السليم (١/٣٢٤).

(٢) ينظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/٣٥)، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل (١/١٤٦)، وإرشاد العقل السليم (١/٣٢٤-٣٢٥).

(٣) ينظر المكتفى في الوقف والابتدا في كتاب الله ﷻ (ص ١٩٣) للإمام أبي عمرو عثمان بن سعيد الداني الأندلسي، تحقيق /د. يوسف عبد الرحمن مرعشلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.

الثاني: إن كان لفظ ﴿ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ مبتدأ؛ فإن الواو للاستئناف، و﴿كُلٌّ﴾ مبتدأ ثانٍ، والجملة الفعلية ﴿ءَامَنَ﴾ خبر عن ﴿كُلٌّ﴾[(١)]، وكان المحذوف المعوض عنه بالتنوين تقديره: (كل واحدٍ من المؤمنين آمن)، وليس عائداً على الرسول ﷺ[(٢)].

وفي الآية إيجاز بالحذف، وسر بلاغته: المسارعة إلى بيان من آمن مع الرسول ﷺ تكريماً له، ورفعاً لمنزلته، وبياناً لرضوان الله عليه، كما أن فيه تخفيفاً من ذكر ما يطول به الكلام، ويؤدي إلى السأم، وهو إلى ذلك يخلع على الأسلوب جزالة تملأ النفس، وتستحوذ على الشعور.

وهذه الآية تشعر بأنه ما كان مؤمناً بربه ثم آمن، بعدما ظهر من المعجرات على يد جبريل عليه السلام، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢][(٣)].

ثم بعد أن أفرد الوصف في قوله - تعالى -: ﴿كُلٌّ ءَامَنَ﴾ لأن المسألة تخص الإيمان، أعاد التعبير بصيغة الجمع في قوله - تعالى -: ﴿وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا..﴾ وهو معطوف على المفرد ﴿ءَامَنَ﴾، وذلك باعتبار المعنى، كما أنه حكاية لامتثالهم الأوامر والنواهي بعد حكاية إيمانهم،

---

(١) ينظر: الدر المصون (٢/٦٩١).

(٢) ينظر الكشاف (١/٣٢٦)، ومفاتيح الغيب (٤/٧/١١٢)، والدر المصون (٢/٦٩١).

(٣) ينظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/٣٥).

ووصف المؤمنين بالسمع والطاعة مدح لهم وثناء عليهم ؛ لأن المراد : سمعناه بآذاننا ، وعقلته عقولنا[1] ، وهذا الأسلوب كناية[2] عن الرضا والقبول ؛ لأن مجرد السمع بغير قبول كلا سمع ، والقرينة عطف الطاعة عليه ، ويجوز أن يكون كناية عن الإدراك والفهم ؛ لأن السمع بلا إدراك كلا سمع. ولقد حُذف مفعولا ﴿ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا.. ﴾ ظاهراً وتقديراً ؛ لما في ذلك من بلاغة «لأنك إذا جعلت التقدير : سمعنا قوله ، وأطعنا أمره ، فإذن ههنا قول آخر غير قوله ، وأمر آخر يطاع سوى أمره ؛ فإذا لم يقدر فيه ذلك المفعول ؛ أفاد أنه ليس في الوجود قول يجب سمعه إلا قوله ، وليس في الوجود أمر يقال في مقابلته أطعنا إلا أمره ، فكان حذف المفعول صورة ومعنى في هذا الموضع أولى»[3] ، وأرى في حذف المفعول التوفر على إثبات الفعل في نفسه ، والمراد شأننا سمع وطاعة ، كما يقال : فلان يحل ويعقد ، أي شأنه الحل والعقد. وأجد كذلك فيه تعريضاً بيهود بني إسرائيل حيث ﴿ قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا ﴾ [البقرة : ٩٣].

ولقد تأخر طلب المغفرة في قوله - تعالى - : ﴿ غُفْرَانَكَ ﴾[4] مع تقديم ذكر السمع والطاعة : لأن تقديم الوسيلة على الغرض المطلوب أقرب إلى الإجابة والقبول ، كما أن التعرض لعنوان الربوبية في قوله - تعالى - :

---

(١) ينظر : مفاتيح الغيب (٤/٧/١١٩).

(٢) ينظر : التحرير والتنوير (٣/٣/١٣٣).

(٣) مفاتيح الغيب (٤/٧/١١٨ ، ١١٩).

(٤) غفران مصدر سماعي للفعل (غفر يغفر) من باب ضرب يضرب ، وزنه فُعلان بضم الفاء.

﴿رَبَّنَا﴾ مع الإضافة إليهم، دلالة على المبالغة في التضرع والتوسل[1]، ومجيء الدعاء على هذه الطريقة يشعر بشمول المغفرة ظاهراً وباطناً[2]. كما أنّ قوله – تعالى –: ﴿غُفْرَانَكَ﴾: «مصدر حُذف فعله وجوباً، لكثرة الاستعمال، وللاستغناء عن فعله. نحو: (سقياً، ورعياً)»[3]، وللحذف بلاغة من حيث إنه مناسب لكثرة الذنوب ودقتها وتنوعها؛ فقد عبر بالمصدر (غفران) فكأن امتداد الصوت عند النطق به يشعر باستطالة طلب المغفرة؛ ليشمل كل ذنب صغير وكبير.

كما أُضيف إلى المولى ﷻ (ضمير الخطاب) المشعر بالوحدانية ﴿غُفْرَانَكَ﴾ وفيه تعظيم؛ حيث إنَّ هذا الواحد العظيم هو ملجأ كل سائل.

ولقد بين البقاعي أن هذه الإضافة فيها إشعار برحمته المعهودة، والتي ورد ذكرها في الحديث: **(إن لله تعالى مائة جزء من الرحمة، قسَّم جزءاً منها على الملائكة والجن والإنس وجميع الحيوانات، فبها يتراحمون ويتعاطفون، وأخّر تسعاً وتسعين جزءاً ليوم القيامة)**[4]، وإلى

---

(١) ينظر: خصائص التشبيه في سورة البقرة (ص ٤٩٢)، للأستاذ الدكتور إبراهيم حسن داود، مطبعة الأمانة، ط١، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

(٢) ينظر: نظم الدرر (٤/ ١٧٢).

(٣) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/ ٤٠، ٤١).

(٤) ينظر: نظم الدرر (٤/ ١٧٢)، أخرجه بنحوه: البخاري في كتاب الأدب، باب جعل الله الرحمة مائة جزء، (ص ١١٦٣)، رقم، (٦٠٠٠)، وفي صحيح مسلم، كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله وأنها سبقت غضبه (ص ١٤٧٢)، رقم (٢٧٥٢). ونص هذا الحديث تماماً لم أجده.

جانب ما في الإفراد مرة، والجمع أخرى من بلاغة ودلالة على دقائق المعاني، فإن نظم الجمل المباركة يشير إلى معانٍ تمس العقيدة، وذلك في قوله - تعالى -: ﴿وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾، فتقديم الجار والمجرور أفاد أن المعنى: إليك لا إلى غيرك[1]، **وهو تذييل** سره البلاغي يكمن في إفادته: «أنه مقرر للحاجة إلى المغفرة، كما أن فيه إقراراً بالمعاد إليه وحده، نلمس ذلك من أسلوب القصر الذي يفيد ذلك التأكيد، وهو من قصر الصفة على الموصوف قصراً حقيقياً تحقيقياً، وطريقه التقديم»[2]، كما أرى أن التقديم إلى جانب القصر أفاد إيقاعاً ناغماً، تستريح إليه النفس، وذلك لما يسبق الوقف على رأس الآية ذلك الامتداد الصوتي الناشئ من حركة الصاد الطويلة، والرنين المتولد عن حرف الراء بما فيه من تذبذب اللسان في النطق، ولنتبين هذا الإيقاع الناغم بوضوح؛ فلننطق بالجملة بغير تقديم فنقول: والمصير إليك، فسنلحظ أنه لم يعد موجوداً.

ثم إنه - تعالى - بعد أن بين حقيقة الإيمان به، وبيَّن أركانه، وبعد أن علَّم عباده أدب الدعاء، وحسن الدعاء؛ فإنه بيَّن أن التكليف شريعة دينه، وأنه لا يكلف إنساناً إلاَّ حسب ما تسع طاقته، كما بيَّن أن الاستجابة لهذا التكليف لا تعود منفعتها إلاَّ إلى صاحبها، وفي ذلك تطويع لنفس المؤمن، وترغيب لها في عمل الخيرات لقول المولى - تبارك

---

(١) ينظر: نظم الدرر (٤/ ١٧٣).

(٢) خصائص التشبيه في سورة البقرة (ص ٤٩٢).

وتعالى -: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾: فإن التخالف بين معنى ﴿لَهَا﴾، و﴿عَلَيْهَا﴾ هو الذي حدد معنى الفعلين: (كسب)، و(اكتسب)، وأظهر روح التعبير بجمال البديع، فالطباق بما له من مقدرة على توضيح دقائق المعاني؛ فإن خفة أسلوبه، وسلاسة عبارته قد بينت أن لفظ ﴿لَهَا﴾ يدل على المنفعة، ولفظ ﴿عَلَيْهَا﴾ يدل على المضرة، والجمع بين الضدين يبرز الفارق الكبير بين الضار والنافع، حتى تعمل النفوس على فعل ما ينفعها، وترك ما يضرها؛ بعد إدراكها حسن النفع، وقبح الضرر، كما أن في أسلوب الجملة المباركة بتقديم الجار والمجرور قصراً للمسند وهو الكسب على الضمير العائد إلى النفس، مما حصله المؤمن من أعمال صالحة، هو كسبه مقصور على نفسه، لا يتجاوزها إلى غيرها، وهو قصر حقيقي تحقيقي.

وإنه من الملاحظ على بلاغة الآيات المباركة افتتاح كل جملة بقوله - تعالى -: ﴿رَبَّنَا﴾ فنتج عن ذلك بلاغة النداء بغير حرف نداء ذلك أنه:

* لم يتصدر حرف النداء الجمل التالية: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ.... رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا..... رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ....﴾ الآية، فدل بذلك على أنه «خطاب قرب من حيث لم يظهر أداة النداء، ولم يُجر الله ﷻ على ألسنة المؤمنين في كتابه العزيز نداء بُعْد قط»[1]، وفي هذا القرب دلالة على منتهى التضرع إليه، مما يجعل المؤمنين أهلاً ليستجاب دعاؤهم؛ وكأنهم بتلك الضراعة يستجيبون لما

---

(١) نظم الدرر (٤/ ١٧٢).

أمروا به في قوله - تعالى - : ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ۝ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَـٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٥-٥٦].

* أن في إعادة لفظ الربوبية ﴿رَبَّنَا﴾ في صدر كل جملة دعائية دليلاً على أن خُلُقهم الإسلام، وأنهم تربوا في أحضان خلقه السمح.

وفيها كذلك تربية لهم باللطف في طلب الإحسان[1]، وفي هذا التكرار قصد إظهار التذلل والخضوع لله ﷻ، وخطاب المنادي مغنياً عن إعادة النداء[2].

وإن من صور التربية الإسلامية الحميدة تلقين المؤمنين الدعاء وطريقته كما في سورة الفاتحة، وفي ختام البقرة. ومن آثار تلقينهم تعويدهم على مناجاة رب العالمين الذي رفع عنهم الذنب والتكليف الناتج عن الخطأ والنسيان، في حال الحرص وعدم التفريط، واختيار لفظ الربوبية دون غيره دليل على: «أنهم مربوبون داخلون تحت رق العبودية والافتقار»[3]، ثم أنه من الملاحظ كذلك أنه في الجمل الطلبية بعد ذلك لم يأت بلفظ الربوبية؛ لأنها: «نتائج ما تقدم من الجمل التي دعوا فيها بـ﴿رَبَّنَا﴾، وجاءت مقابلة كل جملةٍ من الثلاث السوابق جملة، فقابل: ﴿لَا تُؤَاخِذْنَآ﴾ بقوله: ﴿وَٱعْفُ عَنَّا﴾، وقابل: ﴿وَلَا

---

(١) نظم الدرر (٤/ ١٧٩).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير (٣/٣/ ١٤٠).

(٣) البحر المحيط (٢/ ٣٨٢).

تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا﴾ بقوله: ﴿وَٱغْفِرْ لَنَا﴾، وقابل قوله: ﴿وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾ بقوله: ﴿وَٱرْحَمْنَآ﴾؛ لأن من آثار عدم المؤاخذة بالنسيان والخطأ العفو. ومن آثار عدم حمل الإصر عليهم المغفرة، ومن آثار عدم تكليف ما لا يطاق الرحمة»[1].

وأضيف إلى ذلك، أن لفظ الربوبية كان مناسباً لما اختير له من دعوات، فالنسيان، والخطأ، وحمل الإصر، وتحميل المشقة مناسب للفظ الربوبية من ناحية أنه (ربَّى) كل واحدٍ منهم بما هو عليه؛ فهو أعلم بالناسي والمخطئ، وماذا يستطيع أن يتحمل من الإصر، وماذا يتحمل من المشقة. أما العفو فهو إسقاط العقوبة، والمغفرة هي: ستر الذنب، فإنهما لا يكونان إلا لمن بيده مثل هذه الأمور، وهو الله ﷻ، فلذلك ناسب اسم الجلالة (المولى) قوله: ﴿أَنتَ مَوْلَىٰنَا﴾.

وبالإضافة إلى ذلك؛ فإن صيغة الجمع في النداء، وفي الدعاء، وفي التوسل: أسلوب مناسب؛ وذلك لأن هذه الصفات عامة مشتركة بين المؤمنين.

كما أن في هذا الأسلوب تعليماً لأدب الدعاء وحبٌّ الخير للنفس وللآخرين.

واختلاف الصيغ بين الإفراد والجمع في صفات المؤمنين، إشارة إلى خاصية معينة في المراد منها، ويوضح ذلك قوله - تعالى -: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ

---

(١) البحر المحيط (٢/٣٨٢).

﴿أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

خلاصة المعنى:

يبين المولى - تبارك وتعالى - في هذه الآية المباركة حال المؤمن الذي آمن بالله ﷻ، وعمل بطاعته؛ وهو مصدق بثوابه الذي وُعِد به، ولقد اختلف المفسرون في المراد بالحياة الطيبة: فمن قائل إنها رزق القناعة، وقال آخرون: الحياة الطيبة السعيدة، وقال آخرون: إنها الحياة في الجنة. وأولى الأقوال وأرجحها: أنها القناعة والرضا[1] بما قسم وقدر في هذه الحياة؛ ففي ذلك كل السعادة النفسية التي منتهاها رضا رب العالمين والجنة.

والآية المباركة ترتبط بسابقاتها قوله - تعالى -: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ أَيْمَـٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌۢ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝٩٤ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٩٥ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ۗ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓا۟ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٤-٩٦].

هذه الآيات المباركة تبين أن الوفاء بالعهد خليقة إنسانية، وهي تمثل جانباً مهماً في حياة الناس، وهي إحدى جوانب الإيمان لارتباطها بالصدق.

وآيات الشاهد الكريمة: إغراء بالوفاء بالعهد، ودعوة إلى عدم نقضه؛ لأن نقض العهد يتنافى مع حقيقة الإيمان.

---

(١) ينظر: جامع البيان (٥٥٦/٤)، ومفاتيح الغيب (٩٠/٢٠/١٠).

البلاغة بين الإفراد والجمع:

لّما ذكر المولى - تبارك وتعالى - في مستهل الآية الكريمة ﴿مَنْ﴾ على صيغة المفرد، وهو اسم موصول يفيد العموم: الذكر والأنثى مفرداً وجمعاً، ومع هذا فقد بينت الآية المباركة، وفصلت المراد، ولا شك أن هذا التفصيل إنما هو لغرض بلاغي، جهد العلماء في استنباطه، فمن هؤلاء الزمخشري الذي يرى: «أنه على التبيين ليعم الموعد النوعين جميعاً»[١]، ويزيد الرازي على ذلك قوله إنه من: «دلائل الكرم والرحمة إثباتاً للتأكيد، وإزالة لوهم التخصيص»[٢]، ويرى البقاعي أن ذلك يفيد الترغيب في عموم الشرائع الإسلامية، وأنه ربما خصت الذكور في الغالب، إلا أنه بين أن المراد العموم والشمول، لذلك فصل بالإفراد دون الجمع[٣].

أما أبو السعود، فقد ارتأى أن هذا الأسلوب هو: «شروع في تحريض كافة المؤمنين على كل عمل صالح غِبَّ ترغيب طائفة منهم في الثبات على ما هم عليه من عملٍ صالح مخصوص؛ دفعاً لتوهم اختصاص الأجر الموفور بهم وبعملهم المذكور»[٤].

(١) الكشاف (٢/٦٠٨).

(٢) مفاتيح الغيب (١٠/٢٠/٩٠).

(٣) ينظر: نظم الدرر (١١/٢٤٨).

(٤) إرشاد العقل السليم (٤/ ٩٠، ٩١).

والذي يلوح لي أن الجمع بين ما قاله البقاعي، وما ذكره أبوالسعود، يكون أمراً معقولاً، وأضيف إلى رأي من سبق: أن مقصود سورة النحل هو الدلالة التامة على قدرته، وعلى تفرده بالعبادة، وإثبات العقيدة، فجاءت لذلك السورة المباركة بمختلف الأدلة لإثبات ذلك[1]. ولما كانت آية الشاهد المباركة وعداً بالجزاء الطيب لمن حسن إيمانه وعمله؛ فإنه ناسب ذلك أن يوجه الخطاب بصيغة المفرد ﴿مَنْ﴾، وأراد به الجمع (الذكر، والأنثى). ولقد حاز هذا الأسلوب بلاغة من جهتين:

١- أن أمر العقيدة مسألة تخص الذكر كما تخص الأنثى، ولهم من حسن الجزاء إن أحسنوا، كما عليهم سوء الجزاء إن هم أساءوا.

٢- أن الوعد بالحياة الطيبة للذكر والأنثى فيه دعوة إلى حفظ مدلول الوصفين كما يرضي ربُّ العالمين، ولهذا يمكن أن يفسِّر قوله تعالى: ﴿حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ بأنها الحياة السعيدة، وهذا التفسير فيه مواءمة لمن حفظ نقاء حياته الخاصة، وضحَّى لأجل ذلك، فكان من المناسب أن يتمم الله - تعالى - عمله هذا بالعيش حياةً طيبةً سعيدة فيها القناعة والرزق.

ولقد جاء التعبير المبارك بالمفرد في قوله - تعالى -: ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ إشارة إلى قلة الراسخين[2]؛ لذلك كان الإيمان شرطاً في العمل، كما أنه يجب أن يكون نابعاً من عقيدة إيمانية خالصة؛ لأن الباري - جل وعلا -

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير (٧/١٤/٩٤، ٩٥).

(٢) ينظر: نظم الدرر (١١/٢٤٨).

يقدر عمل الأنثى أياً كان، وفي هذا حث على مواصلته ومكابدته، كما هو حال الذكر، ولكن بحسب ما تقتضيه طبيعة الأنثى ومقدرتها.

ثم مجيء الجزاء في الدنيا بصيغة المفرد كذلك في قوله تعالى: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ﴾ فلأن لكل فردٍ ما يناسبه من العيشة الطيبة.

ثم جاء الوصف بجزاء الآخرة على صيغة الجمع قوله — تعالى -: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ﴾ هذا الفعل إنجاز للوعد، ووفاء بالعهد، كما أن فيه دلالة على القدرة العظيمة بالإثابة الحسنة التي وعدهم إياها دون استثناء ودون تأخير، وذلك كما يشير إليه التعبير بلام القسم ونون التوكيد، وبأسلوب صيغة الجمع؛ حيث ضمير العظمة (النون) في قوله تعالى: ﴿لَنَجْزِيَنَّهُمْ﴾ دلالة على عظمة البارئ - تبارك وتعالى -، أو أراد به مجموع الأسباب التي تؤدي إلى حسن الثواب، ولا يخرج شيء منها عن إرادته.

ولأن السعادة شاملة لهم جميعاً، ولتساويهم في مقام الجنان، عبّر عنهم بالضمير (هم) في قوله تعالى: ﴿لَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم﴾، ثم إنه في قوله - تعالى -: ﴿مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ﴾ جاءت ﴿مِّن﴾ بيانية، متعلقها محذوف، تقديره: أعني من ذكرٍ أو أنثى، ثم النكرة فيها تشمل جنس الذكور والإناث، ليكون من مجموع الأسلوب المبارك، تعميم الجزاء الحسن وتأكيده.

ومن الشواهد على الإفراد والجمع قول الله - تعالى -:﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ

وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴾ [الأحزاب: ٣٥-٣٦].

حول المعنى:

يبين المولى - تبارك وتعالى - في هذه الآية الكريمة صفات المؤمنين الذين يستحقون ستر ذنوبهم، والتجاوز عن آثامهم، بالإضافة إلى الأجر العظيم في الآخرة.

فمن تلك الصفات أنهم أسلموا إلى الله – تعالى -، وتذللوا إليه، وجمعوا إلى جانب ذلك تصديقهم بالله – تعالى - ورسوله ﷺ، وقنوتهم إليه، فقاموا وواظبوا على طاعته، كما أنهم صدقوا في الوفاء بعهده سبحانه، وبعهد رسوله الكريم؛ فالتزموا الصبر والخشوع، وبادروا إلى الصدقات المفروضة كالزكاة، والمندوبة إليها كالمساعدات بأنواعها، كما أنهم صاموا رمضان، والنوافل، وحفظوا فروجهم، وكللوا كل ذلك باستدامة الذكر، وبيّن أن هذه الصفات هي من مستتبعات الطاعة؛ لأن أمر الله – تعالى - نافذ حاصل، لذلك ما على المؤمن والمؤمنة إلا الامتثال لقضاء الله –تعالى – وقدره، حتى يثبت على سبيل الهدى والرشاد.

ترتبط الآيتان الكريمتان بسابقاتها قوله – تعالى -: ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا

مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٣٢-٣٤].

ذلك أنه لما حث ﷺ على مكارم الأخلاق التي تجب في بيت النبوة، وما يجب على أمهات المؤمنين رضوان الله عليهن أن يتبعنه من أمور الدين، فيكن لغيرهن من بيوت المؤمنين قدوة حسنة، أتبعه بعد ذلك بصيغة الجمع؛ فقال -تعالى-: ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ... ﴾ لما في ذلك من عموم الأمر بالتشريعات، ولشمول الرسالة بيت النبوة وأهله الكرام، وبيوت المؤمنين عامة.

صفات المؤمنين بين الإفراد والجمع:

ولقد جاء بصيغة الجمع، ثم فصل، فذكر جمع الذكور، وجمع الإناث استجابة لطلب النساء المؤمنات أن يذكرن في الفضل والجزاء الحسن كما يذكر الرجال، وفي هذه الاستجابة لهن وعد بالأجر العظيم مقابل طاعتهن وامتثالهن بالخصال الحسنة، فقد جاء في سبب نزولها: أن أزواج النبي ﷺ «قلن: يا رسول الله، ذكر الله - تعالى - الرجال في القرآن بخير، فما فينا خير نذكر به، فنزلت. وقيل: لما نزل فيهن ما نزل، قال نساء المسلمين: فما نزل فينا شيء فنزلت»[1]، ثم جاءت الآية

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٢/٢٤٦)، وينظر أسباب النزول (ص ٢٩٦)، وينظر: حاشية القونوي (١٥/٣٦٠).

التالية لها قوله - تعالى -: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ...﴾ الآية بصيغة المفرد، تبين أن الإيمان مسألة معلقة بالقلوب، فهي من الخفاء مما لا يطلع عليها أحد إلاّ الله – تعالى -، ولكن هناك دلائل على الإيمان وصدقه، تتبدى على الجوارح، ومنها السمع والطاعة، والامتثال لما جاء به الله – تعالى - ورسوله ﷺ، حتى وإن كان مخالفاً لهوى الإنسان، فالامتثال عندها هو لب الإيمان، وإن ما حصل لزيد بن حارثة والسيدة زينب بنت جحش رضي الله عنهما كان بمثابة تمحيص لهما، مما أظهر معه صدق الإيمان، وحسن الاستجابة.

فالآية المباركة جاءت بصيغة المفرد لسببين:

الأول: سبب نزولها اقتضى أن تكون بهذه الصيغة. حيث الأمر مختص بهذين الصحابيين.

الثاني: أن المسألة تختص بالعقيدة، وطريقة الامتثال تمحص ما في القلوب، وما فيها من الرضا والقناعة بأمر الله – تعالى -، وفيها حسم لمسألة زواج الدعي من زوج ابنه المنسوب إليه، فيكون بذلك أبطل عادة التبني التي كانت معروفة في الجاهلية، وأن عهد الإسلام قد غير من عادات الجاهلية بما فيها التبني، وإن هذه الطريقة قد قررت الأمر بشكل لا يكون معه اختلاف في إبطاله، فالتعبير بصيغة المفرد، ثم لما أراد نفي الإرادة والاختيار إذا قضى الله – تعالى – قضاءً، وقدَّر أمراً، أورده نكرة في سياق النفي ليفيد العموم، ولذلك كان الضمير العائد بصيغة الجمع في قوله – تعالى -: ﴿أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ والعبارة بهذه الصيغة – الجمع - كما هي صالحة لعموم الجمع، فهي كذلك صالحة

للمفرد، فيعني بها تلك الحالة الخاصة قصة زواج النبي ﷺ من زوج ربيبه ودعيه قبل الإسلام زيد بن حارثة ﷺ.

والذي حدا بي إلى عرض هذه الصفة شاهداً في مجال الصفة المفردة ما رأيته من أقوال لبعض المفسرين، ففي تفسير الضميرين ﴿لَهُمُ﴾، و﴿مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ اختلفوا، فقد رأى ابن التمجيد أن الضمير الأول منهما عائد إلى المؤمن والمؤمنة، والضمير الثاني عائد إلى الله – تعالى – ورسوله، وذلك حيث قال: «كان حق الضمير الأول أن يوحد، وحق الضمير الثاني أن يثنى، ومقتضى الظاهر أن يقال: إن الخيرة من أمرهما، كما تقول: ما جاءني من رجل ولا امرأة إلا كان من شأنه كذا، ولكنهما لما وقعا تحت النفي عمًّا كل مؤمن ومؤمنة، فرجع جمع الضمير على المعنى لا على اللفظ، وأما جمع الضمير الثاني في مقام التثنية فللتعظيم، كجمع الضمير في قوله – تعالى -: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذاريات: ٤٧]»[1].

ولقد تعددت الشواهد على الإفراد والجمع في آيات صفات المؤمنين، ونتبين في كل شاهدٍ منها دلالة على تنوع المعاني بتنوع الأمثلة، يقول – تعالى -: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِى هَاجَرْنَ مَعَكَ وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا

---

(١) حاشية ابن التمجيد (١٥/ ٣٦٣).

مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِيٓ أَزْوَٰجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٠].

خلاصة المعنى:

النداء متوجه به إلى الرسول ﷺ يبين له فيه أزواجه اللاتي أحل له، فمنهن من تزوجها بصداقٍ مسمى، ومنهن من كن له بملك اليمين من سبايا الفيء، فالتي سباها الرجل بنفسه أطهر من التي اشتراها فأصبحت من ملك اليمين؛ لأنه لا يدري كيف حالها، وأحل له كذلك أقرباءه من بنات عمه وخاله وخالاته، واشتُرط عليه أن يكن من المهاجرات معه؛ دون من لم تهاجر لشرف الهجرة، ثم ذكر امرأة أحلت له خالصة من دون المؤمنين، وبدون صداق، ولم تكن من السبايا، ولا من أقربائه، وهي المرأة[1] التي وهبت نفسها للنبي ﷺ، فأحلها الله - تعالى - له، فإن أراد النبي ﷺ أن يستنكحها، وإلاَّ فلا تحل لأحدٍ من أمته؛ لأنها وهبت

---

(١) تعددت الروايات التي تذكر هذه المرأة، فمنها مثلاً في مصنف عبد الرزاق (٧/ ٦٨) أنها ميمونة بنت الحارث، ومثله في السنن الكبرى للبيهقي (٧/ ١٣٩)، للبيهقي، دار المعرفة، بيروت، مصورة عن طبعة مطبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن — الهند ١٣٤٤هـ، وفي سنن البيهقي (١٠٦/٧) أنها خولة بنت حكيم، ومثله في المعجم الكبير للطبراني (٢٣/ ٣٦٧)، وفي المسند (ص ٢٠٦٢) رقم (٢٨١٧٣)، لأحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت ٢٤١هـ)، بيت الأفكار الدولية، الرياض، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، أنها أم شريك، وذكر مثله أيضاً الهيثمي في مجمع الزوائد (٩٢/٧) وقال: "رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح". بينما لم يذكر اسمها في روايات البخاري (ص ٩٩٩) رقم (٥٠٣٠)، ولا في مسلم (ص ٧٤٠)، رقم (١٤٢٥)، ولا في ابن ماجه (٢/ ٦٤٤) رقم (٢٠٠٠)، وغيرها.

نفسها خالصة لرسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام، وهذه الخاصية كرامة لنبيه ﷺ دون غيره من سائر أمته[1].

وترتبط بسابقاتها، وهو قوله — تعالى -: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۝٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ۝٤٦ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا كَبِيرٗا ۝٤٧ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَدَعۡ أَذَىٰهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ۝٤٨ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحۡتُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقۡتُمُوهُنَّ مِن قَبۡلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمۡ عَلَيۡهِنَّ مِنۡ عِدَّةٖ تَعۡتَدُّونَهَاۖ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ۝٤٩ ﴾[الأحزاب: ٤٥-٤٩].

ذلك أن - النبي ﷺ - أولى بالمؤمنين من أنفسهم، وأنه لما كان المراد الأعظم في هذه الآيات بيان شرف الرسالة، وما أرسله الله - تعالى - به من البشارة بالجنة والتحذير من النار، ولما كان من أشرف ما أرسل به إلى البشر حفظ حقوقهم بما يكفل تكاملهم وتكافلهم فيما بينهم؛ بين ما لا عدة فيه من نكاح المؤمنات، وما حرمه عليهم من التضييق على الزوجات المطلقات، ناسب ذلك بيان شرف آخر اختُص به النبي ﷺ، وهو أمر التوسعة عليه في النكاح، وختمه ببيان أن أزواجه لا تحل بعده لأحدٍ غيره، وبين أحوال من تحل له من النساء.

صفات المؤمنين بين الإفراد والجمع:

تبين مما سبق بيانه حال المرأة التي لها خصوصية معينة بعد قبولها زوجاً للنبي ﷺ وأُماً للمؤمنين، وهي التي وهبت نفسها له ﷺ،

---

(١) ينظر: جامع البيان (٦/١٨٦-١٨٧)، ومفاتيح الغيب (١٣/٢٥/١٩٠).

لذلك جاء ذكرها رضي الله عنها بصيغة المفرد، إذا لا يتصور أن يأتي جمع من النسوة فيهبن أنفسهن إلى رسول الله ﷺ.

وجاءت نكرة فأفادت التعميم؛ لأن المراد أي امرأة، وليس امرأة بعينها.

وصيغة الشك في قوله – تعالى –: ﴿وَٱمۡرَأَةً مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا﴾ ناتج عن دخول (إن) على الفعل الماضي؛ لذلك لم يقل: وامرأة مؤمنة تهب؛ وذلك لأن الهبة على هذا الوجه المخصوص أمر نادر فناسبها أن تكون بأسلوب الشك[1].

ومن الشواهد على صفات المؤمنين التي جاءت بالمفرد، وتدل على الجمع، ما جاء في قوله – تعالى –: ﴿وَمَن يَأۡتِهِۦ مُؤۡمِنٗا قَدۡ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلۡعُلَىٰ ۝٧٥ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ﴾ [طه: ٧٥-٧٦].

حول المعنى:

الآيتان الكريمتان تقرير وتنبيه على فخامة ما جاء فيهما من أن الإيمان شرط في قبول عمل المؤمن؛ حتى يبلغ درجات عالية في جنات النعيم. وترتبط الآيتان الكريمتان بسابقتهما، وهي قوله – تعالى –: ﴿مَن يَأۡتِ رَبَّهُۥ مُجۡرِمٗا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ﴾ [طه: ٧٤].

وهي آية المجرم الذي عصى ربه، فليس له إلا جهنم دار مقامة، فناسب ذلك أن يبين ما عليه درجة مقام المؤمن.

---

(١) ينظر: حاشية الكازروني (٤/١٦٦).

البلاغة في صفات المؤمنين بين الإفراد والجمع:

الآيتان الكريمتان جاءتا بعد عرض قصة سحرة فرعون الذين تراجعوا عن سحرهم وكفرهم، ولم يأبهوا لقوة فرعون، ولما سيحل بهم من عقاب، إيماناً بالله العظيم، فجاء الإفراد لتأكيد رفضهم أن يكون فرعون إلهاً، وبصورة تقرر أن الإيمان شملهم فرداً فرداً، وأنهم قد تخلصوا من ربقة ذل العبودية إلى عظمة الإيمان بالمولى - تبارك وتعالى -.

لذلك جاء الوصف بلفظ المفرد في قوله – تعالى -: ﴿مُؤْمِنًا﴾، ثم الإشارة إليه بلفظ الجمع (أولئك) تعظيماً لشأنهم، ولذلك أجد أن صورة الإفراد هذه تدل على إيمانهم بأن الحساب يكون لكل شخص بعينه؛ فلا فدية تقبل، ولا شفيع يُطاع.

وكذلك أجد في التعبير بصيغة المفرد إشعاراً بأن الفرد إنما يحاسب نفسه أولاً فيما هي عليه؛ أنها مسألة تتعلق بالعقيدة، وتحديد مصير كل فرد بناءً على معتقده.

وأما البلاغة في الإشارة إليهم بصيغة الجمع في قوله - تعالى -: ﴿فَأُولَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ﴾ فإن فيها دليلاً على رضى "ربِّ العالمين عنهم؛ فإنهم قد دخلوا في رحاب المؤمنين المؤذن بدخول جنات النعيم. وأيضاً فيه إرضاء لنفوسهم المشرئبة إلى الخلاص من عذاب فرعون، وبلوغ مرامهم في جنات النعيم، بدخولهم فيها على صورة جماعات؛ فلا مجال للانتظار.

وفي جمع لفظة ﴿خَٰلِدِينَ﴾ تأكيد لحصولهم على رحمة ربِّ العالمين دون استثناء، ثم الإشارة في قوله - تعالى -: ﴿وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ﴾: «إشارة إلى ما أتيح لهم من الفوز بما ذكر من الدرجات العُلا، ومعنى البعد لما مرَّ من التفخيم»[١]، ثم أتى بالمفرد ثانية في قوله - تعالى -: ﴿مَن تَزَكَّىٰ﴾ حيث أفرد الاسم الموصول ﴿مَن﴾ للدلالة على أن التزكية: «هي التطهير من أدناس الذنوب، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لا إله إلا الله»[٢]، إنما تكون من الفرد خاصة؛ لأن لكل نفسٍ طبيعة تكوين؛ لا تكون لغيرها، فلا يعرف عن صلاحها وفسادها إلا الله - تعالى - كما أن فيها إشعاراً بأن كل مؤمن مجازى بعمله فرداً فرداً؛ كما كان حسابه وعقابه كذلك في الآية السابقة قوله - تعالى -: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ [طه: ٧٤].

أما البلاغة في إفراد الفعلين: (يأته، عمل) فذلك باعتبار اللفظ في اسم الإشارة[٣].

وعُبِّر بالإتيان دون المجيء في قوله - تعالى -: ﴿يَأْتِ رَبَّهُۥ﴾؛ لأن الإتيان مجيء بسهولة، ويقال؛ في الخير، كما يقال في الشر، ومنه قيل للسيل المار على وجهه: أتيٌّ، وأتاويٌّ[٤]، فلما كانت الآية الكريمة

---

(١) إرشاد العقل السليم (٤/٢٩٧).

(٢) الكشاف (٣/٧٥)، وينظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٧/٥١٨).

(٣) ينظر: إرشاد العقل السليم (٤/٢٩٦).

(٤) ينظر: المفردات (ص ٨).

للحث والترغيب في صفات المؤمنين، فقد ناسبها التعبير بلفظ الإتيان؛ ليدل على هيئة المؤمن في اليوم الآخر وهو في راحة؛ وقد تيسر أمره إلى جنات عدنٍ، وكأنه نهر انسابت فروعه في الأرض هادئة هانئة.

ولأهمية عمل الصالحات، فقد جاء التعبير بـ﴿قَدْ﴾ في قوله - تعالى -: ﴿قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ للتأكيد على ضرورة تحقق فعل الشرط؛ ليترتب عليه الجزاء المحقق حصوله عن طريق التعبير بالجملة الاسمية قوله - تعالى -: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ﴾ فجاءت (الفاء) الواقعة في جواب الشرط لتكسب الجملة قوةً، كما حسمت الموقف الذي بين المؤمنين والكافرين، كما أنها أفادت أن مفهومها مراد به الإعراض عن جزاء الكافرين، ولما كانت الآيتان تقريراً لصفات المؤمنين، كان من المهم أن يبين أنهم استحقوا جنات النعيم، يرفلون في درجاتها العُلا، وقد عبرت (اللام) عن ذلك المعنى فدل على فضلهم وخلودهم في الجنة.

وتظل صفات المؤمنين بين الإفراد في موضع والجمع في موضع آخر، كما في قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر: ٩].

خلاصة المعنى:

الآية المباركة ترغيب في قيام الليل، وإشادة بمن جعل يتردد بين السجود والقيام وهو خاشع لله - تعالى -، وصورة هذا المؤمن مقابلة لصورة الكافر الجاهل التي لا تخفى بحالٍ؛ فليس المُعْرض عن طاعة ربه

كمن هو قانت، لا يستوون، وهذه الحقيقة لا يعقلها إلاَّ ذوو الألباب والعقول[١].

وترتبط الآية الكريمة بسابقتها، وهي قوله – تعالى -: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓاْ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلنَّارِ﴾ [الزمر: ٨].

حيث إن هذه الآية المباركة تبين حال الكافر الذي يعبد الله - تعالى - على حرف، فلا يدعوه ولا يستغيثه وحده إلاَّ عند الحاجة إليه، فإذا أنجاه نسي وعاد إلى كفره[٢].

صفات المؤمنين بين الإفراد والجمع:

في الآية المباركة استفهام إنكاري، به ينكر التسوية بين المؤمن الذي حدا به علمه إلى الخوف من الله – تعالى -، وهو على بينة من أمره في عبادة ربه، لا يستوي ومن حاله الكفر وهمه الدنيا وزينتها.

فالصفتان المباركتان مفردتان ﴿سَاجِدًا وَقَآئِمًا﴾، والموصوف مفرد كذلك، كما بينا من حال الكافر؛ ولأن (مَنْ) يراد بها الاسم المفرد، كما أن في الآية الكريمة حذفاً، لأن ﴿أَمَّنْ﴾ أصلها (أم من هو)؟ وهو استفهام اعترض به في الكلام على كلام سابق، فجاء بـ(أم) التي للتخيير، مما أوجب معه ترك جواب الاستفهام؛ لأنه قد مضى الخبر عن الكافر وما أُعد له في الآخرة، ثم أتبعه الخبر عن المؤمن؛ فعلم أن

---

(١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن (٢/٥٢٢).

(٢) ينظر: نظم الدرر (١٦/٤٦٦).

المراد هو عدم تساويهما في المنزلة ؛ فاستغنى بهذا المعنى عن ذكره، وتقديره: أهذا أفضل أم هذا؟[1].

والسر البلاغي لذلك هو أن مَنْ أريد بها الاسم المفرد، وهو الموصوف والصفة مفردة كذلك. فالإفراد والتنكير أراد بهما إفادة العموم، وتعظيم شأن قيام الليل، والعبادة أثناءه.

ولمزيد الثناء والإشادة بأفعال الطاعة ؛ فقد عطف بالواو بين ﴿ سَاجِدًا وَقَآئِمًا ﴾ ليدل على تمكنه من الوصفين، كما أشار بذلك حرف العطف[2].

---

(١) ينظر: جامع البيان (٦/ ٣٧٢).

(٢) ينظر: نظم الدرر (١٦/ ٤٦٦).

الفصل الثاني

خصائص الجملة

وفيه سبعة مباحث:

المبحث الأول: الخبر، أنواعه وأغراضه البلاغية.

المبحث الثاني: الذكر والحذف.

المبحث الثالث: التعبير بالجملة الاسمية أو الفعلية.

المبحث الرابع: التقييد والإطلاق.

المبحث الخامس: التقديم والتأخير.

المبحث السادس: الإظهار والإضمار.

المبحث السابع: القصر.



المبحث الأول

الخبر: أنواعه وأغراضه البلاغية

يقول ابن فارس: الخاء، والباء، والراء أصلان، فالأول: العلم، والثاني: يدل على لينٍ ورخاوة وغُرزٍ، والخبر: العلم بالشيء، تقول: لي بفلانٍ خِبْرةٌ وخُبْرَةٌ[١].

انتهى ما قاله ابن فارس، وما ذكره عبارة عن بيان الارتباط بين المادة التي يتكون منها اللفظ، وبين المعنى المراد به.

و(الخبير) من الخَبْر، وهو اسم من أسماء الله – تعالى –، ويعني به العالِم بما كان، وبما يكون، يقال: خَبُرْتُ بالأمر أي علمته، وخَبَرْتُ الأمر أخْبُرُهُ، إذا عرفته على حقيقته، والخَبَر واحد جمعه: أخبار، وهو ما أتاك من نبأ عمن تستخبر[٢].

هذا هو معنى الخبر في اللغة.

وأما في اصطلاح البلاغيين: فهو قول يحتمل الصدق والكذب لذاته، مثل قولنا: (نجح عمرو)، فهذه الجملة أفادت نسبة النجاح إلى عمرو، والحكم عليه بالنجاح؛ فإن وافق ذلك الواقع كان الخبر صادقاً، ووصف الكلام بالصدق، وإن خالفه كان الخبر كاذباً، ووصف الكلام بالكذب... وكذا قولنا في حالة النفي: (ما نجح زيد)؛ فإنه أفاد نفي نجاح زيدٍ، فإن وافقت الإفادة الواقع

---

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة (٢/٢٣٩)، (باب الخاء والباء وما يثلثهما).

(٢) ينظر: لسان العرب (٤/٢٢٦، ٢٢٧)، (باب الراء، فصل الخاء).

وُصف الكلام بالصدق، وإن خالفته وصف بالكذب، وقد يحدث أحياناً أن يوصف الخبر بالصدق فحسب، أو بالكذب فقط، ولكن هذا ليس لذات الكلام من حيث هو كلام خبري، بل باعتبار أسباب أخرى خارجة عن نطاق الجملة تؤيد صدقه أو كذبه... فأخبار القرآن الكريم لا تحتمل إلا الصدق باعتبارها كلام الله - تبارك وتعالى -[1]، وإن كانت تحتمل الصدق والكذب من حيث هي أخبار بصرف النظر عن قائلها[2]... فقول اليهود: عُزير ابن الله، وقول النصارى: المسيح ابن الله، كلام لا يحتمل إلاّ الكذب، لأن الواقع يكذبه ويبطله، وإن كانت تحتمل الصدق والكذب من حيث هي أخبار... فوصف الخبر بالصدق فقط، أو بالكذب فقط، إنما هو باعتبار أسباب خارجة عن نطاق العبارات — كما ذكر آنفاً -، وليس لذات الكلام من حيث هو كلام خبري.

والخبر في البيان القرآني من الموضوعات المهمة في البلاغة؛ لأنه الصلة الظاهرة، والدلالة البينة على صدق الأنباء فيما بين السماء والأرض، وهو الظاهرة الباقية، والدلالة الخالدة على ناموس الشرائع والمرسلين، وبه تمت خاتمة رسالة السماء إلى الأرض بإخبارها عن الشرائع التي أقرها المولى ﷻ، وارتضاها لعباده.

---

(١) لو كانت أخبار القرآن لا تحتمل إلا الصدق لذاتها، لما وجد على ظهر الأرض: لا وثني، ولا بوذي، ولا نصراني، ولا يهودي، وإذا قيل: إن النصراني أو اليهودي لم يسلّما بأخبار القرآن بغياً وعناداً، فماذا نقول: بشأن الهندوسي، والبوذي، والوثني؟

(٢) ينظر مثل ذلك في: روح المعاني (١٤٥/٥/٣).

كما أن الخبر في كلام البشر نقطة الوصل بين الأفراد والجماعات، وبه تتم المعاهدات، وتُبرم العقود، وعليه يقوم الخطاب بين الأمم أفراداً أو جماعات.

لذا فالخبر علم غزير، واسع المدارك، يتطلب من المخبر علماً بموضوع الخبر، وعلماً بطرائق الإخبار، ودربة على ارتياد مسالكه؛ لذلك فإنه يتعدد بتعدد ما حوله من مثيرات تدفع المخبر إلى القول، وتحثه عليه؛ فيضع أقواله في أوعية تعبر عما به من خواطر نفسية، يحاول من أجلها أن يثير انفعال السامع بما يضفيه على أقواله من مؤكدات تناسب حاله، فتحقق المشاركة المطلوبة بينهما.

وأنواع الخبر أو أضربه ثلاثة:

الأول: ابتدائي، ويساق لخالي الذهن تماماً من الموضوع، وسمي كذلك؛ فلأن المتكلم هو الذي ابتدأك بالمعلومة.

الثاني: طلبي، والمخاطب به هو الذي لم يقع الخبر من نفسه موقع القبول والرضا؛ فأصبح متردداً، فيستحسن له توكيد الخبر؛ ليستقر المعنى في نفسه، ويتمكن منها، فهذا المخاطب هو الذي يطلب التوكيد.

الثالث: إنكاري، ويخاطب به المنكِر، وحينئذٍ لا بد من تعدد المؤكدات في الجملة، وتزداد المؤكدات حسب درجة الإنكار، والتعبير بالخبر بصورةٍ من تلك الصور على خلاف ما يقتضيه ظاهر حال المخاطب، يسمى الخروج على خلاف مقتضى الظاهر، والذي يهدي إليه النظر فيما جاء عليه الخبر في صفات المؤمنين؛ يتراءى في الآتي:

١- تنزيل خالي الذهن منزلة المتردد.

٢- تنزيل خالي الذهن منزلة المنكر.

ومن المعلوم أن الغرض من إلقاء الخبر أحد أمرين: فائدة الخبر، أو لازمها.

أما الأول: وهو إفادة المخاطب الحكم الذي تضمنته الجملة؛ فهذا يقتضي أن يكون المخاطب جاهلاً بأصل الحكم، كقوله - تعالى -: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ﴾ [الرعد: ٢٩].

وأما الثاني: لازم الفائدة، أي إفادة المخاطب أن المتكلم عالم بالحكم، وهذا الغرض لا يقدم فائدة جديدةً للمخاطب، فإذا قلت لمخاطبك: قدم أبوك من السفر، وكان المخاطَب يعلم ذلك، وأنت تعلم منه ذلك؛ فإنك لا تريد إخباره في هذا الحال إفادة الحكم الذي تضمنه الخبر، وهو قدوم أبيه؛ لأنه عالم به، وإنما تريد أن تفيده أنك عالم بقدوم أبيه، ويسمى علمك بهذا الحكم لازم الفائدة، أي الأمر الذي تستلزمه الفائدة، أي أن الحكم الذي تضمنه الخبر هو الملزوم، وحكمك هو اللازم[1]، كما في قوله - تعالى -: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٣].

فجملة: (إنَّ هذا لمكر): خبر أريد به لازم الفائدة، والمعنى: قد علمت مرادكم؛ لأن المخاطب لا يخبر بشيء صدر منه[2].

ويكون المقصود من الخبر أغراضاً أخرى تتجاوز الفائدة ولازمها، مثل: الترغيب، أو الترهيب، أو المدح، أو الوعظ، أو الإرشاد، أو غير ذلك مما لا يسعه حصر، ويقتضيه المعنى.

---

(١) ينظر: الإيضاح (ص ٢٠ وما بعدها).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير (٥/٩/٥٣).

ومن أعظم صفات المؤمنين: المجاهدة في سبيل الله - تعالى -، ولثقلها في الميزان، ولأهميتها في الأرض، فقد جاء الخبر عنها بقوله - تعالى -: ﴿لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٩٥-٩٦].

حول المعنى:

آيتا الشاهد الكريمتان ترغيب في الجهاد، ورفع لمقامه، وبيان لانحطاط منزلة المتخلفين عنه من غير عذر، كما أنها بيان للتفاوت بين درجات المجاهدين، فالذي يخرج مجاهداً في سبيل الله بماله ونفسه، أرفع درجةً من القاعد بعذر المرض، ومن الذي تخلف لغير ذلك.

والشاهد الكريم فيه حسن الانتقال من حالة إلى حالة أعلى منها؛ فإنه عندما نفى التسوية أولاً بين المجاهدين وغيرهم، صرَّح بتفضيل المجاهد على القاعد بدرجة، ثم انتقل منها إلى تفضيله بالمغفرة والرحمة.

ولا يخفى ما في الآية من الاحتراز بذكر فضل المؤمنين: المجاهدين، والقاعدين جميعاً[1].

وتتصل بسابقتها قوله - تعالى -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا

---

(١) ينظر: جامع البيان (٢/٥٣٦، ٥٣٧)، وأنوار التنزيل (١/٢٣١، ٢٣٢)، وتيسير الكريم الرحمن (١/٣٥٩، ٣٦٠).

فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ ۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ [النساء: ٩٤].

ذلك أنه لما رغّب المؤمنين في القتال في سبيل الله، ثم استطرد إلى الإشارة إلى حرمة قتل المؤمن خطأ وعمداً[١]، وبين أن هذا لا يمنع من فضيلة الجهاد مظنة أن يصيب المجاهدون مؤمناً خطأ، أو لمن ألقى السلام، ولدرء هذه الشبهة التي قد تدعو إلى التقاعس عن الجهاد، فجاء بعدها بآية الشاهد مبيناً علو درجة المجاهد، وفوزه بالرحمة والمغفرة[٢].

---

(١) وقصة ذلك ما ذكره الخازن: أنه روي عن ابن عباس قال: "نزلت في رجل من بني مُرة ابن عون، يقال له: مرداس بن نهيك - وكان من أهل فدك - لم يسلم من قومه غيره، فسمعوا بسرية رسول الله ﷺ تريدهم، وكان على السرية رجل يقال له: غالب ابن فضالة الليثي، فهربوا منه، وأقام ذلك الرجل المسلم، فلما رأى الخيل خاف ألا يكونوا مسلمين، فألجأ غنمه إلى عاقول من الجبل، وصعد هو الجبل، فلما تلاحقت الخيل سمعهم يكبرون فعرف أنهم من أصحاب رسول الله - ﷺ - فكبر ونزل وهو يقول: لا إله إلا الله محمد رسول الله. السلام عليكم، فتغشاه أسامة بن زيد بسيفه فقتله واستاق غنمه، ثم رجعوا إلى رسول الله - ﷺ - فوجد رسول الله - ﷺ - وجداً شديداً، وكان قد سبقهم الخبر، فقال رسول الله - ﷺ -: **(أقتلتموه إرادة ما معه)**، ثم قرأ رسول الله - ﷺ - على أسامة هذه الآية، فقال أسامة: استغفر لي يا رسول الله. فقال: **(كيف أنت بلا إله إلاّ الله)** يقولها ثلاث مرات. قال أسامة: فما زال رسول الله - ﷺ - يكررها، حتى وددت أني لم أكن أسلمت إلاّ يومئذٍ. ثم استغفر له رسول الله - ﷺ - وقال: **(اعتق رقبة)**. لباب التأويل في معاني التنزيل (١٣٧/٢)، والفتوحات الإلهية ١٠٤/٢، وينظر: أسباب النزول (ص ١٤٢، ١٤٣).

(٢) ينظر: البحر المحيط (٣/ ٣٤٤)، ونظم الدرر (٥/ ٣٦٨).

بلاغة الخبر والغرض منه:

الآية الكريمة بيان لاختلاف الفضل بين المؤمنين، وعليه اختلفت درجاتهم ومكانتهم، وقد جاء هذا الخبر غير مؤكد؛ لأن المخاطبين به أذهانهم خالية منه، والغرض منه بيان التفاوت بين المؤمنين بحسب تفاوت أعمالهم في الجهاد، فالقاعد بغير عذرٍ، والمجاهد لا يستويان في المنزلة، مما يترتب عليه أن يأنف القاعد، ويترفع بنفسه عن انحطاط منزلته، وهذا يدفعه للجهاد، ويرغبه فيه[(١)].

من هذا نتبين أن الغرض من الخبر - هنا - أنه ليس للفائدة، ولا لازمها، وإنما فُهم من مستتبعات التراكيب، وتبين أنه أُريد به حفز الهمم، وشحذ العزائم للجهاد في سبيل الله - تعالى -، وبعث روح الرجولة الحقة في نفوسهم، كما يعتبر هذا الخبر درساً من دروس الشريعة الإسلامية التي تربي شخصية أبنائها على مستوى أخلاقي رفيع؛ فلا ترضى بما هو أدنى فتنصرف عن معالي الأمور، وفي المقدمة منها الجهاد.

ولتنفير المؤمنين من التخلف عُبِّر عنه بـ(القعود)، فرسم بذلك شخص هذا المتخلف وقد استيقظ من رقاده فقعد، وفي ذلك دلالة على ميله إلى الدعة والراحة، وسقوط همته بتركه الخروج مع رسوله ﷺ ومع صحبه الكرام.

ومن الصور البلاغية التي وردت في الآية التالي:

براعة الاستهلال: حيث استهلت الآية الكريمة **بالنفي**: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ..﴾ للقطع بالحكم الخاص بالمجاهدين بأنهم متفاوتون في درجات مساعيهم، فترتب على ذلك اختلاف درجات أجورهم.

---

(١) ينظر: الكشاف (١/٥٤٢)، وإرشاد العقل السليم (٢/١٨٣، ١٨٤).

وفي أسلوب النفي – هنا – إلهاب لحماس المتخلفين عن الجهاد في سبيل الله ﷻ، وأيضاً رفعة درجة المجاهدين، وذلك بسبب ما توحيه جملة ﴿فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾ الموضّحة لما نفي من استواء القاعدين.

ثم التعبير بالفعل المضارع ﴿يَسْتَوِى﴾ مصحوباً بالنفي، يدل على استمرار وتجدد نفي عدم التساوي في فضْل المجاهدين، ثم قدم ذكر ﴿فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ على ذكر الأموال والأنفس؛ لأنه شرط في قبول العمل، وللإشارة إلى وجوب خلوص دينهم من شائبة حب الفخر ببذل الأموال والنفس طمعاً في الشهرة، كما كانت عادة العرب.

وفي تقديم الأموال على الأنفس في هذه الآية، بينما في قوله - تعالى -: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم﴾ [التوبة: ١١١] أُخرت «لأن النفس أشرف من المال، فالمشترى قدم ذكر النفس تنبيهاً على أن الرغبة فيها أشدُّ، والبائع أخر تنبيهاً على أنَّ المماكسة فيها أشد، فلا يرضى ببذلها إلاَّ في آخر الأمر»[1].

والجار والمجرور في جملة ﴿مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ متعلق بالفعل المحذوف (كائنين من المؤمنين)، الذي وقع حالاً عن القاعدين، للإشعار بأن كونهم قاعدين عن الجهاد لا يخلّ بأصل صفة الإيمان، وأنهم داخلون في الموعودين بالحسنى[2].

ولما كان الشاهد الكريم تقريراً لمصير هؤلاء المجاهدين، والمؤمنين بعامة، فإن النفوس تهفو إلى معرفة مصير كل واحد، وإلى منزلته ودرجته؛ لذلك جاء قوله

---

(١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٤/ ٨٠)، وينظر: البحر المحيط (٣/ ٣٤٥).

(٢) ينظر: الدر المصون (٤/ ٧٥)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ١٨٤).

- تعالى - : ﴿فَضَّلَ ٱللَّهُ﴾ مستأنفاً استئنافاً بيانياً، مبنياً على سؤال تقديره: كيف وقع ذلك؟ فالإجابة جاءت بقوله - سبحانه - : ﴿فَضَّلَ ٱللَّهُ﴾ ويتضمن هذا الأسلوب بلاغة في مؤداه ؛ لأنه تفصيل لفضل ما بين الفريقين، وهو عدم استوائهما[١].

والتعبير بـ(درجة) استعارة: للعلو، وبعد المكانة، كما في قوله - تعالى - : ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

والتنكير في ﴿دَرَجَةً﴾ إشارة إلى عظمتها، حتى أنه لا تُعرف حقيقتها.

وتقديم ﴿كُلًّا﴾، وهو مفعول به أول للفعل ﴿وَعَدَ﴾ مقدماً عليه، و﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾ مفعول ثانٍ[٢]، وتقديمه على فعله أفاد القصر، وفي ذلك تأكيد لما وعد به المجاهدين والقاعدين[٣]. كما أفادت إلحاق الجزاء المناسب لكل من الفريقين[٤].

وتكرار التفضيل، وبطريق العطف في قوله: (﴿دَرَجَةً﴾ - ﴿دَرَجَٰتٍ﴾): يشير إلى تغاير ما بين الفريقين من الفضل، على أن الدرجة الأولى لتفضيل المجاهدين على القاعدين بوجود الضرر والعذر، وأما الثانية، فلتفضيل المجاهدين على القاعدين من غير ضررٍ ولا عذرٍ؛ فقد فضلوا عليهم بدرجاتٍ كثيرةٍ[٥].

---

(١) ينظر: الكشاف (١/ ٥٤٢)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ١٨٤).

(٢) ينظر: الدر المصون (٤/ ٧٧).

(٣) ينظر: المصدر والموضع ذاته، وإرشاد العقل السليم (٢/ ١٨٥)، والفتوحات الإلهية (٢/ ١٠٧).

(٤) ينظر: الكشاف (١/ ٥٤٢).

(٥) ينظر: البرهان في متشابه القرآن (ص ١٥٦)، للإمام محمود بن حمزة بن نصر الكرماني، تحقيق وتقديم: أحمد عز الدين عبد الله خلف الله، دار الوفاء للطباعة والنشر، ط١، ١٤١١هـ-١٩٩١م، والكشاف (١/ ٥٤٢، ٥٤٣)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ١٨٥)، والفتوحات الإلهية (٢/ ١٠٧).

ثم تنكير ﴿أَجْرًا﴾ ونصبه: نيابة عن المفعول المطلق المبين للنوع، ثم وُصف بأنه ﴿عَظِيمًا﴾، للدلالة على التنوع والتكثير.

والإطناب بالتكرار للفظة ﴿ٱلْمُجَٰهِدِينَ﴾ لبيان اختصاصهم، وعلو مكانتهم، وفضلهم في رفع راية الدين على بلاد العرب خاصة، والبلاد الأخرى بعامة، كما أن فيها حثاً للمؤمنين على الجهاد.

ومن صور البلاغة التي تأخذ بالألباب في هذه الآية: **اللف والنشر**، الذي جاء بإبداعه، ليحرك الأذهان في معاني الآية الكريمة، حيث أعاد ذكر بعض ألفاظها؛ مقدمة ومؤخرة، فقد جمع بين القاعدين والمجاهدين في صدر الآية، ثم عاد فنشرهم في آخرها، فبدأ بالمجاهدين، وأخَّر القاعدين، فهو لف ونشر غير مرتب (مشوش).

وعندما أعاد ذكر المجاهدين والقاعدين أطلقها، ولم يقيدها، لسبق الذكر، ولو أنه حصل لأصبح تكراراً؛ لذلك احترز منه بعداً عن التطويل المؤدي إلى الملل.

ومما هو ملاحظ أنَّ نسق الآية الكريمة انتظم من أسلوب الحقيقة، لأنها بيان لحكم شرعي خاص بالجهاد في سبيل الله.

ومن الأخبار المؤكَّدة ما ورد في قوله – تعالى –: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ١٢٢].

مقتضى المعنى:

الآية الكريمة تُبيِّن صفات المؤمنين الذي استحقوا من أجلها دخول الجنة: وهي صدق الإيمان بالله – تعالى -، وبكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، ثم أتْبَعوا ذلك بالأعمال الصالحات من فعل المأمورات وترك المنهيات، مما استحقوا معه مبادرتهم بدخول الجنة[1].

والآية الكريمة ترتبط بسابقاتها من قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا﴾ [النساء: ١١٩-١٢١].

لَمَّا ذكر في هذه الآية أن الخسران عاقبة من اتبع الشيطان، واتخذه ولياً، ثم بيَّن عاقبة الكفار ومأواهم، ناسبه بعد ذلك أن يذكر في آية الشاهد مأوى المؤمنين، مبيناً أنَّ دخول الجنة مترتب على الإيمان والعمل الصالح[2].

البلاغة في تنوع مؤكدات الخبر:

الآية الكريمة خبر من الله – تعالى - للمؤمنين، وظاهر الحال أنهم ليسوا بحاجةٍ إلى تأكيد؛ لأن هذا إخبار الله ﷻ، لهم؛ ولأنهم مؤمنون به، فليسوا بحاجةٍ إلى تأكيد خبره – سبحانه -، ولكن لما كان وعده بأمرٍ تتطلع إليه نفوسهم، كانوا بحاجةٍ إلى زيادة تأكيد بدخولهم الجنة، فأكد لهم الخبر تنزيلاً لهم منزلة المنكر، فالمرء ببشريته يتطلع إلى توكيد ما تتشوق إليه نفسه؛ لذلك جاء الوعد الكريم في آية الشاهد مقروناً بالسين: ﴿سَنُدْخِلُهُمْ﴾[3]، وقد أسند

---

(١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن (١/٣٨١).

(٢) ينظر: البحر المحيط (٣/٣٧٠، ٣٧١)، ونظم الدرر (٥/٤٠٨، ٤٠٩).

(٣) ينظر: إملاء ما من به الرحمن (١/١٩٥)، والبحر المحيط (٣/٣٧١).

الفعل إلى نون العظمة اعتناءً بشأنهم، لبيان أن هذا الوعد منه - تعالى -، وهو الحق الذي لا ارتياب فيه، ولا شك في إنجازه.

ودخول (السين) على الخبر بيان لكونه مستقبلاً، وتهيئة للأخبار الآتية التي أكثر إشراقاً؛ لأنها تصف بهجة الخلود الأبدي في الجنة، وقد أكد هذا الخبر بثلاث مؤكدات:

المؤكد الأول: قوله - تعالى -: ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ مصدر مؤكد لنفسه، وتقديره وَعَدَ وعْداً.

والمؤكد الثاني: تأكيد بالمصدر ﴿حَقًّا﴾، وهو مؤكد لغيره ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ﴾؛ وتقديره: حق ذلك حقاً.

المؤكد الثالث: جملة التذييل قوله - تعالى -: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾[(1)]، فإن المصدر المؤكد هو قوله - تعالى -: ﴿قِيلًا﴾ لصيغة المبالغة ﴿أَصْدَقُ﴾، وكان من المفترض في اللغة أن يكون التعبير بالمصدر (صدقاً)، كما جاء في المصدرين (وعْداً، وحقاً)، ولكن استثقل التكرار: (أصدق من الله صدقاً) للتقارب بين اللفظين، فعدل إلى ما يجاريه خفةً ووزناً، إحرازاً لفضيلة التناسب[(2)].

---

(١) إن في قوله - تعالى -: ﴿قِيلًا﴾: إثبات الكلام لله - تعالى -، وذلك لأن الصدق يوصف به الكلام، وقوله - سبحانه - يعني قولاً، والقول لا يكون إلا باللفظ، ففي ذلك إثبات الكلام لله ﷻ، وأن كلامه حق ليس فيه كذب بوجه من الوجوه ينظر: العقيدة الواسطية (١/٤١٨، ٤١٩)، لشيخ الإسلام ابن تيمية، شرحه الشيخ محمد الصالح العثيمين، خرّج أحاديثه سعد بن فوّاز الصُّمَيل، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط٥، ١٤١٩هـ.

(٢) ينظر: البرهان في علوم القرآن (٢/٣٩٥)، ومفاتيح الغيب (٦/١١/ ٤١).

والسر البلاغي في توكيد الخبر بالرغم من أنه جاء لقوم وهم مؤمنون بالله - تعالى - هو ما يحمله هذا الخبر من ترغيب في الإيمان والعمل الصالح، وهذه الآيات مع ما قبلها من وعود الشيطان **طباق** بالنظر إلى قوله - تعالى -: ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [النساء: ١٢٠]. والطباق مما يزيد الأمر وضوحاً، كما قيل: «وبضدها تتميز الأشياء»، فيكون نوعاً ما من التوكيد.

وفي هذا الأسلوب تنبيه إلى أن وعد الله ﷻ أولى بالقبول، وأحق بالتصديق من قول الشيطان[1].

ومن الأسرار البلاغية في آية النساء التالي:

* التعبير بالاسم الموصول في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ إشارة إلى تخصيص الخبر الذي سيأتي الحديث عنه لهؤلاء المؤمنين.

* ثم إسناد الفعل المضارع إلى ضميرهم ﴿سَنُدْخِلُهُمْ﴾ مزيد تأكيد بما هو الوعد عليه[2].

* ونلحظ على المؤكد الثاني ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ أنه جاء بأسلوب تداخلت فيه الوعود بأوصاف الجنان والخلود فيها؛ لأن أسلوب خطاب المؤمنين مختلف عن خطاب الكافرين؛ فالذي جاء به الشيطان أمانٍ باطلة، وكيد ضعيف، ووعد واهٍ، لا يستطيع أن ينفذ إلى كل نفسٍ، لذلك تعددت أساليب الخطاب، واختلفت المؤكدات لتجد كل منها إلى ضعفاء الإيمان مدخلاً.

---

(١) ينظر: مفاتيح الغيب (٦/١١/٤١)، والبحر المحيط (٣/٣٧١).

(٢) على قراءة الياء، وهي قراءة غير منسوبة في البحر المحيط. ينظر: (٣/٣٧٠)، ولم تذكر في كتاب الكشف عن وجوه القراءات السبع، ولا في كتاب إملاء ما من به الرحمن.

* ولقد جاء في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾ أنه استفهام كما ذكر الألوسي بقوله: «ولا يخفى ما في الاستفهام»[1]، وقال عنه الطاهر بن عاشور أنه: «استفهام إنكاري»[2]، كما ورد أنه تُوُجِّه بمعناه إلى النفي، حيث ذُكر: «والذي نراه في خلاصة معناه أنه مراد به النفي لا الإنكار؛ لأن الإنكار ينبغي أن يكون في مواجهة دعوى يدَّعيها مُدَّعٍ، ولا وجود لذلك هنا، إذ لم يدَّعِ مدَّعٍ أنه أصدق قولاً من الله، فلم يبقَ إلاّ النفي»[3].

* والذي يلوح لي أنه استفهام إنكاري ؛ لأن الله – تعالى – يستهجن استماعهم إلى وعود الشيطان وأمانيه؛ لأنها غرور وباطل. لذلك ناسب أن يكون الاستفهام إنكارياً، مراداً به التوبيخ، ومعناه: لا يصح منكم أن يكون، أو أن يحدث.

* وفي أسلوب الاستفهام هنا إلجام للخصم بالحجة، لأنهم لا يستطيعون الإجابة بغير ذلك لو أجابوا.

ومن أخبار مؤمني الأمم الأخرى ما ورد عن قصة السحرة الساجدين في قوله – تعالى- : ﴿وَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ۝١٢٠ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٢١ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٠-١٢٢].

---

(١) روح المعاني (٣/٥/١٤٥).

(٢) التحرير والتنوير (٣/٥/٢٠٧).

(٣) التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم (١/٢٢٨)، للدكتور عبد العظيم المطعني، مكتبة وهبة، ط١، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

معنى الآيات وارتباطها بسابقاتها من قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلْقُوا۟ ۖ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ﴾ [الأعراف: ١١٥-١١٩].

ذلك أن سحرة فرعون كانوا أعلم الناس بحقيقة السحر، الذي تفننوا فيه، واقتدروا عليه؛ فهم يدركون ما يمكن أن يبلغه عمل الساحر المتمكن، لذلك استطاعوا أنْ يكتشفوا أنَّ السحر الذي جاء به موسى ﷺ - كما يزعم فرعون - وراءه قوة خفية تخرج في حقيقتها عن مقدور طاقة البشر، وعن مقدار علمهم بالسحر، من هنا كانت نقطة التحول في حياة السحرة، من التمرد والتحدي المعلن أمام البشر، إلى نفسٍ تصاغرت وتضاءلت أمام عظمة الحق؛ فلم تجد إلاَّ الاعتراف بعظمة رب موسى وهارون، فاستسلمت جوارحها بالسجود لله - تعالى - إيماناً واعترافاً، كما استسلمت وخضعت بعقلها وقلبها لله ﷻ.

البلاغة بين يدي الخبر:

جاء خبر إيمانهم خالياً من المؤكدات؛ لأن السحرة عندما أيقنوا بصدق موسى، وأن سحره قد خرج عن معهود سحرهم الذي يعهدونه، لم يجدوا أمام ذلك إلاَّ أن يعلنوا إيمانهم، وقد ضربوا صفحاً عن فرعون وجنوده، فمجيء الخبر خالياً من المؤكدات، دل على تجردهم من الخوف الذي كانوا يستشعرونه أمام جبروت فرعون، وأنه لم يبق في أنفسهم إلاَّ الإيمان بالله - تعالى - إيماناً قوياً يحاربون به كل عدو.

كما دلَّ أن الإيمان قد تمكن من أنفسهم، فاستشعروا علم الله - تعالى - بصدقهم، لذا جاء الخبر خالياً من المؤكدات؛ مما أشار إلى لازم الفائدة، وهي صدق الإيمان بالله - تعالى - التي كان من نتائجها الاستجابة لرضا رب العالمين، والله أعلم.

ومن صور البلاغة في الآية التالي:

١- بناء الفعل (أُلقي) لما لم يسم فاعله، لظهور الفاعل، وهو الله ﷻ الذي ألهمهم فعل ذلك، فدلت صيغة الفعل كأن أحداً دفعهم وألقاهم[(١)].

وأما الفعل (أُلقي) فهو من الإلقاء، وهو طرح الشيء حيث تراه[(٢)]. والتعبير بهذا الفعل تصوير وتجسيد لأحد مشاهد سحرة فرعون في ذلك اليوم. فقد أفاض جمال التعبير بهذا اللفظ إذ دلَّ على أن الحق سطع في قلوبهم، فلم يتمالكوا أنفسهم فعبروا بقولهم: **﴿آمنَّا بربِّ موسى وهارون﴾**، وبأفعالهم عما يعتقدونه بالخرور ساجدين دون تمهل[(٣)]، فمن سرعة سجودهم كأنهم أُلقوا[(٤)].

٢- وفي قولهم: ﴿ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴾ لئلا يتوهم عامة الناس، وعلى رأسهم فرعون، أن هذا السجود لفرعون، كما اعتاد أهل مصر آنذاك الخضوع والسجود لفرعون. وفيه دليل على تحديهم قانون فرعون.

---

(١) ينظر: روح المعاني (٥/٩/٢٦، ٢٧).

(٢) ينظر: المفردات (ص ٤٥٣).

(٣) ينظر: آيات الدعوة إلى الله في سورة الأعراف: دراسة بلاغية تحليلية (٢/٧٨٣) للدكتور علي بن سليمان بن محمد الزبن، دراسة غير منشورة، ١٤٢٣ -١٤٢٤هـ.

(٤) ينظر: لباب التأويل في معاني التنزيل (٢/٥٦٢).

ومن **الأخبار المؤكدة** ما جاء في قوله - تعالى -: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [يونس: ٢٦].

حول المعنى:

تبين الآية الكريمة قوله - تعالى -: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾ أن من صفات المؤمنين الإحسان، ولا يخفى أن الإحسان له وجوه كثيرة، منها: مراقبته - سبحانه - في السر والعلن، وبذل النصيحة والإحسان إلى عباد الله - تعالى - بالقول والفعل، وبذل المال في مساعدة الآخرين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. كما تبين الآية الكريمة جزاءهم وهو الجنة، وبطيب الإقامة فيها، ورؤية الله - تعالى -. بالإضافة إلى صرف الأذى عنهم، وإذهاب كل ما يكدر خواطرهم ويرهق أنفسهم[1].

وترتبط آية الشاهد بسابقتيها، وهما قوله - تعالى -: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [يونس: ٢٤، ٢٥].

ذلك أنه - تعالى - ضرب النبات مثلاً لبيان أن مصير الدنيا إلى هلاك وفناء؛ فحالها هو حال النبات سواء بسواء، ومن ثم فعلى المؤمن أن يستعد للرحيل عنها إلى الدار الباقية، وذلك بأن يتصف بالإحسان حتى تكون الحسنى جزاءه.

---

(١) ينظر: جامع البيان (٤/٢٠١، ٢٠٢)، وتيسير الكريم الرحمن (١/٧٥٣).

وقد جاء الخبر مؤكداً بإفراغه في إطار القصر عن طريق التقديم، ولا يخفى أن الخبر وعد من الله - جلَّ وعز -، وقد جاء مؤكداً على خلاف مقتضى الظاهر؛ لأن الذين خوطبوا به خالو الذهن، وذلك اهتماماً بالخبر. الغرض منه: الحث على الإحسان والترغيب في الجنة ببعث موارد الشوق في نفس المؤمن إليها، وتكليفاً بالصبر على مشاق العبادات خالصة لله — تعالى -.

ومثل هذه الأغراض تفهم من السياق.

المبحث الثاني

الذكر والحذف

من لطائف اللغة العربية تنوع وتعدد أساليب التعبير بها، حتى أنَّ غيرها من اللغات تعجز عن مسايرتها؛ لأن بعض أبوابها من الدقة ما لا تقف عليه بالدرس والبحث فقط؛ وإنما يحتاج إلى فطنة ومقدرة على إدراك ما وراء المعاني؛ فمن ذلك أن الصمت عن ذكر بعض المعاني أفصح من الذكر وأبلغ، وهو ما أطلق عليه الحذف.

وسماه ابن جني: «شجاعة العربية»[1]، ومما قيل عن لطفه إنه: «دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بياناً إذا لم تبن»[2].

وضابط الحذف أن يكون في الكلام ما يدل على المحذوف[3].

ولقد بلغ من أهمية الحذف - الذي به يكون إيجاز الكلام - أنه أصبح تعريفاً للبلاغة، ذلك أنه عندما سئل بعضهم: «ما البلاغة؟ قال: الإيجاز، قيل: وما الإيجاز؟ قال: حذف الفضول وتقريب البعيد»[4].

---

(١) ينظر: الخصائص (٢/٣٦٠).

(٢) دلائل الإعجاز (ص ١٤٦).

(٣) ينظر: المثل السائر (٢/٢١٦).

(٤) كتاب الصناعتين (ص ١٧٩)، وينظر: سر الفصاحة، لأبي محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي (ص ١٩٧)، شرح عبد المتعال الصعيدي، مكتبة محمد علي صبيح، طبعة ١٣٨٩هـ-١٩٦٩م.

وإنما حاز الحذف فضيلة السبق؛ فلأن الألفاظ بحد ذاتها غير مقصودة، وإنما المقصود ما وراءها من المعاني المقصودة، ذلك أن: «الأصل في مدح الإيجاز والاختصار في الكلام أن الألفاظ غير مقصودة في أنفسها، وإنما المقصود هو المعاني والأغراض التي احتيج إلى العبارة عنها بالكلام»[(١)].

والإيجاز يقسم إلى قسمين:

الأول: إيجاز حذف.

والثاني: إيجاز قِصر.

وما نحن بصدد البحث فيه هنا: إيجاز الحذف.

والحذف لغة: حذَفَ الشيء يحذفه حذفاً: إذا قطعه من طرفه وأسقطه، والحجام يحذف الشعر إذا أخذ منه[(٢)].

واصطلاحاً: «إسقاط جزء الكلام أو كله لدليل»[(٣)].

ومن صور الحذف التي عليها سار العرب: حذف الجملة، والمفرد والحرف والحركة، ولا بد في كل ذلك من دليل، وإنما تحذف الجملة من الفعل والفاعل لمشابهتها المفرد؛ لكون الفاعل في كثيرٍ من الأمر بمنزلة الجزء من الفعل، وليس كذلك المبتدأ والخبر[(٤)]. وتفصيل صور الحذف: حذف المضاف والمضاف إليه، والصفة، وحذف جواب الشرط، وجواب الاستفهام.

---

(١) سر الفصاحة (ص ٢٠٦)، وينظر المثل السائر (٢/٢٠٩).

(٢) ينظر: البرهان في علوم القرآن (٣/١٠٢)، ولسان العرب (٩/٣٩)، (باب الفاء فصل الحاء).

(٣) البرهان في علوم القرآن (٣/١٠٢).

(٤) ينظر: الخصائص (٢/٣٦٠، ٣٦١).

ومن فوائده:

التفخيم والإعظام، ففيه تذهب النفس كل مذهب، وتتشوف إلى المراد؛ فترجع قاصرة عن إدراكه؛ فعند ذلك يعظم شأنه، ويعلو في النفس مكانه، ويزول الوهم، كما أن به تزداد اللذة بسبب الشعور بالقدرة على استنباط الذهن للمحذوف، ومنه زيادة الأجر للاجتهاد في تحصيله، وطلب الإيجاز والاختصار، والتشجيع على استعماله، كما أن لموقعه في النفس حسن كما للذكر[1].

ومن الشواهد القرآنية على ذكر بعض الصفات، وما ورد منها في قوله - تعالى -: ﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [البقرة: ١-٥].

حول المعنى:

استهلت السورة الكريمة ببيان أن القرآن الكريم هو الكتاب الحكيم، الذي بلغ المنزلة العليا في الكمال لما احتواه من تشريعاتٍ يهتدي بها المؤمنون المذكورة صفاتهم.

وترتبط بسابقتها في سورة الفاتحة قوله تعالى: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾: ذلك أنه لما أخبر - سبحانه - في الفاتحة عن عباده المخلصين، وقد سألوه الهداية

---

(١) ينظر: البرهان في علوم القرآن (٣/١٠٤، ١٠٥)، وينظر أسباب الحذف: المصدر ذاته (٣/١٠٥، ١٠٦).

إلى الصراط المستقيم الذي هو غير طريق الهالكين، لذلك أرشدهم في أول سورة البقرة إلى طريق ما سألوا عنه. وبيَّن لهم أنه مفصَّلٌ في ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾، كما بيَّن لهم صفات المؤمنين الذين استحقوا الهداية حثاً على التخلق بها، فهذه أعظم مناسبة تعقيب الفاتحة بالبقرة؛ لأنها سبقت لنفي الريب عن هذا الكتاب[1].

كما يرتبط قوله -تعالى-: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾ بقوله - تعالى-: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾: من حيث إن هذه الجملة في محل رفع على الابتداء مستأنفة، وخبرها قوله - سبحانه -: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى﴾؛ كأنه لما قيل: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾، خُص (المتقون) بأن الكتاب لهم هدىً؛ مما هيأ لسؤال: لماذا خُص المتقون بذلك الفضل، فالجواب أنهم استحقوا هذه المنزلة الرفيعة؛ لما لهم من صدق العقيدة وحسن الأعمال[2].

من البلاغة حذف المسند إليه (نائب الفاعل) في قوله - عز من قائل -: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾، **وقوله - تعالى -:** ﴿وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ **فقد** حذف المسند إليه في (أُنزل) بعد بنائه لما لم يسم فاعله[3].

ولهذا الحذف سر بلاغي: يجسد معاني العظمة الإلهية، ويدل على كبرياء المُنزِّل، وجلال شأنه، فطيّ ذكر الفاعل يدل على أمرين:

الأول: الإيذان بأنه منه - سبحانه - غير مُشارَك فيه؛ بل متفرد لإيجاده.

(١) ينظر: نظم الدرر (١/ ٧٧).

(٢) ينظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان (١/ ٢٧٥).

(٣) ينظر: البحر المحيط (١/ ١٦٧).

الثاني: إن ذكر الفاعل في هاتين الآيتين، مع العلم أن هذا الفعل لا يتولاه غيره ﷻ، فإن ذكره وتعيينه لغو[(١)].

وكما للحذف بلاغة وأسرار، فللذكر كذلك حيث يقول - تعالى -: ﴿أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ٥].

في هذه الآية الكريمة ذُكر المسند إليه ﴿أُولَٰئِكَ﴾ إشارة إليهم بأنهم على هُدىً من ربِّ العالمين، ثم أُعيد ذكره في قوله - تعالى -: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[(٢)].

ولهذا الذكر سر بلاغي، هو تأكيد لاختصاص المسند إليه بالمسند ﴿هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾، وزيادة في اختصاصه، وفي ذلك تنبيه على أنهم كما وفقوا للطريق المستقيم، فقد هداهم ربهم ﷻ، وأثبت لهم الفوز بالفلاح.

وهاتان الصفتان الكريمتان: (الهدى والفلاح)؛ مما يُميِّز المؤمنين؛ فلو انفردت كل واحدةٍ لرجحت كفتها في تميز المؤمن؛ ولاختلاف هاتين الصفتين جاءتا متعاطفتين، وهو بخلاف ما جاء في قوله - تعالى -: ﴿أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩]. فإن الخبرين شيء واحد، فوصْفهم بالغفلة، وتشبيههم بالأنعام، كالوصف الواحد، لذلك لم يحتج إلى العطف[(٣)].

---

(١) ينظر: الحذف البلاغي في القرآن الكريم (ص ٥٥، ٥٦) للدكتور مصطفى عبد السلام أبو شادي، مكتبة القرآن للطبع والنشر، بولاق، القاهرة، ط ١٤١٢هـ-١٩٩١م.

(٢) ينظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٧٤)، للزجاج، وإعراب القرآن (١/ ١٨٣) للنحاس.

(٣) ينظر: الكشاف (١/ ٥٤)، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (١/ ٢٧٥، ٢٧٦)، والدر المصون (١/ ١٠٢، ١٠٣).

ومن اللطائف البلاغية في الآيات الآتي:

﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢].

* ففي قوله تعالى: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ تنكير المسند إليه للتعظيم، وللدلالة على بلوغ القرآن الكريم غاية الهداية. وفي هذا إشارة لغير أمة محمد ﷺ حيث ضلال النصارى واليهود المغضوب عليهم الذين أشار إليهم في سورة الفاتحة، لأنهم على غير هدى.

ثم التقابل الفني البديع في وصف الكتاب بإثبات الشمول له، ونفي الريب والشك عنه، ففي قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ﴾، وبنفي الريب عن القرآن الكريم بيان لما جاء في الفاتحة من وصفهم، يقول - تعالى-: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾.

* وأما في قوله - تعالى-: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [البقرة: ٣].

فقد تجلت بلاغتها في الآتي:

١- تعريف المسند إليه: ﴿ٱلَّذِينَ﴾ لتقوية الحكم.

٢- التعبير بالجمل الفعلية (﴿يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿وَيُقِيمُونَ﴾ ﴿يُنفِقُونَ﴾) دل على الحدوث والتجدد؛ لأنها من الأفعال التي لا يكون فيها ديمومة على العمل فقط؛ بل تجددها بحسب الحاجة إليها.

وتخصيص ما ذكر من الصفات، إشارة إلى شرفها وعلو منزلتها على غيرها من صفات المؤمنين[1].

---

(١) ينظر: إرشاد العقل السليم (١/ ٤٣).

٣- في الآية إيجاز قصر في قوله - تعالى- : ﴿بِٱلْغَيْبِ﴾ ؛ لأن المراد أن الإيمان شامل لكل غائب، مثل: الملائكة، والرسل، وغيرهما من المغيبات.

وامتداح المؤمنين بصفة الإيمان بالغيب تعريض بغيرهم ممن ورد ذكرهم في سورة الفاتحة الذين لا يؤمنون بالغيب

وكذلك في هذه الآية الكريمة: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ مع سابقتها تفصيل لبيان أوصاف المتقين ترغيباً في تقلد أوصافهم.

٤- في الآية الكريمة قوله - تعالى -: ﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ عطف بالواو على ما سبقها من قبيل عطف الخاص على العام، لأهمية إقامة الصلاة بأركانها وواجباتها وخشوعها، فهي عماد الدين.

كما جاء في قوله - تعالى -: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ صور من البلاغة البيانية، منها:

* تعريض بحال غير المؤمنين الذين غلب على طبعهم الشح والبخل، وعدم الإنفاق، متناسين فضل الله عليهم بهذه النعم، وذلك مستنبط من قوله ﷻ: ﴿مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ بإسناد الرزق إليه - تعالى -.

وفي إطلاق النفقة دلالة على أهمية كل أوجه الإنفاق الذي فيه مصلحة خاصة من جهة، ومن جهة أخرى فإنه يصرف في أوجه الحلال.

وفي قوله عز من قائل: ﴿مِّن﴾ التي للتبعيض دلالة على الاعتدال، ويذكّر بعدم الإسراف الذي يؤول بصاحبه إلى الحسرة والندم.

وفي قوله - تعالى -: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [البقرة: ٤]:

١- التعبير بالجملة الفعلية ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ الذي يدل على تجدد الحدث، إذ إنهم يؤمنون بالقرآن الكريم وبغيره من الكتب السماوية، وكذلك يوقنون بحدوث اليوم الآخر. وبهذا دلت الجملة الفعلية على كمال إيمان مؤمني أمة محمد ﷺ، أما غيرهم من أهل الأديان الأخرى، فليسوا على هذا الطريق الصحيح من الإيمان.

٢- وفي تقديم الجار والمجرور ﴿وَبِٱلْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ للاختصاص اعتناء بشأن تفردهم بالإيمان باليوم الآخر، وتعريض بأهل الكتاب، الذين كانوا يثبتون اليوم الآخر بخلاف حقيقته، وقولهم به عن غير إيمان[1].

ولا يخفى ما في هذا الأسلوب من تعريض بمن لم يؤمن باليوم الآخر. ممن وردت أوصافهم في سورة الفاتحة.

٣- التعبير بالماضي عن المستقبل في قوله - تعالى - : ﴿يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾. فيه تغليب المحقق وقوعه، وهو ترقب نزول القرآن الكريم، وذلك لتحقق وقوعه نظير قولهم: كل ما خطب به فلان؛ فهو فصيح، وما تكلم إلاَّ بالبليغ من القول، وذلك مراد به الماضي والآتي كذلك؛ لأنه لما كان بعضه معقوداً ببعض جاء كله بالماضي[2].

---

(١) ينظر: الكشاف (١/ ٥١).

(٢) ينظر: الكشاف (١/ ٥١)، وإرشاد العقل السليم (١/ ٤٧)، ومعجم البلاغة القرآنية (١/١١-١٣).

ولقد ذكر أحد المفسرين أن هناك فرقاً بين التنزيل والإنزال، فالأول تحريك الشيء من علو إلى أسفل على سبيل التدريج؛ إذ صيغة التفعيل تدل على الكثرة، والكثرة هنا في الفعل، وذلك لا يكون إلا بالتدريج، بخلاف الإنزال؛ فإنه أعم من أن يكون تدريجاً، كقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾ [النساء: ١٠٥] الآية، أو دفعة كقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ﴾ [المائدة: ٤٤].

ينظر: المفردات (ص ٤٨٨)، وحاشية القونوي (١/ ٤٩٦).

وقوله - تعالى - في سورة البقرة: ﴿ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [البقرة: ٥]. فيها من الأسرار البلاغية الآتي:

١- تعريف المسند إليه باسم الإشارة ﴿أُولَٰئِكَ﴾؛ بياناً لبعد منزلتهم وعلو شأنهم.

٢- والتعبير بالجملة الاسمية ﴿ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى ﴾ مدحهم بالثبوت والاستمرار على ما هم عليه من الهداية.

٣- وفي تنكير لفظة ﴿ هُدًى ﴾ كمال وتفخيم ما هم عليه من بصيرة الإيمان، وهداية الرحمن.

٤- في قوله - تعالى -: ﴿رَّبِّهِمْ﴾ الإضافة إلى ضميرهم تفخيم الموصوف، وتفخيم شأن المضاف إليهم، وتشريف الصلة والموصوف، وتحقيق مضمون الجملة وتقريره.

ومن البلاغة حذف المسند إليه (اسم كان) في قوله - تعالى -: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [آل عمران: ١١٠].

ولقد سبق تفصيل معناها في موضوع (الظلال)، وهنا أكتفي ببيان البلاغة في حذف المسند إليه، وهو اسم كان في قوله - تعالى -: ﴿ لَكَانَ خَيْرًا ﴾ أي: لكان الإيمان خيراً، فحذف المسند إليه، لتذهب فيه نفوسهم كل مذهب رجاءً وإشفاقاً.

ولا يخفى - كذلك - ما في الآية من إيجاز بحذف متعلق الفعل ﴿آمَنَ﴾؛ لأن المراد هو الاتصاف بالإيمان الذي هو لقب لدين الإسلام، فأنزل الفعل منزلة اللازم.

وأرى أن فيه إشارة إلى إيمانهم بالله - تعالى -، ولكنهم لم يخلصوه له وحده، فلم يطبقوا تعاليم شرائع دينهم، والتي منها الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وفي قوله - سبحانه -: ﴿وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ دل على أنهم خارجون عن تلك الشرائع، وبعيدون عن الدين الإسلامي، كما يشير إليه وصفهم ﴿ٱلْفَٰسِقُونَ﴾.

ومن بلاغة حذف المسند إليه (الخبر) في قوله - تعالى -: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢].

هذه الآية المباركة لها موقع عظيم في قطع الخصومة، وفصل الخطاب بين الكافرين الذين ورد ذكرهم في الآية السابقة وبين المؤمنين. فالمؤمنون بالله تعالى، والذين لم يشركوا به شيئاً، لهم الأمن بدل الخوف، وهم المهتدون في الدنيا والآخرة، ولهم الطمأنينة من أهوال اليوم الآخر(١).

والآية الكريمة ترتبط بسابقتها قوله - تعالى -: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٨١].

ذلك أنه في هذه الآية أنكر المولى - تبارك وتعالى - على المشركين تخويفهم المؤمنين بالأصنام، وهم أنفسهم لا يخافون الله ﷻ القادر على كل شيء، فناسب ذلك أن يبين في آية الشاهد من هو أحق بالأمن من الخوف، وألزمهم بذلك، وحتم الجواب عليهم، بقوله - عز من قائل -: ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾،

---

(١) ينظر: جامع البيان (٣/٢٩٢)، وتفسير القرآن العظيم (٢/١٧٦).

وفي هذا إشارة إلى عدم علمهم لأن يَخْبروا عما سُئلوا عنه، فقال مستأنفاً: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾أي هم الأحقاء بالأمن لعلو رتبتهم[1].

من بلاغة الحذف في الآية الكريمة.

أولاً: في قوله - تعالى -: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾.

الإعراب في هذه الآية الكريمة يترتب على مَن قال: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ بأنه من كلام إبراهيم عليه السلام، أو من كلام قومه، أو من كلام الله - تعالى -؟ فإن كان من كلام إبراهيم عليه السلام جواباً عن السؤال في قوله - تعالى -: ﴿فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ﴾، وكذلك الشأن إن كان من كلام قومه، وأنهم أجابوا بما هو حجةٌ عليهم، أو كان الكلام من قول الله عز وجل أمر به نبيه عليه السلام ليجيب عن السؤال المتقدم: ﴿فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٨١].

ففي هذه الأحوال الثلاثة يكون الاسم الموصول ﴿ٱلَّذِينَ﴾ خبراً لمبتدأ محذوف تقديره (هم)[2]، ولحذف - المسند إليه هم - سر بلاغي، وهو إرادة تعميم هداية الله - تبارك وتعالى- عباده إلى الصراط المستقيم لكل من آمن، ولم يلْبِس إيمانه بظلم، فيكون إطلاق هداية الله عز وجل لكل من آمن سواء، فيدخل فيها مؤمنو أمة محمد ﷺ كذلك.

وهذا المعنى لا يتأتى لو ذُكر المبتدأ (هم)، بل لأعطى ذكره خصوصية لا تشمل غيرهم.

---

(١) ينظر: نظم الدرر (٧/ ١٦٧).

(٢) ينظر: الدر المصون (٥/ ٢٣).

ولقد ورد في هذه الآية الكريمة **حذف الجار والمجرور، وهو** متعلق الفعل ﴿ءَامَنُوا﴾، وذلك: «لظهوره من الكلام السابق، والتقدير: الذين آمنوا بالله»[1].

ومع هذا؛ فإن المتعلق المحذوف له معنى يؤديه، وسر بلاغي يشير إليه؛ فقد دل على أن الفعل ﴿ءَامَنُوا﴾ وصف لكل من دخل في دين الإسلام مقراً بوحدانيته - تعالى -، وشاهداً على نبوة رسول الله ﷺ وبكتبه وبرسله وباليوم الآخر وبالقدر خيره وشره. أي أنه إيمان مطلق بكل ذلك؛ فدل على شدة تعلقهم بربهم، وعلى صحة طريقهم المستقيم؛ حتى أنهم لم يخلطوا هذا الإيمان بشيء آخر يشوب نقاءه وصفاءه، وهم كما أطلقوا الإيمان صادقاً، فقد أطلق أولئك كفرهم بكل ما سوى الإيمان بالله وحده.

ومن الأسرار البلاغية في هذه الآية التالي:

١- في قوله - تعالى -: ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوٓا﴾ الواو حالية، كما في قوله - تعالى -: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾ [مريم: ٢٠]، أراد بها بيان الحالة الصحيحة التي ينبغي أن يكون عليها المؤمن، وهي إخلاص الإيمان من أي شائبة شركٍ.

٢- والتعبير بلفظ ﴿يَلْبِسُوٓا﴾ مناسب؛ لأنه بمعنى يخلطوا؛ حيث شبّه الخلط باللبس بجامع التغيير التام، ثم تنوسي التشبيه، وادعي أن الخلط من أفراد اللّبْس، ثم استعير اللبس للخلط، ثم اشتق منه يلبسون على معنى يخلطون على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية، والقرينة الإيمان إشادة بفضيلته.

---

(١) التحرير والتنوير (٤/٧/٣٣٢).

ومن لطيف هذه الاستعارة أنها صورت الشرك الذي يداخل إيمان المؤمن بدقة متناهية ؛ مما ينشأ عنه فساده، كما تختلط الأجسام وتمتزج بغيرها، فينتج عنه خليط متمازج متباين الصفات. ولقد فسَّر العلماء الظلم بالشرك[1]، كما فسره رسول الله ﷺ حينما شق ذلك على الصحابة ؛ فقالوا: أينا لم يظلم نفسه، فقال ﷺ: (**ليس كما تظنون، إنما هو كما قال لقمان لابنه: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾**)[2].

وفي تنكير (الظلم) إشارة إلى رفض قليله وكثيره، وهذا مسوغ على أن المراد بالظلم الشرك، إذ إن أدناه مثل أكثره في إحباط الإيمان، وليس كذلك المعاصي.

وأما التنوين لتعظيم هذا العمل، والتنفير من الشرك ؛ فهو يجعل الإنسان في صورة ممسوخةٍ غير محددة ولا متميزة يرفضها الدين والعقل[3].

---

(١) ينظر: بدائع التفسير (١٥٧/٢)، والبحر المحيط (١٧٦/٤). والظلم: (الظاء، واللام، والميم): أصلان: أحدهما خلاف الضياء والنور، والآخر وضع الشيء في غير موضعه تعدياً، يقال: ظلمه يظلمه ظلماً. وهو ثلاثة أنواعٍ، أعظمها: الكفر والشرك والنفاق. ينظر: معجم مقاييس اللغة (٤٦٨/٣)، (باب الظاء واللام، وما يثلثهما).

(٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب صدق الإيمان وإخلاصه، (ص ٧٦)، رقم (١٢٤).

(٣) ينظر: نظم الدرر (١٦٧/٧، ١٦٨).

ولقد فسر الزمخشري (الظلم) في هذه الآية بمعنى المعصية حيث قال: "أي لم يخلطوا إيمانهم بمعصيةٍ تفسقهم". الكشاف (٤٠/٢).

ولكن أبا حيان رد هذا الرأي لأنه دفينة اعتزال: فحواها أن أصحاب المعاصي لا أمن لهم، ولا يلحقهم الأمن الموعود به في هذه الآية إذا مات مصراً على الكبائر. ينظر: البحر المحيط (١٧٦/٤).

ولأهمية الإيمان وخلوصه من الشرك ؛ فإن الآية الكريمة اختتمت ببيان حالهم في اليوم الآخر ؛ فقال - تعالى -: ﴿وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ ، فالواو حالية والتعبير بالجملة الاسمية دل على حسن مآلهم وثبوتهم على الأمن والاهتداء(١).

ويتألق إعجاز القرآن الكريم ، ويبدو ذلك في صورة حذف جملة من الكلام ، ويظل المعنى على أعلى قمم البلاغة ، كما في قوله - تعالى-: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٤].

مضمون المعنى:

الآية المباركة تفصل جزاء المؤمنين الذين يعملون الصالحات ، كما جاء في شريعة الرسل عليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام ؛ فإن سعيهم مقبول ، وأجرهم مضاعف أضعافاً كثيرة ، وهو مثبت في اللوح المحفوظ غير مضيع ولا منقوص.

وترتبط آية الشاهد بسابقتيها قوله - تعالى -: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ۝ وَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ ۖ كُلٌّ إِلَيْنَا رَٰجِعُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٢-٩٣].

لما ذكر أن الأنبياء - عليهم السلام - أمة واحدة ، ودينهم واحد ، وربهم واحد ؛ فكان الواجب على أممهم الاجتماع وعدم التفرق ؛ ولكن البغي والاعتداء جعلهم متفرقين ، وجعل أمورهم متقطعة ، ولقد قبح الله - تعالى - فعلهم هذا ، وتوعدهم بأنهم إليه راجعون ، حيث يكون جزاؤهم.

فناسب بعدئذٍ أن تجيء آية الشاهد مرتبطة بالفاء تفريعاً على الوعد المعرض به في قوله - تعالى -: ﴿كُلٌّ إِلَيْنَا رَٰجِعُونَ﴾ حيث قال - تعالى - : ﴿فَمَن

(١) ينظر: نظم الدرر (١٦٧/٧).

يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ...﴾ [الأنبياء: ٩٤]. فقدم وعد المؤمنين وجزاءهم على وعيد المشركين.

من بلاغة الحذف في الآية الكريمة؛ قوله - تعالى -: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ **فالمحذوف جملة على قسمين**، قدرهما البقاعي بقوله: «ومن يعمل من السيئات وهو كافر فلا نقيم له وزناً، ولعله حذف هذين القسمين ترغيباً»[1]، كما يوجد في حذف القسم الأول منها بذكر جزاء المؤمنين تعجيل بالمسرة[2]، وإيذان بقبول أعمالهم، وهو جُلُّ ما يتمناه المؤمن.

وكذلك الشأن في قوله ﷻ: ﴿مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ **فالموصوف محذوف**، والتقدير: من الأعمال الصالحات، ثم التعبير بحرف الجر (من)[3] الدالة على التبعيض، مما يشير إلى أنَّ المراد بعض الأعمال. وإطلاق (الصالحات) دليل تنوع العبادات الصالحات من أقوال وأعمال.

كما جاء في قوله - تعالى -: ﴿فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ﴾، الجار والمجرور (لسعيه) متعلق بمحذوف، وهو: **جملة في موقع صفة للمسند إليه ﴿كُفْرَانَ﴾**، والتقدير: يكفر لسعيه، فإن لسعيه متعلق بالمقدر (يكفر). ولا يتعلق بكفران؛ لأنه شبيهٌ بالمضاف، وهو نحو: لا خيراً من زيدٍ عندنا[4].

---

(١) نظم الدرر (١٢/ ٤٨٠).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير (٨/ ١٧/ ١٤٣).

(٣) ولقد احتمل الشيخ الجمل في الفتوحات الإلهية أن (مِنْ) زائدة. ينظر: (٥/ ١٦٠)، وهذا الاحتمال لا يؤيد القول بنفي الزيادة في القرآن الكريم، والذي سبق بيانه في الفصل الثاني.

(٤) ينظر: الدر المصون (٨/ ١٩٧)، وينظر هامش الكتاب رقم (٥).

والبلاغة في حذف جملة الصفة (يكفر) والتعبير بصيغة ﴿ كُفْرَانَ ﴾، فلأنها تفيد نفي القليل والكثير من عمل الصالحات[1]، لأنه مصدر يدل على المبالغة مثل: الغفران والشكران، والعرب تقول: غفرانك لا كفرانك[2]. كما أن الكفران مَثَلٌ في حرمان الثواب. ومجيئه منفياً دليل على المبالغة في عدم حرمانهم، والدقة في إثابتهم[3].

ومن صور البلاغة في الآية الكريمة ما يلي:

١- التعبير بالسعي[4] مناسب لوصف أعمالهم بأنهم دؤوبون في مرضاة ربِّ العالمين، ولا يكون العمل جاداً مستمراً إلاَّ لمن عقد الإيمان في قلبه، وعملت به جوارحه.

٢- والتعريف بالجملة الحالية في قوله – تعالى -: ﴿ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾ قد أفاد حكماً شرعياً، وهو أن عمل الكفار مهما بلغ من الكمال والصلاح؛ فإنه يذهب هباءً، ولا يقبل من صاحبه، لقوله - تعالى -: ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾ [الفرقان: ٢٣].

ولقد دل التعبير بالجملة الاسمية على أن الإيمان واستمراره شرط لقبول العمل.

---

(١) ينظر: جامع البيان (٥/ ٢٨٠).

(٢) ينظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٤٠٤)، للزجاج.

(٣) ينظر: الكشاف (٣/ ١٣١).

(٤) السعي: من سعى يسعى سعياً، أصلها السعو، فيقال: مضى سعو الليل، أي قِطع منه. ويعني كذلك الكسب والمشي السريع، وأكثر ما يستعمل في الأعمال المحمودة. ينظر: معجم مقاييس اللغة (٣/ ٧٤)، (باب السين والعين، وما يثلثهما)، ومجمل اللغة (٢/ ٤٦١)، (باب السين والعين، وما يثلثهما)، وبصائر ذوي التمييز (٣/ ٢٢٢، ٢٢٣).

٣- وفي قوله - تعالى -: ﴿وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ﴾ الواو استئنافية. والجملة تذييل، وذلك مستفاد من اسمية الجملة والتأكيد بـ(إن)، الغرض منه: تقرير مضمون الجملة قبلها، وهو عدم كفران السعي وتغطية ثوابه، وتقديم الجار والمجرور ﴿لَهُۥ﴾ يفيد الاختصاص بكتابة الأعمال، وعدم إضاعتها، مع مراعاة الفاصلة، وتأثيرها الصوتي مع غيرها(١).

ومن صور الحذف التي وردت في آيات صفات المؤمنين قوله - تعالى -: ﴿فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ﴾ [القصص: ٦٧].

حول المعنى:

الآية الكريمة بيان لصفات المؤمنين الذين تابوا عن الشرك والمعاصي، وآمنوا بالله، وأخلصوا في عبادته، وشفعوا ذلك بصالح الأعمال.

وترتبط بسابقتيها قوله - تعالى -: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ [القصص: ٦٦].

أنه لما ذكر ﷻ سؤال الخلق عن معبودهم، وعن رسلهم يوم القيامة، ولم يحيروا جواباً عن هذا السؤال، ولم يهتدوا إلى صواب القول، ناسب ذلك أن يبين في آية الشاهد الكريمة الطريق الذي ينجو به العبد من عقاب الله - تعالى -.

من بلاغة الحذف في قوله - تعالى -: ﴿فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾، وهنا نلاحظ أنه لما ذكر حال المؤمنين التائبين، وما لهم من جزاء؛ أنه لم يذكر حال القسم الآخر: الذي تقتضيه (أما)، إذ وضعها لتفصيل كلامٍ مجملٍ...

---

(١) ينظر: حاشية القونوي (١٢/٥٨٣).

وتقدير قسمها الثاني في هذا المكان، وأما من لم يتب، ولم يؤمن، ولم يعمل صالحاً، فلا يكون من المفلحين، ولكنه لمّا استُفيد هذا المعنى من القسم الأول بدليل الخطاب أضمر[١]. ومن أسرار بلاغة هذا الحذف: أنه لتفصيل المجمل الواقع في ذهن السامع من بيان ما يؤول إليه حال المشركين[٢].

وأجد كذلك في الحذف تخويفاً من جزاء المصرين على الذنب؛ لأن إبهام المحذوف يؤدي إلى إثارة خيالات صور ما سيحل بهم، وقد يؤدي إلى توبة بعضهم.

ومن اللطائف البلاغية في هذه الآية التالي:

١- السر في التعبير عن الكافرين بلفظ الجمع (في الآية ٦٦). وعن التائبين بلفظ المفرد:

جاء التعبير عن الكفار بلفظ الجمع؛ إشارة إلى أنهم في الضلال سواء، وهو ابتعادهم عن دين الله الواحد الأحد؛ فلا وزن ولا قيمة لهم يوم القيامة؛ فهم في النار خالدون.

أما التعبير عن المؤمنين بلفظ المفرد: للإشارة بأن مراتبهم متفاوتة، ولن يضيع من أعمالهم شيء عند الله ﷻ.

---

(١) ينظر: الإكسير في علم التفسير (ص ١٨٢، ١٨٣)، الفقيه الطوفي سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم الصرصري البغدادي. تحقيق/ د. عبد القادر حسين، ضبط وإخراج مكتبة الآداب لصاحبها علي حسين بالقاهرة. طبعة: بدون، وينظر: التحرير والتنوير (١٠/٢٠/١٦٣).

(٢) ينظر: روح المعاني (١٠/٢٠/٣٠٩)، والتحرير والتنوير (١٠/٢٠/١٦٣).

٢- والتعبير بالتوبة مناسب ؛ لأنه يعني ترك الذنب والإقلاع عنه على أجمل الوجوه، بل هو أبلغ وجوه الاعتذار، والتوبة في الشرع ؛ ترك الذنب لقبحه، والندم على ما فرط منه، والعزيمة على ترك العودة إليه، وتدارك ما أمكنه من الأعمال(١).

٣- من بلاغة الوصل في قوله - تعالى - : ﴿ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ﴾.

فقد عطف العمل الصالح على الإيمان بالله - تعالى - ولهذا كبير الأثر في ارتقاء المؤمن إلى الدرجات العلا، وبيان بأن هذا العمل لن يضيع أجره مع عدم ضياع إيمانه.

وفي هذا إشارة إلى أن الكفر إذا حلّ بأحد فلا التفات إلى الأعمال مهما عظمت(٢).

وأما عطف الإيمان على التوبة ؛ فلأن المراد هو نبذ عقائد الشرك وتركها، والتمسك بعقائد الدين الإسلامي الصحيح(٣).

٤- التعبير بـ(عسى) في قوله - تعالى - : ﴿ فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ... ﴾ فإنه يتسبب عنه حالة من الطمع في أن يكونوا في غاية الثبات (من المفلحين)(٤).

ومن شواهد الحذف قوله - تعالى - : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ [الملك : ١٢].

---

(١) ينظر: المفردات (ص ٧٦).

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب (٩/٢٥/١٣)، وهو تفسير لما ورد في قوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ﴾ [السجدة: ٢٠].

(٣) ينظر: التحرير والتنوير (١٠/ ١٦٣/٢٠ ، ١٦٤).

(٤) ينظر: نظم الدرر (٣٣٨/١٤).

الآية الكريمة تبين ما لأهل الخشية من النعيم في الآخرة.

وترتبط بسابقتها قوله - تعالى -: ﴿فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الملك: ١١]. أنه لما ذكر حال الأشقياء، ذكر أوصاف الأبرار السعداء برضا رب العالمين[١].

من البلاغة حذف الحال في قوله – تعالى -: ﴿تَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ﴾: فقد ذكر الألوسي في تقدير معنى الآية: «أي يخافون عذابه غائباً عنهم أو غائبين عنه، أو عن أعين الناس غير مرائين، أو بما خفي منهم وهو قلوبهم»[٢].

أراد بذلك أن الجار والمجرور ﴿بِٱلْغَيْبِ﴾ متعلق بمحذوف حال من المفعول به (عذابه)، والتقدير: حال كون العذاب غائباً عنهم، أو أنه متعلق بمحذوف حال من الفاعل، والمعنى يخشون عذاب ربهم حال كونهم غائبين عنه[٣].

وأرى أن يكون المحذوف حالاً من المفعول به؛ يفيد أن العذاب غائب عنهم، وهي مرتبة إيمانية عظيمة، وتتعمق نفس سمت عن الأمور الدنيوية إلى المغيبات، وهذه هي مرتبة الإحسان، لذلك قيدت الخشية بالغيب.

ومن بلاغة الشاهد الكريم التالي:

تقديم المغفرة على الأجر؛ فلأن المغفرة هي جُلُّ ما يشغل خواطرهم، وما تشرئب نحوها أعناقهم، ففيها دليل على رضا ربِّ العالمين. وبها تطمئن قلوبهم. وتأخير الأجر الكبير؛ فلأنه زيادة عطاء ربِّ العالمين.

---

(١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن (٢/ ٩٠١).

(٢) روح المعاني (١٥/٢٩/١٤)، وينظر: البحر المحيط (٨/٢٩٥).

(٣) ينظر: في تفسير القرآن وأسلوبه المعجز - علمياً وأدبياً (ص ١٢٧)، للدكتور نور الدين عتر، مطبعة الصَّبَّاح، دمشق، ط٢، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

وفي تنكير المغفرة : دليل على عظمها، وفي تنكير (أجر كبير) إشارة إلى ما لا مقدار له من العطاء.

وفي تقديم المسند على المسند إليه في قوله - تعالى -: ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾ لإفادة الاهتمام، وفيه تعظيم لهم بهذا التخصيص[1].

ومن الشواهد المتفردة ما جاء عن مؤمني الأمم الأخرى قوله - تعالى- : ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ ۖ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ۝ وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا﴾ [الجن: ١٣، ١٤].

حول المعنى:

في هاتين الآيتين الكريمتين نستجلي صفات مؤمنين من نوعٍ آخر، وهم مؤمنو الجن، ذلك الخلق المغيب الذي ثبت وجوده، وتحدث عنه القرآن الكريم في عددٍ من سوره، وفي هذا إظهار شرف النبي ﷺ حيث ألان الله - العظيم - له قلوب الإنس والجن وغيرهما، فصار مالكاً لها، وذلك لعظمة هذا القرآن، ولطف مالَهُ من غريب الشأن[2].

وسورة (الجن) على هذا النحو تقتلع جذور عادةٍ من عادات المشركين السيئة، فتصفو النفوس أمام روعة الدين؛ فلا خضوع لقوةٍ ولا قدرةٍ إلاَّ قدرة الله ﷻ وقوته، وأنه لا إيمان إلاَّ بالله وحده، ولا اعتقاد في غيره، ولقد تبيَّن في هاتين الآيتين الكريمتين أن من الجن من آمنوا بالله وحده، فتخلصوا من الشرك، وخضعوا لله - تعالى - بالطاعة طلباً للرشد، فتبرؤوا من الجائرين على الإسلام وقصد السبيل.

---

(١) ينظر: روح المعاني (١٤/٢٩/١٥)، والتحرير والتنوير (٢٩/٢٩/١٤).

(٢) ينظر: جامع البيان (٣٨٨/٧)، وفي ظلال القرآن (٣٧٢١/٦، ٣٧٢٢).

وآية الشاهد الكريمة ترتبط بسابقتيها قوله - تعالى -: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ۝ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا﴾ [الجن: ١١، ١٢].

أنه لما أقرَّ الجن بأنهم فِرق متنوعة؛ ذات أهواء مختلفة، وأنهم الآن وبعد ظهور الدين الجديد، اعترفوا بعجزهم وضعفهم عن الفرار والهرب من العقوبة، لعلمهم التام بقدرة الله - تعالى -، وأنها تطالهم بالعذاب، لذلك آمنوا، ثم وصفوا أنفسهم بالصفات التي تلبسوا بها بعد إيمانهم بالله - تعالى -.

من البلاغة حذف المبتدأ في قوله - تعالى -: ﴿فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا﴾.

وتقدير المحذوف: (فهو لا يخاف)، والمراد: فهو غير خائف؛ ولأن الكلام في تقدير مبتدأ وخبر؛ فقد دخلت الفاء[1]، وهي الفاء الواقعة في جواب الشرط. ﴿فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ﴾ - وهذه يكثر بعدها حذف المبتدأ[2] لذلك قيل: ﴿فَلَا يَخَافُ﴾.

والسر البلاغي لحذف المبتدأ، وإدخال الفاء على جواب الشرط، هو أن هناك فائدة في المعنى لا تكون بالذكر، فلو قيل: فهو لا يخافُ. دل على تحقيق أن المؤمن ناجٍ لا محالة، وأن المؤمن هو المختص بالنجاة دون غيره.

---

(١) لأن شأن جواب الشرط ألاَّ يقترن بالفاء إلاَّ إذا كان غير صالح لأن يكون جواباً.

(٢) ينظر: مغنى اللبيب (ص ٨٢٢).

ومن جهةٍ ثانية، فإن في تقدير المحذوف تصبح الجملة اسمية، ومعلوم أن الاسمية أدل على الثبوت والدوام، وتحقق أن المؤمن هو المقصود بنفي الخوف عنه وتحقق سلامته[1].

ومن البلاغة حذف المضاف في قوله - تعالى -: ﴿بَخْسًا﴾، فقد حذف المضاف وتقديره: (جزاءُ بخس)، ولا رهق يصيبهم.

ومن البلاغة في هذا الحذف: إشارة وتذكير بأن الله ﷻ لا يظلم أحداً، ولا ينقص جزاء أحدٍ؛ فقد وعد المؤمنين بأن لا يلحقهم مكروه يرهقهم ويقهرهم.

وهذا حث للمؤمن على اجتناب الكفر، وهذا المعنى استدعى تقدير شرط محذوف تقديره: «ومن يشرك به فلا يأمن محقاً ولا صعقاً»[2].

---

(١) ينظر: الكشاف (٤/٦١٥)، والبحر المحيط (٨/٣٤٤)، والدر المصون (١٠/٤٩٣)، والتحرير والتنوير (١٤/٢٩/٢٣٥)، وتفسير روح البيان (١/٢٢٨)، وينظر: الحذف البلاغي (ص ٤٤)، وفي ذلك دلالة على أن المؤمن يجتنب المعاصي، ولا يظلم أحداً لقوله ﷺ: (المؤمن من أمنه الناس على أنفسهم وأموالهم). أخرجه الترمذي في كتاب الإيمان، باب ما جاء في أن المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده (٥/ ١٧)، رقم (٢٦٢٧)، وابن ماجه في سننه، كتاب الفتن، باب حرمة دم المؤمن وماله (٢/ ١٢٩٨) رقم (٣٩٣٤).

(٢) نظم الدرر (٢٠/٤٨٣).

المبحث الثالث

التعبير بالجملة الاسمية أو الفعلية

لقد اختلفت صور التعبير عن صفات المؤمنين في القرآن الكريم، فمنها التعبير بالجملة الاسمية أو الفعلية، وللتقديم عنهما لا بد من التنويه بما هو معلوم متداول في كتب البلاغة؛ إذ إن تجسيد الصفة بهذا الأسلوب لا يكون إلا في مقام الإخبار عن المبتدأ، والخبر قسمان:

الأول: ما لا تكون الفائدة إلاّ به، مثل : زيد منطلق.

والثاني: خبر ليس جزءًا من الجملة؛ ولكنه جزء متمم لها، كما هو الأمر في الحال، كقولنا: (جاءني زيد راكباً)، فالإخبار عن مجيء زيد معلوم من الجملة، وإنما زاد المعنى توضيحاً بوصف حاله (راكباً)، وموضوع دراستنا هو بيان الفروق في المعنى بين إثبات الصفة عن طريق الجملة الاسمية أو الفعلية، وهي فروق لطيفة ليس لعلم البلاغة غناء عنها. فالتعبير بالجملة الاسمية: «يثبت به المعنى للشيء من غير أن يقتضي تجدده شيئاً بعد شيء.

وأما الفعل فموضوعه على أنه يقتضي تجدد المعنى المثبت به شيئاً بعد شيء.

فإذا قلت: (زيد منطلق)، فقد أثبت الانطلاق فعلاً له، من غير أن تجعله يتجدد ويحدث منه شيئاً فشيئاً، بل يكون المعنى فيه كالمعنى في قولك: (زيد طويل)، و(عمرو قصير): فكما لا تقصد ههنا إلى أن تجعل الطول أو القصر يتجدد ويحدث، بل توجبهما وتثبتهما فقط، وتقضي بوجودهما على الإطلاق، كذلك لا تتعرض في قولك : (زيد منطلق) لأكثر من إثباته لزيد.

وأما الفعل، فإنه يُقصد فيه إلى ذلك. فإذا قلت: (زيد ها هو ذا ينطلق)، فقد زعمت أن الانطلاق يقع منه جزءًا فجزءًا، وجعلته يزاوله ويزجِّيه، وإن شئت أن تُحس الفرق بينهما من حيث يلطف؛ فتأمل هذا البيت:

لا يألفُ الدرهمُ المضروبُ خِرْقتنا لكنْ يُمرُّ عليها وهو مُنْطَلِقُ[(١)]

هذا هو الحسن اللائق بالمعنى، ولو قلته بالفعل: لكن يمر عليها وهو ينطلق لم يحسن»[(٢)].

وهذه الخاصية للتعبير بالجملة الاسمية تارة، وبالفعلية أخرى، مما يتناسب وصفات المؤمنين التي تنقسم في مجموعها إلى: قلبية، وفعلية، وقولية.

وسأعرض لبعض الآيات التي تبيِّن تناسب الصفة فعلية أو اسمية للمعنى الذي جاءت في سياقه.

---

(١) قائله النضر بن جؤيَّة، والبيت من البحر البسيط، وقبله:

قالت طريفة ما تبقَى دراهمُنا وما بنا سرف فيها ولا خُرُقُ

إنا إذا اجتمعت يوماً دراهِمُنا ظلَّت إلى طُرقِ المعروفِ تستبقُ

والشاهد فيه: مجيء المسند اسماً (منطلق) لإفادة الثبوت والدوام، لا التقييد والتجدد، يعني أن الانطلاق ثابت له من غير اعتبار تجدد. ينظر: معاهد التنصيص على شواهد التلخيص (١/ ٢٠٧)، للشيخ عبد الرحيم بن أحمد العباسي، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، عالم الكتب، بيروت، ط ١٣٦٧هـ - ١٩٤٧م.

كما ورد أن قائل هذه البيات جؤيَّة بن النَّضر. ينظر: شرح ديوان الحماسة لأبي تمام (٢/ ١٠١٥)، تأليف الخطيب التبريزي أبي زكريا يحيى بن محمد بن حسن بن بسطام الشيباني، كتب حواشيه فريد الشيخ، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

(٢) دلائل الإعجاز (ص ١٧٤، ١٧٥).

ومن الشواهد على بلاغة التعبير بالجملة الاسمية والفعلية في صفات المؤمنين: قال - تعالى -: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَـٰبِهَـٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَـٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴾ [آل عمران: ٧].

حول المعنى:

يخبر - تعالى - عن كمال عظمته، وتفرده بإنزال القرآن الكريم، وبعض معانيه محكمة واضحة، لا تشتبه على أحد، ولا تلتبس بغيره أثبتها بالحجج والأدلة والبراهين، ومنه آيات متشابهات، وهي على نوعين:

الأول: ما انفرد به - سبحانه - بعلمه، ولا يعلمه أحد مطلقاً، كأمر الروح، والحروف المقطعة، وبعض المُغيَّبات التي أعْلَمَ - سبحانه - بوقوعها.

الثاني: ما يُحْمل في تفسيره على وجوه اللغة، وطرق كلام العرب، مما يُمكّن الراسخين من تأويله، وهذا النوع يؤتيه الله - تعالى - لكل راسخ بحسب ما قُدِّر له، ومثاله ما جاء في قوله - تعالى - في شأن عيسى عليه السلام: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾ [النساء: ١٧١][(١)].

وترتبط آية الشاهد بسابقتيها في قوله - تعالى -: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ۝ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران: ٥-٦].

---

(١) ينظر: جامع البيان (٢/٢١٢، ٢١٣)، والمحرر الوجيز (٣/٢١، ٢٢)، وتيسير الكريم الرحمن (١/٢١٧).

في هاتين الآيتين الكريمتين بيان لمشهد تصوير الجسد وتسويته، فناسب أن يكون ما بعد – آية الشاهد – بيان لارتباط الروح بالعلم[(١)].

وهناك ارتباط من وجه آخر، أنه لما ذكر في هاتين الآيتين دلائل قدرته وعظمته، وبيَّن أن علمه محيط بجميع الخلائق؛ فهو الذي يعلم ما تحمل الأرحام، وهو الذي صور الخلق كما يشاء؛ فناسب ذلك أن يبين أن إنزال الكتاب الذي يحوي المحكم والمتشابه هو أحد دلائل قدرته سبحانه، فقال – عز من قائل –: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ..﴾ الآية.

الأثر البلاغي في التعبير بالجملة الاسمية في قوله – تعالى –: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾.

الوقف على قوله – تعالى –: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ تام على رأي من فسَّر أن الراسخين في العلم لم يعلموا تأويله، وهو رأي التابعين والسلف، ويدل على ذلك قراءة عبد الله بن عباس[(٢)]: (ويقول الراسخون)، وهنالك من يقف على قوله – تعالى –: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾[(٣)].

---

(١) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١/١٤٩، ١٥٠)، وحاشية زاده (١/٦٠٦).

(٢) هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشميّ، وُلد وبنو هاشم في الشعب محاصرين قبل الهجرة بثلاث سنوات، ورد عنه أن النبي ﷺ ضمه إليه، وقال: **(اللهم علّمه الحكمة)**، وكان يقال له حبر الأمة، وورد أنه ما في العرب مثله جسماً وعلماً وثياباً. ينظر: الاستيعاب (٢/ ٣٥٠)، والإصابة (٢/ ٣٣٠).

(٣) ينظر: المكتفى في الوقف والابتدا في كتاب الله ﷻ (ص ١٩٤، ١٩٥)، وجامع البيان (٢/ ٢١٩). ولقد نسبت هذه القراءة لأبيٍّ في كتاب إيضاح الوقف والابتداء (ص ٥٦٦)، لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري، تحقيق: محيي الدين عبد الرحمن رمضان، طبعة مجمع اللغة العربية بدمشق، بتاريخ ١٣٩٠هـ/١٩٧١م.

والوقف الأول أرى أنه يعني أن الراسخين في العلم لا يعلمون تأويل آيات الصفات، بل توقفوا عندها، انطلاقاً مما روي عن أهل السنة والجماعة أن الإيمان بها واجب، والكيف مجهول، والسؤال عنها بدعة؛ ولقد استدل الشيخ محيي الدين زاده على ذلك، أي على عدم معرفة الراسخين بالمتشابه بقوله: «﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾ [البقرة: ٢٦]؛ فهؤلاء الراسخون لو كانوا عالمين بتأويل المتشابه على التفصيل لما كان لهم في الإيمان به مدح؛ لأن من عرف شيئاً على سبيل التفصيل، لا بد أن يؤمن به»[(١)]، أراد أنهم امتدحوا بالإيمان به إيماناً مطلقاً لقولهم: آمنا به، ولقوله - تعالى - في أول سورة البقرة: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾ [الآية: ٢٦]، فلو كان الراسخون يعلمون تأويل المتشابه على وجه التفصيل لما امتدحهم بالإيمان به.

ويترتب على الوقف على الراسخين أن تكون الواو في قوله - تعالى -: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ﴾ للاستئناف، و﴿ٱلرَّٰسِخُونَ﴾ مبتدأ، وخبره الجملة الفعلية قوله - تعالى -: ﴿يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا..﴾ ومجيء وصف المؤمنين بالاسمية دليل على ثبوت الصفة ودوامها.

ثم الإخبار عنهم بالجملة فعلية فعلها مضارع يدل على تجدد حدوث القول، وهو الإقرار والاعتراف بأن المحكم والمتشابه من عند الله - تعالى -، والراسخون: جمع، واحده راسخ، من رسخ. الراء والسين والخاء أصل واحد

---

(١) حاشية زاده (١/٦٠٦).

يدل على الثبات[١]، والراسخ في العلم: الذي دخل فيه دخولاً ثابتاً، وكل ثابت راسخ[٢]، واستعير الرسوخ لكمال العقل والعلم، فلا تضلله الشبه[٣].

وفي هذا الوصف ﴿ٱلرَّٰسِخُونَ﴾ بلاغة عظيمة؛ حيث إنه يشي بثقل الجبل في الذهن، وثباته على الأرض دون تحوله، وإيمان هؤلاء المؤمنين كذلك؛ فإن إنزال الآيات المتشابهة هو ابتلاء لهم بحملهم على الترتيب، وعدم تأويل القرآن الكريم كما تملي به الأهواء، ولما أدوا الأمانة على وجهها، فقد استحقوا الوصف بالراسخين.

وهذه بعض اللطائف والأسرار البلاغية في الآية:

١- بدأت الآية الكريمة كشأن سابقتها بجعل المسند إليه ﴿هُوَ﴾ ضميراً؛ اعتماداً على قرب مرجعه، وتحقق صفاته في النفس. كما جاء المسند الخبري اسماً موصولاً ﴿ٱلَّذِىٓ﴾ لتبرز الصلة: ﴿أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ..﴾ نعمة من أعظم النعم التي طابت بها نفس رسول الله ﷺ، وسعدت بها روحه.

٢- ومجيء الصلة ﴿أَنزَلَ﴾ على صيغة الماضي لتحقق ثبوت مضمونها.

٣- تقدم الجار والمجرور ﴿عَلَيْكَ﴾ على المفعول به ﴿ٱلْكِتَٰبَ..﴾؛ لإبراز نعمة أخرى هي اختصاص رسول الله ﷺ بهذه النعمة دون غيره.

٤- تقدم الجار والمجرور ﴿مِنْهُ﴾ على المبتدأ ﴿ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ﴾؛ لأن الخبر نكرة مع أنها وُصِفَتْ.

---

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة (٢/٣٩٥)، (باب الراء والسين، وما يثلثهما).

(٢) ينظر: لسان العرب (٣/١٨)، (باب الخاء، فصل الراء).

(٣) ينظر: التحرير والتنوير (٣/٣/١٦٤). حيث شبه عقل العالم بشيء ثقيل، وحذف المشبه، ودل على المشبه به بشيء من لوازمه، وهو الرسوخ على سبيل الاستعارة التصريحية.

٥- شبهت الآيات المحكمات بالأم التي تجمع ما تفرع عنها حولها وتربطها بهم رباطات قوية محكمة[1].

والهجرة في سبيل الله - تعالى - ونصرة الدين، هما من أعظم الصفات التي رسخت في نفس المؤمن، وغيرهما من الصفات التي جاء التعبير عنها بالجملة الاسمية مرة، وبالفعلية ما جاء في قوله - تعالى -: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

مقتضى المعنى:

تبين الآية الكريمة صفات المؤمنين الذين استحقوا الخلود الأبدي في الجنة، وفازوا برضوان الله - تعالى -عنهم، وبما أعد لهم من النعيم، وصفات هؤلاء: أنهم سبقوا هذه الأمة بالإيمان، وتحمُّل أعباء الدعوة والهجرة وآلام فراق الأهل والوطن، وكما تشيد الآية الكريمة بالمهاجرين، فإنها تشيد بالأنصار - رضوان الله عليهم جميعاً - وكذلك تبين فضل ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ﴾ اعتقاداً وقولاً وعملاً[2].

وترتبط الآية المباركة بسابقتها قوله - تعالى -: ﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ ۚ أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ ۚ سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ٩٩].

---

(١) ينظر: معجم البلاغة القرآنية (١/٣١١)، للدكتور محمد بن سعد الدبل.

(٢) ينظر: جامع البيان (٤/١٥٣)، وتفسير القرآن العظيم (٢/٤٢٩)، وفي ظلال القرآن (٣/١٧٠٢، ١٧٠٣)، وتيسير الكريم الرحمن (١/٧٢٤، ٧٢٥).

أنه تعالى لما ذكر القسم الصالح من الأعراب، وقد كانوا متفاوتين في إيمانهم، وكذلك في فهمهم، ولطافة طبعهم، وسرعة إدراكهم لأهمية الشرائع الدينية والأحكام وغير ذلك. فلما ذكر الصالحين منهم في هذه الآية، ناسبه أن يتبعه بذكر فضل المهاجرين والأنصار والثناء عليهم، وبيان ما لهم من الأجر ترغيباً في اللحاق بهم.

من بلاغة التعبير في القرآن الكريم وصف المؤمنين بالجملة الاسمية مرة، وبالفعلية أخرى، ففي قوله - تعالى - : ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾: المراد بالسابقين: أي في الإيمان؛ لأن الآية التي قبلها كانت في شأن المؤمنين من الأعراب، فجاءت هذه الآية الكريمة في تمييز أحوال المؤمنين الخُلص في الإيمان: وهم المهاجرون الذين سبقوا بالإيمان قبل أن يهاجر النبي ﷺ إلى المدينة، وأما السابقون من الأنصار، فهم الذين سبقوا قومهم بالإيمان، وهم أهل العقبتين[1]. **وجاء التعبير عنهم بالجملة الاسمية** ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ...﴾ الآية. للدلالة على بلوغهم الكمال في فضيلة السبق، وأنهم استداموا المحافظة عليها بما يوجب ذلك الفضل والأجر الكريم[2]. وتفسير ﴿مِنَ﴾ في قوله - تعالى - : ﴿مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾ بيانية[3] أشاع في الآية معاني كثيرة، فأوضحت أن السابقين هم الذين سبقوا الناس بإيمانهم، وأن المهاجرين: هم الذين هجروا قومهم وعشيرتهم، ثم فئة الأنصار التي نصرتهم ونصرت رسول الله ﷺ،

---

(١) ينظر: التحير والتنوير (١٧/١١/٦).

(٢) ينظر: نظم الدرر (٩/٧).

(٣) ينظر: مفاتيح الغيب (١٣٦/١٦/٨)، وينظر: حاشية الشهاب (٦٢٦/٤).

وأيضاً فئة التابعين لهم ؛ باعتقاداتهم وأقوالهم وأعمالهم، فهؤلاء الذين استحقوا خالص المدح والثناء، وأفضل الكرامات رضاً من ربٍّ العالمين. فهذا التفصيل والتوضيح ؛ إنما كان بفضل ما أوحت به ﴿مِنَ﴾ البيانية بما لها من قدرة على تجاذب أطراف المعاني، وجمعها في جملة واحدة.

وورد في معنى ﴿مِنَ﴾ أنها للتبعيض، واختلف في المراد مَنْ هم؟ أهم «الذين صلوا إلى القبلتين، أو الذين شهدوا بدراً، أو الذين أسلموا قبل الهجرة»[(١)]. وهذا التفسير يعني أن البعض منهم حاز فضيلة السبق، ونال عظم الأجر، ولكن هذا لا يتواءم مع طبيعة الثناء، وصفة كمال المدح لهم، ثم الجملة الاسمية في قوله - تعالى -: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ﴾ حيث الاسم الموصول فيه إيماء إلى وجه بناء الخبر، وهو خلودهم في الجنان أبداً، مما يشير أنهم استداموا المحافظة على اتِّباعهم السلف الصالح ؛ فلم يحولوا عن شيء من طريقهم[(٢)]. وأما التعبير بالماضي في قوله - تعالى -: ﴿ٱتَّبَعُوهُم﴾ بدل المضارع، رغم أن الاتِّباع لاحق ؛ فلتأكيد أن المؤمنين الصادقين في إيمانهم السائرين في أقوالهم وأعمالهم على منهج السلف الصالح من المهاجرين والأنصار، قد تم

---

(١) أنوار التنزيل (١/٤١٩)، وينظر: حاشية الشهاب (٤/٦٢٧)، والتحرير والتنوير (٦/١١/١٨).

(٢) ينظر: نظم الدرر (٩/٧). كما أن في الآية المباركة إشارة إلى أن أهل السنة والجماعة القدوة الحسنة في أقوالهم وأفعالهم، وأنهم محل القبول والرضا الذي أشارت إليه الآية الكريمة، ولقد ورد أن: علماء السلف من السابقين ومن بعدهم من التابعين أهل الخير والأثر وأهل الفقه والنظر لا يذكرون إلا بالجميل، ومن ذكرهم بسوء فهو على غير السبيل. ينظر: شرح العقيدة الواسطية (٢/٣١١) وما بعدها.

الحكم عليهم بالرضا والقبول، كما حصل للسابقين - رضوان الله عليهم أجمعين -، ولقد هيأت (الباء) التي للملابسة في قوله - تعالى -: ﴿ بِإِحْسَـٰنٍ ﴾؛ لهذا المعنى[1]؛ حيث التعبير بالمصدر (إحسان) قيَّد هذه التبعية، وأضفى على المعنى جانباً عقدياً، يحرز به المؤمن فضيلة الإيمان الصحيح؛ فلا تحصل التبعية، ولا يكون أجرها بمجرد النية والاتباع في شيء، والمخالفة في آخر[2].

ولقد جاء خبر المبتدأ (السابقون) جملة فعلية ﴿ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ ﴾ وقد عُطف عليها الجملتان. قوله تعالى: ﴿ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ ﴾ ثلاثة أخبار في صورة جمل فعلية، وكلها في صيغة الماضي، للتبشير بتحقق هذا الوعد في الآخرة.

ثم مجيء الوصف ﴿ وَرَضُواْ ﴾ جملة فعلية فعلها ماضٍ دلالة على أنه أفاض عليهم من نعمه الدينية والدنيوية[3]، وفي هذا الأسلوب كناية، حيث ذكر الصفة - رضاهم - وأراد لازمها، وهو كثرة إحسانه ﷻ إليهم، حتى رضيت نفوسهم، وقرت أعينهم[4]. وللكناية سرها، حيث أصابت موقعها في التعبير عن خواطر المؤمنين، وما يجيش بدواخلهم؛ فقد أشادت الآية المباركة بفضل المعطي، وذلك في مقابل غيرهم ممن لا يرضى.

ولا يزال التعبير عن صفات المؤمنين في القرآن الكريم عطاؤه ثرٌّ، وجمله متدفقة: اسمية مرة، وفعلية أخرى، ومما يمثل ذلك قوله - تعالى -: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ

---

(١) ينظر: إرشاد العقل السليم (٣/١٨٥)، والتحرير والتنوير (٦/١١/١٨).

(٢) ينظر: بدائع التفسير (٢/٣٧٢).

(٣) ينظر: الكشاف (٢/٢٩٤).

(٤) ينظر: التحرير والتنوير (٦/١١/١٩).

ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [التوبة: ١١١-١١٢].

حول المعنى:

الآيتان الكريمتان بيان لعقد مبايعةٍ عظيمةٍ بين المؤمنين وبين ربهم ﷻ، مضمونها أنه ﴿ٱشْتَرَىٰ﴾ بنفسه العظيمة؛ نفوس المؤمنين وأموالهم سلعةً مبيعةً لله ﷻ، وذلك بأن يبذلوها في جهاد أعدائه رخيصةً؛ لإعلاء كلمته وإظهار دينه.

وهذا العقد صدر من الله ﷻ، ولعظمته فقد نزل الإخبار به في التوراة والإنجيل والقرآن العظيم على لسان رسوله الأمين ﷺ، كما أنه جاء مؤكداً بعدة مؤكدات[1].

ثم بيّن صفات المؤمنين الذين بايعوا الله - تعالى - على بذل أنفسهم فقال: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ...﴾ الآية[2].

وتتصل الآيتان المباركتان بقوله - تعالى -: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ

---

(١) ينظر: بدائع التفسير (٢/ ٣٧٩).

(٢) ينظر: جامع البيان (٤/ ١٦٣، ١٦٤)، وتفسير القرآن العظيم (٢/ ٤٣٨)، وتيسير الكريم الرحمن (١/ ٧٣١، ٧٣٢).

إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ [التوبة: ١٠٧-١٠٩].

ذلك أنه فاضل في هذه الآيات الكريمة بين المساجد، وبيَّن مقاصد أهلها، وبيَّن أن المنافقين والذين في قلوبهم شك وريب، لا بد أن يندموا؛ لأن مصير عملهم إلى النار، وهذا الوعيد الشديد لمن عمل الأعمال الباطلة، أورث فاعله النار، بينما المؤمنون أهل التقوى والصلاح، فإن الله - تعالى - اشترى منهم أنفسهم وأموالهم فأكرمهم بالجنة.

كما تتصل معاني هاتين الآيتين بما سبقها في السورة، قوله - تعالى -: ﴿ قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ﴾ [التوبة: ٢٩]، وتذكيراً بما ورد في قوله تعالى: ﴿ ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا... ﴾ [التوبة: ٤١]، وليفعلوا مثل ما فعله رسولهم الكريم ﷺ، كما أنها جاءت واقعة موقع التعليل للأمر بالنَّفْر بالنفس والمال، لبيان تضامن المؤمنين مع رسولهم ﷺ، وإنفاذهم لعهد ربهم ﷻ بعد أن أطالت الآيات المباركة في استقصاء صفات وأحوال المنافقين، وإبانة فضائحهم وكشفت أستارهم[1].

ومن الأسرار البلاغية في الآية الكريمة التعبير بالجمل الفعلية في قوله - تعالى -: ﴿ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا ﴾.

---

(١) ينظر: نظم الدرر (٩/٢٣-٢٦).

وقد جاءت صفة المؤمنين **جملة فعلية** فعلها مضارع لإفادة التجدد والحدوث، وهذا يعني أنهم يجاهدون أو يقاتلون كلما أُتيحت لهم الفرصة في ذلك. وهذه الجملة المباركة يرى أبو السعود أنها استئناف، وهذا الاستئناف عبارة عن جواب اقتضاه الكلام السابق، وليس بياناً لما قبله، ونص عبارته: «استئناف، لكن لا لبيان ما لأجله الشراء، ولا لبيان نفس الاشتراء؛ لأن قتالهم في سبيل الله - تعالى - ليس باشتراء الله - تعالى - منهم أنفسهم وأموالهم، بل هو بذل لهما في ذلك بل لبيان البيع الذي يستدعيه الاشتراء المذكور، كأنه قيل: كيف يبيعون أنفسهم وأموالهم بالجنة؟ فقيل: يقاتلون في سبيل الله، وهو بذل منهم لأنفسهم وأموالهم إلى جهة الله سبحانه وتعريض لهما للهلاك، وقوله – تعالى -: ﴿فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾ بيان لكون القتال في سبيل الله بذلاً للنفس، وأن المقاتل في سبيله باذل لها، وإن كانت سالمةً غانمةً»[1]، وملخص كلامه أنه استئناف اقتضاه الكلام السابق، وهو بمثابة جواب عن سؤال اقتضاه ما سبقه من الكلام. هذا وأود الإشارة إلى أن الزمخشري يرى أن هذه الجملة المباركة ﴿يُقَٰتِلُونَ﴾ صورتها صورة الخبر، ومعناها الأمر. يقول عن أسلوب هذه الجملة: «فيه معنى الأمر، كقوله - تعالى -: ﴿تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾ [الصف: ١١]»[2]. حيث قال: «تؤمنون... وهو خبر في معنى الأمر»[3].

---

(١) إرشاد العقل السليم (٣/١٩٥).

(٢) الكشاف (٢/٣٠٣).

(٣) المصدر ذاته (٤/٥١٤).

والذي يلوح لي أنه إخبار عن أمرٍ يتصف به المؤمنون، فهو يحكي واقعاً وليس أمراً يريد تحصيله، وإن كان هذا الإخبار في حدِّ ذاته يتضمن حثاً وترغيباً للمؤمنين في الجهاد.

وهذا الأسلوب جرى مجرى التلطف في الدعاء إلى طاعة الله - تعالى - والجهاد في سبيله[1].

والتعبير بالجملة الاسمية من البلاغة، كما في قوله - تعالى -:
﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ...﴾ الآية.

ذلك أنه بعد أن بيَّن - سبحانه - مضمون المعاهدة فيما بينه ﷻ وبين عباده المؤمنين، ثم انتهى الأمر بهم إلى الجنة؛ فإنه - سبحانه - بيَّن صفاتهم، وحسن فعالهم بالجملة الاسمية؛ لأنها تدل على الثبوت والدوام، ففي ذلك مزيد من المدح لهم، ولمن اتصف بصفاتهم، إذ إنهم بلغوا مرحلة الكمال الإيماني، ومن ثم ثبوتهم عليها.

ولقد ورد في إعرابها خمسة أوجه[2]، أرجح منها أن تكون ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ﴾ خبر مبتدأ محذوف، تقديره: هم التائبون، وهذا من باب قطع النعوت، وبهذا

---

(١) ينظر: الفتوحات الإلهية (٣/٣١٥).

(٢) وأما الأوجه الأخرى في إعرابها: أنها مبتدأ، وخبره ﴿ٱلۡعَٰبِدُونَ﴾، وما بعده أوصاف أو أخبار متعددة عند من يرى ذلك. الثاني: أن الخبر قوله: ﴿ٱلۡأٓمِرُونَ﴾. الثالث: أن الخبر محذوف، أي: التائبون الموصوفون بهذه الأوصاف من أهل الجنة، ويؤيده قوله: ﴿وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾، وهذا رأي من يرى أن آية الشاهد الكريمة منقطعةٌ عما قبلها، وأن هذه الأوصاف ليست شرطاً في المجاهدة. الرابع: أن ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ﴾ بدل من الضمير المتصل في ﴿يُقَٰتِلُونَ﴾. ينظر: الدر المصون (٦/١٢٩)، والفتوحات الإلهية (٣/٣١٦).

الوجه الإعرابي نعتبر أن هذه الصفة ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ﴾ هي من صفات المؤمنين في قوله - تعالى -: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الآية: ١١١]. مما يجعل الكلام في الآيات الكريمة مترابطاً متلاحماً أوله بآخره، ويعطي صورة رائعةً رائقةً من صفات المؤمنين المجاهدين في سبيل الله ﷻ بأموالهم وأنفسهم، وفي ذلك دعوة إلى امتثال هذه الصفات العظيمة لبلوغ درجات الرقي الإيماني[1].

وأجد مسوغاً آخر، وهو أنْ يكون قوله تعالى: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ﴾ من باب قطع النعوت، وهو ما سبقها في أواخر سورة الأنفال، قوله - تعالى -: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمۡۚ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ﴾ [الآية: ٧٥] حيث وصف المؤمنين حقاً بأنهم أولئك المهاجرون والمجاهدون بأموالهم وأنفسهم، ووصفهم بعد ذلك في سورة التوبة بأنهم ﴿هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ﴾؛ حيث قال - تعالى -: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ أَعۡظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ﴾ [الآية: ٢٠]، فأجد أنهم استحقوا لقب ﴿ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗا﴾، وبلوغ أعظم درجات الإيمان، واستحقوا كذلك الفوز بالجنة، وبرضا رب العالمين؛ فناسب هذه المراتب أن تكون أوصافهم مستكملة مع الجهاد التوبة من الذنوب وعبادة الله ﷻ على وجهها الصحيح.

---

(١) ينظر: الكشاف (٢/٣٠٣)، والمحرر الوجيز (٨/٢٨٤)، والدر المصون (٦/١٢٩).

ومن اللطائف البلاغية في الآية الكريمة الآتي:

١- افتتاح الآية بـ(إنّ) في قوله - تعالى -: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ...﴾ لتأكيد الخبر، ولتقرير هذه الحقيقة العظيمة، وهي أنه لم يشترط في المؤمن سوى الإيمان والجهاد، وقيل هذه الصفات شرط في المجاهد[1].

٢- الاستعارة في قوله - تعالى -: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ...﴾ حيث شبه قبول أرواحهم وأموالهم بالشراء. ثم تنوسي التشبيه، وادّعي أن قبول الأرواح فرد من أفراد الشراء. ثم استُعير الشراء للقبول. ثم اشتُق عن الشراء بمعنى القبول؛ اشترى بمعنى قَبل. على سبيل الاستعارة التبعية التصريحية، والقرينة أن الأرواح لا تشترى[2].

٣- والتعبير بلفظ ﴿ٱشْتَرَىٰ﴾ فيه لطف في التعبير، يناسب مقام المجاهدين، وذلك بما يوحيه لفظ الاشتراء من الدلالة على الغبطة والسرور، لتحقق رغبةً في المُشتَرَى، بدلالة تقديم الأنفس على الأموال؛ لأنها الأشرف الذي لا يمكن تعويضه[3].

٤- (اللام) في قوله - تعالى-: ﴿لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾ للملك والاستحقاق وتقديم الجار والمجرور وهو خبر عن ﴿ٱلْجَنَّةَ﴾ لإفادة القصر.. أي لهم لا لغيرهم، وهو قصر (تنزيلي)[4] بمعنى أن المجاهدين لفضلهم عند الله - تعالى -: فكأن الجنة لم تخلق إلاّ لهم.

---

(١) ينظر: البحر المحيط (٥/١٠٦).

(٢) ينظر: إرشاد العقل السليم (٣/١٩٥).

(٣) ينظر: المصدر ذاته (٥/١٠٥).

(٤) القصر التنزيلي هو: الادعائي. وتأدباً سمي كذلك. ينظر: التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الكريم (٢/٢٩).

٥- في الآية شبه كمال اتصال في قوله - تعالى -: ﴿يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، لأن اشتراء الأنفس والأموال المذكور في مستهل الآية لغرابته في الظاهر، أثار سؤالاً تقديره: كيف يبذلون أنفسهم وأموالهم؟ فكان الجواب: ﴿يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ الآية[1]، ولما بيْن السؤال والجواب من ارتباطٍ وثيقٍ، ترك العطف بينهما، وهو من المواضع التي يتحتم فيها الفصل؛ لأن الجواب لا يعطف على جملة السؤال الذي تضمنته الجملة الأولى.

٦- وفي قوله - تعالى -: ﴿فَٱسْتَبْشِرُوا۟﴾ التفات من الغيبة إلى الخطاب؛ لأن في مواجهتهم بخطابه - تعالى - تشريفاً لهم[2].

٧- جملة ذلك ﴿ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ تذييل للآية الكريمة[3] فيه حث وترغيب على الجهاد، هذه الجملة الكريمة بيان أن الله - تعالى - أعلى مقام المؤمنين المجاهدين وجعلهم مالكين معه ومبايعين[4].

٨- وضع الظاهر موضع المضمر في قوله - تعالى -: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ للتنبيه على أن الإيمان في هذه الآية الكريمة مدار الأمر، وهو المعول عليه في البشارة.

وحذف المفعول به: وهو المُبشَّر به لخروجه عن حدّ البيان[5].

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير (٦/١١/٣٨).

(٢) ينظر: البحر المحيط (٥/١٠٦)، وإرشاد العقل السليم (٣/١٩٦).

(٣) ينظر: إرشاد العقل السليم (٣/١٩٦)، والتحرير التنوير (٦/١١/٤٠).

(٤) ينظر: تفسير المنار (١١/٤٩).

(٥) ينظر: إرشاد العقل السليم (٣/١٩٧)، وتفسير المنار (١١/٥٥).

٩- صفات المؤمنين نسيج مترابط في قوله - تعالى-: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ﴾ الآية. فإن هذه الصفات متلازمة مترابطة في نفسها من حيث المعنى؛ لأن ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ﴾ أراد بها من الذنوب كلها[١]، والبدء بالتوبة فلأنه أساس الأعمال الصالحة، وهي المنطلق في غيرها من العبادات. ثم وصفهم ﴿ٱلۡعَٰبِدُونَ﴾ أي الذين يلازمون العبادة قولاً وعملاً، مخلصين لله - تعالى -[٢]، وناسب ذكرها بعد التوبة؛ فلأنه لا يستقيم أمر العبادة إلاّ بالتوبة والاستقامة على العبادة كلها.

ثم ﴿ٱلۡحَٰمِدُونَ﴾ وهم المثنون عليه - سبحانه - في السراء والضراء[٣]، وناسب ذكرها بعد ﴿ٱلۡعَٰبِدُونَ﴾ حتى تكون بمثابة إقرار لساني باعترافهم بالدين والتزامهم به[٤]. ثم ﴿ٱلسَّٰٓئِحُونَ﴾، وهي ترك ملاذ الإنسان من طعام وشراب وغيرهما لله - تعالى - لذلك كان الصوم، وهو المراد بالسياحه من أفضل الأعمال[٥].

ثم أتبع ذلك بصفة ﴿ٱلرَّٰكِعُونَ﴾، وهي إحدى أجزاء الصلاة، ثم أتبعها ﴿ٱلسَّٰجِدُونَ﴾، ولقد خُص الركوع بالذكر فالسجود؛ وذلك لأن باقي أعمال الصلاة ومراتبها معروفة موافقة للعادة. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، فإنهما دليل على منتهى الخضوع لله - تعالى -[٦].

---

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم (٤٣٨/٢).

(٢) ينظر: نظم الدرر (٢٦/٩).

(٣) ينظر: إرشاد العقل السليم (١٩٧/٣).

(٤) ينظر: نظم الدرر (٢٦/٩).

(٥) ينظر: تفسير القرآن العظيم (٤٣٨/٢).

(٦) ينظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٥٥٩/٥).

والملاحظ أن صفات المؤمنين في هذه الآية جاءت في مقام التعداد، ولم يتوسطها عاطف لاتحاد موصوفها، وكذلك لترابطها بعضها مع بعض، وأنها في ترابطها كأنها صفة واحدة. ولكن لما ذكر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عطف بينهما لما بينها من تلازم، بل حسن العطف لأن كل وصف (من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) قائم بذاته؛ إذ لا بد أن يظهر أمره بالمعروف بوضوح وكذلك نهيه عن المنكر. وحسن العطف بينهما، كذلك لما بينهما من التضاد؛ فالأمر بالمعروف، وهو طلب حدوث أمرٍ محبوبٍ، والنهي عن المنكر، وهو نقيضه، أي إبطال أمرٍ غير مرغوبٍ فيه، فلذلك حسن العطف[1].

وجاء التعبير بالجملة الاسمية والفعلية ما صوَّر أخلاق المؤمنين وصفاتهم عند اشتداد الحرب، وما اعتور ذلك من مشاعر متداخلة تجسَّد فيها صدق الإيمان، والخوف من الأعداء، والرجاء في النصر في قوله – تعالى -: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الأحزاب ٢١-٢٤].

حول المعنى:

ابتدأت الآيات الكريمة بإبراز صورة مضيئة، مشرقة الجوانب من حياة النبي ﷺ، الذي أحبَّ قومه وأحبوه في مواقفه العظيمة، فبدا جندياً في وسط معركة

(١) ينظر: بدائع الفوائد (٣/٥٣، ٥٤).

الأحزاب - الخندق - مع المؤمنين يوجههم ويعلمهم ويرشدهم. وهذه المعركة قد زلزلت المؤمنين ومحصتهم، فأظهرت من خصائص صفاتهم ما يختلف عن صفات المؤمنين في غيرها من المواقف، ومن تلك الصفات ثباتهم على الإيمان، ثم زيادة الإيمان في قلوبهم، وهذه صفة كاملي الإيمان. كما وصفهم أخرى بالرجال على الحقيقة؛ لأنهم صدقوا في الوفاء بعهد الإيمان، والثبات مع النبي ﷺ مع علمهم بأن موتهم محقق، ولكنهم أحبوه؛ لأن في ذلك الشهادة في سبيل الله - تعالى - التي يتطلبها المؤمنون. وإن كان الذي توفي شهيداً قد مضى إلى الجنة؛ فإن غيره من رفاق الخير ينتظرون الموت على طريقه، وهذه صفة متميزة أشد من الموت ذاته. وأخيراً ثبتوا متميزين بوفائهم لعهودهم؛ متأسين رضي الله عنهم في ذلك برسولهم الكريم ﷺ في صبره ومصابرته، وانتظاره الفرج من ربٍّ العالمين(1).

وترتبط الآيات الكريمة بسابقتيها قوله - تعالى -: ﴿يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟ ۖ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ ۖ وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٠].

لما كانت هاتان الآيتان الكريمتان عتاباً للمنافقين وللذين في قلوبهم زيغ على مواقفهم المخزية مع رسول الله ﷺ، ومع أصحابه الكرام؛ حيث تخلى هؤلاء عن مناصرة المؤمنين، وعن مؤازرتهم، ونقضوا عهود الولاء - لما كان منهم هذا الموقف - ناسبه في الآية التي تليها أن يبين من هو القدوة الحسنة التي يجب

---

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم (٣/٥٢٠)، وتفسير الجلالين (ص ٥٥٢، ٥٥٣)، وتيسير الكريم الرحمن (٢/٣٨٢، ٣٨٣).

أن تحتذى، ثم في آية الشاهد الكريمة أقبل - تبارك وتعالى - على المؤمنين بالخطاب في عموم جماعتهم، لبيان حال الراسخين في أوصاف الكمال، ثناءً على تأسيهم وعلى ثباتهم مع رسولهم الكريم ﷺ معدداً صفاتهم، ومبيناً مناقبهم التي امتازوا بها على غيرهم من أولئك المنافقين[1].

البلاغة القرآنية في التعبير بالجملة الاسمية تارة وبالفعلية أخرى:

الجملة الفعلية في قوله - تعالى -: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾:

حيث التعبير بفعل الكون ماضياً ﴿كَانَ﴾ يدل على تأصل صفة تأسي[2] المؤمنين برسولهم ﷺ، ويفيد أن الإيمان رسخ في نفوسهم، حتى أصبح جبلّة وطبعاً، فهو قدوتهم في كل شيء.

ويتأمل وصف المصطفى ﷺ بالأسوة الحسنة مطلقاً، دون قيد، أو وصفٍ خاصٍ، فيه دلالة على شمول الائتساء به في أقواله بامتثال أوامره، واتّباعه في أقواله وأفعاله، وشجاعته وثباته عند الشدائد، واجتناب النواهي[3].

فنتج من التعبير بالجمة الفعلية ﴿كَانَ﴾ دلالة على ثبات المؤمنين على صفات رسولهم ﷺ، وأكد ذلك بمؤكدين: هما اللام، وقد في قوله - تعالى -: ﴿لَّقَدْ﴾، كما أنّ فيه تعريضاً بمن لم يؤمن، وبمن لم ينتفع بالرسول ﷺ.

---

(١) ينظر: جامع البيان (٦/١٧٠، ١٧١)، ونظم الدرر (١٥/٣٢٤)، وروح المعاني (١١/٢١/١٦٤، ١٦٥)، والتحرير والتنوير (١٠/٢١/٣٠٢).

(٢) أسوة: من أسا: «الأُسوة والإسْوة، كالقِدوة والقُدوة، وهي الحالة التي يكون الإنسان عليها في اتباع غيره، إنْ حسناً وإنْ قبيحاً، وإنْ ساراً، وإنْ ضاراً». المفردات (ص ١٨).

(٣) ينظر: التحرير والتنوير (١٠/٢١/٣٠٣).

والخطاب في الآية الكريمة ﴿لَكُمۡ﴾ للعموم، مراد به الثناء على عموم جماعة المؤمنين على ثباتهم على صفات نبيهم ﷺ، وإنَّ تفاوت درجات تقلدهم تلك الصفات، تأتي تبعاً لإيمان كل مؤمن منهم[1]، ولا يخفى ما في خطاب المولى - تبارك وتعالى - للمؤمنين من التعظيم والتشريف.

ولقد ورد التعبير عن هذه المعاني، والإشارة إلى المؤمنين بما فيه صلاحهم **بأسلوب التجريد**، الذي جاء به حرف الجر ﴿فِي﴾، فأفاد المبالغة في الوصف، إذ جُرِّد من الموصوف، وهو الرسول ﷺ الذي اتصف بالأسوة والقدوة - بل هو الأصل فيها - موصوفاً آخر ليكون مثله، فقيل: في رسول الله أسوة[2].

والغرض منه: الحث على «الاقتداء به ﷺ في أمر الحرب، من الثبات ونحوه، فهي عامة في كل أفعاله ﷺ إذا لم يُعلم أنها من خصوصياته، كنكاح ما فوق الأربع»[3].

والوصف بالأسوة الحسنة، وبأسلوب التجريد الذي أظهر المصطفى ﷺ في أبهى صفات البشرية كمالاً وصدقاً وجمالاً، نجد أنّه ألقى بسلطان معانيه على المؤمنين، فأكسبهم منها صفاتٍ مثلها، وإنْ كانت تماثلها في القول والفعل، إلاّ أن درجات تقلدهم صفات المصطفى عليه السلام تختلف تبعاً لإيمان كل مؤمن.

وأما الجملة الفعلية ﴿لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا﴾، فهي بدل من الكاف في قوله تعالى: ﴿لَكُمۡ﴾، حيث أراد بها تخليص المؤمنين من النفاق، ومدحهم بصفة تقوى الله - تعالى -، وأنهم ليسوا كغيرهم.

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير (١٠/١٢/٣٠٢).

(٢) ينظر: المصدر ذاته (١٠/٢١/٣٠٣).

(٣) روح المعاني (١١/٢١/١٦٥).

ومن البلاغة عطف الذكر على الرجاء في قوله - تعالى -: ﴿لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ لأن المثابرة على كثرة ذكر الله - تعالى - تؤذن بملازمة الطاعة، مما يتحقق معه متابعة الرسول الكريم، فهو للمؤمنين قدوة في كل أعمالهم[1].

وقيد الذكر بقوله: ﴿كَثِيرًا﴾ تحقيقاً لمعنى الإيمان الذي به يتم الفلاح، وفي هذا إشارة إلى وجوب ذكره في السراء والضراء.

ثم أنه لما اشتدت رحى الحرب، وظهرت النفوس على حقائقها، تجلت روح المؤمنين بقوتها، وصفاء إيمانها، وحضورها الذهني، حيث إنهم في خضم إقبال الأحزاب، وتآلبهم على المؤمنين، تذاكر المؤمنون وعد الله - تعالى - ، ووعد رسوله ﷺ، فلم يجدوا بُداً من الإقرار، والشهادة بصدق الله ﷻ، وصدق رسوله ﷺ، فجاء التعبير بالجملة الفعلية في قوله - تعالى -: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ فعلها ماضٍ يدل على تحقق صفة الإقرار بعظمة المولى - تبارك وتعالى -، وبعظمة رسوله ﷺ؛ فإن ما للماضي من صفة تحقق الفعل قد أكسبت الموصوفين صفة الكمال الإيماني: «ففعل ﴿صَدَقَ﴾ فيما حكي من قول المؤمنين: ﴿صَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ مستعمل في الخبر عن صدق مضى، وعن صدق سيقع في المستقبل محقق وقوعه، بحيث يجعل استقباله كالمضي، مثل: ﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ﴾، فهو مستعمل في معنى التحقق»[2].

---

(١) ينظر: روح المعاني (١١/٢١/١٦٦).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير (١٠/٢٠/٣٠٤، ٣٠٥).

والأسلوب الكريم في قوله - تعالى - : ﴿قَالُوا هَـٰذَا..﴾ كناية عن ثباتهم على صفة الإيمان، فَذَكَر فعل القول وما يتعلق به، وأراد لازمه، وهو الثبات على الإيمان.

وسر بلاغتها: أنه قدم المعنى مصحوباً بدليله، ووراء ذاك شيء آخر، وهو عدم المباشرة لذلك المعنى[1]، فإن المتلقي قارئاً أو سامعاً لا يدرك المعنى المقصود إلاّ بشيء من التأمل، وتلك طبيعة القول البليغ، وهذا ما ألمح إليه الشيخ الألوسي بقوله: «المراد ظهر صدق خبر الله - تعالى - ورسوله ﷺ؛ لأن الصدق محقق قبل ذلك، والمترتب على رؤية الأحزاب ظهوره، وجوَّز أن يكون المعنى، وصدق الله - تعالى - ورسوله ﷺ، في النصرة والثواب، كما صدق الله - تعالى - ورسوله في البلاء»[2].

ثم تفيض الآيات بجلال صفات هؤلاء المؤمنين، فتذكر نتائج اتباعهم لله - تعالى - ولرسوله الكريم - وهو زيادة الإيمان -؛ بالجملة الفعلية في قوله ﷻ:

---

(١) المباشرة بالمعنى: معروف أن الكناية هي من كنى عن الشيء يكني: إذا ستره ولم يصرح به، كما في قول الشاعر النابغة الجعدي:

أُكني بغير اسمها وقد علم ... اللهُ خفيَّات كل مكتتم

والبيت من البحر المنسرح، وهو في: شعر النابغة الجعدي (ص ١٥٠)، تحقيق: عبد العزيز رباح، منشورات المكتب الإسلامي بدمشق، الطبعة الأولى ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م، والكامل في اللغة والأدب (٥/٢)، لأبي العباس محمد بن يزيد المعروف بالمبرد، الناشر: مكتبة المعارف، بيروت، بدون تاريخ طبعة.

(٢) روح المعاني (١١/٢١/١٦٦).

﴿وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَـٰنًا وَتَسْلِيمًا﴾[1]، وفعلها ماضٍ ﴿زَادَهُمْ﴾، فدل على تحقق فعل زيادة الإيمان، وتمكنه من قلوبهم، ورسوخه فيها، وهي نتائج طمأنينة القلب، ورضاء العبد المؤمن بما قضى وقدر - سبحانه -؛ بل إنَّ هذا الاختيار الصعب ما زادهم إلاَّ إيماناً واستسلاماً، فكما وصفت الآية الكريمة قلوبهم بزيادة الإيمان، وصفت جوارحهم بالاستسلام، وبصيغة التفعيل في قوله - تعالى -: ﴿وَتَسْلِيمًا﴾ التي لا تدل على مطلق الإسلام لله ﷻ؛ بل هو استسلام خالط جوارحهم، كما مازج قلوبهم.

---

(١) ورد أنه لما اشتد البلاء على المسلمين، فقد بعث الرسول ﷺ إلى السعدين: سعد بن عبادة، وسعد بن معاذ في أن يعطي ثلث ثمار المدينة تلك السنة لعيينة بن حصن، وللحارث بن عوف، وهما قائدا غطفان، على أن يرجعا عن المدينة، فقالا: يا رسول الله، أهو أمر تحبه فنجيبك إليه، أم شيء أمرك الله به، أم شيء تصنعه؟ فقال ﷺ: (**بل شيء أصنعه لكم، والله ما أصنع ذلك إلاَّ لأني رأيت العرب قد رمتكم عن قوسٍ واحدة، وكالبوكم من كل جانب، فأردت أن أكسر عنكم من شوكتهم إلى أمرٍ ما**). فقال سعد بن معاذ: يا رسول الله، قد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله، لا نعبد الله، ولا نعرفه، وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها ثمرة واحدة إلاَّ قِرىً، أو بَيْعاً، أفحين أكرمنا الله بالإسلام، وهدانا إليه، وأعزَّنا بك وبه نعطيهم أموالنا؟ ما لنا بهذا من حاجة، والله لا نعطيهم إلاَّ السيف، حتى يحكم الله بيننا وبينهم، فقال رسول الله ﷺ: (**فأنت وذاك**). ينظر: السيرة النبوية (١٣٣/٣) لابن هشام عبدالملك بن هشام المَعافري، تعليق: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة القاهرة، بدون تاريخ طبعة.

ويتبين من خلال القصة، ومضمون الحوار الذي أجري فيها صفة من صفات المؤمنين، وهي مطلق التسليم، والرضا بما أمر به المصطفى ﷺ، وتبع هذا تسليم أنفسهم الكريمة للقتال رضي الله عنهم وأرضاهم.

وهذا حالهم بخلاف حال المنافقين الذين لم يجاوزوا به ألسنتهم[١].

ولنتابع صفات هؤلاء المؤمنين، فقد ورد بعد التنويه بذكرهم والثناء عليهم توفية لفضلهم وصفهم بالصدق، وجاء هذا الوصف في إطار (**جملة اسمية**) هي قوله - تعالى -: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾؛ فرجال مبتدأ مؤخر، وقوله - تعالى -: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ خبر المبتدأ مقدم، والجملة الفعلية: ﴿صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ صفة لهؤلاء المؤمنين، وهذا التعبير يسمى بالجملة الصغرى عند ابن هشام[٢]، لأن الجملة الصغرى تعتبر جزءًا من جملة أخرى؛ لأن تشريك الجملة الأولى مع الثانية في الحكم، فيه مزيد توضيح، فلا تحتاج إلى تأملٍ في معرفة الحكم.

والتعبير بوصف ﴿رِجَالٌ﴾ في قوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ﴾ فيه بعث لدواعي القوة والشجاعة والثبات أوقات الشدائد، وهي من الصفات التي ينفرد بها الرجال دون النساء، وفي تنكيرها تعظيم لشأنهم.

والطاهر بن عاشور يرى أن فيها زيادة الثناء عليهم؛ لأن الرجل مشتق من الرِّجل، وهي قوة في اعتماد الإنسان عليها[٣].

ومجيء الصيغة على وزن فاعل في ﴿عَـٰهَدُوا۟﴾ يدل على المشاركة بين طرفين، وهي مناسبة أشد المناسبة لمعنى العهد الذي لا يقوم إلاّ على أقل من اثنين، وفي ذكر لفظ الجلالة تعظيم لهذا الشأن.

---

(١) ينظر: نظم الدرر (١٥/ ٣٢٥).

(٢) الجملة الصغرى: هي المبنية على المبتدأ كما في قولهم: (قام أبوه) جملة صغرى في إطار الجملة الكبرى (زيد قام أبوه). ينظر: مغني اللبيب (ص ٩٧).

(٣) ينظر: التحرير والتنوير: (١٠/٢٠/٣٠٧).

وفي تأخير الجار والمجرور، دليل على أنهم عاهدوا الله ﷻ على الثبات عند الحرب، وكذلك صدقوا على غيره من العهود، وهذا المعنى لا يكون لو تقدم الجار والمجرور.

وتجلت زيادة الإيمان في قلوبهم أنهم التزموا بقضاء ما عاهدوا الله - تعالى - عليه من الثبات على شدائد القتال والجهاد في سبيله، ولقد جاء التعبير عن ذلك بالجملة الاسمية التي تدل على الثبات في قوله - تعالى -: ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ﴾، فالجار والمجرور ﴿مِنْهُم﴾ خبر مقدَّم، والاسم الموصول مبتدأ مؤخر، والجملة الفعلية ﴿قَضَىٰ نَحْبَهُۥ﴾ صلة الموصول لا محل لها من الإعراب، وكذلك الشأن في قوله - تعالى -: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ﴾.

ومن عظيم صفات المؤمنين الثبات على العهود، وعدم تبديل المواثيق - كما فعل غيرهم - في قوله - تعالى -: ﴿وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ فعبَّر عن هذه الصفة بالفعل الماضي منفياً، لتأكيد نفي التبديل والتغيير عنهم.

ومن البلاغة في الآية:

الإظهار في موضع الإضمار في قوله - تعالى -: ﴿لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّـٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ﴾ للدلالة على عظم الجزاء[1].

والتعبير بفعل الكون (كان) في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ ألف جملةً فعلية، مفادها أنَّ المغفرة والرحمة صفتان ذاتيتان ثابتتان لله - تعالى - ليطمئن المؤمن على نصرته وأجره، ويتأهب المنافق للعودة إلى منابع الدين الصافية بالتوبة النصوح، فالمغفرة أبوابها مشرعة دائماً في انتظار الأوابين.

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير: (١٠/٢١/٣٠٩).

المبحث الرابع
التقييد والإطلاق

التقييد لغة:

القاف والياء والدال كلمة واحدة هي القيد المعروف، ثم يستعار لكل ما يحبس[١]، وقولهم: قيْد الأوابد: معناه أن يلحق الوحش لجودته، ويمنعه من الفوات بسرعته، فكأنها مقيدة له لا تعدوه[٢].

التقييد في اصطلاح البلاغيين:

تقييد الفعل أو ما يشبهه من اسم الفاعل أو اسم المفعول وغيرهما؛ بإحدى المفاعيل، أو الحال، أو التمييز، أو الاستثناء، وهو باب دقيق المسلك، من ضبطه حاز علماً كثيراً.

ويكون التقييد بالصفة أو الشرط، أو الزمان[٣]. والحكم يكون مقيداً إذا تعلق غرض معين بتقييده؛ بحيث لو حذف القيد انعدمت الفائدة.

أغراضه البلاغية وفائدته: «تربية الفائدة وتقويتها؛ لأن ازدياد التقييد يوجب ازدياد الخصوص، وهو يوجب ازدياد البعد الموجب لقوة الفائدة»[٤].

لا فرق في ذلك بين تقييد المسند إليه، أو المسند، ولا بين التقييد بمفعول أو تابع ونحوهما.

---

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة (٥/٤٤)، (باب القاف والياء وما يثلثهما).

(٢) ينظر: لسان العرب (٣/٣٧٢)، (باب الدال، فصل القاف).

(٣) ينظر: الصاحبي (ص٣١٦).

(٤) حاشية السيد علي المطول (ص ١٥١)، طبعة أحمد كامل، تركيا، سنة ١٣١٢هـ، وهي الطبعة الوحيدة.

من خواص تراكيب التقييد: ففي قول القائل: (كان زيد) بدون الخبر، لا يُعد في الحكم أنه تقييد لتربية الفائدة. وأما في قول القائل: (وكان زيد منطلقاً)؛ فإن (منطلقاً) هي المقيد؛ لأنها المسند، وهو الأصل، إذ القول: (زيد منطلق)، وأما القيد فهو (كان)، ففي القول: كان زيد منطلقاً، زمن الفعل الماضي لكان قيْدٌ لانطلاقة زيد؛ لأن المعنى بالقول: (كان زيد منطلقاً) يزداد المعنى في الذهن وضوحاً، باستمرار انطلاقة زيد[1].

أما التقييد بالتوابع، وذلك لنكاتٍ، منها: تمييزه بتخصيصه إن كان نكرة، وتوضيحه إن كان معرفة، وكذلك الكشف عن حقيقته، والتأكيد في نحو أمسٍ الدابر، وبيان المقصود وتفسيره كما في قوله - تعالى -: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ [الأنعام: ٣٨].

وأما التقييد بضمير الفصل؛ فإنه يكون لأغراضٍ، منها: التخصيص، وتأكيد التخصيص إذا كان التركيب يخصص آخر، كما في قوله - سبحانه -: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ﴾ [الذاريات: ٥٨]، وكذلك تمييز الخبر عن الصفة، نحو: (الفصيح هو جيد البيان طلق اللسان).

ثم التقييد بالشرط، وأدواته: (إنْ، لو، إذا)، فبينها من الفروق الدقيقة التي تلائم مباحث هذا الموضوع. إذ إن المقصود من الجملة الشرطية عند علماء العربية هو: النسبة التي يدل عليها الجزاء؛ سواء أكانت خبرية أم إنشائية، وقد

---

(١) ينظر: حاشية السيد علي المطول (ص ١٥١)، وما جرى على (كان)، فإنه ينطبق على كل النواسخ، وهي الأفعال الناقصة وأفعال القلوب.

خرج بدخول الأداة عليه عن كونه خبراً، كما هو القول: إن نجحت أكافئك، وقول: إن جاء محمد فأكرمه، أي أكرمه حال مجيئه، أو وقت مجيئه. وكل أداة من أدوات الشرط لها دلالاتها الخاصة[١].

الإطلاق: «أن يذكر الشيء باسمه، لا يقرن به صفة ولا شرط ولا زمان ولا عدد ولا شيء يشبه ذلك»[٢].

وهذا يعني أن الجملة تتكون من ركنين أساسيين، هما: المسند، والمسند إليه؛ فإذا اقتصرت على ذلك كان الحكم مطلقاً. **والإطلاق** وصف للحكم؛ فإذا لم يحصر الحكم ضمن نطاق معين كان مطلقاً.

وعلى هذا فإن **الإطلاق** في عُرف البلاغيين: هو الدال على الماهية بلا قيدٍ، وهو مع القيد كالعام مع الخاص[٣].

ومن الشواهد القرآنية على **التقييد والإطلاق** ما جاء من صفات المؤمنين في قوله - تعالى -: ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا ۗ إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾ إِذْ هَمَّت طَّائِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا ۗ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰ ۚ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ

---

(١) علوم البلاغة (ص ١٣٤، ١٣٥)، لأحمد مصطفى المراغي، بدون تاريخ طبعة.

(٢) البرهان في علوم القرآن (٢/ ١٥)، وينظر: الإتقان في علوم القرآن (٢/ ٤٠).

(٣) ينظر: البرهان في علوم القرآن (٢/ ١٥)، والإتقان في علوم القرآن (٢/ ٤٠).

ءَالَفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ۞ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۗ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴾ [آل عمران: ١٢٠-١٢٦].

الآيات الكريمة خطاب للمؤمنين الذين تحقق إيمانهم، واستقاموا عليه، ولقد كان الشرط أحد الدعائم الأساسية التي قامت عليها صياغة معاني الآيات لتقوية عزيمة المؤمنين، وشدِّ أزرهم بما فيه من مغريات، كما أنه قيد صفات المؤمنين التي تدعوهم إلى الثبات على طاعة الله ﷻ، واتباع أوامره، واجتناب ما نهى عنه من اتخاذ بطانة من غير المؤمنين، ثم بيان أثر التوكل، وذلك لبيان أهمية اتخاذ الأسباب.

والآيات ترتبط بما قبلها في قوله - تعالى -: ﴿ هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ [آل عمران: ١١٩].

فقد أخبر في هذه عن بغض الكفار وشدة عداوتهم للمؤمنين[١]، وناسب في آيات الشاهد أن يبين حقيقة هذه العداوة وطبيعتها، وأنها تتمثل في قوله - تعالى -: ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ...﴾ الآيات[٢].

التقييد والإطلاق في صفات المؤمنين، وأثره في إبراز صورهم: وهم يطيعون الأوامر، ويتقبلون النصائح، ويجتنبون النواهي، طاعة لله ﷻ، وطاعة لرسوله الكريم ﷺ، وصدقاً في إنجاز مهام الدعوة التي صدَّقوا بها. فمن ذلك

---

(١) ينظر: جامع البيان (٢/٣١٨ -٣٢٥).

(٢) ينظر: نظم الدرر (٥/٤٠).

ابتعادهم عن الكفار ومجانبتهم ؛ لأن كيدهم مهما عظم فهو ضعيف ؛ لذلك جاءت الآية الكريمة مصدرة بـ﴿إن﴾ التي تفيد تقييد الكلام الذي لم يكن مجزوماً بوقوعه، وإن كان من النادر حصوله ووقوعه، وهذا التعبير مستعمل في موضعه، حيث أعطى الكلام المبارك كمال المعنى، وناسبه أشد المناسبة ؛ لأن أحوال المؤمنين متباينة، وأنه من الندرة وقوع ذلك كما أوحى به التعبير بالفعل المضارع الذي يدل على التجدد، فمرة تمسهم الحسنة فتبهت الكافرين، وأخرى تصيبهم بعض الأحوال السيئة فيفرح لها أولئك الأعداء، ولقد تكرر التقييد بالحرف ﴿إن﴾ تقييداً لمواقف الكافرين تجاه المؤمنين، وافتُضح أمر حقدهم ،كما أن هذا التقييد أظهر من جانبٍ آخر أن المؤمنين معرضون للسراء والضراء ؛ تمحيصاً لصدق دينهم، ولبيان استحقاقهم الجنة.

ويتكرر الخطاب بحرف الشرط ﴿إن﴾، حيث قُيد انتفاء الضرر بالصبر والتقوى ؛ فقال - تعالى - : ﴿إِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ﴾ فهذا القيد أثبت لهم التحلي بهذه الصفات، ورغّبهم فيها ليكون لهم وقاية ؛ لأن المشركين يحيطونهم بالمكائد والدسائس.

وحُذِف متعلق الفعلين : إطلاقاً لهاتين الصفتين من القيود والالتزام بمواقف معينة، ولتذهب فيهما النفوس كل مذهب، فالصبر والتقوى من الصفات المستحبة، والواجب تقلدها في جميع الأحوال، كما جاء في قوله ﷺ : (عجباً لأمر المؤمن، إن أمره كله له خير، وليس ذاك لأحدٍ إلاّ للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له)[1].

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الرقاق، باب المؤمن أمره كله خير، (ص ١٥٩٨)، رقم (٢٩٩٩).

أما مناسبة القيد بحرف الشرط ﴿إن﴾ دون غيره ؛ فلأنه لما كان الصبر عزيز المنال في مثل هذه الأحوال، ناسبه استعمالها، مما يؤدي إلى معنى تفاوت مراتب الصبر بين المؤمنين، فهناك الصبر على المصائب، والصبر على عدوٍ ينتظر أن تحل بهم الدوائر.

ثم امتنَّ عليهم بالنصر في قوله - تعالى -: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ﴾ **فقيد** موضع النصر ؛ الذي عليه مدار الامتنان بالجار والمجرور ﴿بِبَدْرٍ﴾ تذكيراً بحالهم في ذلك المكان. وحالة كونكم أذلاء، حيث قال - تعالى -: ﴿وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾[1]، إذ جاءت جملة الحال مقيدةً لهم بوصف الذلة، تذكيراً لهم بما كانوا عليه من الضعف والقلة، وبما كانوا عليه في الآية السابقة.

ثم التقييد بالجار والمجرور مرة أخرى في قوله - تعالى -: ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ...﴾ [الآية: ١٢٥]، ولما كان الإمداد بالملائكة بشرى للمؤمنين حتى لا يدخلهم الوهم أنه لضدهم، بل هي بشرى لهم ؛ لذلك **قيدها بالجار والمجرور مضافاً إلى ضميرهم**. وفي ذلك إظهار للعناية بهم[2]. ومن الأسرار البلاغية في الآيات الآتي :

لقد جاء قوله - تعالى -: ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ﴾ جواباً على سؤالٍ أوحى به قوله - تعالى -: ﴿وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ﴾ [الآية: ١١٨] تقديره: ما الدليل على حقدهم وبغضهم، وما تخفي صدورهم؟ فجاء الجواب مستأنفاً استئنافاً بيانياً: ﴿إن

---

(١) ينظر: مفاتيح الغيب (١٨٢/٨/٤).

(٢) ينظر: نظم الدرر (٥٨/٥).

تمسسكم﴾، ومجيء التعبير في جانب الحسنة بالمسّ، وفي جانب السيئة بالإصابة على سبيل الاستعارة[١]؛ إذ شبه الحسنة في تأثيرها الطيب بالشيء المحسوس المريح، ثم تنوسي التشبيه، وادعي أن المشبه فرد من أفراد المشبه به، ثم حذف المشبه به، وأبقى شيئاً من لوازمه، وهو المس على سبيل الاستعارة المكنية[٢].

ويرى الزمخشري أن المسّ مستعار لمعنى الإصابة، فكان المعنى واحداً، ومثل لذلك بقوله - تعالى -: ﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ﴾ [التوبة: ٥٠]، و﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ [النساء: ٧٩][٣]، ولكن النيسابوري أخذ عليه ذلك، وجعل فرقاً بينهما من حيث إنَّ المسَّ: «يشبه أن يكون المسُّ أقل من الإصابة، وأنه أدْخل في بيان شدة العداوة، وذلك أنَّ الحسد لا ينهض لقليلٍ من الخير إلاّ أن يكون هناك كمال البغض»[٤]، وهو رأي راجح اعتماداً على معنى المسّ: «أنه يقال فيما يكون معه إدراك بحاسة اللمس»[٥]. وهذا المعنى يدل على أن القليل مما يصيب المؤمنين من الظهور على الأعداء وأخذ الغنائم؛ فإنه يسيء هؤلاء الكفار، وفي المقابل إن أصابت المؤمنين نوائب أعظم فإنهم يفرحون لذلك. من هذا ناسب استعمال المسّ بجانب الحسنة، واستعمال الإصابة بجانب السيئة؛ لأن معنى المسّ - كما

---

(١) ينظر: الكشاف (١/ ٣٩٩).

(٢) ينظر: معجم البلاغة القرآنية (١/ ٤٣٩).

(٣) ينظر: الكشاف (١/ ٣٩٩)، وروح المعاني (٢/ ٤/ ٢٥٦).

(٤) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/ ٣٠١).

(٥) المفردات (ص ٤٦٧).

تقدم - فيه دلالة على مجرد حدثٍ عارض هو المسّ دون القوة والتمكن. وفي هذا دليل ظاهر على العداوة والبغض[١]. وأما الطاهر بن عاشور، فيرى أن هذا الاستعمال من باب التفنن في القول ليس غير[٢]، وهذا القول يدل أن في القرآن الكريم ترادفاً، وذلك يأباه إعجاز القرآن الكريم.

ولقد جاء التنكير في (﴿حَسَنَةٌ﴾، و﴿سَيِّئَةٌ﴾) دلالة على العموم، والتنوين في ﴿حَسَنَةٌ﴾ للتقليل، وفي ﴿سَيِّئَةٌ﴾ تعظيم السرور والفرح بما حصل للمؤمنين[٣].

والطباق بين (﴿حَسَنَةٌ﴾، و﴿سَيِّئَةٌ﴾) يشير إلى حال الكفار، وأنهم يتطلعون إلى عدم الراحة والأمن في كل أحوال المؤمنين، وإلى أنهم يترصدون أحوالهم ويترقبونها.

والوصل بين الجملتين ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ﴾، وجملة ﴿وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ﴾ للتوسط بين الكمالين؛ فقد اتفقت الجملتان في الخبرية مما سوغ العطف. وما يحسن له الوصل اتفاق الجملتين من حيث الشرطية، وأن كلاً منهما مضارع.

وفي قوله - تعالى -: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ...﴾، و﴿إِذْ﴾ منصوب انتصاب المفعول به لعامل مضمر وهو (أُذكر)[٤]. والمقصود

---

(١) ينظر: نظم الدرر (٥/ ٤٠)، وتفسير روح البيان (٢/ ١٠٦).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير (٣/٤/٦٨).

(٣) ينظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/٣٠١).

(٤) ينظر: الكشاف (١/ ٤٠٠)، وحاشية زاده (١/٦٦٦).

تذكير بذلك الزمان الممتد المتسع لابتداء الخروج والتبوئة يوم أن خرج من حجرة السيدة عائشة رضي الله عنها[١].

وفي قوله - تعالى -: ﴿مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ...﴾ مجاز، فقد استعمل المقصد، والمقام في معنى المكان، وذلك كما في قوله - تعالى -: ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾ [القمر: ٥٥][٢]، وكما في قوله - تعالى -: ﴿قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ﴾ [النمل: ٣٩] أي من مجلسك وموضع حكمك، والتعبير عن الأماكن بالمقاعد متناسب لسببين:

١- أن القاعد في مكانٍ لا ينتقل عنه، فسمى تلك الأمكنة بالمقاعد؛ تنبيهاً على ثبوتهم فيها.

٢- على المقاتلين القعود في الأمكنة المعينة إلى أن يلاقيهم العدو، فيقوموا عند الحاجة إلى المحاربة؛ فلهذا سميت تلك الأمكنة بالمقاعد[٣].

---

(١) ينظر: روح المعاني (٢/٤/٢٥٧).

وتتمة القصة كما رواها الإمام أحمد وغيره: عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال: **(رأيت كأني في درع حصينة، ورأيت بقرا منحرة، فأولت أن الدرع الحصينة المدينة، وأن البقر هو والله خير، قال: فقال لأصحابه: لو أنا أقمنا بالمدينة، فإن دخلوا علينا فيها قاتلناهم)**، فقالوا: يا رسول الله، والله ما دخل علينا فيها في الجاهلية، فكيف يدخل علينا فيها في الإسلام، قال عفان في حديثه: فقال: شأنكم، إذا قال، فلبس لأمته، قال فقالت الأنصار: رددنا على رسول الله ﷺ رأيه، فجاؤوا فقالوا: يا نبي الله شأنك إذاً، فقال: إنه ليس لنبي إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يقاتل. ينظر: المسند (ص ١٠٣٢)، رقم (١٤٨٤٧)، ورواه البخاري في الصحيح معلقاً (ص ١٤٠٤)، وابن هشام (٣/١٦-١٧).

(٢) ينظر: الكشاف (١/٤٠١).

(٣) ينظر: مفاتيح الغيب (٤/٨/١٨٠).

ولما كان النصر هو مدار الآيات الكريمة، وهو آمال يرجو المؤمنون تحققها، جاء الخبر **مؤكداً** بقوله - تعالى -: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾.

والتعبير بقوله: ﴿أَذِلَّةٌ﴾ من جموع القلة، جمع ذليل للدلالة على قلتهم، وهو المراد بذلتهم، وليست الذلة التي هي نقيض العزة[1]. وإسناد النصر إلى المولى ﷻ دليل على عظمته.

وفي قوله - تعالى -: ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ﴾ [الآية: ١٢٤].

التعبير بالظرف ﴿إذ﴾ للدلالة على الزمن الذي ظهرت فيه المعجزة، إشارة إلى عظمها، وتذكيراً بالنصر، وامتناناً بهذا الفضل[2]، **والاستفهام** في قوله - تعالى -: ﴿أَلَن﴾ تقريري الغرض منه زيادة تثبيت المؤمنين وطمأنينتهم، وذلك من حيث:

أولاً: إن (الهمزة - النفي) لا يستعملان إلا في التقرير.

ثانياً: مناسبة معاني الآيات للخطاب التقريري[3].

وإيثار التعبير **بالفعل المضارع** ﴿تَقُولُ﴾، فلأن المقام مقام امتنان وتفضل على المؤمنين؛ ولأن الفعل المضارع يستحضر صور أحداث غزوة بدرٍ وكأنها تحدث الآن، وإسناد الإمداد إلى (رب) بعد إضافته إلى ضمير المخاطبين، فيه دليل الرعاية والاهتمام، والتذكير بفضل المنعم ﷻ الشيء الكثير.

---

(١) ينظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/٣٠٩).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير (٣/٤/٧٢).

(٣) ينظر: المصدر ذاته (٣/٤/٧٣).

والتعبير بوصف ﴿مُنزَلِينَ﴾ دون غيره تفخيم للإمداد، ثم جعله الملائكة منزلين فيه إشارة إلى أنهم ينزلون إلى الأرض في موقع المعركة عناية بالمؤمنين[١].

وفي فك الإدغام في قوله - تعالى -: ﴿أن يمددكم﴾ بفك الإدغام، إشارة إلى أنه إمداد جليل. وفي عدم فكه: ﴿أن يُمِدَّكُمْ﴾ إمداد خفيف[٢].

وقوله - عز من قائل -: ﴿بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ [آل عمران: ١٢٥].

فقوله - تعالى -: ﴿بَلَىٰٓ﴾ جواب الاستفهام المنفي ﴿أَلَن يَكْفِيَكُمْ﴾، المراد منه نَعَم، والجواب من الله - تعالى - تأكيد ونصر بوجوب الكفاية في عدد الملائكة، وتأكيد نصر المؤمنين[٣]، وتقديم الصبر على التقوى؛ فلأن السياق يقتضي ذلك، إذ أن الآيات الكريمة جاءت في مناسبة الجهاد، وهي مما يحتاج معه إلى الصبر أولاً، ثم الالتزام بمبدأ التقوى، حتى يكون صبراً يليق بالمجاهدين.

والجملة الكريمة في وصف موقف الملائكة الكرام، ودورهم في المعركة حيث يقول - تعالى -: ﴿وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ﴾، يرى بعض المفسرين[٤] أن هذه الكلمة ﴿فَوْرِهِمْ﴾ استعارة مأخوذة من فور القدر، ولكن يبدو أن هذا الاستعمال

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير (٣/٤/٧٤)، والتفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم (١/١٨٠).

(٢) ينظر: نظم الدرر (٥/٥٦، ٥٧).

(٣) ينظر: الكشاف (١/٤٠٣)، وحاشية ابن التمجيد (٦/٣٠٤).

(٤) ينظر: الكشاف (١/٤٠٣)، ونظم الدرر (٥/٥٧)، وحاشية القونوي (٦/٣٠٥)، وروح المعاني (٢/٤/٢٦٠).

الاستعاري لكثرة جريانه على اللسان أصبح لاحقاً بالحقيقة، ومن ثمّ قال صاحب اللسان: «جاؤوا من فورهم، أي: من وجههم»[١].

وهو ما اعتمد عليه ابن عاشور حيث قال: «ومعنى من فورهم هذا: المبادرة السريعة؛ فإن الفور المبادرة إلى الفعل، وإضافة الفور إلى ضمير الآتين لإفادة اختصاص الفور بهم، أي شدة اتصافهم به حتى صار يعرف بأنه فورهم، ومن هذا القبيل قولهم: خرج من فوره»[٢].

ومن هذا اتضح أنه لا استعارة في اللفظ، وأن المعنى المراد يأتونكم بالسرعة والعجلة.

ومن أوصاف الملائكة أنهم ﴿مُسَوِّمِينَ﴾ بمعنى مُعَلَّمين، على معناها الذي وضعت له، كما ذكر الأصفهاني: «والسِّيماء والسِّيمياءُ: العلامة، كما في قول الشاعر[٣]:

---

(١) (٥/٦٧)، (باب الراء، فصل الفاء).

(٢) التحرير والتنوير (٣/٤/٧٦)، وينظر: تفسير روح البيان (٢/١١٢).

(٣) هو للراجز أسيد بن عنقاء الفزاري يمدح عُمَيْلة حين قاسمه ماله فقال: :

كأن الثريا عُلِّقَتْ فوق نحره ... وفي جيده الشِّعْرَى وفي وجهه القمر

قال الدكتور ف. كرنكو في تعليقه على كتاب المؤتلف والمختلف للآمدي: "أهمل الآمدي ابن عنقاء الفزاري سويداً، ذكره في صحاح الجوهري، وأنشد له يمدح عميلة الفزاري". المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم (ص ٢٠٦)، لأبي القاسم الحسن بن بشر الآمدي، صححه الدكتور ف. كرنكو، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١١هـ-١٩٩١م. وينظر: صحاح الجوهري (٥/١٩٥٦)، (باب الميم، فصل السين)، لإسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، القاهرة، ط٢، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.

والبيت من البحر الطويل، وهو شاهد على أن (السيمياء) فيها القصر والمدّ، والشاعر أوردها ممدودة بمعنى العلامة. ينظر: لسان العرب (١٢/٣١٢، ٣١٣) (باب الألف، فصل السين).

غـلامٌ رمـاه الله بالحـسن يافعـاً لـه سـيمياء لا تَـشُقُّ علـى البـصَرْ

وقـال - تعـالى -: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم﴾ [الفـتح: ٢٩]، وقـد سـومته أي أعلمته، «ومسوَّمين أي مَعلَّمين، ومُسَوَّمين ومَعلِّمِيْن لأنفسهم أو لخيولهم»[١]، ولكن النيسابوري فسَّر قوله - تعالى -: ﴿مُسَوِّمِينَ﴾ بمعنى: مرسلين، حيث يقول: «وقيل مسومين: مرسَلين، من أسمت الإبل، وسوَّمتَها: أرسلتها للرعي؛ فالمعنى أن الملائكة أرسلت خيولهم على الكفار لقتلهم وأسرهم، أو أن الله - تعالى - أرسلهم على المشركين ليهلكوهم كما تهلك الماشية النبات في المراعي»[٢]، وهذا التفسير يعني أنها استعارة تمثيلية، ولكن هذا القول يجعل المعنى المراد من السياق والأحاديث الواردة فيه بعيدة عن الأُفق[٣].

وفي قوله - تعالى -: ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۗ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [آل عمران: ١٢٦].

---

(١) المفردات (ص ٢٥٠، ٢٥١).

(٢) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/٣١٥).

(٣) ذلك أنه أراد بقوله - تعالى -: ﴿مُسَوِّمِينَ﴾، أي: "بالعهن الأحمر، وقال مجاهد: أي محذقة أعراقها، معلمة نواصيها بالصوف الأبيض في أذناب الخَيْل. وقال العوفي: عن ابن عباس ﷺ قال: أتت الملائكة محمداً ﷺ مسومين بالصوف، فسوَّم محمد وأصحابه أنفسهم وخيلهم على سيماهم بالصوف، وقال قتادة وعكرمة: ﴿مُسَوِّمِينَ﴾ أي بسيما القتال، وقال مكحول: بالعمائم، وروى ابن مردويه من حديث عبد القدوس بن حبيب عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ في قوله ﴿مُسَوِّمِينَ﴾ قال: (مُعلمِّين)، وكان سيما الملائكة يوم بدرٍ عمائم سوداً، ويوم حنين عمائم حمراً". تفسير القرآن العظيم (١/٤٥٢)، وحديث ابن عباس رواه الطبراني في المعجم الكبير (١١/ ١٩٣)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/١٠٩): "رواه الطبراني وفيه عمار بن أبي مالك الجنبي ضعفه الأزدي".

استهلت الآية الكريمة بالوصل بالواو من باب عطف الأخبار، تذكيراً وامتناناً، والمعطوف عليه محذوف تقديره: فأمدكم - سبحانه وتعالى - بما ذكر، ولقد جُعل ذلك الإمداد بشري، وبلاغة الحذف تكمن في الإيجاز الذي يدل عليه الكلام.

وإظهار لفظ الجلالة مقام إضماره (الله) للعناية، وإشعار بقدرته - تعالى - على فعل كل ذلك.

والأسلوب الكريم في قوله - تعالى -: ﴿وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ﴾ **فيه قصر** صفة النصر على موصوف واحدٍ، وهو الله ﷻ، وليس من غيره. قصر حقيقي تحقيقي.

ومن صفات المتقين الالتجاء إلى الله - تعالى - عندما يشعرون بأدنى أذى قد يصيبهم به الشيطان؛ لذلك قُيِّد المسُّ بـ(إذا) حيث يقول - تعالى -: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١].

يمتدح المولى - تبارك وتعالى - المؤمنين المتقين، وهم الذين اتقوا الشرك والمعاصي. إذ من كانت هذه صفتهم قد يمسهم طائف من الشيطان، فيبادرون بالاستعاذة بالله - تعالى - من الشيطان الرجيم، فما يلبثوا أن يتذكروا ما أمرهم الله به[1].

وترتبط الآية بسابقتها قوله - تعالى -: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الآية: ٢٠٠].

---

(١) ينظر: المحرر الوجيز (٧/٢٣٤، ٢٣٥)، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل (١/٣٧٢).

إنه بعد أن بين - سبحانه - علاج الوسوسة، وأنها الاستعاذة من الشيطان الرجيم، بين أن المتقين يتعرضون لمسِّ الشيطان، ولكنه لا يتمكن منهم؛ لأنهم يتذكرون الله ﷻ، وما أمِرُوا به بسرعة، فإذا هم مبصرون.

ولذلك جاءت جملة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا﴾ استئنافية مقررة لما قبلها من أمر النبي ﷺ بالاستعاذة من الشيطان عند النزغ، ولبيان أن الاستعاذة سنة متبعة، وهي طريقة المتقين[1].

وجاء الوصف بالتقوى مطلقاً غير مقيدٍ بصفة ليدل على إيمانٍ لم يداخله شرك، ولم تكدره المعاصي، ثم التقييد بأداة الشرط ﴿إِذَا﴾ في قوله - تعالى -: ﴿إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا﴾.

يتبين من هذا حال المؤمنين أنه إذا مسَّهم الشيطان تذكروا ما أمروا به من الاستعاذة من الشيطان، مخافة أن يلحقهم أذى الغضب. ومجيء التعبير بأداة الشرط ﴿إِذَا﴾ التي اختصت بالدخول على الشرط المجزوم بوقوعه، وهو هنا مسُّ الشيطان للمتقين، ثم مجيء التعبير بالفعل الماضي (مسَّ) فيه مزيد للإشعار بتحقق ذلك المس إذ أن: «المتقي العائذ قد يمسه طائف من الشيطان، إذ ليست العصمة إلا للأنبياء عليهم السلام»[2]، والتعبير بلفظ المس للمبالغة بالنسبة إلى النزغ[3].

فهذه الصياغة أكدت صفة من صفات المؤمنين وهي التذكر، وأظهرتها مطلقة غير مقيدة لتشمل كل ما يجب تذكره عند مسِّ الشيطان.

---

(١) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١/ ٣٧٢)، والتحرير والتنوير (٥/ ٩/ ٢٣١).

(٢) المحرر الوجيز (٧/ ٢٣٤).

(٣) ينظر: حاشية القونوي (٨/ ٥٨١).

ومجيء التعبير بلفظ (المس) الذي يقال في كل ما ينال الإنسان من الأذى[١] على سبيل **الاستعارة**، فقد استعير (المس) الذي حقيقته وضع اليد على الجسم للإصابة ولمقدمتها[٢].

والبلاغة في ذلك: أن أدنى ملامسة من الشيطان تجعلهم يستعيذون بالله - تعالى - فتستجيب نفوسهم وجوارحهم، وأن عليهم أن يتحصنوا من طائف الشيطان وأذاه. والطائف: من الطوف: وهو المشي حول الشيء، ومنه الطائف حول البيوت، ومنه استعير للطائف من الجن والخيال[٣].

أما في هذه الآية الكريمة، فإنه استعارة للمَسَّة الخفيفة[٤]، والتعبير بهذا اللفظ، وبصيغة اسم الفاعل، فللدلالة على أن الشياطين تدور حولهم للتأثير فيهم، وإغرائهم بخلاف ما أمروا به، والتنوين للتحقير من شأن الشياطين ومن تأثيرهم[٥] مما يشير إلى عدم تمكن نزعات الشيطان من المتقين؛ لأنها حينما تدور بهم تلك الخواطر وتطوف؛ فإنهم يسارعون ويتذكرون ما أُمروا به، وما يصحّ لهم فعله، وما ينهون عنه فتطمئن نفوسهم، ويحصل لهم التذكر والإبصار، و**(الفاء) في قوله - تعالى -: ﴿فَإِذَا هُم﴾**: سببية، حيث تفرع الإبصار عن

(١) ينظر: المفردات (ص ٤٦٧).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير (٢٣٢/٩/٥).

(٣) ينظر: المفردات (ص ٣١١).

(٤) ينظر: حاشية القونوي (٥٨١/٨).

(٥) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٣٧٢/١)، وإرشاد العقل السليم (٧١/٣)، وروح المعاني (١٣٨/٩/٥).

التذكر، وأُكد معناه هنا **بإذا الفجائية**، للدلالة على حصول الشيء دفعةً واحدة دون تريث[١]. وبهذه الصياغة تتجلى صفة من صفات المؤمنين، وهي سرعة الاستجابة لداعي الحق، وكثرة وقوع ذلك اطمئناناً به.

والتعبير بلفظ ﴿مُّبۡصِرُونَ﴾ دلالة على بصيرة نيرةٍ أشرقت بنور الحق في واقعها، وإن ما طاف بها لا يعدو أن يكون طائفاً ثم يزول ويتبدد بعد إذعان المؤمنين للحق راضين به.

وهذا **الوصف** ﴿مُّبۡصِرُونَ﴾ استعارة للاهتداء، وجيء به على صيغة اسم الفاعل لدلالة الجملة الاسمية على ثبوت حسن بصيرتهم ودوامهم عليها[٢].

وفي إفراد لفظ ﴿ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾ لدلالة على الجنس، أيّ جنس من الشيطان، لا إبليس فقط؛ ولذلك جُمع ضميره فيما بعده قوله — تعالى -: ﴿وَإِخۡوَٰنُهُمۡ يَمُدُّونَهُمۡ فِي ٱلۡغَيِّ ثُمَّ لَا يُقۡصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٢][٣].

ومن صفات المؤمنين المقيدة بـ﴿إِنۡ﴾ والتي تدل على رسوخ عقيدة الإيمان ما ورد في قوله - تعالى -: ﴿ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرّٖ لَّا تُغۡنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يُنقِذُونِ﴾ [يس: ٢٣][٤].

---

(١) ينظر: حاشية القونوي (٥٨٢/٨)، والتحرير والتنوير: (٢٣٣/٩/٥).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير (٢٣٣/٩/٥).

(٣) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٣٧٢/١)، وروح المعاني (١٣٨/٩/٥)، وحاشية القونوي (٥٨٢/٨).

(٤) شرح هذه الآية وسابقتها قد تم في موضوع الالتفات في فصل من خصائص الجمل، وهنا اقتصر على بيان بلاغة التقييد بـ(إن).

ففـي قولـه - تعـالى-: ﴿إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَـٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَـٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا...﴾ **استئناف:** مسوق لتأكيد وتعليل إنكار آلهة تعبد من دون الله - تعالى -، وفي وصف الآلهة بذلك - أي وصفها بالعجز عن الخلق والنصرة لضعفها وأن الله هو الخالق كناية عن صفةٍ، وهي حقارة للأصنام، وتسفيه لعابديها.

أما التقييد فقد جاء بإن: وهي أداة الشك، ليبين أن النفع أكثر من الضر ترغيباً فيما عند الله ﷻ، وفيه دلالة على عدم ضرورة إرادته بالضر من الله - تعالى -.

وفي حذف ياء ﴿يُرِدْنِ﴾ دلالة على أن المقصود بها إرادة خفيفة[1].

وإيثار التعبير بلفظ ﴿ٱلرَّحْمَـٰنُ﴾: تذكير بسعة رحمته، وفيض إحسانه، فهو لا يحاسب كل الناس في الدنيا على سوء صنيعهم، بل يعمهم برحمته من حيث الخلق والرزق[2].

والتنكير في قوله: ﴿بِضُرٍّ﴾ حيث الباء بمعنى الإلصاق وهو إلحاق أي فردٍ أو جنس من أجناس وأنواع الضربه، صغيره وكبيره.

وفي إسناد الإغناء إلى الشفاعة في قوله - تعالى -: ﴿لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَـٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا﴾ **مجاز عقلي:** علاقته السببية. **وبلاغته:** في الدلالة على أن المراد لا يغني عن الله - تعالى - شيئاً بسبب شفاعتهم.

---

(١) ينظر: نظم الدرر (١٦/ ١١١).

(٢) ينظر: المصدر ذاته (١٦/ ١١٢).

وفي قوله - تعالى -: ﴿وَلَا يُنقِذُونِ﴾ **عطف على** ﴿لَّا تُغْنِ﴾، وهو من عطف العام على الخاص، **وفي ذلك مبالغة في إظهار عجز المؤمن، وانتفاء لقدرة الآلهة في عمل أي شيء لهم**[1].

وتتوالى صفات المؤمنين، ومنها ﴿ٱلرَّٰشِدُونَ﴾، وهم الذين يحبهم الله - تعالى -، ويزيِّن الإيمان في قلوبهم، ولقد جاءت هذه الصفات مقيدة بـ﴿لَوْ﴾، و﴿لَٰكِنَّ﴾ في قوله - تعالى -: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ﴾ [الحجرات: ٧].

من صفات المؤمنين التي أودعها الله - تعالى - نفوسهم محبة الإيمان، وزينه في قلوبهم، حتى أصبحوا يحبون الحق ويؤثرونه، وجعلهم يكرهون الكفر ويبغضونه، وكذلك العودة إلى الفسق معتقدين فساده ومضرته، وعدم قبول الفطرة له، بل وأنَّ قلوبهم لذلك كارهة وغير مطمئنة. ومن يفعل ذلك منهم فإنه من الراشدين[2].

وترتبط الآية الكريمة بما قبلها في قوله - تعالى -: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦].

هذه الآية خطاب للمؤمنين، وقد أخرج منهم الفاسقين من باب التشديد عليهم[3]، إذ تقرر فيها وضع حدٍّ للعلاقة بين المؤمنين وبين رسولهم ﷺ،

---

(١) ينظر: تفسير روح البيان (٧/٤٥٣).
(٢) ينظر: تيسير الكريم الرحمن (٢/ ٧١٨، ٧١٩).
(٣) ينظر: روح المعاني: (١٣/٢٦/ ٢٩٨)، والتحرير والتنوير: (١٢/٢٦/٢٣٥).

وهـذه العلاقـة فـيها تحـرز عـن طاعـتة إيـاهم في بعـض الأمـور ؛ ممـا لا يـدخل ضـمن قاعـدةٍ شـرعية ، وذلـك حرصـاً أن تخـتل أمـور المـسلمين في الحاضـر والمستقبل ؛ لأن مـا يقـبله الرسـول ﷺ أو يقـوله إنمـا هـو تـشريع يقـضي علـى الأمـة العمـل بـه ، لـذلك فأعمالـه وتصرفاته لا تكون إلا بحكمةٍ مستوحاة من ربِّ العالمين[1].

ومن البلاغة التقيد بـ﴿لَوْ﴾ ؛ في قولـه - تعالى -: ﴿لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ﴾.

الطاعة هنا **مقيدة** : بـ﴿لَوْ﴾ ، وهو حرف امتناع الجواب لامتناع الشرط.

أي أن طاعـته ﷺ ممنوعة عـنهم ؛ لأنـه لـو أطاعهم لأوقعهم ذلك في الالتزام بذلك الأمر ، ولترتب عليها عنت. وامتنعت بناء عليه طاعتهم ، حتى لا يقعوا في المشقة[2] ، وجاءت صفات المؤمنين استدراكاً على هـذا القيد ، وفي كنفه ورد وَصْفُهم بصفات إيجابية ، وهي حبُّ الإيمان ، والرغبة فيه بصدق ، مرجع ذلك ما في القلب من طهر الإيمان. ثم ترتب على هذه الصفات صفات أخرى سلبية ، وهي : كراهية الكفر ، والفسق وارتكاب المعاصي.

وبإتمـام مـا في القـيد مـن شـرطٍ وجـواب استحقوا صـفة الرشـاد والإشـارة إليهم بها.

ثـم **التقييد** بقـولـه - سبحانه -: ﴿فِي كَثِيرٍ﴾ المراد أنكم تريدون من الرسول ﷺ أن يطيعكم في كثيرٍ مما تشيرون به ، ولو فعل ذلك لشق عليكم ؛ لأن الإطاعة في

---

(١) ينظر: جامع البيان (٧/ ٨٠).

(٢) ينظر: إرشاد العقل السليم (٦/ ١١٤).

الأمور الدنيوية لا تكون كذلك. كما أن في ذلك إيذاناً بأن هناك من زين للرسول ﷺ الإيقاع ببني المصطلق[1]، لذلك قُيِّدت الإطاعة بقوله: ﴿كَثِيرٍ﴾[2].

ومن لطائف الأسرار البلاغية في الآية الآتي:

استؤنفت الآية بفعل الأمر في قوله - تعالى -: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟﴾ للاهتمام بأمر من هو بين ظهرانيهم ﷺ، فلا يصح إخباره بما لو أطاعهم فيه لأوقعهم في المشقة، وبخاصة أنه رسول الله والوحي ينزل عليه[3]. ثم جاء قوله ﷻ: ﴿أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾ خبر، أراد به إيقاظهم وتحذيرهم عما هم فيه على وجه **الكناية**، فخبر وجود الرسول ﷺ بينهم مما لا يخفى على أحدٍ منهم، ولكن المقصود من إخبارهم تعليم المسلمين كيفية اتباع ما شرع الله لهم، وما أخبر به رسوله ﷺ من الأحكام، حتى وإن كانت غير موافقة لرغباتهم.

وقُدم الخبر ﴿فِيكُمْ﴾ على اسم أنَّ: حصراً للمستتبع للاهتمام بهذا الكون فيهم، وتنبيهاً على أن واجبهم الاغتباط به والإخلاص له؛ فوجوده بينهم أعظم خيرٍ لهم[4].

---

(١) بنو المصطلق - بضم الميم، وسكوت الصاد، وفتح الطاء وكسر اللام -: هم بطن من خزاعة من الأزد القحطانية. ينظر: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب (ص ٧٦)، لأحمد بن علي بن عبد الله القلقشندي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م.

(٢) ينظر: إرشاد العقل السليم (٦/ ١١٤)، وحاشية القونوي (١٨/ ١٢١).

(٣) ينظر: البحر المحيط (٨/ ١٠٩)، والتحرير والتنوير (١٣/ ٢٦/ ٢٣٤).

(٤) ينظر: البحر المحيط (٨/ ١١٠)، وروح المعاني (١٣/ ٢٦/ ٢٩٩)، والتحرير والتنوير (١٣/ ٢٦/ ٢٣٥).

ولما كان هناك بعض المؤمنين تصونوا عن بعض الهنات التي فرَّط فيها غيرهم، فقد استثناهم - سبحانه وتعالى - في قوله: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ توجيهاً للخطاب، وتخليصاً للكلام، بعد أن كان يشمل كل المؤمنين، فأصبح لجماعة منهم، وهم الذين برئت أوصافهم من أوصاف الأولين، لذلك استدرك بلكن، ولذلك - أيضاً - قدَّر أبو حيان (بعض)، ومما أغنى عن ذكر هذا المحذوف صفتهم المميزة لهم عن غيرهم، وهي جعل الإيمان محبوباً لديهم، ومزيناً في قلوبهم. وهذا الحذف من **الإيجاز اللطيف** الذي لا يتأتى في كلام إلاّ في القرآن الكريم[1].

ومن صفاتهم المميزة لهم ما جاء في قوله - تعالى -: ﴿وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ﴾ وهذا تعريض بالذين لا يطيعون الرسول ﷺ ففيهم بقية من الكفر والفسوق، لقوله - تعالى -: ﴿وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [النور: ٤٨]، وهي من باب التأكيد لما سبق من ذكر حبهم الإيمان.

ثم ذُكِر الكفر والفسوق العصيان من باب الترقي، كأنه قيل: كرَّه الكبائر؛ بل العصيان، ولم يذكر مقابله من الصفات مثل الطاعة، للدلالة على أن محبة الإيمان توجد غيرها من الطاعات[2].

---

(١) ينظر: البحر المحيط (٨/ ١١٠)، وإرشاد العقل السليم (٦/ ١١٥).

(٢) ينظر: حاشية القونوي (١٨/ ١٢٣).

والتعبير بـ﴿ إِلَى ﴾ في الجملتين: لدلالتها على الوصول بمحبة الإيمان، والتعلق به إلى منتهاها. وللإشعار كذلك بأن كراهية الكفر قد بلغت أقصى حدٍ لها، حتى كأنه لا وجود لأثره مطلقاً[١].

ولقد انتقل أسلوب الآية من خطاب المؤمنين في قوله - تعالى -: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ...﴾ الآية، إلى الغيبة في قوله - تعالى -: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ﴾ على طريق **الالتفات**[٢] إلهاباً لحماس المؤمنين في الحرص على اكتساب صفة ﴿ٱلرَّٰشِدُونَ﴾.

وفي قوله - تعالى -: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ﴾ معنى **التعريض** بغيرهم ممن لم يسترشد بما ينصح به الرسول ﷺ؛ حيث إنه جيء به على **أسلوب القصر والتخصيص**، عن طريق تعريف الطرفين، وتوسط ضمير الفصل، فقد جاء المبتدأ اسم إشارة متضمناً لصفة المشار إليهم، وذلك لتفخيم شأنهم. والخبر معرفاً بأل على معنى: أولئك المحبب إليهم الإيمان هم الراشدون، لا غيرهم. فقصر صفة الرشد عليهم. وهذا مثل قولك: زيد من أهل التقوى ذلك هو الكريم[٣].

---

(١) ينظر: إرشاد العقل السليم (٦/ ١١٥).

(٢) ينظر: البحر المحيط (٨/ ١١٠)، وإرشاد العقل السليم (٦/ ١١٥).

(٣) ينظر: حاشية ابن التمجيد (١٨/ ١٢٤).

المبحث الخامس

التقديم والتأخير

من أهم مباحث علم المعاني الذي يبحث في بناء الجمل، وسر تركيبها على هذا النحو أو ذاك؛ فكل تقديم أو تأخير يغير المعنى المراد؛ وإن هذه التراكيب الناتجة عن التقديم يكمن خلفها أسرار بلاغية تحتاج إلى دقة في فهمها، ولن أستعرض تاريخ التقديم والتأخير؛ فإنه قد بدت بعض ملاحظات من لدن سيبويه[1] مضمونها أن تقديم الجملة أو بعض أجزائها إنما يكون للعناية والاهتمام، دون تفصيل في ذلك، حيث يقول عن التقديم والتأخير بأنه: «عربي جيد كثير، كأنهم إنما يقدمون الذي بيانه أهم لهم، وهم ببيانه أعنى، وإن كانا جميعاً يهمانهم ويعنيانهم»[2]، ولكن عبد القاهر الجرجاني، قد فطن إلى أن العناية والاهتمام هي المناط الأساس الذي يقوم عليه التقديم، وأن هناك معاني خبيئة وراء العناية والاهتمام، وهذا ما عناه بقوله: «وقد وقع في ظنون الناس أنه يكفي أن يقال: إنه قُدم للعناية، ولأن ذكره أهم، من غير أن يذكُر

---

(١) عمرو بن عثمان بن قنبر، من أصحاب الخليل، أخذ النحو عن الخليل وعيسى بن عمر وغيرهما، نشأ بالبصرة وقدم العراق أيام الرشيد، من تصانيفه: الكتاب، الذي طار طائره في الآفاق، وتتابع عليه المعلقون والشراح، توفي سيبويه سنة ١٨٠ هـ بشيراز. انظر: الفهرست (٧٦)، والبلغة في تاريخ أئمة اللغة (١٣٣).

(٢) الكتاب (١/ ٣٤).

وهذا شأن كل علم، في بدايته توضع القواعد، ثم تستنبط ثمراته وأسراره بعد ذلك.

من أين كانت تلك العناية؟ وبم كان أهم؟ ولتخيُّلِهم ذلك، قد صغُر أمر (التقديم والتأخير) في نفوسهم، وهونوا الخطب فيه، حتى إنك لترى أكثرهم يرى تتبعه والنظر فيه ضرباً من التكلف»[١].

ويرى أن التقديم على ضربين:

الأول: تقديم على نية التأخير، ومن أمثلته: زيداً ضربت، وعمراً رأيت، حيث احتفظ برتبة زيد وعمرو على أنهما مفعول به مع تقديمهما عن موقعهما[٢].

الثاني: تقديم لا على نية التأخير: وذلك بأن تعمد إلى المبتدأ في قولهم: (زيد المنطلق)، فتجعله خبراً بتقديم الخبر على المبتدأ (المنطلق زيد). ففي هذه الحالة لم يقدم (المنطلق) على أن يكون متروكاً على حكمه الذي كان عليه مع التأخير، وهو كونه خبراً، بل يتغير فيصبح المنطلق مبتدأ، وزيد خبراً عنه[٣].

وهذا الضرب هو الذي تقوم عليه الدراسة في هذا المبحث.

وأغراض التقديم والتأخير متعددة منها: **إفادة القصر**، أي: قصر المسند إليه على المسند المقدم، كما في قوله - تعالى -: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: ٦].

التشويق إلى ذكر المسند إليه، إظهار التفاؤل، الاهتمام بذكره، تعجيل المسرة أو المساءة.

وللتقديم والتأخير موقعه وأسراره البلاغية في آيات صفات المؤمنين، من ذلك قول الله - تعالى -: ﴿قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا

---

(١) دلائل الإعجاز ص (١٠٨).

(٢) ينظر: المصدر ذاته (ص ١٠٦).

(٣) ينظر: المصدر ذاته (ص ١٠٦، ١٠٧)، والمطول (ص ٢٥٢).

ٱللَّهُ مِنْهَاۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَاۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًاۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَاۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴾ [الأعراف: ٨٩].

تتجلى في هذه الآية الكريمة صفات مؤمني أمة شعيب عليه السلام من خلال ذلك الصراع العقدي، حيث الفئة المكذبة بشعيب عليه السلام وبدعوته، الذين يصرون على طرد المؤمنين ونبيهم المرسل إليهم بالحق، حيث قال - تعالى - في الآية التي سبقتها: ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَاۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴾ [الأعراف: ٨٨].

ففي وصف المكذبين بالذين استكبروا دلالة على طغيانهم، واتباعهم لأهوائهم، وفيها دلالة على قوة عقيدة المؤمنين، حيث استجلت آية الشاهد ثباتهم على الحق، لا يتزعزعون ولا يترددون، يرفضون العودة إلى ملة الكفر، كما ظهرت قوة العقيدة باتجاههم إلى الله - تعالى - بالدعاء، مُسلِّمين أمرهم إليه، ومتوكلين عليه، منتظرين الفرج منه - سبحانه وتعالى - للقضاء بينهم، وفصل الخطاب[1].

وفي هذه الكلمات القلائل تجلت - كذلك - صفات المؤمنين من الأمم الأخرى، واتضح أنها لا تختلف في هذا الجانب عن صفات أمة محمد ﷺ حيث تمسكهم بدينهم بالرغم من إخراجهم من ديارهم، وإبعادهم عن أهليهم، إلاّ أن مذاق الإيمان واحد في نفوس المؤمنين جميعاً، وحلاوته تذهب مرارة ما لاقوه في سبيل التمسك بدينهم.

---

(١) ينظر: جامع البيان (٤٦٨/٣)، وتيسير الكريم الرحمن (٥٩٨/١)، وفي ظلال القرآن (١٣١٨/٣، ١٣١٩).

ومن أسرار بلاغة التقديم والتأخير في هذه الآية الكريمة تقديم الجار والمجرور على متعلقه في قوله - تعالى -: ﴿عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾ [الآية: ٨٩]، مما أوجد بلاغة منها:

١- تحقيقه لمعنى التوحيد، وتصوير لحال المؤمنين الذين ابتلوا في دينهم، وبيان لاختصاصه - سبحانه - وحده بالتوكل.

٢- تأخير فعل التوكل عن الجار والمجرور: إشعار بأنهم إلى الله - تعالى - يصرفون أنواع أخرى من العبادات من مثل الإنابة والدعاء، وفي هذا دليل على إخلاص دينهم من أن يشركوا معه غيره - سبحانه -.

وفي قوله - تعالى -: ﴿قَدِ ٱفْتَرَيْنَا﴾ استئناف بياني، فيه إخبار لمن تشوف إلى علم ما كان بعد الرد اللين على مَن طلب من شعيب عليه السلام العودة إلى الكفر، فجاء الجواب، إن الله - تعالى - حرم الكفر، والإقرار عليه بعد النجاة منه[1].

والسر في تسمية العودة إلى الكفر ﴿كَذِبًا﴾: أنه لما كانت العرب أشد الأمم نفرةً من الكذب على إطلاقه، بل ويعتبر عظيماً على أكابر الناس وعلى ملوكهم وعظمائهم، فما بالك بالكذب على ربِّ العالمين[2]؛ لذلك فالعودة إلى الكفر بعد نجاتهم منه نقضٌ وكذبٌ على الله - تعالى - بعد التزامهم عهد الإسلام، وهذه أردأ الصفات التي يربأ مؤمنو شعيب بأنفسهم عن العودة إليها. وفي تنكير ﴿كَذِبًا﴾ وهو مصدر: بيان بأنه كذب عظيم وافتراء باطل.

وفي قوله - تعالى -: ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ﴾ تذييل مقرر لمضمون الجملة قبله[3].

---

(١) ينظر: نظم الدرر (٢/٨).

(٢) ينظر: المحرر الوجيز (٧/ ١١١)، وإرشاد العقل السليم (٣/ ٧).

(٣) ينظر: إرشاد العقل السليم (٣/٧).

ومن الشواهد القرآنية على بلاغة التقديم والتأخير ما ورد في قوله - تعالى -:
﴿ قَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ۝ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا ۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴾ [الأعراف: ١٢٥-١٢٦].

معنى الآيتين وارتباطهما بسابقتيهما:

بيان لنمط إيماني متفرد، وهو قصة إسلام أشهر سحرة فرعون، حيث أشهروا إيمانهم، وأعلنوه أمام طاغوتٍ كان من أعظم طواغيت البشرية، دون تفكرٍ في عواقب تهديدٍ أو وعيدٍ، حيث قال - تعالى - على لسان فرعون: ﴿ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الأعراف: ١٢٤].

فهذا التهديد لم يزدهم إلا تمسكاً بدينهم ورغبةً فيما عند الله ﷻ، بل تأهبوا بصفات المؤمنين لمواجهة فرعون وظلمه، لذلك لم يخافوا، ولم يتراجعوا لما قال فرعون، ثم سألوه - تعالى - متلطفين في الدعاء، أن يثبتهم على الإيمان حالة عقوبة فرعون التي يهددهم بإنزالها؛ وهذا من أسباب إجابة الدعاء ومن آدابه[1].

ومن بلاغة التقديم والتأخير التالي:

١- في قوله - تعالى -: ﴿ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴾ [الآية: ١٢٥]، ذلك أن التقدير: إنا منقلبون إلى ربنا. إنَّا: اسمها وخبرها. والجار والمجرور ﴿ إِلَىٰ رَبِّنَا ﴾ متعلق بقوله - تعالى - مُنقَلِبُونَ. وهو خبر (إنَّ). وفي هذا التقديم دلالة: أنهم لا يؤمنون بأحدٍ إلا ربَّ العالمين، وأنه لا انقلاب ولا رجوع لغيره، وتأخير ﴿ مُنقَلِبُونَ ﴾ إقرار بصفاتٍ أخرى من مثل: إلى ربنا عائدون تائبون. وفي هذا دليل على الإيمان المطلق بالله - تعالى -.

---

(١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن ١/٦٠٦، ٦٠٧.

٢- وكذلك التقديم في قوله – سبحانه - ﴿ عَلَيْنَا صَبْرًا ﴾ حيث تقديم الجار والمجرور على المفعول به ﴿ صَبْرًا ﴾ قد أفاد: اختصاصهم بذلك الصبر العظيم دون غيرهم، فهم في أمس الحاجة لأن يفرج الله عنهم كربهم وأن ينصرهم على فرعون وأعوانه. والتعبير بالنكرة ﴿ صَبْرًا ﴾ وهو مصدر يدل على كثرة الصبر وتمامه وكماله[١]؛ مما يشعر بشدة معاناتهم.

ومن الأسرار البلاغية في الآيتين التالي:

في قوله - تعالى -: ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴾ [الآية: ١٢٥]، استئناف بياني، مسوق للجواب عن سؤال تصوره الذهن من خلال سماع أحداث قصة فرعون مع السحرة، تقديره: ماذا قال السحرة عندما سمعوا وعيد فرعون؟[٢]. هل تصلبوا على رأيهم متمسكين بدينهم ؟ فجاء الجواب أنهم سيعودون إلى الله ﷻ وهذه الصياغة يسميها البلاغيون شبه كمال اتصال، وهي إحدى الصور التي أوجبت الفصل؛ لأن الجملة الكريمة استئناف جواباً لسؤال مقدر؛ لذلك لم تعطف بالفاء على ما قبلها[٣]. وسره البلاغي يتضح بدلالته على ما أثاره السؤال من شغفٍ لمعرفة الجواب، وهذا الذي يصور موقفهم، وفيه الدلالة على أنهم سيعودون إلى الله ﷻ، وأنهم لا يبالون بوعيد، وهو دليل ثباتهم على الحق.

---

(١) ينظر: مفاتيح الغيب (١٧١/١٤/٧).

(٢) ينظر: إرشاد العقل السليم (١٨/٣).

(٣) ينظر: الدر المصون (٤١٣/٥)

والضمير (نا) في قوله - تعالى -: ﴿إِنَّآ﴾ يخص مؤمني السحرة[١]. والتعبير بالجملة اسمية: يدل على تحققهم من رجوعهم إلى الله - تعالى - بالموت انقلاباً ثابتاً لا انفكاك عنه، ليقينهم أنهم أصبحوا في حالة السعداء[٢].

وصياغة الدعاء في قوله - تعالى -: ﴿وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ على هذا النحو: «إيذان بأنهم غير راغبين في الحياة، ولا مبالين بوعيد فرعون، وأن همتهم لا ترجو إلا النجاة في الآخرة، والفوز بما عند الله - تعالى -، وقد انخذل بذلك فرعون»[٣]، ولقد جمعوا بهذا الدعاء بين كمال الإيمان، وصفاء الإسلام ونقائه[٤].

ومن صفات المؤمنين ما جاء نسق نظمه بالتقديم والتأخير، مما أبرز معه جمال الصفات، وأعطى الموصوفين كمالاً لتمثلهم بهذه الصفات، ويتجلى ذلك في قوله - تعالى -: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ۝٢٨ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ﴾ [الرعد: ٢٨، ٢٩].

الآيتان الكريمتان تعظيم لشأن المؤمنين، وخصت الذين تطمئن قلوبهم بالذكر، سواء كان المراد ذكر العبد لربه بالتسبيح والتهليل والتكبير، أم كان الذكر هو القرآن الكريم، المراد أنه حين تَعْرف معاني القرآن الكريم نفسه تطمئن مستدلة بما فيه من الحجج والبراهين التي تدل على الحق المبين[٥].

---

(١) ينظر: الكشاف (٢/١٣٦)، والبحر المحيط (٤/٣٦٥).

(٢) ينظر: نظم الدرر (٨/٣٢).

(٣) التحرير والتنوير (٥/٩/٥٦).

(٤) ينظر: تفسير المنار (٩/٧٧).

(٥) ينظر: تيسير الكريم الرحمن (١/٨٧٩).

وترتبط الآيتان الكريمتان بسابقتيهما في قوله - تعالى -: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ﴾ [الرعد: ٢٧].

طلب الكفار من الرسول ﷺ آيات معجزات، وظواهر باهرة، تدل على صدقه حتى يؤمنوا، وبأسلوب فيه من التعجب والاستنكار من قولهم أمر الله ﷻ نبيه ﷺ أن يبين لهم أن من كان على صفتهم من الكفر والعناد، لا تؤثر في نفوسهم الآيات والمعجزات، وناسب ذلك بيان من يقابلونهم في الصفات، حيث قلوب المؤمنين مطمئنة بكل ما جاء به المصطفى ﷺ، فقال - عز من قائل -: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ...﴾الآيتان[1].

البلاغة بين يدي التقديم والتأخير:

أولاً: في قوله - تعالى -: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾.

إذ قدّر الشهاب: ﴿وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ أراد أنها: «لا تضطرب للمكاره، لأنسها بالله - تعالى -، واعتمادها عليه في الإزالة أو الثبوت عليها، والضمائر كلها لله»[2]؛ فدل هذا على تقديم الجار والمجرور ﴿بِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾، وحقه التأخير؛ لأنه متعلق بالفعل تطمئن، وذلك للاهتمام بذكره، كما أن في تقديمه لطيفة بلاغية أخرى لا يدل عليها لو تأخر: تعني أنه لا اطمئنان ولا راحة إلا بذكر الله - تعالى -[3].

---

(١) ينظر: الكشاف (٢/٥٠٧، ٥٠٨)، ومفاتيح الغيب (١٠/١٩/٣٩).

(٢) حاشية الشهاب (٥/٤١٣)، وينظر: الفتوحات الإلهية (٤/١١٧).

(٣) على أي وجه كان تفسير (ذكر الله).

ولو تأخر فقيل: تطمئن قلوبهم بذكر الله - تعالى - لدل على اطمئنانها بشيء آخر، وهذا مما ينافي الإيمان والواقع. وفي هذه الصياغة تعريض بالكفار الذين ورد ذكرهم في الآية السابقة؛ حيث لم يطمئنوا للقرآن الكريم ولنزوله على صدق المصطفى ﷺ. فطلبوا دلائل أخرى تدل على صدقه.

ثانياً: البلاغة في تقديم المسند إليه في قوله - تعالى -: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ﴾ [الآية: ٢٩].

أنه للتشويق، حيث قُدم المبتدأ[1]: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾؛ للتشويق لأن الاسم الموصول وصلته كالشيء الواحد، فلما طالت الصلة بين المبتدأ والخبر ﴿طُوبَىٰ لَهُمْ﴾ بوصف مكملات إيمان المؤمنين، اشتاقت النفوس، واشرأبت الأعناق نحو معرفة الخبر، وتطلعت إلى معرفة مصير: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾؛ فجاءت جملة الخبر بشرى لهم، وفيها مما لا يخفى من عمق الطمأنينة، لا يشعر بها إلا الذين آمنوا واجتهدوا في عمل الصالحات، لذلك ناسبه أن لا يتقدم الخبر على المبتدأ[2] لما يحمله من معنى التشويق.

---

(١) ينظر: الكشاف (٥٠٨/٢)، ومفاتيح الغيب (٤١/١٩/١٠)، وإرشاد العقل السليم (٤٥٧/٣).

(٢) أي: تقديم المسند إليه، وهو الضرب الثاني من التقديم، وهو تقديم لا على نية التأخير، ومنه تقديم المبتدأ على الخبر، والفعل على الفاعل، وذلك بأن تعمد إلى اسم فتقدمه تارة على الفعل، فتجعله مبتدأ، نحو: زيد قام، وتؤخره أخرى فتجعله فاعلاً: نحو: قام زيد. ينظر: المطول: (ص ٢٥٢).

ومن اللطائف والأسرار البلاغية في الآيتين الآتي:

١- في قوله - تعالى -: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾؛ آمنوا من الإيمان، وهو من الأمن والسلام، ومَنْ أسلمَ أمِنَ، ومَنْ أمِنَ اطمأن. والتعبير بالموصول للتعميم ليدخل كل من اتصف بالإيمان.

٢- التعبير بالماضي في قوله - تعالى -: ﴿ءَامَنُوا۟﴾ فلأنهم أوجدوا الإيمان واستقروا عليه. والتحول منه إلى المضارع في قوله - سبحانه -: ﴿وَتَطْمَئِنُّ﴾، فللدلالة على أنها صفة مستمرة، وتتجدد كلما اعترض النفس شيء من الخوف أو القلق، بقطع النظر عن الأزمنة[1].

أو كأن في تحويل الصياغة من الفعل الماضي إلى المضارع، وعداً لهم بأن الله سيذهب قلقهم واضطرابهم[2].

٣- وفي قوله - تعالى -: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ ألا: حيث افتتحت الجملة الكريمة بحرف التنبيه ﴿أَلَا﴾ إشارة إلى أهمية مضمونها[3].

٤- و(أل) في قوله - تعالى -: ﴿تَطْمَئِنُّ بِهِ ٱلْقُلُوبُ﴾ للعهد، فيكون المراد قلوب المؤمنين.

---

(١) ينظر: نظم الدرر (١٠/٣٣٦).

(٢) ينظر: سورة الرعد/ دراسة أدبية ولغوية وفكرية (ص ٢٠٠)، للشيخ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، مكتبات عكاظ للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير (١٣/٧/١٣٨)، وينظر تفسير سورة الرعد (ص ٣١)، للدكتور محمد صالح علي مصطفى، دار النفائس، ط١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

٥- اللام في قوله - تعالى -: ﴿طُوبَىٰ لَهُمْ﴾ للملك[1]، فالجنة لهم لا لغيرهم ممن لم يؤمنوا، ويدَّعون أن الجنة لهم، وفي ذلك ترغيب للمؤمنين في الأعمال الصالحة.

وتتوالى زمر المؤمنين من الأمم الأخرى وصفاتها بين التقديم والتأخير كما في قوله - تعالى -: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [القصص: ٥٢-٥٥].

من معاني الآيات الكريمة:

يشيد المولى - تبارك وتعالى - بعظمة القرآن الكريم وبصدقه، كما يشيد بأهل الكتاب - التوراة والإنجيل - الذين أقروا بأن القرآن الكريم حق، وأنه مذكور عندهم، فاستمعوا إليه وآمنوا به لاشتماله على الأوامر والنواهي والأخبار الصادقة.

كما أن الآيات الكريمة تشهد بصدق إيمان أهل الكتاب؛ لما تحلوا به من صفات الإيمان، مما استحقوا لأجله الثواب والأجر مرتين.

وترتبط الآيات الكريمة بسابقتها في قوله - تعالى -: ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [القصص: ٥١].

أنه - تعالى - يبين أن من أهل الكتاب من لم يؤمنوا بالقرآن الكريم، وأنه استوى عندهم التذكير به وعدمه، ولم يكونوا عند رجاء من يأتي منهم

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير (١٣٨/١٣/٧).

الإيمان، بالرغم من تواتر الدلائل على صحة القرآن الكريم؛ فناسب ذلك أن يبين شمائل الذين آمنوا منهم، في آيات الشاهد الكريمة[1].

وقيل: نزلت في مؤمني أهل الكتاب، أربعون من مسلمي أهل الإنجيل، واثنان جاؤوا مع جعفر من أرض الحبشة، وثمانية من الشام[2].

البلاغة في صفات المؤمنين تبدو في التقديم والتأخير في قوله - تعالى -: ﴿هُم بِهِۦ يُؤۡمِنُونَ﴾.

حيث قدم المتعلِّق الجار والمجرور ﴿بِهِۦ﴾ على المتعلَّق ﴿يُؤۡمِنُونَ﴾، وقد أفاد هذا التقديم أن إيمان طائفة من أهل الكتاب كان بالقرآن الكريم خاصةً وليس بغيره[3].

ولكن السمين الحلبي يرى أن هذا التقديم لا يفيد الاختصاص؛ لأنه: «لا يتأتى ذلك؛ لأنهم لو خَصوا إيمانهم بهذا الكتاب فقط لزم كفرهم بما عداه، وهو عكس المراد، وقد أبدى أهل البيان هذا في قوله - تعالى -: ﴿ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيۡهِ تَوَكَّلۡنَا ﴾؛ فقالوا: لو قُدِّم ﴿بِهِۦ﴾ لأوهم الاختصاص بالإيمان بالله وحده دون ملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وهذا بعينه جارٍ هنا، والجواب: أن الإيمان بغيره معلوم؛ فانصبَّ الغرض إلى الإيمان بهذا»[4].

---

(١) ينظر: الكشاف (٣/٤٠٧)، ومفاتيح الغيب (١٢/٢٤/٢٢٤).

(٢) ينظر: لباب النقول في أسباب النزول (ص ١٧٩)، ففيه خلاف في أعداد وأعيان الذين نزلت الآية بشأنهم.

(٣) ينظر: نظم الدرر (١٤/٣١٤).

(٤) الدر المصون (٨/٦٨٥)، وينظر حاشية زاده (٤/ ٥١٧، ٥١٨).

وأرجح الرأي الأخير؛ لأنه لو كان التقديم مفيداً الاختصاص، لكان المعنى أنهم لا يؤمنون بما كان في أيديهم من قبله، وهو التوراة والإنجيل، وهذا غير صحيح؛ لأنه ﷻ قال بعد ذلك: ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ﴾ فدلَّ على أن إيمانهم حاصل قبل نزول القرآن الكريم، وأنه معلوم لديهم في كتبهم أنه سينزله - سبحانه - في آخر الزمن على يد خاتم الأنبياء ﷺ.

ويُضاف إلى ذلك توافق الفاصلة (يؤمنون) مع باقي فواصل الآيات، فلو قيل: هم يؤمنون به، بتأخير الجار والمجرور (به) لذهب رونق تتابع الكلام على نظامٍ واحدٍ؛ ولافتقد الكلام إلى جمال الوقف على النون في قوله - تعالى-: (﴿يُؤْمِنُونَ﴾، ﴿مُسْلِمِينَ﴾، ﴿يُنفِقُونَ﴾، ﴿ٱلْجَٰهِلِينَ﴾)، فتبادل حروف اللين بشكل منتظم، واو فنون، وياء فنون، ثم واو أخرى فنون وياء فنُون، مع ما يبعثه ذلك في النفس من مشاعر متوهجة نحو صفات هؤلاء المؤمنين، بالإضافة إلى أثر صوت الغنَّة، وما يرافقه من ذبذبات تهتز بها كوامن، وتستجيب لها أفئدة أولي الألباب بالإيمان. فلا يجدون إلاَّ الإقرار بالإيمان والتسليم قائلين: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ﴾. **فتقديم الجار والمجرور ﴿مِن قَبْلِهِۦ﴾ على متعلقه** وهو اسم الفاعل ﴿مُسْلِمِينَ﴾ للاهتمام بالجار والمجرور ﴿مِن قَبْلِهِۦ﴾، مما يشير إلى حرصهم على أن إيمانهم عريق، وأنه كان من قبل أن ينزل القرآن الكريم، فمقتضى الاهتمام ببيان إسلامهم.

ثم في تقديم الجار والمجرور ﴿مِن قَبْلِهِۦ﴾، وتأخير المسند ﴿مُسْلِمِينَ﴾، مما يسهم في تشكيل عقْد فواصل منتظمة كان لها دور وبلاغة تثير في النفس مشاعر الإعجاز القرآني، وتلقي في النفوس هيبة المؤمنين، كما بُيِّن ذلك في الكلام السابق.

وتظهر آثار الإيمان على المؤمنين، فتخرجهم في قالب امتزجت فيه تعاليم الدين بالنفس المذعنة للإيمان امتزاجاً تاماً، حتى جعلتهم كما وصفهم القرآن الكريم بقوله - سبحانه -: ﴿وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ﴾. وأصل الكلام: ويدرؤون السيئة بالحسنة، **فقدم الجار والمجرور ﴿بِٱلْحَسَنَةِ﴾** لإفادة الاهتمام بالحسنة. فلعلم الشارع الحكيم بالنفوس وبأدوائها، ولعلمه بما يصلحها عندما تتعرض لأزمة الخلافات؛ فلا ينفع في مثل ذلك إلاّ دفع هذه السيئة بحسنةٍ تزيلها، فترأب الصدع، ويزول الخلاف، ويحل التآلف بين طبقات المجتمع المسلم، بالإضافة ما لذلك من الأجر الكبير عند الله ﷻ.

فقدم الجار والمجرور ﴿بِٱلْحَسَنَةِ﴾، لأنها مما يحرصون عليه، فيبادرون إليها، ويسرعون إلى فعلها، والدَّرء: هو الميل إلى أحد الجانبين، يقال: درأت عنه أي دفعت عن جانبه[1].

ومما يناسب هذه الصفة الكريمة أن تُلْحَق بوصفٍ آخر، قوله - تعالى -: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ **حيث قدم المفعول به (ما رزقناهم)** للاهتمام بشأن المنْفَق منه، وهو الرزق الذي آتاهم الله - تعالى -؛ فدل على أنهم يعلمون حقَّ الله ﷻ في أموالهم، وأنهم يجعلون في أموالهم نصيباً للنفقة، كما أمرهم ربهم في سبيل الخير، وللتوسعة على الأهل، وعلى من يعولون.

وإنما قُدم **المسند في قوله - تعالى -: ﴿لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ﴾ على المسند إليه - الجار والمجرور - لإفادة الاختصاص**؛ فكل مجازى على عمله: المؤمنون لهم جزاء عملهم، لا يتجاوزهم إلى غيرهم، والكافرون لهم جزاء أعمالهم، لا يتجاوزونها إلى غيرهم.

(١) ينظر: المفردات (ص ١٦٩).

من الأسرار البلاغية في الآيات الكريمة الآتي:

في قوله - تعالى -: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ﴾، هذه الجملة الكريمة، دلالة إيمانهم بالرسول ﷺ لعلمهم به في كتبهم، ومن لم يعلم به كذلك أولى بالإيمان به[١].

* **الاستئناف البياني** في قوله - تعالى -: ﴿إِنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّنَآ﴾ **وهي ما يسمى بشبه كمال الاتصال**، وقد نتج عن سؤال تقديره: لماذا آمنتم به؟ فقالوا: إنه الحق من ربنا. **وبلاغته**: أنه جاء تعليلاً لما أوجب الإيمان.

وكذلك الاستئناف في قوله – تعالى -: ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلِهِۦ مُسۡلِمِينَ﴾ **بيان لمعنى** ﴿ءَامَنَّا بِهِۦٓ﴾، وفيه الدلالة على أن إيمانهم ليس حديثاً، وإنما هو قديم، فقد علموا خبره من الكتب المتقدمة. فلذلك جاءت جملة الاستئناف بياناً لسبب إيمانهم بالقرآن الكريم[٢].

* ووصف القرآن الكريم بأنه: ﴿ٱلۡحَقُّ﴾ دليل على أنه من عند الله – تعالى - مما يوجب الإيمان به[٣]، **والتعبير باسم الإشارة** ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: والذي يدل على البعد، فيه إشارة لبعد منزلتهم ورفعتهم لما يتصفون به من صفات الإيمان.

* وفي قوله - تعالى -: ﴿أَجۡرَهُم مَّرَّتَيۡنِ﴾دلالة على مضاعفة الأجر، مرة على إيمانهم بكتابهم، ومرة على إيمانهم بالقرآن الكريم.

---

(١) ينظر: مفاتيح الغيب (١٢/ ٢٤/ ٢٢٤).

(٢) ينظر: الكشاف (٣/ ٤٠٧)، ومفاتيح الغيب (١٢/ ٢٤/ ٢٢٤)، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل (٢/ ١٩٦)، والفتوحات الإلهية (٦/ ٣٦)، وحاشية الكازروني (٤/ ١٣٠).

(٣) ينظر: مفاتيح الغيب (١٢/ ٢٤/ ٢٢٤).

* ثم بعد أن انتهى من مدحهم بالإيمان، ثنّى بالطاعات البدنية[1]، حيث يقول - تعالى -: ﴿وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ﴾، الجملة الفعلية وفعلها مضارع يدل على التجدد والحدوث، مما يناسب حدوث السيئة وتجددها حيناً فحين، وكذلك دفعها بالحسنة يتجدد لقوله ﷺ: **(واتبع السيئة الحسنة تمحها)**[2].

وإن لمؤمني أهل الكتاب الذين آمنوا بالرسول ﷺ من حسن الخلق، والصفات الحسنة ما جعل نفوسهم رقيقة لينة تعيش عالماً روحانياً وإيمانياً متميزاً؛ لذلك فهم يبتعدون عن أماكن اللغو واللهو، وكل ما فيه ذهاب بهيبة الإيمان الذي يتقلدون. ولقد جاء التعبير عن هذا المعنى **بالتقييد** بأداة الشرط، في قوله - تعالى -: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾ فعندما يبادرهم اللاغون بلغوهم؛ يعرضون عنهم تكرماً، متحاملين على أنفسهم مرَّ الإساءة، وكل قول باطلٍ. وأراد به هذا الشتم والأذى من الكفار[3].

وبلاغة التقييد بالشرط: تصور المؤمنين، بأنهم لا يتحاشون الناس، ولا يتجنبون مخالطتهم لذواتهم، ولا لأمور دنيوية، وإنما يبتعدون إذا سمعوا لغواً، وكذلك فقد جاء وصفهم في آية أخرى بقوله ﷻ: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِٱللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ [الفرقان: ٧٢].

---

(١) ينظر: إرشاد العقل السليم (٥/١٢٩).

(٢) أخرجه الترمذي في الجامع الصحيح، كتاب البر، باب ما جاء في معاشرة الناس (٤/٣٥٥) رقم (١٩٨٧)، وأحمد في المسند (ص ١٦٢٣)، رقم (٢٢٣٣٧).

(٣) ينظر: تفسير الجلالين (ص ٥١٥).

وفي قوله - تعالى -: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ جاءت (من) للتبعيض، للدلالة على استحواذهم على الرشد في النفقة، من حيث المقدار، وكونه حلالاً طيباً فلإسناد الضمير (نا) إلى الفعل (رزق).

ومن صفات المؤمنين المنفية قوله - تعالى -: ﴿لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾ حيث التعبير بلفظ ﴿الْجَاهِلِينَ﴾ من أبلغ الألفاظ، وهي تصور حال المؤمنين يطلبون العلم ومكارم الأخلاق، والجملة تعليل للمتاركة، أي: لا نحب مخالطة أهل الجهل[1].

الكناية في قوله - تعالى -: ﴿لَنَا أَعْمَالُنَا﴾[2]؛ حيث أطلق العمل، وأريد منه الجزاء عليه.

وتتوالى صفات المؤمنين بين التقديم في موضع والتأخير في آخر، ولكل منها مقام تناسبه، وجمال تظهره، ويتجلى ذلك في قوله - تعالى -: ﴿فَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ﴾ [الشورى: ٣٦-٣٩].

من معاني صفات المؤمنين:

الآيات الكريمة خطاب لعامة الناس، أراد به المولى تزهيدهم في الدنيا، وترغيبهم فيما عنده ﷻ، فذكر عدداً من صفات المؤمنين التي تؤهلهم للبقاء الدائم في النعيم، فمن تلك الصفات توكلهم على ربهم؛ مما يستلزم إيمانهم

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير (١٠/٢٠/١٤٦).

(٢) ينظر: المرجع والموضع ذاته.

ظاهراً وباطناً، ثم مغفرتهم الإساءة وعدم إنفاذها، وفي ذلك حض على كسر حدة الغضب، والتدرب على إطفائه، ثم هم ينفقون في سبيل الله - تعالى - من الحلال الطيب، وهم الذين لا يقبلون الظلم والبغي والعدوان، فينتصرون للحق، وذلك تغيير منكرْ، وهذا لا يتنافى مع المغفرة المنوه بذكرها، فإن كلاً منهما فضيلة محمودة في نفسها[1].

من بلاغة التقديم والتأخير: في قوله - تعالى -: ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾، فقد أشارت الآية الكريمة إلى تحقق صفة التوكل على الله ﷻ في نفوسهم كما ينبغي، حيث **تقدم الجار والمجرور** ﴿عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ على متعلقه الفعلي ﴿يَتَوَكَّلُونَ﴾، فقَصَرَ صفة التوكل على الله ﷻ وحده دون سواه[2]، وبهذا القصر تحقق وصْف مشاعر الإيمان وقد تعلقت بالله ﷻ واستشعرت فيه - سبحانه - الانفراد بالقوة، التي تناسب أن يلجأ إليها كل أحد، وهي لا تنبغي إلا الله - تبارك وتعالى -، ومما يتمم الإيمان ويكمله العموم في ذلك والشمول؛ فهم يتوكلون على ﴿رَبِّهِمْ﴾ الذي رباهم، وأحسن إليهم في جميع شؤون حياتهم، لذلك جاء التعبير بـ﴿عَلَىٰ﴾ ليدل على تمكنهم من صفة التوكل؛ ولأن الإيمان عقيدة راسخة من النفس، تستولي على الجوارح قولاً وفعلاً؛ فقد جاء التعبير بالفعل ﴿يَتَوَكَّلُونَ﴾ فعلاً مضارعاً؛ ليدل على تجدد حدوث الصفة كلما آذنت الأحداث بفعلها. ولما كان الغضب جمرة تتوقد في نفس الإنسان، فتُذْهب هيبتها وتضعف قوتها، وينتج عنها ما لا فائدة فيه؛ فإن المؤمن الذي تغلغل

---

(١) ينظر: جامع البيان (٦/٤٩٨، ٤٩٩)، والمحرر الوجيز (١٤/٢٢٨، ٢٢٩)، وإرشاد العقل السليم (٦/٢١).

(٢) ينظر: إرشاد العقل السليم (٦/٢٠)، وروح المعاني (١٣/٢٥/٤٦).

الإيمان في نفسه، وتمكّن من مشاعره، يؤثر الصفح والمغفرة خلقاً؛ وقد جاء قوله - تعالى -: ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ بتقديم **المسند إليه ﴿هُمْ﴾ على المسند الفعلي ﴿يَغْفِرُونَ﴾**، وهذا التقديم لإفادة القصر[1]، وأرى في القصر مدحاً لهم بهذه الصفة (المغفرة)، **وهذا ما يعرف عند البلاغيين بالقصر الإدعائي،** وسره البلاغي يكمن في الدلالة على أنهم وصفتهم محل الإعجاب والثناء والرضا من ربِّ العالمين.

ولكن لما كان العقل يجد أن هناك من الناس من يغفر ويصفح لضعف عن أخذ الحق أحياناً، أو حباً في الشهرة، أو لمصلحة؛ فإن المؤمنين الذين تقدمت بعض صفاتهم، والذين على علم بالله ﷻ يجتنبون كبائر الإثم والفواحش؛ رغبة فيما عند الله - تعالى -، فإنهم كذلك لهم القدرة على المغفرة والصفح. وهذا الفيض من المعاني لا يتعارض مع القول بأن التقديم كان الغرض منه المحافظة على نظام الفاصلة في جميع آيات الشاهد: (واو)؛ فـ(نون)، وأن هذا التسلسل قد أسهم في إعطاء الآيات المباركة جرساً مميزاً، ولقد رأى أبو حيان أن في هذا التقديم حضاً على كسر حدة الغضب، لما لها من آثار سلبية في حياة الأفراد[2].

ولقد ورد قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ أن تكون ﴿هُمْ﴾ مبتدأ و﴿يَغْفِرُونَ﴾ الخبر. والجملة الاسمية جواب ﴿إِذَا﴾، وهذا رأي أبي البقاء[3]. واعترضه

---

(١) ينظر: الكشاف (٤/ ٢٢٢)، وإرشاد العقل السليم (٦/ ٢١) وروح المعاني (١٣/ ٢٥/ ٤٦، ٤٧)، وحاشية زاده (٤/ ٢٨٣).

(٢) ينظر: البحر المحيط (٧/ ٤٩٩).

(٣) ينظر: إملاء ما من به الرحمن (٢/ ٢٢٥).

أبوحيان، ونقله أيضاً السمين الحلبي، وحجتهما أن الجملة لو كانت جواب ﴿إِذَا﴾ لكانت بـ(الفاء)، ولا يجوز حذف الفاء إلاّ في الشعر[(١)].

وفي الواقع أن جملة جواب الشرط وردت في القرآن الكريم غير مقترنة بالفاء، كما في قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٤]. وكذلك في سورة النحل: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ [النحل: ٦١]. وعلى ذلك فتكون جملة ﴿يَغْفِرُونَ﴾ جواب الشرط، وتقديم ﴿هُمْ﴾ الغرض منه تأكيد الفاعل ﴿غَضِبُوا﴾، وهو الصواب، والله أعلم.

ومثله قوله - تعالى -: ﴿ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴾ [الشورى: ٣٩][(٢)].

ولما كانت صفات المؤمنين أساسها الطاعة والامتثال لأمر الله ﷻ، فإنهم يبادرون بالنفقة من مال الله -تبارك وتعالى- الذي آتاهم، فهم يعلمون أن لعباد الله ﷻ حقاً فيه؛ حيث قال سبحانه: ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ **فقدم الجار والمجرور ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ ﴾ على متعلقه ﴿ يُنفِقُونَ ﴾ للتعظيم**، وللاهتمام ببيان مقدار ما ينفق، وأنه بعض المال، وهذا يفيد أن (مِن) للتبعيض، وفي هذا إشارة إلى وجوب أن يشارك المؤمنون بعضهم بعضاً في سدِّ احتياجاتهم، مما يتحقق معه مبدأ التكافل الاجتماعي.

كما أن في إسناد الفعل رزق إلى (نا) التي للفاعلين، دلالة على أن الرزق من عند الله ﷻ، وهو الذي أكسب التقديم تعظيماً، وفيه إشارة إلى وجوب نقاء المال وطهارته؛ لأن الله طيب لا يقبل إلاّ طيباً. كما أن في هذه الإضافة تذكيراً بفضل الله عليهم.

---

(١) ينظر: البحر المحيط (٤٩٩/٧)، والدر المصون (٥٦٢/٩)، والفتوحات الإلهية (٦٥/٧).

(٢) ينظر: الكشاف (٢٢٢/٤)، والدر المصون (٥٦٢/٩).

ومن الشواهد على التقديم والتأخير قوله - تعالى -: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴾ [الفتح: ٢٩].

صفات المؤمنين وما تحتويه الآية من معنى:

الآية المباركة إخبار من الله - تعالى - عن رسوله ﷺ، وعن صحبه الكرام؛ بأنهم يتحلون بأكمل صفات الإيمان، والتي منها: شدتهم وغلظتهم على الكفار بجدهم واجتهادهم في نصرة دينهم، ومنها صفة أخرى مقابلة، وهي تحابّهم وتراحمهم وتعاطفهم فيما بينهم، وأما صفاتهم فيما بينهم وبين خالقهم؛ فإنهم يقضون ليلهم في تسبيح الخالق بين الركوع والسجود، ومما يميزهم كذلك أنهم حرصوا في كل تلك العبادات على بلوغهم رضا الله ﷻ، مما أكسبهم استنارةَ وجوههم، وإشراقها بنور الإيمان.

وصفات أمة محمد ﷺ قد جاءت في التوراة على هذا النحو، أما في الإنجيل، فقد جاء وصفهم على هيئة مثلٍ ضُرِب لهم من واقع بيئتهم، ومما يتعارفونه بينهم، وجعل منهم صورةً متكاملةً، كصورة الزرع عندما ينبت، فيُخرج شطأه، والشطء هو: «النبات الذي يخرج حول الأصل»[1]، مما يقوي الزرع ويجعله قائماً على أصوله، فيزداد صلابةً، والمؤمنون مع رسولهم الكريم ﷺ

---

(١) معجم مقاييس اللغة (١٨٥/٣)، (باب الشين والطاء، وما يثلثهما).

كذلك، وفي صفاتهم هذه تكذيب من الله ﷻ للمشركين الذين حادّوا الله ورسوله بألسنتهم، فقالوا: إنه ضعيف قليل لديه أصحاب يشدون أزره، وليس له أولاد يخلفونه[1].

وترتبط آية الشاهد بسابقتها قوله - تعالى -: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ [الفتح: ٢٨].

ذلك أن آية الشاهد الكريمة بمثابة إجابة عن سؤال تقديره: من هو الرسول المنوه باسمه في هذه الآية؛ فجاءت الآية الكريمة مفتتحة باسم الرسول ﷺ، وباسم صحبه الكرام ﷺ[2].

والتقديم والتأخير في صفات المؤمنين له أثره البلاغي:

لما استهلت الآية الكريمة باسم المصطفى ﷺ، وأخبرت عنه بما كرمه الله - تعالى - به، عطف عليه اسم أصحابه ﷺ تكريماً لهم، فجاء بالاسم الموصول ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ مبتدأ، وأخبر بخبره ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡ﴾، مما أوجد في النفس شوقاً إلى معرفة الخبر الذي من أجله كانت الإشادة بالرسول ﷺ،

---

(١) هذا التشبيه يسمى التشبيه التمثيلي على رأي عبد القاهر الجرجاني؛ لأنه النوع الذي يمتاز بالدقة واللطف في الفهم، ويحتاج مع صحة الطبع إلى شيء من الترفق. ينظر أسرار البلاغة (ص ١٣٥)، ط رشيد رضا، ١٤٠٣هـ. كما أن التشبيه في الآية الكريمة يعتبر من: "أوقع التشبيهات وأوضحها، وأبلغ التمثيلات. وأفصحها، وقد نقلت العرب كثيراً من أوصاف النبات والشجر إلى أوصاف الإنسان". الجمان في تشبيهات القرآن (ص ٢٥٩)، لابن ناقيا البغدادي، تحقيق: الدكتور مصطفى الصاوي الجويني، الناشر: منشأة المعارف بالإسكندرية، بدون تاريخ طبع..

(٢) ينظر: نظم الدرر (١٨/ ٣٣٧).

وبالمؤمنين الذين معه، فجاء الخبر عنهم: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى....﴾، والخبر صورتان متقابلتان: الشدة والقسوة في موضعهما مع الكافرين، ثم عطف عليها الرحمة التي أساسها ومردها اللين.

والجملة **الأخيرة احتراس** من أن يتوهم أن الغلظة والشدة هي طبعهم[1]. هذا وفي الجمع بين هاتين الخلتين المتضادتين: (﴿أَشِدَّآءُ﴾، ﴿رُحَمَآءُ﴾) طباق معنوي، حيث بين فيه أن للشدة موضعاً تقع فيه، وأن للرحمة مكاناً يجب أن تحل به، حتى يتم التوازن في صفات هذا الفوج الإلهي الذي أُخرج للناس، مما كوَّن في النفوس صورةً مشرقةً لهؤلاء المؤمنين الذي تقلدوا هاتين الصفتين.

أما تقديم صفة الشدّة على صفة الرحمة؛ فهو مما يتناسب وموضوع السورة الكريمة التي تُعدُّ المؤمنين لتثبيت دين الله - تعالى - على الأرض، ونشر نوره في كل البلاد. وأما وصفهم بالرحمة دون اللين مثلاً؛ فلأن اللين يوحي بالضعف، وهو مما لا يتناسب مع حال المؤمنين. وأن المشركين يترصدونهم في كل حين. وعلى ما في الدلالة بقوله ﴿أَشِدَّآءُ﴾ على خوضهم غمار الحرب وانشغالهم في إعداد الجيوش فإن لهم من الأحوال الإيمانية ما يدل على عمق الإيمان في قلوبهم، **وتقديم الفعل** ﴿تَرَىٰهُمْ﴾ يجعل الوصف بذلك يتحول إلى عيونٍ تبثُ نظراتها هنا وهناك، تتلمس حقيقة أحوالهم، مما يثير في النفس حب التطلع إلى مرآهم، فجاء الوصف بحالين متلاحقين: ركوع فسجود، وتقدم الركوع على

---

(١) ينظر: تحرير التحبير: (٣٥٧/٣)، لابن أبي الأصبع المصري، تقديم وتحقيق الدكتور: حفني محمد شرف، توزيع دار الكتاب السعودي، طبعة ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م، وحاشية القونوي (١٨/ ٩٧).

السجود على الترتيب الفعلي للصلاة. وهما من أصدق مشاعر الخضوع والولاء لله - تعالى -، يتلمسون بذلك و﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا﴾، فما تلبسوا به من صفات إيمانية إنما يريدون به ﴿فَضْلًا﴾، وهو مفعول به للفعل يبتغون، فقد جاء متأخراً - على وضعه النحوي -، ففي ذلك بيان أنهم يبتغون فضل الله ﷻ، وليس فضل غيره، إذ لو قدم المفعول فقيل: فضلاً من الله ورضواناً يبتغون لأوهم - قبل ذكر الجار والمجرور - أنهم قد يريدون فضلاً من غير ربهم، وهذا وصف يتنافى وكمال المدح بصفة مطلق الإيمان.

وجملة ﴿يَبْتَغُونَ﴾ استئناف بياني مبني على سؤال نشأ من بيان وصفهم بالركوع والسجود، وتقديره: ما شأنهم؟ فقيل: يبتغون.

وهذا الأسلوب يشير إلى بداية الإيمان في حياتهم، وأنه أثر فيها. وقلب موازينها إلى حياة عبادة في الليل، وعملٍ بالنهار؛ فظهرت آثار ذلك واضحةً على وجوههم، يقول - تعالى -: ﴿سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾ فقوله - سبحانه -: ﴿سِيمَاهُمْ﴾ مبتدأ، خبره ﴿فِى وُجُوهِهِم﴾، ومجيء الخبر متأخراً عن المبتدأ مدح أريد به أن تلك العلامة المميزة من السجود هي في وجوههم خاصة، واحتمال أن يكون قد تركت الصلاة أثراً غير ذلك، وفي قوله - تعالى -: ﴿مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾ احتراس من أن يكون من غيره؛ لأنه قد يطرأ وتترك الحرب آثاراً في وجوه المؤمنين. وذكر الوجوه وأراد الآثار التي تتركها الصلاة على الجباه خاصة، يعتبر مجازاً مرسلاً، حيث ذكر الكل وأراد الجزء[1]، فبالإشارة إلى عظم وجه المؤمن دل على شرفه كله، حتى وإن كانت السيما في جباههم.

---

(١) مجاز مرسل علاقته المكانية.

المبحث السادس

الإظهار والإضمار

الإظهار في اللغة:

من ظهر: الظاء والهاء والراء، أصل صحيح يدل على القوة والبروز، ومنه: ظهر يظهر ظهوراً فهو ظاهر، إذا انكشف وبان. والظهر من كل شيء خلاف البطن[1]، والعرب تقول: هذا ظهر السماء، وهذا بطن السماء لظاهرها الذي تراه[2].

وأما الإضمار:

فمن: ضمر: الضاد والميم والراء أصلان صحيحان. الأول: يدل على دقة في الشيء، والآخر يدل على غيبةٍ وتستر، يقال: أضمرت في ضميري شيئاً؛ لأنه يغيبه في قلبه وصدره[3].

ومنه السر داخل الخاطر، وقولهم: أضمرت صرف الجر إذا كان متحركاً فأسكنته[4].

وأما الإظهار والإضمار في البلاغة فمعناهما:

أن: «الأصل في الأسماء أن تكون ظاهرةً، وأصل المحدَّث عنه كذلك، والأصل أنه إذا ذكر ثانياً أن يذكر مضمراً للاستغناء عنه بالظاهر السابق»[5].

---

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة (٣/٤٧١)، (باب الظاء والهاء، وما يثلثهما).

(٢) ينظر: لسان العرب (٤/٥٢٠، ٥٢١)، (باب الراء، فصل الظاء).

(٣) ينظر: معجم مقاييس اللغة (٣/٣٧١)، (باب الضاد والميم، وما يثلثهما).

(٤) ينظر: لسان العرب (٤/٤٩٢)، (باب الراء، فصل الضاد).

(٥) البرهان في علوم القرآن (٢/٤٨٤).

أي أن الظاهر: ما له صورة في اللفظ، وهو يشمل الأسماء الموضوعة لمعانٍ محددة، مثل : (الشمس، الشجر...)، وما عدا ذلك، فإنه يكون مضمراً، وهو نوعان:

الأول: مستتر، وهو ما ليس له صورة في اللفظ.

الثاني: الظاهر، وهو ما ليس له صورة في اللفظ، ويشمل ضمائر المتكلم والغائب (...) باختلاف الحالات الإعرابية.

ومن الأغراض التي يخرج إليها:

١- لزيادة التقرير.

٢- قصد التعظيم.

٣- الإهانة والتحقير.

٤- الاستلذاذ بذكره.

٥- زيادة التقدير.

٦- إزالة اللبس حيث يكون الضمير يوهم أنه غير المراد.

٧- قصد تقوية داعية المأمور.

٨- تربية المهابة وإدخال الروع في ضمير السامع.

٩- تعظيم الأمر.

١٠- أن يقصد التوصل بالظاهر إلى الوصف.

١١- التنبيه على علة الحكم.

١٢- قصد الخصوص.

١٣- مراعاة التجنيس.

١٤- أن يتحمل ضميراً لا بد منه.

١٥- كونه أهم من الضمير[(١)].

وهذا - أي وضع المظهر موضع المضمر - يسمى خروجاً على خلاف مقتضى الظاهر[(٢)]، وقد يعكس، فيوضع المضمر موضع المظهر، وهو ضمير الشأن أو القصة، إذا لم يتقدم له مرجع في الكلام، وإنما تفسره الجملة التي بعده.

وسره البلاغي: هو تفخيم الشأن أو القصة، وتثبيتها في النفس؛ لأن: «مجيء الضمير مبهماً بدون عائد متقدم يجعل المخاطب ينشغل به، ويبحث عما يفسره، فيصغي إلى الكلام، وعندما يعثر على المفسر يقع في النفس موقعاً حسناً، فيقربها ويثبت، لأن للبيان بعد الإبهام والتفصيل بعد الإجمال أثراً حسناً في النفس، ووقعاً جميلاً»[(٣)].

ومن الشواهد على ذلك: قوله - تعالى -: ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّـٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٢٣-٢٤].

المراد من الآيتين:

تجلت صورة الإيمان وضيئة، وقد أشرقت بصفات الرجال المؤمنين الذين صدقوا فيما عاهدوا الله ورسوله عليه، من الثبات عند لقاء العدو، فقد بذلوا نفوسهم في سبيل الله ﷻ، ووفوا العهد أكمل وفاء.

---

(١) ينظر: البرهان في علوم القرآن (٢/٤٨٢-٤٩٧).

(٢) ينظر: الإيضاح (ص ٧٥).

(٣) علم المعاني (١/٢٢٤)، د. بسيوني عبد الفتاح فيود.

والنَّحْب: النذر، وأصله من النحيب، وهو الصوت، ومنه نحيب الباكي[1]؛ أي: إعلانه البكاء[2]، ومن ذلك تبين أنه لما كان عهدهم هو نذرهم الصدق في اللقاء، ومن صدق في اللقاء فإنه سيشهد، وخاصة إذا كان نذر الصدق في جميع المواطن؛ فإن قضاء النحب إذن لا يكون إلا بالموت، إما عاجلاً، وإما آجلاً، أي: هو ينتظر إتمام عهده مع الله ﷻ، ومع رسوله[3].

وعقَّب على هذه الآية ببيان حكمة الابتلاء، وعاقبة النقض، وعدم الوفاء، ثم فضيلة الالتزام بالعهد، وتفويض الجزاء في ذلك كله لله تعالى حيث قال - تعالى -: ﴿لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّـٰدِقِينَ...﴾.

وترتبط الآيتان بسابقتها في قوله - تعالى -: ﴿وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَـٰرَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا﴾ [الأحزاب: ١٥]. **وما بعدها**: لتتم المقابلة بين صفات المنافقين الذين نقضوا العهود، وبين المؤمنين الذين قضوا نحبهم والتزموا بعهد الله معهم[4].

من أسرار بلاغة الإظهار والإضمار في قوله - تعالى -: ﴿لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّـٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ إِن شَآءَ﴾ [الآية: ٢٤].

---

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة (٥/٤٠٤)، (باب النون والحاء، وما يثلثهما).

(٢) المعجم الوسيط (٢/٩٠٥).

(٣) ينظر: لباب التأويل في معاني التنزيل (٥/١٢٣، ١٢٤)، وغزوة الأحزاب في ضوء القرآن الكريم عرض وتحليل (ص ٢٢٦)، أ.د. سعود بن عبد الله الفنيسان، دار إشبيليا، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

(٤) ينظر: تيسير الكريم الرحمن (٢/٣٨٣)، وفي ظلال القرآن (٥/٢٨٤٥).

في قوله - تعالى -: ﴿ٱلصَّٰدِقِينَ﴾؛ اللام للعهد. أي المراد بهم الرجال الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه؛ لذلك فإن قوله ﷻ: ﴿ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ **من وضع المظهر موضع المضمر**[1]، والتقدير: ليجزيهم الله بصدقهم. وكذلك الشأن في قوله - تعالى -: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ التقدير: ويعذبهم. **والبلاغة في ذلك**: للإنذار بأن استحقاق كل فريق منهما بسبب عمله، وامتداحهم بصفة الصدق الذي هو من أشرف الخصال والصفات؛ بل هو أساس عمل الصالحات[2].

وفي **وضع المظهر موضع المضمر** - كذلك - بيان لمنزلة الصادقين، وأنهم أرفع شأناً من أن يعبر عنهم في ضمير يجمع بين الفريقين الصادق والمنافق. لما بينهما وبين جزائيها من التباين.

وكذلك في ذكر لفظ الجلالة ﴿ٱللَّهُ﴾ مع جزاء الصادقين دليل على عظمته، وأنه مما يليق بجلاله ﷻ، وليس كما يستحقه الصادق. وأما مع ﴿ٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ فلم يذكر؛ حيث قال - تعالى -: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ فدليل أن عذابهم على قدر ما يستحقونه، لا ظلم فيه. كما أن فيه ترفعاً عنهم وتخويفاً لهم؛ حتى يعودوا ويتوبوا فيتوب الله عليهم.

ومن اللطائف البلاغية في الآيتين الكريمتين التالي:

وصف المؤمنين بـ﴿رِجَالٌ﴾ بعث لدواعي القوة والشجاعة والثبات والصبر على الشدائد، وهي من خصائص الرجال، بل «حقيقة الرجولة الصدق، ومن

---

(١) ينظر: حاشية ابن التمجيد (١٥/ ٣٣٩)، وحاشية القونوي (١٥/ ٣٤٠).

(٢) ينظر: حاشية القونوي (١٥/ ٣٤٠).

لم يدخل في ميادين الصدق فقد خرج من حدِّ الرجولة»[١]، وفي تنكيرها تعظيم لشأنهم. وتطالعنا الآية الكريمة بمزيد صفات الكمال الإيماني، وبالجملة الاسمية لتشيع عنهم بين الكفار والمنافقين ذلك الحب العظيم لله العظيم ولرسوله الكريم.

فقال عز من قائل: ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ﴾: مَنْ: مبتدأ، وخبره الجملة الفعلية ﴿قَضَىٰ﴾ إشارة إلى أنَّ تمكنهم من الوفاء بنذورهم، وقضاء عهودهم. والتعبير بالفعل الماضي دل على تأكيد حصوله.

ومن المفسرين من حمل هذا المعنى على أنه استعارة، حيث شبه الموت بالنذر في لزوم الوقوع[٢].

ولقد رد أبو السعود الاستعارة بهذا الوجه بقوله: «وأما ما قيل من أن النحب استعير للموت، لأنه كنذرٍ لازمٍ في رقبة كل حيوان، فمسخ للاستعارة، وذهاب برونقها، وإخراج للنظم الكريم عن مقتضى المقام بالكلية»[٣].

ورأي أبي السعود فيه قوة؛ إذ استنبط معاني بلاغية لمن وصفوا بالصدق عند الوفاء بنذرهم، والتزامهم الموت شهداء في سبيل الله - تعالى - متخذين بذلك أسبابه، والإقبال عليه إقبال متشوقٍ راغبٍ في حصوله: «إما بتنزيل التزام أسبابه التي هي أفعال اختيارية للناذر منزلة التزام نفسه، وإما بتنزيل نفسه منزلة أسبابه، وإيراد الالتزام عليه، وهو الأنسب بمقام المدح»[٤].

---

(١) تفسير روح البيان (١٨٩/٧).

(٢) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٢٤٣/٢).

(٣) إرشاد العقل السليم (٢١٩/٥)، وتبعه على هذا الشيخ الجمل في الفتوحات الإلهية، ينظر: (١٦٣/٦).

(٤) إرشاد العقل السليم (٢١٩/٥).

وهو ما ذهب إليه الطاهر بن عاشور من أن قضاء النحب في هذه الآية الكريمة على طريقة الاستعارة بتشبيه الموت بالنذر في لزوم الوقوع ؛ مستشهداً في ذلك بحديث أن النبي ﷺ قال في طلحة بن عبيد الله[(١)] : **(إنه ممن قضى نحبه)**[(٢)] ، وهو لم يمت في حياة الرسول ﷺ[(٣)] .

ومع هذه البلاغة ، ومناسبتها لمقام الآية ، فإنني أرجح أن يكون قوله - تعالى - : **﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ﴾ كناية عن صفة** بناءً على ما أورده الزمخشري في تفسيره ، حيث يقول : «يحتمل موته شهيداً ، ويحتمل وفاءه بنذره من الثبات مع رسول الله ﷺ»[(٤)] .

---

(١) طلحة بن عبيد الله بن عثمان القرشي التَّيمي ، أحد العشرة المبشرين بالجنة ، وأحد الثمانية الذين سبقوا إلى الإسلام ، ومن أصحاب الشورى ، وفضائله أشهر من أن تذكر ، قتل يوم الجمل ، وكان في جيش عائشة رضي الله عنها. ينظر: الاستيعاب (٢/٢١٩ ، والإصابة في تمييز الصحابة (٢/٢٢٩).

(٢) رواه الترمذي في جامعه ، كتاب التفسير، باب ومن سورة الأحزاب ، (٥/ ٣٥٠) رقم (٣٢٠٢) ، وابن ماجه في سننه ، المقدمة ، فضل طلحة بن عبيد الله (١/ ٤٦) رقم (١٢٥) ، ورواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين (ص ١١٠١) رقم (٥٦٦٥) ، لأبي عبد الله الحاكم النيسابوري ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ـ لبنان ، ط١ ، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م ، وقال : "صحيح على شرط مسلم ، ولم يخرجاه ، وقال الألباني عنه : "صحيح" ينظر: صحيح الجامع الصغير (٢/ ٧٢٧) محمد ناصر الدين الألباني ، أشرف على طبعه زهير الشاويش ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط٢ ، ١٤٠٦هـ -١٩٨٦م.

(٣) التحرير والتنوير (١٠/٢١/٣٠٨).

(٤) الكشاف (٣/٥١٦).

وتبدو ومضات صفات المؤمنين في إظهارها في موقف ثم إضمارها في آخر، مما يكوّن بريق مشاعر الإيمان، ومن ذلك ما ورد في قوله - تعالى -: ﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٣٧-٣٨].

الآيتان الكريمتان مثل إيماني عظيم لمن آتاه الله - تعالى - المال، فهو ينفقه في طاعته، متذكراً نعم المولى عليه، منذ أن كان تراباً، ثم نطفةً، ثم رجلاً منتصب القامة، كامل الهيئة، وأعطاه من نعم الدنيا من خير ما أعطى عباده؛ فلا يليق بالإنسان أن يكفر بالله ﷻ متناسياً نعمه التي لا تعد ولا تحصى.

والآيتان الكريمتان ترتبطان بسابقاتهما قوله - تعالى -: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا ۚ وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا﴾ [الكهف: ٣٢-٣٦].

في هذه الآيات الكريمة ضرب الله مثلاً لحال الفريقين: الكافرين والمؤمنين، ظهر فيه الكافر على حقيقته السيئة، الذي امتلأت نفسه زهواً وكبراً؛ فأخذ يتعالى على خالقه متناسياً قدرته، فنسي شكر النعمة، وزاده البطر والغرور كفراً، فكفر باليوم الآخر، وشكك فيه.

وكما هي العادة في الحوار، فإنها تظهر ما في نفس المتحاورَيْن؛ لأنهما في حالة صفاء، فكل طرفٍ منهما ينبئ عن حقيقة نفسه، فجاءت محاورة المؤمن

مشيرة إلى اعتزازه بنفسه، مستشعراً عظمة الله ﷻ؛ فلا يملك أمامها إلا الاعتراف بذلك.

ومما ورد في سبب النزول؛ أن المشركين: «سألوا النبي ﷺ بمشورة اليهود عليهم أن يسألوا النبي ﷺ عن قصة أصحاب الكهف، وعن الروح، وعن هذين الرجلين، فأعلمه الله - تعالى - الجواب، وأنه مثل له ﷺ وللكفار، ومَثَلٌ لجميع من آمن بالله، وجميع من عَنَد عنه وكفر به، فقال - تعالى -: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا ...﴾ الآيات[1].

من بلاغة الإظهار والإضمار في قوله - تعالى -: ﴿لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٣٨].

الشاهد في قوله - تعالى -: ﴿هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى﴾.

﴿هُوَ﴾: ضمير الشأن، والمعنى: الشأن الله ربي[2]، وهو مبتدأ ثانٍ، والجملة الاسمية ﴿ٱللَّهُ رَبِّى﴾ خبره[3]، والجملة مفسرة، والمعنى: أنا أقول[4].

وقد كانت الآية الكريمة تصويراً لحالة المؤمن الذي يحاور أخاه في شأن الإيمان، وقد أنكر البعث والنشور بعد الموت، ثم استدرك هذا الموقف مُخلّصاً

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/٢٨٤) للزجاج، وينظر: السيرة النبوية (١/ ٢٦٥)، وجامع البيان (٥ / ٧٧)، ولباب النقول (ص ١٥٤)..

(٢) ينظر: الكشاف: (٢/٦٩٤) وإرشاد العقل السليم (٤/١٩٠)، والفتوحات الإلهية (٤/٤٢١).

(٣) ينظر: الدر المصون (٧/٤٩٢).

(٤) ينظر: تفسير الجلالين (ص ٣٨٦).

نفسه من وصمة الكفر؛ فهو يرفضها ويعتز بإيمانه قائلاً: ﴿هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي﴾، فجاء بضمير الشأن ﴿هُوَ﴾ ليثير الاهتمام نحوه تعظيماً، فالشأن والقصة: ﴿ٱللَّهُ رَبِّي﴾ تاركاً تفصيل قدرة المولى على الخلق التي هي من أسرار ألوهيته، وتاركاً سر تعلقه ذلك، فقد أشار إلى شيء منها في الآية السابقة، هذا بالإضافة إلى ما في التعبير بالمظهر ﴿هُوَ﴾ من معانٍ فقد دلت على أنه «- سبحانه - لا شيء أظهر منه، ولا شيء أبطن منه، أشار إلى ذلك جميعاً بإضماره قبل الذكر، فقال - تعالى -: ﴿هُوَ﴾ أي الظاهر أتم الظهور؛ فلا يخفى أصلاً»[1].

ولإظهار تمام اهتمام المؤمن وإخلاصه لدينه، عبَّر بقوله: ﴿لَّٰكِنَّا۠﴾[2]، استدراك، وهو على تقدير قوله لأخيه: أنت كافر بالله، لكني مؤمن موحد به ﷻ، كما تقول: زيد غائب، لكن عمراً حاضر[3]، وفائدته: مضادة ما بعد (لكن) لما قبلها، ولا سيما أن الرجلين أخوان، فحتى لا يُتوهم أن اعتقادهما سواء، لذلك وضح الموقف، وأزال الإبهام بقوله: ﴿لَّٰكِنَّا۠﴾[4].

---

(١) نظم الدرر (٦١/١٢).

(٢) أصل (لكنَّا): "لكن أنا هو الله ربي، تُركت همزة الألف من أنا، وكثر بها الكلام، فأدغمت النون من (أنا) مع النون من (لكن)". معاني القرآن (١٤٤/٢) للفراء.

وقيل: حذفت الهمزة تخفيفاً على غير قياس، ولا لعلة حذفية. ينظر: معاني القرآن وإعرابه (٢٨٦/٣).

(٣) ينظر: أنوار التنزيل (١٢/٢)، والفتوحات الإلهية (٤٢١/٤).

(٤) ينظر: التحرير والتنوير: (٣٢٣/١٥/٧).

ومن لطائف الآيتين وأسرارهما البلاغية التالي:

* الاستئناف البياني[١] في قوله - تعالى -: ﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ﴾: حيث فصلت جملة ﴿قَالَ﴾ عما قبلها ؛ لأن ما قاله الكافر يولد في نفس السامع سؤالاً ، تقديره : ماذا قال صاحبه المؤمن؟ ولما كانت الجملة الثانية في محل جوابٍ عن السؤال المقدَّر ؛ فإن ما بين الجملتين شبه كمال اتصال ، وهو مما يوجب الفصل بينهما. وفي الفصل دلالة على تميز قول المؤمن على قول الكافر ؛ فهو مما يستحق كمال العناية بفصله عن سابقه.

* الاعتراض في قوله - تعالى -: ﴿وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ﴾ بين القول والمقول. وبلاغته : أن المؤمن سارع بتوجيه هذا القول إلى الكافر فور سماعه ما قال ، وفي المجلس ذاته ؛ لأن قول الكافر منكر ينبغي إنكاره حال وقوعه.

* الاستفهام في قوله - تعالى -: ﴿أَكَفَرْتَ﴾: إنكاري[٢] ، وهو إنكار للواقع لا لإنكار الوقوع ، فالكفر واقع بيِّن من الكافرين ، ومثاله كفر صاحب الجنتين ، لكفره بالبعث.

* والتعبير بالماضي في قوله - تعالى -: ﴿أَكَفَرْتَ﴾ دلالة على تحقق وقوع الكفر منه.

* إفراد الخطاب ﴿خَلَقَكَ﴾ : وهو الفعل متصل بضمير المخاطب ، وهو الرجل الكافر ، فللإلزام والتبكيت على ما بدر من صاحب الجنتين ، والتعبير بـ(صاحب) مضافاً إلى ضميره (أي الرجل المؤمن) للدلالة على مجاورة وتلاصق الرجلين في الإقامة.

---

(١) ينظر : إرشاد العقل السليم (٤/ ١٩٠).

(٢) ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٢/ ١٢)، وينظر/ روح المعاني : (٨/ ١٦/ ٢٦٤).

* التقديم والتأخير في قوله - تعالى -: ﴿مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا﴾ فهو ترتيب في مراحل الخَلْق والتكوين ؛ فقدمت مرحلة (النطفة) على مرحلة التسوية رجلاً ؛ لأنها المرحلة التالية للمرحلة الترابية في الوجود. وهو تدرج حكيم من الأدنى إلى الأعلى ؛ تذكيراً بنعم الله - تعالى -، وبياناً لكمال قدرته - تعالى - في الخلق والتكوين. والتعبير بقوله - تعالى -: ﴿مِن تُرَابٍ﴾ من ابتدائية ولفظ التراب إشارة إلى أصل الإنسان وتذكيراً بعظمة الله ﷻ.

* تأكيد الخبر بأربع مؤكدات: لما كان الاعتراف بوحدانية الخالق ﷻ في هذا الموقف الذي ينكره أحدهم ؛ فقد ناسبه تأكيده بالجملتين الاسميتين وضمير الشأن في قوله: ﴿لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي﴾، وبالقصر في قوله -عز من قائل -: ﴿ٱللَّهُ رَبِّي﴾. وهو من باب القصر الإضافي بالنسبة إلى المخاطب، وهو بتعريف الطرفين[1] ... المسند والمسند إليه.

ومن جميل صفات المؤمنين أن سطر الله - تعالى - الإيمان في قلوبهم، وأيدهم بروح منه، حتى أصبحوا حزبه، وجاء الإظهار والإضمار أسلوباً بلاغياً ليظهر ذلك في قوله - تعالى -: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢].

الآية الكريمة من باب التخييل ؛ لأنه من الاستحالة تصور أن مؤمناً قد ملأ الإيمان قلبه يواد مشركاً، وأما الغرض من ذلك ؛ فإنه لا ينبغي، وهذا مبالغة محمودة في النهي والزجر عن ملابسته، والدعوة إلى مجانبة أعداء الله - تعالى -،

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير: (٧/١٥/٣٢٣).

وعدم مخالطتهم ومعاشرتهم[١]، كما أن افتتاح الكلام بهذه الصيغة يثير في النفس تشويقاً إلى معرفة صفات هؤلاء المؤمنين، وما سيأتي به الخطاب[٢] يترك عمقاً إيمانياً لا تخفى آثاره.

والآية الكريمة ترتبط بما جاء في أول السورة:

فهي أنسب ختام لسورة المجادلة التي ابتدأت بتصوير واقعة المرأة المسلمة التي سمع الله لها وهي تجادل رسوله ﷺ في شأن زوجها، فالانقطاع الذي تنادي به الآية المباركة بين حزب الله - تعالى - وبين حزب الشيطان هو لله ﷻ: وهو الاستجابة الطبيعية للأمَة المؤمنة، وإن المفاضلة بين حزب الله وبين حزب الشيطان هي الأمر الطبيعي الذي لا ينبغي غيره للأمَة التي اختِيرَت للدور الكوني الذي كُلِّفت به[٣].

وروي في سبب نزولها: أن أبا قحافة سبَّ رسول الله ﷺ، فصكه أبو بكر ؓ صكةً شديدةً سقط منها أرضاً، ثم ذكر ذلك لرسول الله ﷺ الذي قال: أو فعلته. قال: نعم، قال: فلا تعد إليه. ومع هذا فلم يلتزم ؓ الطاعة في هذا الموقف؛ بل الله ورسوله أكبر، فقال: لو كان السيف قريباً مني لقتلته، فأنزل الله - تعالى - هذه الآية تؤيد صنيع أبي بكر وتباركه[٤].

---

(١) ينظر: الكشاف (٤/٤٨٤)، والبحر المحيط (٨/٢٣٧)، و التحرير والتنوير: (١٣/٢٨/٥٨).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير (١٣/٢٨/٥٨).

(٣) ينظر: في ظلال القرآن (٦/٣٥١٦).

(٤) ينظر: أسباب النزول (ص ٣٤٩)، ولباب النقول (ص ٢٣١)، والرياض النضرة في مناقب العشرة (١/ ١٧٩) لأحمد بن عبد الله المحب الطبري، منشورات محمد علي بيضون - دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط٢، ٢٠٠٣م/ ١٤٢٤هـ، وقد ذكر محقق لباب النقول أنها رواية باطلة، لأنها من معلقات ابن جريج. ينظر (ص ٢٣١).

ومهما اختلفت الروايات في أسباب النزول؛ فإن المقام واحد، والموقف لا يتبدل، «فإن ظاهرها أنها متصلة المعنى بما قبلها وما بعدها من ذم المنافقين وموالاتهم اليهود، فما ذكر من قصص لسبب نزولها؛ فإنما هو أمثلة لمقتضى حكمها»[1].

من بلاغة الإظهار والإضمار: في قوله - تعالى -: ﴿أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾.

كان مقتضى السياق أن يُقَال: أولئك حزب الله ألا إن حزبه هم المفلحون. ولكنه أظهر بقوله - تعالى -: ﴿أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ﴾ وقوله: ﴿أَلَآ﴾ تنبيه وتوكيد لما سيأتي[2] لزيادة التصريح، ولتكون الجملة صالحة للتمثل بها مستقلة بدلالتها. كما أن الإظهار في الجملة الأولى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ﴾ فيه تشريف وتعظيم لشأن المؤمنين، وذلك ببيان أهمية صفاتهم عند الله ﷻ، وهذا تعريف بهم أنهم من حزب الله - تعالى -.

وفي الجملة الثانية ﴿أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ كان **الإظهار** دليلاً على رضاه - سبحانه - فهم حزبه.

وفي هذا بيان لاختصاصهم بالفوز بالفلاح، وبرضا ربّ العالمين، ولا تخفى مزية هذه الجملة بما فيها من توكيد[3].

---

(١) التحرير والتنوير (١٣/٢٨/٥٨).

(٢) ينظر: معاني القرآن وإعرابه (٥/١٤٢) للزجاج.

(٣) ينظر: إرشاد العقل السليم (٦/٢٢١)، وروح المعاني (١٤/٢٨/٢٣٠).

والحزب: الجماعة التي فيها غلظ. المفردات (ص١١٥). والمراد بها هنا: حزب الله هم الداخلون في الجمع الذي اصطفاه. ينظر: معاني القرآن وإعرابه (٥/ ١٤٢) للزجاج.

ومن الأسرار واللطائف البلاغية في الآية الكريمة التالي:

* الترتيب بين الأقرباء في قوله - تعالى -: ﴿وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾.

فلأن الآباء هم سبب وجود الأبناء، وطاعتهم ومحبتهم واجبة[1]، ثم الأبناء فلذات الأكباد، وما يجده الآباء نحوهم من المودة والحب، ثم العشيرة وبها تكون النصرة، وهي محل الفخر والعزة، ولكن كل ذلك لا محل له أمام قرابة الدين، وفخر الأخوة الإسلامية؛ فهي أجمع رابطة ينتمي إليها المؤمنون، وتذوب معها مبادئ الجاهلية. لذلك اختير **الإطناب تنبيهاً** على ما ذكر؛ فلم يقل: لا تجد المؤمنين يوادون أولي القربى[2].

* ثم في تأخير المفعول به وتقديم الجار والمجرور عليه في قوله - تعالى -: ﴿كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ﴾: دلالة على أن الله - تعالى - أعانهم وساعدهم، فكتب الإيمان في قلوبهم، وهيأهم لفعل الطاعات.

* **والتعبير بلفظ ﴿كَتَبَ﴾**: أراد به أنه قواهم بنور الإيمان[3]، وهو مناسب كذلك، فلأنه اللفظ الذي يثبت لهم الإيمان بما وفقهم فيه من الأعمال، وذلك يشبه الخرز في الأديم، والطراز في الثوب الرقيم[4]، لذلك ناسب أن يعبر بلفظ كتب؛ نظراً لما يضفيه الإيمان من جمال على هيئات المؤمنين، وكمال وهيبة

---

(١) ينظر: البحر المحيط (٨/٢٣٧).

(٢) ينظر: حاشية القونوي (١٨/٥١٩).

(٣) ينظر: معاني القرآن وإعرابه (٥/١٤٢) للزجاج .

(٤) ينظر: نظم الدرر (١٩/٣٩٩).

على أفعالهم وأقوالهم، ومجيء الفعل بصيغة الماضي ﴿كَتَبَ﴾ يدل على شدة التمكن.

* وخصَّ القلب دون غيره بالكتابة: لأن القلب اسم جامع يقتضي مقامات الباطن كلها، وفي الباطن مواضع، منها ما هو من خارج القلب، ومنها ما هو من داخل القلب، وكل علم هو أرفع، فموضعه في القلب هو أكن وأخص، ولكن ذكر القلب ينوب عن سائر المقامات عند عامة الناس، والقلب هو موضع نور الإيمان، وأصل التقوى في القلب[١]، لذلك ناسب مدلول القلب أن يكون محل كتابة الإيمان وإثباته، ومحو الكفر وآثاره، وذلك عون لأهل التقوى والصلاح.

* وفي قوله - تعالى -: ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ **تجريد بديعي**، أي: انتُزع من الإيمان روحاً[٢]، للإشارة إلى أن الروح بلغت في الإيمان أقوى مراحلها. **وسر بلاغته** في قوة هذه الروح.

* في قوله - تعالى -: ﴿رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ **استئناف بياني** للتعليل بما أفاض الله - تعالى - على المؤمنين من الرحمة بهم، والجزاء الحسن بدخولهم الجنة، علل لذلك بأنه رضاً منه ﷻ[٣].

---

(١) ينظر بيان الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللب (ص ٣٣-٥٤).

ويمكن الرجوع إلى كتاب: نوادر الأصول في معرفة أحاديث الرسول (ص ٢٥٨، و٤٣٢)، للحكيم الترمذي أيضاً، دار صادر، بيروت، دون تاريخ طبعة، فقد ذكر فيه شيئاً قريباً من هذا.

(٢) ينظر: إرشاد العقل السليم (٦/٢٢١)، و ينظر: روح المعاني: (١٤/٢٨/٢٣٠)، وحاشية القونوي (١٨/٥٢١).

(٣) ينظر: روح المعاني (١٤/٢٨/٢٣٠).

*** آخر آية في سورة المجادلة مع أول آيةٍ فيها نسيج واحد:** لما علم أمر المُجادِلَة ورَحِم شكواها وتظلمها ؛ لأنها من حزب الله العظيم ، فسمع لها قولها ؛ وهذا دليل على رضاه عنها ، ولذلك حرَّم الظهار بسبب شكواها تكريماً لها.

ولقد اختتمت السورة الكريمة بآية الشاهد ، تتوعد من تعدى حدود الله - تعالى - ، وسار على سابق عادات الجاهلية من الظهار وغيره ، فهو مجادل ، وهو من حزب الشيطان ، ولذلك نزه المؤمنين من مودة حزب الشيطان الذين يعادون الله ورسوله بانتهاك حرماته - تعالى - ، فعاد بذلك آخر السورة إلى أولها بالدليل[1].

والخطاب في الآية الكريمة : للنبي ﷺ ، وهو من خطاب الخاص الذي أراد به العموم.

وفي عدم ذكر المخاطب مصرَّحاً باسمه الشريف ؛ فلأن السورة الكريمة في مجموع أغلب آياتها خطاب للرسول ﷺ ، وكذلك في بدايتها ذُكر حوار المرأة المسلمة معه ﷺ. والمراد منه إبلاغ المسلمين عامة بتعاليم الدين الصحيحة.

وصيغة الخطاب من باب الكناية عن السعي ؛ حيث نفى وجود قوم بهذه الصفات ، وذلك من قبيل قولهم : لا أرينَّك هاهنا. أي لا تحضر هنا[2].

(١) ينظر : نظم الدرر (١٩/ ٤٠١).

(٢) ينظر : التحرير والتنوير (١٣/ ٢٨/ ٥٨).

المبحث السابع

القصـر

القَصر لغة:

القاف والصاد والراء، أصلان صحيحان، فأما أحدهما ؛ فإنه يدل على عدم وصول الشيء نهايته، والقِصَر: خلاف الطول، يقال: قَصَرْتُ الثوب والحبل تقصيراً، ويقال: قَصْر الصلاة، وهو عدم تمامها لسفر أو نحو ذلك، والأصل الآخر يدل على الحَبْس.

والقصر كذلك: الحبْس، يقال قصره: إذا حبسه، وامرأة قاصرة الطرف ؛ لا تمده إلى غير زوجها، ومنه قوله - تعالى -: ﴿فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾ [الرحمن: ٥٦].

ونلاحظ أن الأصلين متقاربان، يجتمعان في معنى واحد وهو عدم الامتداد[1]، ومنه قولهم: قصر الشيء على الأمر: رده إليه، وقولهم: يقصر درناقته على فرسه، يجعلها خاصة له[2].

أما القصر اصطلاحاً:

فهو تخصيص شيء بشيء بطريق مخصوص[3]. وهو أحد طرق القصر المصطلح

---

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة (٥/٩٦، ٩٧)، (باب القاف والصاد، وما يثلثهما)، وبصائر ذوي التمييز (٤/٢٧٣، ٢٧٤)، ولسان العرب (٥/٩٥)، (باب الراء، فصل القاف).

(٢) ينظر: المعجم الوسيط (٢/٧٣٨).

(٣) ينظر: مفتاح العلوم (ص ١٣٩)، لأبي يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن السكاكي، المكتبة العلمية الجديدة، بيروت - لبنان، ط/ بدون، والمطول (ص ٣٨١). ولقد قيد البلاغيون التخصيص بقولهم: "بطريق مخصوص" ليخرج كل ما يفيد القصر بغير تلك الطرق المخصوصة، نحو: زيد مقصور على العلم، وجاء محمد وحده، فهذه الأساليب لا تدخل في باب القصر البلاغي الذي نحن بصدد دراسته. ينظر: علم المعاني (٢/٦)، د. بسيوني عبد الفتاح فيود.

عليها من قبل البلاغيين، ونلحظ أن المعنى اللغوي هو أساس المعنى الاصطلاحي، الذي استقر عليه علماء البلاغة حينما عَرَّفوا القَصْر.

ويلتقي المعنى اللغوي والاصطلاحي: بأن الموصوف يخصص بصفة دون أخرى، كقولك: زيد قائم لا قاعد. لمن يتوهم أن زيداً على أحد الوصفين، دون ترجيح، فقد أفادت الجملة الإثبات والنفي، فأثبتت القيام لزيدٍ، ونفت عنه القعود، وغالباً ما يكون إثبات الصفة ونفي غيرها صريحاً، وقد يأتي الإثبات صريحاً، والنفي متضمناً، فعندما نقول: (إنما نجح محمد)، فقد أثبتنا النجاح لمحمد، ونفيناه عن غيره ضمناً، وقد يكون الأمر غير ذلك كما في قولهم: (ما أنت فعلت هذا)، فهنا نفيت الفعل عن المسند إليه المقدم نصاً، وأثبته لغيره ضمناً.

وهذا الشيء الذي أُثبِتَ ونُفِيَ يسمى مقصوراً، وهو إما أن يكون صفةً، أو يكون موصوفاً، والذي أثبت له يسمى مقصوراً عليه، وهو أيضاً صفةً أو موصوفاً، والطريق المخصوص هو أدوات القصر[1].

أقسام القصر:

باعتبار عموم النفي وعدم عمومه، تُقسم إلى:

١- قصر حقيقي: وهو تخصيص الشيء بالشيء على وجه الحقيقة، وأن نفس الأمر - أو الصفة - لا يتجاوزه إلى غيره. كما في قوله - تعالى -: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ٥٩].

---

(١) ينظر: هامش بغية الإيضاح (٢/ ٣، ٤)، لعبد المتعال الصعيدي، مكتبة إحياء الكتب الإسلامية، بيروت، دون تاريخ طبعة.

٢- قصر غير حقيقي: وهو القصر الإضافي: ويكون بحسب الإضافة والتخصيص، والتخصيص بالمذكور ليس مطلقاً؛ بل بالإضافة إلى معين آخر، أي: بالإضافة إلى صفةٍ أخرى[1]، ومثال ذلك قولك: (زهير شاعر لا كاتب). فالمراد قصر زهير على صفة الشعر، لا يتجاوزها إلى كونه كاتباً. أي زهير شاعر، وليس كاتباً، وهذا لا يمنع أن يكون لزهير صفة أخرى غير قول الشعر[2].

وطرق القصر كثيرة، منها:

١- النفي والاستثناء.

٢- القصر بـ(إنما).

٣- تقديم المسند أو المسند إليه أو بعض متعلقاتهما.

٤- العطف بـ(إلا)، وبـ(بل).

والمتأمل في طرق القصر يجد بينها فروقاً من حيث موقع المقصور والمقصور عليه، ففي النفي والاستثناء يأتي المقصور عليه بعد الاستثناء، أما القصر بـ(إنما)، فالمقصور يليها دائماً. أما في حالة التقديم والتأخير، فالمقدم هو المقصور عليه، والمؤخر هو المقصور. أما العطف بـ(لا)، فالمقصور عليه يكون قبلها، وإذا كان العطف بـ(بل)، فإن المقصور عليه يكون بعدهما[3].

وأغراض القصر متعددة:

لما كان القصر بمثابة تخصيص الشيء بالشيء، فإن إثبات أحدهما للآخر، ونفيه عن غيره، جعل جملة القصر في قوة جملتين، وبهذا أصبح القصر أحد طرق الإيجاز. والإيجاز من أهم أغراضه.

---

(١) ينظر: المطول (ص ٣٨١).

(٢) ينظر: الإيضاح (ص ١٢٤، ١٢٥).

(٣) ينظر: هامش بغية الإيضاح (٢/ ١٠ -١٥).

ومن أغراض القصر كذلك: أن يتعرف على حال المخاطب النفسية، وينظم عبارته بناءً على ما في نفسه من شك أو إنكار؛ حتى يتمكن الكلام، ويتقرر في الذهن، ويندفع ما في النفس من أوهام تحوم حول الواقع[١].

ومن شواهد القصر في آيات صفات المؤمنين ما جاء في قوله - تعالى -: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة: ٥].

هذه الآية المباركة تُبين حقيقة الإيمان الذي يتمكن من نفس صاحبه، وأنه يجعل تلك النفس المؤمنة تخلع عنها رداء الذل والخضوع لغير وجه الله - تعالى -، وتستجمع كل عزها وأنفتها العربية المعهودة؛ خالصة له جلت قدرته.

ولقد ورد في معنى العبادة: أنها بمعنى نخشع ونذل ونستكين؛ لأن العبودية الحقة له لا تكون إلاّ بالمذلة، وأن العرب كانت تسمي الطريق المذلل الذي وطئته الأقدام، وذللته السابلة معبداً، وأما الاستعانة؛ فإنها بمعنى: نطلب منك العون على عبادتنا إياك دون سواك[٢].

وترتبط هذه الآية بسابقاتها في قوله - تعالى -: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ... ﴾ [الفاتحة: ١-٤].

أنه لما أتمَّ العبد حمد ربه أخذ في التوجه إليه، بإظهار خضوعه وذله، وذلك ما تقتضيه العبودية من إفراد بالعبادة، وهو استئناف ابتدائي[٣].

---

(١) ينظر: بغية الإيضاح (٥/٢).

(٢) ينظر: جامع البيان (٦٩/١).

(٣) ينظر: التحرير والتنوير (١٧٧/١/١).

والقصر في الآية الكريمة أحد ألوان البلاغة التي تدل على الإعجاز، فالقصر بتقديم المفعول به ﴿ إِيَّاكَ ﴾ لقصد الاختصاص، والمعنى نخصك بالعبادة، ونخصك بالاستعانة، ولا نعبد غيرك، ولا نستعين بسواك[١].

بالإضافة إلى ما في معناه من التعظيم والاهتمام به، ما فيه من التبرئة من الشرك، والتعريض بالمشركين[٢]، ليتوافق الوضع الظاهر مع الطبع[٣]، ولما تكرر الضمير المنصوب ﴿ إِيَّاكَ ﴾ دل على زيادة الاختصاص والاعتناء بهذا المعنى - العبادة والاستعانة - لما لهما من فضلٍ، ولإبراز الاستلذاذ بالمناجاة والخطاب[٤]، كما أن فيها إشعاراً بالتنصيص على طلب العون[٥].

ولا يخفى ما في الوصف بـ﴿ إِيَّاكَ ﴾ دون (إياه)[٦] من إشعار بكون المخاطب - سبحانه - في حكم المشاهد إيماناً، ولا يرتقي المؤمن إلى هذه الدرجة من الإيمان إلاّ بعد علم ما يستلزم من معرفة أوصافه الجليلة، وهذه المعرفة لا تكون إذا كان مرجع الضمير إلا مجرد الذات، فهذه الصيغة (إياه) لا تشعر بعلية الوصف وكماله[٧].

---

(١) ينظر: الكشاف (١/ ٢٣)، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل (١/ ٩)، وحاشية ابن التمجيد (١/ ٢٣٣).

(٢) ينظر: إرشاد العقل السليم (١/ ٢٦)، وحاشية القونوي (١/ ٢٣٣).

(٣) ينظر: روح المعاني (١/ ١/ ٩٠).

(٤) ينظر: إرشاد العقل السليم (١/ ٢٦).

(٥) ينظر: روح المعاني (١/ ١/ ٩٣).

(٦) لذلك جاء التعبير بقوله - تعالى -: (إياك)، فهو واجب التقديم على فعله، لأنه ضمير. ينظر: الدر المصون (١/ ٥٩).

(٧) ينظر: حاشية الكازروني (١/ ٣١).

وما دل عليه تقديم هذا الضمير (إيا) بعد اتصاله بكاف الخطاب على ما دل عليه، من دلالات الإيمان؛ أشعر بتعلق مشاعر وجوارح المؤمن بربه - سبحانه -، وقد ترك كل ما سواه واتجه إليه ﷻ يعبده ويستعينه.

وهذا النوع من التقديم يسمى قصراً حقيقياً؛ لأن المؤمنين الذين أُلهموا الحمد والثناء؛ فإنهم لا يعبدون ولا يستعينون استعانة حقيقة بغير إرادة المولى المستحق لذلك[1].

وقصر الصفة على الموصوف هو ألاّ تتجاوز الصفة ذلك الموصوف إلى موصوف آخر، نحو قوله - تعالى -: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾؛ حيث قصرت صفة العبادة على الله ﷻ، وهي مما لا ينبغي لغيره - سبحانه - حتى يتحقق الإيمان الصحيح. وهذا القصر يسمى قصراً حقيقياً تحقيقياً، وليس كذلك في قوله - تعالى -: ﴿إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ بل هو من باب القصر الحقيقي؛ لأن الإنسان قد يحتاج إلى من يعينه ويساعده في بعض الأمور، ومن يحقق له مطالبه، وهذا النوع من المساعدة لا بد للبشر منها[2]، بل ومندوب إليها، كما في قوله - تعالى -: ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ [المائدة: ٢].

كما ناسب أن يذكر الضمير في ﴿نَعْبُدُ﴾، و﴿نَسْتَعِينُ﴾ بصيغة الجمع إشعاراً بضعف العبيد وحاجاتهم بعضهم إلى بعض، وأنهم جميعاً إلى الله - تعالى - مفتقرون، وإليه متجهون لقضاء حوائجهم[3].

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير (١/١/١٨٣).

(٢) ينظر: علم المعاني (٢/١٦)، اعتبار قصر الاستعانة عليه تعالى من باب القصر الحقيقي غير التحقيقي؛ لأن الاستعانة بغير الله تعالى كلا استعانة، المرجع ذاته (٢/٩) للدكتور بسيوني عبد الفتاح فيود.

(٣) ينظر: روح المعاني (١/١/٩٠).

وقُدِّم طلب العبادة على طلب الاستعانة[١]؛ لأنه وُصْلَة لطلب الحاجة، **وأطلق** هاتين الصفتين ليتناول كل معبود ومستعانٍ عليه، ويمكن أن يراد به وقوع الفعل من غير نظر إلى مفعول[٢].

من الأسرار واللطائف البلاغية في الآية الكريمة ما يلي:

١- الجملة الفعلية **في قوله - تعالى -:** ﴿نَعْبُدُ﴾، ﴿نَسْتَعِينُ﴾: **تدل على تجدد وحدوث الفعل كل في حينه ووقت الحاجة إليه.**

٢- **الالتفات من الغيبة إلى الخطاب في قوله - تعالى -:** ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ بالغيبة ثم ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ بالخطاب[٣] وأثره البلاغي: أن الانتقال من الغيبة إلى الخطاب، وهو على عادة افتنان العرب بالكلام، وسعة تصرفهم فيه، لما في الالتفات من تجديد لنشاط السامع، كي لا يمل من إعادة أسلوب بعينه. وهذه إحدى فوائد الالتفات المطردة، أما ما يختص به الالتفات هنا، أنه لما حمد الله - تعالى - ووصفه بصفات الكمال (﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾)، ثم التفت بالخطاب: (إياك نعبد ونستعين) بمعنى يا من له صفات الكمال، دلالة على أن تلك العبادة والاستعانة لا تحق

---

(١) وأصل ﴿نَسْتَعِينُ﴾: "نَستَعْوِن، مثل: نستخرج في الصحيح؛ لأنه من العون، فاستثقلت الكسرة على الواو، فنقلت إلى الساكن قبلها، فسكنت الواو بعد النقل وانكسر ما قبلها، فقلبت ياء، نحو: ميزان، وميقات، والسين للطلب، أي: نطلب منك العون". الدر المصون (٥٩/١)، وينظر: الكشاف (٢٤/١).

(٢) ينظر: البحر المحيط (١٤٢/١، ١٤٣)، والدر المصون (٦٠/١).

(٣) ينظر: معجم البلاغة القرآنية (٧/١).

لأحدٍ غيره؛ لتميزه بصفات الكمال[١]. ولقد كان في الالتفات بهذه الصفات الجليلة ما يبدل خفاء الغيبة إلى جلاء الحضور[٢].

* وفي إضافة الضمير **(أيا) إلى كاف الخطاب**: من باب التلطف في القول لا توجد في لفظ (إياه)، وفيه توطئة للدعاء في قوله - تعالى -: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾[٣] [الفاتحة: ٥].

* **تقديم العبادة على الاستعانة**: من باب تقديم الوسيلة، وهي عبادة الله وحده، والذل له والخضوع لطلب الحاجة حتى يستحقوا إجابة الدعاء من الله ﷻ[٤].

ومما تطيب له خواطر المؤمنين: تميزهم بصفة استمرارية الحياة، وفي ذلك ترغيب في الموت مجاهدين في سبيل الله - تعالى -، ولقد تجلى ذلك بأسلوب القصر بالعطف بـ(﴿بَلْ﴾، ﴿لَٰكِن﴾) في قوله - تعالى -: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١٥٤].

الذين قُتلوا في سبيل الله - تعالى - هم الشهداء، والآية الكريمة تبين أن وضعهم بعد القتل ليس كغيرهم من الموتى؛ بل إنهم في حياة ونعيم وعيشٍ هنيءٍ، ورزق سنيٍ، فرحين بما هم فيه من كرامة رب العالمين، لذلك نهى - سبحانه - أن يقال للشهداء موتى؛ لأن أحداً من الأحياء لا يشعر بذلك،

---

(١) ينظر: الكشاف (١/ ٢٤).

(٢) ينظر: إرشاد العقل السليم (١/ ٢٥).

(٣) ينظر: البحر المحيط (١/ ١٤١).

(٤) ينظر الكشاف (١/ ٢٤)، والبحر المحيط (١/ ١٤٢، ١٤٣).

وإن الخبر عن وجودهم أحياء، والخبر عن طبيعة عيْشهم لا يعلمه أحد من البشر، ولا ورد فيه تفصيل بذلك(١).

وترتبط الآية الكريمة بسابقتها قوله - تعالى -: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣].

بمناسبة ظاهرة؛ لأن المؤمنين لما سمعوا مِن طعن الكفار - ما سمعوا - عندما تحولت القبلة إلى الكعبة(٢)، فأُمروا عند ذلك بالاستعانة بالصبر والصلاة، وهناك من يرى أن الصبر مراد به الصبر على أذى الكفار، ومنهم من يرى أنه صبر على الجهاد، لقوله - تعالى - بعد ذلك: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقۡتَلُ...﴾ الآية(٣).

وقيل في سبب نزولها: إنها نزلت في قتلى بدر، وكانوا بضعة عشر رجلاً، ثمانية من الأنصار وستة من المهاجرين، وذلك أن الناس كانوا يقولون للرجل يقتل في سبيل الله مات فلان، وذهب عنه نعيم الدنيا وطيب عيشها، فأنزل الله هذه الآية(٤).

من بلاغة القصر بـ﴿بَلۡ﴾:

لقد نهى اللّه ﷻ عن الاعتقاد وعن القول بأن الذين يقتلون في سبيل الله أموات؛ لأن حقيقة واقعهم غير ذلك؛ فجاءت (بل) التي للإضراب؛ لإبطال مضمون هذه الجملة، وهي مناسبة في استعمالها هنا؛ فإن لها مقدرة في تقرير حكم ما قبلها وهو نفي الموت، وإثبات ضده لما بعدها وهو الحياة وهو قصر

---

(١) ينظر: جامع البيان (١/٤٣٥، ٤٣٦).

(٢) الآيتان (١٤٩، ١٥٠) من سورة البقرة.

(٣) ينظر: جامع البيان (١/٤٣٥).

(٤) أسباب النزول للواحدي (ص ٤٦، ٤٧).

إضافي؛ لأن الحكم معين بهؤلاء الموتى القتلى في سبيل، حيث قصر صفة استمرار الحياة على الشهداء؛ ولأن هذا النوع من العلم بحياة الناس بعد موتهم لم يكن معروفاً، ولكن لما جاء به القرآن الكريم فقد قلب هذا المفهوم. **وللقصر بـ﴿بَلْ﴾ سر بلاغي:** وهو إخبار المخاطبين هذا الخبر العظيم[١]، وهو حياة الشهداء حياة لها خصوصية وحقيقة لا يعلمها إلا الله[٢].

وهذا المعنى لا يتحقق إلا بتقدير المبتدأ في الجملتين: (هم أموات)، و(هم أحياء)[٣]، وبهذا التقدير يتواءم المعنى المراد من الآية، وهو أن الشهداء أحياء يرزقون كما يشاء الله - تعالى -، وأن حالهم ليس كحال غيرهم من موتى المؤمنين.

وهناك من قدَّر: (قولوا أحياء)، فإنه أمر بالقول بحياة هؤلاء، ثم الأمر بعدم القول والاعتقاد بموتهم[٤].

والذي يلوح لي أن هذا التقدير يذهب بشأن بلاغة معنى القصر الذي هيأت له ﴿بَلْ﴾. وكذلك التعبير بالجملة الاسمية؛ لأن نفي الموت في الجملة اسمية، يبدد معنى الموت ويذهبه، كما تدل جملة (هم أحياء) على استمرار الحياة وتدفق مائها، بل إنَّ حياتهم بلا زمنٍ تنتهي إليه.

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير (٢/٢/٥٣).

(٢) ينظر: روح المعاني (١/٢/٤١٨).

(٣) ينظر الكشاف (١/٢٠٥)، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل (١/٩٥)، وإرشاد العقل السليم (١/٢٢٠).

(٤) ينظر: روح المعاني (١/٢/٤١٨).

وفي نفي الموت وإثبات الحياة **طباق**. وهذا النوع من البديع يعتمد في التعبير على الكلمات المجردة، فترك في الجملة فراغاً يشعر بعد تمام الكلام أن ذلك الإيجاز قد أصبح عامراً بالمعاني، وأصبح زاخراً بالمفاهيم. فتقابل معنى الموت الذي يشعر بالفناء، ويشيع الحسرة والندم بين أهل الميت، يأتي في مطابقة (الحياة) ليوقظ في النفس شعوراً بالأمل، ويعطيها دفعةً نحو الجهاد في سبيل الله - تعالى - بكل ما في معنى الحياة التي وَعَد بها - سبحانه -، وبهذا تتكامل لنا صفة من صفات المؤمنين، وهي الشعور الدائم بالحياة والإيمان بإنجاز ما وعد الله - تبارك وتعالى - مما يحفز المؤمن نحو الجهاد وطلب الشهادة.

ومن صفات المؤمنين التي تميز بها بعضهم: (الرسوخ في العلم)، ولقد جاءت بأسلوب القصر لبيان اختصاصهم بصفات معينة نوه بها في قوله - تعالى -: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران: ٧][(١)].

هذه الجملة الكريمة مدح للمؤمنين العالمين بالتأويل، وهم الراسخون في العلم، والمراد بالراسخين: الذين يفسرون المتشابه ما هو من علمه - تعالى -، ويعلمه الراسخون كذلك، وهم الذين يعرفون الحكمة من آياته كعدد الزبانية[(٢)]،

---

(١) لقد سبق شرح هذه الآية وبيان أسرارها البلاغية في موضوع الجملة الاسمية والفعلية، وهنا أكتفي ببيان موضع القصر.

(٢) ينظر الكشاف (١/٣٣٣)، ولقد أضاف ابن عطية الأندلسي في المراد بالرسوخ أنه: "المعرفة بتصاريف الكلام، وموارد الأحكام، ومواقع المواعظ، وذلك كله بقريحة معدة". المحرر الوجيز (٣/٢٢)، وينظر: البحر المحيط (٢/٤٠١).

وهذه المعاني الجليلة التي امتدح بها أهل العلم الراسخين فيه، جعلتهم يحظون بقصر صفة أولي الألباب عليهم دون غيرهم. ولما كان التذكر[1] من أخصِّ صفاتهم، ، وأنه من الأمور المُسَلَّم بها، إلا أن من الناس منْ يتعلقون بظاهر المتشابه وتأويله باطلاً وإنكاراً منهم بأن يكون تأويل المتشابه يعلمه الله - تعالى - ويعلمه الراسخون في العلم؛ فكان من المناسب أن تكون صياغة الجملة الكريمة على طريق القصر بالنفي والاستثناء، ذلك أنه لما نفى - سبحانه - التذكر من كل أحدٍ، عاد فأثبته لأولي الألباب، وبهذا الإثبات تحقق وتحدد بأن الراسخين في العلم هم أهل التذكر حقيقةً لا غيرهم.

والنفي والاستثناء: من الطرق التي اختص بها قصْر الصفة التي ينكرها المخاطب، أو يشك في أمرها، وهذه الصياغة تجلي حقيقة الأمور، وتبين المراد من الكلام، وقد حدد الشيخ عبد القاهر هذا الأمر بقوله: «وأما الخبر بالنفي والإثبات نحو: (ما هذا إلا كذا)، و(إنْ هذا إلاَّ كذا)، فيكون لأمر ينكره المخاطب، ويشك فيه، فإذا قلت: (ما هو إلا مصيب)، أو (ما هو إلا مخطئ) قُلته لمن يدفع أن يكون الأمر على ما قلت»[2].

ومن الشواهد على القصر ما ورد في قوله - تعالى -: ﴿ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴾ [النور: ٣٦].

(١) والمراد بالتذكر الخاص بالعلماء: وقوفهم على المحكم، وبعض المتشابه، وعلوم القرآن الكريم وأمثاله. ينظر: المفردات (ص ١٧٩).

(٢) دلائل الإعجاز (ص ٣٣٢).

سيرد بيان هذه الآية الكريمة في موضوع الفصل والوصل، وأقدم هنا فقط ما فيها من القصر بتقديم الجار والمجرور في قوله - تعالى -: ﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا﴾ الآية.

والتقديم أفاد أنهم لا يذكرون غيره - سبحانه -، وتأخير قوله - تعالى -: ﴿فِيهَا﴾ دلالة على معنى أنهم يسبحونه فيها وفي غيرها من الأماكن، وفي أنفسهم.

وهذا يفيد أن حال المؤمنين دائماً في شغل بالله ﷻ وبذكره.

وقوله - تعالى -: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر: ٩].

وترتبط بسابقتيها قوله - تعالى -: ﴿إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ﴾ [الزمر: ٧، ٨].

حيث بيَّن - سبحانه وتعالى - أن الناس فريقان: أهل الكفر، وأهل الإيمان، ثم توعَّد الكفار بما أعده لهم في نار جهنم، وناسب ذلك أن ينفي في آية الشاهد الكريمة المساواة بين الفريقين؛ بين المؤمن القانت المقيم على سجوده وقيامه في مختلف أوقات الليل، بين الرجاء والحذر، وبين الكافر المقيم على معصية رب العالمين[1].

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٢/٣٢١).

والمراد بتذكر أولي الألباب أن الجاهل والعالم لا يستويان في المنزلة وفي الفهم، وهذا الكلام عائد على ما سبق في صدر هذه الآية من عدم الاستواء بين القانت وغيره، ثم نفي الاستواء بين العالم والجاهل، ثم أشار بقوله - تعالى -: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ إلى أن فضل هذا التفاوت في العلم لا يدركه إلا أهل العلم. ولقد جاءت هذه المعاني بطريق القصر؛ حيث قصر صفة التذكر على أولي الألباب، وهذه من الحقائق المسلم بها، والتي لا ينكرها عاقل؛ لذلك كان في اختيار التعبير بـ﴿إِنَّمَا﴾ إحدى طرق القصر: دقة متناهية، وبلاغة عظيمة لأن ﴿إِنَّمَا﴾: «تجيء لخبرٍ لا يجهله المخاطب، ولا يدفع صحته»[1].

ولقد ناسب التعبير بها - كذلك - فلأن أحسن مواقعها هو التعريض، وهنا تعريض «بأن الكفار من فرط جهلهم كالبهائم، فطمَعُ النظر منهم كطمعه منها»[2]؛ لأنهم لا يعرفون الله - تعالى - إلا وقت الشدة، فهم كمن أُغلقت مسامع قلوبهم، وفقدوا إحساسهم وعقلهم، فعرّضوا أنفسهم للعذاب الذي توعدهم به في الآية السابقة على آية الشاهد.

وفي قوله - تعالى -: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ فصل: حيث فصلت عن قوله - تعالى -: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى﴾؛ لأن الثانية إنشائية لفظاً ومعنى، والجملة الأولى خبرية لفظاً ومعنى، لذلك لا يمكن أن تعطف الجملة الثانية على الأولى، لما بينهما

---

(١) دلائل الإعجاز ص (٣٣٠).

(٢) الأطول (١/ ٥٠) شرح تلخيص مفتاح العلوم للعلامة: إبراهيم بن محمد ابن عربشاه عصام الدين الحنفي، ت/ د. عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، منشورات عباس الباز بمكة المكرمة، ط١، ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م.

من كمال الانقطاع، ولهذه الصياغة سر بلاغي: حيث القصر بما فيه من معنى التعريض - المنوه ذكره - قد جعل هذه الجملة ذات معنى مستقل بذاته: «غير داخل في الكلام المأمور به وارد من جهته تعالى بعد الأمر بما ذكر من القوارع الزاجرة عن الكفر والمعاصي؛ لبيان عدم تأثيرها في قلوب الكفرة لاختلال عقولهم»[١].

من اللطائف والأسرار البلاغية في الآية الكريمة ما يلي:

* في قوله - تعالى -: ﴿أَمَّنْ﴾، حيث أدخلت (أم) على (مَنْ)، أدغمتا فأصبحت ﴿أَمَّنْ﴾. و (أم) هنا المتصلة[٢]، ومعادلها محذوف، وهو خبر المبتدأ (من). وقد حذف ثقةً بدلالة مساق الكلام عليه، وتقديره: أمَّن هو قانت كغيره، لدلالة الكلام عليه، وهو ذكر الكافر، الذي ورد عنه في الآيتين السابقتين لآية الشاهد[٣]، والاستفهام بـ(أم)[٤] يدل على نفي المساواة بين أهل الإيمان المداومين على الطاعة، وبين أهل الكفر، ويدل على عدم تصور أن يكون بينهما وجه للمساواة؛ بل أوحت بتأكيد التهديد والتهكم لمن كفر وعصى ربَّ العالمين، ولم يعرفه إلاَّ وقت الشدة والحاجة[٥].

---

(١) إرشاد العقل السليم (٥/٣٨٣)، وينظر: الفتوحات الإلهية (٦/٤١٧، ٤١٨).

(٢) المراد بأم المتصلة: أنها حرف عطف، وهي قسمان: أن تتقدم عليها همزة التسوية، والثاني: أن يطلب بها التعيين. وسميت متصلة لأن ما قبلها وما بعدها لا يستغنى بأحدهما عن الآخر. ينظر: الإتقان في علوم القرآن (١/٢٠٠).

(٣) ينظر: الكشاف (٤/١١٢)، والفتوحات الإلهية (٦/٤١٩).

(٤) المراد بـ(أم) هنا التي للتصور، كما في قولهم: أدبس في الإناء أم عسل؟ ينظر: الإيضاح (ص ١٣٥).

(٥) ينظر: الكشاف (٤/١١٢)، وإرشاد العقل السليم (٥/٣٨٢)، وروح المعاني (١٢/٢٣/٢٣٦)، وحاشية زاده (٤/١٩٤).

* وفي قوله - تعالى -: ﴿ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ﴾ كناية عن تعب العبادة ليلاً، بل إنها أشد وطأة؛ حيث قال - تعالى -: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡـًٔا وَأَقۡوَمُ قِيلًا﴾ [المزمل: ٦].

والتعبير باسم الفاعل - قوله- تعالى -: ﴿سَاجِدًا وَقَآئِمًا﴾ إشارة إلى طول كلٍ منهما، فحين نتأمل هذه الصيغة، نجدها توحي بهيئة السجود، حتى أنه إذا سجد لا يرفع منه، وإذا قام لا يهوي من قيامه.

وتقديم السجود على القيام: لأنه أدخل في باب العبادة، وأن أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد لقوله ﷺ: **(أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد)**[(١)].

ولا يخفى أثر الطباق بين (ساجد وقائم): ففيه إيحاء بحال ليل المؤمن وأنه يقضيه في العبادة، ومجاهدة لذة النوم بين قيام وقعود.

والعطف بين الصفتين الكريمتين: للجمع بينهما، فهما من أركان الصلاة، وترك العطف على ﴿قَٰنِتٌ﴾؛ لأن القنوت مطلق العبادة، فهو ليس مغايراً للسجود والركوع[(٢)].

* وفي قوله - تعالى -: ﴿يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦ﴾ استئناف بياني، نشأ عن سؤال أوحت به جملة الحال السابقة قوله - تعالى -: (﴿سَاجِدًا﴾ أو ﴿قَآئِمًا﴾)[(٣)]،

---

(١) ينظر: روح المعاني (١٢/٢٣/٢٣٦). والحديث أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود، (ص ٢٥٠)، رقم (٤٨٢)، وتتمته: (فأكثروا الدعاء).

(٢) ينظر: روح المعاني (١٢/٢٣/٢٣٦).

(٣) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٢/٣٢١)، وإرشاد العقل السليم (٥/٣٨٢)، وروح المعاني (١٢/٢٣/٢٣٦).

وتقديره: لماذا يطيل العبادة في وسط الليل وهدأته، والعيون مغمضة، والجفون مَسْبلة ساهية؟، الجواب: ﴿يَحْذَرُ ٱلْأَخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ﴾، ومجيء الجواب بهذه الصيغة يسمى شبه كمال اتصال، وسره البلاغي: فيه تجديد لنشاط السامع، وترغيب فيما عند الله - تعالى -، وإشارة إلى أهمية قيام الليل، فهو من أفضل صفات المؤمنين، إذ يجعل للمؤمن هيبة ووقاراً.

والعطف بين الجملتين: ((﴿يَحْذَرُ﴾، و﴿يَرْجُواْ﴾)) فللتوسط بين الكمالين؛ لأن الجملتين خبريتان لفظاً ومعنى.

* والجملتان الكريمتان حُذف فيهما المفعول به، وتقديره: يحذر عذاب الآخرة، ودلالة الحذف هنا لتهويل أمر العذاب، وإشارة إلى تنوع أهوال ذلك اليوم، تنفيراً من الوقوع فيها.

* وتقدير المحذوف في قوله - تعالى -: ﴿وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ﴾ الجنة؛ فلأنه مؤمن بأن الله - تعالى - واسع المغفرة، ثم يتفضل بالجنة.

وبين (يحذر ويرجو) طباق خفي[1]، وتقديم الحذر على الرجاء، مع بيان المرجو منه، وهو ﴿رَبِّهِۦ﴾، دل على بلوغهم الكمال، ثم إضافة الضمير إلى المؤمنين في ﴿رَبِّهِۦ﴾ دلالة على الحذر من أمور الآخرة، وليس على الحذر من أمور الدنيا[2]؛ ولأن الإحساس بعواقب الأمور مما يدفع إلى الحذر والخوف من العذاب، فطلب النفس المؤمنة للنجاة أسرع مما عداه من الآمال.

---

(١) ينظر: الإيضاح (ص ٣٠٣). وهو ملحق بالطباق، كما في قوله - تعالى -: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩] فالرحمة مسببة عن اللين ضد الشدة.

(٢) ينظر: إرشاد العقل السليم (٥/ ٣٨٢).

* مـن الـبلاغة في قـولـه - تعـالى -: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾. حيث فصلت جملة ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى﴾ عن سابقتها قوله - تعالى -: ﴿يَحْذَرُ ٱلْآخِرَةَ﴾، فإن الجملة الأولى إنشائية لفظاً ومعنى، والجملة المفصولة عنها - الجملة الثانية - خبرية لفظاً ومعنى، لذلك فصلت الجملتان الكريمتان، بل هما واجبتا الفصل.

* وكـذلك في قـولـه ﷻ: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى﴾ تأكيد لمعنى قـولـه - تعـالى -: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَـٰنِتٌ﴾: حيث أكدت إنكار التساوي بين المؤمن التقي العالم بفضل العبادة والقيام ليلاً، وبين الجاهل الذي لا يدرك ذلك.

* والتعبير بصيغة الأمر في قوله - تعالى -: ﴿قُلْ﴾ إشارة إلى مضمون ما في جملة الأمر من أهمية التعرف إلى الله - تعالى - في الرخاء والشدة، وأنه من الكفر العودة إلى الله ﷻ عند الشدة فقط. وكذلك فيه تنبيه إلى شرف العلم الذي هو سبب رفعة المنزلة. و(هي) في مقابل ﴿قُلْ﴾ التي جاءت لخطاب الكافرين في قوله - تعالى -: ﴿تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ..﴾ [الآية: ٨] فإنها تحمل في صياغتها معنى التهديد والوعيد[١].

* وسر التعبير بـ﴿هَلْ﴾ دون غيرها من أدوات الاستفهام؛ فلأن دخولها على المضارع جعل نفي المساواة يتحقق في المستقبل[٢]، وهذا يشير إلى ما ورد في الآيتين السابقتين على آية الشاهد، التي ترغب في الإيمان، وفي شكر الله ﷻ،

---

(١) ينظر: حاشية زاده (٤/١٩٤).

(٢) ينظر: الإيضاح (ص ١٣٥)، والأطول (١/٥١).

وتُذكّر بنعم المولى - تبارك وتعالى -، وتحذر من الكفر وأعماله؛ لأن عقوبة ذلك إنما تظهر في الآخرة.

ولهذا ناسب أن يكون الأسلوب في الآية المباركة تقريرياً، الغرض منه: إلزامهم بالإجابة كما ينبغي أن تكون؛ اعترافاً بفضل الله، وتخويفاً من النار.

* وفي قوله - تعالى -: ﴿ ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾:

المراد بـ﴿ ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ ﴾: أهل العمل الذين عرفوا تعاليم دينهم، ثم عملوا بمقتضاها، فأقنتوا ليلهم لله - تعالى -، ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ هم الجهلة الذين يعلمون، ولا يقتنون، ويُفتنون بما في الدنيا، لذلك فإنهم من الجهلة[1].

وفي الجملة الكريمة إيجاز بالحذف في قوله - تعالى -: ((﴿ يَعۡلَمُونَ ﴾، ﴿ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾: حيث إن حَذْفُ المفعول الأول: إشارة إلى شرف العلم في ذاته، وتقدير لمقامه؛ فهو الذي يرفع منزلة أصحابه، وحذف المفعول الثاني ﴿ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾: دلالة على حقارة الجهل في ذاته لما يجرّ إلى صاحبه من المهالك.

وهذه الجملة كذلك طباق سلب[2]: ((﴿ يَعۡلَمُونَ ﴾، و﴿ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾: فيه إدخال الحسرة والندامة على أهل الجهل يوم القيامة، إذ دعاهم جهلهم إلى عدم الحذر، وعدم التوقي من مهالك ذلك اليوم.

---

(١) ينظر: الكشاف (٤/١١٣).

(٢) طباق السلب: "هو الجمع بين فعلي مصدرٍ واحدٍ مثبتٍ ومنفي، أو أمر ونهي، كما في قوله - تعالى -: ﴿ فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ ﴾ [المائدة: ٤٤]، وقوله: ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ۝ يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ﴾ [الروم: ٦ -٧]. الإيضاح (ص ٣٠٢).

ومن الصفات التي حازت فضيلة الإيمان، واستحق صاحبها كمال الوصف بالصدق، فجاءت لذلك بأسلوب القصر بـ﴿إِنَّمَا﴾ حيث يقول - تعالى -: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحجرات: ١٥].

أخبر المولى - تبارك وتعالى - بطريق الحصر عن صفات المؤمنين الظاهر منها والباطن؛ كما بين أن صفاتهم هذه هي أمهات الفضائل: فقد صدقوا في إيمانهم، ولم يدخل نفوسهم شك في وحدانية الله ﷻ، وصدَّقوا اعتقادهم بأنهم لم يرتابوا، ولم يدخل قلوبهم شك؛ فبذلوا أنفسهم رخيصةً في سبيله - تعالى -، فجاهدوا بأموالهم وأنفسهم؛ «فهؤلاء الذين يفعلون ذلك هم الصادقون في قولهم: إنَّا مؤمنون، لا من دخل في الملة خوف السيف ليحقن دمه وماله»[1].

وترتبط الآية الكريمة بسابقتها قوله - تعالى -: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات: ١٤].

فالخطاب في الآية المباركة موجه إلى الأعراب[2]، وهو من خطاب الخاص الذي أُريد به عموم المسلمين الذين آمنوا بالقول ولم يصدقوا إيمانهم بالأفعال.

---

(١) جامع البيان (٧/٨٨).

(٢) هم أهل البادية من بني أسد. ينظر: نظم الدرر (١٨/٣٨٥). وبنو أسد: حي من بني خزيمة من العدنانية، وهم بنو أسد بن خزيمة بن مدركة. ينظر: نهاية الأرب (ص ٤٧).

وأما فحوى الخطاب ؛ فهو تشريع حقيقة الإيمان بالله - تعالى - لمن غفل عن هذه الحقيقة، وقد أُلحقت التاء بفعلهم ﴿قَالَتِ﴾ إشارة إلى ضعف عزائمهم وعقائدهم.

ثم لما نفى عنهم الإيمان ناسب في الآية التي بعدها أن يذكر الصفات التي يستحق صاحبها الوصف بالإيمان، فقال - عز من قائل -: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ الآية.

القصر بـ﴿ إِنَّمَا﴾ وأثره البلاغي في قوله - تعالى -: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ..﴾.

الآية الكريمة قد بلغت الغاية في البلاغة، حيث جاء القصر بـ﴿ إِنَّمَا﴾ في أحسن مواقعها، ذلك أن ﴿ إِنَّمَا﴾ تمتاز على بقية أدوات القصر ؛ بأنه يعقل منها الحكمان: النفي والإثبات دفعةً واحدةً[1]، كما أنه أحكم استعمالها في هذه الآية الكريمة بطريقةٍ أفادت قصر الإيمان على صنفٍ معينٍ ؛ فهو قصر صفةٍ على موصوف قصراً إضافياً، وذلك مناسب لحال من غلط من الأعراب، فظن أنه مؤمن حقاً، وهذا غلط في المفهوم، فجيء بأسلوب القلب، فقلب ذلك الخطأ الذي وقع فيه بعض الناس، ثم حصر الإيمان الصحيح فيمن هذه صفاتهم.

وسر بلاغتها: أنها أفادت من جانبٍ نفي الإيمان عن الأعراب، وعن غيرهم من الذين يقولون بالإيمان، ولا يصدقونه بالعمل. ومن جانبٍ آخر أوضحت الإيمان وصفات المؤمنين الذين بلغوا الغاية في صدق إيمانهم.

ومن أسرار التعبير بـ﴿ إِنَّمَا﴾، **أن فيه تعريضاً بغير المؤمنين**، ومرجع ذلك أن الآية إشارة إلى ما أوجب نفي الإيمان عن الأعراب، وهو شكهم وارتيابهم في

(١) ينظر: دلائل الإعجاز (ص ٣٣٥).

الدين، ثم القصر بـ﴿ إِنَّمَا﴾ إشارة إلى الذين استحقوا الوصف بكمال الإيمان، وهو عدم ارتيابهم، ففي هذا تعريض بغير المؤمنين. هذا من جهة، ومن جهةٍ ثانيةٍ؛ فإن هناك تعريضاً بهم عند الثناء على المؤمنين الذين لم يرتابوا حيث يقول - تعالى -: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴾ وهو أحد طرق القصر، حيث توسط ضمير الفصل، فأصبح التقدير: «﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴾ لا غيرهم من الذين آمنوا بألسنتهم، وارتابت قلوبهم»[1].

فهذا شأن ﴿ إِنَّمَا﴾ في التعريض بالكلام، وهو ما قال به عبد القاهر الجرجاني بأنها: «أعلق ما ترى بالقلب إذا كان لا يُراد بالكلام بعدها نفسُ معناه، ولكن التعريض بأمرٍ هو مقتضاه، نحو: أنَّا نعلم أن ليس الغرض من قوله - تعالى -: ﴿ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ [الرعد: ١٩، والزمر: ٩]. أن يعلم السامعون ظاهر معناه، ولكن أن يُذمَّ الكفارُ، وأن يقال: إنهم من فرط العناد، ومن غلبة الهوى عليهم في حكم من ليس بذي عقل، وإنكم إن طمعتم منهم في أن ينظروا ويتذكروا، كنتم كمن طمع في ذلك من غير أولي الألباب، وكذلك قوله: ﴿ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخۡشَىٰهَا ﴾ [النازعات: ٤٥]، وقوله - عز اسمه -: ﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ﴾ [فاطر: ١٨]، المعنى على أن من لم تكن له هذه الخشية، فهو كأنه ليس له أذن تسمع وقلب يعقل، فالإنذار معه كلا إنذار»[2].

---

(١) حاشية ابن التمجيد ١٨/ ١٥١.

(٢) دلائل الإعجاز (ص ٣٥٤، ٣٥٥).

ومن الأسرار البلاغية لهذه الآية ما يلي في قوله - تعالى -: ﴿ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾.

أن ﴿ثُمَّ﴾ هنا للتراخي الزمني، فقد اشترطوا كمال الإيمان وعدم الارتياب حال الإيمان، وفيما يستقبل من الزمان، كما هو معناها في سورة الأحقاف: ﴿ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟﴾[(1)] [الآية: ١٣]، ووصفهم بعدم الريب: دلالة على رسوخ الإيمان.

وقوله - تعالى -: ﴿وَجَـٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾.

المراد بالمجاهدة بالأقوال والأنفس: ترويض النفس على طاعة الله - تعالى - بتكثير ألوان العبادات البدنية والمالية، والعبادات المشتملة عليها كالحج والجهاد[(2)].

وتقديم الأموال على الأنفس، فلحاجة المؤمنين إليها، وقلتها في ذلك الزمان[(3)]؛ ولأنها قوام البدن، وبها صلاحه[(4)].

وتقديم ذكر المال والأنفس على قوله - تعالى -: ﴿فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، وذلك كما في آية الأنفال قوله - تعالى -: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: ٧٢] لأنه في هذه الآية (الأنفال) تقدم ذكر المال والفداء والغنيمة في قوله - تعالى -: ﴿مَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ

---

(١) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٤١٨/٢، ٤١٩)، وإرشاد العقل السليم (١١٩/٦، ١٢٠)، والفتوحات الإلهية (٢٥٢/٧)، وحاشية القونوي (١٥١/١٨).

(٢) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٤١٩/٢)، وإرشاد العقل السليم (١٢٠/٦)، والفتوحات الإلهية (٢٥٢/٧).

(٣) ينظر: نظم الدرر (٣٩٠/١٨).

(٤) ينظر: حاشية القونوي (١٥٢/١٨).

يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا ﴾ [الآية: ٦٧][1]، لذلك ناسبه تقديم الأموال على الأنفس في الآية الكريمة.

* **وتقييد الجهاد** في قوله - تعالى -: ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ فيه تعميم بجميع الطاعات بصرفها في سبيله وجهته[2].

* **وحذف مفعول** ﴿وَجَٰهَدُواْ﴾: وتقديره: العدو سواء العدو الظاهري، وهم الكفار، أو العدو الباطني كالشيطان والهوى[3].

ومما جاء فيه القصر في صفات المؤمنين قوله - تعالى -: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[4] [المجادلة: ٢٢]. فالشاهد في قوله - تعالى -: ﴿حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾. فهي قصر موصوف على صفة؛ إذ قصر ﴿حِزْبَ ٱللَّهِ﴾ على صفة الفلاح ﴿هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾، وهو قصر حقيقي تحقيقي؛ لأنه في الواقع والحقيقة، لا فلاح إلاّ لحزب الله - تعالى -، ولا يتحقق ذلك الفلاح لأحد إلا بالانضمام تحت لوائه.

---

(١) ينظر: البرهان في متشابه القرآن (ص ٢٠٥)، للإمام محمود بن حمزة بن نصر الكرماني، ت/ أحمد عز الدين عبدالله خلف الله، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة ط١، ١٤١١هـ/١٩٩١م.

(٢) ينظر: الفتوحات الإلهية (٧/٢٥٢).

(٣) ينظر: حاشية القونوي (١٨/١٥٢).

(٤) قد ورد في موضع الإظهار والإضمار شرح الآية وسبب نزولها وارتباطها بسابقتها.

الفصل الثالث

خصائص الجمل

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: الفصل والوصل.

المبحث الثاني: الحال.

المبحث الثالث: الإيجاز والإطناب.

المبحث الرابع: صور إخراج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر.



المبحث الأول

الفصل والوصل

الفصل في اللغة:

«الفاء والصاد واللام كلمة صحيحة تدل على تميز الشيء من الشيء، وإبانته عنه»[١]، وهو المسافة بين الشيئين والحاجز بينهما[٢].

الوصل في اللغة:

الواو والصاد واللام: «أصل واحد يدل على ضم الشيء إلى الشيء حتى يعلقه»[٣]، وهو المفصل، أو مجمع العظام[٤].

أما في عُرف البلاغيين:

فهو: «عطف بعض الجمل على بعض، والفصل تركه»[٥].

ومعلوم أن المعنى البلاغي للفصل لا ينفك عن المعنى اللغوي الذي يدل على فصل الكلام بعضه عن بعض، أو هو المسافة بين الشيئين بمعنى فصلهما، وهو كذلك في الكلام، فلا يتم الجمع بين الجملتين بأي من حروف العطف فما بينها من تراحمٍ وترابطٍ في المعنى لا تحتاج معه الجمل إلى استخدام تلك الروابط[٦].

---

(١) معجم مقاييس اللغة (٤/٥٠٥)، (باب الفاء والصاد، وما يثلثهما).

(٢) ينظر: المعجم الوسيط (٢/٦٩١).

(٣) معجم مقاييس اللغة (٦/١١٥)، (باب الواو والصاد، وما يثلثهما).

(٤) ينظر: المعجم الوسيط (٢/١٠٣٧).

(٥) الإيضاح (ص ١٤٩).

(٦) وسيتم تفصيل ذلك في مواضع الفصل.

وأما الوصل بين الجمل ؛ فإنه يكون بين الجمل التي لا محل لها من الإعراب[١] - كذلك - إذا قصد التشريك في الحكم الإعرابي، وكان بينهما مناسبة تسوغ هذا العطف.

وموضوع الفصل والوصل الذي نحن بصدد دراسته بلاغياً ؛ فإن دقة المعاني تظهر في الجمل التي لا محل لها من الإعراب، لأن الجمل التي لها محل من الإعراب أمره هين، حيث قصد به التشريك في الحكم الإعرابي فقط، و(الواو) من بين حروف العطف هي الواسطة لذلك ؛ لأنها لا تحمل من المعاني سوى التشريك في الحكم ومطلق الجمع، لذا كان العطف بها دقيقاً مشكلاً[٢]. وأما غير (الواو) من حروف العطف ؛ فإنها تفيد مع التشريك في الأحكام معاني أخرى[٣].

مواضع الفصل:

الأول: إذا كان بين الجملتين كمال اتصال: وهو أن تتفق الجملتان في الإنشائية والخبرية لفظاً ومعنى، أو معنى فقط. وذلك لما بين الجملتين من قوةٍ وترابطٍ لا تحتاج معه إلى رابطٍ. وقوة هذا التلاحم بينهما تعود إلى أمور ثلاثة:

١- أن تكون الجملة الثانية مؤكدة للأولى تأكيداً لفظياً أو معنوياً.

٢- أن تكون الجملة الثانية منزلة من الأولى بمنزلة بدل الكل أو البعض، أو بدل اشتمال.

---

(١) لأن الجمل التي لها محل لها من الإعراب والمفردات كذلك ؛ فأمرهما واضح، إذ لا يقصد منه سوى التشريك في الحكم الإعرابي.

(٢) ينظر: دلائل الإعجاز (ص ٢٢٤)، والإيضاح (ص ١٥٠، ١٤٩)، وبغية الإيضاح (٢/٦٢).

(٣) قد ضربت لها أمثلة في فصل حروف المعاني.

٣- أن تكون الجملة الثانية بياناً للجملة الأولى. كأن يكون في الجملة الأولى غموض، وتأتي الجملة الثانية بياناً وإيضاحاً لها.

الثاني: كمال الانقطاع بلا إبهام : وهو أن يكون بين الجملتين تباين تام وانقطاع كامل، ويرجع ذلك إلى اختلافهما إنشاءً وخبراً، أو لا تكون بينهما مناسبة. ويتحقق في ثلاث صور:

١- أن تختلف الجملتان خبراً وإنشاءً لفظاً ومعنى.

٢- أن تختلف الجملتان إنشاءً وخبراً معنى فقط، وتتفقان لفظاً.

٣- أن تتفق الجملتان خبراً أو إنشاء لفظاً ومعنى، ولكن يفقد الجامع بينهما أي لا توجد بينهما مناسبة تصحح العطف.

الثالث: شبه كمال الاتصال: ويسمى أيضاً بالاستئناف البياني، وهو أن تكون الجملة الأولى متضمنة لسؤال تقع الجملة الثانية جواباً له.

الرابع: شبه كمال الانقطاع: وهو أن تكون الجملة مسبوقة بجملتين يصح وصلها بالأولى منهما لوجود المناسبة، ولا يصح عطفها على الثانية؛ فيترك العطف دفعاً لتوهم العطف على الثانية، وتصبح الجملة الثالثة بمنزلة المنقطعة عن الأولى لهذا السبب.

الخامس: الفصل لعدم الاشتراك في القيد: أو كما عرفه بعض البلاغيين بالتوسط بين الكمالين، مع وجود المانع من العطف، وهو عدم الاشتراك في الحكم[١].

---

(١) ينظر: شرح السعد (٣/٢٥-٥٢)، وعلم المعاني د.بسيوني عبد الفتاح فيود (٢/١٧٠، ١٤٦)، والبلاغة الاصطلاحية (٢٦٥-٢٧٣)، للدكتور: عبده عبد العزيز قلقيلة، دار الفكر العربي، الرياض، طبعة ١٤٠٧هـ/١٩٧٨م.

مواضع الوصل:

١- الوصل لعدم الإيهام : لدفع إيهام خلاف المقصود.

٢- الوصل للتوسط بين الكمالين: وهو التوسط بين حالتي كمال الانقطاع، وكمال الاتصال.

٣- الجامع بين الجملتين وأقسامه[١].

والفصل والوصل من المباحث البلاغية المهمة ؛ وله شأن في البلاغة عظيم، لا يستغني عن دراسته أهل البلاغة للوقوف على أصوله ومواضعه، فما له من الأهمية ما تحتاج معه إلى دقة في فهمه، وذوق صحيح في إدراك أسراره، حتى إن بعض العلماء قصر البلاغة على معرفة الفصل والوصل تنبيهاً وإشارة إلى غموضه[٢].

ومعلوم أن كتب البلاغة تبدأ عادة بذكر الفصل ؛ لأنه الأصل، والوصل طارئ عليه، ومرجع ذلك أن الفصل لا يحتاج إلى حرف عطف، وعدم العطف هو الأصل ؛ فلا يفتقر إلى زيادة شيء على المنفصلين ؛ فلذلك قُدِّم، وأُخر الوصل ؛ لأنه يحتاج إلى زيادة حرف العطف، وهو لذلك فرع عما لا يفتقر إلى زيادة شيء[٣].

---

(١) ينظر: هامش بغية الإيضاح (٢/٨٤-٨٧).

(٢) فقد سجل علماء البلاغة عبارات كلها تشيد بموضوع الفصل والوصل. ينظر: البيان والتبيين (١/ ٦١)، عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق: فوزي عطوي، الشركة اللبنانية للكتاب، بيروت - لبنان، بدون تاريخ طبعة. ودلائل الإعجاز (ص ٢٢٢)، والإيضاح (ص ١٤٩).

(٣) ينظر: مواهب الفتاح لابن يعقوب المغربي وعروس الأفراح للسبكي (٣/٢، ٣).

ومن شواهده في القرآن الكريم قوله - تعالى -: ﴿الٓمٓ ۝ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ۝ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [البقرة: ١-٥].

لقد سبق شرح هذه الآيات في موضوع (الذكر والحذف)، وهنا اكتفي بتقديم أسرار البلاغة في الفصل والوصل.

ففي قوله - تعالى -: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ﴾:

١- **فصل بينهما لكمال الاتصال**؛ فالجملة الأولى ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ﴾ وصف للكتاب الكريم بكمال الهداية للناس، وقد اكتسبت هذه الفائدة من تعريف الطرفين: تعريف المسند إليه باسم الإشارة ﴿ذَٰلِكَ﴾ الذي يدل على البعيد، إشارة إلى بُعد وعلو منزلته، وأما الطرف الآخر وهو تعريف المسند ﴿ٱلۡكِتَٰبُ﴾ بالألف واللام؛ تعظيماً له.

وكذلك الشأن في قوله - تعالى -: ﴿لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ﴾؛ فإنها تفيد نفي الريب والشك؛ فلا يتطرق إليه النقص ولا الخلل، وهذا تقرير وتأكيد لمعنى الجملة الأولى، إذ يلزم من بلوغ القرآن الكريم مرتبة الكمال، أن لا يتطرق إليه الشك أو الريب؛ فجاءت جملة ﴿لَا رَيۡبَ فِيهِ﴾ مقررة لهذا المعنى ومؤكدة له.

وأيضاً في قوله - عز من قائل-: ﴿هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ أفادت أن القرآن الكريم لكماله؛ فإنه أصبح في الهداية على درجة لا يبلغها كتاب آخر، حتى كأنه هو الهداية ذاتها. فقد دل تنكير لفظ ﴿هُدٗى﴾ على التعظيم؛ بدلالة السياق، وباختيار لفظ المصدر الذي يدل على المبالغة في الوصف.

ويتضح من الجمل السابقة أنها تأكيد لجملة : ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾، ولذلك ترك العطف بينها بالواو ؛ فما بينها من القوة والاتصال مما لا تحتاج معه إلى ربط بالواو.

٢- **الفصل، لشبه كمال الاتصال** في قوله – تعالى -: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الآية: ٥]، مع ما سبقها لسؤال نشأ عن الجملة السابقة، كأنه قيل: ما بال المتقين مخصوصين بالهدى دون غيرهم؟ فكان الجواب ما انطوى عليه اسمهم من أوصافهم بصفات المتقين.

٣- **من بلاغة الوصل بين الجمل الكريمة** قوله - تعالى -: ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ وقوله - تعالى -: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾، **الوصل للتوسط بين الكمالين**، والملاحظ أن هذه الجمل قد اتفقت في الخبرية، فجاءت بصفات المؤمنين الذين آمنوا بالغيب وأقاموا الصلاة، وأنفقوا مما رزقهم الله - تعالى -. وفي تلك الأوصاف ما يجعلهم أجدر بأن يكونوا من المهتدين ومن المفلحين.

٤- وكذلك الوصل في قوله - تعالى -: ﴿بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ لكمال الاتصال[1].

والتعبير بالماضي تغليب المحقق حدوثه، وهو نزول القرآن الكريم خاتمة الرسالات، مما يدل على اهتدائهم إلى الحق.

ومن الشواهد على صفات المؤمنين، ما جاء **بالفصل والوصل**، ولقد تفردت بها إحدى نساء العالمين؛ أم عيسى عليه السلام على كل النساء في قوله - تعالى -:

(١) ينظر: معجم البلاغة القرآنية (١/ ١١ -١٥).

﴿ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾ [آل عمران: ٤٢-٤٣].

في هاتين الآيتين الكريمتين يخبر المولى ﷻ ما اختص به مريم ابنة عمران من علوِّ القدر، ورفعة الشأن، فاختارها، ووهب لها من الصفات الحميدة، والأخلاق الجميلة، ما جعلها متميزة على العالمين، ومن ذلك امتثالها لأمر ربها بالقنوت والسجود والركوع[1].

وقصة مريم هي الثالثة في سورة آل عمران. ولقد ناسب ذكرها بعد قصة زكريا عليه السلام الذي دعا الله ﷻ أن يكرمه بذرية طيبة صالحة، فالقصتان فيهما كثير من المعجزات الإلهية.

صفات المؤمنين بين الفصل والوصل:

ففي قوله - تعالى -: ﴿ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [آل عمران: ٤٢]. فالواو عطف للجملة الكريمة: ﴿ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ [الآية: ٤٢]. على جملة: ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [آل عمران: ٣٥]، وهو من باب عطف قصة البنت على قصة أمها، لما بينهما من كمال المناسبة، ووقعت قصة زكريا عليه السلام [الآيات ٣٨-٤١] فاصلة بينهما[2]، ويُسمى **بالتوسط بين الكمالين**، وهو من مواضع الوصل، فقد وُصِلَت القصتان بالواو، وهما متفقتان في الخبرية؛ لأنهما قصة الأم وابنتها.

---

(١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن (١/ ٢٢٩، ٢٣٠).

(٢) ينظر: الفتوحات الإلهية (١/ ٤١١).

وسر الوصل البلاغي: يتجلى في مضمون القصتين، قصة (حنة) أم مريم البتول زوجة عمران، وكانت عاقراً لم تلد إلى أن كبرت، ومع هذا فقد منَّ الله - تعالى - عليها بالذرية، وهذه كرامة منه - سبحانه -، واستجابة لتوسلاتها ودعائها، وهي مناسبة لقصة إيمانية تابعة لها، وهي قصة مريم ابنة عمران، التي أكرمها الله ﷻ بأمومة عيسى عليه السلام دون أب، فكانت آية لقومها[1].

وهاتان القصتان تمثلان في جانبٍ منهما صدق الإيمان بالله - تعالى -، وإخلاص الدعاء والعمل، وأثر ذلك في إجابة الدعوة وقضاء الحاجات، فهذا هو التناسب بين القصتين الذي أوجب العطف، ليدل على تلاحم مضمون ما بينهما.

ولقد تتابع الوصل بين جمل الآية الكريمة؛ لأنها قصة متفردة في نوعها، عظيمة في شأنها فقد عُطف الاصطفاء على الاصطفاء في قوله — تعالى -: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصۡطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾؛ لأن الاصطفاء الأول غير الاصطفاء الثاني، وفي بيان ذلك يقول أبو السعود: «أولاً حيث تقبلك من أمك بقبولٍ حسنٍ، ولم يتقبل غيرك أنثى، وربَّاك في حجر زكريا عليه السلام، ورزقك من رزق الجنة، وخصَّك بالكرامات السنية (...)، ﴿وَٱصۡطَفَىٰكِ﴾ آخراً ﴿عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ بأن وهب لك عيسى عليه السلام من غير أبٍ، ولم يكن ذلك لأحدٍ من النساء، وجعلكما آية للعالمين»[2].

---

(١) ينظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/١٣٧).

(٢) إرشاد العقل السليم (١/ ٣٦٧). وينظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/ ١٥٦)، وتفسير روح البيان (٢/ ٤١).

أي أن الاصطفاء الأول جعلها متميزة بقبولها محررة، مع كونها أنثى، والتطهير عن مسِّ الرجال، وعن الحيض، وعن الأفعال الذميمة، وأما الاصطفاء الثاني: فهو بولادة عيسى عليه السلام من دون أبٍ، وشهادته ببراءتها مما قذفها به اليهود[1].

فهذه الصفات مجتمعة بالواو هي التي تميز شخص مريم ابنة عمران على غيرها من نساء العالمين من جهة، ومن جهة ثانية، فإن تكرار العطف بالاصطفاء فيه تكريم لها نظراً لاختلاف المراد من الاصطفاءين.

ثم في قوله - تعالى - بعد ذلك: ﴿يَٰمَرۡيَمُ ٱقۡنُتِي...﴾ الآية. فلقد فصل النداء: ﴿يَٰمَرۡيَمُ﴾، وهو جملة إنشائية عن جزء من جملة مقول القول قوله - تعالى -: ﴿وَٱصۡطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾، ولا يعطف الخبر على الإنشاء لما بينهما من اختلاف في المعنى، فالإخبار غير الإنشاء بنداء مريم، لذلك فصل بينهما لكمال الانقطاع بين معنى الجملتين.

وكذلك الوصل في قوله - تعالى -: ﴿يَٰمَرۡيَمُ ٱقۡنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسۡجُدِي وَٱرۡكَعِي﴾. لقد عرف عن النداء في القرآن الكريم إما أنه أمر بعبادة، أو نهي عن معصية، والملاحظ أن سياق الآية المباركة أمر لمريم بالقنوت لربها عز وجل؛ فناسب ذلك أن يعْطف عليه أمراً آخراً، وهو من أخصِّ خصوصية العبادة، وهو السجود لله عز وجل، كما أنه لِما بيْن السجود والقنوت من تقارب ودليل على الإحسان؛ فإنه لا بد من العطف بهذه الواو. لأنها تعطي الدلالة بأن عرى هذه العبادة متصل بعضها ببعض.

---

(١) ينظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٣/ ١٥٦).

فاتفقت الجمل في الإنشائية، ولا مانع من الوصل، ويسمى بالتوسط بين الكمالين.

ولقد تخلل جمل الفصل والوصل عبارات بلاغية: جمّلت المعنى، وأضفت عليه مزية متفردة. فجاء النداء ﴿يَـٰمَرْيَمُ﴾ إيذاناً بأن المقصود بالخطاب ما يرد بعده من تذكيرٍ بالنعم ترغيباً في العمل بموجبها، والنداء بأطول أدواته لزيادة التنبيه[١]، وأجد في تكرار النداء إيحاءً بطيب هذا المسمى عند خالقه دلالة بلوغه علو المنزلة أن المؤمنين يتعبدون بتلاوة اسمه. ثم الخطاب وأثره البلاغي في الآية المباركة، حيث توالت صوره كلما وصفت، وأمرت لتثبيتها على الطاعة، وتثبيت غيرها من المؤمنين والمؤمنات ممن يجد في ذلك مشقة، فهي أسوة حسنة للرجال كما هي للنساء. وفي إفراده إشارة إلى أن قصتها وابنها آية لم تتكرر حتى في زمن من سبق من الأنبياء، وَمَنْ أتى بعدها؛ فناسب ذلك إفراد الخطاب.

والترتيب بين أركان الصلاة جاء بصفةٍ متميزة، وفي ذلك **بلاغة حيث قُدم السجود على الركوع**: «إما لكون الترتيب في شريعتهم كذلك، وإما لكون السجود أفضل أركان الصلاة، وأقصى مراتب الخضوع، ولا يقتضي ذلك كون الترتيب الخارجي كذلك؛ بل اللائق به الترقي من الأدنى إلى الأعلى، وإما ليقترن اركعي بالراكعين؛ للإشعار بأن من لا ركوع في صلاتهم ليسوا مصلين»[٢]، ولعله قدم السجود على الركوع تذكيراً لمريم بسجود الشكر على ما أكرمها الله - تعالى - به.

---

(١) ينظر: إرشاد العقل السليم (١/ ٣٦٧).

(٢) إرشاد العقل السليم (١/ ٣٦٧).

وفي أمر مريم بقوله - تعالى -: (﴿ٱقْنُتِى﴾، ﴿ٱسْجُدِى﴾، ﴿وَٱرْكَعِى﴾) تذكير لغيرها بذلك، وإشارة إلى وجوب تحلي المؤمن بهذه الصفات.

وفي الآية **مجاز مرسل**: حيث عبر بالجزء وأراد الكل في قوله - سبحانه -: ﴿وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى﴾، فالكل منهما جزء من الصلاة، وذلك للتذكير بأهميتهما.

في الآية - كذلك - أسلوب الترقي، فقد بدأ من الأدنى إلى الأعلى؛ القيام، عندما قال: ﴿ٱقْنُتِى﴾[1]، ثم ثنى بالسجود لأهميته، ثم ثلث بالركوع.

تأكيد الخبر ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ﴾ بالجملة الاسمية التي تدل على الثبوت، وبالأداة ﴿إِنَّ﴾.

التعبير بالفعل الماضي ﴿ٱصْطَفَىٰكِ﴾: للدلالة على تحقق وقوع الفعل، وثبوت حصوله. وأنه اختيار كائن منذ الأزل[2].

ومن الشواهد على الفصل ما جاء يبرز صفات خير أمة أخرجت للعالمين ما في قوله - تعالى -: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [آل عمران: ١١٠].

أقتصر في هذه الآية المباركة على بيان موضع الفصل والوصل فيها؛ حيث **فُصل** قوله - تعالى -: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ عن سابقه؛ أنه كلام مستأنف أراد به

---

(١) القنوت: «لزوم الطاعة مع الخضوع، وفُسِّر بكل واحدٍ منهما في قوله - تعالى -: ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨]، وقوله - تعالى -: ﴿كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾ [الروم: ٢٦]، قيل: خاضعون، وقيل: طائعون، وقيل: ساكتون». المفردات (ص ٤١٣).

(٢) ينظر: معجم البلاغة القرآنية (١/ ٣٦٣، ٣٦٤).

تثبيت المؤمنين على ما هم عليه من الصفات، وهي الدعوة إلى الخير[1]، ثم فُصِلَت جملة: ﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾[2] عما قبلها للاستئناف البياني؛ لأن الجملة جواب عن سؤال مضمونه: لماذا هي أفضل أمة؟. فجاء الجواب مفصولاً بقوله - تعالى -: ﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾ إشادة بأهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهما الصفتان اللتان تخلت عنهما الأمم الأخرى، وبخاصة اليهود، ولأنها بيان لسبب عدم الاعتراف بإيمان أهل الكتاب أنهم تركوا هذا الجانب من أوامر الدين بخاصة. وهذا الأسلوب تعريض بأهل الكتاب لا يخفى أمره.

وأما الوصل في قوله ﷻ: ﴿وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ بما قبله، وتأخيره في الذكر، وتقديم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عليه؛ فذلك للاهتمام بهما، وكون السياق لأجلهما مع تقديم الإيمان بالله - تعالى - عليهما وجوداً ورتبةً، فالتقديم للتنويه بفضل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كذلك تأخيره ليرتبط بما بعده في قوله - تعالى -: ﴿وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم﴾، ثم الوصل بين هذه الجملة المباركة وبين قوله - تعالى -: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ لما بينهما من ترابط، على معنى ولو آمن أهل الكتاب كما آمنتم، وأمروا بالمعروف كما أمرتم، ونهوا عن المنكر كما نهيتم ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم﴾[3].

---

(١) ينظر: إرشاد العقل السليم (٢/ ١٧)، وحاشية القونوي (٦/ ٢٧٠).

(٢) ورد شرحها في موضوع الظلال.

(٣) ينظر: حاشية القونوي (٦/ ٢٧٣).

وفي كل ذلك من الاهتمام بأمر صفات هؤلاء المؤمنين وأخلاقهم الشرعية ما يجعل في تطبيقها خير أمةٍ تكاملت صفاتها ومبادئها.

ومن اللطائف والأسرار البلاغية:

١ - الآية المباركة من تتمة الخطاب الأول في قوله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، ثم توالى الخطاب في الآية الكريمة بالأوامر المختلفة والنواهي.

٢- التنكير في ﴿أُمَّةٍ﴾ للتعظيم.

٣- مجيء الفعل على صيغة ما لم يسم فاعله: ﴿أُخْرِجَتْ﴾ للعلم به؛ فهو الله ﷻ إيجازاً بالاقتصار على ذكر ما هو مناط الخبر.

٤- التعريف في قوله - تعالى -: (﴿ٱلْمَعْرُوفِ﴾، ﴿ٱلْمُنكَرِ﴾) للاستغراق.

٥- عطف النهي عن المنكر على الأمر بالمعروف من باب عطف الخاص على العام، ذلك لأن الأمر بالمعروف أعم من النهي عن المنكر، وهو داخل فيه؛ لذلك قُدم.

٦- في قوله - تعالى -: ﴿وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ...﴾ إطناب؛ وهو ما يسمى بعطف العام على الخاص؛ لأن الإيمان بالله ﷻ أساس الأعمال والصفات الواردة في الآية الكريمة، فيه تذكير لأهل الكتاب بأهمية الإيمان بالله - تعالى - كما جاء في القرآن الكريم، وليس كإيمان أهل الكتاب.

ومن الشواهد على جمال صفات المؤمنين، وهي متصلة، قوله - تعالى -: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢].

ولقد سبق شرح الآية الكريمة في موضوع الحذف. وهنا أقدم ما فيها من بلاغة الفصل، الواقع في قوله - تعالى -: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾؛ فهذه الجملة الكريمة

استئناف بياني[1] مبين للجواب عن السؤال الوارد في الآية السابقة من قوله - تعالى -: ﴿فَأَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ أَحَقُّ بِٱلۡأَمۡنِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [الآية: ٨١]، وهذا السؤال نتج عن سؤال إبراهيم ﷺ، واستفهامه استفهام عالم بالوحدانية، وعالم لمن يكون الأمن في الآخرة، ولكنه جعله في صورة سؤال من لا يعلم، ثم صرح بالإجابة[2]، ولِمَا بَيْن السؤال والجواب من لُحمة فإن السؤال يدل على الجواب، ويرتبط به ارتباطاً وثيقاً؛ مما سوّغ ترك العطف؛ ولأن الجواب لا يعطف على السؤال.

وفي هذا الأسلوب بعث للفطنة، وإذكاء لروح الإنصاف والعدل في الإجابة. كما أن فيه تعريضاً بجهل الكفار، ورميهم بعدم العلم كما ورد في الآية السابقة.

ومن الشواهد القرآنية الكريمة التي عَدُب فيها وصل جمل صفات المؤمنين بعضها ببعض ما جاء في قوله - تعالى -: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ۝٣٦ رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوۡمٗا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلۡقُلُوبُ وَٱلۡأَبۡصَٰرُ ۝٣٧ لِيَجۡزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ [النور: ٣٦-٣٨].

تبين الآيات الكريمة عظمة المساجد في الإسلام، وأن المسلمين مأمورون ببنائها، وتشييد أركانها، ومن ثم إعمارها بذكر الله - تعالى -، ثم بيَّنَتْ أوصاف المؤمنين الذين يقومون بذلك؛ فذكرت أنهم الذين حصلت لهم

(١) ينظر: الكشاف (٢/ ٤٠)، وهو ما يسميه البلاغيون شبه كمال اتصال.

(٢) ينظر: البحر المحيط (٤/ ١٧٥)، ونظم الدرر (٧/ ١٦٧)، والتحرير والتنوير (٤/ ٧/ ٣٣٢).

الهداية، ومن أوصافهم القلبية تنزيههم المولى ﷻ عن النقائص، والتزام ذكره، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وخوفهم من يوم القيامة.

وترتبط الآيات بسابقتها قوله - تعالى -: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٣٥].

أنه لما ذكر أنه يهدي لنوره من يشاء، ذكر حال من حصلت لهم الهداية لذلك النور[(١)].

صفات المؤمنين بين الفصل والوصل:

لقد أراد الله ﷻ أن يعز المؤمنين، ويعلي شأنهم في الدنيا، كما هم في الآخرة، ويُظهرهم على غيرهم؛ فخصص لهم المساجد بيوتاً للعبادة، فقال - تعالى -: ﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾ فجاء بلفظ ﴿بُيُوتٍ﴾ نكرة لتعظيم شأنها[(٢)]، ولبيان أنها ليست كسائر البيوت، بل هي أعظم.

وفي جمعها دلالة على المراد بالمشكاة- في الآية السابقة-: ﴿نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ﴾ هو الجنس لا الواحد؛ لأن في وحدتها وحدة النور، إشارة إلى عزته - سبحانه -[(٣)].

---

(١) ينظر: البحر المحيط (٦/٤٢١)، والنهر الماد من البحر المحيط (٢/١/٥٤٨)، لأبي حيان الأندلسي، تقديم وضبط بوران الضناوي وهديان الضناوي، دار الجنان، مؤسسة الكتب الثقافية، ط١، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

(٢) ينظر: إرشاد العقل السليم (٤/٤٦٤).

(٣) ينظر: نظم الدرر (١٣/٢٧٧)، وحاشية القونوي (١٣/ ٣٦٢).

وفي بناء الفعلين (﴿تُرْفَعَ﴾، ﴿يُذْكَرَ﴾) لما لم يسم فاعله: إلقاء المهابة في قلوب أعدائهم، وفي قوله – تعالى -: ﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ﴾ أسقط حرف العطف (الواو) لما بينها وبين سابقتها من شدة التلاحم والتآزر في أداء المعنى؛ لأن الجملة جواب لسؤال تضمنته جملة: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾ كأنه قيل: بم يكون الذكر؟ فكان الجواب ﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ﴾، وبهذا الأسلوب زال إيهام معنى الرفع والذكر، وهذا اللون من الأساليب يسميه البلاغيون: شبه كمال الاتصال.

وللفصل هنا بلاغة بينت أنَّ المساجد وإعمارها يكون بالتسبيح، وفي ذلك حث وترغيب في هذه الأعمال. وأنها من صفات المؤمنين؛ مؤكداً على ذلك ببيان أوقات (التسبيح). فقال - تعالى -: ﴿بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ﴾، مشيراً بحرف (الباء) إلى ملازمة ذلك، ثم ذكر ﴿ٱلْغُدُوِّ﴾؛ وهو مصدر المراد به وقت الغداة، وهو الإبكار منذ صلاة الفجر، و(ال) فيها للجنس؛ ليشمل كل غدو، و﴿ٱلْآصَالِ﴾ جمع أُصُل[1].

وورد أنه جمع أصيل[2]، وهو العشي، ووقته من زوال الشمس إلى الصباح؛ فبذلك رغب وحث على ذكر الله - تعالى - في المساجد في الأوقات كلها[3].

---

(١) ينظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٤٦) للزجاج، والكشاف (٣/ ٢٣٦).

(٢) ينظر: إرشاد العقل السليم (٤/ ٤٦٥). ويتضح مما سبق أنه ليس ما يمنع أن يكون أصيل جمعت على آصال، فيكون قول من قال: أن جمع أُصُل على آصال من باب جمع الجمع.

(٣) ينظر: روح المعاني (٩/ ١٨/ ٣٦٩).

والتعبير بهذين الوقتين: ﴿ٱلْغُدُوِّ﴾، ﴿وَٱلْآصَالِ﴾ إشارة وتذكير بأهمية ذكر الله ﷻ في مفتتح كل يوم، وعقب انتهائه تبركاً بالله العظيم.

ومن صفات هؤلاء المؤمنين الذين يعمرون مساجد الله - تعالى - أنهم: ﴿لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ﴾؛ فالتعبير باللهو: يفيد الحط من مكاسب الدنيا، وأنها لديهم بمنزلة اللعب الذي يتلهى به الصبي، ولقد أثبت لهم النفي كمال مزية التفرغ القلبي والعملي لذكره - تعالى -.

وبالتنوين حصلت فخامة تفيد كمال تبتلهم إلى الله ﷻ[1]. والمراد بالتجارة هنا: صناعة التاجر، بمعنى الذي يبيع ويشتري للربح[2]، ثم خص (البيع) أخرى؛ لأن فيه التلهي أخص؛ ليقين ربحه[3]. ولمغايرة التجارة عن البيع، فقد جمع بينهما بحرف العطف (الواو).

وسره البلاغي: يتضح أنه أراد بالجمع بين الصنفين بيان قوة إرادة المؤمن في عدم التلهي بهما.

ولقد ورد وجهان في نفي التجارة والبيع عنهم عند ذكر الله — تعالى -:

١- أنه ليس لهم تجارة ولا بيع يتلهون بها عن ذكر الله ﷻ، **وهو ما يسمى بعكس الظاهر**[4].

---

(١) ينظر: روح المعاني (٩/١٨/٣٦٩).

(٢) ينظر: الكشاف (٣/٢٣٦).

(٣) ينظر: ذات المصدر والموضع، وإرشاد العقل السليم (٤/٤٦٥).

(٤) وهو: "نفي الشيء بالإيجاب". عقود الجمان في المعاني والبيان (٢/١٤٣)، لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي، شرح العلامة عبد الرحمن العمري، مطبعة الحلبي، ط٢، ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م. وتفسير ذلك أن يكون ظاهر الكلام إيجاباً، وباطنه نفي الكلام، ومثاله: ما في الدار زيد، ويقصدون عدم وجود زيد في الدنيا أصلاً، وقولهم: على لاحب لا يهتدى بمناره، أي: لا منار، فلا هداية.

٢- أنهم ذوو تجارة وبيع ؛ ولكن ذلك لا يشغلهم عما فرض عليهم[1].

وأرجح الرأي الثاني للأسباب التالية :

١- إثبات صفة كمال الإيمان لهم، بأنهم لا ينصرفون عن ذكر الله - تعالى - مهما كانت أهمية الأسباب.

٢- واقع حال المؤمنين يشهد لبعضهم ﷺ بالتجارة، كما عرف عن عثمان ابن عفان ﷺ، ومع هذا فلم ينصرفوا إليها ؛ بل كانت تجارتهم عوناً للإسلام والمسلمين في تصريف كثير من أمورهم وسدِّ حاجاتهم.

٣- أن واقع حال مؤمنين آخرين يشهد لهم بقلة المال والحاجة، ومع هذا فلم ينشغلوا عن ذكر الله بابتياع حاجاتهم.

ولهؤلاء المؤمنين خصوصية متميزة، جاء التعبير عنها بقوله - تعالى -: ﴿يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [النور: ٣٧]، وهذه الجملة المباركة جاءت بعد قوله - تعالى -: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ﴾ ويسمى هذا الرابط بين القولين الكريمين بشبه كمال الاتصال ؛ لأن الجملة الثانية بمثابة جواب اقتضته الأولى، والثانية كأنها جواب عن هذا السؤال.

وبلاغة الوصل: أن ترك العطف ألزم بوصل صفاتهم بعضها ببعض ؛ فكأنها وحدة واحدة، إحداها مترتب على الأخرى.

وأما قوله - تعالى -: ﴿لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ....﴾ [النور: ٣٨].

---

(١) ينظر: البحر المحيط (٦/٤٢٢).

فإن جملة ﴿لِيَجْزِيَهُمُ﴾ فيها: اللام (لام) العاقبة والصيرورة[1]، و(يجزي) فعل مضارع منصوب بأن المضمرة بعد لام التعليل، والجملة حال، والتقدير: يخافون ليجزيهم[2]، ثم عطف عليها جملة ﴿وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾، فأكسبتها حكمها الإعرابي (الحالية)؛ لذلك وصل بين الجملتين بقصد التشريك في الحكم الإعرابي.

(١) ينظر الفتوحات الإلهية (٥/ ٣٠٠).

(٢) ينظر: إملاء ما منّ به الرحمن (٢/ ١٥٦)، والدر المصون (٨/ ٤١١).

المبحث الثاني

الحـــال

الحال لغةً: ما كان عليه الإنسان من خيرٍ أو شرٍ، يذكّر ويؤنث، والجمع أحوال، وتحوَّله بالنصيحة والوصية والموعظة، أي: توخي الحال التي ينشط فيها لقبول ذلك منه[1]، والحالة واحدة، وحال الإنسان وأحواله[2]، وكل ما يختص به من أموره المتغيرة الحسية والمعنوية[3].

الحال اصطلاحاً: أنه: «خبر ليس بجزء من الجملة، ولكن زيادة في خبرٍ آخرٍ سابق لـه»[4]، وقد عرفه بعض النحاة بأنه: وصف فضلة سيق لبيان هيئة صاحبه، أو تأكيد عامله، أو مضمون الجملة قبله، متضمناً ما فيه معنى (في) غير تابعٍ ولا عمدةٍ، وحقه النصب، وقد يجر بياء زائدة[5].

---

(١) ينظر: لسان العرب (١١/١٩٠)، (باب اللام، فصل الحاء).

(٢) ينظر: الصحاح (٤/١٦٨٠)، (فصل الحاء، باب الواو)، لإسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط٢، ١٤٠٢هـ -١٩٨٢م.

(٣) ينظر: المعجم الوسيط (١/٢٠٨).

(٤) دلائل الإعجاز (ص ٢١٢).

(٥) ينظر: شرح الكافية للرضي: (٢/٧)، وهذا التعريف لابن الحاجب، وشرح كتاب الحدود في النحو للإمام عبد الله الفاكهي (ص ٢٢٤)، ت/د. المتولي رمضان أحمد الدميري، مكتبة وهبة، ط٢ بمصر، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، وينظر: شرح التسهيل (٢/ ٣٢١)، لابن مالك جمال الدين محمد بن عبد الله الطائي الجياني الأندلسي، تحقيق: الدكتور عبد الرحمن السيد، ومحمد بدوي المختون، دار هجر، مصر للطباعة والنشر، ط١، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، وشرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب (ص ٢٦٤)، لابن هشام الأنصاري، تحقيق: حنا الفاخوري بمؤازرة الدكتور وفاء الباني، وربيعة الجوني، دار الجيم بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

والحال تنقسم إلى قسمين: مؤكدة، ومنتقلة[١]، ويقصد بالمؤكدة: الوصف الثابت الذي لا يتغير، مثاله: خلق الله يد الزرافة أطول من رجليها. ويقصد بالمنتقلة: الوصف غير الثابت، تقول: جاء زيد راكباً، وأقبل ضاحكاً.

وفي الفرق بين الحال والصفة: ذكر المبرد: أن الحال لبيان الهيئة التي عليها حصل مجيء زيدٍ، كما في قولك: جاءني زيد راكباً. وأما الصفة: هي أن تدخل الألف واللام على الوصف فتصير صفة للاسم[٢]، أي: جاءني المعروف بالركوب، ويكون كذلك استعمال الصفة عند خشية أن يلتبس أمر المجيء بين اثنين زيد وعمرو مثلاً[٣].

ووجه آخر للفرق بين الحال والصفة والخبر؛ في أن الأخيرين لا يقترنان بالواو، وأما الحال: فقد تقترن بالواو إذا كانت جملة لاستقلالها بالفائدة. وهذه

---

(١) التعريف كما جاء في كتب النحو:

(*) **المؤكدة**: هي التي تكون مؤكدة لما قبلها، ويستفاد معناها بدون ذكرها؛ بأن يكون ما قبلها دالاً عليها بالوضع. وإنما هي أفادت مجرد التوكيد. وتقسم إلى مؤكدة لصاحبها وإلى عاملها، وإلى مضمون الجملة قبلها. مثل: خليل أبوك رحيم.

(*) **المنتقلة**: هي التي تبين هيئة شيءٍ لمدة مؤقتة، ثم تفارقه بعدها، فهي ليست دائمة الملازمة لـه. مثالها: أقبل الرابح ضاحكاً. ينظر: شرح الحدود في النحو (ص ٢٢٦، ٢٢٧)، والنحو الوافي مع ربطه بالأساليب الرفيعة والحياة الغوية المتجددة (٣٦٦/٢)، عباس حسن، ط ٧، دار المعارف، مصر.

(٢) **الصفة**: هي هيئة تلبس بها الموصوف وتكون لما يتغير ولما لا يتغير، وتستعمل للتفريق بين شيئين، وهي أعم من النعت. ينظر: الفروق اللغوية: (ص ١٨، ١٩)، وسبق في التمهيد توضيح أشمل.

(٣) ينظر: المقتضب (٣٠٠/٤).

الواو تسمى (واو) الحال، وهي مجتلبة لضم جملة إلى جملة، وربط الجملة الثانية بالأولى وهو ما يعنيه عبد القاهر بقوله: «فاعلم أن كل جملةٍ وقعت حالاً، ثم امتنعت من الواو، فذاك لأجل أنك عمدت إلى الفعل الواقع في صدرها، فضممته إلى الفعل الأول في إثباتٍ واحدٍ، وكل جملةٍ جاءت حالاً ثم اقتضت الواو، فذاك، لأنك مستأنف بها خبراً، وغير قاصد إلى أن تضمها إلى الفعل الأول في الإثبات»[1].

وبهذا المعنى؛ فإن الواو هي إحدى الروابط في جملة الحال، وأما الرابط الآخر فهو الضمير.

احوال جملة الحال مفصلة:

١- إذا كانت الحال جملة فعلية، فعلها مضارع مثبت غير مقترنٍ بقد، امتنع اقترانها بالواو.

٢- إذا كان المضارع مقروناً بقد، وجب اقترانها بالواو.

٣- إذا كان المضارع منفياً جاز الأمران: اقتران الجملة بالواو، وترك الواو، وكذلك الفعل الماضي المقرون بقد ظاهرةً ومقدرةً.

٤- وإذا كانت الجملة الحالية اسمية، فالأولى اقترانها بالواو.

٥- وإذا كان المبتدأ في الجملة الحالية ضمير صاحب الحال؛ وجبت الواو، ولا تصلح جملة الحال بدونها[2].

---

(١) دلائل الإعجاز (ص ٢١٣).

(٢) ينظر: مواهب الفتاح، وعروس الأفراح، وحاشية الدسوقي (١١٧/٣) وما بعدها.

وموضوع الجملة الحالية يلحقه علماء البلاغة بالفصل والوصل. وهو ما سوَّغ أن يذكر عقبه، وذلك: «لوجود التناسب بين الجملة الحالية والفصل والوصل، لأن الجملة الحالية تارة تقترن بالواو، وتارةً لا تقترن بها، والفصل ترك الاقتران بالواو، والوصل الاقتران بها، فاقتران الجملة الحالية بالواو شبيه بالوصل، وعدم اقترانها بالواو شبيه بالفصل (...) والواو في الوصل عاطفة، وفي الجملة الحالية غير عاطفة فلا تناسب(...) فالأصل في واو الحال العطف، فالمناسبة موجودة بهذا الاعتبار»(١).

ومن الشواهد على الجملة الحالية ما ورد في قوله - تعالى -: ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة: ١١٢].

هذه الآية الكريمة تنبئ عن حالةٍ إيمانيةٍ متكاملةٍ، استجابت نفس صاحبها إلى صادق الإيمان، فانقادت جوارحها متذللة خاضعة لله ﷻ.

وترتبط بسابقتها قوله - تعالى -: ﴿وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [البقرة: ١١١] بأنها بيان لحال غيرهم من اليهود والنصارى، الذين يدَّعون أن الجنة لهم، فهو قول لا برهان له، بل هي أماني: أن لا يُنزَّل على المؤمنين خير من ربهم، فناسب هذا الزعم ما جاء من أوصاف المؤمنين الذين استحقوا الأمن والطمأنينة(٢).

من الأسرار البلاغية في الآية الكريمة الآتي:

قال - تعالى -: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾.

---

(١) حاشية الدسوقي (١١٧/٣).

(٢) ينظر: جامع البيان (١/ ٣٤٥-٣٤٧)، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٢/ ٣٦-٣٨).

استهلت الآية الكريمة بقوله ﷻ: ﴿بَلَىٰ﴾[(١)]، وهي جواب لنفي متقدم، (لا) مثل نعم وأجل[(٢)].

وسر بلاغتها: أنها أثبتت اختصاص الجنة بالمؤمنين، وكذلك أثبتت ما نفاه اليهود والنصارى من دخولها غيرهم[(٣)].

وبهذا الأسلوب مهدت لبيان حال المؤمنين الذين يدخلونها؛ فكان الإسلام شرطها حيث قال - تعالى -: ﴿مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ﴾. والإسلام المراد في هذه الآية: «أخص من الإسلام الذي ورد في الحديث الشريف: **(الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً)**[(٤)]، لأن هذا عبارة عن الإذعان الكلي بجميع القوى والجوارح في كل الأحوال، وهو الإسلام الذي أمر إبراهيم عليه السلام في قوله - تعالى -: ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة: ١٣٦]»[(٥)].

---

(١) أصل ﴿بَلَىٰ﴾: "بل التي للإضراب، زيدت عليها الياء ليحسن الوقف عليها، وضمِّنت الياء معنى الإيجاب، وقيل: تدل على ردِّ النفي، والياء تدل على الإيجاب يعنون بالياء الألف، وإنما سموها ياء لأنها تمال، وتكتب بالياء". الدر المصون (١/٤٥٦)، وينظر: رصف المباني (ص ٢٣٤).

(٢) ينظر: رصف المباني (ص ٢٣٤)، وإملاء ما من به الرحمن (ص ٤٦)، والدر المصون (١/٤٥٦).

(٣) ينظر: الكشاف (١/١٧٧)، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٢/٣٧)، ونظم الدرر (٢/١١٤)، وفتح القدير (١/١٩٢).

(٤) ينظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٢/ ١١٤)، وإرشاد العقل السليم (١/ ١٨٤)، والحديث في صحيح مسلم، كتاب الإيمان، (ص٢٢)، حديث رقم (٨) من حديث طويل.

(٥) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٢/٣٨).

الحال جملة اسمية مقترنة بالواو في قوله – تعالى -: ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ (الواو): حالية، والجملة الاسمية؛ مبتدأ وخبر، ﴿هُوَ مُحْسِنٌ﴾: في محل نصب حال، وتعني أن ما تقدم من درجة الإيمان؛ فإنها لا تكفي في الوصول إلى ما أومأ إليه - سبحانه - في ختام الآية المباركة من الأمن والسرور، وبلوغ الدرجات العلا، واشترط لذلك أن يكون في حالة إحسانٍ أي يحرص أن يكون هذا العمل الصالح متضمناً شروط الإحسان التي وردت في الحديث الشريف: **(أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك)**[1].

والبلاغة في أسلوب الحال: أظهرت أنه لا يغني المؤمن إسلام قلبه وحده، بل لا بد من إخلاص العمل، والاتجاه به إلى الله - تعالى - خالصاً، ورجاء أن يتغمد الله - تعالى - العبد برحمته فيدخله الجنة. هذا من جهةٍ، ومن جهة ثانية فلأن الجملة الحالية دلالتها «على الهيئة أقوى من دلالة الحال المفردة؛ لأن الجملة الحالية بسبب اشتمالها على نسبةٍ خبريةٍ تفيد أن ما كان حقه أن يكون خبراً عدل به عن الخبر لادعاء أنه معلوم اتصاف المخبر عنه، فيؤتى به في موقع الحال المفردة على اعتبار التذكير به، ولفت الذهن إليه فصار حالاً له»[2].

وإفراد الضمير في الطرفين في قوله - تعالى -: ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ مراعاةً للفظ ﴿مَنْ﴾[3]، **ثم الجمع في قوله - تعالى -: ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾** مراعاة

---

(١) ينظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٢/ ٣٨)، ونظم الدرر (٢/ ١١٤)، وإرشاد العقل السليم (١/ ١٨٤). والحديث في صحيح مسلم، كتاب الإيمان، (ص٢٢) حديث رقم (٨)، وهو جزء من الحديث السابق.

(٢) التحرير والتنوير (١/١/٦٧٦).

(٣) المسند والمسند إليه.

للمعنى[١]. وربط الكلام الكريم بالفاء في قوله - تعالى -: ﴿فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ﴾ بعد دخولها على جواب ﴿مَنْ﴾ في قوله - تعالى -: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ﴾ فإن كانت على اعتبار ﴿مَنْ﴾ شرطية، فالفاء سببية، وإن كانت موصولة: فالفاء تكون داخلة على خبر المبتدأ؛ لأنه في معنى الشرط[٢].

واعتبارها شرطية: يؤدي معنى، وهو أن الأجر الذي ورد ذكره في الآية الكريمة ببعث الطمأنينة في نفوس المؤمنين، إنما هو للترغيب والتشويق في التنافس بين المؤمنين، ولإثبات أن الأجر رحمة من ربِّ العالمين، وأنه لا يجب عليه شيء[٣].

وجاء التعبير (بالوجه) على سبيل **المجاز المرسل** حيث عبَّر بالجزء، وأراد الكل.

وسر التعبير بالوجه: فلأنه أشرف ما في ظاهر الإنسان، وهو مجتمع الحواس، وهو موضع الفتنة، وهو أعظمها حرمة وحقاً؛ فإذا خضع لشيء وجهه الذي هو أكرم أجزائه فغيره من الأعضاء أحرى بالخضوع والطاعة[٤].

وقوله - تعالى -: ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ فيه تأكيد الخبر باسمية الجملة، وفيه كذلك محسن بديعي يسمى مراعاة النظير؛ لأن الحزن نتيجة الخوف، فهما متلازمان، وفي نفيهما نفي لكل ما يكدر نفس المحسنين.

---

(١) ينظر: إملاء ما من به الرحمن (١/٥٨).

(٢) ينظر: حاشية زاده (١/٣٩١).

(٣) وفي هذا القول احتراز من قول الزمخشري: "الذي يستوجبه". الكشاف (١/١٧٧)، ففي هذا القول اعتزال. ينظر: حاشية زاده (١/٣٩١).

(٤) ينظر: جامع البيان (١/٣٤٨)، وحاشية الشهاب (٢/٣٦٤).

وفي قوله -عز من قائل -: ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ **اختصاص** وتقوية الحكم.

ومن الآيات الكريمة التي أظهرت صفات المؤمنين وقد تلبسوا بها في صورة أحوال، ما جاء في **قوله - تعالى -:** ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة: ٨٣-٨٥].

وترتبط الآيات الكريمة بسابقتها قوله - تعالى -: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [المائدة: ٨٢].

إذ إن هذه الآيات الكريمة تبين أشد الطائفتين عداوة للمسلمين، وهم اليهود والذين أشركوا، وأما أقربهم رحمة وموالاة فهم النصارى، وما ذلك إلاّ أن منهم علماء متزهدين، وعباداً في الصوامع، وإذا اجتمع العلم مع الزهد لطف معه القلب، ورقَّ وزال ما فيه من الجفاء؛ فلا توجد فيهم غلظة اليهود وشدة المشركين[1].

وهذه المقدمة اللطيفة عن النصارى بيان لأسباب إسلامهم عندما سمعوا القرآن الكريم؛ فقد روي في سبب نزول آيات الشاهد أن النصارى قدموا مع

---

(١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن (١/ ٤٦٩).

جعفر بن أبي طالب[1] ﷺ من الحبشة إلى المدينة، وكانوا ثمانية من نصارى الشام في الحبشة واثنان وستون راهباً بعث بهم النجاشي[2] وفداً إلى رسول الله ﷺ، وعليهم ثياب من الصوف، فحينما قرأ عليهم الرسول ﷺ سورة (يس) أثر ذلك في قلوبهم، وخشعوا له؛ ففاضت أعينهم بالدمع، وأقروا بالوحدانية لله - تعالى -، ولنبيه بالرسالة، فهو الحق الذي لا يداخله شك ولا ريب، فاستحقوا بذلك أن يلحقوا بمرتبة المحسنين[3].

صفات المؤمنين جمل حالية:

حيث قال - تعالى -: ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ ﴾.

---

(١) جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي، أبو عبد الله، ابن عم النبي ﷺ، وشقيق علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، آخى الرسول بينه وبين معاذ بن جبل، كان الرسول ﷺ يقول: **(إنه أفضل الناس بعد النبي ﷺ لحبه للمساكين)**، استُشهد بمؤتة من أرض الشام مقبلاً غير مدبر، مجاهداً في سبيل الله ﷻ في جمادى الأولى سنة ٨ هـ، وعمره أربعون سنة كما يقال، روي أن النبي ﷺ أري جعفراً ملكاً ذا جناحين مضرَّجين بالدماء، وذلك لأنه قاتل حتى قطعت يداه، فعوضه الله تعالى عنهما بجناحين في الجنة. ينظر: الاستيعاب (١/ ٢١٠)، والإصابة (١/ ٢٣٧).

(٢) أصحمة بن أبحر النجاشي ملك الحبشة، واسمه بالعربية عطية، والنجاشي لقب له، أسلم على عهد النبي ﷺ، ولم يهاجر إليه، وكان ردءاً للمسلمين، نافعاً، وقصته مشهورة في إحسانه إلى المسلمين الذين هاجروا إليه في صدر الإسلام. وصلى عليه النبي ﷺ صلاة الغائب، مات سنة تسع، وقيل: قبل الفتح. انظر: الإصابة (١/ ١٧٧).

(٣) ينظر: جامع البيان (٣/١٥٠)، وأسباب النزول (ص ١٦٥، ١٦٦)، وتفسير القرآن العظيم (١٠٠/٢).

فقد استفتح الخطاب في الآية الكريمة بـ﴿وَإِذَا﴾ أداة شرط لما هو مؤكد حصوله من فيض الدموع بمجرد الاستماع، والتعبير بالسمع دلالة على سرعة الاستجابة لتفاعل أنفسهم مع ما سمعوا من القرآن.

والخطاب: إما أن يكون موجهاً لكل راءٍ[1]، أو موجهاً إلى النبي ﷺ إن كان رأى منهم من هذه صفته، أو أنه خطاب لكل من تصح منه الرؤية؛ فهو خطاب لغير معين ليعم الجميع[2]. وأرى أن المعنى يحتمل أن يكون خطاباً للرسول ﷺ على سبيل الحكاية عنهم ليطمئن نفساً، ويقر عيناً بإيمان هؤلاء النصارى، إن كانت رواية سبب النزول أن جعفر بن أبي طالب هو الذي تلا آيات القرآن الكريم على النجاشي وعلى غيره من نصارى الحبشة، ففاضت أعينهم بالدمع، وإن كانت رواية أن الوفد المؤمن سار إلى الرسول ﷺ وهو الذي تلا الآيات المباركة؛ فالمعنى أنه خطاب للرسول ﷺ أريد به العموم، والحكاية تشريفاً وتكريماً للرسول ﷺ، وليكون أصحابه قدوة لغيرهم من عرب الجزيرة ممن لم يسلموا.

ولقد ناسب سرعة استجابتهم للإيمان أن يُعبَّر عنها بمختلف الجمل الحالية. فقال - تعالى -: ﴿تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ﴾ **جملة حالية فعلها مضارع غير مقترن** بالواو، والجملة الكريمة تعبر عن حالة نفسية إيمانية، إذ أنه عندما تمتلئ نفس المؤمن بعبق الإيمان؛ فإن العين تفيض بدمع غزير.

(١) ينظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٤/٣٢٢).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير (٤/٧/١٠).

وكذلك **الحال** في قوله - تعالى -: ﴿مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ شِبْه جملة مكونة من العائد المحذوف[1] «لتبيين الموصول الذي هو ما عرفوا، وتحتمل معنى التبعيض على أنهم عرفوا بعض الحق، فأبكاهم وبلغ منهم، فكيف إذا عرفوه كله، وقرؤوا القرآن وأحاطوا بالسنة»[2].

وتتوالى صفات هؤلاء المؤمنين بياناً بالجمل الحالية. ففي قوله - تعالى -: ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا﴾ **حال جملة فعلية**، فعلها مضارع يدل على تجدد القول، وهو هنا الإقرار بالله رباً، وجملة الحال بينت هيئة الذين عرفوا الحق بأنهم بادروا إلى الإيمان قولاً دون خوفٍ أو تردد.

وفي قولهم: ﴿رَبَّنَآ﴾: إحساس منهم بفضل الله ﷻ عليهم، وإسناده إلى (نا) الفاعلين، إشعاراً بقربهم منه ﷻ، وأنهم محل القبول والتعبير عن الإيمان بالفعل الماضي ﴿ءَامَنَّا﴾ تحقيقاً لحصول الإيمان، ودلالة على تمكنه من قلوبهم[3].

وتتوالى الجمل الحالية في الآيات الكريمة ؛ لأنها سرد لقصة هؤلاء المؤمنين حديثي العهد بالإيمان، ولبيان مواقفهم الإيمانية عند سماعهم الحق. فمن ذلك قوله - تعالى -: ﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ﴾. قوله - سبحانه -: ﴿لَا نُؤْمِنُ﴾ جملة فعلية فعلها مضارع في محل نصب حال[4]، نشأ عنها بيان

---

(١) ينظر: إملاء ما من به الرحمن (١/ ٢٢٤).

(٢) الكشاف (١/ ٦٥٦)، وحاشية القونوي (٧/ ٥٤١).

(٣) ينظر: نظم الدرر (٦/ ٢٧٠).

(٤) ينظر: الكشاف (١/ ٦٥٦)، وإملاء ما من به الرحمن (١/ ٢٢٤).

لاستبعادهم أن لا يؤمنوا مع حصول موجبه، وهو طمعهم فيما عند الله - تعالى - من النعم التي منها صحبة الصالحين، والذي أدى هذا المعنى - كذلك - الاستفهام الإنكاري[١] أريد به إنكار للوقوع لا للواقع[٢].

أي أنكروا على أنفسهم أن لا يؤمنون، فالحق أصبح واضحاً، والإله واحد، ولا شبهة في تحقق ذلك الإيمان النقي، فهو ليس كإيمان المنافقين، وفي ذلك تعريض بهم.

وقوله - سبحانه -: ﴿مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ **حال** من ضمير الفاعل في قوله - تعالى -: ﴿جَآءَنَا﴾ والآية تبين حالهم في ذلك الموقف، وتكشف جانباً من خواطرهم، حيث قال - تعالى -: ﴿وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾، **فجملة** ﴿وَنَطْمَعُ﴾ **حال** من ضمير الفاعل في نؤمن، فعلها مضارع مقترن بالواو.

وسر الحال البلاغي: بيان مرادهم، إذ كيف يتركون الإيمان بالحق وهم يطمعون من قبل أن يكونوا في زمرة الصالحين، فالإيمان بهذه الدعوة هو سبب في حصولهم على هذه المنقبة الجليلة، وهناك من أجاز أن تكون (الواو) للعطف على جملة ﴿لَا نُؤْمِنُ﴾[٣]، ولا يصح هذا على رأي الطاهر بن عاشور؛ لئلا تكون معمولة للنفي، إذ ليس المعنى على ما لنا لا نطمع، لأنه لا تردد في طمع الخير، ولا لوم على طالبه حتى يحتاج صاحبه إلى الاحتجاج لنفسه، بتقدير قوله - سبحانه -: ﴿وَمَا لَنَآ لَا نَطْمَعُ﴾[٤].

---

(١) ينظر: الكشاف (١/٦٥٦).

(٢) حاشية القونوي (٧/٥٤١).

(٣) ينظر: الكشاف (١/٦٥٦)، وإملاء ما منه به الرحمن (١/٢٢٤).

(٤) ينظر: التحرير والتنوير (٦/٧/١٢).

ينظر المجاز في قوله - تعالى -: (﴿نَطْمَعُ﴾، و﴿تَفِيضُ﴾) في فصل علم البيان.

ومن صفات المؤمنين: أنهم على حالة خوف دائمة من الله - تعالى -؛ لذلك فهم حريصون على التمسك بالصفات التي وردت في قوله - تعالى -: ﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ [النور: ٣٧].

شرح الآية الكريمة سبق في موضوع الفصل والوصل، وهنا أكتفي بأن أقدم قوله - تعالى -: ﴿يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ **جملة الحال**(١) من المفعول، أي: يفعلون الأعمال الصالحة من إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وهم في حالة خوف ألا يقبل منهم، فلا تغرهم تلك الأعمال الحسنة، وهم على رجاء في ثوابه - تعالى -(٢)، ومجيء جملة الحال فعلية فعلها مضارع يدل على تجدد الخوف والرجاء، مع تجدد أعمال البر والصلاح.

وأحوال المؤمنين وصفاتهم لا تنتهي بنهاية هذا الشاهد الذي يبين صفات المؤمنين الذين يتقون النار بأموالهم، حيث يقول - تعالى -: ﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ۝١٧ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ۝١٨ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ۝١٩ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٢٠ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴾ [الليل: ١٧-٢١].

مفهوم صفات المؤمنين في الآيات وارتباطها بسابقاتها: لقد بين القرآن الكريم مآل ما اختص به كل من المحسن والمسيء في الدار الآخرة؛ إنكاراً لأن يسوي بينهما في شيء؛ فابتدأت الآيات الكريمة بذكر حظ الأشقى الذي بلغ الذروة في الشقاء، فقال - عز من قائل -: ﴿ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ۝١٤ لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا

---

(١) ينظر: إملاء ما من به الرحمن (٢/١٥٦).

(٢) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٢/١٢٦)، وحاشية القونوي (١٣/٣٩٢).

﴿ٱلْأَشْقَى ۝ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ [الليل: ١٤-١٦]، فهذا حال ذلك الذي كذب بآيات ربه، ولم يصدق بها، وناسبه بعد ذلك بيان حال الأتقى، وهو الذي بلغ الذروة من رتبة التقوى، فاتقى الشرك، وتطهر من المعاصي بإنفاق ماله في سبيل الله – تعالى –؛ لأنه على علم بأن الفاسق سيدخلها – وليس ذلك على طريق اللزوم - ثم يخرج منها، ولا منافاة بين القولين[١].

صفات المؤمنين جمل حالية بالواو وبدونها:

ففي قوله – تعالى –: ﴿ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ﴾ نتبين من هذه الجملة الكريمة **حال المؤمن** التقي الورع الذي يخشى الله ﷻ، ويحذر الآخرة؛ فنجده يتزكى بماله، ويتصدق به وينفقه، وجاء التعبير عن ذلك بلفظ ﴿يُؤْتِى﴾ دون غيره؛ لأن الإتيان مجيء بسهولة، ويقال: في الأعيان والأعراض، والإيتاء: الإعطاء، وخصّ دفع الصدقة في القرآن الكريم بالإيتاء[٢]؛ لأن التعبير به هنا مراد به وصف سماحة نفسه رضاً لله عند بذله المال، وإنفاقه في سبيله.

وفي إضافة (المال) إلى (الهاء) في قوله – تعالى –: ﴿مَالَهُۥ﴾: دلالة على الملكية والخصوصية. وفي هذا مدح لإنفاقه وكرم نفسه التي أحبت رضا الله ﷻ.

ولقد جاء التعبير عن صفة هذا التقي **بجملة حالية فعلها مضارع** هي قوله – تعالى –: ﴿يَتَزَكَّىٰ﴾، فهي حال من الضمير في يؤتي[٣]، وأراد بها وصف حال المتطهر من ذنوبه، ولا يكون ذلك إلا بالنفقة[٤].

---

(١) ينظر: جامع البيان (٧/٥٣٥، ٥٣٦)، ونظم الدرر (٢٢/٩٤، ٩٥).

(٢) ينظر: المفردات (ص ٩، ٨).

(٣) ينظر: الكشاف (٤/٧٥٢، ٧٥٣)، والبحر المحيط (٨/٤٧٩)، وإرشاد العقل السليم (٦/٤٣٧).

(٤) ينظر: إعراب القرآن للنحاس (٥/٢٤٤).

والذي سوغ مجيء جملة الحال بدون (الواو): أنها فعل مضارع مثبت غير منفي، والحال مبينة لهيئة صاحبها، وتلك هي القاعدة النحوية في شروط حذف واو الحال[١]. وأرى في عدم ذكر واو الحال بلاغة لا تتحقق بوجودها، وبذلك يصير المعنى أن الممدوح مبادر بإنفاق ما يأتيه من أموال قربات في سبيل الله ﷻ، كما أن في إسقاطها تأكيداً لحصول نتيجة الإنفاق، وهي زكاة النفس ورضاها، ولا يخفى ما ينضوي تحت الرضا من معانٍ لا يجمع أبعادها مداد الأقلام.

وأما وجود (الواو)، فإنه يسلب الجملة معاني كثيرة تناسب صفة الأتقى الذي يتصف بكرمٍ لا حدَّ له، وعطاءٍ ممتدٍ بامتداد ما يأتيه من مال، ولقد ساعد على بيان هذه الحال، وأنها بمنزلة عاليةٍ سنيةٍ تخصيصها بالاسم الموصول ﴿ٱلَّذِى﴾؛ فإن للموصول إيذاناً بهذا الحكم[٢].

ومن البلاغة التعبير بجملة الحال: التنبيه، ولفت النظر إلى أهمية موضع النفقة بأنه يجب أن تكون لقصد النفع، والزيادة من الثواب، وفي ذلك تعريض بالمشركين الذين يؤتون أموالهم للفخر والرياء والمفسدة[٣].

وفي التعبير بلفظ ﴿يَتَزَكَّىٰ﴾ موافقة لما يعنيه من البراءة من الأدناس، وتطهير الأنفس، ووضعها في قمم المعالي بالبعد عن مساوئ الأخلاق، ولزوم محاسنها[٤].

---

(١) ينظر: دلائل الإعجاز (ص ٢٠٤، ٢٠٥).

(٢) ينظر: إرشاد العقل السليم (٦/٤٣٧)، والتحرير والتنوير (١٥/٣٠/٣٩٠).

(٣) ينظر: التحرير والتنوير (١٥/٣٠/٣٩١).

(٤) ينظر: نظم الدرر (٢٢/٩٥).

وكونها على وزن يتفعل: أي يتطلب ذلك الفعل على وجه التكلف[١].

وحتى لا يلتبس أمر الإنفاق لدى بعض الناس فقد بيّن -سبحانه- حالة المنفق فقال -تعالى-: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ﴾ الواو للحال، وقوله: ﴿لِأَحَدٍ﴾[٢] جار ومجرور متعلق بمحذوفٍ تقديره مستقر أو كائن لأحد[٣]. والضمير في ﴿عِندَهُۥ﴾ يعود إلى أبي بكرﷺ، **وتقوم بلاغة الحال:** على تبرئة هذه النفقة من الرياء والسمعة، وتبيين أنها لم تكن مجازاة ليدٍ أسديت، ولا لمعروف يجزي عليه فاعله[٤]. بدليل قوله -تعالى-: ﴿تُجْزَىٰٓ﴾ وهي جملة من قبيل **التكميل والاحتراس** تدفع وهم ما سبق[٥].

من الأسرار البلاغية في هذه الآية التالي:

١- مجيء الخطاب بصيغة الغائب، والمراد به معروف، وفيه تشويق، وجعل الأعناق تشرئب نحوه، وترغب غيره في العمل.

---

(١) ينظر: حاشية القونوي (٢٠/ ٣٠٩، ٣١٠).

(٢) ينظر: نظم الدرر (٢٢/٩٥)، والفتوحات الإلهية (٨/٣٤١)، وحاشية القونوي (٢٠/٣١٠).

(٣) فقد روى عطاء والضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما أن المشركين عذبوا بلالاً، وبلال يقول: أحد أحد؛ فمر به النبي ﷺ، فقال: أحد، يعني الله -تعالى-، ثم قال لأبي بكرٍ: إن بلالاً يعذب في الله ﷻ، فعرف مراده، فانصرف إلى منزله فأخذ رطلاً من ذهبٍ، ومضى إلى أمية بن خلف، فقال له: بعني بلالاً، قال: نعم، فاشتراه، وأعتقه عقب الاشتراء، فقال المشركون: ما أعتقه أبو بكرٍ إلا ليدٍ كانت له عنده، فنزلت. ينظر: أسباب النزول (ص ٣٨٥)، والمحرر الوجيز (١٦/٣١٨)، وحاشية القونوي (٢٠/٣١١).

(٤) ينظر: معاني القرآن وإعرابه (٥/٣٣٦)، والمحرر الوجيز (١٦/٣١٨)، وإرشاد العقل السليم (٦/٤٣٧).

(٥) ينظر: حاشية القونوي (٢٠/٣١٠).

٢- وفي صيغة المبني لما لم يُسمّ فاعله في قوله - تعالى -: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا﴾ دليل على أن تجنبه تلك النار الموصوفة - في الآيات السابقة - غاية في السهولة بناءً على ما تعنيه السين من قرب تحقق الفعل. وصيغة ﴿ٱلْأَتْقَى﴾ اسم تفضيل تدل على زيادة التقوى[١]، ويفهم من ذلك أن من اتقى الشرك دون المعصية فلا يجنبها، فإن التقوى هي المرتبة الأولى، والأتقى أعظم منها[٢].

وفي قوله - تعالى -: ﴿مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ﴾ مِنْ: زائدة لتوكيد النفي، وقوله: ﴿تُجْزَىٰٓ﴾ **تقييد للنعمة**، أي أنه لا يتطلب جزاءً دنيوياً، ولا لأحدٍ عنده عطاء؛ بل هو ابتغاء وجه الله - تعالى -.

والتعبير بصيغة المبني للمجهول مضارعاً **لأجل الفواصل**. والآية كما في قوله - تعالى -: ﴿ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾ [الفجر: ٢٩][٣].

وفي قوله ﷻ: ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾: **جواب لقسم محذوف** تقديره: وبالله لسوف يرضى، وهو وعد كريم بنيل ما يريد على أكمل وجه[٤].

---

(١) ينظر: نظم الدرر (٩٤/٢٢).

(٢) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٦٠٢/٢).

(٣) ينظر: المحرر الوجيز (٣١٨/١٦، ٣١٩)، والفتوحات الإلهية (٣٤١/٨)، ويكون الاستثناء منقطعاً في قوله: (إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى).

(٤) ينظر: إرشاد العقل السليم (٤٣٨/٦) والفتوحات الإلهية (٣٤١/٨).

المبحث الثالث

الإيجاز والإطناب

(أ) الإيجاز

الإيجاز في اللغة:

من جوز، يقال: تجوَّز في صلاته أي خَفَّف، ومن الحديث: (أسمع بكاء الصبي فأتجوز في صلاتي)[١]، أي: أخففها وأقللها[٢].

الإيجاز في الاصطلاح:

«تقليل الكلام من غير إخلالٍ بالمعنى، وإذا كان المعنى يمكن أن يعبر عنه بألفاظٍ كثيرة، ويمكن أن يعبر عنه بألفاظٍ قليلة؛ فالألفاظ القليلة إيجاز. والإيجاز على وجهين: (حذف، وقصر)؛ فالحذف إسقاط كلمة للاجتزاء عنها بدلالة غيرها من الحال، أو فحوى الكلام.

والقِصَر: بنية الكلام على تقليل اللفظ، وتكثير المعنى من غير حذف[٣]، والإيجاز بالقصر أغمض من الحذف، فهو يحتاج إلى العلم بمواضعه، والدربة على مسالكه.

---

(١) متفق عليه، صحيح البخاري، كتاب الجماعة والإمامة، باب: من أخف الصلاة عند بكاء الصبي، (ص ١٥٠)، رقم (٧١٠). وصحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب أمر الأئمة بتخفيف الصلاة في تمام، (ص ٢٤٥)، رقم (٤٧٠).

(٢) ينظر: لسان العرب(٣٢٩/٥) مادة (جوز) (باب الزاي، فصل الجيم). أصل المادة: (وج ز). ماضيها (أوجز) على وزن أفعل بزيادة الألف، فيقال: أوجز يوجز إيجازاً.

(٣) النكت في إعجاز القرآن (ص ٧٦)، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن الكريم، وينظر: كتاب الصناعتين (ص ١٧٩)، وسر الفصاحة (ص ١٩٧)، وعروس الأفراح ومواهب الفتاح (١٦٠/٣-١٦٣).

وسأستهل الحديث بالتعريف عن موضوع الحذف، ولا بد من التنويه أنه في كل حذفٍ لا بد من وجود أمرين: داعٍ يدعو إليه. وقرينة تدل على المحذوف، وترشد إليه وتُعيِّنُهُ[1]. والمحذوف إما أن يكون:

١- حذف حرفٍ.

٢- حذف المسند أو المسند إليه، أو أحد متعلقات الفعل، كالمفعول والجار والمجرور.

٣- حذف المضاف.

٤- حذف المضاف إليه.

٥- حذف الموصوف.

٦- حذف الصفة.

٧- حذف القسم.

٨- حذف جواب القسم.

٩- حذف الشرط.

١٠- حذف جواب الشرط.

١١- حذف جواب الاستفهام.

١٢- حذف المعطوف.

١٣- حذف الجملة، والمراد بها التي تفيد معناً مستقلاً.

وهذا النوع من الحذف لا تجده في كلام البلغاء، وإنما تجده في كتاب الله - تعالى -؛ لأنه بحذف جملةٍ من الكلام دون إدراكٍ لما تحدثه من تداخل في

---

(١) ينظر: الخصائص (٢/٣٦٠).

المعنى، وقد يؤدي أحياناً إلى نقصٍ في المراد، لكن كلام الله ﷻ يعطينا المعاني كاملة، ومع ذلك نجد حلاوة الإيجاز، ناشئة عن روعة إعجاز القرآن الكريم أصلاً[١].

من أسرار بلاغة الحذف: منها تفخيم وتعظيم للمعنى، لما فيه من الإيهام لذهاب الذهن به كل مذهب، وتشوفه إلى ما هو المراد، فيرجع قاصراً عن إدراكه، فعند ذلك يعظم شأنه، ويتزايد قدره، ويعلو في النفس مكانه؛ لأن المحذوف إذا ظهر في اللفظ زال ما كان يختلج في الوهم واتضح المراد.

ومن بلاغته كذلك ازدياد اللذة لما فيه من معالجة، حتى يستنبط الذهن ذلك المحذوف ويقدره. وكلما كان الشعور بالمحذوف أعسر كان الالتذاذ به أشد وأحسن، والرغبة في زيادة الأجر على الاجتهاد فيه، ومنها طلب الإيجاز والاختصار، وتحصيل المعنى الكثير في اللفظ القليل، والتشجيع على الكلام[٢]. وغيرها من الأسرار التي تستجد بتجدد المعاني القرآنية، وللحذف قيمة بلاغية أشار إليها علماء البلاغة، فمنهم من عده من **شجاعة العربية**[٣]، ومنهم من قال عنه: «أنه عجيب الأمر، شبيه بالسحر، وذلك أنك ترى فيه ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون مبيناً إذا لم تبن، وهذه جملةُ تنكرها حتى تَخْبُرَها، وتدفعها حتى تنظر»[٤].

---

(١) ينظر: المثل السائر (٢/٢٢٠)، وعلم المعاني (٢/١٨٨-١٩٤)، للدكتور بسيوني عبدالفتاح فيُّود.

(٢) ينظر: البرهان في علوم القرآن (٣/١٠٤، ١٠٥).

(٣) ينظر: الخصائص (٢/٣٦٠).

(٤) المثل السائر (٢/٢١٩، ٢٢٠).

من شروط الحذف :

١- والأصل في المحذوفات جميعها على اختلافها أن يكون في الكلام ما يدل على المحذوف ؛ فإن لم يكن هناك دليل على المحذوف ؛ فإنه لغو من الحديث.

٢- ومن شروطه : أن يكون متى أظهر في الكلام فَقَدَ الكلام معه حسنه وبلاغته.

٣- ظهور المحذوف بالإعراب كقولهم : (أهلاً وسهلاً) مما يدل على ناصبٍ محذوفٍ، وهذا النوع يقع في المفردات كثيراً، ومنه ما يظهر بالنظر إلى تمام المعنى، كما في قولهم : (فلان يحل ويعقد)، وتقدير المحذوف : يحل الأمور ويعقدها، فالمحذوف لم يظهر بالإعراب، وإنما دل عليه المعنى. وهذا النوع يقع في الجمل من المحذوفات[1].

ولقد سبق بيان شواهد عن الحذف في فصل (خصائص الجملة) لأن حذف المفردات من خصائص الجملة، وأقتصر هنا على بيان شواهد عن الإيجاز بالقصر.

ومن الشواهد على الإيجاز بالقصر: قوله - تعالى -: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل : ١٢٨].

أراد بهم الذين اتقوا المُثْلة[2]، والمبالغة في القصاص، وابتعدوا عن كل ما نهى عنه - سبحانه -، ومن صفاتهم كذلك أنهم يعفون عن الجاني،

---

(١) المثل السائر (٢/٢١٩، ٢٢٠).

ولقد وردت شواهد هذا النوع في موضوع الذكر والحذف.

(٢) وهي التشهير والتنكيل. ينظر: المعجم الوسيط (٢/٨٥٤).

فهذه الصفات هي التي تقربهم من المعية، وذلك بعونه ﷻ وبفضله ومنه ورحمته[١].

وارتباط الآية الكريمة بسابقاتها في قوله - تعالى -: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ [النحل: ١٢٦-١٢٧].

وترتبط آية الشاهد كذلك بأسباب نزولها: فبعد انصراف المشركين يوم أحد، ذهب رسول الله ﷺ، فرأى قتلى المسلمين الشهداء، ورأى ما فُعل بهم من المُثْلة[٢]، ورأى منظراً ساءه، وأثر في نفسه الكريمة عليه الصلاة والسلام، حيث رأى عمه حمزة بن عبد المطلب ﷺ، وقد شُق بطنه، وجدع أنفه، وقطعت أذناه؛ فأقسم لأن أظفره الله - تعالى - بهم ليقتلن منهم سبعين؛ فأنزل الله ﷻ قوله - تعالى -: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا..﴾ [الآية ١٢٦]، فقال ﷺ: **(بل نصبر يا رب)**[٣]. وهذه الآية الكريمة من باب **المزاوجة**[٤] في الكلام فقد سُمي

---

(١) ينظر: لباب التأويل في معاني التنزيل (٤/٦٤).

(٢) ينظر أسباب النزول (ص ٢٣٢-٢٣٣).

(٣) وتتمة أسباب نزول هذه الآية ما روي أنه لما أشرف النبي ﷺ على عمه حمزة ﷺ، فرآه صريعاً، فلم يرَ شيئاً كان أوجع لقلبه منه، وقال: **(والله لأقتلن بك سبعين منهم)** فنزلت: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ﴾، فقال رسول الله ﷺ: **(بل نصبر يارب)**. ينظر: المستدرك على الصحيحين (ص ٦٦٥)، وأسباب النزول (ص ٢٣٢-٢٣٣)، ومختصر زوائد مسند البزار على الكتب الستة ومسند أحمد (٢/٣١)، للحافظ ابن حجر العسقلاني، تحقيق: صبري عبد الخالق أبو ذر، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

(٤) ينظر: الكشاف (٢/٦١٩).

الفعل الأول ﴿عَاقَبْتُمْ﴾ باسم الثاني ﴿عُوقِبْتُم﴾، وأراد بذلك أنه يجب مراعاة العدل، فإن أردتم القصاص منهم فخذوا بقدر ما أخذ منكم[1]، ثم بين أهمية العفو والصفح؛ بل هو خير وأفضل من القصاص بالمثل.. ثم توجه الخطاب للرسول ﷺ ليعلمه فضيلة الصبر، ويسري عنه ما ألم به وأصحابه الكرام رضي الله عنهم حيث مُثِّل بقتلاهم شرَّ تمثيل.

ولما كان مصاب المسلمين جللاً، وحزن نبيهم عظيماً قال - تعالى -: ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ..﴾ [من الآية ١٢٧]. حث المولى - تبارك وتعالى- الرسول الكريم على الصبر والتصبر؛ لأن قتلى المسلمين قد أفضوا إلى رحمة الله عز وجل، وذلك لأن الضيق إذا قوي واشتد بالإنسان، صار محيطاً به من كل الجوانب كالثوب والقميص. وذلك تصوير بليغ لشدة ما ألم بالنبي ﷺ وبأصحابه رضي الله عنهم من الحزن في ذلك اليوم. وهذه العبارات الكريمة (اصبر وما صبرك..) جاءت تطييباً لخواطرهم، وإذهاباً لحزنهم وكمدهم، فهم المنصورون، وهم الغالبون؛ بإذن الله - تعالى -، ولقد ناسب كل ذلك أن يهمس بعبارة وجيزة، وألفاظٍ قليلة بما يناسبهم من الصفات؛ فقال في آية الشاهد: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [آية: ١٢٨].

والألفاظ القليلة مناسبة لحال المؤمنين في ذلك الموقف من جهات:

الأولى: أنهم في ضيق وألم وحزن شديدين، ونفوسهم مرهفة لا تقبل أدنى إطالة، ولا حتى عبارات التأسي، فقال لهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ..﴾ الآية حيث

---

(١) المزاوجة هي: "أن يتزاوج بين معنيين في الشرط والجزاء". الإيضاح (ص ٣١٠).

بشرهم بمعيته ﷻ، وأكدها بـ(إنَّ)، وبالاسم الموصول، وصلته فعل ماضٍ؛ ليدل على أن معيته - سبحانه - حاصلة لمن كانوا في أول منازل التقوى، وهو كذلك مع المتقين الذين هم في أعلى درجاتها، وصيغة الفعل الماضي إشارة إلى تحقق ولزوم تقررها من قبل؛ لأنها من لوازم الإيمان.

وأتى في جانب الإحسان بالصلة جملتها اسميه قوله - تعالى -: ﴿وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ﴾ لبيان أن معيته كذلك، لمن كانوا في أول درجات الكمال، وإشارة إلى كون الإحسان ثابتاً لهم، ودائماً معهم، فهو فضيلة يجب أن تكون في النفس ومتمكنة منها[1].

وصفة الإحسان جامعة؛ فقد امتُدحوا بها ورُغِّبوا فيها، وذلك لأن الإحسان هو: «لُبُّ الإيمان وروحه وكماله، وهذه المنزلة تجمع جميع المنازل؛ فجميعها منطوية فيها»[2]. والمتأمل لهذه الصفة، ولصفة التقوى يجدهما جمعتا الكثير من الصفات والمحاسن في لفظين.

الثانية: لم يُذكر في الآية أنواع النعيم، ولا ما يلاقونه من الراحة، ولم تشوقهم لمعرفة جزاء الصابرين على فراق أحبتهم، فالموقف لا يحتمل كل ذلك، وهم على علم بذلك النعيم.

---

(١) ينظر: نظم الدرر (١١/٢٨٥)، والتحرير والتنوير (٧/١٤/٣٣٨).

(٢) ينظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٣/٣١٩)، لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن قيم الجوزية، تحقيق: عبد العزيز ناصر الجُليِّل، دار طيبة للنشر، ط١، ١٤٢٣هـ. والمراد بالمنازل في هذا السفر الجليل هي صفات المؤمنين التي ورد ذكرها، والإحسان على درجات كذلك. ينظر ذات المصدر.

الثالثة: خلو الآية الكريمة من صور البيان والبديع، بعداً عن الإطالة وعما يشغل الخاطر والعقل في التفكير؛ لانشغالهما بهموم ذلك الحدث.

والآية الكريمة **من الاحتباك:** حيث ذكر الذين اتقوا أولاً دليلاً على حذف الذين أحسنوا ثانياً، وذكر الذين أحسنوا ثانياً دليلاً على حذف المتقين أولاً[1].

وبلاغة الاحتباك في هذه الآية الكريمة تتجسد في الإيجاز، إذ أن الاحتباك لا يقوم إلا على الحذف من الطرفين، وهذا مما يتناسب مع موضوع الآية، ومناسبة نزولها.

ولقد وردت بعض صفات المؤمنين بإيجازٍ في ألفاظها، وتميزٍ في أسلوبها، فأعطت فيضاً زاخراً بالمعاني الجليلة، التي لا يحتويها تأليف، كما ورد في قوله - تعالى -: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾ [العصر: ١-٣].

المراد من السورة الكريمة:

أقسم ﷻ بالعصر تأكيداً للخبر المقسم عليه[2]، وهو جواب القسم ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ﴾[3]، وهو حال الإنسان في الآخرة[4].

---

(١) ينظر: نظم الدرر (١١/ ٢٨٥).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير (١٥/ ٣٠/ ٥٢٨).

(٣) ينظر: معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٣٦٠).

(٤) والمراد بالعصر: هو آخر ساعات اليوم، وقيل: صلاة العصر، وقيل: الدهر، وهو ما تعارف عليه العرب. وقيل: عصر الرسول ﷺ، ولقد خص (العصر) بالقسم لما في مروره من العجائب. ينظر: تفسير القرآن الكريم لابن عباس (ص ٥٣٨)، ومعاني القرآن وإعرابه (٥/ ٣٥٩)، والنكت والعيون (٦/ ٣٣٣)، والمحرر الوجيز (١٦/ ٣٦١)، والبحر المحيط (٨/ ٥٠٧).

ولقد اقتضت حكمته - سبحانه - خلْق الإنسان والأفعال والزمان، لذلك لم يُسَوِّ بين أهل الخير والشر، وتبيَّن أنَّ كل إنسانٍ خاسرٌ إلا من رحمه الله ﷻ بهدايته وتوفيقه للإيمان والعمل الصالح، فعمل بموجب ما أقرَّ به من الإيمان تصديقاً، ولما خلصوا من ذلك أوصى بعضهم بعضاً بضرورة تطبيق ما جاء في حكم الشرع، ولما للصبر من أهميةٍ في حياة المؤمنين؛ فلقد تواصوا به، فهو من أجلِّ الصفات[1].

وترتبط هذه السورة بسابقتها سورة (التكاثر): ذلك أنه لما قال فيما قبلها ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾، ووقع التهديد بتكرار ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ثلاث مرات، ناسب ذلك بيان حال المؤمن والكافر في سورة ﴿وَٱلْعَصْرِ﴾[2].

والسورة الكريمة شاهد عظيم من شواهد بلاغة القرآن الكريم في كل جوانبه، فهي على قصرها وإيجازها واحتوائها على أربع صفاتٍ للمؤمنين (فقط)، إلا أنها بلغت الكمال في معانيها، وبينت الطريق المستقيم الذي عليه المؤمن الكامل الإيمان، فكل أحدٍ هالك إلا الذي آمن، ثم الذي عَلِم الحق وعمل به، وتذكر غيره بالنصيحة، ثم وصى وأمر بالصبر على الثبات على ذلك، وعلى العمل بموجب كل هذه الصفات.

ولقد قيل في هذه السورة: «تضمنت النصيحتين والتكميلين، وغاية كمال القوتين بأخصر لفظ، وأوجزه، وأهذبه، وأحسنه ديباجة، وألطفه موقعاً»[3].

---

(١) ينظر: نظم الدرر (٢٢/٢٣٩-٢٤٠).

(٢) ينظر: البحر المحيط (٨/٥٠٧).

(٣) المراد بالنصيحتين: «فنصيحة العبد نفسه، ونصيحته أخاه بالوصية بالحق والصبر عليه، وأما التكميلان: فهو لتكملة نفسه، وتكميله أخاه، وأما كمال القوتين: فإنها النفس، لها قوتان: قوة العلم والنظر وكمالهما بالإيمان، وقوة الإرادة». بدائع التفسير (٥/٣٢٧).

ولكثرة ما ورد في فضل هذه السورة الكريمة على قصرها، واختصار عباراتها؛ فلقد تآزرت البلاغة بإيجازها مع المعاني، فأظهرتها كاملةً على قصر عباراتها: مَنْ تقفَّى أثرها وصل إلى سعادة الدارين. حيث عبَّر بالاستثناء في قوله - تعالى -: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ لتقرير الحكم في نفس السامع تاماً بأن الناس على فريقين: فريق يلحقه الخسران، وفريق في مأمنٍ مِنَ الخسارة ومن سوء العاقبة.

ثم التعبير بالصلة وموصولها ماضٍ في قوله ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾، فقد أراد بهم الذين آمنوا وأوجدوا الإيمان، ولو في أدنى درجات التصديق، كما دل على ذلك الماضي[1]، والتعبير بالموصول دليل على أهمية تحقق هاتين الصفتين، وأنهما الأساس في الاتصاف بالإيمان.

والتعريف في ﴿ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ للجنس، أراد به الاستغراق؛ فأفاد أن من صفاتهم القيام بجميع الأعمال الصالحة التي أُمروا بها، ويشملها ترك السيئات. وهذه الصياغة أفادت استثناء المتصفين بمضمون جملة الصلة، ومعطوفها بياناً بأن الحكم على المؤمنين هو نقيض الحكم الثابت للمستثنى منه، وأن عملهم الصالحات أنقذهم من (الخسر)، على وجه المبالغة للتخويف منه[2].

ثم قوله - تعالى -: ﴿وَتَوَاصَوْا بِٱلصَّبْرِ﴾ أي يوصي بعضهم بعضاً، ودل على ذلك بصيغة المفاعلة ﴿وَتَوَاصَوْا﴾، وبالفعل المضارع: على تجدد ذلك واستمراره، وتبادل الوصايا فيما بينهم كلما دعت الحاجة إلى ذلك، فهو يشمل

---

(١) ينظر: نظم الدرر (٢٢/٢٣٨).

(٢) ينظر: الفتوحات الإلهية (٨/٣٩٧)، والتحرير والتنوير (١٥/٣٠/٥٣٢).

تعليم الدين وشرائعه، وبيان أحكامه، وعطف التواصي بالحق والتواصي بالصبر على الإيمان بالله - تعالى - من باب **عطف الخاص على العام** للاهتمام بشأنهما[١].

ثم تكرار فعل (التواصي) لاختلاف المفعولين، وخصص التواصي بالذكر مع اندراجه تحت التواصي بالحق، فلإبراز كمال الاعتناء به[٢]، لأن هاتين الصفتين تدلان على الدعوة إلى الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والصبر على ذلك[٣]. **إذ أنَ (التواصي بالحق)** هو دليل على تكميل الإنسان لنفسه، ولا يتم ذلك إلا بتكميل غيره من المؤمنين، واجتهاده في ذلك. ولهذا فعليه الإقبال على القرآن الكريم، وتفهمه، ودراسة معانيه؛ فهو الكفيل بما يصلح للناس في معاشهم ومعادهم[٤].

وأما (الصبر): من الأمور التي كثر ورودها في القرآن الكريم، **يمتدح فاعلها** كما جاء في قوله - تعالى -: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٤٤]، وقوله: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٠]، وتأتي الصفةُ **منتدباً إليها**، كما في قوله - تعالى -: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، وقوله: ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [النحل: ١٢٧].

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير (١٥/ ٣٠/ ٥٣٢).

(٢) ينظر: الفتوحات الإلهية (٨/ ٣٩٨).

(٣) ينظر: زاد المسير في علم التفسير (٩/ ٢٢٥)، للإمام أبي الفرج جمال الدين بن محمد الجوزي القُرشي البغدادي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٤، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

(٤) ينظر: مدارج السالكين (١/ ٤٦).

ويعتبر الصبر فضيلة لا تجاريها من الفضائل غيرها، ولا يحتويها إلاَّ من كمل دينه وعقله، وصدق في عزيمته، وإنَّ أحسن الناس خلقاً من كان أوسعهم صبراً.

ولقد قُسِمَ الصبر إلى ثلاثة أقسام : صبر عن المعصية، وصبر على الطاعة، وصبر على البلية[1]، كما ورد في مناقب الصبر عن النبي ﷺ: **(ما أُعطي أحدٌ عطاء خيراً وأوسع من الصبر)**[2].

ولقد ورد الصبر في القرآن الكريم بصيغ مختلفة في تسعين موضعاً[3] لمكانته في حياة المؤمن، وعظم شأنه عند الله ﷻ.

ولما كان المقام في هذه السورة الكريمة مقام توجيه وإرشاد، وكانت الدعوة في أوجها ومستهلها، وفي حاجةٍ إلى مؤازرين ومناصرين لها، ناسب ذلك أن تكون العبارات موجزة، وأن تكون على جانب من القِصر، يؤدي الغرض من مفهومها، هذا من ناحية، ومن ناحيةٍ أخرى ؛ **فإن أسلوب الإيجاز بالقصر** ضروري في هذه الحالة، لتأخذ النصيحة بمجامع القلوب، وتؤدي دورها في تحريك المفاهيم، فتمازج العقول ؛ حتى يعيها ذوو الألباب، ويعملوا بمقتضاها.

---

(١) ينظر طريق الهجرتين وباب السعادتين (ص ٤٧٦)، للإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، ت: عبدالله الأنصاري مدير الشؤون الدينية، طبع في قطر.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب الاستعفاف عن المسألة، (ص ٢٨٦)، رقم (١٤٦٩)، ومسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب فضل التعفف والصبر (ص ٥٢٤)، رقم (١٠٥٣).

(٣) ينظر طريق الهجرتين وباب السعادتين (ص ٤٧٦).

وفي هذا الأسلوب - كذلك - إشعار لمن نُزِّل عليهم القرآن الكريم، وهم أرباب البيان، بأن ما يفعله الرسول ﷺ معهم ما هو إلا من قبيل التواصي بالحق، والتواصي بالصبر اللَّذَيْن أمَرَ بهما؛ فقد جمعتا من فضائل الدين الإسلامي ما فيه الخير الكثير، وأن على المؤمنين أن يسيروا على نهجهما، فهما الطريقة المثلى في الثبات على الدين، وعلى التواصي بالحق.

(ب) الإطناب

الإطناب في اللغة:

الطاء والنون والباء أصل واحد، يدل على ثبات الشيء وتمكنه، مصدر أطنب في كلامه إطناباً، وهو من البلاغة في الكلام والوصف، وبه يكون تطويل ذيول الكلام؛ لإفادة المعاني مدحاً كانت أو ذماً. **واشتقاقه** من قولهم: أطنب بالمكان: إذا طال مقامه فيه، وفرس طَنِبٌ: إذا طال متنه، ومن أجل ذلك سُمِّي حَبْل الخيمة طُنُباً لطوله. وهو نقيض الإيجاز[1].

الإطناب في الاصطلاح:

«هو زيادة اللفظ على المعنى لفائدة جديدة من غير ترديدٍ، فقولنا: هو زيادة اللفظ على المعنى عام في الإطناب»[2].

وموضعه: إنما يكون: «في تفصيل المعنى، وما يتعلق به في المواضع التي يحسن فيها ذكر التفصيل»[3].

---

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة (٣/٤٢٦)، (باب الطاء والنون، وما يثلثهما)، ولسان العرب (١/٥٦١، ٥٦٢)، (باب الباء، فصل الألف)، والطراز (ص ٣١٤).

(٢) الطراز (ص ٣١٤)، وأقسام الإطناب (ص ٣١٦ - ٣٢٠) ينظر: المصدر ذاته.

(٣) النكت في إعجاز القرآن للرماني ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن (ص ٧٨، ٧٩).

وفائدته:

المبالغة في تصوير المعنى المقصود، لما فيه من طول النزهة في الكلام، فيجتلب معه في طريقه فوائد عظيمة، أما حقيقته فكما في قوله - تعالى -: ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ﴾ [الأحزاب: ٤]، ومعلوم أن القلب في الجوف، ولكن أراد به هنا التأكيد، ومثاله: ﴿وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ [الأنعام: ٣٨]، وإما مجازاً، نحو قوله - تعالى -: ﴿وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦] تحقيقاً لإضافة العمى إلى القلوب بطريق المجاز؛ توضيحاً للمراد، وحتى لا يلتبس المعنى بمحل البصر. وفيه إخراج الكلام في صور مختلفة وتفصيلية، يجعل المعنى يستقر المراد به ويتضح[1].

وللإطناب صور متنوعة، وأغراض مختلفة، أوردها البلاغيون كالتالي:

١- الإيضاح بعد الإبهام: وهو طرح الكلام بصورتين مختلفتين، ذلك أنه إذا أُلقي الكلام على سبيل الإجمال والإبهام، تشوقت النفس إلى معرفة المعنى بتفصيله، فتتوجه إلى ما يرد بعد ذلك؛ فإذا أُلقي الكلام في صورة أخرى، تمكن فيها فضل تمكُّن، وأثر في نفس السامع، وكملت لذة العلم به.

٢- ذكر الخاص بعد العام للتنبيه على فضله، حتى كأنه ليس من جنسه.

٣- التكرير: ويأتي لدواعٍ، منها: الإنذار، وزيادة التنبيه، وطول الفصل.

٤- التذييل: وهو تعقيب الجملة بجملة تشتمل على معناها للتوكيد.

---

(١) ينظر: النكت في إعجاز القرآن للرماني (ص ٧٩)، وسر الفصاحة (ص ٢٠٢)، والإكسير في علم التفسير (ص ٢٠٣)، والطراز (ص ٣١٤).

٥- الإيغال: وهو ختم البيت بما يفيد نكتة يتم المعنى بدون التصريح بها.

٦- الاحتراس: ويسمى التكميل، وهو أن يؤتي في كلام يوهم خلاف المقصود بما يدفعه.

٧- التتميم: وهو أن يؤتى في كلام لا يوهم خلاف المقصود بفصله؛ ليفيد نكته.

٨- الاعتراض: وهو أن يؤتى بجملة في كلام متصل بعضه ببعض لنكتة.

٩- عطف الخاص على العام.

وهناك أغراض أخرى للإطناب غير ما ذكر[1].

ولا تعذب الإطالة والإطناب إلاّ في كلام الله ﷻ، فكل زيادة في القرآن الكريم تجللت بفائدةٍ وجمالٍ، لا يكونان في غيره، ومن ذلك ما ورد **في قوله - تعالى -**: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [آل عمران: ١١٠].

قد سبق الحديث عنها في موضوع (الظلال)، وهنا اقتصر على بيان **الإطناب بعطف العام على الخاص** في قوله - تعالى -: ﴿وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾، فهو ترغيب في مزيد من التمسك بالدين القويم، وإشارة إلى أنه يجب أن تكون أفعالكم وأقوالكم الإيمانية المتمثلة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تدعو - جميعها - إلى دين الله - تعالى -، ففي ذلك بقاؤكم ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ﴾، كما أن فيه تذكيراً لأهل الكتاب بأهمية الإيمان بالله - تعالى - وأنه ليس كإيمان أهل الكتاب الذي

---

(١) ينظر: الإيضاح (ص ١٨٩) وما بعدها.

ورد في كتبهم، وهناك إطناب بالاحتراس في قوله ﷻ: ﴿مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ احتراساً من أن تلحق الذين آمنوا من أهل الكتاب وصمة الكفر لما تقدم في قوله - تعالى -: ﴿وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾.

وفي الآية عطف للعام على الخاص في قوله - تعالى -: ﴿تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ حيث عطف النهي عن المنكر على الأمر بالمعروف، وهو من باب عطف الخاص على العام؛ لأن الأمر بالمعروف أعم، ويدخل فيه النهي عن المنكر، لذلك قُدِّم، أما النهي عن المنكر فإنه أخص.

من الإطناب عطف الخاص على العام في قوله - تعالى -: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [النور: ٣٧].

سبق شرح الآية الكريمة في موضوع الفصل والوصل، وهنا أقدم ما فيها من إطناب. في قوله - تعالى -: ﴿لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ﴾.

وبعد بيان معنى التجارة والبيع، اتضح ما بينهما من مغايرة التجارة للبيع، وأن التجارة عامة، والبيع خاص، والعطف بينهما يعد من باب عطف الخاص على العام، وهو ما أراده أبو حيان بقوله: «والظاهر مغايرة التجارة والبيع، ولذلك عطف؛ فاحتمل أن تكون تجارة من إطلاق العام ويراد به الخاص، فأراد بالتجارة الشراء، ولذلك قابله بالبيع، أو يراد تجارة الجلب، ويقال: تجر فلان في كذا إذا جلبه، وبالبيع البيع بالأسواق»[1]، وورد في أن البيع: «يطلق

---

(١) البحر المحيط (٤٢٢/٦).

بالاشتراك على التحصيل الذي هو الشرى، وعلى الإزالة (عن ذكر الله) أي الذي له الجلال والإكرام»[1]، وفي ظل نفي الأحوال السابقة عنهم أثبت لهم صحة الإيمان وصدقه بذكر الله - تعالى -.

ومن مواضع الإطناب بالتكرار ما جاء في قوله - تعالى -: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ﴾ [الرعد: ٢٨، ٢٩].

سبق شرح هاتين الآيتين وبيان أسرارهما البلاغية[2]؛ لذلك سأقتصر هنا على جانب واحد ما يخص **الإطناب بالتكرار.**

في قوله - تعالى -: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم..﴾ **ثم كرر ذكر الذين آمنوا في** قوله - تعالى -: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾.

لإبراز أهمية المؤمنين، وتقريراً لأهمية الإيمان في الاطمئنان بما جاء في القرآن الكريم من الآيات والدلائل على قدرته جلَّ وعلا، وما فيه من الدلائل والبراهين على صدقه ﷺ، فَغَيْر المؤمن لا ينتفع بذلك، كما جاء الإخبار عنهم في الآية السابقة قوله - تعالى -: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ﴾ [الرعد: ٢٧].

* **التكرار كذلك في قوله - تعالى -:** ﴿وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ وقوله - سبحانه -: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾، وتكرار الاطمئنان بذكر الله - تعالى - في موضعين: تذكير بأهمية **(ذكر الله)** ﷻ في إدخال الطمأنينة، وإنزال

---

(١) نظم الدرر (١٣/ ٢٧٨).

(٢) ينظر موضوع الجملة الاسمية والفعلية.

السكينة في قلوب المؤمنين حال إصابتها بالقلق والاضطراب، وكذلك في التكرار تأكيد لعظمة ذكر الله - تعالى -، وأنه لا يلامس إلا القلوب المؤمنة.

ولا يطيب التكرار في كلام كما يطيب في ذكر اسم الله ﷻ، وقد جلل صفات المؤمنين في قوله - تعالى -: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ۝ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ۝ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَٰهَدُوا ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ۝ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢١-٢٤].

سبق شرح الآيات الكريمة في موضوع (الجملة الاسمية والفعلية).

* وهنا اقتصر على بيان أحد ألوان الإطناب وهو التكرار، في قوله - تعالى -: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾.

قول المؤمنين أولاً: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ هذا القول صادر عن المؤمنين عندما رأوا تجمع الأحزاب الذين تحزبوا، ونزلوا منازلهم؛ فكان أول ما خطر ببالهم ذلك الوعد بأن يزلزلوا، ويُضيَّق عليهم، ويكونوا في كرب شديدٍ حتى يستغيثوا ويستنصروه - سبحانه -، كما جاء في قوله - تعالى -: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ﴾ [البقرة: ٢١٤].

والمراد: ظهر صدق خبر الله - تعالى -، وصدق رسوله ﷺ، وأن صدق الله - تعالى - وصدق رسوله أمر مُسلَّم به من قبل، وإنما هذا القول مترتب على رؤيتهم الأحزاب(١).

* **وأما تكرار لفظ الجلالة، واسم رسوله الكريم ﷺ في قوله - تعالى -:** ﴿وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾. فالمراد به صدقه تَعَالَىٰ في نجدتهم ونصرتهم نصراً مؤزراً(٢). وسر بلاغة **التكرار** للفظ الجلالة ولاسم رسوله الكريم، مع سبق ذكره، فللتعظيم وللتيمن بذكرهما -(٣). وفيه دلائل على استبشارهم بذلك النصر المؤذن بقبولهم عند الله - تعالى - وعند رسوله ﷺ، ولو أنه أضمر لأدى أن يجمع بين لفظ الجلالة وغيره في ضمير واحد، وترك هذا أولى(٤).

* **ومن أمثلة الإطناب بالتذييل** التي تبشر المؤمنين بفضل الله ﷻ، وبرضاه عن المؤمنين، ما ورد في **قوله - تعالى -:** ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ۝ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: ٢٩-٣٠](٥).

---

(١) ينظر: روح المعاني (١١/٢١/١٦٦).

(٢) ينظر: الكشاف (٣/٥١٥، ٥١٦)، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل (٢/٢٤٣).

(٣) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٢/٢٤٣)، ونظم الدرر (١٥/٣٢٥)، وروح المعاني (١١/٢١/١٦٦).

(٤) ينظر: حاشية الشهاب (٧/٤٧٧).

(٥) سبق شرح الآيتين وبيان أسرارهما البلاغية في موضوع الالتفات. وسأكتفي هنا ببيان بلاغة الإطناب بالتذييل.

* **من بلاغة الإطناب بالتذييل**[(١)] **في قوله - تعالى -:** ﴿إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾.

هذه الجملة المباركة واقعة موقع التعليل لبيان مراد العلة في زيادة فضلهم؛ حيث توفية أجورهم، بل ويزيدهم من فضله، فيغفر لفرطاتهم وزلاتهم، لأنهم بشر، إذ قد يحصل تقصير من أحدهم فإن الله ﷻ يستره.

ومن فضله كذلك أنه (شكور) لطاعاتهم، بالجزاء والمكافأة بالخير الكثير على العمل اليسير[(٢)].

وهذا الفيض من معاني الجزاء والعطاء **ذيل بما يحقق الوعد بها قوله - تعالى -:** ﴿إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾، وهي من صفات الله ﷻ، وفيها بيان أنهم لا يغترون بعلم ولا بعمل، إذ لو آخذ عباده على التقصير لهلكوا[(٣)].

ومن أمثلة الإطناب: الإيغال في قوله - تعالى -: ﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٢٠ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [يس: ٢٠-٢١].

وترتبط الآيتان بسابقاتهما قوله - تعالى -: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ۝١٣ إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيْكُم

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير (١١/٢٢/٣٠٨).

(٢) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٢/٢٧٢)، ونظم الدرر (١٦/ ٥١، ٥٢)، وتفسير روح البيان (٧/٤٠٥، ٤٠٦).

(٣) ينظر: نظم الدرر (١٦/٥١).

مُرْسَلُونَ ۝ قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَٰنُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ۝ قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ۝ وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ۝ قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ قَالُوا طَائِرُكُم مَّعَكُمْ ۚ أَئِن ذُكِّرْتُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴾ [يس: ١٣-١٩].

حيث عطف آيتي الشاهد على قصة التحاور الجاري بين أصحاب القرية والرُسل الثلاثة لبيان حال المكذبين المعاندين لصدق ما جاء به الرسل، وبين حال الرجل المؤمن الذي وعظهم بلسان الحال والمقال، لذلك يصح أن تعطف آيتا الشاهد على جملة: ﴿ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴾، ويمكن جعلها عطفاً على جملة: ﴿ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴾[1].

* **من بلاغة الإيغال** في قوله - تعالى -: ﴿وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ إذ المعنى قد تم بدون هذه الجملة الكريمة؛ لأن الرسل الكرام على هداية من ربِّ العالمين لا محالة، بل هم رأس الهداية، وأصل الدين، وخاصة الناس عند الله ﷻ، **وسره البلاغي** يتبين في زيادة الترغيب في الدين، وحثاً على اتباع هؤلاء الرسل وهم أهل الهداية، ففي الاهتداء بهم ربح الدنيا والآخرة[2]، وأيضاً لفرط التشويق في التوفيق إلى هدايتهم. وهذه الجملة حال مؤكدة، فهم بعد كمالهم يسعون لتكميل غيرهم[3].

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير (١١/٢٢/٣٦٥).

(٢) ينظر: المطول (ص ٤٩٦)، وتفسير روح البيان (٧/٤٥٢).

(٣) ينظر: حاشية القونوي (١٦/١١٣).

من أسرار البلاغة في آيتي الشاهد ما يلي:

التعبير بالمجيء في قوله - تعالى -: ﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ﴾ دون الإتيان، فلأن الإتيان مجيء بسهولة ويسر، يقال للسيل المار على وجهه: أتي[١]. وهذا المعنى مناسب لامتداح المؤمن به في هذا الموقف؛ لأن الوصف بالمجيء أعم، ولا يكون إلاّ باعتبار الحصول[٢]، وبهذا الفعل تحقق مجيء المؤمن، ووصوله إلى لقاء المرسلين.

وفي تقديم الجار والمجرور في قوله - تعالى -: ﴿مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ﴾ على الفاعل ﴿رَجُلٌ﴾؛ فلأن الآية السابقة لها تشير إلى سوء استقبال أهل القرية للمرسلين؛ فناسب ذلك أن يتقدم ذكر القرية، وبيان أنه لا يزال في بعض أهلها الخير، وهو ما كان يتشوق السامع إليه[٣]. وأيضاً للاهتمام بالثناء على القاصي والداني ممن أسلم من أهل القرية، وأن الله - تعالى - يهدي من هو أهل للهداية، ولا اعتبار للمكان[٤].

وما جاء في سورة القصص من تقديم الفاعل على الجار والمجرور في قوله - تعالى -: ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ﴾ [الآية: ٢٠]، فلقد جاء النظم على ترتيبه المعتاد، إذ لا داعي إلى التقديم؛ فإن الرجل كان ناصحاً، ولم يكن داعياً[٥].

---

(١) ينظر: المفردات (ص ٨).

(٢) ينظر: المصدر ذاته (ص ١٠٣).

(٣) ينظر: حاشية القونوي (١٦/١١١).

(٤) ينظر: حاشية الشهاب (٨/١٣)، وينظر: التحرير والتنوير (١١/٢٣/٣٦٥، ٣٦٦).

(٥) ينظر: التحرير والتنوير (١١/٢٣/٣٦٦).

والتعبير بوصف ﴿رَجُلٌ﴾: إشارة إلى رجولية ذلك المؤمن، ودلالة على صبره وتجلده في تحمل المسؤولية. **وتنكيره:** تعظيم لشأنه، وليس لأنه نكرة، وأنه رجل غير معروف ولا معلوم.

وللتعبير بالجملة **الحالية** في قوله - تعالى -: ﴿يَسْعَىٰ﴾ بيان لإسراعه في المشي، والسعي دون العدو، ويستعمل للجدِّ في الأمر[1]، وفي التعبير بهذا الوصف إشارة إلى وجوب الإسراع في الدعوة إلى دين الله - تعالى - والمبادرة إليها[2].

وفي الآية شبه كمال اتصال، نشأ عن سؤال تقديره: فماذا قال عندما جاء ساعياً ووصل إلى وسط المدينة حيث الناس مجتمعون؟ فكان الجواب مستأنفاً بيانياً[3]؛ حيث قال - تعالى -: ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾، وفي هذه الإجابة تجسيد للمشهد الذي حصل في قلب المدينة، حيث الرجل المؤمن يعظ قومه، ويحثهم على اتباع المرسلين، ويحبب إليهم طاعتهم حيث يقول: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرٗا وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾، وفي ذلك وصف لهم بتعدد مزاياهم؛ ترغيباً في الإيمان.

واستهل الاستئناف البياني بالنداء طلباً لتهيؤ القوم لأن يصغوا إلى ما أراده الله - تعالى - لهم من الخير. وفي وصفهم: ﴿ **القوم** ﴾ إشارة إلى عمومهم؛ حباً فيهم[4]. وإضافة ﴿ **القوم** ﴾ إلى نفسه: ترغيب لهم، واستمالة لنفوسهم بأن

---

(١) ينظر: المفردات (ص ٢٣٣).

(٢) ينظر: حاشية القونوي (١٦/١١١)، وتفسير روح البيان (٧/٤٥٠).

(٣) ينظر: إرشاد العقل السليم (٥/٢٩٤)، والفتوحات الإلهية (٦/٢٨٣)، وحاشية القونوي (١٦/١١٢)، وتفسير روح البيان (٧/٤٥١).

(٤) ينظر: حاشية القونوي (١٦/١١٢).

يغمرها الرضا والتصديق، فالداعية منهم؛ حتى يتمكن الداعية من دعوتهم إلى الخير[١].

ولقد بيَّن لهم أهمية اتباع الرسل، حيث التعرض لعنوان الرسالة، وبيان أنها من رب العالمين[٢]، وفي ذلك محاولة لإلقاء المهابة في نفوسهم ليقلعوا عن إيذائهم، ويستسلموا لأمر الله ﷻ بالإيمان.

وفي قوله ﷻ: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا﴾ عبارة جامعة للمناصحة والترغيب فيما عند الله ﷻ[٣]، كما أن في هذا القول دليلاً على نقص من يأخذ الأجرة على أفعال الشرع، وكون المرسلين لا يأخذون الأجرة، فهذا حجة عليهم، إذا لم يتبعوهم[٤].

ولما كان من صفات الداعية إلى دين الله ﷻ التأني والرفق في دعوته، فإنه أعاد عليهم الطلب بقوله - تعالى -: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ﴾ الآية، **ففي هذا القول تكرار**: أراد به التأكيد والتوسل إليهم، رغبة في إيمانهم[٥].

وقوله - تعالى -: ﴿مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا﴾ بدل عن ﴿ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ في الجملة السابقة، وهو تكرار أراد به التأكيد على أهمية اتباع الرسل، وترغيب ومبالغة

---

(١) ينظر: البحر المحيط (٣١٤/٩).

(٢) ينظر: إرشاد العقل السليم (٢٩٤/٥).

(٣) ينظر: الكشاف (١٠/٤).

(٤) ينظر: البحر المحيط (٣١٥/٩).

(٥) ينظر: إرشاد العقل السليم (٢٩٤/٥)، والفتوحات الإلهية (٢٨٣/٦).

في الإقناع، أو لبيان أهمية قوله - تعالى -: ﴿ٱتَّبِعُوا﴾ مرة أخرى، ذلك أنهم لا يطلبون أجراً[١].

والتنكير في قوله - تبارك وتعالى -: ﴿أَجْرًا﴾ تعظيماً لشأنهم، وبيان أن المراد لا يطلبون من الأجر، لا قليلاً ولا كثيراً.

والأجر: يصدق على كل نفع دنيوي، وهو بذلك يشمل المال والجاه، وفي أخذ الأجرة عنهم، دليل على خلاصهم من طلب المنافع الدنيوية[٢].

ولما كان المؤمنون بشراً يعرض لهم من الأكدار والأحزان ما يجعلهم في غيظ شديد؛ فإن القرآن الكريم امتدحهم من جانبٍ آخر، وهو تلبسهم بصفة كظم الغيظ، وهو عزيز المنال، أتبعها بصفة أخرى، وهي العفو عن الناس **احتراساً**، فقال تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٤].

لقد سبق شرح الآيتين الكريمتين في موضع آخر من البحث[٣]. وكذلك بيان أسرارها البلاغية.

لذلك سأقتصر هنا على ذكر ما يخص موضوع الإطناب. **وذلك في قوله - تعالى -**: ﴿وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾ هي صفة أخرى للمتقين، المراد بها وصفهم بالترفع عن ردِّ الإساءة، وترك المؤاخذة مع القدرة على أخذ الحق، وإنفاذ

---

(١) ينظر: حاشية القونوي (١٦/١١٢، ١١٣).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير (١١/٢٣/٣٦٧).

(٣) ينظر: موضوع الاستعارة.

الوعيد، وهذه الصفة **بمنزلة الاحتراس**[1]؛ لأن كاظم الغيظ قد يعتريه ندم، أو يشتد ألم الغيظ به؛ فيحاول الانتقام، ولكن وصفهم بـ﴿ٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾ يدل على كرم المعاملة المتأصل في نفوسهم، وأن كتمهم الغيظ لم يُطوَ على حقدٍ وضغينة، بل على العفو والتسامح والتجافي عن مؤاخذة المذنبين.

والتذييل أحد الأغراض البلاغية للإطناب، فقد ورد في قوله - تعالى -: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر: ٢٨].

وترتبط هذه الآية الكريمة بقوله - تعالى -: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ [فاطر: ٢٧].

في هذه الآية الكريمة بيان لدلائل قدرته - سبحانه - وآثار عظمته، وحثُّ للنبي ﷺ على تدبر أفعاله - سبحانه - لدلالتها على عظم شأنه، وكمال كبريائه، ليعرف الله ﷻ حق المعرفة بصفاته وكماله، ويخشاه حق خشيته؛ لأن الخشية التي تكون عن العلم بحقيقته تكون أتم وأمكن، لذلك قال - تعالى -: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ الآية [فاطر: ٢٨][2].

لذلك جاء قوله - تعالى -: ﴿كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ ...﴾ [الآية ٢٨] استئنافاً بيانياً، إذ إن الجملة الكريمة جوابٌ لسؤال نشأ عما قبله، وتقديره: أنه لما قيل

---

(١) ويسمى أيضاً بالتكميل: وهو أن يؤتى في كلام يوهم خلاف المقصود بما يدفع ذلك التوهم.

(٢) ينظر: الكشاف (٣/٥٩٢، ٥٩٣)، وحاشية زاده (٤/١١٠).

للرسول ﷺ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ..﴾ [الآية ٢٧]، قال: لم تخصني بهذا الخطاب، فكان الجواب: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾.

والمقصود بذلك أن خشية الله — تعالى — المترتبة على تدبر آيات الكون، وآثار صنعة الخالق هي أقوى، وإنما تحصل فيك يا محمد، وفيمن هم على صفتك من المؤمنين من حيث التفكر والتدبر في آيات الله العظيمة، لذلك قال ﷺ: **(أما والله إني لأتقاكم لله وأخشاكم له)**[1].

ولقد ورد أن آية الشاهد الكريمة هي: «تكملة لقوله — تعالى —: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ﴾ [فاطر: ١٨] بتعيين من يخشاه ﷻ من الناس، بعد بيان اختلاف طبقاتهم، وتباين مراتبهم»[2].

وقوله — تعالى —: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ «مصدر تشبيهي لقوله — تعالى —: ﴿مُخْتَلِفٌ﴾، أي: صفة لمصدر مؤكد، تقديره: مختلفٌ اختلافاً كائناً كذلك، أي: كاختلاف الثمار والجبال»[3].

ولقد أفاد الوصف بقوله: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ عقد مشابهة بين صور الزرع المختلف الألوان والأشكال، وأنها كاختلاف صور إيمان المؤمنين، فهم كذلك أنواع وأشكال، وأشدهم خشية العلماء، «وهي توطئة لما يرد بعد من تفضيلٍ الاستنتاج بقوله — تعالى —: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ أي إنما يخشى الله

---

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الصيام، باب بيان أن القبلة في الصوم ليست محرمة على من لم تحرك شهوته، (ص ٥٥٨)، رقم (١١٠٨).

(٢) إرشاد العقل السليم (٥/٢٨١).

(٣) تفسير روح البيان (٧/٤٠٣)، وإرشاد العقل السليم (٥/٢٨١)، والتحرير والتنوير (١١/٢٢/٣٠٤).

من البشر المختلفة ألوانهم العلماء منهم ؛ فجملة : ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا﴾ مستأنفة عن جملة ﴿كَذَٰلِكَ﴾»[1]. ومما أفاد **قصر الخشية على العلماء بقوله – تعالى –**: ﴿إِنَّمَا﴾ والمراد بهم العلماء بالدين ؛ لأن من كان عالماً بالله اشتدت خشيته له ، وهو من باب **القصر الإضافي**: «أي لا يخشاه الجهال ، وهم أهل الشرك ؛ فإن من أخصّ أوصافهم أنهم أهل الجاهلية ، أي عدم العلم ، فالمؤمنون يومئذٍ هم العلماء ، والمشركون جاهلون نفيت عنهم خشية الله»[2]، **وأما في تقديم المفعول به ،** وهو المخشي : «للاختصاص وحصر الفاعلية أي : لا يخشى الله من بين عباده إلا العلماء ، ولو أخر لانعكس الأمر ، وصار المعنى لا يخشون إلاّ الله ، وبينهما تغاير ؛ ففي الأول بيان أن الخاشين هم العلماء دون غيرهم ، وفي الثاني بيان أن المخشي منه هو الله – تعالى – دون غيره»[3].

الإطناب بالتذييل في قوله – تعالى –: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾.

لما كان مضمون الآية الكريمة قصر الخشية على العلماء ؛ دل على أن غيرهم من الكفار أهل الجهل ، فجاء في الآية بما يكمل هذا المعنى ، وهو وصف الله ﷻ بالغَنَاء عن هؤلاء وعن إيمانهم ، وله – تعالى – العزة في التأليف بين قلوبهم ، ثم فتح باب التوبة بوصف ﴿غَفُورٌ﴾ رحمة بمن ضل إذا أراد العودة[4].

---

(١) التحرير والتنوير (١١/٢٢/٣٠٤).

(٢) المصدر والموضع ذاته.

(٣) تفسير روح البيان (٧/٤٠٤)، وينظر: الكشاف (٣/٥٩٢)، وإرشاد العقل السليم (٥/٢٨١)، وحاشية زاده (٤/١١٠).

(٤) ينظر: التحرير والتنوير (١١/٢٢/٣٠٥).

والأرجح أنه تذييل لأن هذه الجملة الكريمة: «تعليل لوجوب الخشية لدلالته على أنه معاقب للمصرّ على طغيانه، غفور للتائب من عصيانه، ومن حق مَنْ هذه صفته أن يخشى»[١].

ومن أنواع الإطناب: **التتميم** الذي ورد في هذه الآية لبيان مزيد من صفات المؤمنين في قوله - تعالى -: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾ [القصص: ٥٥][٢].

الآية الكريمة تبين جانباً من صفات المؤمنين، وهي إعراضهم عن اللغو ومسابة المشركين الذين كانوا يتعرضون لمؤمني أهل الكتاب، ويأخذون عليهم أنهم تركوا دينهم ودخلوا في الإسلام؛ فما كان من هؤلاء إلاّ الإعراض عن الرد عليهم، بل ويقولون لهم: لنا ديننا الذي ارتضينا، ولكم دينكم[٣].وأما السلام في قوله - تعالى -: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾ فهو سلام متاركة ومهاجرة، أو أنه دعاء لهم بالسلامة من عاقبة ما هم فيه[٤].

وجاء التتميم في قوله - تعالى -: ﴿وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾[٥]، وذلك أنه عند سماع أقوال المشركين، وما فيها من تسفيه لدين المسلمين الذين أعرضوا عنهم، ولم يردوا عليهم؛ بل وضعوا لكلامهم حداً، ولموقفهم بياناً، وذلك بقولهم: ﴿لَنَا أَعْمَالُنَا﴾؛ فبهذا القول تم تسديد الرد عليهم، وهو من مظاهر حكمة المؤمنين

---

(١) تفسير روح البيان (٧/٤٠٤).

(٢) ورد بيان الأسرار البلاغية لهذه الآية الكريمة في موضوع التقديم والتأخير.

(٣) ينظر: معالم التنزيل (٤/ ٣٤٩، ٣٥٠).

(٤) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٢/١٩٦).

(٥) ينظر: التحرير والتنوير (١٠/٢٠/١٤٦).

ذوي الألباب، إذ لا ينبغي لهم أن يشغلوا أنفسهم بما لا فائدة فيه. وتتميماً للفصل قال المؤمنون: ﴿وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾، فنحن لا نرغمكم على الدخول في ديننا، كما لا ينبغي أن تفعلوا ذلك هنا.

ومن أنواع الإطناب كذلك: **الاعتراض في قوله – تعالى –**: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ﴾ [الرعد: ٢٨-٢٩][1].

سأقتصر هنا على بيان الإطناب بالاعتراض، في قوله – تعالى –: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ جاء معترضاً بين الجملتين الكريمتين: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ...﴾، وبين: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ مع ما بين هاتين الجملتين من اتصال بين معنييهما للتأكيد على أهمية ذكر الله - تعالى - وأثره في القلوب المؤمنة، فإن المؤمن إذا تذكر عظمة الله ﷻ وعلو شأنه، وقهره وسلطانه، يغلب عليه الخوف والقلق، ثم عند تذكر مغفرته وسعة رحمته زال الخوف والاضطراب؛ فلا تحصل سكينة إلا بذكر الله – تعالى –[2].

ومن صفات المؤمنين التي يجمل ذكرها بأسلوب الإطناب ما جاء في قوله – تعالى –: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ

---

(١) لقد مضى شرح الآيتين الكريمتين في موضوع الجملة الاسمية والفعلية، وكذلك أسرارهما البلاغية.

(٢) ينظر: حاشية الشهاب (٥/٤١٣)، والفتوحات الإلهية (٤/١١٧).

وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ ﴾ [التوبة: ١١١- ١١٢][1].

هنا اقتصر على بيان البلاغة في قوله - تعالى -: ﴿ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ﴾؛ **فهذه الجملة** «**اعتراض مقرر** لمضمون ما قبله من أحقية الوعد على نهج المبالغة في كونه - سبحانه - أوفى بالعهد من كل وافٍ؛ فإن اختلاف الميعاد مما لا يكاد يصدر عن كرام الخلق؛ مع إمكان صدوره عنهم، فكيف بجناب الخلاق الغني عن العالمين جلَّ جلاله، وسبك التركيب، وإن كان على إنكار أن يكون أحدٌ أوفى بالعهد منه تعالى من غير تعرُّض لإنكار المساواة ونفيها؛ لكن المقصود به قصداً مطرداً إنكار المساواة ونفيُها قطعاً؛ فإذا قيل: مَن أكرمُ من فلان؟ أو لا أفضل منه، فالمراد به حتماً أنه أكرمُ من كل كريم، وأفضل من كل فاضل»[2].

ومجيء النفي على هذه الصورة ليكون أبلغ في النهي عن تصور أن هناك وجهاً لعقد مقارنة بين وفاء المولى - تبارك وتعالى - وغيره من المخلوقين، بل إن المقام يقتضي نفي المساواة كذلك؛ لأن وفاءه - تعالى - لا يعلو عليه وفاء، ولا يساويه.

---

(١) لقد مضى شرح الآيتين الكريمتين في موضوع الجملة الاسمية والفعلية، وكذلك أسرارهما البلاغية.

(٢) إرشاد العقل السليم (٣/١٩٦)، وينظر: روح المعاني (٦/١١/٢٩)، والفتوحات الإلهية (٤/١١٧).

ولقد جاءت هذه الجملة الكريمة **معترضة** أثناء الكلام الكريم، وقد أُريد بها تعظيم العهد، وتأكيد تنفيذه، حتى تطمئن نفوس المؤمنين؛ فهي مؤكدة بإنفاذه، كما مضى الوعد بمثله لغيرهم من أمم التوراة والإنجيل في الآية التي قبلها في قوله - تعالى - : ﴿وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ﴾.

المبحث الرابع

صور إخراج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر

من البلاغة مطابقة الكلام لمقتضى الحال، وأن لكل مقامٍ مقالاً، ولكن قد يحدث أن يخرج الكلام عن مقتضى الظاهر لأغراض يلجأ إليها البلاغي، وهي مراعاته لمقتضى الحال[1].

والمراد بالظاهر هنا: «المتعارف عليه، الذي اكتسب صفة الثبات والشهرة؛ سواء في قواعد اللغة، أو في قوانين الصياغة، فالتعبير عن الواحد بلفظ الجمع[2]، أو إطلاق لفظ الاثنين وإرادة الواحد، أو استعمال الفعل الماضي، والمتبع الفعل المضارع، أو العكس: أن ينزل المخاطب غيرُ السائل منزلة السائل، أو غيرُ المنكر منزلة المنكر، أو المنكرُ منزلة غير المنكر...، كل هذا يعتبر خروجاً عن مقتضى الظاهر المتَّبع، وكسراً للمعيار اللغوي لنكتة بلاغية مقصودة»[3].

وخروج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر، لا يكون إلا لنكتة بلاغية، على الباحث أن يبحث عنها؛ ليتجلى السر في مخالفة الظاهر.

---

(١) المراد بالحال هنا حال المتكلم والمخاطب.

(٢) لقد سبق دراسته في الفصل الأول من هذا البحث تحت عنوان: (الإفراد والجمع)، وهو ما يسمى بخروج اللفظ عن مقتضى الظاهر.

(٣) بلاغة الكلمة والجملة والجمل (ص ٩٧)، للدكتور منير سلطان، منشأة المعارف بالإسكندرية، ط٣، ١٩٩٦م.

وصور خروج الكلام عن مقتضى الظاهر كثيرة، منها: وضع المضمر موضع المظهر، أو العكس[١]، ومنها الالتفات، والتغليب، والتعبير عن المستقبل بلفظ الماضي وعكسه، إلى غير ذلك من الصور[٢].

وسأقدم شواهد من القرآن الكريم، والتي تبحث عن سر العدول عن مقتضى الظاهر.

فمن صور خروج الكلام عن مقتضى الظاهر:

[أ] الالتفات:

في اللغة: مأخوذة من التفات الإنسان عن يمينه وشماله، فهو يقبل بوجهه تارةً كذا وتارةً كذا، وكذلك يكون هذا النوع من الكلام؛ خاصة لأنه يُنتقل فيه من صيغةٍ إلى صيغة، كالانتقال من خطاب حاضر إلى غائب، أو من خطاب غائب إلى حاضرٍ، أو من فعل ماضٍ إلى مستقبل، أو من المستقبل إلى الماضي، أو غير ذلك مما سأذكره مفصلاً.

ويسمى شجاعة العربية؛ لأن الشجاعة هي الإقدام، والرجل إذا كان شجاعاً فإنه يرد الموارد الصعبة، حيث لا يرِدُها غيرُه، والالتفات مخصوص بهذه اللغة العربية دون غيرها[٣].

وفي اصطلاح البلاغيين: «هو التعبير عن معنى بطريقٍ من الطرق الثلاثة: (التكلم، الخطاب، الغيبة)، بعد التعبير عنها بطريقٍ آخر منها»[٤].

---

(١) لقد سبق بيانه في فصل خصائص الجملة.

(٢) ينظر الإيضاح (ص ٧٥-٨٦).

(٣) ينظر: المثل السائر (٢/١٣٥)، وكتاب الطراز (ص ٢٦٥).

(٤) هامش بغية الإيضاح (١/١٥٢)، وينظر الإيضاح (ص ٧٧).

ومن الشواهد الكريمة على الالتفات قوله - تعالى -: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١][1].

الالتفات في قوله - تعالى -: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ..﴾ وقوله - سبحانه -: ﴿لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ﴾.

لأن في الآية خطاباً، مضمونه تقرير لأمر رسول الله ﷺ، وبيان لمكانته العظيمة في الأرض، وبيان أن الخطاب يحمل معاني يجب الالتفات إليها. بينما جاءت الجملة الأخرى قوله - تعالى -: ﴿لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ﴾ توضيحاً لما شملته جملة الخطاب، وحثاً على فعل الطاعات اقتداءً بسنة المصطفى ﷺ؛ فناسب ذلك الغرض **الالتفات من الخطاب إلى الغيبة**، ليفيد بعث مثل هذا الشعور لدى المؤمنين في أن يكونوا في حالة رجاء دائم وذكرٍ مستمرين.

ومن الشواهد المناسبة لموضوع الالتفات هو مقام الدعوة إلى الله - تعالى - الذي يتطلب مراعاة أحوال المخاطبين، ويتضح سر بلاغته في قوله - تعالى -: ﴿وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝ أَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِ آلِهَةً إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنقِذُونِ﴾ [يس: ٢٢-٢٣].

المراد من الآيتين وارتباطهما بسابقتيها:

ذلك أنه بعد الحوار بين المؤمن وأهل القرية الذي جاء في قوله - تعالى -: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ۝ اتَّبِعُوا مَن لَّا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [يس: ٢٠-٢١].

---

(١) سبق بيان معنى الآية، وشرح أسرارها البلاغية في موضوع التعبير بالجملة الاسمية أو الفعلية (ص ٣٠٨).

عُلم أنه اتَّبع المرسلين[١] في عبادة الله ﷻ؛ لذلك جاء الجواب في آيتي الشاهد يتضمن الرد على من يلومه في موقفه الإيماني المتشدد، وترغيباً لهم فيما اختاره لنفسه من الطريق المستقيم[٢].

من أسرار بلاغة الالتفات من التكلم إلى الخطاب[٣] في قوله - تعالى -: ﴿وَمَا لِيَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [من الآية ٢٢]. بعد أن بين - ذلك المؤمن - فضل المولى ﷻ الذي رباه وأحسن إليه؛ فأنشأه من العدم، وذلك بما ورد عنه في قوله - تعالى -: ﴿وَمَا لِيَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾، حيث التعبير بضمير المتكلم، بما فيه من دلالة على الإقرار بالربوبية والعبودية لله - تبارك وتعالى -، ثم التحول منه إلى أسلوب الخطاب بقوله - تعالى -: ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾، حيث العدول عن لفظ الواحد (إليه أرجع)، إلى ضمير الجمع في ﴿تُرْجَعُونَ﴾، أراد به قومه، والتعبير بلفظ ﴿تُرْجَعُونَ﴾ حيث التذكير بيوم البعث والحساب - وهو ما

---

(١) المراد بالمرسلين: الحواريون الذين أرسلهم عيسى عليه السلام يدعون الناس إلى عبادة الله ﷻ، وقيل: إنهم رسل أرسلهم الله - تعالى -، ويدل على هذا قول قومهم: ﴿قَالُوا مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾، وهذا القول لا يقال إلا لمن ادّعى أنّ الله أرسله. وأما الرجل المذكور، فقيل: إنه حبيب بن إسرائيل النجار. ينظر: كتاب التسهيل لعلوم التنزيل (٣/١٦١، ١٦٢)، وكان ممن آمن برسول الله ﷺ، وبينهما ستمائة سنة، كما آمن به تُبّع الأكبر، وورقة بن نوفل وغيرهما، ولم يؤمن بنبي أحد إلا بعد ظهوره. ينظر: الكشاف (٤/١٠)، وقد اتبعه على هذا أبو حيان في البحر المحيط، وقبلهما ذكر القرطبي هذا القول وعزاه لابن عباس، ومجاهد، ومقاتل. ينظر: الجامع لأحكام القرآن (٨/ ١٥/ ٢١)، والبحر المحيط (٧/ ٣١٤).

(٢) ينظر: نظم الدرر (٦/١١٠).

(٣) ينظر: الإيضاح (ص ٧٨).

ينكره المشركون - فيه مبالغة في التهديد والزجر[١]. وبلاغة الالتفات من التكلم عن نفسه، ثم استمالة قومه بالخطاب، فيه تلطف وترغيب في الإيمان، وهو الدعوة التي أراد في مضمونها إلزام نفسه وقومه بالإيمان بالله - تعالى -، وإشارة إلى أن الإيمان ليس مقصوراً عليه.

من اللطائف البلاغية في الآيتين:

الواو عاطفة في قوله - تعالى -: ﴿وَمَا لِيَ﴾ على محذوفٍ يهدي إليه مقام الآية، وموقف المؤمن الذي جاء من أقصى المدينة يعلن إيمانه ويشهره، وقد طوت الآيات الكريمة مضمون الحوار، ثم بينت الآية الكريمة إنكار ذلك المؤمن على قومه فعلهم[٢].

ولقد ورد في قراءة ﴿وَمَا لِيْ﴾ - بالإسكان -[٣]. **والبلاغة في هذه القراءة:** أن الكلام جاء في صورة النصيحة لنفسه، والإرشاد لقومه تلطفاً بهم[٤].

وصورة الاستفهام: مراد بها الإنكار[٥]، حيث أنكر المؤمن وجود أسباب صارفة عن عبادة الله ﷻ، بمعنى وجوب الإقرار بوحدانية الله ﷻ، وبعبادته، وهناك من يرى أن الاستفهام مراد به تقريعهم على ترك عبادة الخالق ﷻ[٦].

---

(١) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٢/ ٢٨٠)، وحاشية الكازروني (١٨٦/٣)، وإرشاد العقل السليم (٥/ ٢٩٥)، والفتوحات الإلهية (٦/ ٢٨٣).

(٢) ينظر: التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم (٣/ ٣٢٠).

(٣) وهي قراءة حمزة. ينظر: الكشف عن وجوه القراءات السبع (٢/ ٢٢٠).

(٤) ينظر: حاشية زاده (٤/ ١٢٦)، وتفسير روح البيان (٧/ ٤٥٢).

(٥) ينظر: نظم الدرر (١٦/ ١١١)، والتحرير والتنوير (١١/ ٢٢/ ٣٦٨).

(٦) ينظر حاشية الكازروني ٤/ ١٨٦، وإرشاد العقل السليم ٥/ ٢٩٤.

وأرجّح أن يكون الاستفهام للإنكار، لمناسبة مقام الاستفهام في هذه القصة التي تصور حرص المؤمن الذي جاء من أقصى المدينة يسعى، وهو مطمئن لما سيحل به من قومه؛ فناسب ذلك أن يكون إنكاره على قومه من باب الحرص عليهم؛ بدليل أسلوب الاستعطاف فيما قاله بعد ذلك: ﴿وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾.

ومجيء التعبير بالفعل: ﴿أَعۡبُدُ﴾ مضارعاً: ليدل على استمرار عبادته، وتلبسه بهذه الصفة، وتجددها كلما حانت لذلك مناسبة. وفيها دلالة على الإقرار بصيغة العبودية، وأن الله - تعالى - هو المعبود.

كما ناسب التعبير بلفظ: ﴿فَطَرَنِي﴾ **وفي حيز الصلة**: إشارة إلى خصوصية دقيقة، تناسب المقام، حيث إن هذا اللفظ: ﴿فَطَرَنِي﴾ فيه إلماح إلى ما فطر الناس عليه من إخلاص العبادة لله وحده، حيث يقول - تعالى -: ﴿فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۚ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَا..﴾ [الروم: ٣٠]، وكون هذا الفعل ماضياً إقرار بقدرة الله ﷻ، واعتراف مسبق ومؤكد بوحدانيته. ومجيئه في حيز الصلة: إيماء إلى سبب العبادة، والإقرار بالوحدانية.

وفي إضافة الفطرة إلى نفس المؤمن: لأنها تُظهر أثر النعمة، وإضافة الرجوع إليهم فيه معنى الزجر[1].

---

(١) ينظر: تفسير روح البيان (٧/٤٥٢).

ومسار هذه الصياغة الكريمة فيه توسط بين الكمالين، حيث عطف جملة ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ على جملة ﴿فَطَرَنِي﴾؛ لأنهما خبريتان لفظاً ومعنى. **وبلاغة الوصل** بيان لعلة إيمان ذلك المؤمن، وتعليل لموجبه، وهو أن الله - تعالى - هو الذي فطره، وابتدأ خلقه، وهو - سبحانه - الذي إليه المرجع والمصير.

ثم الاستفهام في قوله - تعالى -: ﴿ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً﴾ **قد خرج عن مقتضى الظاهر، وأراد به الإنكار**[1]، والمراد به أن المؤمن ينكر على نفسه اتخاذ آلهة يعبدها من دون الله ﷻ. وفي تنكير ﴿ءَالِهَةً﴾ تحقير لشأنها، ولشأن من يعبدها، وترفع بذاته المؤمنة أن تفعل ذلك. والمراد بالآلهة هنا الأصنام التي يعبدها قومه، وهو اسم قد اتخذه الوثنيون العابدون لها وصفاً.

ومن الشواهد على الالتفات ما جاء من التكلم إلى الغيبة في قوله - تعالى -: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: ٢٩-٣٠].

هاتان الآيتان تجسدان أعلى مراتب الإيمان، وتبينان كمال الأعمال التي أفضت بالمؤمنين إلى زيادة فضل الله ﷻ، فهم يتلون ﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ﴾، والمراد به القرآن الكريم، أو جنس كتب الله - تعالى -، فيكون المعنى بذلك: ثناء على مؤمني الأمم الأخرى، كما أثنى على أمة محمد ﷺ، ومن صفاتهم: أنهم يقيمون الصلاة، ويؤتون الزكاة، فهم في كل أحوالهم عبَّاد لله - تعالى - يرجون رحمته، ويخافون عقابه، ومن جهة أخرى فهناك رب أكرم من خلقه، وأوفى من عباده؛ لأن سيزيدهم من فضله، وسيحفظ لهم ثواب أعمالهم[2].

---

(١) ينظر: نظم الدرر (١٦/١١١)، وحاشية زاده (٤/١٢٦).

(٢) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٢/٢٧٢)، والبحر المحيط (٧/٢٩٨).

وترتبط الآيتان بسابقتيها قوله - تعالى -: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨]، إذ تبين في هذه الآية أن التعظيم والإجلال - لرب العالمين - سبب في الخشية، وأن الخشية كذلك لا تحصل إلا للعلماء أهل المعرفة بالله - تعالى -؛ لأنه لا يخشى أحدٌ أحداً إلا مع معرفته، لهذا فقد ثبت أن العلماء هم الذين يجلونه - سبحانه -، وهو يجلهم، ولما تقرر ذلك تطلع السامعون لمعرفة صفات هؤلاء العلماء، فقيل: هم: ﴿ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ..﴾ الآيتان، ولقد ثبت بهذا أن ﴿إِنَّمَا﴾ في هذهِ الآية هي لتخصيص العلماء، لا للحصر[1].

من أسرار بلاغة الالتفات **من التكلم** في قوله - تعالى -: ﴿مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ﴾ إلى الغيبة في قوله - سبحانه -: ﴿لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ﴾.

ضمير التكلم في قوله - تعالى -: ﴿مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ﴾ فيه مظهر العظمة لله ﷻ، وإشارة إلى أن الرزق منه وحده؛ فلا أحد يستطيع أن يحول بين الرزق وصاحبه، بل كل شيء بحول الله - تعالى - وبقوته.

ثم الالتفات إلى ضمير الغيبة في قوله - تعالى -: ﴿لِيُوَفِّيَهُمْ﴾ مناسب؛ لأن السياق للمؤمنين، ففيه إشارة إلى إيمانهم بالغيب، وامتداحهم به؛ فإن الله ﷻ بعد أن رغّب في الإنفاق، تكفل بحفظ ما ينفقون، وإبقائه إلى يوم لقائه.

وفي لفظ: ﴿لِيُوَفِّيَهُمْ﴾ علة لمدلول نفي الكساد[2]. وهذا اللفظ فيه دلالة على تمام العطاء والأجر والثواب؛ وهو لفظ ينفي الكساد عن أعمالهم، بل دليل

---

(١) ينظر: البحر المحيط (٧/٢٩٨)، ونظم الدرر (١٦/٤٨، ٤٩).

(٢) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٢/٢٧٢).

على قبول أعمالهم، وأنها موفاة بحسب أعمالهم، وخلوص نواياهم في جميع أعمالهم الصالحة، كالتلاوة، وإقامة الصلاة والإنفاق[١].

من اللطائف البلاغية:

١- استهلت الآية الكريمة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ﴾ بالتأكيد بـ﴿إِنَّ﴾ تكذيباً لمن يعتقد من الكفار والعصاة، أن العلماء العاملون بطاعة الله - تعالى - من الخاسرين بما أضاعوا من متع الدنيا[٢].

والتعبير بالمضارع في قوله - تعالى -: ﴿يَتۡلُونَ﴾ إشارة إلى محافظتهم على التلاوة، وتجدد فعلها منهم تعبداً ودراسةً يأخذون بما فيه، ويعملون به[٣].

والتعبير بلفظ: ﴿يَتۡلُونَ﴾ دون غيره: وهو من (تلا) التي تعني المتابعة، ليس بينه وبينها ما ليس منها، وهي أخص من القراءة، وإنما هي في القرآن إذا قرأت شيئاً وجب عليك اتباعه[٤]. وهذا يعني أنهم يتلون القرآن الكريم، ويعملون بمقتضى ما فيه[٥]. ولقد جاء التعبير بين المضارع والماضي في قوله ﷻ: (﴿يَتۡلُونَ﴾، ﴿وَأَقَامُواْ﴾) ليدل على مداومتهم إقامة الصلاة، وتحقق ذلك منهم.

ثم امتدحهم بما ينفقون لمداومتهم عليه بالسر والعلن، وقيل: السر الصدقة المسنونة، والعلن المفروضة[٦]. والتعبير بالمصدر: ﴿سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ﴾ فيه حث على فعلهما كيفما اتفق.

---

(١) ينظر: إرشاد العقل السليم (٥/٢٨٢).

(٢) ينظر: نظم الدرر (١٦/٤٩).

(٣) ينظر: الكشاف (٣/٥٩٣)، وإرشاد العقل السليم (٥/٢٨١).

(٤) ينظر: المفردات (ص ٧٥).

(٥) ينظر: تفسير روح البيان (٧/٤٠٥).

(٦) ينظر: إرشاد العقل السليم (٥/٢٨١، ٢٨٢).

والمصدران في محل حال على تقدير مسرّين ومعلنين، دليل على أنهم يقصدون بذلك التعامل مع خلق الله - تعالى - بالشفقة والإحسان[١]. ثم وصفهم بما يدل على خشيتهم وحسن تعبدهم؛ فقال: ﴿يَرْجُونَ﴾، إشارة إلى يقينه بأنه لا يجب على الله - تعالى - شيء؛ بل هم في حالة ترجي في الدنيا والآخرة[٢].

وفي التعبير بالتجارة استعارة للمعاملة مع الله ﷻ، وهي أعمالهم: من تلاوة، وصلاة، وإنفاق. ووجه الشبه منتزع من مشابهة ترتب الثواب على أعمالهم بترتب الربح على التجارة[٣] على سبيل الاستعارة التصريحية.

والتعبير بنفي البوار في قوله - تعالى -: ﴿لَّن تَبُورَ﴾ ترشيح للاستعارة بعدم البوار، لبعث السرور والرضا بقبولها.

[ب] التعبير بالماضي عن المضارع وبالمضارع عن الماضي:

الفعل يصور الحدث والزمن، وقد ارتبط أحدهما بالآخر؛ فكوّن هيئة معينة للفاعل والزمن، إما أن يكون حدثاً انتهى، ويسمى الفعل ماضياً، وإما أن يكون سيحصل في المستقبل أو الحال، وهو الفعل المضارع؛ فإذا جاءت الأفعال على هذه الصورة، فتسمى موافقة لما يقتضيه الظاهر، وأما إذا أخرجت عنه، فتكون على خلاف مقتضى الظاهر.

---

(١) ينظر: حاشية زاده (٤/ ١١١).

(٢) ينظر: نظم الدرر (١٦/ ٥٠).

(٣) ينظر: حاشية زاده (٤/ ١١١)، والتحرير والتنوير (١١/ ٢٢/ ٤٠٧).

ومن ذلك أن يعبر عما حدث من الأفعال التي في الحاضر والمستقبل بلفظ الماضي، وقد يحدث أن يعبر عما حدث من الأفعال وانتهى بالفعل المضارع؛ دلالة على الحال أو الاستقبال. وهذه الصياغة متعارف عليها في أقوال العرب وأشعارهم، وإيقاع أحد الزمنين موضع الآخر لا يخلو من نكتةٍ بلاغيةٍ.

وهذا الأسلوب يرد كذلك في كتاب الله العزيز كثيراً؛ لأغراضٍ ومقاصد تناسب السياق، ويُستدل عليها بالقرائن، ولهذا الأسلوب فائدة أوردها ابن الأثير حين قال: «وفائدته أن الفعل الماضي إذا أُخبر به عن الفعل المستقبل الذي لم يوجد بعدُ، كان ذلك أبلغَ وأوكدَ في تحقيق الفعل وإيجاده؛ لأن الفعل الماضي يُعطي من المعنى أنه قد كان ووُجِد، وإنما يُفعل ذلك إذا كان الفعل المستقبل من الأشياء العظيمة التي يُستعظم وجودها.

والفرق بينه وبين الإخبار بالفعل المستقبل عن الماضي أن الغَرَض بذاك تبيين هيئة الفعل: واستحضار صورته، ليكون السامع كأنه يشاهدها، والغرضُ بهذا هو الدلالة عن إيجاد الفعل الذي لم يُوجد بعدُ»[1].

ومن أمثلته في القرآن الكريم، والتي تظهر أسراره وإعجاز أقوال المولى تبارك - وتعالى - قوله: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا۟ نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأعراف: ٤٤].

بعد أن استقر أهل الجنة في دارهم خالدين منعمين، وأهل النار في النار يعذبون. حصل النداء ما بين الطرفين[2]، فعبَّر عن المستقبل بلفظ الماضي لتحقق

---

(١) المثل السائر (٢/ ١٤٩).

(٢) ينظر: تيسير الكريم الرحمن (١/ ٥٨٢).

وقوعه. والتعبير عن الفعل المستقبل الذي لم يحدث ولم يوجد بالفعل الماضي، أبلغ في تحقيق الفعل ووجوده، مما يجسد الأقوال صوراً ماثلة تُستحضر وتشاهد.

ومن شواهده في آيات صفات المؤمنين، قوله - تعالى -: ﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [العنكبوت: ٥٩].

المراد بهم الذين صبروا على مفارقة أوطانهم، والهجرة من ديارهم، وما يجمع ذلك من مشاق، كامتثال الأوامر، واجتناب النواهي، وتفويض أمورهم إلى الله - تعالى -، فهما مصدر الخير كله[1].

والآية الكريمة ترتبط بسابقتيها قوله - تعالى -: ﴿يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّـٰىَ فَٱعْبُدُونِ ۝٥٦ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ۝٥٧ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ﴾ [العنكبوت: ٥٦-٥٨].

نزلت هذه الآيات بمكة؛ لأمر من كان بها من المؤمنين بالهجرة عنها إلى المدينة؛ مجانبةً لأهل الشرك الذين ظلموا أنفسهم، وطلباً لمجالسة أهل الإيمان[2]. لأن الإيمان إذا قوي يخرج بالاهتمام من التفكير في الأوطان والأموال والأرزاق، فتصير الغربة وطناً، وثواب الله ﷻ بدلاً من كل ذلك[3].

---

(١) ينظر: البحر المحيط (٧/١٥٣).

(٢) ينظر: جامع البيان (٦/٨٤، ٨٥)، وزاد المسير (٦/٢٨١)، وتفسير القرآن العظيم (٣/٤٥٩)، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل (٢/٢١٣).

(٣) ينظر: تفسير روح البيان (٦/٦١٩).

من بلاغة التعبير بالماضي عن المستقبل في قوله - تعالى -: ﴿صَبَرُوا﴾، ﴿يَتَوَكَّلُونَ﴾.

التعبير بالماضي في قوله - تعالى -: ﴿صَبَرُوا﴾ يدل على استقرار هذه الحقيقة عندهم، حتى أصبحت سجيةً لهم[1]. وفيه تنبيه على أن الصبر من المشقة بمكان أن تتقبله كل النفوس، وهو مطلوب حصوله، وكأنه حصل[2]. وهذا كمال المدح والرضا عنهم. وأرى – كذلك - أن في التعبير بالماضي تذكيراً للمؤمنين بصبر من سبقهم من الأمم الأخرى على الأذى في سبيل الله - تعالى -، واستنهاض هممهم للسير في طريقه، وحثاً لهم على مجاراتهم، لعظم أمر الهجرة عند الله - تعالى -.

ولما كان فعل الصبر ماضياً؛ فكان من المتوقع أن يكون التوكل كذلك، ولكن مجيئه على صورة المضارع ليدل على المستقبل في قوله - تعالى -: ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ فيه دلالة على إيجاد التوكل بصفةٍ مستمرة، تتجدد كل حينٍ عند كل ما يعرض لهم، كما في قوله - تعالى -: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وفي ذلك إشارة إلى ما يجدونه بعد الهجرة من مشاق العيش وضنكه، فيكون التعبير بالمضارع يؤازر الصبر من حينٍ لآخر، فهو لذلك يضيء لهم الطريق المظلم الذي يكتنف غموض مآلهم، كما أن المستقبل يشحذ عزيمتهم نحو الإيمان بالله - تعالى -.

---

(١) ينظر: نظم الدرر (١٤/٤٦٨).

(٢) ينظر: حاشية القونوي (١٥/٨٣).

والتعبير بالاسم الموصول: ﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ﴾، ذلك أنه لما كان العمل يحتاج إلى دأبٍ حتى يأتي ثماره المرجوة؛ عُبر بالموصول تخصيصاً لهم بالمدح، ومبيناً طرفاً من أوصافهم: فهم الذين صبروا.

وتقديم لفظ الجلالة: ﴿عَلَىٰ رَبِّهِمۡ﴾ يفيد حصر صفة التوكل على الله - تعالى - وحده مع رعاية الفاصلة. **والتعبير بلفظ الجلالة: (رب)** دلالة على الربوبية، فأصبح مناسباً لحال المتوكل؛ الذي تجمل بحلية الصبر لأن الذي اكتنفهم ورعاهم في أوطانهم لن يضيعهم في أرض الهجرة، وفي إسناده إلى ضمير الغيبة (هم) دليل على اختصاصهم بتلك الربوبية وتشريف لهم.

هذا مع ما في صفة التوكل من تناسب مع حال الخائف، الذي قلّت حيلته، وكُفت يداه عن العمل، وعقله عن التفكير فيما يؤول إليه.

والقرآن الكريم يبين صورةً مشرقةً أخرى للمؤمنين إن تمكنوا في الأرض في مستقبلهم، وأصبح لهم شأن فيها، فجاء التعبير عن صفاتهم بالماضي إشارة إلى تمكن تلك الأوصاف منهم في المستقبل، حيث قال - تعالى -: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ﴾ [الحج: ٤١].

الآية الكريمة وصْفٌ لأمة محمد ﷺ، وقيل: هم المهاجرون خاصة؛ لأن قوله - تعالى -: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ﴾ الآية، وصف لمن تقدم ذكرهم في قوله - تعالى -: ﴿ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم﴾ [الآية: ٤٠]، وهم المهاجرون[1].

---

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن (٦/١٢/٧٨)، ولباب التأويل في معاني التنزيل (٤/٣٥٦).

وترتبط الآية بقوله - تعالى -: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ۝ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج ٣٩-٤٠].

ذلك أنه بيَّن في هاتين الآيتين أوضاع المؤمنين في مبدأ الدعوة، وما لا قوه من الإيذاء بالإخراج من ديارهم، وهذا يعادل القتل، ثم وصف نفسه ﷻ بقدرته على نصر هؤلاء المؤمنين ترغيباً في الجهاد، وهو مما لا بد منه لإقامة العدل في الأرض بتمكين دين الإسلام.

فناسب ذلك أن يبين صفات هؤلاء المؤمنين الذين وُعدوا بالنصر، فقال ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ﴾ الآية[1].

ومن بلاغة التعبير بالماضي عن المستقبل في قوله - تعالى -: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ...﴾ الآية:

وصف المولى - تبارك وتعالى - الذين أُخرجوا من ديارهم بتلك الأوصاف، ورضوا بذلك حباً في الله - تعالى - بعدة أوصافٍ كلها بالماضي، وذلك قبل أن تتحقق منهم، وقبل أن يُحْدثوها، وقبل أن يُمكّنوا في الأرض. ولقد استُدِل بهذه الآية الكريمة على إمامة الأئمة الأربعة ﷺ بأنهم إنْ مكنهم ربهم في الأرض، وأعطاهم من السلطة والحُكم، ومضاء القول في أقطار المعمورة؛ فإنه سيكون منهم كل الخير بإيتائهم تلك الصفات، ولقد تحقق هذا القول وهذا

---

(١) ينظر: نظم الدرر (٥٩/١٣).

الوصف عن الأئمة الأربعة على وجهه الأكمل، ومن هذا يُستدل على حسن إمامتهم في الأرض.

والآية من باب الإخبار عما سيقع في المستقبل، لما ورد عن عثمان بن عفان ﷺ قوله: (هذا والله ثناء قبل بلاء)[١]، فقد أثنى - سبحانه - عليهم بتلك الصفات قبل وقوعها.

ولمجيء الأفعال بصيغة الماضي بلاغة؛ لأنها إخبار عما سيحدث في المستقبل، ذلك أن التعبير بالماضي: «تشبيهاً له في التحقيق، والعرب تفعل ذلك لفائدة، وهو أن الفعل الماضي إذا أخبر به عن المضارع الذي لم يوجد بعد كان أبلغَ وآكد، وأعظم موقعاً، وأفخم بياناً؛ لأن الفعل الماضي يعطي من المعنى أنه قد كان ووجد، وصار من الأمور المقطوعة بكونها وحدوثها»[٢].

ومن هذا التعبير الكريم تُستنبط العديد من الفوائد:

١- فيه إخبار بالغيب عما تكون عليه سيرة هؤلاء المؤمنين إن هم مكنوا في الأرض.

٢- فيه دليل على صحة أمر الخلفاء الراشدين، لأن الله - تعالى - لم يجعل التمكن ونفاذ الأمر مع السيرة العادلة لغيرهم من المهاجرين.

---

(١) ينظر: الكشاف (١٥٧/٣)، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل (٩١/٢)، وحاشية ابن التمجيد (٧٦/١٣)، وإرشاد العقل السليم (٣٨٥/٤) وحاشية زاده (٣٨٧/٣).

(٢) مقدمة تفسير ابن النقيب (ص ٦٩). وينظر: الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز (ص ٢٦) للإمام الحافظ عز الدين بن عبد السلام السلمي، تقديم: رمزي دمشقية، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.

٣- فيه أخذ العهد على من مكّنه الله - تعالى - في الأرض أن يقوم بكل ما يترتب عليه التمكين[١].

٤- كما يتضح أن فيه تسلية للرسول ﷺ بشأن أصحابه الكرام، وما سيكونون عليه من الخير والصلاح.

٥- فيه دعوة إلى التمسك بتلك العبادات؛ فهي أساس الدين على الوجه الذي يرضي الله ﷻ.

ومن بلاغة التعبير في هذه الآية الكريمة:

* التعبير بأداة الشك ﴿إن مّكّنّٰهُمۡ﴾؛ لأن فيها تمحيصاً لإيمان وإخلاص المؤمنين المجاهدين لبيان صبرهم[٢].

والتمكين: عنِ المكان عند أهل اللغة، يقال للموضع الحاوي للشيء[٣]، وأمكنه من الشيء: جعل له عليه سلطاناً وقدره، ومنه تسهيل الأمر وتيسيره له[٤].

فكل هذه المعاني تجعل اللفظة استعملت في مكانها المناسب المعبر عن منزلة الخلفاء الراشدين - ومن تبعهم من المؤمنين - في موطنهم، وفي بلاد العرب، والأرض قاطبة، ويسهل لهم بذلك الفتوح الإسلامية، واستقرار الدين فيها، وإقامة شرائعه.

---

(١) ينظر: البحر المحيط (٦/ ٣٤٨).

(٢) ينظر: نظم الدرر (١٣/ ٥٩).

(٣) ينظر: المفردات (ص ٤٧١).

(٤) ينظر: المعجم الوسيط (٨٨١/٢).

وإسناد التمكين إلى الضمير (نا) للعظمة المناسب للوعد بالنصر، ولذلك التمكين في الأرض المنوه بذكره[١].

و﴿ٱلۡأَرۡضِ﴾ للجنس، والمراد بها هنا تسليطهم على جزء منها، يبسطون فيها أيديهم[٢].

ومن الشواهد القرآنية التي فيها يتبين إعجاز القرآن الكريم ما جاء إخباراً عن رضا الله ﷻ عن المؤمنين، وهو ما سيتم حدوثه في المستقبل عند بيعته ﷺ تحت الشجرة، حيث يقول - تعالى -: ﴿لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيۡهِمۡ وَأَثَٰبَهُمۡ فَتۡحٗا قَرِيبٗا ۝١٨ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةٗ يَأۡخُذُونَهَاۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا﴾ [الفتح: ١٨-١٩].

الآيتان المباركتان تتممان قصة حصلت في لحظات، شهد نتائجها الباهرة الوجود كله، ذلك أنه عندما تعاقد المؤمنون تحت الشجرة على الإخلاص والوفاء لله - تعالى - ولرسوله ﷺ، كان الله ﷻ أكرم منهم، فبادلهم وفاءً بوفاء، وصدقاً بصدقٍ في نصرتهم وتثبيتهم، وتعويضهم مغانم كثيرةً تبتهج بها نفوسهم، وتقرّ عيونهم، كما أنزل عليهم سكينته.

وإن الأقلام لتعجز عن وصف تلك اللحظات المباركة، والعقول تُحار في تخيل صفات أولئك الرجال الذين أخلصوا النية في إيمانهم، ونبيهم ﷺ يشهد لهم، ويشهد معهم[٣].

---

(١) ينظر: نظم الدرر (١٣/ ٥٩)..

(٢) ينظر: التحرير والتنوير (٨/ ١٧/ ٢٨٠)

(٣) ينظر: في ظلال القرآن (٦/ ٣٣٢٦).

ونزول الآيتين الكريمتين كان بسبب بيعة الرضوان[1] ؛ إذ بايع الصحابة رضوان الله عليهم بالحديبية[2] على مناجزة قريش ، وتمت البيعة تحت الشجرة[3] .

وترتبط بما قبلها قوله – تعالى -: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الفتح : ١٧].

ذلك أنه في هذه الآية الكريمة وعد المطيع لأوامر الله - تعالى – ورسوله الكريم ، وتوعّد العاصي ، وكانت النفوس متشوفة إلى ذلك الوعد ، ناسبه أن يبين في آية الشاهد ما يدل على ثبوت عظم الجزاء ؛ فجاء بـ(قد) في مفتتح الآية

---

(١) وقصتها : أن الرسول ﷺ أرسل عثمان بن عفان ﷺ برسالته إلى ملأ من قريش ، بأنه لم يأت مكة بحربٍ ، وإنما جاء زائراً معظماً لحرمة البيت ، فلما أبطأ العودة ، وشاع أنه قتل ، دعا رسول الله ﷺ أصحابه إلى تجديد البيعة على حرمهم ؛ فبايعوه على ذلك. فسميت بذلك بيعة الرضوان. ينظر: جامع البيان (٦٣/٧)، والكشاف (٣٣٠/٤). والقصة وردت مطولة في السيرة النبوية لابن هشام (٢/ ٢٠١)، ومختصرة في صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عثمان بن عفان ﷺ (ص ٧٠٦)، رقم (٣٦٩٩).

(٢) الحديبية - بضم الحاء، وفتح الدال، وياء ساكنة، وباء موحدة مكسورة، وياء مشددة أو مخففة -: هي قرية متوسطة، ليس بالكبيرة، سميت ببئرٍ هناك عند مسجد الشجرة التي بايع رسول الله ﷺ تحتها، بينها وبين المسجد أكثر من يوم.ينظر: معجم البلدان (٢٢٩/٢ ، ٢٣٠)، لشهاب الدين أبي عبد الله ياقوت الحموي الرومي البغدادي، المكتبة الفيصلية، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ طبعة.

(٣) والشجرة سَمُرة. ينظر: معاني القرآن للفراء (٦٧/٣)، والسَمُرَة - بضم الميم -: من شجر الطلح، جمعها سَمُر، وهو ضرب من العضاه، وقيل من شجر يعظم، وله شوك، وورقُهُ قصير الشوك، له ثمر أصفر يأكله الناس. ينظر: لسان العرب (٣٧٩/٤)، (باب الراء، فصل السين).

الكريمة مؤكداً بأنه رضا الله - تعالى - الذي نتج عنه طاعتهم لرسولهم، ومبايعته تحت الشجرة[1]؛ لأن النفوس متشوفة لما يقرب الغائب.

من البلاغة التعبير بالمضارع عن الماضي في قوله - تعالى -: ﴿يُبَايِعُونَكَ﴾ وهو فعل مضارع مستعمل في التعبير عن الزمن الماضي؛ لاستحضار حالة المبايعة الجليلة، وكون الرضا حصل عند تجدد المبايعة، ولم ينتظر به تمامها، فهو يدل على أن السورة نزلت بمكة بعد الحديبية[2].

ولقد صوّر القرآن الكريم حال هؤلاء المبايعين بذكر وقت المبايعة؛ للدلالة على سبب الرضا عنهم في قوله - تعالى -: ﴿إِذْ يُبَايِعُونَكَ﴾، فدل بذلك على سرورهم لسرور أحوالهم[3].

والمبايعة: مفاعلة من البيع؛ لأن الله - تعالى - اشترى منهم أنفسهم وأموالهم بأنَّ لهم الجنة[4]. **والتعبير بهذا اللفظ من البلاغة** حيث شبه المعاهدة على التضحية بالأنفس في سبيل الله - تعالى - طلباً لمرضاته بدفع السلع في نظير الأموال، واستعير اسم المشبه به للمشبه، واشتق من البيع يبايعون بمعنى يعاهدون على دفع أنفسهم في سبيل الله - تعالى — لما في المعاهدة والمبايعة من معاني سامية تجمع بين الطرفين على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية.

---

(١) ينظر: مفاتيح الغيب (١٤/٢٨/ ٨٢).

(٢) ينظر: نظم الدرر (١٨/٣١٥)، وإرشاد العقل السليم (٦/١٠٣)، والفتوحات الإلهية (٧/٢١٩)، وحاشية القونوي (١٨/٧٧)، والتحرير والتنوير (١٢/٢٦/١٧٣، ١٧٤).

(٣) ينظر: نظم الدرر (١٨/٣١٥)، والتحرير والتنوير (١٢/٢٦/١٧٣، ١٧٤).

(٤) ينظر: الجواهر الحسان (٣/١٩٩).

وأرى لطف الاستعارة في هذا المقام مستنبط من وحي البيئة والأرض التي عليها تمت المبايعة، حيث قريش وموقعها التجاري، وأسواقها المشهورة، والبيع والشراء، يشهد بها القاصي والداني؛ فهذه الصورة لا تخفى على أحدٍ من العرب؛ لذلك كان قوام تشبيه المعاهدة على تلك المشاهد المألوفة والتجارة أسمى فخر للعرب آنذاك. لهذا كان موضوع الاستعارة مستوحى من البيئة نفسها.

من لطائف البلاغة في الآيتين الكريمتين:

١- الخطاب: خاص بالرسول ﷺ، لبعث نور الطمأنينة في نفسه المباركة، وأراد به عموم المؤمنين من أهل البيعة[١]، ليستأصل من نفوسهم شأفة الخوف أو الاضطراب.

٢- ثم القسم في قوله - تعالى -: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ..﴾ حيث اللام موطئة لقسم محذوف، أي: والله لقد رضي الله عن المؤمنين حيث يبايعونك[٢]، ثم مفتتح السِّياق بـ(قد) لتقرب الماضي من الحال[٣]؛ لأن النفس إذا تشوفت إلى شيء احتاجت إلى ما يقرب الغائب الموعود به[٤]، وإسناد الرضا إلى الله ﷻ دلالة على أنه قد أسبله عليهم، وظهرت آثاره واضحةً بما حصل لهم من الفتح، وما قدره من الثواب، والتعبير بظرف المكان في قوله - تعالى -: ﴿تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ هو أحد الأركان المثيرة في قصة البيعة، حيث يستحضر السامع

---

(١) ينظر: البحر المحيط (٨/٩٦).

(٢) ينظر: صفوة التفاسير (٣/٢٢٣)، وإعراب القرآن وبيانه (٧/٢٣٠) لمحيي الدين درويش.

(٣) ينظر: بصائر ذوي التمييز (٤/٢٤٢).

(٤) ينظر: نظم الدرر (١٨/٣١٥).

تصوراته، ويستجمع لبه لتوضيح معاني الأحداث، مما يزيد تأثيرها في النفس[(١)] أن أعظم معاهدات الدنيا حصلت تحت شجرة.

٣- والتعريف في ﴿ٱلشَّجَرَةِ﴾ للعهد الذهني، وهي الشجرة التي عهدها أهل البيعة حين كان النبي ﷺ جالساً في ظلها يوم البيعة[(٢)]، مما يدل على تواضعه وعظمته ﷺ.

٤- أما الفاء في قوله - تعالى -: ﴿فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾:

(أ) فإما أن تكون للتعقيب كما يقول الرازي: «وعِلْم الله مثل الرضا؛ لأنه علم ما في قلوبهم من الصدق، فرضي عنهم (...) كما يقول القائل: فرحت أمس إذ كلمت زيداً فقام إليَّ (...) فيكون الفرح بعد الإكرام ترتيباً، كذلك هنا»[(٣)]. أي أنه - سبحانه - علم صدق قلوبهم قبل الرضا فرضي عنهم، وذلك كما في معنى قول القائل: فرحت أمسٍ إذ كلمتُ زيداً فقام إليَّ، فترتب القيام على الكلام، وكذلك شأن العادة هنا.

(ب) أو أنها الفاء الفصيحة، تفصح عما بعدها من الكلام، أو أنها للتفريع[(٤)].

وأرجح رأي الرازي:

* الفاء في قوله - سبحانه -: ﴿فَعَلِمَ﴾ للتعقيب.

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير (١٢/٢٦/١٧٥).

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب (١٤/٢٨/٨٣)، ولباب التأويل في معاني التنزيل (٥/٤٩٠).

(٣) مفاتيح الغيب (١٤/٢٨/٨٣).

(٤) ينظر: التحرير والتنوير (١٢/٢٦/١٧٥).

* أن الفاء في قوله - سبحانه -: ﴿فَأَنزَلَ﴾ تفيد الترتيب، إذ ترتب نزول السكينة عليهم مباشرة بعد العلم بما في قلوبهم، وإن علم الله - تعالى - قبل كل شيء وبعده.

٥- وفي إضمار فاعل (أنزل) ذلك أنه لما كان الرضا من الله - تعالى - عظيماً، بل هو منتهى أمل كل مؤمن؛ فإنه أظهره في قوله - تعالى -: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ﴾ وأضمر في قوله ﷻ: ﴿أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ﴾، ليشعر بالترابط بين الصفتين، فالذي رضي هو الذي أنزل، وإشعار كذلك بأن السكينة هي إحدى مقدمات الرضا، فهي أشد ما يحتاجه المؤمنون.

٦- التنكير في قوله - تعالى -: ﴿فَتْحًا قَرِيبًا﴾ لتعظيم الموصوف، لأن المراد به فتح خيبر، فقد كان خاصاً بأهل الحديبية، ووصفه بـ﴿قَرِيبًا﴾؛ لأنه حصل بعد يوم البيعة بشهر ونصف[1].

٧- ووصف ذلك الفتح بصيغة منتهى الجموع في قوله - تعالى -: ﴿وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا﴾: دلالة على عدم القوة في أخذها، وكونه فعلاً مضارعاً ليستحضر السامع المشهد الجليل، وفي قوله - تعالى -: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾: إشارة إلى عزته في انتقامه من أعدائه، وله الحكمة في تدبير شؤون خلقه، وتصريف حياتهم[2]، وفي هذه الآية الكريمة بيان أنه كامل القدرة، غنيٌّ عن الإعانة، و﴿حَكِيمًا﴾ حيث جعل هلاك أعدائه على أيدي المؤمنين؛ ليثيبهم

---

(١) ينظر: الكشاف (٤/٣٣١)، ومفاتيح الغيب (١٤/٢٨/٨٣)، والبحر المحيط (٨/٩٦)، والتحرير والتنوير (١٢/٢٦/١٧٦).

(٢) ينظر: جامع البيان (٧/٦٣).

على ذلك، أو لأن في ذلك إعزاز قوم بحكمته، وإذلال آخرين بعزته[١]، ولقد تجلت حكمته وتدبيره في ذلك الوقت الذي حصلت فيه المبايعة، ثم الوعد بالمغانم الوفيرة[٢].

[جـ] التغليب:

هو: «إعطاء الشيء حكم غيره، وقيل: ترجيح أحد المغلوبين على الآخر، أو إطلاق لفظة عليهما، إجراءً للمختلفين مجرى المتفقين»[٣].

وهو أحد طرق خروج الكلام عن مقتضى الظاهر؛ لأنه إعطاء أحد الحكمين لفظ الآخر على سبيل الاشتراك في أمرٍ، ولم يكن ذلك حقيقة واقعة؛ بل من باب التغليب، لنكتة بلاغية.

وليتضح المراد بهذا المصطلح أقدم هذا الشاهد من سورة التحريم، قوله - تعالى -: ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ﴾ [الآية: ١٢].

ولم يقل: (من القانتات)، لكن عُدَّت الأنثى من الذكور بحكم التغليب، ولهذا سرٌّ **بلاغي** المراد منه: امتداحها بحسن العبادة في جدها واجتهادها وعلمها، لذلك استحقت الرفعة من الله ﷻ، لتكون في مصافِّ الرجال أهل العبادة[٤].

---

(١) ينظر: مفاتيح الغيب (١٣/٢٨/٨٣).

(٢) ينظر: في ظلال القرآن (٦/٣٣٢٦).

(٣) البرهان في علوم القرآن (٣/٣٠٢).

(٤) ينظر: المصدر والموضع نفسه.

وللتغليب أنواع منها:

١- تغليب المذكر على المؤنث.

٢- تغليب العاقل على غيره.

٣- تغليب الأكثر على الأقل.

٤- تغليب الموجود على ما لم يوجد.

٥- تغليب الأشهر من الأنواع.

وهناك أنواع أخرى للتغليب[1].

وهو باب واسع يجري في ألوان كثيرة من البلاغة، ومن شواهده في صفات المؤمنين. قوله - تعالى -: ﴿قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [الأعراف: ٨٩].

المراد من قوله - تعالى -: ﴿قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا...﴾، أي: قد اختلقنا كذباً وباطلاً من القول على الله - تعالى - إن نحن صرنا إلى ملتكم، وهو إخبار في معنى التعجب[2]، كما أن هذا القول هو إجابة شعيب عليه السلام على المشركين عندما دعوه إلى العودة إلى ملتهم والدخول فيها. ولقد أراد بذلك نفسه عليه السلام وقومه المؤمنين، وإن لم يكن هو داخلاً في الكفر، ولا يجوز ذلك على الأنبياء والرسل - عليهم السلام -، ولكنه نظم نفسه في جملة من آمن من قومه، **فأجرى الكلام بهذه الصياغة على التغليب،**

---

(١) ينظر: الإيضاح (ص ٩٨، ٩٩)، ولقد أوردت لبعضها شواهد في الفصل الأول.

(٢) ينظر: الكشاف (٢/١٢٦)، والفتوحات الإلهية (٣/٧٤).

وفي ذلك إجابة لمن تساءل كيف خاطب الكفارُ شعيباً بصورة الجمع عندما دعوه إلى العودة إلى الكفر في قولهم. قال - تعالى -: ﴿أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾، وكيف أجابهم بقوله - تعالى -: ﴿إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ﴾ ذلك: «أن الأنبياء - عليهم السلام - لا يجوز عليهم من الصغائر إلا ما ليس فيه تنفير، فضلاً عن الكبائر؟ فضلاً عن الكفر (...) لما قالوا لنخرجنَّك يا شعيب والذين آمنوا معك، فعطفوا على ضميره الذين دخلوا في الإيمان منهم بعد كفرهم، قالوا: ﴿لَتَعُودُنَّ﴾، فغلَّبوا على الواحد، فجعلوهم عائدين جميعاً، إجراءً للكلام على حكم التغليب. وعلى ذلك أجرى شعيب عليه السلام جوابه، فقال: ﴿إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا..﴾، وهو يريد عود قومه، إلاَّ أنه نظم نفسه في جملتهم، وإن كان بريئاً من ذلك، إجراءً لكلامه على حكم التغليب»[1].

ومن الشواهد التي جاء التعبير فيها بالتغليب قوله - تعالى -: ﴿يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ۚ قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ [غافر: ٢٩][2].

ولقد استُنبط التغليب في الآية الكريمة من قوله - تعالى -: ﴿فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا﴾ فكشف عن إخلاص المؤمن، ومجاهدته في إقناع قومه بالإيمان بالله - تعالى -، وكشف ذلك عن حرصه في مدافعة الإيذاء عن نبي

(١) الكشاف (٢/١٢٥). وينظر لباب التأويل في معاني التنزيل (٢/٥٤٩)
(٢) شرح الآية وبيان أسرارها البلاغية في موضوع الكناية.

الله موسى عليه السلام، ولقد تضافرت البلاغة التي في نظم الآية مع ما فيها من بديع التغليب على إظهار هذه الحقيقة بصورة كلامية مختلفة عن غيرها من صور الإقناع.

فالفاء في قوله: ﴿فَمَن﴾ هي الفاء الفصيحة التي أفصحت عن المعنى، و﴿يَنصُرُنَا﴾ مستعار ليمنعنا، لأن من منع عنك المكروه فقد نصرك، **والاستفهام إنكاري** أراد به النفي[1].

وإضافة البأس إلى اسم الجلالة في قوله - تعالى -: ﴿مِنۢ بَأْسِ﴾ للتهويل والتفظيع، والمبالغة في التخويف، ورغبة في هداية قومه إلى الحق والإيمان.

ولقد أفاد أسلوب هذه الجملة مع السابقة لها أنها تطييب لقلوب قومه، وإيذان بأنه مناصح لهم، وساعٍ في تحصيل ما ينفعهم، ودفع ما يشقيهم، حيث نسب لهم الملك والظهور في الجملة الأولى: ﴿لَكُمُ ٱلْمُلْكُ﴾، وانضم بنفسه في سلكهم فيما يسوؤهم من مجيء أمر الله - تعالى -، وذلك من باب التغليب[2]، والمراد به التأثير فيهم بصدق وإخلاص.

وفي قوله - تعالى -: ﴿ٱلْيَوْمَ﴾ تذكير بزوال الدنيا، وإشارة إلى ما يعقب نعيم الظالم من العقوبة[3].

---

(١) ينظر: حاشية الشهاب (٢٥٨/٨).

(٢) ينظر: البحر المحيط (٤٤٣/٧)، وروح المعاني (٣١٨/٢٤/١٢)، وحاشية القونوي (٥٢/١٧).

(٣) ينظر: حاشية القونوي (٥٢/١٧).

[د] الأسلوب الحكيم:

«هو تلقي المخاطب بغير ما يترقب، بحمل كلامه على خلاف مراده، تنبيهاً على أنه الأولى بالقصد، أو السائل بغير ما يتطلب؛ بتنزيل سؤاله منزلة غيره، تنبيهاً على أنه الأولى بحاله، أو المهم به»(١).

ومفهوم هذا التعريف يشير إلى أن الأسلوب الحكيم يقوم على ثلاثة دعائم:

«١- المحاورة بين اثنين: مخاطِب ومخَاطَب، أو سائل ومجيب.

٢- الإجابة بغير ما يترقب، أو العدول عن الجواب إلى غيره.

٣- مراعاة الأولى بحال المخاطب أو السائل»(٢).

وخصائصه الأسلوبية أجملها فيما يلي:

أنه يعتمد على الحكمة في الخطاب، وحسن التأني في الأمر، والتلطف للوصول إلى الغاية بأسلوبٍ غير مباشر للتنبيه على المقصود، ومن خصائصه أن يستعمل للاستظراف، ثم حسن التخلص مما قد يقع من إحراج سائلٍ(٣).

---

(١) الإيضاح (ص ٨٢).

(٢) الأسلوب الحكيم دراسة بلاغية تحليلية (ص ٣٣)، للدكتور محمد بن علي الصامل، بحث نشرته مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ومعه تحقيق رسالة عن الأسلوب الحكيم لابن كمال باشا. دراسة بلاغية تحليلية، العدد الخامس عشر- شعبان ١٤١٦هـ. وينظر: معجم البلاغة العربية (١/ ٣٤٢)، للدكتور أحمد بدوي. والمعجم المفصل في الأدب (١/ ٩٤)، إعداد محمد التونجي، دار الكتاب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

(٣) ينظر: المعجم المفصل في علوم البلاغة (ص ١٤٣)، د. إنعام نوال عكاوي، ولمعرفة المزيد من هذه الخصائص ينظر: الأسلوب الحكيم، دراسة بلاغية تحليلية (ص ٤٦، ٤٧) للدكتور محمد الصامل.

وللأسلوب الحكيم شواهد من القرآن الكريم، والحديث الشريف، وبعض كلام العرب. فمن شواهده في الحديث ما ورد عن أنس بن مالك[1] ﷺ أن رجلاً من أهل البادية أتى النبي ﷺ فقال: «يا رسول الله: متى الساعة قائمة؟ **(قال ويلك: وما أعددت لها؟)**، قال: ما أعددت لها إلاَّ أني أحب الله ورسوله، قال: **(إنك مع من أحببت...)**»[2]، فعندما سأل الرجل عن موعد قيام الساعة، أجابه ﷺ بسؤال مضمونه ماذا أعددت لذلك اليوم؟ فالسؤال تنبيه إلى ما فيه مصلحة السائل، وكذلك لفت النظر إلى ما ينبغي على المؤمن أن يُعدَّ به نفسه لليوم الآخر[3].

ومن شواهد الأسلوب الحكيم في آيات صفات المؤمنين قوله - تعالى -: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ٧٥].

في هذه الآية الكريمة تستبين حال كفار الأشراف المعظمين لأنفسهم، وهم يحاريون الأتباع الذين آمنوا بصالح عليه السلام، وهم من الضعفاء، فأجاب الضعفاء بما يجدون فيه فخرهم وعزهم، وهو الإيمان[4].

---

(١) أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم النجاري الأنصاري، أبو حمزة، خادم رسول الله ﷺ، صحابي جليل، نزيل البصرة، من المكثرين في رواية الحديث عن النبي ﷺ، وهو آخر من مات بالبصرة من أصحاب رسول الله ﷺ، وقيل: مات وهو ابن مائة وسبع سنين، سنة ٩٥ هـ، وقيل غير ذلك. ينظر: الاستيعاب (١/ ٧١)، والإصابة (١/ ٧١).

(٢) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب علامة الحب في الله ﷻ، (ص١١٨٩)، رقم (٦١٧١)، ورواه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب المرء مع من أحب، (ص ١٤١٨)، رقم (٢٦٣٩).

(٣) ينظر: الأسلوب الحكيم دراسة بلاغية تحليلية (ص ٥١).

(٤) ينظر: لباب التأويل في معاني التنزيل (٢/٥٣٧).

وترتبط الآية بما قبلها قوله - تعالى -: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: ٧٤].

تقص هذه الآية الكريمة ما وصل إليه قوم صالح ﷺ من العزِّ والرفاهية، وتذكرهم بما منَّ الله - تعالى - عليهم من خلافة الأرض بعد قوم عاد، وتمكينهم من بناء القصور ليسكنوها في الصيف، ومن نحت الجبال ليقطنوها في الشتاء، ومع هذا جحدوا فضل الله عليهم، وأخذوا في نشر الفساد، والكفر بدعوة صالح ﷺ، فناسب هذا أن يبين في الآية التي تليها ما حصل بعد الالتفات إلى جوابهم[1].

الأسلوب الحكيم وأسراره البلاغية في قوله - تعالى -: ﴿أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ﴾ [من الآية: ٧٥].

لقد توجه الملأ[2]، وهم علية القوم وقادة الرأي، بالخطاب إلى المستضعفين الذين آمنوا بصالح ﷺ بسؤال إنكاري أرادوا به السخرية، وإفساد دعوة صالح ﷺ، وصدِّ المؤمنين عن دينهم[3] قائلين لهم: ﴿أَتَعْلَمُونَ﴾، ولكن لما كان المؤمنون على درجة عاليةٍ من الإيمان واليقين بدعوة نبيهم ﷺ، بادروهم

---

(١) ينظر: نظم الدرر ٤٤٦/٧.

(٢) والملأ أيضاً: الخُلقُ، يقال: ما أحسن مَلأ بني فلان، أي عشرتهم وأخلاقهم، والجمع أملاء. ينظر: معجم مقاييس اللغة (٣٤٦/٥)، (باب الميم واللام، وما يثلثهما)، وبصائر ذوي التمييز (٥١٧/٤)، بصيرة في ملأ وملء.

(٣) ينظر: نظم الدرر (٤٤٦/٧).

بالإقرار والإذعان لهذا الدين، وإنما «عدلوا عن الجواب الموافق لسؤالهم بأن يقولوا: نعم، أو نعلم، أنه مرسل منه - تعالى - مسارعةً إلى تحقيق الحقّ، وإظهار ما لهم من الإيمان الثابت المستمر الذي تنبئ عنه الجملة الاسمية، وتنبيهاً على أن أمر إرساله من الظهور بحيث لا ينبغي أن يُسأل عنه، وإنما الحقيق بالسؤال عنه هو الإيمان به»[1] في قوله - تعالى -: ﴿إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ﴾.

وهذه الطريقة في الكلام تسمى **بالأسلوب الحكيم**، عُبر به في هذه الآية الكريمة تقريعاً للمستكبرين على سؤالهم، وبيان أن أمر إرساله حقيقة مسلم بها، والواجب اتباعه؛ لذلك كان جواب أهل الكفر بقوله - تعالى -: ﴿إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾[2]، فاتضح خطأ موقع سؤالهم، وأنه لم يصب مكانه؛ لأن الموقف لم يزدهم إلاّ إيماناً. كما أن هذا الأسلوب درس في الدعوة إلى الله - تعالى - يبين مسار التوجه الصحيح للدعاة، فلا يسترسلون في الجدال بما يوحي بالخصومة؛ بل عليهم الالتزام بالمبدأ الأساس الذي هم مقبلون عليه.

وفي قوله - تعالى -: ﴿أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا﴾ فلقد سموا نبيهم عليه السلام باسمه مجرداً ﴿صَٰلِحًا﴾ دلالة على جفاء طباعهم وغلظتهم وتكبرهم، ولإرهاب المسؤولين فيجيبوا بما يرضيهم، وهو الكفر بالله - تعالى -[3].

---

(١) إرشاد العقل السليم (٢/٥١١، ٥١٢)، وينظر: نظم الدرر (٧/٤٤٧)، وتفسير روح البيان (٣/٢٤٦).

(٢) ينظر: الكشاف (٢/١١٩)، وتفسير روح البيان (٣/٢٤٦).

(٣) ينظر: نظم الدرر (٧/٤٤٧).

والتعبير بصيغة **(مرسل)** دون رسولٍ أو نبي من قبل هؤلاء المستكبرين، دليل على رفض الدعوة من أصلها، ومحاولة يائسة لاقتلاع جذورها.

وقوله - تعالى -: ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ﴾ **جاء تأكيد الخبر بـ(إنَّ)**[1] لقطع رجاء ما توهمه المشركون من أن لهم القدرة على التأثير في إيمان هؤلاء المؤمنين، ثم **بناء الفعل (أُرْسِل) لمفعوله**: لتعميم الصدق، حتى أنه لا يحتاج إلى دليل وإظهار حجة؛ لأنه أصبح أمراً مقطوعاً بصدقه، لذلك وصفهم المولى ﷻ بقوله: ﴿مُؤْمِنُونَ﴾ إلحاقاً لهم بذوي الإيمان الكامل[2].

ومن اللطائف البلاغية في قوله - تعالى -: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ﴾.

هذه الجملة الكريمة جواب على سؤال نشأ عن المحاورة بين صالح عليه السلام وقومه، وتقديره: ما موقف قوم صالح من دعوته؟ فنزلت الآية الكريمة منزلة الجواب على هذا السؤال المقدر[3]، وهو ما يسمى بشبه كمال الاتصال. والغرض منه: بيان تورط هؤلاء المستكبرين لمخالفتهم دين الله - تعالى -.

ووصفهم بالملأ، إشارة إلى أن كل أمةٍ فيها قوم ذوو سطوة وجاه ومال ورياسة، ويكون منهم أعداء الرسل في عصرهم، ويكونون أعداءً لدعاة الإصلاح من بعدهم. وفي وصف هؤلاء الملأ بقوله - سبحانه -: ﴿ٱلَّذِينَ

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير (٥/٨/٢٢٣).

(٢) ينظر: نظم الدرر (٧/٤٤٧).

(٣) ينظر: إرشاد العقل السليم (٢/٥١١).

ﵟٱسۡتَكۡبَرُواْﵞ احتراس أراد به تخصيص الكفر بمجموعة منهم، وتخليص للمؤمنين منهم، ودلالة على وجود مؤمنين بينهم[١].

وفي قوله - تعالى -: ﵟلِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْﵞ اللام للتبليغ[٢]، والمراد بهم الذين استضعفوهم واستذلوهم[٣] بناء على ما أشار إليه بناء الفعل لما لم يسم فاعله، فدل على شدة ذلك.



(١) ينظر التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم (١/ ٣٨٧).

(٢) ينظر: روح المعاني (٤/ ٨/ ٤٠٢)، وتفسير روح البيان (٣/ ٢٤٦)،

(٣) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١/ ٣٤٦، ٣٤٧).

البلاغة القرآنية
في
آيات صفات المؤمنين

تأليف

الدكتورة هند بنت جميل بن صالح نايتة
عضو هيئة التدريس في جامعة البنات بالرياض

الجزء الثاني



الفصل الرابع

صور البيان

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: التشبيه.

المبحث الثاني: المجاز العقلي والمجاز المرسل.

المبحث الثالث: الاستعارة.

المبحث الرابع: الكناية والتعريض.



تحميل كتب و رسائل علمية
قناة عامة
معلومات
t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah
رابط الدعوة
الإشعارات
معطّلة

المبحث الأول

التشبيـــه

من (شَبَهَ): يُقال: شبَّهتُ هذا بهذا، وأشبه فلان فلاناً، رأيتك مثله في الشَّبهِ والشِّبهِ، وكل شيء يكون سواء فإنها أشباه، قال لبيد[1]:

كَعَقْـــر الهاجِـــرِيِّ إذا ابْتَـــنَاه بأشْـــباه حُـــذِيْن علـــى مِـــثالِ

حيث شبه قوائم الناقة بالسواري والأساطين[2].

وهـذا المعنـى اللغـوي للتشبيه يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالمعنى الذي اصطلح عليه البلاغيون مـن أنـه «العقـد علـى أن أحـد الشيئين يـسد مـسد الآخر في حسٍ أو عقلٍ»[3]، وما جاء في تعريفه كذلك أنه: «إلحاق أدنى الشيئين بأعلاهما في صفة اشتركا في أصلها، واختلفا في كيفيتها قوةً وضعفاً»[4].

---

(١) لبيد بـن ربيعة بن مالك العامري، كان من شعراء الجاهلية وفرسانهم، أدرك الإسلام، قدم علـى رسـول الله ﷺ وأسـلم، مـات بالكـوفة في أول خلافـة معاويـة وهـو ابـن مائـة وسـبع وخمـسين، ولم يقـل شـعراً في الإسـلام إلا بيتـاً واحـداً. انظـر: الـشعر الـشعراء (ص٥٠)، والمؤتلف والمختلف (٢٢٩).

(٢) ينظر: ديوان لبيد بن ربيعة (ص ١٥٤). البيت من الوافر. والعقر: القصر. هاجريّ: بنَّاء من هَجَر. أشباه: مراد به اللِّبن والآجر. مثال: قوالب اللبن. الديوان: بشرح الطوسي، قدم له ووضع هوامشه ونهايته الدكتور: حنا نصر الحِتّي، دار الكتاب العربي للنشر، ط٢ ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م. وينظـر: كـتاب العـين (٣/٤٠٤)، للخلـيل بـن أحمـد الفـراهيدي، طـبعة مؤسـسة الأعلمي، بيروت.

(٣) النكت في إعجاز القرآن للرماني (ص ٨٠).

(٤) الإكسير في علم التفسير (ص ١٣٢).

والمعنى الذي ارتضاه البلاغيون لمفهوم التشبيه أن يقال: هو عقد مماثلة بين اثنين في وجه شبه بينهما بالكاف ونحوها ملفوظة أو ملحوظة، لا على سبيل الاستعارة ولا الكناية، ولا التجريد[١].

ونجد كذلك أن **التمثيل** نوع من التشبيه، فقد جاء في مادة (مثل) أن: «المثل: الشيء يضرب للشيء فيجعل مثله (...) والمثل: شبه الشيء في المثال والقدر ونحوه حتى في المعنى، ويُقال: ما لهذا مثيل، والتمثيل: تصوير الشيء كأنك تنظر إليه»[٢].

وعلى وجه العموم، فقد شغف به الشعراء قديماً، واتخذوه وسيلة ارتيادٍ لآفاق مجهولةٍ، وأداة لكشف العلاقات المبهمة بين الأشياء، فيقرب المتباعد منها، وهو لون بلاغي بديع في نقل المشاعر إلى الآخرين بصورةٍ فريدةٍ؛ إذ إنه يتحسس المعاني التي تدق فيها المسالك، فيغوص وراءها، ويتألق في تصويرها، والغرض منه هو الوضوح والتأثير، ومما يستدل به على فضله وشرفه وأهمية موقعه من البلاغة، أن القرآن الكريم جاءت فيه تشبيهات كثيرة، وأمثال متعددة لبيان صور مختلفة تسهم في بناء المجتمع المسلم، لإظهار الدين الجديد ترغيباً في الحسنى، وإبعاداً عمّا يورد مهالك الجحيم.

---

(١) ينظر: هامش بغية الإيضاح (٣/٦، ٧).

(٢) كتاب العين (٨/٢٢٨). والجدير بالذكر أن الخليل يتحدث عن مدلول كلمة تشبيه وتمثيل: «على المستوى اللغوي العام، وهذا أمر منطقي؛ لأنه يضع أول معجم للغة العربية في تلك المرحلة المتقدمة من تاريخ العربية، حيث كانت العلوم في طور النشأة والتكوين». التشبيه، دراسة في تطور المصطلح (ص ٩)، بقلم الدكتور: إبراهيم عبد الحميد السيد التلب، دار الطباعة المحمدية، ط١، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

فمن صور التشويق التي أتت بها صفات المؤمنين عقد مشابهةً بين واقع العربي المؤمن وحياته الخاصة، وما فيها من اهتمام بالحبة والسنبلة، والعيش الرغيد، وحديثه عن مشاهد حية يعنى بها الإنسان، فارتبط التشبيه بالأرض ونباتها ومائها وأشجارها، مبيناً كيف يكون نماؤها، وكيف تكون ثمارها يانعة، وكيف تكون أداة خير، ومصدر رزق للغني والفقير. يقول تبارك وتعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦١].

المراد من التشبيه:

في الآية الكريمة حثٌّ عظيم من الله - تعالى - لعباده على النفقة في سبيله، وهو الطريق المؤدي إلى الجنة، واختلف في المراد بقوله - سبحانه -: ﴿سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، فمن قائل: إنه الجهاد في سبيل الله ﷻ[1]، ومن قائل: إنه جميع أنواع الخير التي منها الاستعداد للجهاد في سبيل الله - تعالى -، وتجهيز المجاهدين، وفي جميع المشاريع الخيرية النافعة للمسلمين، ويلي ذلك النفقة على المحتاجين والمساكين[2].

---

(١) ينظر: جامع البيان (٢/١٥١)، وتفسير سورتي الفاتحة والبقرة لأبي مظفر السمعاني (٢/٤٢٢)، ت/عبد القادر منصور منصور، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٩٩٥م/ ١٤١٦هـ، ومعالم التنزيل في التفسير والتأويل (١/ ٣٧٧)، وتفسير القرآن العظيم (١/٣٦١).

(٢) ينظر: زاد المسير (١/٣١٦)، وتيسير الكريم الرحمن (١/١٩٨). وينظر جميع المصادر السابقة، ما عدا جامع البيان.

ومن أسرار المناسبة: أن للآية الكريمة سياقاً قريباً ترتبط به، وسياقاً عاماً لا تنفك عنه، لذلك فارتباط هذه الآية متعدد الوجوه، متفرع الأغصان، فهو أشبه ما يكون بفروع دوحةٍ كلما عظمت وطالت دقَّت أسرار مناسبتها، وبعدت وامتدت، فإن أردنا الوقوف على بعض تلك الأسرار في السياق العام نجدها تمتد لتمسك بناصية السورة في قوله - تعالى -: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [البقرة: ٣]، إجمال لصفات المتقين، ثم يأتي التفصيل في شأن الإنفاق مفرقاً، وتتعدد صور الترغيب فيه، لما له من فضل مضاعفته، كما ضرب لذلك الأمثال، وقصَّ القصص، لمن بذلوا أموالهم وأرواحهم في سبيله، ثم يذكر البعث وإحياء الموتى، وانتهاءهم إلى الدار التي يوفون فيها أجورهم يوم لا تنفع خُلَّة ولا شفاعة، وإنما أعمالهم الصالحة، والتي من أهمها الإنفاق في سبيله، ولصعوبته على معظم النفوس؛ فقد بيَّن لهم كيفية مضاعفة الأجر، وذلك عليه هين، فهو الذي ضاعف بذرة القمح إلى سبعمائة ضعفٍ[1].

كما أن الآية الكريمة تشابكت فروعها في قوله - تعالى -: ﴿مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ [البقرة: ٢٤٥]؛ لأنها: «عِدة من الله - تعالى ذكره -، مُقْرِضه ومنفق ماله في سبيل الله من إضعاف الجزاء له على قرضه ونفقته ما لا حدَّ له ولا نهاية»[2].

---

(١) ينظر: تفسير المنار (٣/٥٩، ٦٠)، وأسرار التنوع في تشبيهات القرآن الكريم، تأليف: ملك حسن بخش (ص ٩٠)، دار المجتمع للنشر والتوزيع، ط١، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

(٢) جامع البيان (٢/١٠٤).

ومن أسرار المناسبة - كذلك - لهذه الآية الكريمة لما قبلها أنه لما ذكر قصة المار على القرية، وقصة إبراهيم عليه السلام، وكانت القصتان من أدل الدلائل على البعث؛ ناسب بعد ذلك ذكر ما ينتفع به يوم البعث، وما يجد جدواه هناك، وهو الإنفاق في سبيل الله - تعالى - بمختلف الطرق.

كما أننا نجد في «كل ذلك تحريضاً بالغاً على الإنفاق في سبيل الله - تعالى - يسلك سبيل الإقناع العقلي، والتأثير الوجداني، وهما سبيلان لا يتقاطعان، ذلك أن العلاقة بينهما علاقة جدلية تضافرية، تعمد إلى صلادة الحبك، ومتانة الحوك»[1].

وفي أعطاف هذه المعاني نجد أثر الاستئناف البياني المعبر عنه بقوله - تعالى - : ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ﴾ ففيه إشراقات وضَّحت وبيَّنت تلك المعاني، إذ إنه قائم على مثيرات الوجدان والفكر، مما يدفع إلى استشراف المطلوب؛ فجاء التمثيل آخذاً بالألباب أخذ هدايةٍ وترغيبٍ في النفقة.

والتشبيه في هذه الآية الكريمة : يجوز فيه أن يكون مفرقاً، وأن يكون مركباً.

فأما حال اعتباره مفرقاً : فيقتضي تقدير مضاف في أحد الطرفين، فمن قائل إنه: «مَثَّل نفقة الذين يُنفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبةٍ، وطريقٍ آخر: مثل الذين ينفقون أموالهم كمثل زارع زرع في الأرض حبة؛ فأنبتت الحبةُ سبع سنابل، يعني أخرجت سبع سنابل في كل سنبلةٍ مئة حبة، فشبه المتصدق بالزارع، وشبه الصدقة بالبذر»[2].

---

(١) خصائص التشبيه في سورة البقرة (ص ٤١٥).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٢/٣/٣٠٣)، وينظر: بدائع التفسير (١/٤١٧، ٤١٨)، والبحر المحيط (٢/٣١٥)، وخصائص التشبيه في سورة البقرة (ص ٤١١).

وقد عده البقاعي من **الاحتباك** حيث يقول: «فالآية من الاحتباك، وتقديرها: مثل الذين يُنفقون ونفقتهم كمثل حبة وزارعها، فَذِكْر المُنْفَق أولاً دليل على حذف الزارع ثانياً، وذِكر الجنة ثانياً دليل على حذف النفقة أولاً»[١]، فينتج عن ذلك معانٍ لا تحد؛ إذ يشمل النفقة بصورها المتعددة التي منها تجهيز جيوش المسلمين للجهاد، والتي منها الزكاة والصدقة وإعانة المسلمين بعضهم لبعض، وغيرها من وجوه البر.

وأما إذا اعتبر التشبيه من قبيل المركب: فإنه يُراعى فيه تشبيه صورة بصورة، وليس كما حدث في مقابلة الألفاظ المفردة في (التشبيه المفروق)؛ بل ينظر فيه إلى المعنى، حيث: «شبه الله - سبحانه - نفقة المنفق في سبيله، سواء كان المراد به الجهاد، أو جميع سُبُل الخير، من كل، بمن بذر بذراً، فأنبتت كل حبةٍ سبع سنابل، اشتملت كل سنبلةٍ على مائة حبةٍ منه والله يُضاعف لمن يشاء فوق ذلك، بحسب حال المنفق، وإيمانه وإخلاصه وإحسانه، ونفع نفقته وقدرها، ووقوعها موقعها»[٢].

---

(١) نظم الدرر (٤/٧٥).

(٢) التفسير القيم (ص ١٥٠) لابن قيم الجوزية، جمعه: محمد أويس النَّدوي، حققه: محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، بدون تاريخ طبعة: «وثواب الإنفاق يتفاوت بحسب ما يقوم بالقلب من الإيمان والإخلاص والتثبيت عند النفقة، وهو إخراج المال بقلبٍ ثابتٍ قد انشرح صدره بإخراجه، وسمحت به نفسه، وخرج من قلبه قبل خروجه من يده، فهو ثابت القلب عند إخراجه، غير جزعٍ ولا هلعٍ، ولا متبعه نفسه، ترجُف يده وفؤاده. ويتفاوت بحسب نفع الإنفاق بحسب مصادفته لموقعه، وبحسب طيب المنفق وذكائه». المصدر والموضع ذاته.

والتشبيه على هذا النحو صورة متكاملة بأخرى معروفة واضحة الخصائص، بيِّنة المعاني لدى عامة الناس؛ ليكتسب التشبيه التعميم أيضاً، ويصل إلى الغرض منه بدقةٍ موفقةٍ.

من أسرار بلاغته: أنه شبه صورة المنفق يقدم الصدقة في سبيل الله - تعالى - بصورة الحبة التي بُذرت في أرض خصبةٍ؛ فآتت ثمرها يانعاً، كل حبةٍ منه عليها سبع سنابل، وكل سنبلة منه تحمل مائة حبةً من القمح. مما يصور نماء النفقة بين أفراد المجتمع وبين جماعاتهم المقتدرة على العطاء، كما بيَّن صفةً من صفات المؤمنين التي تأصلت في نفوسهم تأصل النبتة في الأرض، ترتوي بالإيمان الغامر بحب الله ﷻ.

وأما التشبيه هنا فنوعان:

حقيقي: وهو ما كان من قبيل تشبيه المعقول بالمحسوس، وفيه احتمالان:

الاحتمال الأول: ما كان الممثل به موجوداً في الحقيقة والواقع، كما في الدخن والذرة وغيرهما، يقول الزمخشري: «وربما فرخت ساق البُرة في الأراضي القوية المُقِلَّة فيبلغ حبها هذا المبلغ»[1]، ويُروى أنه شوهد حبٌّ مثل حبٌّ الذرة والدخن، وهو حبُّ الجَاوَرْس[2] - بفتح الجيم والواو، وسكون الراء -، وهو يشبه الذرة؛ بل هو أصغر منها، وقيل نوع من الدخن، وهو حب صغير أملس[3].

---

(١) الكشاف (١/٣٠٦).

(٢) ينظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٢/٥٨٧)، والبحر المحيط (٢/٣٠٥).

(٣) ينظر: لسان العرب (١٣/١٤٩)، (باب النون، فصل الدال).

الاحتمال الثاني: إذا لم يكن الممثل به موجوداً، فإنه يكون على سبيل الفرض والتقدير، وعلى هذا الاعتبار فإن هذا التشبيه يكون أحد أمرين:

الأمر الأول: إما من باب التشبيه الخيالي، وهو المعدوم الذي فرض مجتمعاً من أمورٍ، كل واحدٍ منها مما يدرك بالحس، وهذه الصورة المجتمعة غير موجودة في الواقع، ومثلوا له بقول الصنوبري[1]:

وكأن محمر الشقيـ ـق إذا تصوب أو تصعد

أعلام ياقوتٍ نشر ن على رماحٍ من زبرجدٍ[2]

فالشاعر شبه هذا الزهر الأحمر حال تصوبه وتصعده بهيئة أعلام من ياقوت منشورة على رماح زبرجدية، فهذه الصورة من الأشياء التي لا تدرك بالحس الظاهر؛ لعدم وجودها في واقِعنا، وإنما المدركة مادته، وهي: الأعلام، والياقوت، والزبرجد، والرماح، فكلها صور موجودة بشكل منفرد[3].

---

(١) الصنوبري: أحمد بن محمد بن الحسن بن مراد، كنيته: أبو بكر، ينسب إلى قبيلة ضبة، فهو ضبيّ، من حلب، والنسبة التي غلبت عليه الصنوبري نسبة إلى الصنوبر الشجر المعروف، وهو شاعر مجيد، برع في وصف الرياحين والطبيعة، والمدح، والهجاء، والرثاء، اتصل بسيف الدولة، مما أسهم في اتصاله بمن كان حوله من علماء وشعراء، ومنهم كشاجم، والسري الرفاء، والأخفش الأصغر سعيد بن مسعدة، توفي الصنوبري سنة (٣٣٤هـ). الوافي بالوفيات (٧/ ٣٧٩- ٣٨٣) لصلاح الصفدي، تحقيق: إحسان عباس، طبعة دار صادر، بيروت، ١٩٧٣م، وينظر: شذرات الذهب (١/ ٣٣٥).

(٢) البيتان من مجزوء الكامل، وينظر في ديوان الصنوبري (ص ٤١٦)، قافية الدال، لأحمد بن محمد بن الحسن الضبي، تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر / بيروت، ط١، ١٩٩٨م.

(٣) ينظر: المطول (ص ٥١٩).

الأمر الثاني: أنه من باب التشبيه الوهمي، وهو داخل في العقلي: أي ما هو غير مدركٍ بإحدى الحواس، ولو وجد على الحقيقة لأدرك بإحداها. ومن ذلك ما هو معروف في شعر العرب، كقول امرئ القيس[1]:

أيقتلني والمشرفي مضاجعي ومسنونةٌ زرق كأنياب أغوال[2]

فالشاعر يقول: أيقتلني ذلك الرجل الذي يتهدد في حب سلمى مع أني ملازم ومضاجع لسيف منسوب إلى مشارف اليمن، وسهام محددة النصال. ووصفها بالزرقة للدلالة على صفائها، الشاهد: أن أنياب الأغوال مما لا يدركه الحس لعدم تحققه، ولو أدركها أحد لأدركت بحس البصر[3]. ولقد أضاف أبو حيان

---

(١) هو: حندج بن حجر بن الحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار... بن قحطان. لقّب بامرئ القيس لما أصابه من فاقة وشدة، ومعناه: (رجل الشدة). وهو من نجد، من الطبقة الأولى من شعراء الجاهلية، والديار التي يصفها في شعره لبني أسد، وسُمّي بذي القروح عندما لبس حلّةً مسمومة تفطر منها جسده، وتساقط جلده ومات. ولقد طرده أبوه لكثرة شعره الفاضح، وخاصة ما جاء فيه عن فاطمة، وكان وسيماً، ولكن تكرهه النساء لرائحته الكريهة وسوء مسلكه. ينظر: طبقات الشعراء (ص ٣٥)، لمحمد بن سلام الجمحي، تحقيق وشرح الشيخ: محمد سويد، دار إحياء العلوم، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م، والشعر والشعراء (ص ١٦).

(٢) ينظر: المطول (ص ٥٢٠).

والبيت من البحر الطويل، وهو في ديوان امرئ القيس (ص ٨٨)، تقديم وشرح د.محمد محمود، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط١، ١٩٩٥م، ودلائل الإعجاز (ص ١١٧، ١١٩)، والبحر المحيط (٢/٣١٦).

(٣) ومما هو جدير بالذكر في هذا المقام هو أن الوهمي: «ما اخترعته المتخيلة من عند نفسها، كما إذا سمع أن الغول شيء يهلك الناس كالسبع، فأخذت المتخيلة في تصويرها بصورة السبع». المطول (ص ٥٢٠).

الاستشهاد بقول كعب بن زهير[١] في بردته[٢]:

فما تَدُومُ على عَهْدٍ تكونُ به كما تَلَوَّنُ في أثوابِهَا الغُولُ

فالتشبيه بأنياب الأغوال تشنيع لها، ومبالغة في وصفها.

وبمثل هذا النوع جاء في القرآن الكريم تشبيه طعام المجرمين في نار جهنم برؤوس الشياطين، قال - تعالى -: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ۝ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ [الصافات ٦٤-٦٥].

وأرجح أن هذا الرأي (الوهمي) هو الأدق لما سبق بيانه، ويؤيده قول السمعاني[٣]: «فإن قال قائل: كيف ضرب المثل به، وهو يتصور في كل سنبلة مائة حبةٍ؟.

---

(١) كعب بن زهير بن أبي سلمى المزني، أبوه شاعر من أصحاب المعلقات، وابنه أيضاً، شاعر فحل مجيد، أسلم بعد أخيه بجير، وشهد فتح مكة، وله قصيدته المشهورة في مدح النبي ﷺ التي كساه على عقبها بردته، فلقبت بالبردة. ينظر: الشعر والشعراء (ص ٣٣)، والاستيعاب بهامش الإصابة (٣/٢٩٧).

(٢) من قصيدته (بانت سعاد)، البيت من البسيط، وهو في ديوان كعب بن زهير (ص ٨٥)، قرأه وقدم له الدكتور محمد يوسف نجم، دار صادر، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

(٣) أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد المروزي، الفقيه الحنفي ثم الشافعي، الشهير المعروف كأسلافه بالسمعاني، دار البلاد ورجع إلى وطنه ولد سنة ٤٢٦هـ، تفقه على والده، له من الكتب: ألف حديث عن ألف شيخ، وتفسير القرآن، وغيرها، مات سنة ٤٨٩ هـ. ينظر: طبقات المفسرين (ص ٥٢٦) للداودي، وهدية العارفين (٢/٣٦٧).

قيل: لما كان ذلك متصوراً في الجملة، صحَّ ضرب المثل به، وإن لم يعرف، ومثله ما قاله امرؤ القيس: ومسنونة زرق كأنياب أغوال، وناب الغول لا يعرف، ولكن لما تصور وجوده بالجملة، مثل به»[١].

وسواء اعتبر التمثيل من الخيالي أو الوهمي، فإن بعضهم يرى أنه: «لا يتناسب مع جلال القائل أولاً، ولا مع الواقع ثانياً، أليس خروج سبع سنابل من حبةٍ واحدةٍ مثل خروج سبعة أجنةٍ في رحم واحدٍ من حيوان منوي واحد، وبويضة واحدة، وقد كان ذلك، ولا سيما في أيامنا هذه التي أضحى فيها ذلك في منزلة التواتر الذي لا يتطرق إليه شك، وعلى ذلك فالقول بأن الممثل به هنا من باب الفرض غير سديد»[٢].

وفي إسناد الإنبات إلى الحبة من قوله - تعالى -: ﴿أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ...﴾ **مجاز عقلي، علاقته السببية**، وذلك كإسناده إلى الأرض والربيع.

وإن التعبير بالعدد ﴿سَبۡعَ﴾: وهي العقد التام[٣] كالعشرة، وتخصيص السبع ليس مراداً في ذاته، فالعدد ﴿سَبۡعَ﴾ لا مفهوم له؛ لأنه كناية عن الكثرة، كما في قوله - تعالى -: ﴿إِن تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ سَبۡعِينَ مَرَّةٗ فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡ﴾ [التوبة: ٨٠].

---

(١) تفسير سورتي الفاتحة والبقرة (٢/٤٢٢، ٤٢٣)، لأبي المظفر السمعاني، دراسة وتحقيق: عبد القادر منصور منصور، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط١، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

(٢) خصائص التشبيه في سورة البقرة (ص ٤١٨).

(٣) لذلك فالعرب تُدخِلُ (الواو) بعد السبعة إيذاناً بتمام العدد، فيأتون بحرف العطف الدال على المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه فتقول: خمسة، سبعة وثمانية. ينظر البرهان في علوم القرآن (٤/١٢٠)، و(٤/ ٤٣٨).

بل إنَّ هذا التعبير **كناية** أراد بها الكثرة في مضاعفة الأجر والثواب؛ ترغيباً في عمل النفقة، وإن قلّت، فالله - تعالى - يضاعفها كما يشاء.

وأما الغرض من التمثيل: فهو لبيان مقدار الأضعاف التي يضاعفها للمقرض[1]، «ومثله سبحانه بهذا المثل إحضاراً لصورة التضعيف في الأذهان بهذه الحبة التي غُيِّبتْ في الأرض؛ فأنبتت سبع سنابل، في كل سنبلة مائة حبة؛ حتى كأن القلب ينظر إلى هذا التضعيف ببصيرته، كما تنظر العين إلى هذه السنابل التي من الحبة الواحدة؛ فينضاف الشاهد العياني إلى الشاهد الإيماني، فيقوى إيمان المنفق، وتسخو نفسه بالإنفاق»[2].

ويمكن استخلاص عدد من الألوان البلاغية، والأسرار الجمالية التي تفيض بها هذه الآيات بحسب الآتي:

١- في قوله — تعالى -: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ﴾ إيجاز بالحذف، حيث حذف المضاف إليه، وتقديره: مثل نفقتهم كمثل باذر حبة.

٢- فيه تعريف المسند وتقديمه من قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ وذلك للتوكيد وتربية المهابة.

٣- التعبير بصيغة فعيل من قوله - تعالى -: ﴿وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ للمبالغة[3].

---

(١) ينظر: الكشاف (١/ ٣٠٦).

(٢) بدائع التفسير (١/ ٤١٧).

(٣) القول إنها صيغة مبالغة: فهذه دلالتها اللغوية الوضعية، وتعني المبالغة في الصفة، لكنَّ كثيراً من العلماء يتحرون حسن الأدب مع الله — تعالى — ويقولون: الصيغة تدل على كمال اتصاف الله — عز وجل — بالصفة التي جاءت عليها هذه الصفة.

٤- تنوع الفاصلة مع ما قبلها.

ولا يعذب التكرار في كلام كتكرار الشواهد القرآنية من كتاب الله، يقول - تبارك وتعالى -: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٦٥].

ضرب الله ﷻ مثلاً للمؤمن المنفق في سبيله، وهو ثابت على يقينٍ بأن الله - تعالى - يخلفه ما وعده مما أنفق في الدنيا وفي الآخرة بالأجر الكريم، فَمَثَلُ تنامي هذا العمل ومثل تنامي مردوده ﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ﴾، وهي المكان المرتفع؛ لأن ما ارتفع عن المسايل والأودية؛ فإنه يكون أغلظ، ولثمارها أزكى وأطيب لتعرضها للرياح والشمس، والماء فيها غزير لإصابتها من الوابل والطل، مما تسبب عنه حسن أرضها، وطيب منبتها، لذلك كانت ثمارها يانعةً مضاعفةً، وهو غاية ما يطلبه الناس[1]، ولقد تألق الرازي على من سبقه، فذكر لطيفةً في معنى الربوة حيث قال: «ليس المراد من هذه الربوة ما ذكروه، بل المراد منه كون الأرض طيناً حراً، بحيث إذا نزل المطر عليه انتفخ وربا ونما؛ فإن الأرض متى كانت على هذه الصفة يكثر ريعها، وتكمل الأشجار فيها. وهذا التأويل الذي ذكرته متأكد (...) بقوله - تعالى -: ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾ [الحج: ٥]، والمراد من ربوها ما ذكرنا فهكذا ههنا»[2].

---

(١) ينظر: جامع البيان (٢/١٥٥-١٥٦)، وتيسير الكريم الرحمن (١/٢٠٠).

(٢) مفاتيح الغيب (٤/٧/٥٠).

موقع الآية بين شقائقها:

أنها مرتبطة بقوله - تعالى -: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَـٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٦٤].

أنه شبه المنان المؤذي بالمرائي، وهو أقل الناس وأدناهم همةً، وأعماهم قلباً، ولقبح الرياء؛ فإنه لا يصدر إلاَّ عن نفسٍ لا تؤمن بالله - تعالى -: فصورة هذا المرائي التي تفسد عملها بالرياء مثل صورة ﴿صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ﴾، فشبهه بصورة الصخر الذي عليه تراب فأصابه وابل فأذهب فائدته، كما يذهب المن أجر المنفق، وفي هذا المثل والنداء المستهل به أول الآية الكريمة ترغيب في النفقة الخالية من المن، حيث قال - تعالى -: ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ...﴾ [الآية: ٢٦٥].

ومن بديع أساليب فصاحة القرآن الكريم: أن اتخذ من المقابلة بين الضدين أسلوباً في تصوير المعاني، حتى يتصور السامع تفاوت ما بين الضدين، وذلك أنه لما ضرب مثل من أنفق ماله رئاء الناس وهو غير مؤمن، وذكر ضده بتمثيل محسوس للذهن، فلما وصف صاحب النفقة المردودة بوصفين؛ قابل ذلك بوصفين: بين من ينفق ﴿ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ...﴾ وبين من ينفق ﴿رِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾، كما قابل بين الذي صدق في عمله ﴿تَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾، وبين الذي لم يحسب للآخرة حساباً؛ لأنه لا يؤمن بالله واليوم الآخر.

ولقد وصلت آية الشاهد : ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ...﴾ [الآية : ٢٦٥].

بالعطف بالواو ، «قال الحرالي : عطفاً على : ﴿كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ عطف مقابلة ، وعلى قوله - تعالى - : ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[1] عطف مناسبة»[2].

فهذا قول فيه شيء من التضارب ؛ لأن قوله : إنه عطف على قوله : ﴿كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ غير صحيح ؛ فهذا جزء من الآية ، وهي تبدأ بقوله - تعالى - : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ...﴾ [الآية : ٢٦٤]، وهي إنشائية لفظاً ومعنى ، أما جملة : ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ...﴾ [الآية ٢٦٥]، فخبرية لفظاً ومعنىً ، فبين الجملتين كمال الانقطاع ، ومن ثم لا يصح عطف الثانية على الأولى.

أما الجزء الثاني من كلامه ، وهو أن قوله - تعالى - : ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ...﴾ [الآية : ٢٦١]، عطف مناسبة ؛ فهذا صحيح ؛ لأن هذه الجملة الكريمة خبرية لفظاً ومعنى ؛ فيصح وصل الثانية بها ، وهي قوله : ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ...﴾ [الآية : ٢٦٥].

والعجيب أن ابن عاشور[3] جرى على الرأي الأول للحرالي ، ولعل ذلك

---

(١) ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [الآية : ٢٦١].

(٢) نظم الدرر (٤/ ٨٢).

(٣) ينظر : التحرير والتنوير (٣/٣/ ٥٠).

راجع إلى مذهبه من صحة عطف الخبر على الإنشاء[١].

والتمثيل إما أن يكون مركباً: بمعنى أنه مثل نفقة هؤلاء المنفقين في طيبها وزكائها ونمائها بجنة وارفة بمكانٍ مرتفع، هواؤها طيب، وثمرها حسن، بل ثمارها مضاعفة[٢].

وهو من قبيل المركب العقلي؛ لأن النمو والزكاء مما لا يدركان بالحواس؛ بل هما أمر عقلي.

وإما أن يعتبر من المفرق؛ حيث شبه: «مثل حالهم عند الله بالجنة على الربوة، ونفقتهم الكثيرة والقليلة بالوابل والطل، وكما أن كل واحدٍ من المطرين يُضعِّف أُكل الجنة، فكذلك نفقتهم كثيرة أو قليلة، بعد أن يطلب بها وجه الله»[٣].

---

(١) حيث يقول: «والذي استقر عليه الرأي الآن أن الاختلاف بين الجملتين بالخبرية والإنشائية اختلاف لفظي، لا يؤثر بين الجملتين اتصالاً ولا انقطاعاً؛ لأن الاتصال والانقطاع أمران معنويان، وتابعان للأغراض؛ فالعبرة بالمناسبة المعنوية دون الصيغة اللفظية، وفي هذا مقنع؛ حيث فاتني التعرض لهذا الوجه عند تفسير آية سورة البقرة». التحرير والتنوير (١٣/٢٨/١٩٧).
والآية المقصودة قوله تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا...... وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ ويبدو أنه سار في ذلك على منهج أبي حيان في جواز عطف الخبر على الإنشاء، وقد اعتمد في ذلك على ما نقله من كلام سيبويه، وقد غلط في فهم مراده.
ولقد جُمعت من هذه الآيات الكريمة شواهد على رأي أبي حيان والطاهر بن عاشور في مؤلف: (إخراج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر في كمال الانقطاع والاتصال)، للدكتور إبراهيم داود. ط١ ١٤١٧هـ ينظر الصفحات (٩٧-١١٣).

(٢) ينظر: الكشاف (١/٣٠٨).

(٣) الكشاف (١/٣٠٨، ٣٠٩).

ولقد جرى كثيراً على نهج الزمخشري الأوائل والمحدثون في تناولهم لهذا التشبيه من حيث صحة تفريقه وتركيبه[١].

وحاصل المراد من التشبيه في الصورتين أن نفقات المنفقين عند الله - تعالى - لا تضيع بحال ؛ لأنه لا ينظر إلى قلتها ولا إلى كثرتها، وإنما تفاوت الأجر بحسب ما يقترن بها من الإخلاص والرغبة في الثبات على الإيمان[٢].

وأجد في التشبيه المركب[٣] تكاملاً في الصورة ؛ لأنه يقصد فيه إلى امتزاج الأمرين، أو الأمور في المشبه والمشبه به[٤]، ثم بناء بعضها على بعض حتى تصير شيئاً واحداً، وصورةً خاصةً هي المقصودة ؛ فهو تشبيه واحد وإن تعددت أجزاؤه. كما أن للتشبيه المركب غرضاً معيناً لا يحصل إلا بتركيب عناصر المشبه والمشبه به.

ولما كان المال شقيق الروح وتوأمها ؛ فإنه يصعب على فئة من الناس أداؤه، لذلك كانت النفقة صفةً اختصت بالمدح والثناء، قال - تعالى -: ﴿وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾، ولقد كان في التعبير بحرف الجر (مِنْ) دون غيره بلاغة، فقد جاء فيها أنها (تبعيضية): كما في قولهم: هزَّ من عطفه، وحرَّك من نشاطه ؛ فإن المال

---

(١) ينظر: حاشية الشهاب (٢/٥٩٦)، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٢/٥٨٧)، ونظم الدرر (٤/٨٢)، وإرشاد العقل السليم (١/٣٠٩)، وخصائص التشبيه في سورة البقرة (ص ٤٣٣، ٤٣٤).

(٢) ينظر: تفسير التحرير والتنوير (٣/٣/٥٢).

(٣) هو ما كان وجه الشبه فيه منتزعاً من أمرين أو أكثر.

(٤) المشبه هو قوله - تعالى -: (مثل الأولى)، والمشبه به (مثل الثانية) قد وليته الكاف، وهو خلاف لما ذكر في الكشاف والإيضاح فيما لا يلي المشبه به الكاف. ينظر: المطول (ص ٥٣٩).

شقيق الروح ؛ فمن بذل ماله لوجه الله - تعالى - فقد ثبت بعض نفسه، ومن بذل ماله وروحه فقد ثبَّتها كلها. ويجوز فيها أن تكون **ابتدائية** تصديقاً للإسلام، لقوله - تعالى -: ﴿ حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم ﴾ [البقرة: ١٠٩]، بمعنى أنها صادقة الإيمان، مخلصة فيه، ويعضده قراءة مجاهد: (**وتبييناً من أنفسهم**)، وفيه تنبيه على أن حكمة الإنفاق للمنفق تزكية النفس عن البخل وحب المال الذي هو رأس كل خطيئة[١].

وأرى أن اعتبار (مِنْ) ابتدائية أقوى وأجدر ؛ لوصف المؤمنين بالنفقة في سبيل الله ﷻ ؛ ويقوي هذا الرأي قول أبي حيان: «والظاهر أن نفسه هي التي تثبته وتحمله على الإنفاق في سبيل الله، ليس له محرك إلاّ هي، لما اعتقدته من الإيمان، وجزيل الثواب، فهي الباعثة له على ذلك، والمثبتة له بحسن إيمانها وجليل اعتقادها»[٢]، فالنفقة عندما تكون بمحض إرادة المؤمن المنفق، يكون أثرها في نفسه أقوى ؛ لأنها تدل على سلامة نفسه من نقيصة الحرص، وبراءتها من البخل، فتلك النفس أجدر بتعلقها بما عند الله - تعالى -. ولذلك جاء وصف المؤمنين بقوله - تعالى -: ﴿ تَثْبِيتًا ﴾ متناسباً متوائماً مع معنى (مِنْ)، وأنها ابتدائية ؛ لأنه يقال: رجل ثَبْتٌ، وثبيتٌ في الحرب، إذا لم يزل، ولم يصرع[٣]. كما أنه وصف للثابت بالبصر والبصيرة، فيقال: فلان ثابت عندي[٤].

---

(١) ينظر: الكشاف (١/٣٠٨)، والبحر المحيط (٢/٣٢٣، ٣٢٤)، وإرشاد العقل السليم (١/٣٠٨).

(٢) البحر المحيط (٢/٣٢٤).

(٣) ينظر: مجمل اللغة (١/١٦٦).

(٤) ينظر: المفردات (ص ٧٨).

وهذا المعنى يشير إلى أن نفوسهم استقرت على الإيمان، واطمأنت به، وهي مرتبة إيمانية عالية راقية.

ومن ناحيةٍ أخرى، فلقد ناسب هذا الوصف ﴿تَثْبِيتًا﴾ موضوع المثل في الآية الكريمة من حيث إنه يدل على القوة النفسية والبدنية، والزرع كذلك لا ينمو ولا تستطيل أشجاره إلاّ إن ثبتت جذوره ورسخت.

وخصائص التركيب المبارك في قوله - تعالى -: ﴿وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ إشارة إلى حسن تدبرهم في عواقب الأمور؛ لذلك فهم يصلحون ويخلصون أعمالهم، ويروضون أنفسهم على ذلك، ويصبرون على مشاق التكاليف؛ فلا شك أن نفوسهم قادرة على بذل المال خاضعة راضية[1]، فقد منعوها من التردد في الإنفاق في وجوه البر، وهذا من قولهم: ثبت قدمه، أي لم يتردد ولم ينكص[2].

وفي الآية **الالتفات إلى الخطاب** في قوله ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ للتنبيه على مراقبة الله - تعالى - والعمل لوجهه.

ومن شواهد التشبيه الذي يتضمن بعضاً من صفات المؤمنين المعنوية كوصفهم بقول الكلمة الطيبة، وبعدهم عن رديء الكلام وبذيئه، فهم دائماً يلهجون بلا إله إلا الله، ودائماً على صلة بالغة في كل ما يتفوهون به.

ومن شواهد ذلك قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ۝ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [إبراهيم: ٢٤، ٢٥].

---

(١) ينظر: البحر المحيط (٣٢٣/٢)، ونظم الدرر (٨٢/٤، ٨٣).

(٢) ينظر التحرير والتنوير (٥١/٣/٣).

من أسرار مناسبة المثل لما قبله قوله - تعالى -: ﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [إبراهيم: ٢٢].

أنه تقرر في هذه الآية الكريمة أن الباطل ما كان على غير أمره - سبحانه - وهو ما ينسب إلى الشيطان، وهو وعوده لخاصته من أهل النار، بأنه لا بعث ولا جزاء، وإن لحقهم شيء من ذلك، فالأصنام شفيعة لهم؛ فأخلفهم وعده، وتبين في هذه الآية أن كلام أولياء الله - تعالى - هو من كلامه؛ لذلك فهو أثبت الأشياء وأطيبها، وأعظمها ثمرةً، فقرب ذلك بمثل ضربه في آية الشاهد المباركة[1].

كما تعلَّق آية الشاهد بالسورة الكريمة: من جهة أن الكلمة الطيبة هي (لا إله إلا الله)، وهي الكلمة التي توحدت عليها رسالة الرسل، وهي الحقيقة التي تدور حولها سورة (إبراهيم) عليه السلام، بل هي كلمة التوحيد التي يقوم عليها الدين كله[2].

والاستفهام في قوله - تعالى -: ﴿أَلَمْ﴾: تعجبي، والغرض منه التعجب من المثل الذي يذكره الله - تعالى -.

ولقد استهلت الآية الكريمة بخطابٍ موجه إلى الرسول ﷺ، ويصح أنه لكل من يرى رؤية فعلية؛ لأنه مثل تناهت عظمته، وعلا قدره، وفي المثل إيحاء وإشعار بتعميق صورة هذا المثل في المشاعر والوجدان، مما يبعث في النفوس حمية العمل للوصول إلى تحقيقه والفوز به.

---

(١) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١/٥١٧)، ونظم الدرر (١٠/٤١٠).

(٢) ينظر: نظم الدرر (١٠/٣٦٩)، والتحرير والتنوير (٧/١٣/١٧٨).

ولقد تضافرت الألفاظ الكريمة مع صيغ التراكيب في نسج ماهية المثل، إذ أن إيثار لفظ ﴿كَيْفَ﴾ فيه دلالة على أنه كيفية متميزة في بلاغته، وفي مطابقة الممثل به[1].

وبتأمل ما يثيره معنى لفظ ﴿ضَرَبَ﴾ هنا: من أنه الصيغة، يقال: هذا من ضَرْب فلانٍ، أي: صيغته؛ لأنه إذا صاغ شيئاً فقد ضربه[2]، فالمعنى اللغوي للفظ يدل على أنه مثل صيغ لبيان أهمية المؤمن المتلبس بصفة (لا إله إلا الله)، والملتزم بما يترتب عليها.

فلقد ورد أن صيغة هذا المثل تفردت وبهذه الكيفية؛ فلم ترد في القرآن الكريم كذلك إلا مع هذا المثل، وذلك حفاوة بالمعنى[3]، وصيغة الماضي دليل على تحقق وتأكيد أهميته.

ثم ما يضيفه تنكير كلمة ﴿شَجَرَةٍ﴾ بأنها شجرة عظيمة لها من الصفات ما لها؛ فلا تضاهيها أشجار الدنيا، لما حوته من صفات الكمال؛ فمنظرها طيب، ورائحتها عبقة، مما يعظم الانتفاع بثمرها[4].

وفي ذكر أداة التشبيه (الكاف) في قوله - جل وعلا -: ﴿كَشَجَرَةٍ﴾: «ما يشير إلى أن هذه الشجرة الطيبة الموصوفة بها الكلمة الطيبة ليست هي عينها، بل

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير (٧/ ١٣/ ٢٢٣).

(٢) ينظر: معجم مقاييس اللغة (٣/ ٣٩٨)، (باب الضاد والراء، وما يثلثهما)، والبحر المحيط (١/ ٢٦٢).

(٣) ينظر: التحرير والتنوير (٧/ ١٣/ ٢٢٣).

(٤) ينظر: المحرر الوجيز (١٠/ ٨١)، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل (١/ ٥١٨)، ونظم الدرر (١٠/ ٤١١)، وإرشاد العقل السليم (٣٠/ ٤٨٣).

دونها منزلةً ورتبةً ؛ فالأمثال التي يضربها الحق - جل جلاله - لتقريب هذه المعاني، مستقاة من أنفسنا، ومن هذا الكون المحيط بنا، فالكلمة كلمته، والشجرة مخلوقته، فلا عجب أن يضرب بها مثلاً لكلمة تناهى قدرها وفضلها ؛ ليكون في ذلك من العظة والعبرة ما فيه»[١]. ثم في تكوين صورة المثل من تلك المفردات يُنشئ صرح البلاغة في قوله - تعالى -: ﴿كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾، فقد ورد فيها:

أنها كلمة (لا إله إلا الله)، وما تربيه في المؤمن من حسن الأقوال وطيب الأفعال[٢]، ولقد جاء التعبير عن (لا إله إلا الله) بكلمة طيبة ؛ فلأن الكلمة ذات أثر سرعان ما تلامس القلوب[٣]، وتأخذ بمجامعها إذا كانت طيبة. وقيل: هو مثل المؤمن نفسه ؛ لأن الكلمة الطيبة لا تقع إلا منه، وتقدير الكلام: كلمة طيبة، وقائلها ثابت في الأرض، وأفعاله وأقواله صاعدة في السماء، مثل شجرةٍ ثبتت في الأرض ورسخت[٤].

وأرجح الرأي الأول ؛ لأن المعنى تمثيل أو تشبيه كلمة التوحيد بالشجرة الباسقة، فيه ترغيب في الإيمان ؛ لأنه الأساس الذي تُبنى عليه جميع الأعمال الصالحة، وهي التي تكوِّن شخصية المؤمن، وهي أساس ما ينبثق عنه من صفات، مما يدعوه لأن يتمسك للوصول إليها، وإن هذه المعاني الجليلة هي ما

---

(١) أسرار التنوع في تشبهات القرآن، (ص ١٥٥).

(٢) ينظر المحرر الوجيز (١٠/٨١)، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل (١/٥١٨)، ونظم الدرر (١٠/٤١١)، وإرشاد العقل السليم (٣/٤٨٣).

(٣) ينظر: الجمان في تشبيهات القرآن (ص ١٣١).

(٤) ينظر: المحرر الوجيز (١٠/٨١)، وروح المعاني (٧/١٣/٢٠٢).

أوحى به قوله - تعالى -: ﴿وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾[1]؛ إذ المراد به في الهواء نحو السماء، والعرب تقوله عن المستطيل نحو الهواء، فقد جاء في الحديث: **(خلق الله آدم طوله في السماء ستون ذراعاً)**[2]. أي في الهواء[3]، ثم إنَّ وصفها بارتفاع الأغصان وتنامي الفروع في السماء يدل على ثبات الأصل، ورسوخ العروق[4].

ولقد وصف أصل الشجرة بالثبات؛ لأنه: «لو وصفت بالثبات دون أصلها لفاتت لطيفة رائعة، لم يلتفت إليها أحد من المفسرين؛ لأن كل شيء فيه ثقل إذا طرح على الأرض كان ثابتاً قاراً عليها (...)، لذلك - والله أعلم - أوثر وصف أصل الشجرة بالثبات دون الشجرة، للإعلام بدوام حياتها وإثمارها؛ لبقاء جذورها ضاربة في الأرض متمكنة من أسباب الحياة والبقاء»[5].

أما نوع التشبيه: فهو من التشبيه المقيد.

ولقد ورد عن الرازي: «وأقول: هؤلاء وإن أصابوا في البحث عن مفردات ألفاظ الآية، إلا أنهم بعدوا عن إدراك المقصود؛ لأنه تعالى وصف هذه الشجرة

---

(١) الفرع: يجوز فيه أعلى الشجرة، أو أعلى أغصانها؛ بأن يكتفي باسم الجنس عن الجمع. فقد ذكر الجوهري: أن فرع كل شيء أعلاه، يقال: هو فرع قومه للشريف منهم. ينظر: الصحاح (١٢٥٦/٣)، (فصل الفاء، باب العين)، وحاشية زاده (١٣٤/٣).

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب خلْق آدم وذريته، (ص ٦٣٤)، رقم (٣٣٢٦)، ومسلم في الصحيح، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير، (ص ١٥٢٢)، رقم (٢٨٤١).

(٣) ينظر: المحرر الوجيز (٨١/١٠).

(٤) ينظر: مفاتيح الغيب (٩٢/١٩/١٠).

(٥) التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم (١٧٨/٢).

بالصفات المذكورة، ولا حاجة بنا إلى أن تلك الشجرة هي النخلة أم غيرها، فإنا نعلم بالضرورة أن الشجرة الموصوفة بالصفات الأربع المذكورة شجرة شريفة، ينبغي لكل عاقل أن يسعى في تحصيلها وتملكها لنفسه، سواء كان لها وجود في الدنيا أو لم يكن»[1]. والذي ينظر في كلام الرازي قد يظن أن هذا التشبيه طرفاه مركبان، ولكن الواقع أنه تشبيه طرفاه مقيدان[2]؛ فلفظ ﴿طَيِّبَةً﴾ قيْد لـ﴿كَلِمَةً﴾، ولا يمكن أن يكون جزءاً مناظراً لها هذا في المشبه.

أما المشبه به؛ فهو قوله: ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾ تابع لشجرة، أو هو قيد تابع لشجرة، ولا يمكن أن ينظر إليه على أنه جزء مناظر لها، وكذلك ﴿وَفَرْعُهَا فِي السَّمَآءِ﴾.

فالتعبير بالتشبيه المقيد هنا جعل المشبه به (الشجرة) شجرة تخرج عما تعاهد عليه البشر من الشجر، فطيبها يدل على طيب المشبه، وهو قائلها المؤمن.

وثبات أصلها دليل على قوتها، مما يشير معه على ما يتمتع به المؤمن من قوة في نفسه وإرادته، يستمدها من إيمانه بالحق الذي هو عليه، وأما امتداد ﴿فَرْعُهَا فِي السَّمَآءِ﴾ فدلالة على شرف الأصل.

---

(١) مفاتيح الغيب (١٠/١٩/٩٥).

(٢) ومعنى تقييد الطرف: أن يرتبط الطرف ويقيد بوصف أو بإضافة أو بحال أو جار ومجرور تقييداً لا يبلغ حد التركيب، شريطة أن يكون لهذا القيد أثر في تحقيق وجه الشبه، مثاله: الراقم على الماء والمرآة في كف الأشل. فقد قيد المشبه به بالجار والمجرور (على الماء)، وهذا القيد له علاقة وأثر في تحقيق وجه الشبه؛ إذ هو التسوية بين الفعل وعدمه في عدم الفائدة. ينظر: المطول (ص ٥٥١) لمعرفة الفرق بين المركب والمفرد.

ثم تقييد وصفها وامتداحها بأنها ﴿تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾، فدليل على امتداد وتنامي أعمال المؤمنين في الدنيا والآخرة.

ومن آيات وصف المؤمنين التي تتضمن تشبيهاً رائعاً من خصائص روعته اعتماده على التمثيل، واستمداد مادته من القريب الحسي المشاهد في ركنيه، من هذا اللون قوله - تعالى -: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا﴾ [الفتح: ٢٩].

مدلول الآية:

الآية الكريمة إخبار عن الرسول ﷺ وعن أصحابه الكرام من المهاجرين والأنصار، بأن لهم صفات كمال الإيمان؛ فهم أشداء على الكفار، متحابون متراحمون متعاطفون فيما بينهم، أما صلتهم بخالقهم فإنها لا تنقطع؛ فهم على صلواتهم دائمون، يسألون الله الكريم من فضله ورضوانه، ولما كثر تواصلهم بربهم، فقد ظهرت آثار ذلك حسناً في وجوههم؛ فاستنارت به ظواهرهم؛ كما استنارت بواطنهم، وهذا الوصف الحاصل ورد ذكره في التوراة، أما في الإنجيل؛ فإنهم وصفوا بكمال التعاون والتآزر، مثلهم في ذلك: ﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ...﴾[1].

---

(١) ينظر: جامع البيان (٧/ ٧٢، ٧٣)، وتيسير الكريم الرحمن (٢/ ٦٩٦).

وهذا يستتبع أن يكون الوقف على قوله - تعالى -: ﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾؛ لأن المعنى تام، وما بعده مبتدأ وخبر[1].

وترتبط بقوله - تعالى -: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ [الفتح: ٢٨].

حيث يتحقق بها زيادة تصديق رؤياه ﷺ بدخول مكة؛ فإن الذي أرسله بهذا الدين قد شهد - سبحانه - بصدقه، ثم أقسم وأكد بـ(اللام)، و(قد)، أنه سيظهر دينه الذي أرسل رسوله ﷺ به، ولما ختم الآية الكريمة منوهاً بإحاطته بالخفايا والظواهر ناسب أن يذكر في آية الشاهد اسم رسوله المنوه باسمه، فقال - سبحانه -: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ...﴾[2].

ولقد ضُرب المثل الجليل بعد أن عددت الآية الكريمة مناقب المصطفى عليه السلام وأصحابه رضي الله عنهم إظهاراً لهيبتهم وعظم مقامهم؛ فاستهلت باسمه ﷺ اهتماماً بذكره، وعنايةً بشأنه، ثم تعريف أصحابه بالاسم الموصول اعتزازاً بصحبتهم ومعيتهم.

---

(١) وهو قول مجاهد والضحاك. ينظر: المكتفى في الوقف والابتدا في كتاب الله عز وجل (ص ٥٣١)، ولقد روي عن زياد الباهلي أنه قال: حدثنا موسى بن جعفر عن جعفر بن محمد عن أبيه، عن آبائه رضي الله عنهم في قوله: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ...﴾: أبو بكر الصديق، ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ﴾: عمر ابن الخطاب رضي الله عنه، ﴿رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ...﴾: عثمان بن عفان رضي الله عنه، ﴿تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا...﴾: علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم...﴾: عبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنهما. ينظر: هامش المصدر والموضع ذاته.

(٢) ينظر: نظم الدرر (١٨/٣٣٧)، والتحرير والتنوير (١٢/٢٦/٢٠٢).

كما نجد لهم من الصفات ما جاء بأسلوب الطباق: (﴿أَشِدَّآءُ﴾، ﴿رُحَمَآءُ﴾)، مما يستوقفنا بين الصفتين لنعلم حالة نفس المؤمن الذي تنازعه بين الشدة مرة، وبين الرحمة أخرى؛ فظهر قرار إلهي يوجب على المؤمن التغلظ في معاملة الكافرين، والتآلف والرحمة على المؤمنين. ولقد جاء الوصفان (﴿أَشِدَّآءُ﴾، و﴿رُحَمَآءُ﴾)، على وزن (أفْعِلاء، فُعلاء) ليدلان على امتداد صوتي يجسد المعنى، فالهمزة بعد ألف المد يعطي تجسيداً للمعنى، ثم وصفهم بـ(الراكعين، الساجدين) إظهاراً لمشقة العبادة والصلاة بخاصةٍ منها، قال - تعالى -: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٥]، ثم مجيء الوصفين بصيغة جمع التكسير، ومما يعرف منها بجموع الكثرة، فدل على أنه أمر يكثر ويقوي تواضعهم وخضوعهم فيه.

وتجد الحواس من جرس التنوين صوتاً يلامس شغاف القلوب التي يجب أن ينبعث منها الركوع والسجود تتميماً للأجر والثواب ما يعضد أن تكون ﴿مِّنْ﴾ في قوله - تعالى -: ﴿مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾ بيانية.

والتشبيه في الآية تمثيلي: فقد اتخذ الزرع في نمائه مثلاً ضربه الله ﷻ للنبي ﷺ وصحبه - رضوان الله عليهم -، حيث المشبه الرسول ﷺ وأصحابه الكرام، عندما كانوا قلة في بَدْء الدعوة، ثم اشتد أمرهم وقوي أزرهم، والمشبه به الزرع الذي تنامت فروعه، وأخرج شطأه فآزر الزرع بالتفافه حول سوقه، حتى استغلظ وقوي، فأصبح ذا هيأةٍ تعجب الزُّرّاع ليغيظ الكفار بهم[1].

---

(١) ينظر: الكشاف (٤/٣٣٩)، وينظر: الجمان في تشبيهات القرآن (ص ٢٥٨)، والمحرر الوجيز (١٥/١٢٦)، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل (٢/٤١٣)، والجامع لأحكام القرآن (٨/١٦/٢٨١)، والفتوحات الإلهية (٧/٢٣١).

ووجه الشبه مركب من التدرج في النمو والتحول من القلة إلى الكثرة، ثم إلى استحكام القوة في كلٍ من الطرفين.

ولقد ورد بأن: «هذا التمثيل قابل لاعتبار تجزئة التشبيه في أجزائه؛ بأن يشبه محمد ﷺ بالزارع، كما مثل عيسى عليه السلام في الإنجيل، ويُشبه المؤمنون الأولون بحبات الزرع التي يبذرها في الأرض، مثلُ: أبي بكرٍ، وخديجة[1]، وعلي، وبلال[2]، وعمَّار[3] رضي الله عنه، والشطء: من أيدوا المسلمين؛ فإن النبي ﷺ دعا إلى الله وحده، وانضم إليه نفر قليل، ثم قوّاه الله بمن ضامن معه»[4].

---

(١) خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي القرشية الأسدية، أم المؤمنين، زوج النبي ﷺ، وأم ولده، وأول من صدقت ببعثه مطلقاً، تزوجها النبي ﷺ قبل البعثة بخمس عشرة سنة، أقرأها جبريل السلام، وبشرها ببيت من قصب لا صخب فيه ولا نصب، ماتت قبل الهجرة بثلاث، وقيل: بأربع، وقيل: بخمس، انظر: الاستيعاب (٤/٢٧٩)، الإصابة (٤/٢٨١).

(٢) بلال بن رباح، مولى أبي بكر الصديق، صحابي جليل، مؤذن رسول الله ﷺ، من السابقين الأولين الذين عذبوا في الله – تعالى -، شهد بدراً، وهو ممن شهد له النبي ﷺ بالجنة، وقد خدم النبي ﷺ، آخى بينه وبين أبي عبيدة، وآخى بينه وبين أبي أيوب الأنصاري أيضاً؛ لما مات النبي ﷺ قال لأبي بكر: إن كنت أعتقتني لله فدعني أذهب حيث شئت، وإن كنت أعتقتني لنفسك فأمسكني، فقال أبوبكر: اذهب حيث شئت، مات بالشام سنة عشرين، انظر: الاستيعاب (١/١٤١)، والإصابة (١/١٦٥)

(٣) عمار بن ياسر العنسي المذحجي، من السابقين إلى الإسلام هو وأبوه وأمه، وكانوا ممن يعذب في الله، صحابي جليل بشره رسول الله ﷺ بالجنة مع أبويه، هاجر وشهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وشهد اليمامة، وعاش حتى شهد صفين مع علي واستشهد فيها سنة ٣٧هـ وهو ابن ثلاث وتسعين على الأرجح. ينظر: الاستيعاب (٢/٤٧٦)، والإصابة (٢/٥١٢).

(٤) التحرير والتنوير (١٢/٢٦/ ٢٠٩، ٢١٠).

ولكني أجد هذه التجزئة تجعل المعنى ضعيفاً، إذ أن المراد من التشبيه هيئة منتزعة من أمورٍ عديدةٍ قد تضامت، وصارت شيئاً واحداً، فهي أجمل في العين منها إذا اعتبرت هذه الأوصاف متفرقة.

وكذلك فإن كونه تصوير محسوس بمحسوس الغرض منه بيان القوة، ولا تكون كذلك إلا باجتماعها، وعند تفرقها؛ فإنها تبدو أقلَّ قوةً. هذا مع ملاحظة أن الكاف في قوله - تعالى -: ﴿كَزَرْعٍ﴾ هنا لم تدخل على المشبه به، كما في قولنا: (زيد كعمرو)، وإنما دخلت على جزء من المشبه به، ومثاله في ذلك قوله - تعالى -: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ...﴾ [الكهف: ٤٥]؛ فإن الكاف دخلت فيها على (ماء)، وهو جزء من المشبه به، والمشبه به هو حال الأرض التي نزل عليها الماء فاخضرّت.

وكذلك الحال في آية الشاهد؛ فإن قوله: ﴿كَزَرْعٍ﴾، خبر مبتدأ محذوف تقديره: مثلهم كزرعٍ، أو هم كزرعٍ، وفي هذا التقدير إشارة إلى أوصاف هذا الزرع المذكورة في تتمة الآية. وفي هذا التقدير مدح آخر لهم بعد مدحهم بالأوصاف المذكورة[1].

والتشبيه في الآية الكريمة: «من أوقع التشبيهات وأوضحها، وأبلغ التمثيلات وأفصحها، وقد نقلت العرب كثيراً من أوصاف النبات والشجر إلى أوصاف الإنسان. واطّرد ذلك في كلامهم، لوقوع المناسبة بين الحالين، وبحسن ذلك تحسن التشبيهات»[2].

---

(١) ينظر: حاشية ابن التمجيد (٩٩/١٨)، وحاشية القونوي (٩٩/١٨).

(٢) الجمان في تشبيهات القرآن (ص ٢٥٩).

ووجه مناسبة المثل لموضوع الآية الكريمة: مثار للاستفسار عن سرِّ التمثيل بالزرع، وهناك من الأمثلة التي تدل على القوة والعظمة، مثل: الخيل، والشجر الكبار المثمر؛ وذلك فلأن أصحابه ﷺ كانوا في بدء الدعوة قلة، ثم ازدادوا وكثروا، كالزرع يكثر بخروج شطئه فيقوى، والزرع يحصد ويزرع، وكذلك المسلمون، منهم من يموت، وآخر يولد فيقوم مقامه، ويخرجون إلى الأمم جماعات، أما الخيل والشجر الكبار؛ فإنه لا يتأتى فيهما ذلك؛ لأن من صفات الزرع سرعة النماء والقوة[1].

وأجد ذلك في التمثيل بالزرع، وهو دون غيره قوةً؛ لأن الزرع يكثر وينتشر في نواحي الأرض لأهميته وحاجة الناس إليه، وسرعة نموه وحصاده؛ فكذلك أمة محمد ﷺ كثرت وانتشرت في الأرض هنا وهناك، فأفادت منها الأمم الأخرى بدخولها في الإسلام.

ودخول (الكاف) في قوله - تعالى -: ﴿كَزَرْعٍ﴾ دلالة على أن الممثَّل به أقل منزلة وقوةً من الصحابة. ولكن المثل مأخوذ من واقع العربي، جيء به لتقريب المعنى وتثبيته.

ولتأكيد غرابة المثل؛ فإنه كرر قوله - سبحانه -: ﴿مَثَلُهُمْ﴾[2]. وأرى في تكرار ﴿مَثَلُهُمْ﴾ دلالة على تباين صفة المؤمنين في التوراة عنها في الإنجيل.

---

(١) ينظر: تفسير روح البيان (٩/ ٧١).

(٢) ينظر: المصدر ذاته (٩/ ٧٠).

المبحث الثاني

المجـاز

هو من مقاصد هذه الدراسة ؛ ولكن قد جرت العادة بالبحث عن الحقيقة أيضاً لما بينهما من شِبْه تقابل، وذلك لأن الحقيقة هي استعمال اللفظ فيما وضع له، والمجاز استعمال اللفظ في غير ما وضع له، ولهذا قدمت التعريف اللغوي عن الحقيقة بأنه: من الحق الذي هو نقيض الباطل، وحق الأمر، يحقُّهُ حقّاً، وأحقه: كان منه على يقين[١]، على وزن فعيل إما بمعنى مفعول، من قولهم: حققت الشيء إذا أثبته، أو فعيل بمعنى فاعل من قولهم: حقَّ الشيء يحق إذا أثبته[٢]. أما تعريفها في الاصطلاح فهو: «إسناد الفعل، أو معناه إلى ما هو له عند المتكلم»[٣].

أما المجاز لغة:

مصدر ميمي من جوز، يقال: جزت الطريق، وجاز الموضع جوازاً ومجازاً، والمجاز والمجازة الموضع[٤]، «مأخوذ من قولهم: جاز من هذا الموضع إلى هذا الموضع إذا تخطاه إليه، فالمجاز إذاً اسم للمكان الذي يُجاز فيه»[٥]، ولقد سميت به الكلمة التي جازت مكانها الأصلي.

---

(١) ينظر: لسان العرب (١٠/ ٤٩)، (باب القاف، فصل الحاء).

(٢) ينظر: المطول (ص ٥٦٧)، وصيغة فعيل تصلح أن تكون اسم فاعل واسم مفعول، والتاء في (حقيقة) ليست للتأنيث كالتاء في جميلة.

(٣) الإيضاح (ص ٢٦).

(٤) ينظر: لسان العرب (٥/٣٢٦)، (باب الزاي، فصل الجيم).

(٥) المثل السائر (١/٨٤).

واصطلح عليه:

بأنه: «كل كلمة أُريد بها غير ما وقعت له في وضع واضعها لملاحظة بين الثاني والأول، فهي مجاز، وإن شئت قلت: كل كلمة جزت بها ما وقعت له في وضع الواضع إلى ما لم توضع له، من غير أن تستأنف فيها وضعاً لملاحظة بين ما تجوز بها إليه، وبين أصلها الذي وضعت له في وضع واضعها فهي مجاز»(1).

وهذا التعريف يشير إلى أن المجاز هو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة، مع قرينة تمنع من إرادة المعنى الحقيقي(2). وشاهده ما جاء في قوله - تعالى -: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦]، ذلك أن كلمة: ﴿ٱلصِّرَٰطَ﴾ وضعها العرب للطريق، واستعملها القرآن الكريم للدلالة على الدين؛ لعلاقة توصيل كل منهما إلى المراد.

المجاز بين القبول والرفض:

لا خلاف في وقوع الحقائق في القرآن الكريم، وكذلك المجاز؛ فإن الجمهور اتفق على وجوده في القرآن الكريم، مع أن جماعة أخرى تنكر

---

(1) أسرار البلاغة (ص ٣٢٠)، طبعة رشيد رضا، وينظر: المصباح في المعاني والبيان والبديع (ص ١٢٢)، والمثل السائر (١/ ٨٥).

(2) وتفصيل ذلك: أن الكلمة المستعملة مجازاً فيها معنيان: الحقيقي الذي وضعت له، والمعنى المجازي الذي استعملت فيه الكلمة ثانياً. والعلاقة: مراد بها الصلة بين المعنيين، ولولاها لما استطعنا نقل الكلمة من معناها الأول الذي وضعت له إلى معناها الثاني الذي استعملت فيه، وأما القرينة، فهي التي تبين لنا المعنى الحقيقي أنه غير مراد، وأن المجاز هو المعنى المقصود. ينظر: البلاغة فنونها وأفنانها/ علم البيان والبديع (ص ١٣١)، للدكتور فضل حسن عباس، دار الفرقان للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

وجوده[١]، وحجتهم في ذلك أن المجاز أخو الكذب، والقرآن منزه عنه، وهذه شبهة لا وجه لقبولها[٢].

وحجة من يقول بالمجاز: «أن أكثر اللغة عند التأمل مجاز لا حقيقة، فقولنا: قام زيد مجاز؛ لأن زيداً لم يفعل كل القيام؛ بل فعل بعضه، فهو من وضع الكل موضع البعض للاتساع والتوكيد، ولذا يقال: قام قومة وقومتين وقياماً حسناً وقياماً قبيحاً»[٣].

والواقع أن المجاز ورد في اللغة وفي القرآن الكريم، ولقد اعتبر المجاز أبلغ من الحقيقة[٤]؛ بل هو أولى بالاستعمال منها في باب الفصاحة والبلاغة[٥].

يُقسم المجاز إلى قسمين:

١- المجاز العقلي، ويكون في الإسناد.

٢- المجاز اللغوي، وهو نوعان:

إذا كانت العلاقة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي المشابهة سُمي **استعارة**، وإن كانت العلاقة غير المشابهة، فهو **مجاز مرسل**[٦].

وفيما يلي بيان وتفصيل لكل نوع من أنواع المجاز، مع شواهد من القرآن الكريم.

---

(١) منهم الظاهرية، وابن القاص من الشافعية، وابن خويزمنداد من المالكية.

(٢) ينظر: الإتقان في علوم القرآن (٢/٤٧).

(٣) علم البيان، دراسة تحليلية لمسائل البيان (ص ١٤١)، د. بسيوني فيود.

(٤) ينظر: الإتقان في علوم القرآن (٢/٤٧).

(٥) ينظر: المثل السائر (١/٨٨).

(٦) ينظر: الإيضاح (ص ٢٧٩، ٢٨٠).

[١] المجاز العقلي:

«هو الكلام المفاد به خلاف ما عند المتكلم من الحكم فيه لضربٍ من التأويل»[١]، وورد تعريفه لدى الخطيب بأنه: «إسناد الفعل أو معناه إلى مُلابسٍ له غير ما هو له بتأول»[٢].

فقوله: "إسناد الفعل أو ما في معناه" يقصد به الفعل، وما هو في معنى الفعل، ويعمل عمله، مثل: اسم الفاعل، واسم المفعول، واسم الزمان والمكان.

وقوله: "لغير ما هو له" هو التجوز في إسناد الفعل بإسناده إلى غير فاعله، ومثال ذلك: (صامت سعاد)، و(قامت فاطمة)، فإسناد الصوم والقيام إلى سعاد وفاطمة إسناد حقيقي. وأما في قولهم: (أنبت الربيع البقل)، و(فاض الكأس)؛ فإن الله ﷻ هو الذي أنبت البقل، والذي فاض من الكأس هو الماء، فما حصل هو إسناد أنبت، وفاض إلى غير الفاعل الحقيقي، وهو ما سُمي في التعريف بغير ما هو له. وهو ما يسمى بالإسناد المجازي. والذي سوغ لهذا التجوز هو [العلاقة] التي تربطهما ما بين المسند والمسند إليه، فالإنبات إنما حصل في فصل الربيع، وكان بسببه. وكذلك الفيض أسند إلى الكأس؛ لأنه هو المكان الممتلئ بالماء، وهكذا.

وعلاقات المجاز العقلي:

١- **المكانية:** (سال النهر).

٢- **الزمانية:** (ليله قائم).

---

(١) مفتاح العلوم (ص ١٨٥).

(٢) الإيضاح (ص ٢٦).

٣- **السببية:** (أشابتنا الهموم).

٤- **المصدرية:** (جدَّ الجدُّ).

٥- **المفعولية:** وذلك حين يأتي اسم الفاعل، والمراد به اسم المفعول، كقوله - تعالى -: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَـٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ﴾ [الطارق: ٥-٦]، أي: مدفوق.

٦- **الفاعلية:** يأتي اسم المفعول ويراد به اسم الفاعل. كقوله - تعالى -: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا﴾ [مريم: ٦١]، فمأتي: اسم مفعول، والمراد اسم الفاعل آتٍ[1].

قرينة المجاز العقلي:

يحتاج إلى قرينة تمنع من إرادة المعنى الأصلي، وهذه القرينة إما لفظية، أو غير لفظية، كاستحالة صدور المسند من المسند إليه، أو استحالة وقوع الفعل من الفاعل.

فمثال الأول قول أبي النجم[2]:

---

(١) ينظر: الإيضاح (ص ٢٧، ٢٨)، وخصائص التراكيب (ص ٧٠، ٧١)، للدكتور محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، الطبعة الثالثة.

(٢) الفضل بن قدامة بن عبيد الله العجلي، المعروف بأبي النجم، من أكابر الرجَّاز في العصر الأموي، وكان ينزل الكوفة، وهو من رجّاز الإسلام الفحول المقدمين، وفي الطبقة الأولى منهم، توفي سنة (١٣٠ هـ)، وهذا البيت من أول أرجوزته، وأم الخيار المذكورة زوجته. ينظر: طبقات الشعراء (ص ٢٧٥)، والأغاني (٧٣/٩)، لأبي الفرج الأصبهاني، دار الفكر للطباعة والنشر، بدون تاريخ طبعة، ومعاهد التنصيص على شواهد التلخيص (١٤٧/١)، للشيخ عبد الرحيم بن أحمد العباسي، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، عالم الكتب، بيروت، طبعة ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٧م.

قد أصبحتْ أمُّ الخيار تَدعي ... عليَّ ذنباً كلُّهُ لم أصنعِ
مِنْ أنْ رأتْ رأسي كرأسِ الأصلعِ ... ميَّزَ عنه قُنزعاً من قُنْزعِ
أفناهُ قيل اللهِ للشمسِ: اطْلَعي ... حتَّى إذا واراكِ أُفْقٌ فارْجِعي

فالشاعر أسند الفعل (ميز) إلى (جذب الليالي) إسناداً مجازياً من إسناد الفعل إلى السبب أو الزمن، وقرينة المجاز لفظية، فقد أسند فناء شعر الرأس إلى الله ﷻ، فهذا دليل على أن القائل مؤمن متجوز في كلامه، والقرينة لفظية مذكورة في الكلام: (أفناه قِيْلُ الله للشمس: اطلعي).

القرينة غير اللفظية؛ كقولهم: فتح عمرو بن العاص مصر، فإسناد فتْح مصر إلى عمرو مجاز عقلي لعلاقة السببية، والقرينة الاستحالة، إذ يستحيل عادة أن يفتح عمرو بمفرده مصر، وإن أمكن ذلك عقلاً[1].

وسُمي المجاز عقلياً؛ لأنه يحتكم فيه إلى العقل، لأن إسناد الكلمة إلى أخرى شيء يحصل بقصد المتكلم، وليس هو من واضع اللغة.

فمثلاً في قولهم: (ضَرَب زيد عمراً)، أي: الضارب هو زيد، هذا حكم أطلقه المتكلم الذي قصد إثبات الضرب لزيدٍ، وليس في وضع اللغة كذلك[2].

ومن صفات المؤمنين التي جاء التعبير عنها بطريق المجاز العقلي، إسناد الوجل إلى القلوب، وإنما هو إلى أهلها، كما قال - تعالى -: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ

(١) ينظر: الإيضاح (ص ٢٧، ٢٨).

(٢) ينظر: الإيضاح (ص ٢٨).

﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: ٢-٤].

في مناسبة سورة الأنفال لسورة الأعراف؛ أنه لما ذكرت قصص الأنبياء - عليهم السلام - ناسبه أن يُذكر في الأنفال قصة المصطفى ﷺ مع قومه في سورتين كاملتين[1]؛ لدفع وهمٍ قد يخطر بتفضيل سيدنا موسى عليه السلام، حيث ذكرت قصته بإطناب في سورة الأعراف.

وأما مناسبة آيات الشاهد المباركة لآخر الأعراف؛ فإنه إجابة لسؤال عن حال الذين عند المخاطب ﷺ فأجيب بقوله — تعالى -: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ﴾ الآيات.

وترتبط آيات الشاهد بما قبلها قوله - تعالى -: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ١].

لما فيها من الأمر والنهي؛ لأن الإيمان يستلزم الاستجابة، وحسن الطاعة، حيث قال - تعالى -: ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ أي صادقين في إيمانكم، فالإيمان يستوجب حصول النجاح في الامتحان الإلهي، لذلك وصل به قوله ﷻ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ...﴾ الآيات ليؤكد ضرورة التخلص من الأعراض الدنيوية؛ لإظهار أوصاف كمال الإيمان، دلالة على رسوخه فيهم؛ لهذا عقّب بتقرير صفات الإيمان الحق وكما يريد سبحانه - وتعالى -[2].

---

(١) سورة الأنفال وبراءة.

(٢) ينظر: نظم الدرر (٢١٦/٨-٢١٩).

وقبل أن نستوضح **المجاز** في هذه الآيات من سورة الأنفال، يحسن أن نورد بعض **الأسرار البلاغية** التي يفيض بها نظمها العجيب، ومن ذلك: استهلالها **بالقصر** في قوله - تعالى -: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾، واستعمال هذه اللفظة ﴿إِنَّمَا﴾ في بناء الجملة دقيق، له دلالة بالغة في بيان أن المقصود هو الإيمان الكامل، وهو وصف يشمل أعمالهم كما ينبئ عن مشاعرهم، ويعرض بغيرهم ممن ليست لهم هذه الصفات، بدلالة قوله - تعالى -: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾، أي فغير المؤمنين حقاً لا يدخلون تحت وصف الإيمان الكامل.

والتعريض بهذا الأسلوب: (القصر بإنما) جاء بأسلوب هادىء كما هو معلوم عن معنى (إنما) ففيه: دعوة للمؤمنين أن يبطلوا أسلوب المنازعة والمجادلة في شأن الغنائم، ولا يخفى ما للتعريض من أثرٍ في تهييج لمشاعر الإيمان، وإلهابٍ لدوافعه في نفوس المؤمنين ليرتقوا إلى مراتب الكمال، والجملة: استئناف، يشير إلى من اتصف من المؤمنين بصفات الكمال، كما أنه فيه مزيد ترغيب في الامتثال بالأوامر، والبعد عن النواهي[1].

وهو قصر موصوف على صفة : قصر إضافي، حيث وصف المؤمنون بصفة وجل القلوب، وزيادة الإيمان، والتوكل على الله - تعالى -، وإنما لم يكن قصراً حقيقياً تحقيقياً؛ فلأن للمؤمنين أوصافاً أخرى متعددة، كما في قوله - تعالى -: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾ [المائدة: ٥٥]، وكذلك ما ورد منها في قوله ﷻ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ

---

(١) ينظر: إرشاد العقل السليم (٣/٧٧)، والتحرير والتنوير (٥/٩/٢٥٥).

هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ﴾ [الحجرات: ١٥]، فلو قيل: إنَّ القصر حقيقي تحقيقي، فهذا يتنافى مع ما ورد من صفات للمؤمنين في آياتٍ أخرى. **ومجيء الوصف معرفاً بـ(أل) في قوله - تعالى -:** ﴿ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾؛ فإنه إشارة إلى هؤلاء المؤمنين[1] الذين تقلدوا صفات الكمال في إيمانهم، وإلا لم يصح الحصر[2]، ودليل على أنهم تلبسوا بالصفات الواردة في حيز الصلة، التي تشير إلى عظم الصفات، وعظم الموصوفين بها، ولهذا كان من المناسب أن يكون التعبير **بأداة ما جُزِم بتحققه، وهي ﴿إِذَا﴾ في قوله - تعالى -:** ﴿إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ﴾، إذ أظهرت معاني الصفات بما يتطلبه كمال الإيمان، كما أن بناء الفعل لما لم يُسمَّ فاعله، فذلك لعدم الاعتداد بالفاعل أياً كان المذكِّر بالله - تعالى -.

وحقيقة الذكر: التلفظ باللسان، وإذا علق بما يدل على ذات فالمقصود منها أسماؤها، سواء نطق باسم من أسماء الله - تعالى - أو بشأن من شؤونه، كما في أمره ونهيه[3]. بما يؤدي إلى سرعة الاستجابة لأي مُذكِّر، لأن قلوبهم قد اختلط بها نور اليقين، حتى لانت وأصبحت تستجيب لذكره - سبحانه -.

أما المجاز العقلي، فنلحظه في قول الله - تعالى -: ﴿وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾، إذ أسند الوجل إلى القلوب، وحقيقة الأمر أنه للإنسان، وهو من باب وصف الكل بصفة البعض، كما في قوله ﷻ: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ۝ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحج: ٣٤-٣٥]، ومثاله كذلك قولهم: زيد عالم وجاهلٌ وراغب

---

(١) ينظر: الكشاف (٢/ ١٨٩).

(٢) ينظر: روح المعاني (٥/٩/١٥٥).

(٣) ينظر: المفردات (ص ١٧٩)، والتحرير والتنوير (٥/٩/ ٢٥٦).

وخائف ؛ فهذه كلها من صفات القلوب وأوصافها ، وقد وصفت بها الجملة والكل مجازاً[(١)].

كما يجوز في الجملة الكريمة أن تكون **مجازاً مرسلاً** ؛ لأنه جعل الوجل للقلوب ، وإنما التي توجل نفوسهم ، فيكون أطلق الجزء ، وأراد الكل.

وأورد الحكيم الترمذي[(٢)] عن القلب ، ودوره في الأثر الديني ، ومقدار ترابطه مع النفس ، وما له من مقام في الصدر ، فالقلب ملك ، والصدر كالميدان للفارس ، وهو معدن نور الإيمان ، وهو مستقرُّ التقوى والسكينة والوجل والإخبات واللين والطمأنينة والخشوع[(٣)].

وهذا القول ، دليل على أن القلب هو مصدر التأثر والإيمان واليقين ، وبه تؤدى جميع العبادات ، والقول بالمجاز المرسل متوافق تماماً مع وظيفة القلب ودوره ، لأن وجل القلوب يعني أن توجل على أثره كل الأعضاء ، وكذلك القول بالمجاز العقلي ؛ لأن الوجل أصله للإنسان ، وإنما أسند إلى القلب ، لأن الإنسان مجموعة تلك الأعضاء ، فخوفها هو خوف القلب.

---

(١) ينظر : مقدمة تفسير ابن النقيب (ص ٥٢).

(٢) محمد بن علي بن الحسين بن بشير المؤذن المعروف بالحكيم الترمذي ، لقي النخشبي والجلاء ، من كبار مشايخ خراسان ، المحدث الزاهد المتوفى سنة ٢٥٥ خمس وخمسين ومائتين ، قدم نيسابور سنة ٢٨٥ هـ ، ولم يذكر تاريخ وفاته ، من تصانيفه : إثبات العلل للشريعة ، وكتاب المناهى في إثبات العلل ، ونوادر الأصول في معرفة أخبار الرسول ، وغير ذلك. ينظر : طبقات الصوفية (ص ٢١٧) لأبي عبد الرحمن السلمي ، تحقيق : نور الدين سربية ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ط٣ ، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م ، وهدية العارفين (١٤/٢).

(٣) ينظر بيان الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللب (ص ٥٤-٥٦).

وحقيقة الوجل: ما ورد عن أم الدرداء(١): أنه كاحتراق السعفة، وقيل: هو الرجل يهم بالمعصية، فيقال له: اتق الله، فينزع عنها خوفاً من عقابه(٢). وإنه لا تعارض بين وصف القلوب بالوجل، وبين وصفها بالاطمئنان بذكر الله في قوله - تعالى -: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨]؛ لأنه عبارة عن ثلج الفؤاد وبرده بمعرفة حقيقة التوحيد(٣).

وفي قوله - تعالى -: ﴿زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا﴾ **مجاز عقلي**؛ لأنه أسند فعل زيادة الإيمان إلى الآيات، وهي في الحقيقة إلى الله - تعالى -، وإنما الآيات سبب في هذه الزيادة، **ولفظ (الزيادة)** يدل على وجود الإيمان في القلب، وتمكنها منه، والآيات تزيد من ذلك.

ونظم القرآن الكريم نسيج متفرد في ذاته، والوصول إلى ما وراء معانيه توفيق من الله - تعالى - تتجلى به بعض آيات إعجازه، فمن ذلك:

مقابلة الصفات القلبية: الوجل، وزيادة الإيمان، والتوكل بالدرجات. وقوبلت الصفات البدنية: ﴿ٱلصَّلَوٰةَ﴾ بالغفران، وقوبلت المالية (النفقة) بالرزق

---

(١) هي: خيرة بنت أبي حَدْرَد الأسلمي، زوجة أبي الدرداء عُوَيمر الأنصاري، وكانت من فضليات النساء وعقلائهن، وذوات الرأي منهن، مع العبادة والنسك، توفيت قبل أبي الدرداء بسنتين في الشام في خلافة عثمان بن عفان ﷺ. حفظت عن النبي ﷺ، وعن زوجها أبي الدرداء، وروى عنها جماعة من التابعين، منهم: صفوان بن عبد الله بن صفوان، وميمون بن مهران، وأم الدرداء الصغرى التي قيل عنها إنها زوج أبي الدرداء. ينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب(٤/ ٢٩٧)، والإصابة (٤/ ٤٤٧).

(٢) ينظر: الكشاف (٢/ ١٨٩)، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل (١/ ٣٧٤).

(٣) ينظر: روح المعاني (٥/٩/١٥٥).

الكريم.فهذه المقابلات هي إحدى ألوان علم البديع ؛ جعلت المؤمن متألقاً صافياً في أقواله وأعماله وسريرته.

وفي وصف الرزق بلفظة ﴿كَرِيمٌ﴾ **مجاز عقلي**: إذ المعنى أن الرازق كريم، فهو لذلك رزق وافر كريم لا ينقطع، كما هي عادة الكرماء، فما بالنا برب الأكرمين.

وجَعْل الرزق نفسه كريماً **مجاز عقلي**[1] أراد به الوصف بالكمال.

ومن صفات المؤمنين ما جاء بطريق المجاز في قوله - تعالى -: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ﴾ [المائدة: ٨٣-٨٤].

سبق شرح المعاني البلاغية لهذه الآية الكريمة في موضوع الجملة الحالية، وهنا أقدم الجانب المجازي فيها، وهو ما يخص هذا الفصل.

ففي قوله - تعالى -: ﴿تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾ **مجاز عقلي** في قوله — سبحانه -: ﴿تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ﴾ إذ أسند الفيض إلى العين، وهو في الحقيقة لمدمع العين، وعلاقته السببية ؛ لأن الفيض حصل بسبب الدمع الغزير، **وسره البلاغي** يكمن في نقل الفكر من حالة البكاء المعتاد، إلى فيض من عبق مشاعر الإيمان، وقد أوقدته دموع فياضة، فدل بذلك على قلوب

---

(١) ينظر: روح المعاني (١٥٨/٩/٥).

رقيقة، وخشيةٍ شديدة[1]، مما يشير إلى مسارعته لقبول الحق، ولقد جاء التعبير بلفظ الفيض؛ لأنه يدل على امتلاء الإناء أو غيره، حتى يطلع ما فيه.

ولقد جاءت صفات المؤمنين من الأمم الأخرى بطريق المجاز في قوله - تعالى -: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَـٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَـٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [يونس: ٩٨].

المراد: فما انتفعت قرية بإيمانها الوقتي حالة معاينة العذاب، ونزول سخطه ﷻ بها، وذلك ما حصل لفرعون؛ حيث آمن حين أدركه الغرق فقط، وكان من قبل متمادياً في غيه، فاستحق العقوبة لمعصيته، ومن كانت هذه حاله؛ فإن إيمانه بهذا النحو لا ينفعه؛ ولكن قوم يونس[2] فإنهم مُستْثنون من العموم

---

(١) ينظر: الكشاف (١/٦٥٥، ٦٥٦)، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل (١/٢٧٩، ٢٨٠)، وحاشية الشهاب (٣/٥٢٩)، وحاشية ابن التمجيد وحاشية القونوي (٧/٥٤٠).

(٢) روي أن يُونس ﷺ "بعث إلى نِينوى من أرض الموصل فكذبوه، فذهب عنهم مغاضباً، فلما فقدوه خافوا نزول العذاب، فلبسوا المسوح، وعجوا أربعين ليلةً. وقيل: قال لهم يونس: إنَّ أجلكم أربعون ليلة، فقالوا: إن رأينا أسباب الهلاك آمنا بك، فلما مضت خمس وثلاثون أغامت السماء غيماً أسود هائلاً، يدخن دخاناً شديداً، ثم يهبط حتى يغشى مدينتهم، ويسوِّد سطوحهم، فلبسوا المُسُوح، وبرزوا إلى الصعيد بأنفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم، وفرَّقوا بين النساء والصبيان، وبين الدواب وأولادها، فحنَّ بعضها على بعض، وعَلَتْ الأصوات والعجيج، وأظهروا الإيمان والتوبة وتضرعوا، فرحمهم الله، وكشف عنهم، وكان يوم عاشوراء يوم جمعة، وعن ابن مسعود: بلغ من توبتهم أن ترادّوا المظالم، حتى إن الرجل كان يقتلع الحجر وقد وضع عليه أساس بنائه فيردُّه". الكشاف (٢/٣٥٨)، وينظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٦/١٠٦)، والدر المنثور في التفسير بالمأثور (٣/ ٣١٧)، وعزاه لابن جرير، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ.

السابق، ولذلك حكمة لا نعلمها، بدليل قوله - تعالى -: ﴿لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفْنَا...﴾، أي أن هؤلاء لما صدَّقوا نبيهم عليه السلام كشف الله - تعالى - عنهم العذاب الذي أظلهم، ورفعه عنهم بعدما نزل بهم من البلاء والخزي الدنيوي والأخروي لقوله - تعالى -: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ...﴾ إلى قوله: ﴿وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ [الصافات: ١٣٥-١٤٧]، ولعل الحكمة من نجاتهم وعدم إهلاكهم، أن الله - تعالى - عليم باستمرار إيمانهم، وثبوتهم عليه[(١)].

وترتبط الآية الكريمة بقوله - تعالى -: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٩٦ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ [يونس: ٩٦-٩٧].

يبين - سبحانه وتعالى - أن له عباداً قضى عليهم بالشقاء فلا يؤمنون؛ لأنهم من الضلال لو جاءتهم آيات العذاب لا يؤمنون، فناسب ذلك أن يبين في آية الشاهد أن قوم يونس عليه السلام من الذين يرجى منهم الإيمان، فلذلك تطلب لهم الآيات الدالة على قدرته عز وجل[(٢)].

ومن أسرار ارتباط سورة (يونس) بغيرها من السور الخمس[(٣)]: ما اشتركت فيه من اشتمالها على القصص، ومن الافتتاح بالذكر، وبذكر الكتاب، وأنهن مكيات، وكذلك تناسبهن في المقدار، ما عدا سورة

---

(١) ينظر: جامع البيان (٤/٢٤٣، ٢٤٤)، وتيسير الكريم الرحمن (١/٧٨٠).

(٢) ينظر: نظم الدرر (٩/٢٠٨).

(٣) هي سورة: هود، ويوسف، والرعد، وإبراهيم، والحجر.

(الحجر)، ثم التسمية باسم نبي، أما (الرعد)؛ فإنها باسم مَلَك، وهو مناسب لأسماء الأنبياء.

فهذه ستة وجوه في تناسب سورة (يونس) بما بعدها، هذا بالإضافة إلى أن سورة (يونس) شارحة لما أجمل في سورة (الأحزاب)[1].

ويتضح **المجاز** في قوله - تعالى -: ﴿قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ﴾.

باحتمال أمرين:

* أن يكون **المجاز** في لفظ ﴿قَرْيَةٌ﴾ حيث أطلق لفظ القرية، وأراد أهلها على سبيل **المجاز المرسل**، وعلاقته المحلية، والقرينة ﴿ءَامَنَتْ﴾؛ لأن الجماد ليست له إرادة الإيمان.

* ويحتمل أن يكون **المجاز** في إسناد الإيمان إلى القرية؛ فيكون **مجازاً عقلياً علاقته المكانية**، كما في قولهم: (جرى النهر)، والمقصود جرى الماء في النهر، وبيان ذلك: «أن كلمة (لولا) إذا كانت حرف تحضيض، أو كانت بمعنى ما النافية؛ فيكون المراد من القرى أهاليها[2]؛ لأن التحضيض إنما يكون للأهل، لا لنفس القرية؛ ولأنه قد أسند الإيمان إليها، والإيمان لا يسند إلى نفس القرية بل إلى أهلها»[3].

وعلى أيٍ من الاحتمالين؛ فإن الغرض: أن الإيمان شمل أهل القرية إيماناً شاملاً عاماً.

---

(١) ينظر: تناسق الدرر في تناسب الآيات والسور (ص ٩٣).

(٢) ينظر: الكشاف (٢/٣٥٨)، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٦/١٠٦)، وحاشية زاده (٣/٣٠).

(٣) حاشية زاده (٣/٣٠).

وفي قوله - تعالى -: ﴿فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ﴾ **مجاز عقلي علاقته السببية**؛ لأنه أسند الفعل (نفع) إلى سببه، وهو الإيمان، والنفع الذي نتج عن الإيمان هو كشف العذاب عنهم، و(الفاء) لذلك سببية[1].

ومن الأسرار البلاغية في الآية الكريمة ما يأتي: في قوله - تعالى -:

﴿فَلَوْلَآ﴾: (الفاء) استئناف كلام جديد[2]، أراد به التحضيض، ومع التحضيض انتقال إلى الحديث عن قوم يونس، فيكون الكلام منقطعاً. وأن ﴿إِلَّآ﴾ بمعنى لكن[3]، ويقصد بذلك قراءة أُبيّ[4]، وعبدالله بن مسعود (هلاّ)[5].

وأرجح أن يكون الاستثناء منقطعاً؛ لأن الله ﷻ يريد منهم الإيمان، ويحضهم عليه؛ لأنه - سبحانه - غني عن عذابهم، ولا ينتفع به.

---

(١) ينظر: نظم الدرر (٢٠٨/٩).

(٢) ينظر: إرشاد العقل السليم (٢٧٣/٣، ٢٧٤).

ويرى ابن عاشور أنها للتفريع، وهذا لا يظهر لي. ينظر: التحرير والتنوير (٢٨٨/١١/٦).

(٣) ينظر: معاني القرآن للفراء (٤٧٩/١)، ومعاني القرآن وإعرابه (٣٤/٣)، وجامع البيان (٢٤٣/٤)، والكشاف (٣٥٨/٢)، والدر المصون (٢٦٩/٦)، وإرشاد العقل السليم (٢٧٤/٣).

(٤) أُبيّ بن كعب بن قيس بن عبيد الأنصاري النجاري؛ أبو المنذر، أو أبو الطفيل، سيد القراء، من أصحاب العقبة الثانية، شهد بدراً والمشاهد كلها، توفي سنة ١٩هـ، وقيل غير ذلك. ينظر: طبقات الفقهاء للشيرازي (٤٤)، والإصابة (١٦/١).

(٥) لم أجد هذه القراءة في كتب القراءات، ولا في القراءات الشاذة، مثل: مختصر في شواذ القرآن، لابن خالويه.

وورد أن الاستثناء متصل، وتكون (لولا) بمعنى (لم) النافية، كأنه قيل: ما آمنت قرية من القرى الهالكة إلاّ قوم يونس[1]. والمقصود أهل قرية يونس، فتكون استثناء من ضمن القرى.

والتنكير في ﴿قَرْيَةٌ﴾: دلالة على العموم، أي عموم القرى التي لم تؤمن، يناسب ذلك معنى التحضيض على الإيمان الذي تضمنته ﴿ لَوْلَا﴾.

والتعبير بقوله - تعالى -: **﴿لَمَّآ ءَامَنُوا﴾ استئناف أراد به تفصيل** «مجمل معنى الاستثناء، وفي الآية إيماء إلى أن أهل مكة يعاملهم معاملة قوم يونس إذا آمنوا

---

(١) ينظر: الكشاف (٢/٣٥٨)، والدر المصون (٦/٢٦٩).

وذهب بعض العلماء إلى أن (لولا) قد قرأها (أبي): (فهلا)، ومعناها أنهم يؤمنون. ينظر في ذلك: معاني القرآن (١/ ٤٧٩) للفراء، ومعاني القرآن وإعرابه (٣/ ٤٣). ولقد ذهب العلماء في الاستثناء إلى أنه محتمل ما يلي:

١- أنه استثناء منقطع بحسب اللفظ؛ لأن ما بعد (إلا) منقطع مما قبلها، إذ لم يكن من جنسه، وكذلك قوم يونس، منقطعون من قوم غيره من الأنبياء. وإلى هذا الرأي ذهب الفراء. ينظر: سيبويه في الكتاب (١/ ٣٦٦)، ومعاني القرآن (١/ ٤٧٩) للفراء، ومعاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٤)، والكسائي كما في البحر المحيط (٥/ ١٩٢).

٢- أنه استثناء متصل بحسب المعنى، والجملة في معنى النفي، كما قيل: ما آمنت قرية من القرى الهالكة إلاّ قوم يونس. أو هو استثناء من القرى؛ لأن المراد أهاليها، وأجازه الزمخشري. ينظر: الكشاف (٢/ ٣٥٨)، وابن عطية، ينظر: المحرر الوجيز (٩/ ٩٤). ومن جعله منقطعاً معناه: "هلا كانت قرية آمنت في وقت ينفعهم الإيمان، جرى هذا بعقب قول فرعون لما أدركه الغرق: ﴿ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ الآية.. فأعلم الله أن الإيمان لا ينفع عند وقوع العذاب، ولا عند حضور الموت، وقوم يونس - والله أعلم - لم يقع بهم العذاب، ولكنهم رأوا الآية التي تدل، فلما آمنوا كُشفت عنهم". ينظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٤)، والكشاف (٢/ ٣٥٨).

عند رؤية العذاب، وذلك حالهم عندما تسامعوا بقدوم جيش غزوة الفتح، الذي لا قبل لهم به عِدة وعُدة، فيكاد يحل بهم عذاب استئصال، لولا أن عجلوا بالإيمان يوم الفتح؛ فقال لهم النبي ﷺ: **(أنتم الطلقاء)**»[١].

وفي إضافة العذاب إلى الخزي: بيان لنوع العذاب، وبيان أنه من النوع الذي يُعقب صاحبه الإهانة والذل؛ لأن الخزي: هو لحوق الانكسار من نفس الإنسان، وإما من غيره، وهو ضرب من الاستخفاف[٢]، لو حلَّ بهم لأعقبهم هوان وذل في الدنيا والآخرة[٣].

والتعبير بلفظ ﴿حِينٍ﴾ في قوله - تعالى -: ﴿وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾، أراد به انقضاء آجالهم وأعمارهم في أوقات مختلفة، كما هو مضروب لهم[٤]، **وأما حرف الجر ﴿إِلَىٰ﴾**؛ فإنه يمثل امتداد تلك الأعمار، ويشير إلى ما فيها من فسحة، وهو نوع من النعيم والتمتع.

ومن أظهر المؤمنين كمالاً المتقي، والأفضل منه (الأتقى)، وهو الأعلى رتبة، ولقد جاء التعبير عن هذا الموصوف بالمجاز في الظرف، حيث قال - تعالى -: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ۝ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ۝ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ۝ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾ [الليل: ١٧-٢١].

---

(١) التحرير والتنوير (٦/١١/٢٨٩).

(٢) ينظر: المفردات (ص ١٤٧).

(٣) ينظر: نظم الدرر (٩/٢٠٨).

(٤) ينظر: المصدر والموضع ذاته.

سبق شرح الآيات المباركات، وبيان ما فيها من أسرار بلاغية في موضوع الحال، وهنا أقدم ما يختص بالمجاز في الحرف:

في قوله - تعالى -: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ..﴾ الآية. فقوله: ﴿عِندَهُۥ﴾ مجاز؛ ذلك أنه لما اشترى أبو بكر ﷺ بلالاً، وأعتقه حالاً، قال المشركون: إنما فعل أبو بكرٍ ذلك ليدٍ كانت لبلال عنده[1].

والآية الكريمة تبطل هذا القول[2] لتثبت أن ما فعله أبو بكر ﷺ إنما هو نفقة خالصة لوجه الله - تعالى -، وليس فيها معروف يجازى عليه.

فجاء بالظرف ﴿عِندَهُۥ﴾ الذي للظرفية المكانية، وهو مستعمل هنا بمعنى تمكن معنى الإيمان عند أبي بكر ﷺ كتمكن الكائن في المكان القريب، على سبيل المجاز[3].

ووجه البلاغة في هذا الأسلوب:

ليبين أن هذه حالة خاصة غير كثيرةٍ في أسباب إيتاء المال، وخاصةً أن الحادثة حصلت في مستهل الدعوة الإسلامية، والإسلام في حاجة إلى البذل والسخاء، والمسلمون بحاجةٍ لأن يلهب حماسهم بمثل هذه الأساليب، ليستخرج من بعض النفوس آثار الرياء، وحب الشهرة المصاحبتين لبعض حالات الإنفاق، كما تعودوا في الجاهلية.

ومن جهة ثانية، فقد دلت ﴿مِن﴾ على استغراق نفي أي نعمةٍ كانت[4].

---

(١) ينظر: أسباب النزول (ص ٣٨٥).

(٢) وهذا القول بهتان يعللون به أنفسهم؛ كراهة أن تكون لأبي بكر ﷺ محبة للمسلمين.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير (١٥/٣٠/٣٩١).

(٤) ينظر: نظم الدرر (٢٢/٩٥).

[٢] المجاز المرسل:

أحد قسمي المجاز اللغوي، وتعريفه:

«ما كانت العلاقة بين ما استعمل فيه، وما وضع له مُلابسة غير التشبيه»[١]، أي: هو الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له في اللغة، لعلاقة غير المشابهة بين المعنيين، وقولهم: (غير المشابهة) أرادوا بها أن العلاقة غير المشابهة، كما في قولهم: (اليد للنعمة)، فلفظ يد موضوع لعضو من أعضاء الإنسان معلوم، ولكن لما كانت اليد هي سبب في إعطاء النعمة، وبها تصدر، فأصبحت اليد بمنزلة العلة الفاعلة لها[٢].

وسمي مرسلاً «لأنه أرسل عن دعوى الاتحاد المعتبرة في الاستعارة؛ إذ ليست العلاقة بين المعنيين المشابهة حتى يُدَّعى اتحادها... أو لأنه أرسل أي: أُطْلِق عن التقيد بعلاقة واحدة»[٣].

ولما كان الفارق بين الاستعارة والمجاز المرسل هو جهة العلاقة، فإن للمجاز المرسل علاقات غير المشابهة، وأهمها:

١- **الجزئية**: تسمية الشيء باسم جزئه المناسب للمعنى المراد، كالعين تطلق على الرقيب والجاسوس.

٢- **الكلية**: تسمية الجزء باسم الكل، كما في قوله - تعالى -: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِم﴾ [البقرة: ١٩]، والمراد أناملهم؛ لأنه لا توضع الأصبع كاملة في الأذن.

---

(١) الإيضاح (ص ٢٤٧).

(٢) ينظر: المطول (ص ٥٧٥).

(٣) علم البيان دراسة تحليلية (ص ١٤٥) د. بسيوني فيود.

٣- **السببية**: تسمية الشيء باسم سببه، كما في قولهم: (رعينا الغيث)، أي النبات، فسمي النبات غيثاً لأنه سبب النبات.

٤- **المسببية**: تسمية السبب باسم المسبب، نحو: أمطرت السماء نباتاً، فذكر النبات، وأريد الغيث؛ لأن الغيث سبب النبات.

٥- **اعتبار ما كان**: تسمية الشيء باسم ما كان عليه، كما في قوله - تعالى -: ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَـٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ﴾ [النساء: ٢]، أي: الذين كانوا يتامى.

٦- **اعتبار ما يكون**: وهو تسمية باسم ما يؤول إليه، كتسمية العنب خمراً، كما في قوله - تعالى -: ﴿إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ خَمْرًا﴾ [يوسف: ٣٦].

٧- **المحلية**: تسمية الشيء باسم محله، كقوله - تعالى -: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ﴾ [العلق: ١٧]. أي أهل ناديه.

٨- **الحالية**: إطلاق اسم الحال على المحل كقوله - تعالى -: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٧].

٩- **الآلية**: وهي تسمية الشيء باسم آلته، كقوله - تعالى -: ﴿وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ﴾ [الشعراء: ٨٤]، أي ذكراً حسناً، فأطلق اسم الآلة، وهو اللسان على الذكر.

وترتقي أنواع العلاقة إلى خمسة وعشرين[١].

---

(١) ينظر: المطول (ص ٥٧٥-٥٧٨)، وينظر: القرآن والصورة البيانية (ص ١٥٥-١٧٠) للدكتور عبد القادر حسين، عالم الكتب، بيروت، ط٢، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

ويحقق المجاز المرسل بلاغة عظيمة في الكلام، فهو يوسع اللغة، ويساعد على الافتنان في التعبير، كما أن المجاز أخف من الحقيقة على اللسان، ويفيد المبالغة في المعنى، ويحقق الإيجاز في العبارة[1].

ويتنوع التعبير عن صفات المؤمنين بتنوع صفاتهم، فمنهم الساجدون بهيئة مخصوصة باكين خاشعين، وتأتي هذه الصفات معبراً عنها بأسلوب المجاز المرسل، كما في قوله - تعالى -: ﴿قُلْ ءَامِنُوا بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَـٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء: ١٠٧-١٠٩].

الخطاب للرسول ﷺ بأن يقول لمن لم يؤمن بهذا القرآن: إن إيمانكم وعدمه لا يزيد في خزائن رحمة الله ﷻ، ولا يُنقص منها شيئاً إن كفرتم؛ لأن الذين آتاهم الله - تعالى - العلم من أهل الكتاب إذا سمعوا تلاوة هذا القرآن المجيد يخرون ويسجدون لأذقانهم إلى الأرض، لعلمهم بأنه من عند الله - الحكيم الحميد - تعظيماً وتكريماً وتنزيهاً وتبرئة مما يقوله المشركون عند ربِّ العزة والجلال؛ لأنهم على يقين من صدقه في إنفاذ ثوابه وعقابه[2].

وترتبط بما قبلها قوله - تعالى -: ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَـٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ۗ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَـٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَـٰهُ تَنزِيلًا﴾ [الإسراء: ١٠٥-١٠٦].

---

(١) ينظر: البيان في ضوء أساليب القرآن (ص ١٤١)، تأليف الدكتور عبد الفتاح لاشين، دار الفكر العربي، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

(٢) ينظر: جامع البيان (٥/ ٧٥).

ذلك أنه بعد أن بين صفات القرآن الكريم، والتي منها أمره بالعدل والإنصاف والأخلاق الحميدة، نهى عن الظلم بكل معانيه، ومما يستقبح من قبائح الأفعال والأخلاق[1]، ثم بين أنه أنزله مفرقاً ليقرأه الرسول ﷺ على الناس على مكث؛ لأن مِنَ الناس مَنْ لا يتهذبون ولا يعون إلا بالتكرار على مدى أزمانٍ طويلة، ولما كثرت الدلائل وعظمت، ولا يزال هناك من لا يعرف ذلك، ناسبه إرشاد المصطفى ﷺ؛ لأن يقول لهم ما جاء في آية الشاهد[2]: ﴿قُلْ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓاْ...﴾ الآيات.

المجاز المرسل في قوله - تعالى -: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ﴾.

في قوله - تعالى -: ﴿لِلْأَذْقَانِ﴾: **مجاز مرسل**؛ لأن الأصل: يخرون على وجوههم، ولكنه عبَّر بالأذقان، وأراد الوجوه، من باب إطلاق الجزء وإرادة الكل على سبيل المجاز المرسل؛ علاقته الجزئية للمبالغة[3]. و**(اللام) للاختصاص**[4]؛ «لأن الذي يخر وهو قائم يخر لوجهه، والذقن مجتمع اللَّحيين، وهو عضو من أعضاء الوجه، وكما يبتدئ المبتدئ يخرُّ، فأقرب الأشياء من وجهه إلى الأرض الذقْن، و﴿سُجَّدًا﴾ منصوب على الحال»[5].

---

(١) ينظر: جامع البيان ص(٥/٧٥).

(٢) ينظر: نظم الدرر ١١/ ٥٣٢، ٥٣٣).

(٣) ينظر: مقدمة تفسير ابن النقيب (ص ٤٧)، والبرهان في علوم القرآن (٢/٢٦٦)، وحاشية القونوي (١١/٦١٠).

(٤) ينظر: الكشاف (٢/٦٧٢).

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٣/٢٦٤) للزجاج، وينظر: إيجاز البيان (٢/٥١٢) للسمعاني.

والتعبير بلفظ: ﴿يَخِرُّونَ﴾: يصور هيئة من تهاوى بقامته، لا يبالي بما يحصل له؛ لانشغال خواطره وعقله ولبه بإظهار كمال الخضوع لله ﷻ، والإقرار بصدق نبيه ﷺ، وبالقرآن الكريم، اللذين ورد ذكرهما في كتبهم؛ لأن لفظ: ﴿يَخِرُّونَ﴾ يشير معناه اللغوي إلى أنهم يسقطون من علو إلى أسفل[1].

وكذلك في ﴿يَخِرُّونَ﴾: **استعارة تبعية** لأن المقصود بالخرور السجود، فشبه السجود بالخرور؛ بجامع الوصول إلى النهاية في كلٍ، ثم تنوسي التشبيه، وادعي أن السجود (المشبه) فرد من أفراد (الخرور) (المشبه به)، ثم استعير الخرور للسجود لتناسبه في الدلالة على الخضوع، ثم اشتق منه يخرون بمعنى يسجدون.

وفي الجملة الكريمة قوله - تعالى -: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ﴾ **كناية** عن اللّحي؛ لأن الإنسان إذا بالغ في سجوده تعظيماً لله - تعالى -، وخشوعاً له، فإنه ربما مسح لحيته على التراب، إذ اللّحي مما يبالغ في تنظيفها، فإذا تعفرت بالتراب، وهو لذلك قاصد؛ فإنه منتهى الخضوع والتعظيم[2].

ومن جمال التعبير القرآني في هذه الآيات الكريمة: ما جاء في قوله - تعالى -: ﴿قُلْ ءَامِنُوا بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا﴾، إذ الخطاب الموجه إلى النبي الكريم ﷺ للتسلية[3]، كما يُلحظ في أسلوب هذا الخطاب، تلطفاً أراد به بسط الحديث

---

(١) ينظر: لسان العرب (٤/ ٢٣٤، ٢٣٥)، (باب الراء فصل الخاء). والخرور: من خرَّ يخر خراً إذا سقط، وخرَّ البناء: سقط، وخرَّ لوجهه يخر خراً وخروراً، أي وقع، وقيل: خرَّ صار في سجوده. ينظر: لسان العرب (٤/ ٢٣٥).

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب (١١/ ٢١/ ٥٨).

(٣) ينظر: نظم الدرر (١١/ ٥٣٣).

تكريماً للرسول ﷺ، ولقد خرج فعل الأمر ﴿ءَامِنُوا﴾ عن وضعه للتهديد والوعيد والخذلان إعراضاً عنهم واحتقاراً، وكذلك عدم الاكتراث بشأنهم[1].

وجملة ﴿ءَامِنُوا بِهِۦ...﴾ الآية، **إنشاء بمعنى الخبر**، ولقد فصل الجملة الثانية قوله - تعالى -: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا...﴾ الآية عن الجملة الأولى قوله - تعالى -: ﴿ءَامِنُوا بِهِۦ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا...﴾ **لشبه كمال الاتصال**؛ لأن الجملة الأولى تفيد سؤالاً تقديره: لماذا التسوية؟، فجاءت الجملة جواباً لهذا السؤال، وتعليلاً أراد به تسلية الرسول ﷺ[2].

ولقد عُبِّر بـ﴿أَوْ﴾ التي للإضراب[3] بدليل ما قيل في معناه أي: لا تؤمنوا بتنزيله[4]، **وأراد بالنفي**: إثبات عظم الدين، وأنه من القوة بحيث لا يحتاج إلى إيمان أمثالهم، فعاقبة الأمر مردودة عليهم؛ لأنهم بالكفر لا يضرون إلا أنفسهم[5]، **وصيغة الفعل**: ﴿تُؤْمِنُوا﴾ تدل على عدم الاكتراث مستقبلاً، كما يُلاحظ عدم تكرار الجار والمجرور ﴿بِهِۦ﴾ ترفعاً بالكلام الكريم عن ضعف التكرار، **وفيه عدم تقييد**، فدل بإطلاقه على عدم إيمانهم بالقرآن الكريم وبكل الكتب السابقة عليه، كما أن في الإطلاق دليلاً على اشتمالهم كل أنواع الكفر.

وفي قوله - سبحانه -: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦ﴾ إذ البَدْء بـ﴿إِنَّ﴾ مع أنَّ الخبر موجه إلى من لا يجهل هذا الخبر، وهو علم أهل الكتابين بصدق الرسول

---

(١) ينظر: الكشاف (٢/٦٧١)، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٧/٢٥٨).

(٢) ينظر: الكشاف (٢/٦٧٢).

(٣) ينظر: الجنى الداني (ص ٢٢٩).

(٤) ينظر: نظم الدرر (١١/٥٣٣).

(٥) ينظر: الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز (ص ١٦٨).

ﷺ وإيمانهم به وبالقرآن الكريم، ومع ذلك فقد أُكِّد الخبر بـ﴿ إِنَّ ﴾: لتحقق الخبر في ذاته، لما فيه من الإشادة بهؤلاء المؤمنين.

ومن صفات أولئك المؤمنين قوله - تعالى -: ﴿إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾ و﴿ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ ﴾؛ إذ جاء التعبير بالظرف ﴿ إِذَا ﴾، ويستعمل لما تحقق وقوعه[1]، وهو هنا سجود الذين أوتوا العلم، لحصوله منهم فعلاً واقعاً، كما أنه خبر متحقق عنهم لا متوقع منهم، ومن ذلك نتبين الدقة في استعمال الألفاظ المناسبة من حيث الزمن في موضعها المناسب، إذ أفادت أنهم متهيئون لدواعي الإيمان التي منها السجود، أياً كان الذي يتلو تلك الآيات، بما دل عليه الفعل المضارع المبني لما لم يسم فاعله: ﴿يُتْلَىٰ﴾.

وجملة: ﴿يَخِرُّونَ﴾ فعلية فعلها مضارع، إشارة للتجدد مما يدل على أن نفوسهم عامرة ببوهج الإيمان حاضرة لقبوله في كل آنٍ.

ومن صفاتهم ما جاء في قوله - تعالى -: ﴿ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴾ حيث التعبير بالجملة الفعلية ﴿يَقُولُونَ﴾ معطوفة على جملة ﴿يَخِرُّونَ﴾ المراد منها التجدد مثلها، واستمرار القول في كل مناسبة.

وفي وصفهم بالثناء لله - تعالى - في السجود تناسب مع ما سيأتي من معنى الوعد، وبالبعث بعد الموت. و﴿ إِنْ ﴾ مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن محذوف تقديره (إنه)؛ والدليل أن (اللام) زحزحت من خبر ﴿إِنَّ﴾ إلى خبر كان[2]،

---

(١) ينظر: الجنى الداني (ص ٣٦٧).

(٢) ينظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٧/ ٢٥٩)، وإعراب القرآن الكريم وبيانه (٤/ ٤٢٣) لمحيي الدين درويش.

والغرض: **تأكيد وعد الله - تعالى - بأكثر من مؤكد**: ﴿إنَّ﴾، و(ضمير الشأن المحذوف)، و(اللام) الواقعة في خبر إن المزحزحة إلى خبر كان.

وفي تكرار الفعل ﴿يَخِرُّونَ﴾: لاختلاف المناسبة بين الموضعين؛ فهم يخرون ساجدين، وأخرى في حال كونهم باكين[1].

ومن أوصافهم الإيمانية أنهم ﴿يَبْكُونَ﴾ بالفعل المضارع إشارة إلى تجدده، وأراد بذلك بيان حالهم التي عقدوا عليها الإيمان[2].

أما صفة الخشوع في قوله ﷻ: ﴿خُشُوعًا﴾: فقد جاءت اسماً، فدلت على ذلهم في سجودهم، وعلى مداومة ذلك[3]، وأشارت إلى لين قلوبهم، ورطوبة أعينهم[4].

والمجاز المرسل أسلوب متسع الأفياء، يستطيع أن يطال التعبير عن المعنويات، كما هو في المحسوسات، فمن صفات المؤمنين قوله - تعالى -: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [الزمر: ٢٢].

الآية الكريمة نزلت في علي بن أبي طالب، وحمزة بن عبد المطلب رضي الله عنهما، وهما من شرح الله - تعالى - صدريهما للإسلام، والقاسية قلوبهم أبولهب وأبناؤه، يدل عليهما بمحذوف تقديره: أفمن شرح الله صدره كالقاسي القلب الذي لا يستجيب لذكر الله ﷻ[5].

---

(١) ينظر: الكشاف (٢/٦٧٢)، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٧/ ٢٥٩).

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب (١١/٢١/٥٨).

(٣) ينظر: ذات المصدر والموضع.

(٤) ينظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٧/٢٥٩).

(٥) ينظر: أسباب النزول (ص ٣٠٧)، والمحرر الوجيز (١٤/٧٦).

والمراد بشرح الصدر: «تكميل الاستعداد له، فإنه محل للقلب الذي هو منبع للروح، التي تتعلق بها النفس القابلة للإسلام، فانشراحه مستدع لاتساع القلب، واستضاءته بنوره»[١].

ومضمونها ومجملها: أفمن شرح الله - تعالى - قلبه لمعرفة الإيمان، والإقرار بوحدانية الله ﷻ، والخضوع لطاعته؛ فأصبح على بصيرة ويقين مما هو عليه، فاستنار قلبه بنور الحق، مما جعله متبعاً لأمره ﷻ، ومنتهياً عما نهاه عنه؛ طلباً لرضا ربِّ العالمين، هذا المؤمن يختلف - بلا شك - عن الذي أقسى الله ﷻ قلبه، وتركه خالياً من ذكره، ممتنعاً عن اتّباع الحق، وأما جواب الاستفهام فقد حذف لمعرفة السامعين المراد من الكلام[٢].

وورد أن توسيع الصدر وشرحه قبل الإسلام حتى يثبت فيه، كما ورد أن توسيع الصدر يكون بالإسلام بالفرح به، والطمأنينة إليه، فعلى هذا يكون شرح الصدر بعد الإسلام[٣].

ولهذا فإن (اللام) في قوله - تعالى -: ﴿لِلْإِسْلَٰمِ﴾ للعلة، أي: شرحه لأجل الإسلام، ولأجل قبوله[٤].

وترتبط الآية بقوله - تعالى -: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُولِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر: ٢١].

---

(١) إرشاد العقل السليم (٥/٣٨٨).

(٢) ينظر: جامع البيان (٦/٣٧٩).

(٣) ينظر: النكت والعيون (٥/١٢١).

(٤) ينظر: التحرير والتنوير (١١/٢٣/٣٨٠).

ذلك أنه بعد خطاب المصطفى ﷺ مبيناً له، جليل قدرته — سبحانه - في إنزال الماء من السماء لإحياء الأرض، ثم إنبات الزرع بألوانٍ وأشكالٍ مختلفة، ثم بعد خضرته ونضارته ييبس ويصير مصفراً، ثم يتحطم. هذه الصور المتحولة كلها أدلة ومواعظ لذوي العقول، الذين يقرون بقدرة الله - تعالى - على إحياء من هلك من الخلق بعد الممات، وإعادته بعد الفناء كما فُعل بالأرض، فناسب ذكر هؤلاء وامتداحهم أن يبين في آية الشاهد حقيقة هؤلاء المؤمنين، بأنهم الذين شُرحت صدورهم لنور الإيمان[1] فقال عنهم: ﴿أَفَمَن شَرَحَ﴾[2].

ومن الصور البلاغية في الآية:

الاستفهام الإنكاري[3] في قوله - تعالى -: ﴿أَفَمَن شَرَحَ...﴾.

وهذا المعنى متناسب مع مدلول الآيات؛ لأن هناك من أنكر الظواهر الدالة على قدرته - سبحانه -، بينما من كان من ذوي الألباب، فإنهم اختصوا بالتذكر والفهم[4]. **وإسناد الشرح إلى الله ﷻ**: دليل على عظمته، وعلى أهمية إيمان ذلك المؤمن الذي انشرح صدره.

---

(١) «والإيمان والمعارف أنوار، فمنهم من يضيء نوره جميع الجهات، ومنهم من لا يضيء نوره إلا موضع قدميه، فإيمان آحاد العوام نوره كنور الشمع، وبعضهم كنور السراج، وإيمان الصديقين نوره كنور القمر والنجوم على تفاوتها، وأما الأنبياء، فنور إيمانهم كنور الشمس وأزيد، فكما ينكشف في نورها كل الآفاق مع اتساعها، ولا ينكشف في نور الشمع إلا زاوية ضيقة من البيت، كذلك يتفاوت انشراح الصدور بالمعارف، وانكشاف سعة الملكوت لقلوب المؤمنين». تفسير روح البيان (١٢٩/٦).

(٢) ينظر: جامع البيان (٣٧٩/٦).

(٣) ينظر: نظم الدرر (٤٨٥/١٦)، وإرشاد العقل السليم (٣٨٦/٥)، وينظر كذلك (ص ٣٨٨)، وتفسير روح البيان (١٢٩/٨).

(٤) ينظر: نظم الدرر (٤٨٥/١٦).

والبلاغة في النفي الإنكاري - هنا -: نفي المساواة بين المؤمن المطيع، والكافر العاصي. و(الفاء) في قوله - تعالى -: ﴿أَفَمَن﴾ عاطفة على ما تقديره: «أكل الناس سواء! فمن شرح الله صدره أي خَلَقه متَّسع الصدر، مستعداً للإسلام، فبقي على الفطرة الأصيلة، ولم يتغير بالعوارض المكتسبة القادحة فيها»[١]. وخبر (مَنْ) محذوف، تقديره: (كمن جعل صدره ضيقاً)[٢]، المراد منه التشابه لا التشبيه، وفي الحذف إيجاز بديع، وهو الإيماء إلى أن شرح الصدر للإسلام لا يوجد له مساوٍ، لا في اللفظ ولا في الواقع[٣].

وفي قوله - تعالى -: ﴿صَدْرَهُۥ﴾ **مجاز مرسل**؛ لأن المراد بالصدر القلب، والعلاقة المجاورة[٤].

وأيضاً فيه **مجاز عقلي**: حيث إنه أوقع الشرح على الصدر، وهو واقع على القلب، والعلاقة المكانية؛ لأن الصدر مكان القلب، وجعله محلاً للإسلام، مما يدل على شدته، وإفراط كثرته، حتى فاضت وملأت الصدر، فضلاً عن القلب[٥].

وفي قوله - تعالى -: ﴿فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾.

(الفاء): سببية، تفرع ما بعدها بسبب ما قبلها[٦].

---

(١) إرشاد العقل السليم (٥/٣٨٨).

(٢) ينظر: أنوار التنزيل (٢/٣٢٣)، وحاشية ابن التمجيد وحاشية القونوي (١٦/٥٠٩).

(٣) ينظر: تفسير روح البيان (٨/١٢٩).

(٤) ينظر: حاشية القونوي (١٩/٥٠٨)، والتفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم (٣/٤٢٤).

(٥) ينظر: حاشية الشهاب (٨/١٩٥).

(٦) ينظر: إرشاد العقل السليم (٥/٣٨٨)، والتحرير والتنوير (١١/٢٣/٣٨٠).

وفي الجملة الكريمة:

١- استعارة بالكناية: حيث شبه النور بمطية ذلول، يستعين راكبها على قضاء منافعه في سرعة ويسر، وحذف المشبه به، ورمز إليه بشيء من لوازمه؛ لأنه الغرض الأهم من الاستعارة، وهو حرف الجر ﴿عَلَىٰ﴾ ليدل على التمكن.

وبلاغتها: في إخراجها المعنوي في صورة الحسي اعتناءً به، وتمثيلاً لمعناه.

٢- وإما استعارة تمثيلية: حيث التشبيه فيها يكون هيئة بهيئة، فقد شُبهت الهيئة المركبة من العلم بدين الله - تعالى - في الحياة، وتطبيقه في كل قولٍ وعملٍ، مع اطمئنان القلب بالهيئة الحاصلة من امتطاء مطية يصرفها راكبها في قضاء منافعه بيسرٍ وطمأنينة.

والجامع بين المستعار والمستعار له: هو كمال التمكن من إصابة المراد والشعور بالسعادة.

٣- وفي الآية: استعارة النور للإيمان، أو للهداية أو للعلم[1]، **استعارة تصريحية أصلية**، والجامع: وضوح الرؤية في كلٍ منهما، كما تتجه إلى نور الهداية الأبصار.

---

(١) ينظر: حاشية الشهاب (١٩٤/٨).

المبحث الثالث

الاستعارة

الاستعارة لغة:

يقال أعار الشيء إعارةً، وعاره: أعطاه إياه عارية[1].

الاستعارة اصطلاحاً:

«أن يكون لفظ الأصل في الوضع اللغوي معروفاً، تدل الشواهد على أنه اختص به حين وضع، ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر، في غير ذلك الأصل، وينقله إليه نقلاً غير لازمٍ، فيكون كالعارية»[2]، وهذا المعنى الذي توصل إليه عبد القاهر قد فتق قرائح العلماء المحدثين على استنباط **المعنى الاصطلاحي** بدقةٍ متناهية، قولهم: إنها استعمال اللفظ في غير ما وضع له؛ لعلاقة المشابهة بين المعنى الأصلي والمعنى المجازي[3]، مع وجود قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي[4].

---

(١) ينظر: المعجم الوسيط (٢/٦٣٦).

(٢) أسرار البلاغة (ص ٢٢)، ت/ رشيد رضا. وقوله: لفظ الأصل، أراد به المشبه به. ولقد سبق عبد القاهر إلى تعريفها بمثل ذلك أبو هلال العسكري في كتاب الصناعتين. ينظر: (ص ٢٧٤).

(٣) أي الأصل اللغوي المأخوذ منه لفظ استعارة.

(٤) ينظر: علم البيان (ص ١٦٩) للدكتور بسيوني فيود.

كما أوحى إلى ابن الأثير ببيان العلاقة بين الاستعارة الحقيقية والمجازية، حيث قال: «إن الأصل في الاستعارة المجازية مأخوذ من العارية الحقيقية التي هي ضرب من المعاملة، وهي أن يستعير بعض الناس من بعضٍ شيئاً من الأشياء، ولا يقع ذلك إلا من شخصين بينهما سبب معرفة ما يقتضي استعارة أحدهما من الآخر شيئاً، وإذا لم يكن بينهما سبب معرفة بوجه من الوجوه، فلا يستعير أحدهما من الآخر شيئاً؛ إذ لا يعرفه حتى يستعير منه»[1].

والاستعارة: تشبيه حُذف أحد طرفيه، ووجه الشبه، والأداة، حيث يقول في ذلك الرماني[2]: «والفرق بين الاستعارة والتشبيه: أنَّ ما كان من التشبيه بأداة التشبيه في الكلام فهو على أصله، (....)، وليس كذلك الاستعارة»[3].

---

(١) المثل السائر (٢/ ٦٢، ٦٣)، وينظر: كتاب الطراز (ص ٩٦)، وهو - أي ابن الأثير - الذي أوحى إلى المحدثين بتعريف البلاغة أنها: «مأخوذة من العارية، وهي نقل الشيء من حيازة شخصٍ إلى شخصٍ آخر، حتى تصبح تلك العارية من خصائص المعار إليه، والإلصاق به، وبهذا المعنى كانت ذات صلة بالمعنى الاصطلاحي الذي عرفت به لدى علماء البلاغة، لما في نقل اللفظ من معنى عرف به في أصل اللغة إلى معنى آخر لم يعرف به هذا اللفظ؛ حتى يصبح هذا اللفظ من الدلائل عليه، وذلك المعنى من لوازم هذا اللفظ». الاستعارة، نشأتها، تطورها، أثرها في أساليب العربية (ص ٥)، للدكتور محمود سيد شيخون، مكتبة الكليات الأزهرية، ط٢، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

(٢) علي بن عيسى بن علي الأديب النحوي أبو الحسن الرماني، من علماء العربية، تتلمذ على ابن دريد وابن السراج، له من التصانيف: شرح كتاب سيبويه، ومعاني الحروف وغيرها. توفي سنة٣٨٤هـ. ينظر: البلغة (١٢٥)، هدية العارفين (٢/ ٥٤٧).

(٣) النكت في إعجاز القرآن (ص ٨٥، ٨٦).

وهو ما عبَّر عنه الطيبي[(١)] بقوله: أن «تذكر أحد طرفي التشبيه، وتريد به الآخر؛ مدعياً دخول المشبه في جنس المشبه به، دالاً عليه بإثباتك للمشبه ما يخص المشبه به من اسم جنسٍ، أو لازمه، أو لفظ يستعمل فيه»[(٢)].

ولهذا، فقد تميزت الاستعارة بمحاسن التشبيه، وحازت على فضائل الاستعارة، التي منها دقة التصوير والإبداع في نقل المعنى بصورة موجزة محسَّةٍ يشعر بها الذكي الحاذق في فهم ما وراء الألفاظ: «بنقل الكلمة عما وضعت له، والتشبيه يكون بأداته الدالة عليه في اللغة»[(٣)].

وأما الغرض من الاستعارة: فمنه «شرح المعنى، وفضل الإبانة عنه، وتأكيده والمبالغة فيه، والإشارة إليه بالقليل من اللفظ، وتحسين المعرض الذي

---

(١) الحسين بن محمد بن عبد الله الطيبي - بكسر الطاء -: إمام وعلامة في علوم العربية والمعاني والبديع، شديد الحب لله ولرسوله ﷺ، ومن الأدلة على ذلك تفسيره لكشاف الزمخشري، وتأليفه في الحديث الشريف (الخلاصة في أصول الحديث)، و(الكاشف عن حقائق السنن)... ومما يميزه كذلك أنه كان محباً لمن عرف عنهم تعظيم الشريعة السمحاء. زهد في الدنيا، فانصرف عنها لخدمة العلم وأهله، وإنفاق ما ورثه، وما كسبه من التجارة في سبيل الله ﷻ، ولقد أحاط كل ذلك بخلق رفيع، وهو خلق العلماء، كما توجه إلى تعليم طلبة العلوم الإسلامية دون مطمع، يبتغي بذلك وجه الله تعالى. توفي بعد أن صلى النافلة في المسجد، وقعد ينتظر صلاة الفريضة، متوجهاً إلى القبلة سنة (٧٤٣هـ)، ولقد سماه السيوطي في بغية الوعاة بالحسن بدل الحسين. ينظر: بغية الوعاة (١/ ٥٢٢)، وشذرات الذهب (٣/ ١٣٧)، والبدر الطالع (ص ٢٤١)، ومعتقده كما وُصف بأنه من أهل السنة والجماعة، ولكن بالمعنى العام الذي يشمل الأشاعرة والماتريدية. ينظر: المدخل إلى دراسة بلاغة دراسة أهل السنة (ص٨٧).

(٢) التبيان في علم المعاني والبديع والبيان (ص ٢٢٧).

(٣) النكت في إعجاز القرآن (ص ٨٦).

يبرز فيه»[1]. وبهذه الأوصاف تبلغ فائدة الحقيقة، وتزيد عليها بزيادة فائدة، وهي إثارة النفس، وإلهاب الذهن والفكر لطلب المعنى، وهو مما يجعل المعنى بالنفس ألصق وألزم، ولطلبه أدوم، ولقد أضاف الشيخ عبد القاهر - إلى ما سبق - ما يفصح عن أسرار جمال الاستعارة، وأثرها في نظم الكلام، حيث يقول: «هي أمدّ ميداناً، وأشدّ افتناناً، وأكثر جرياناً، وأعجب حسناً وإحساناً، وأوسع سعةً، وأبعد غوراً، وأذهب نجداً في الصناعة وغوراً، من أن تجمع شعبها وشعوبها، وتحصر فنونها وضروبها...»[2]، أراد بذلك أن الغرض من الاستعارة: هو المبالغة في بيان الصورة، واستجلاء معانيها بمظهر جميلٍ خلّابٍ، له أثره في توضيح المعنى وإثارة الخيال، مما يسهم في تعلق المعنى بالنفس، ومن خصائصها المميزة لها - أي للاستعارة - أنها تعطي الكثير من المعاني باليسير من اللفظ، حتى تُخرج من المعنى الواحد كثيراً من المعاني، مما يجعلها تغاير ألوان علم البيان الأخرى، وإن كانت لا تفوقها، ولكن يظل للاستعارة مكانتها المتألقة.

هذا وإن كانت الاستعارات القرآنية الكريمة، قد وقعت في الألفاظ المفردة والمركبة؛ فإنها كذلك قد وقعت في الحروف، ويقوم ذلك على أن الكلمة منفردة لا تؤدي معنى، ولا تفي بغرض إلاّ إذا ضمت إلى أخواتها[3]، وهذه النظرية المعروفة، والتي كان رائدها الشيخ عبد القاهر؛ كان لها

---

(١) كتاب الصناعتين (ص ٢٧٤).

(٢) أسرار البلاغة (ص ٣٢)، تحقيق رشيد رضا.

(٣) ينظر: دلائل الإعجاز (ص ٣٨٦).

جذور لدى الزجاجي[1] حيث يقول: «فإنك سألتني أن أضع لك كتاباً أشرح لك فيه جميع معاني الحروف، وعلى كم وجه يتصرف الحرف فأجبتك إليه»[2]، فالزجاجي: «يذكر استعمالات الحرف المختلفة في تراكيب مختلفة، ثم يذكر دلالته في كل تركيب»[3]، وهذا يدل على أن معاني الحروف متعددة كذلك، بحسب السياق الذي تأتي فيه، وهو ما يطلق عليه **الاستعارة المكنية**.

ومما يكسب الاستعارة مكانةً في علم البيان، ويعطيها قيمةً ومزيد فضلٍ تعددُ أنواعها، ودقة الفروق فيما بينها. فمن أنواعها المكنية، والتصريحية، والتهكمية، والعنادية[4]، وليس المقام هنا لتفصيلها، وإنما لتقديم بعض شواهد منها على آيات صفات المؤمنين. فمن ذلك قوله - تعالى -: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦].

---

(١) عبد الرحمن بن إسحاق أبو القاسم الزجاجي، تلميذ الزجاج، وإليه نسب، وأخذ عن أبي جعفر الطبري، درس في جامع بني أمية في دمشق، وكان حسن الشارة مليح البزة. له من التصانيف: الجمل في النحو، وشرح أسماء الله الحسنى، توفي بطبرية سنة ٣٤٠ هـ. ينظر: الفهرست (ص ١١٨)، والبلغة في تاريخ أئمة اللغة (ص ١٠٥).

(٢) كتاب حروف المعاني (ص ١) للزجاجي.

(٣) كتاب حروف المعاني. (القسم الأول من الدراسة بقلم المحقق (ص ٢٥).

(٤) ولمعرفة تفاصيل هذه الأنواع ينظر: التبيان في علم المعاني والبديع والبيان (ص ٢٢٧-٢٥٤)، وينظر: علم البيان (ص ١٦٩) وما بعدها للدكتور بسيوني عبد الفتاح فيود.

من أسرار المناسبة:

هذه الآية المباركة وما بعدها مرتبطة بالقرآن الكريم كله ؛ لكونها دالة على إثبات قضاء الله وعلى النبوات، ولاشتمالها على المطالب الأربعة التي هي أعظم مقاصد القرآن[1].

وجه ارتباطها بسورة البقرة:

أنه «لما أخبر - سبحانه وتعالى - أن عباده المخلصين سألوا في الفاتحة هداية الصراط المستقيم الذي هو غير طريق الهالكين، أرشدهم في أول التي تليها إلى أن الهدى المسؤول عنه إنما هو في هذا الكتاب، وبين لهم صفات الفريقين الممدوحين بالهداية ؛ حثاً على التخلق بها، والممنوعين منها زجراً عن قربها، فكان ذلك من أعظم المناسبات لتعقيب الفاتحة بالبقرة، لأنها سيقت لنفي الريب عن هذا الكتاب، ولأنه هدىً للمتقين، ولوصف المتقين وما يجازون به بما في الآيات الثلاث»[2].

ومن ناحية أخرى، فإن هذه الآية مرتبطة بسابقاتها لتتمم معها تفرد المؤمن بطلب كمال الإيمان ؛ حيث قال - تعالى -: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ فهي إشارة إلى الأمور التي لا بد من معرفتها لكمال إخلاص العبودية لله ﷻ، وهي نوعان: الأعمال، والآثار المتفرعة على الأعمال، أما الأعمال فلها ركنان: أحدهما الإتيان بالعبادة، وهو قوله سبحانه: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾. والثاني علمه بأنه لا يمكنه ذلك إلاّ بإعانة الله

---

(١) ينظر: تناسق الدرر في تناسب السور (ص ٦٢)، والمطالب الأربعة: الأحكام النظرية، والأحكام العملية، والاطلاع على مراتب السعداء، ومنازل الأشقياء. (المصدر ذاته).

(٢) تناسق الدرر في تناسب السور (ص ٦٢).

- عز وجل -، وهو قوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فجاء قوله تعالى: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ أحد الآثار المتفرعة على الأعمال، فهي حصول الهداية، والتحلي بالأخلاق الفاضلة المتوسطة بين الطرفين المستقيمة بين المنحرفين[١].

ولما كان المؤمن حريصاً على دينه، فلا بد له من طلب التوفيق، والثبات عليه[٢]، وطلب حصول الملكات، والأخلاق الفاضلة[٣]، كما في قوله - تعالى -: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى﴾ [محمد: ١٧]، وقوله - سبحانه -: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩]. وفي هذا المعنى قال علي بن أبي طالب، وأُبيٌّ رضي الله عنهما: اهدنا: ثبتنا، وصيغة الأمر والدعاء واحدة، لأن كل واحدٍ منهما طلب، وإنما يتفاوتان في الرتبة، كما أنهما يستعملان لطلب الثبات والدوام على الصفة[٤]. وأضاف النيسابوري[٥] بأن المراد «طلب الهداية من المؤمن وهو مهدي، تحصيل للحاصل (...) المراد منه صراط الأولين في تحمل ما يشق، وكأن تحمل المشاق العظيمة لأجل مرضاة الله

---

(١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (١/ ١١١) بتصرف، ولقد جمع هذه الآثار المتفرعة ابن قيم الجوزية في عشر مراتب في مصنفه: بدائع التفسير (١/ ١١٠، ١١١).

(٢) ينظر: جامع البيان (١/ ٧٢).

(٣) ينظر: الكشاف (١/ ٢٥).

(٤) الكشاف (١/ ٢٥)، وينظر: المطول (ص ٤٢٨).

(٥) نظام الدين الحسن بن محمد بن الحسين الخراساني المعروف بالنظام الأعرج النيسابوري، نزيل قم، المتوفى سنة ٧٢٨ هـ، من تآليفه: تفسير القرآن، وشرح مفتاح العلوم للسكاكي، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان في التفسير. انظر: كشف الظنون (٢/ ١٠٤)، وهدية العارفين (١/ ٢٣٤).

تعالى»[١]، فخلص البيضاوي إلى أن المطلوب: إما زيادة ما مُنحوه من الهدى، أو الثبات عليه، أو حصول المراتب المرتبة عليه[٢].

فمن فسر طلب الهداية بالثبات على الدين؛ أو بطلب الزيادة **فهي مجاز**، وإن اعتبر خارجاً عنه مدلولاً عليه بالقرائن كان حقيقة[٣]. ولقد فسَّر زاده[٤] هذا المجاز بقوله: «إن الزيادة، وإن كانت من جنس المزيد عليه؛ إلاّ أن الثبات على ما حصل من الهداية خارج عن المعنى الأصلي للفظ الهداية، واللفظ المستعمل في مجموع المعنى الأصلي، وما هو خارج عنه، يكون مجازاً؛ لكونه في غير ما وضع له»[٥].

والهداية[٦]: دلالة بلطفٍ، ولذلك تستعمل في الخير، وأما قوله تعالى:

---

(١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (١/١٩٦).

(٢) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١/١٠).

(٣) ينظر: الإيضاح (ص ٢٥٤)، وينظر: إرشاد العقل السليم (١/٢٧).

(٤) هو: محمد بن مصلح الدين مصطفى القوجوى محيى الدين الحنفي المعروف بشيخ زاده المدرس الرومي، له من الكتب: الإخلاصية في تفسير سورة الإخلاص، وتعليقه على شرح الهداية لابن مكتوم، وحاشية على أنوار التنزيل للبيضاوي، وغيرها، توفي سنة ٩٥١ هـ. ينظر: هدية العارفين (١/١١٩).

(٥) حاشية زاده (١/٤٦)، وينظر: التحرير والتنوير (١/١/١٨٨).

(٦) ومنه الهدية، وهوادي الوحش لمقدماتها، والفعل منه (هدى)، وأصله أن يُعدَّى باللام، فعومل معاملة اختار. ينظر: المفردات (ص ٥٣٨)، والفعل لا تختلف معانيه باعتبار كيفية تعديته إلا إذا ضمن معنى فعل آخر. على أن كلاً من الهُدى والهداية اسم مصدر، والمصدر هو الهَدْي، وتعدية الفعل وعدمها إنما ترجع إلى المعنى، وهدى متعدٍ لواحد لا محالة، وفي تعديته لثانٍ: فإن اعتبر معنى الإرادة والإبانة تعدى بنفسه، وإن اعتبر مطلق الإرشاد فيتعدى بحرف. ينظر: التحرير والتنوير (١/١/١٨٨).

﴿فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٢٣]، وارد على التهكم، مبالغة في المعنى[1].

«من بلاغة الآية الكريمة الاستعارة في قوله - تعالى -: ﴿ٱلصِّرَٰطَ﴾، وهو لفظ مشتق من صرطْت الشيء أصرطه، إذا بلعته بلعاً سهلاً، فسمي الطريق صراطاً؛ لأنه يسترط المارة فيه، والصراط ما جمع خمسة أوصافٍ: أن يكون طريقاً مستقيماً، سهلاً، مسلوكاً، واسعاً، مُوصلاً إلى المقصود، فلا تُسمي العرب الطريق المعوج صراطاً، ولا الصعب المُشِق، ولا المسدود غير الموصل (...)، وبنوا الصراط على زنة (فِعَال) لأنه مشتمل على سالكه اشتمال الحَلْق على الشيء المسروط»[2]. وقصد بالصراط هنا: الطريق المستقيم، وهو الدين الحق، والمراد ملة الإسلام يعني: الحنيفية، وقيل: إن المراد به القرآن، وقيل: الدين، وقيل: هو رسول الله ﷺ وصاحباه: أبو بكر، وعمر رضي الله عنهما، والتقدير: طريق محمد ﷺ[3]، والملاحظ أن المفسرين، وإنْ اختلفوا في المعنى الذي استعير له الصراط، فإنهم لم يختلفوا أنه قد شبه الدين الإسلامي في

---

(١) ينظر: المفردات (ص ٥٣٨)، وينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١/١٠).

(٢) بدائع الفوائد (٢/١٦)، وعرف عن هذا الوزن أنه كثير في المشتملات على الأشياء، كاللحاف والخمار والرداء والغطاء والفراش. ينظر: ذات المصدر والموضع. والصراط: اسم عربي، وذكر أنه الطريق بلغة الروم. وأحسن الطرق ما كان مستقيماً، لأنه باستقامته فهو أقرب الطرق الموصلة إلى المقصود. ينظر: التحرير والتنوير (١/١/١٩١).

ولقد ورد في قراءة (الصراط) بالسين وبالصاد عند جمهور العرب، إلاّ قريشاً، فإنهم نطقوها بالصاد مبدلة عن السين، لقصد التخفيف. ينظر: الكشف عن وجوه القراءات السبع (١/٣٤)، ولسان العرب (٧/٣١٤، ٣١٥) (باب الطاء، فصل السين).

(٣) ينظر: الجواهر الحسان (١/٤٢).

صدقه، وصحة مسلكه بالطريق الذي تطرقه السابلة.

وهو من قبيل استعارة محسوسٍ لمعقول[1]، وسر بلاغته: أنه جعل الدين معنى تتجسد صورته في الأذهان كما ترد هيئة الطريق المستقيم على الأعين.

«وهذا كله مضمون شهادة أنْ لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، فأي شيء فسر به الصراط، فهو داخل في هذين الأصلين، ونكتة ذلك، وعقْده أن تحبه بقلبك كله، وترضيه بجهدك كله، فلا يكون في قلبك موضع إلا معمور بحبه، ولا تكون لك إرادة إلاّ متعلقة بمرضاته»[2].

الاستعارة: أنه استعار (لفظ الطريق) لمناسبته المعنى المسوق له في الآية الكريمة، وهو الدين وأحكامه، وحذف المشبه، وصرح بلفظ المشبه به، فهي استعارة تصريحية، وبما أن لفظ المشبه قد نقل عن معناه الأصلي إلى معنى عقلي (وهو السير على نهج الإسلام)، وبما أن المعنى قد تحقق في المشبه به؛ لأن الداعين مؤمنون فهي تحقيقية، وذلك بقرينة الاهتداء التي هي من صفات طارقي السبيل، وتعد وفاقية لإمكان تواجدها في المشبه والمشبه به؛ لأنه لا بد من الاستقامة في كلٍ منهما. وهي أصلية لأنها في المصدر ﴿ٱلصِّرَٰطَ﴾. وقُيِّدت (أي المشبه به) بـ﴿ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾. **فهي استعارة ترشيحية.**

ومن اللطائف والأسرار الجمالية في نظم هذه الآية الكريمة:

١- الدعاء بلفظ الجمع في قوله - تعالى -: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾.

٢- إن ضمير الجمع هنا مطابق لقوله - تعالى -: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

---

(١) ينظر: المطول (ص ٥٧٩).

(٢) بدائع الفوائد (٢/ ٤٠).

٣- والإتيان بضمير الجمع في الموضعين أفخم وأحسن، فإن المقام مقام عبودية وافتقار إلى الرب – تعالى -، وإقرار بالفاقة إلى عبوديته، واستعانته، وهدايته[١].

٤- ولا يخفى ما في تقديم ضمير الفصل في قوله – تعالى -: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ من الاختصاص؛ إذ تحقق بذلك **القصر الحقيقي التحقيقي**؛ لأنه مما يطابق الحقيقة والواقع أنهم يصرفون عباداتهم كلها إلى الله - تعالى - وحده.

وأما في قوله - تعالى -: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فإن **القصر إضافي**؛ لأن الاستعانة الحقيقية، وإن كانت بالله ﷻ، إلاّ أنها يمكن أن تكون بغيره - سبحانه - مما هو في طاقة البشر.

٥- تعدي الفعل بنفسه: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ﴾ له دلالته البلاغية. ذلك أن الفعل **(هدى)** إذا تعدى باللام دل على الاختصاص والتعيين، يقال: هديته لكذا، أراد: ذكرته له، وجعلته، وهيأته لكذا، وإن تعدى بـ(إلى) تضمن معنى الإيصال إلى الغاية المطلوبة. وأما إن تعدى بنفسه - كما في الآية الكريمة - فقد تضمن المعنى الجامع لكل ما سبق، وذلك مناسب لصفات المؤمنين الذين يطلبون من الله ﷻ معرفة صراطه، وبيان مسلكه، وأن يلهمهم ذلك، ويعينهم عليه، فيجعل في قلوبهم علم الوصول إليه، والقدرة على ذلك. فهذه بلاغة تعدى الفعل بنفسه لتضمنها المراتب كلها[٢].

---

(١) ينظر: بدائع الفوائد (٢/٣٩).

(٢) ينظر: المصدر ذاته (٢/٢١-٢٢).

والأمر في قوله - تعالى -: ﴿ٱهْدِنَا﴾ خرج من معناه إلى معنى الالتماس والدعاء[1]، وهو من أجل صفات المؤمنين.

٦- تعريف ﴿ٱلصِّرَٰطَ﴾ باللام: الداعي هنا يطلب الهداية إلى الصراط المستقيم المعين الذي نصبه الله - تعالى - لأهل نعمته، وجعله طريقاً إلى رضوانه وجنته، وهو دين الله - تعالى -، فالمطلوب أمر معين في الخارج والذهن، لا شيء مطلق منكر، واللام هنا للعهد العلمي الذهني؛ وهو طلب الهداية إلى معهود قد استقر في القلوب حب معرفته وتصديقه.

٧- أنه لما تقرر عند المخاطبين أن لله - تعالى - صراطاً مستقيماً، هدى إليه أنبياءه ورسله، وكان المخاطب - سبحانه - المسؤول عن هدايته، عالماً به، دخلت عليه اللام، فأكسبته هذا التعريف، والذي أفاد قوة الحصر، فكأنه قيل: الذي لا صراط مستقيماً سواه، وهذا الاختصاص فهم من اللفظ[2].

وتتنوع الاستعارة، ولكل موقع فيها سر بلاغي يجعل لصفات المؤمنين وهجاً متميزاً، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ٥].

من أسرار البلاغة:

مناسبة الآية الكريمة لسورة البقرة: من بديع أساليب القرآن الكريم البلاغية الإجمال في موضع، ثم التفصيل في موضع آخر، فما شُرح في سورة البقرة هو ما أُجمل في سورة الفاتحة التي صنفت الناس إلى ثلاثة أصناف: مهتدين،

---

(١) ينظر: معجم البلاغة القرآنية (ص ٨).

(٢) ينظر: بدائع الفوائد ٢/١٢-١٦).

ومعاندين، وضالين، ثم التفصيل في أول سورة البقرة؛ حيث قُسموا إلى: متقين، وكافرين مصارحين، وهم المعاندون، ثم الضالون، وهم المنافقون، وهذا دأب القرآن الكريم الإجمال ثم التفصيل[1]، فكانت آية الشاهد الكريمة هي إجمال لوصف المتقين بالهداية بعد تفصيل صفاتهم، ثم بينت حسن مآلهم، وجميل عاقبتهم، وهي الفلاح والفوز في الآخرة.

وهذه الصفات من أزكى صفات المؤمنين، ومناسبة تعلق الآية الكريمة بما قبلها قوله - تعالى -: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾[البقرة: ٤]. فيه عدة وجوه:

الأول: أن ينطوي الابتداء بـ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ على استئناف، و﴿أُولَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى﴾ خبره، وذلك لأنه لما قيل: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ فخص المتقين: بأن الكتاب هدىً لهم، وأنهم الذين صفاتهم ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ إلى قوله – تعالى -: ﴿وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾، وهو جواب لمن يسأل عن سبب اختصاص المتقين بذلك، فكأنه قيل: الذي يكون مشتغلاً بالإيمان، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والفوز بالفلاح والنجاة، لا بد وأن يكون على هدىً من ربه.

الثاني: الابتداء به - أي بالذين يؤمنون بالغيب - جعل الوصف تابعاً للمتقين، ويقع الاستئناف على أولئك، كأنه قيل: ما المسبب في أن صار

---

(١) ينظر: نظم الدرر (١/ ١٢).

الموصوفون بهذه الصفات مختصين بالهدى، فأجيب بأن أولئك الموصوفين غير مستبعدٍ أن يفوزوا دون الناس بالهدى عاجلاً، وبالفلاح آجلاً[(١)].

الثالث: أن يجعل الموصول الأول صفة ﴿ٱلْمُتَّقِينَ﴾، ويرفع الثاني على الابتداء، و﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ خبره، ويكون المراد جعل اختصاصهم بالفلاح والهدى تعريضاً بأهل الكتاب الذين لم يؤمنوا بنبوة رسول الله ﷺ، وهم يظنون أنهم على الهدى، ويطمعون في أن ينالوا الفلاح عند الله - تعالى -[(٢)].

وهناك مناسبة من جهةٍ أخرى: فإن الإشادة بهم باسم الإشارة ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ إشادة بثمرة الإخلاص والعبادات، مدلاً بأنه «لما تضمن ما مضى أن إيمانهم كان من أعظم الاستدلال، فأثمر لهم التمسك بأوثق العرى من الأعمال؛ واستحقوا الوصف بالاستعلاء الذي معناه التمكن، فقال: ﴿عَلَىٰ هُدًى﴾ **أي: عظيم**»[(٣)].

مواضع الاستئناف:

ويتضح الاستئناف الأول في: ﴿عَلَىٰ هُدًى﴾ نتيجةً لسؤال تقديره: ما بال هؤلاء المؤمنين مخصوصين بهذا؟ فقيل: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾، فإنه بتصريح هذا الجواب حصل الاستئناف[(٤)].

---

(١) ينظر: حاشية السيد الشريف الجرجاني على الكشاف (١/ ١٣٨، ١٣٩)، الناشر دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، الطبعة بدون.

(٢) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١/ ٢٠)، وينظر: مفاتيح الغيب (١/ ٢/ ٣٢)، وينظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان (١/ ٢٧٦).

(٣) نظم الدرر (١/ ٨٩، ٩٠).

(٤) ينظر: بدائع الفوائد (١/ ٢٦١)، وينظر: حاشية زاده (١/ ١٠٢).

ويتضح الاستئناف الثاني: في إعادة صفة مَنِ استؤنف عنهم الحديث، وهم ﴿ٱلْمُتَّقُونَ﴾، كما في قولك: أحسنتَ إلى زيد صديقك؛ صديقك القديم حقيق بالإحسان.

فإعادة اسم الإشارة هنا كإعادة الموصوف بصفاته المذكورة، بل هو أبلغ من إعادة الاسم؛ لأنه موضوع لإحضار الذات المتقدم ذكرها، كما أن فيه إشعاراً بعظمة الحكم، وكذلك ترتب الحكم على الوصف المناسب مشعر بوجوب ذلك الحكم، وكل هذه المفاهيم والمعاني أفادها إعادة اسم الإشارة، وفي إعادته اختصار وإيجاب من أن يُعاد الموصوف بصفاته المذكورة[1].

ومن الأساليب البلاغية المحتملة في قوله - تعالى -: ﴿عَلَىٰ هُدًى﴾:

١ - **أن يكون تشبيهاً ضمنياً:** وذلك بأن شبهت هيئة تمكنهم من الهدى، وثباتهم عليه، ومحاولتهم الزيادة منه، والسير في طريق الخيرات؛ بهيئة الراكب في الاعتلاء على المركوب، والتمكن من تصريفه، والقدرة على إراضته، شبهت حالهم المنتزعة من متعدد بحالة الراكب المنتزعة من متعدد (المشبه به)؛ ودل على ذلك حرف الاستعلاء، لأن الاستعلاء أقوى أنواع تمكن شيءٍ من شيء.

أما البلاغة في تقدير مركوب دون ما يُعْتلى؛ فلأن الركوب هو أول ما يتبادر إلى الذهن، بل هو أكثر أنواع استعلائهم لذلك، فهو حاضر في أذهانهم، وورد

---

(١) ينظر: أنوار التنزيل والتأويل (١/ ٢١)، وينظر: غرائب القرآن (١/ ٢٧٥)، وحاشية زاده (١/ ١٠٢).

من ذلك قولهم: جعل الغواية مركباً وامتطى الجهل، وكما في قول النابغة[١] يهجو عامر بن الطفيل الغَنَوي[٢]:

فإن يك عامر قد قال جهلاً فإن مطيَّة الجهلِ الشبابُ[٣]

والتعبير بكلمة ﴿عَلَىٰ﴾ وهي إحدى لوازم الركوب، تبين الهيئة المشبه بها على وجه الإيجاز، والتقدير: (أولئك على مطية الهدى)[٤].

٢- أن تكون استعارة تمثيلية تصريحية: حيث التعبير بكلمة ﴿عَلَىٰ﴾، وهي إحدى لوازم الركوب، تبين الهيئة المشبه بها على وجه الإيجاز، والتقدير:

---

(١) النابغة: زياد بن معاوية بن ضباب من ذبيان، وذبيان من غطفان، وغطفان من جذم قيس عَيْلان بن مُضَر، وورد أنه: زياد بن عمرو بن معاوية، ولقب بالنابغة لقوله:

وحلّت في بني القَيْن بن جَسْرٍ فقد نبغت منهم شؤون

وكنيته: أبو أمامة، وقد قال عنه عمر بن الخطاب ﷺ: "النابغة أشعر غطفان"، وقال أيضاً: "النابغة أشعر العرب". وهو من الطبقة الأولى من المقدمين على سائر الشعراء. ينظر: طبقات فحول الشعراء (١/٥٦) لمحمد بن سلام الجمحي، شرح محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، والأغاني (٩/ ١٦٢).

(٢) عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب العامري، وهو ابن عم لبيد الشاعر، كان فارساً، وأعور لا يولد له ولد، ولقد أتى عامر على النبي ﷺ فقال له: تجعل لي نصف ثمار المدينة، وتجعلني وليَّ الأمر من بعدك وأسلم، فقال ﷺ: **(اللهمَّ اكفني عامراً، واهدِ بني عامر)**، وذهب معرضاً، فطعن في الطريق فمات، وهو الذي نافر علقمة بن علاثة إلى هَرِم ابن قطبة الفزاري. ينظر: الشعر والشعراء (ص ٦٩)، والمؤتلف والمختلف (ص ٢٠٠).

(٣) البيت من الوافر، وهو في ديوان النابغة الذبياني (ص ٥٧)، جمع الديوان وشرحه الشيخ الطاهر بن عاشور، الشركة التونسية للتوزيع، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، سنة ١٩٧٦م.

(٤) ينظر: التحرير والتنوير (١/١/٢٤٢).

﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى﴾. والملاحظ أن هذا الأسلوب قد صرح فيه ببعض المركّب الدال لا جميعه[(١)]. بل شبه تمسك المتقين بالهدى باستعلاء الراكب على مركوبه، بقرينة التمكن في كلٍ، والاستعارة واقعة في الحرف أولاً، ثم في متعلق معناه، ثم سرت إلى الحرف نفسه بتبعيته، وبما أن الاستعارة في الحرف فهي تبعية، ولإطلاق اسم المشبه به على المشبه فهي **استعارة أصلية**[(٢)].

واستعمال ﴿عَلَىٰ﴾ هنا ليس للاستعلاء الحقيقي، لأن المتقين لا يستعلون على الهدى حقيقةً كما في استعلاء السطح. ويذكر الطيبي أن قول: (كفٌّ عليك) دلالة على الاستعلاء عليه، كما في قوله - تعالى -: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡ﴾[(٣)].

٣- أن تكون الاستعارة تبعية مقيدة: بأن شبه التمسك بالهدى عند المتقين بالتمكن من الدابة للراكب، واكتسب الحرف ﴿عَلَىٰ﴾ معنى التشبيه[(٤)].

٤- أن تكون استعارة تبعية مفردة: وهي كذلك؛ لأنه شبه تمسك المتقين بالهدى باستعلاء الراكب على مركوبه في التمكن والاستقرار، فاستعير الحرف الموضوع للاستعلاء ﴿عَلَىٰ﴾ لما يماثله دلالة على التمكن، ومثاله: هو على الحق

---

(١) ينظر: مفاتيح الغيب (١/٢/٣٢)، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل (١/٢٠)، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (١/٢٧٦)، وحاشية زاده (١/١٠٢)، وروح المعاني (١/١/١٢٦)، والتحرير والتنوير (١/١/٢٤٢، ٢٤٣)، الجدول في إعراب القرآن (١/١/٤٠).

(٢) ينظر: حاشية زاده (١/١٠٢).

(٣) ينظر: التبيان في علم المعاني والبديع والبيان (٥٣٠).

(٤) ينظر: مقدمة تفسير ابن النقيب (٨١).

وعلى الباطل[١]. ولذلك جعلها الطاهر بن عاشور أقل بلاغة من التمثيلية؛ لأنها لا تفيد إلا تشبيه التمكن بالاستعلاء على المقدر، ثم تستفاد المعاني الأخرى من التقييد[٢].

٥- **أنها استعارة تمثيلية**: لأن منزع تشبيه التمثيل فيها واضح؛ فقد شبه مجموع هيئة المتقين في اتصافهم بالهدى بهيئة الراكب، فشبهت حالة بحالةٍ أخرى، وحذف لفظ المشبه به وهو المَرْكب الدال على الركوب، وتقديره: راكبين مطية الهدى، ودل بشيءٍ من لوازمه، وهو ﴿عَلَىٰ﴾ الذي يدل على الركوب والتمكن والاستعلاء[٣] آخذين بناصيته، فأصبح لهم طريقاً عليه يسيرون. والله أعلم.

٦- **استعارة مكنية مفردة**: فقد شبه الهدى بمركوب، وحرف الاستعلاء قرينة دالة على ذلك، «حيث شبه الجهل والهوى بالمطية، وأثبت لهما ما يلزم المشبه به (...)، وهو الامتطاء والغارب على سبيل التخييل، ورشح بذكر الاقتعاد الملائم للمشبه به، أي كونهم على الهدى بمعنى تمكنهم منه، واستقرارهم عليه، إنما يحصل باستفراغ الفكر، وإدامة النظر فيما نصب من الحجج؛ ليحصل كمال القوة النظرية، وبالمواظبة على محاسبة النفس في العمل ليحصل كمال القوة العملية (...) في كونهم على الهدى: تمكنهم بموجب الدليل؛ لأن الواجب على المتمسك بالدليل أن يدوم على ذلك، ويتحرس من

---

(١) ينظر: حاشية السيد الجرجاني (١/١٤٣، ١٤٤)، وإرشاد العقل السليم (١/٤٨)، وروح المعاني (١/١/١٢٦)، والجدول في إعراب القرآن (١/ ١/ ٤٠).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير (١/١/٢٤٤).

(٣) ينظر: المرجع ذاته (١/١/٢٤٥).

المطاعن والشبه، فكأنه – سبحانه وتعالى – لما مدحهم بالإيمان بما أنزل إليهم أولاً، مدحهم بالإقامة على ذلك، والمواظبة على الحراسة من الشبه ثانياً، وذلك واجب على الخلق؛ لأنه إذا كان مشدداً في الدين خائفاً وجلاً، فلا بد أن يحاسب نفسه في علمه وعمله، ويتأمل حاله، فإذا حرس نفسه فيها من الإخلال به، كان ممدوحاً بأنه على هدىً وبصيرة»[1].

وأرجح رأي من قال بأنها استعارة مكنية، بناء على ما ورد من تعريفها في بعض كتب البلاغة، مما أكسب المعنى قوةً ووضوحاً لأداء المعنى؛ فحذف المشبه به وهو المطية، وإبقاء أخص لوازمه وهو قوله – سبحانه –: ﴿عَلَىٰ﴾ يدل على تمكن الراكب من الامتطاء، وقدرته على التحكم به، والبقاء على مركوبه، وهو ما ذكره محيي الدين زاده آنفاً، وكذلك فإن في حذف المشبه به على أي تقدير كان بلاغة في تقدير المعنى، لأنه قد تمتطى المركوبات، ولكن الراكب لا يستطيع الركوب والتحكم في المركوب، والإبقاء على ذلك.

وقرينة هذه الاستعارة تخييلية؛ مما يجعل صور المعاني تتداعى في الذهن وتتزاحم؛ حيث يتصور أن الهدى أصبح مما يمكن امتطاؤه، ومع هذا فقد حذف المشبه به وهو ما يمتطى، ثم جعل المشبه وهو الدين الإسلامي (الهدى) من قبيل الكائنات الحية التي تمتطى، مما جعل للخيال دوراً في إثباته وتصور هيئته، وأن هؤلاء المتقين متمكنون منه، ثم ازداد الطريق وضوحاً بأن قال: هم المفلحون، فدل على منتهى بلوغهم الغاية في مركوبهم.

---

(١) حاشية زاده (١/١٠٣)، وينظر: إرشاد العقل السليم (١/٤٨)، وروح المعاني (١/١/١٢٧)، ينظر رأيهما في التحرير والتنوير (١/١/٢٤٣).

وجه البلاغة في الاستعارة التمثيلية كما يرى الطاهر بن عاشور: كونها أوضح فلأن تشبيه التمثيل أفاد تشبيه مجموع هيئة المتقين في اتصافهم بالهدى بهيئة الراكب. ولأن التمثيلية متفق عليها بخلاف التبعية، وكذلك فإن ما في التمثيلية من خصوصيات جعلتها أقوى جانباً وأعز مكاناً(١)، ولكني أرى غير ذلك، وهو ما سيأتي بيانه - إن شاء الله تعالى -.

ورد كونها استعارة تمثيلية فلأن اعتبارها كذلك يجعل القارئ يتمحل تقدير بعض المحذوفات حتى تكتمل الهيئات المركبة المطلوبة من صورة الاستعارة، والأفضل البعد عن ذلك.

ومن أسرار بلاغة هذه الآية الكريمة:

١ - **لطف التعبير بالأداة ﴿عَلَىٰ﴾** فيه إشعار بمسلك المؤمن المهتدي، وأنه على حقٍ وعلى هدىً من ربِّ العالمين. كما جاء في قوله - تعالى - لرسوله ﷺ: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ﴾ [النمل: ٧٩]. فصراط الله الذي ورد ذكره في آية الفاتحة جاء توضيحه، وبيان سره في هذه الآية وغيرها من آيات القرآن الكريم بأنه الهدى، والحق الذي لابسه(٢).

٢ - **سر التعبير بـ﴿عَلَىٰ﴾ دون غيرها:** فيه دلالة الاستعلاء بالحق والهدى، وأيضاً الثبات على ذلك الحق وهديه واستقامته، ولكن التعبير بغيره من الأحرف مثل ﴿فِي﴾ فدلالته على الانغماس الذي يظهر في قوله - تعالى - عن الكافرين: ﴿فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾ [التوبة: ٤٥]، وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُوا ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير (١/١/٢٤٤).

(٢) ينظر: بدائع التفسير (١/ ١٢٣).

لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ﴾ [الشورى: ١٤]. فدلت على الانغماس والانقماع في مهاوي الهلاك؛ لأنها في جانب الكفار وأهل الضلال، فالحرف ﴿عَلَىٰ﴾ أفاد علو شأن أهل الحق، والحرف ﴿فِى﴾ دل على تسفل أهل الكفر أسفل سافلين[١].

٣- المراد بالهداية: الهداية المترتبة على قبول أمر الله ﷻ، والعمل به، وتصديق أخباره مما يكون سبباً في هدايةٍ أخرى، فلما كانت الهداية تتزايد بصدق الأعمال، وإخلاص النية، فكذلك حال هداية الله تعالى تزيد إلى ما لا نهاية له، فهو في مزيد هدايةٍ ما دام في مزيدٍ من التقوى[٢].

وفي صيغة ﴿هُدًى﴾: دلالة على قوة الاهتداء، وتمكن المؤمن من الهداية، فهي أبلغ من وصفهم مباشرة[٣].

وفي تنكير ﴿هُدًى﴾: ما يفيد المبالغة، فلا هدى أبلغ وأسمى منه[٤]، كما يفيد التنوين الإفراد، فهو هدىً واحد؛ إذ لا هدى إلا هدى ما أنزل إليه ﷺ، وفي جعل الهدى من ربِّ العالمين ما يدل على عظمة ذلك الهدى؛ فهو من ربِّ العالمين ﷻ، أي منحوه من عنده وأتوه من قبله وهو اللطف والتوفيق الذي لا يدانيه هدىً من غيره[٥]. وفي إضافة (هم) إلى لفظ الجلالة (رب) مناسبة

---

(١) ينظر: بدائع التفسير (١/ ١٢٣).

(٢) ينظر: المصدر ذاته (١/ ٢٦١).

(٣) ينظر: روح المعاني (١/ ١/ ١٢٧)، والجدول في إعراب القرآن (١/ ١/ ٤).

(٤) ينظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان (١/ ٢٧٧)، وروح المعاني (١/ ١/ ١٢٧)، وحاشية زاده (١/ ١٠٢).

(٥) ينظر: الكشاف (١/ ٥٣، ٥٤)، ونظم الدرر (١/ ٩٠)، وحاشية الشهاب (١/ ٣٨٦).

واضحة؛ وحيث كان ربهم ناسب أن يهيئ لهم أسباب السعادتين، وأن يمن عليهم[1]، وهي دليل على رضاه - سبحانه وتعالى - عليهم، وأنهم في كنفه، وعلى لطفه وتوفيقه. والله أعلم.

٤- منزلة اسم الإشارة بعد الصفات المشار إليها: يدل على المتقين الذين هذه صفاتهم التي تقدم الحديث عنها، وأصل الإشارة أن تعود إلى ذاتٍ مشاهدةٍ معينةٍ، إلاَّ أن العرب قد يخرجون بمعناها عن أصله، إلى ذاتٍ مستحضرةٍ من الكلام، بعد أن يذكر من صفاتها وأحوالها ما يجعل منها صورةً حاضرةً في ذهن السامع والمتكلم، لأن لهذه الطريقة في الكلام أثرها في جعل الموصوف بها كالمشاهد، فالمتكلم يبني على ذلك فيشير إليه كالحاضر المشاهد، فيؤتى بتلك الإشارة إلى أنه لا أوضح ولا أغنى منها في التعريف بتلك الصفات، وجعلها كالمشاهد مع عدم حضور المشار إليه[2].

ومنزلة الأحكام الواردة بعد اسم الإشارة: أسماء ذوات تفيد أنها ثابتة للمسميات، وعليه فالأحكام الواردة بعد ما هو للصفات تفيد أنها قد ثبتت للصفات[3]، ونظيره قول حاتم الطائي[4]:

---

(١) ينظر: روح المعاني (١/١/١٢٧).

(٢) ينظر: المطول (٢٢٤)، وحاشية زاده (١/١٠٢)، والتحرير والتنوير (١/٢/ ٢٤١، ٢٤٢).

(٣) ينظر: حاشية زاده (١/١٢٠)، والتحرير والتنوير (١/١/٢٤١، ٢٤٢).

(٤) حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج الطائي القحطاني، يكنى بأبي عدي، اشتهر بالكرم، وذاع صيته، كما عرف بالفروسية والشجاعة، جاهلي من نجد، له شعر كثير فُقد معظمه، توفي بعد الثامنة من مولد النبي ﷺ. ينظر: الشعر والشعراء (ص ٣٩)، والأغاني (١٦/٩٣)، لأبي الفرج الأصفهاني.

ولله صعلوك يساور همَّه ويمضي على الأحداث والدهر مُقْدِما

إلى أن يقول[1]:

فذلك إن يهلك فحسنى ثناؤه وإن عاش لم يقْعُدْ ضعيفاً مُذَمَّما

فالملاحظ أن الشاعر بعد أن ذكر خصالاً تدل على القدرة في تحمل الأحداث والشدائد، أعقبه بقوله: (فذلك) الذي في البيت الأخير: «فأفاد أنه جدير باتصافه بما ذكر بعده، وكذا قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ فأفاد اسم الإشارة زيادة الدلالة على المقصود من اختصاص المذكورين قبله باستحقاق الهدى من ربهم والفلاح»[2].

ومن جمال البلاغة في الآية المباركة: أنها مستأنفة استئنافاً بيانياً؛ لأن السامع إذا سمع ما تقدم من صفات الثناء عليهم ترقب فائدة تلك الأوصاف.

وأثر اسم الإشارة في أداء المعنى المراد دون ضميرهم واضح ذو قيمة جمالية: لأن الإشارة إليهم أحسن وقعاً منه؛ لتضمنها جميع ما تقدم من أوصافهم،

---

(١) البيت من الطويل، وهو في ديوان حاتم الطائي (ص ٧٣)، شرح وتقديم: أحمد رشاد، منشورات دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠٠٢م، وبعده:

فتى طلباتٍ لا يرى الخِمْصُ ترحةً ولا شَبعَةً، إنْ نالَها، عَدَّ مَغنَما

إذا ما أرى يوماً مكارم أعرضتْ تَيَمَّمَ كُبراهُنَّ، ثُمّتَ صَمَّمَا

ترى رُمحَه، ونَبْله، ومجنَّه وذا شُطَبٍ عضبَ الضريبة مخذما

وأحناء سرج فاترٍ، ولجامَهُ عتاد فتى هيجاً، وطِرْفاً مُسوَّما

وينظر: خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب (٣/ ١١٨)، تأليف الشيخ عبد القادر بن عمر البغدادي على شرح الكافية، تحقيق وتقديم: د. محمد نبيل طريفي، إشراف: د. إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨/١٩٩٨، منشورات محمد بيضون.

(٢) الإيضاح (ص ٤٧)، وينظر: المطول (ص ٢٢٤)، والتحرير والتنوير (١/١/٢٤١).

ولأن في الإشارة تنويهاً بصفاتهم، وبالأحكام الواردة بعد اسم الإشارة، وهو لا يقوم بمفرده بأداء هذا المعنى، إلا إذا وقع مبتدأ تصدر الجملة الاستئنافية.

وتكرار ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ تنبيه على أنهم كما ثبت لهم الاختصاص بالهدى، ثبت لهم الاختصاص بالفلاح.

مزية العاطف بين اسمي الإشارة: اختلاف الخبرين بخلاف ما جاء في قوله - تعالى -: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩]، فالتسجيل عليهم بالغفلة، وعدُّهم من جملة الأنعام شيء واحد[(١)].

وذهب البقاعي إلى أن العاطف يشير إلى مزيد تمكنهم في كلٍ من الوصفين[(٢)].

ويدل ضمير الفصل ﴿هُمُ﴾ على أن ما بعده خبر عنهم بالفلاح، **وصفة الفلاح فيها بلاغة ومناسبة لمقام هؤلاء المؤمنين من حيث:**

(أ) التعريف: فهو للعهد، على تقدير أنهم المؤمنون الذين بلغك أنهم المفلحون في الآخرة، كما أفاد ثبوتهم على الفلاح؛ لأنه اسم، وألحق بالصفة المشبهة[(٣)].

و﴿ٱلْمُفْلِحُونَ﴾: الفاء واللام والحاء أصلان صحيحان، أحدهما يدل على شقٍ، والآخر على فوزٍ وبقاءٍ[(٤)]، وكلها تدل على إدراك البغية، والأصل: الشق، والفتح، ويشترك معه في معنى الشق والفتح: فلى، فلق، فلذ[(٥)].

---

(١) ينظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان (١/٢٧٦، ٢٧٧).

(٢) ينظر: نظم الدرر (١/٩٠)، وحاشية زاده (١/١٠٤).

(٣) ينظر روح المعاني (١/١/١٢٨).

(٤) ينظر: معجم مقاييس اللغة (٤/٤٥٠)، (باب الفاء واللام، وما يثلثهما).

(٥) ينظر: نظم الدرر (١/ ٩٠)، وروح المعاني (١/١/١٢٧).

وفي اختيار صفة الفلاح لهؤلاء المؤمنين الذين تحلّوا بصفاتٍ معينةٍ تناسب معنوي، وتقارب فيما بين الصفات السابقة وبين المعنى اللغوي الذي ورد في الآية الكريمة، فالفلاح، وهو شق الأرض وفلحها إرادة إصلاحها وعمارتها بالخير، يناسب أعمال الدعوة وإتيان تكاليف الدين الإسلامي؛ بما فيها من مجاهدة للنفس ومصابرة على تحمل أعبائها؛ لغرس روح الإيمان، وتمكينها من النفس، كما يفعل الفلاح بأرضه، فالأمر متواصل بين الفلاّح وأرضه، وكذلك بين الإنسان وأعمال الفلاح، وعلى قدر هذا التمازج والتواصل تكون النتيجة، ويكون العطاء مثمراً، فالمعنى اللغوي للفلاح نلاحظ أنه ألقى بظلال المعنى الاصطلاحي، وهو الفوز المؤكد في الآخرة، وفي صيغة (مفلحون) ومفلح بزيادة ميمٍ في أولها أصبحت على وزن مفعل إيحاءً بأن هذه الصفة اكتسبها صاحبها بجهده، وبعد عمل متواصل، كما توحي صيغتها بأن هذه الصفة أصبحت حقيقية فيه؛ كأنه هو مصدرها. والله أعلم.

وجملة ﴿هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾: فيها حصر الفلاح على من اتصف من المؤمنين بصفاتهم[1].

ومن شواهد الاستعارة في آيات المؤمنين: قوله - تعالى -: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

---

(١) ينظر: روح المعاني (١/١/١٢٧).

ونلحظ مناسبة هذه الآية الكريمة بسابقتها (آية الكرسي) التي اشتملت على دلائل التوحيد، وعظمة الخالق ﷻ، وتنزيهه سبحانه عما لا يليق بإقرار الوحدانية له خالصة، وهذا هو مبدأ الدين الإسلامي وأساسه الذي يتم عليه بناء القيم الإسلامية، حيث تفرد المولى في كل شيء - سبحانه -، وعليه، فالله غني عن العالمين، وهو المستحق للعبادة وحده؛ لذلك فلا إكراه في الدين؛ لأنه لا يجوز في دار الدنيا التي هي مقام الابتلاء والاختبار، وينافيه الإكراه والإجبار، ومما يؤكد ذلك قوله - تعالى -: ﴿قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ﴾[1].

ومن بلاغة الاستعارة التمثيلية في قوله - تعالى -: ﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾ أنَّ الفاء واقعة في جواب الشرط، ووقوعها هذا طوى الزمن، وجعل التلازم والتلاحم بين الإيمان ونتائجه قريباً، وفي هذا ندب إلى أهمية التمسك بالدين، وقوله - سبحانه -: ﴿قَد﴾: حرف تحقيق يفيد التأكيد على ما سبق.

وقوله - تعالى -: ﴿ٱسْتَمْسَكَ﴾ معناها (تمسَّك)، الهمزة والسين والتاء للمبالغة، كما في قوله - تعالى -: ﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ﴾ [الزخرف: ٤٣]، وقوله - سبحانه -: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ﴾ [آل عمران: ١٩٥]. فالصيغة في كل الآيات تدل على شدة التمسك «أي بالغ في التمسك بها وكأنه هو ملتبس به يطلب من نفسه الزيادة فيه والثبات عليه»[2].

---

(١) ينظر: جامع البيان (٢/١٣٤، ١٣٥)، والتحرير والتنوير (٣/٣/٢٥).

(٢) إرشاد العقل السليم (١/٢٩٨).

صيغة استفعل ومدلولها: «إشعار بأن تمسكه ذلك مسبوق بالقصد والإرادة المنزلة منزلة الطلب من نفسه»[١].

قوله - تعالى -: ﴿بِٱلْعُرْوَةِ﴾الباء: تعني التمكن. والعروة: كل ما يتعلق به من عراه أي من ناحيته[٢]، وهي «كل ما تشد به العياب ونحوها بتداخلها بعضها في بعض دخولاً لا ينفصم بعضه من بعض إلاّ بفصم طرفه»[٣].

وهي أيضاً بضم العين ﴿بِٱلْعُرْوَةِ﴾ كل ما يجعل كالحلْقة في طرف الشيء؛ ليتمكن من القبض عليه، كما في الدلو أو الكوز، وتكون العروة في الحبل ليشد طرفه إلى نفسه، ويعقد فيصير كالحلقة[٤].

الاستعارة التمثيلية وأثرها البلاغي في قوله - تعالى -: ﴿ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ أشار إلى ذلك المعنى أبو السعود بقوله: «تمثيل مبني على تشبيه الهيئة العقلية المنتزعة من ملازمة الاعتقاد الحق الذي لا يحتمل النقيض أصلاً؛ لثبوته بالبراهين النيرة القطعية بالهيئة الحسية المنتزعة من التمسك بالحبل المحكم المأمون انقطاعه، فلا استعارة في المفردات»[٥]. فقوله: فلا استعارة في المفردات، دل على أن المراد أنها استعارة تمثيلية.

---

(١) حاشية زاده (١/٥٧٠).

(٢) ينظر: المفردات (ص ٣٣٢).

(٣) نظم الدرر (٤/٤٢، ٤٣).

(٤) ينظر: التحرير والتنوير (٣/٣/٢٩).

(٥) إرشاد العقل السليم (١/٢٩٨).

وهذه لا تكون إلاّ صورة وجه الشبه فيها منتزع من متعدد، حذف منها المشبه، وهو الصورة الأولى، وأبقى المشبه به، وهو الصورة الثانية.

وهي استعارة تصريحية؛ لأنه صرح فيها بلفظ المشبه به، وهو العروة الوثقى، كما أشار إليها البيضاوي[1]، ولما ذكره أبو السعود مفصلاً: «ويجوز أن تكون العروة الوثقى مستعارةً للاعتقاد الحق الذي هو الإيمان والتوحيد، لا للنظر الصحيح المؤدي إليه كما قيل؛ فإنه غير مذكور في حيز الشرط، والاستمساك بها مستعاراً لما ذكر من الملازمة، أو ترشيحاً للاستعارة الأولى»[2].

وبلاغة الاستعارة: تجعل هذا التشبيه المبارك صورة للمؤمن الذي سار على نهج العقيدة الصحيحة، وتلك صورة معنوية؛ شبهت بهيئة حسية يقع عليها النظر؛ وهي هيئة لمن ألقى يديه مستمسكاً بعروة وثقى، شديدة التماسك، قوية التلاحم، لا يُخاف وهنها؛ فاستسلم لله ﷻ بكل جوارحه وأقواله وأفعاله، يقول - تعالى -: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ [لقمان: ٢٢].

فنلحظ أن صورة المؤمن، وهو المشبه، قد حذفت وأبقيت صورة المشبه به، وهو العروة الوثقى. ووصفها - سبحانه - بقوله: ﴿لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾، فسميت

---

(١) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١/١٣٥).

(٢) إرشاد العقل السليم (١/٢٩٨)،. وينظر: روح المعاني (٢/٣/١٥).

لذلك بالاستعارة التمثيلية[(١)] التصريحية المرشحة، مما أكسب الوصف في المشبه به قوة؛ فدل على قوة إيمان هذا المؤمن كما أن في قوله – سبحانه –: ﴿لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾ استئنافاً بيانياً أفاد «قوة دلائل الحق؛ بحيث لا يعتريها شيء من الشبه والشكوك»[(٢)].

أثرها البلاغي: ولأن للاستعارة أثراً بارزاً في الكلام، فإن كثيراً من المؤلفات قد تناولت الآية بالبحث تتملأ في جمال تعبيرها، وحسن استعارتها، وتنتقي العبارات المتباينة في التعبير عنها، فمن تلك الأقوال أنها: «تمثيل للمعلوم بالنظر، والاستدلال بالمشاهد المحسوس، حتى يتصور السامع كأنه ينظر إليه بعينه، فيحكم اعتقاده والتيقن به»[(٣)].

---

(١) أما منشأ الاستعارة التمثيلية: فهو متقارب من منشأ التشبيه التمثيلي، لأن التشبيه التمثيلي: هو تشبيه مركب وجه الشبه فيه صورة منتزعة من متعدد، فهي ليست تشبيهاً مفرداً، والأمر كذلك في الاستعارة التمثيلية، فكل الاستعارات المعروفة مفردة؛ وتسمى استعارات مفردة، ولذا فهي تسمى مجازاً مفرداً، وأما الاستعارات التمثيلية، فتسمى مجازاً مركباً، كما يسميها بعضهم. وفيها تحذف صورة المشبه وتبقى صورة المشبه به. وخلاصة القول: في منشأ الاستعارة التمثيلية أن المجاز قسمان: مفرد ومركب، وكما قسم المفرد إلى استعارة ومجاز مرسل، يقسم المركب كذلك إلى نفس القسمين: استعارة ومجاز مرسل، إلاّ أن الاستعارة تسمى تمثيلية؛ فهي فرع من تشبيه التمثيل الذي تقدم الكلام عنه. ينظر: البلاغة فنونها وأفنانها (٢/١٩٤، ١٩٩)، وعلم البيان(ص ٢٢٥، ٢٢٤) د. بسيوني عبد الفتاح فيود.

(٢) حاشية زاده (١/٥٧٠).

(٣) الكشاف (١/٢٩٩)، وينظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٢/٥٥٧، ٥٥٨)، ونظم الدرر (٣/٤٣)، وروح المعاني (٢/٣/١٥).

ومن بلاغة الاستعارة التصريحية في قوله - تعالى -: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ [البقرة: ٢٥٧].

البلاغة في قوله - تعالى -: ﴿مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾:

فالمراد بالنور هنا الحق والدين، والمراد بالظلمات الشبهات والشك، حيث شبه الدين الإسلامي بما فيه من تعاليم، وقيمٍ تنفع الإنسان في دنياه وآخرته، وتجعله على بصيرةٍ في كل أمور حياته؛ بالنور بجامع الاستضاءة والاستنارة لأداء العمل الطيب، ولبعث الهدوء النفسي في كلٍ من الدين والنور الحقيقي.

وحيث إنه صرح بلفظ المشبه به ﴿ٱلنُّورِ﴾ فهي استعارة تصريحية، وبما أنها في الاسم فهي أصلية. والله أعلم.

الاستعارة في قوله - تعالى -: ﴿مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ فقد استعار الظلمات للكفر، وما ينتج عنه من ضلال يؤدي بصاحبه إلى مهاوي النار والخلد فيها؛ حيث شبه الكفر وما يفعله بعقل الإنسان ويقلبه بشيء مظلم؛ آثاره واضحة في عدم الرؤيا، وتعثر خطى الإنسان، وكذلك الكفر يختم على عقل صاحبه، فلا يحسن العمل ولا يخلصه لوجه الله - تعالى -، والجامع بين المشبه والمشبه به عدم الوضوح، والسير على غير هدى؛ مما ينتج عنه الانزلاق إلى ما لا تحمد عقباه، والاستعارة تصريحية أصليه، لأنه صرح بلفظ المشبه به وأجراها في الاسم ﴿ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ وقرينتها لفظية (يخرج)، والتعبير بالمصدر معرفاً دل على المبالغة في وصف عملهم بالقبح والضلال، وأنهم بلغوا الكمال في ذلك؛ لهذا استحقوا الخلود في النار.

أما بلاغة الاستعارة، أولاً فإنها تأخذ بناصية المعنى، وتجعله مرتبطاً بما هو أقوى في ظهور الحجة، وأبين في بيان المراد؛ بحيث لا مجال للاختلاف عليه، والمحاجة دونه، لهذا كان للاستعارة هنا فضل على الحقيقة، وهذا هو أحد أغراضها[1].

البلاغة في إفراد ﴿ٱلنُّورِ﴾ وجمع ﴿ٱلظُّلُمَٰتِ﴾:

جاء التعبير بالنور مفرداً؛ لأن الحق وما يرجع إليه طريق واحد، والحق سبحانه واحد، وأما الباطل فأنواعه متعددة، ووسائله مختلفة، قال - تعالى -: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾[2] [الأنعام: ١٥٣].

صور من البلاغة في قوله - تعالى -: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ﴾:

﴿لَآ﴾: نافية للجنس، دل على عموم نفي الإكراه بكل صوره، وكذلك لا إكراه للذوات؛ بدليل أن ﴿لَآ﴾ لنفي جنس أحد مهما كانت أهميته ومكانته.

* كما أن البدء بالنفي يعلن كبرياء الإسلام عن بعض المخلوقين، فلا إكراه، لأنه لا حاجة لمثل هؤلاء المكرهين.

* وفيه بيان أن الدعوة عقيدة وخلوص العمل، وإطلاقه من ذاتية إنسانية مطلقة.

* فيه تحقيق معنى هذه الذاتية وتثبيتها في النفس.

---

(١) ينظر: كتاب الصناعتين (٢٧٤).

(٢) ينظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٢/ ٥٦٠)، ونظم الدرر (٤/ ٤٥).

خروج النفي عن معناه إلى النهي: لأنه الطريق المستقيم الذي أصبح منهجه واضحاً، فقد نهى عن إكراه السبايا الكتابيات، لأنهن أهل دين، ويكره المجوس والمشركات[١].

وقوله - تعالى -: ﴿إِكْرَاهَ﴾ أصل فعله كَرِه، على وزن فَعِل، وزيدت الهمزة؛ فأكسبت اللفظ المبارك صورة الإكراه التي تتم بين المكْرِه والمكْرَه، وما يكتنف ذلك من وسائل الإكراه المعروفة، ومجيء النفي برأ دين الله الكريم من تلك التصورات، إذ «الإكراه في الحقيقة إلزام الغير فعلاً لا يرى فيه خيراً يحمله عليه»[٢].

حرف الجر (في): دليل على براءة كل تعاليم دين المسلمين من الكراهية؛ بل كل أفعال العبادات وتنوعها تنبع من ذاتية ووجدان المؤمن.

والمراد بقوله - سبحانه -: ﴿ٱلدِّينِ﴾ أي الشرع، وقيل: المراد التوحيد، وكل دين سماوي، والتعريف للعهد الذهني[٣].

الفصل وأثره البلاغي في قوله - تعالى -: ﴿قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ﴾:

هذه الجملة المباركة: «استئناف تعليلي، صدر بكلمة التحقيق لزيادة تقرير مضمونه، كما في قوله - تعالى -: ﴿قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّى عُذْرًا﴾ [الكهف: ٧٦]»[٤].

وقوله ﴿تَّبَيَّنَ﴾: يقال: «بان، واستبان، وتبين، وبيَّن أيضاً، إذا وضح وظهر منه المثل قد تبين الصبح لذي عينين»[٥].

---

(١) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١/١٣٥).

(٢) ذات المصدر والموقع، وينظر: إرشاد العقل السليم (١/٢٩٧)، والتحرير والتنوير (٣/٣/٢٨).

(٣) ينظر: التحرير والتنوير (٣/٣/٢٥).

(٤) إرشاد العقل السليم (١/ ٢٩٧)، وينظر: التحرير والتنوير (٣/٣/٢٨).

(٥) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٢/٥٥٧)، وينظر: الصحاح (٥/ ٢٠٨٣)، (فصل الباء، باب النون).

﴿ٱلرُّشْدُ﴾: ضد الغي، يقال: رشد الرجل يرشد، وأرشده الله إرشاداً، والمراشد: المقاصد[1]، ويستعمل استعمال الهداية[2].

وبالضم والسكون: يقال: في الأمور الدنيوية والأخروية، وبفتح ففتح يقال في الأمور الأخروية لا غير[3]، والراء والشين والدال أصل واحد يدل على استقامة الطريق[4]، فتبين من هذا أن كل معاني الرشد، وأصل حروفها يدل على الاستقامة، وتبيُّن الصحيح من الخطأ، وأن الموصوف بها قد بلغ الغاية فيها، والأمر كذلك في معنى (الغي)، فهو جهل من اعتقاد فاسد، ومنه قوله - تعالى -: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾[5] [سورة النجم: ٢]، و(الغي) وصف بالمصدر، أصلها: غوى - بفتح العين - قال تعالى: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ [طه: ١٢١].

ويقال: غوى الفصيل، إذا بَشِم، وإذا جاع أيضاً، فهو من الأضداد، وأصل الغيّ: غَوْيٌ، فاجتمعت الياء والواو فأدغمت، نحو: ميِّت[6].

---

(١) ينظر: الجمهرة (٢/٢٤٦).

(٢) ينظر: المفردات (١٩٦).

(٣) ينظر: المصدر والموضع ذاته.

(٤) ينظر: معجم مقاييس اللغة (٢/٣٩٨)، (باب الراء والشين، وما يثلثهما)، وبصائر ذوي التمييز (٣/٧٥).

(٥) ينظر: المفردات (١٩٦).

(٦) ينظر: تأويل مشكل القرآن (ص ٤٠٣)، لابن قتيبة، تحقيق وشرح: السيد أحمد صقر، دار التراث، ط٢، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م، والمفردات (ص ٣٦٨، ٣٦٩)، والصحاح (٦/ ٢٤٥٠)، والدر المصون (٢/٥٤٧).

فخلاصة مفهوم تلك المعاني: هو بلوغ الغاية في الاعتقاد الفاسد، وفي كل ما هو سيئ.

الطباق ومدلوله البلاغي بين (رُشد)، و(غي)، فيه بيان لوصف المؤمن بالعقل والامتثال للدين بحكمة عقله، وبيان طريقه الصحيح، كما أن فيه وصف الدين بالهداية، وفي الطباق دعوة إلى الموازنة بين الطريقين للمغايرة بينهما.

والوصف بالغي بيان لما عليه الكافر من ضياع، لأنه اتبع هواه، وفيه تنفير من اتباع هوى النفس؛ لأنه من المضلات.

وحرف الجر ﴿مِنَ﴾: يعني التمييز، كقولك: ميّزت هذا من ذلك[1]. أي أن ﴿مِنَ﴾ تعني المغايرة؛ للتنبيه على أن الغي يغاير الرشاد ويضاده، وكذلك من وصف بهما.

وأما قوله - تعالى -: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ﴾:

(الفاء): سببية، وهو رأي البقاعي[2]، وهو الأرجح؛ لأن الدين وضحت حجته، فانتفى لذلك عنه الإكراه، ومن لم يؤمن فإن ذلك من شهوة في نفسه وشيطانه، فالفاء دلت على السببية؛ لأن الله - تعالى - لا يكون سبباً في طغيان العبد.

وأما من رأى أنها للتفريع، فقد تفرع بيان إنفاذ الحكم على كل الرشاد، وكل من اتبع الطاغوت[3]، فلا أرى أنه مناسب لمعنى الإكراه المتقدمة به الآية الكريمة، لأنه لا إكراه في أمر؛ فالذي يضل يكون سبباً لنفسه، والله أعلم.

---

(١) ينظر: الدر المصون (٢/٥٤٧).

(٢) ينظر: نظم الدرر (٤/٤٢).

(٣) ينظر: التحرير والتنوير (٣/٣/٢٨).

من بلاغة اللف والنشر غير المرتب قوله - تعالى - : ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ ﴾ .

أولاً : التناسب بين قوله - سبحانه - : (الرشد، والكفر بالطاغوت) :

فقد امتدت أصوله إلى ما سبق في سورة البقرة ؛ حيث طالوت وداود وجالوت واحتدام المعركة بين الحق والباطل، وانتصار الحق وأهله، قال - تعالى - : ﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ ﴾ [البقرة: ٢٤٩] الآية، ثم تتمة الآيات المباركة تفصل في شأن النزاع والاختلاف بين الناس، ومنشأه الناس أنفسهم، وليس ما بين الأنبياء والرسل من تفاضل، ثم آية الكرسي بفضلها العظيم، وما احتوته من صفات جلال الله - تعالى - وكماله، وتنزيهه - سبحانه - عن كل ما سواه، وبعد تضافر الآيات في تكوين معنى واحد، وهو أن الحق اتضحت معالمه ودقائقه لكل ذي رشد، فلا إكراه في الدين، ولا قسر في حمل الناس على الاعتراف بفضله، لذلك ناسب الوصف بالرشاد لمن آمن ؛ لأنه اتبع الطريق الصحيح، ومن دلائل رشاده أنه ينكر الطاغوت بكل صوره، وبكل معانيه التي وردت، وأول طاغوت هوى النفس المضلة، كما فسره البقاعي(١).

ثانياً : تقديم الكفر بالطاغوت على الإيمان بالله تعالى :

١- يمثل الوضع الطبيعي للمؤمن في تلك المرحلة، إذ لا بد من محاربة الكفر، وإعلان البراءة من الطواغيت، وهم أعوان الشيطان من الإنس والجن،

---

(١) ينظر: نظم الدرر (٤/ ٤٢).

والطاغوت مصدر كالرغبوت والرهبوت، جاء بناؤه كذلك للمبالغة، بدليل أنه يفرد في موضع الجمع، كما في قولهم: هم رضا وعدل. وقد يؤنث ضميره كما في قوله - تعالى -: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾ [الزمر: ١٧]. فالمراد به الآلهة. والأصل فيه التذكير لقوله - تعالى -: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ﴾[1] [النساء: ٦٧].

٢- بالكفر بالطاغوت أولاً دلالة على قوة الدين، وأن له شأناً عظيماً في معنى الوحدانية لله - تعالى -.

٣- التقديم يشير كذلك إلى أنه اشتراط على المؤمن أن يفعله.

٤- وكذلك من يفعله يكون قدوة حسنة لغيره من الناس.

من بلاغة العطف في قوله - تعالى -: ﴿وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ﴾. إذ عطفت الجملة الكريمة «على الشرط؛ لأن نبذ عبادة الأصنام لا مزية فيه إن لم يكن عوَّضها بعبادة الله تعالى»[2].

ومن البلاغة التعبير بالمضارع في قوله - تعالى -: ﴿يُؤْمِنۢ﴾ دلَّ على مداومة الإيمان، ذلك لأنه مال إلى الإيمان بعقله الذي هو خير كله؛ لإدراكه أدلته القاطعة، وبراهينه النيرة[3].

---

(١) ينظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٢/٥٥٧)، ونظم الدرر (٢/٥٤٧)، وإرشاد العقل السليم (١/٢٩٧)، والإسلام لله تعالى في سورة البقرة (٢٩١، ٢٩٠) لعبد الحميد طهماز، دار القلم، دمشق/ الدار الشامية، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

(٢) التحرير والتنوير (٣/٣/٢٩).

(٣) ينظر: نظم الدرر (٤/٤٢).

وصيغة الماضي في قوله - سبحانه -: ﴿ٱسْتَمْسَكَ﴾ دل على تحقق إيمانه وصوابه، كما تدل عليه صيغة المضي، ويدل على أن الإيمان تغلغل في نفس المؤمن، وأنه بعد اكتمال بيان قاعدة الدين الإسلامي ومقدرتها في مواجهة مواقف الناس، ومقدرتها على إقناعهم بتقبلها، جاءت الآية التي بعدها تبين صفات هؤلاء المؤمنين، كما تبين فضائل الدين، وفضائل تمسكهم بأهدابه، لذلك جاءت مستأنفة استئنافاً بيانياً حيث قال - تعالى -: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟..﴾ الآية.

تقديم لفظ الجلالة (الله) دليل على تخصيص انفرادهم بهذه الولاية، والله أعلم. وقوله - سبحانه -: ﴿وَلِيُّ﴾ وزنه فعيل بمعنى فاعل، والتركيب يدل على القرب والحب، والولي يقرب من وليه بالمحبة والنصرة، ومنه الوالي؛ لأنه يلي القوم بالتدبير[1].

تخصيص الصفة بالاسم الموصول:

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟..﴾ فيه إيماء إلى الخبر، وتشويقٌ إلى مصيرهم المنوه به، قال - تعالى -: ﴿يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ...﴾ **الآية.**

أما المراد بـ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟..﴾: «ليس من آمن حقيقة؛ لأنه خارج عن الكفر، فكيف يتصور إخراجه؛ بل المراد به الذين سبقهم الكفر، وأرادوا التحلي بحلية الإيمان، فإنه يخرجهم من ظلمات الجهل إلى الهدى واليقين»[2].

---

(١) ينظر: أدب الكاتب (ص ٤٥٣)، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٢/٥٥٩)، والتحرير والتنوير (٣/٣/٣٠). وفي معنى الولاية ينظر: تأويل مشكل القرآن (ص ٤٥٥)، والصحاح (٦/ ٢٥٢٨).

(٢) حاشية زاده (١/٥٧٠، ٥٧١).

فالمراد إذن بقول شيخ زاده: (ظلمات الجهل)، أي: فاتهم العلم بأصول الدين، والله - تعالى - لعلمه ما عليه حقيقة نفوسهم من ظلمات الكفر المكتسب، أخرجهم منها؛ إذ «ليس في حقِّ الإنسان كفر فطري، فهذه قرينة واضحة أن يراد بالظلمات ظلمات الجهل والكفر، وبالنور نور اليقين والإيمان»[(١)].

وقوله - تعالى -: ﴿يُخْرِجُهُم﴾ الإخراج في جنب الله تعالى على الحقيقة، والله أعلم. ويجوز أن يكون المراد به إنشاؤهم على نور الإيمان ابتداءً، أي: على الفطرة التي فطر الناس عليها، من غير أن يكونوا في ظلمة الكفر، ثم يخرجهم منها إلى نور اليقين، كما في قوله - تعالى -: ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [يوسف: ٣٧]، ولم يكن في ملتهم قط، وذلك كما قوله - تعالى -: ﴿رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ والمراد أنه رفعها ابتداءً، ولم تكن موضوعة من قبل[(٢)].

وقوله - عز من قائل -: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ الآية.

المراد بـ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ على الحقيقة؛ لأن هذا الإخراج لا يقتضي أنهم اتصفوا بالإيمان حقيقة، والمراد بالإيمان: الإيمان الفطري الذي يخرجهم منه الطواغيت، وهذا الإخراج مجازي؛ لأن المخرج الحقيقي هو الله - تعالى -، وهذا المجاز عقلي؛ لأنه أسند فعل الإخراج إلى الطواغيت، وهم في الحقيقة سبب في هذا الخروج؛ والله أعلم. لأن «الحوادث بأسرها تستند إلى المبديء الأول بالحقيقة، وتنتهي في قضائه وقدره»[(٣)].

---

(١) حاشية زاده (١/ ٥٧٠).

(٢) ينظر: المصدر ذاته (١/ ٥٧١).

(٣) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٢/ ٥٦٠).

ومن البلاغة: جمع ﴿ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ لأن طرقها كثيرة، وأنواعها متعددة[1]، وجمع ﴿أَوْلِيَآؤُهُمُ﴾: دليل على أن الكفر له سعاة يقدمونه للناس بوسائل متعددة، ومصادر متنوعة، فلا ينخدع بها المؤمن.

ثم إفراد ﴿ٱلطَّٰغُوتُ﴾ لأن المراد به النفس[2]، وأرى أن الطاغوت مصدر جاء مفرداً في موضع الجمع، فهو مفردٌ في المعنى، وإن تعددت أنواعه، فإن طريقه واحد، وهو الإضلال. والله أعلم.

التعبير بصيغة المضارع في قوله - سبحانه -: (﴿يُخْرِجُهُم﴾ و﴿يُخْرِجُونَهُم﴾)؛ لأن الله ﷻ يزيد من اهتدى بهداه تيسيراً للثبات على طريق الحق، والإيمان يزداد بفعل الطاعات؛ ويعمق الإيمان في النفس، وأما الكفر بالله - تعالى -، فهو دليل على ما ختم به على عقولهم فلم يهتدوا، لذلك يزدادون كفراً، فالزيادة متجددة في الكفر، ولذلك ناسبها التعبير بالمضارع[3].

ومن صور إعجاز القرآن الكريم تطويعه المفردات المختلفة المعاني؛ ليكون معنى الصفة في النفس أعمق تأثيراً وترغيباً؛ حيث يقول - تعالى -: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤].

الآية المباركة مرتبطة بسابقتها قوله - تعالى -: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

---

(١) ينظر: نظم الدرر (٤/٤٥).

(٢) ينظر: المصدر ذاته (٤/٤٢).

(٣) ينظر: التحرير والتنوير (٣/٣/٣٠).

حيث أعقب وصف الجنة بوصف أهلها المتقين بالأوصاف الكريمة، ولقد سبق في موضع آخر بيان الأسرار البلاغية لآية الشاهد[1]؛ لذلك سأقتصر هنا على بيان الاستعارة في قوله - تعالى -: ﴿وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ﴾.

والغيظ: أشد الغضب، وهو الحرارة والألم التي يجدها الإنسان من فوران دم قلبه[2] جراء هضم حقوقه المادية والمعنوية، مما يتسبب عنه انزعاج النفس، ومن أجاب داعي التشفي الذي يغلي في صدره ربما قاده إلى الانتقام، وقد يتجاوز الحد في أخذ حقه، لذلك كان كظم الغيظ صفة من صفات المتقين، كما أشارت الآية بذلك، لعظم الغيظ وشدة كظمه في النفس، وهو ليس كالغضب الذي يظهر على الجوارح وتتبعه الرغبة في الانتقام[3].

أما الكظم: فهو مخرج النَفَس[4]، ومنه كظم القربة إذا ملأها وسدَّ رأسها، وكظم الباب سده[5].

والمراد: أن نفس الإنسان تثور وتمتلئ غيظاً وحنقاً وأقوالاً وأفعالاً لا تحمد عقباها، وحبس ذلك وإخفاء آثاره يسمى كظماً للغيظ، وفي ذلك الاستعارة.

حيث شُبه دفع الغيظ بكظم القربة بجامع الإمساك، ثم تنوسي التشبيه، وادعي أن المشبه (وهو دفع الغيظ) فرد من أفراد المشبه به، وهو (كظم القربة).

---

(١) ينظر: ص(٢٢٣) من هذا الكتاب.

(٢) ينظر: المفردات (٣٦٨).

(٣) ينظر: المفردات (٣٦١)، وروح المعاني (٢/٤/٢٧٢).

(٤) ينظر: المفردات (٤٣٢).

(٥) ينظر: أساس البلاغة (٥٤٥).

ثم استعير كظم القربة لدفع الغيظ، فاشتق من الكظم بمعنى (الدفع) كاظمين بمعنى دافعين على سبيل **الاستعارة التصريحية التبعية**، والقرينة الغيظ ؛ لأنه لا يكظم وإنما يدفع.

وهو ما عبَّر عنه القونوي بقوله: «إشارة إلى الجامع بين المشبه به وهو كظم القربة، والمشبه وهو دفع الغيظ والغضب، وذلك الجامع هو الإمساك بعد الامتلاء»[1].

وذهب بعض الباحثين إلى أن كظم الغيظ من قبيل الاستعارة التمثيلية[2]، وهذا غير دقيق ؛ لأن الاستعارة التمثيلية تحذف فيها هيئة المشبه بأكملها بعد استعارة هيئة المشبه به لها، ولو افترضنا أنه شبه دفع الغيظ، وهو جزء من هيئة المشبه موجود، وهذا يبطل كون الاستعارة تمثيلية، والصواب - كما تقدم - أنها استعارة تصريحية تبعية.

ومن الأسرار واللطائف البلاغية في الآية الكريمة التالي:

١- بَدء صفات المتقين في قوله - تعالى -: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ﴾ بذكر النفقة ؛ لأنها الأشق على الأنفس، وأدل على الإخلاص، وكان الإسلام لا يزال في حاجةٍ إلى تجهيز الجيوش، وسدِّ حاجات المؤمنين المهاجرين بخاصة[3].

ومن جهةٍ أخرى، فإن البدء بالنفقة جاء مناسباً للتنويه بصفات المؤمنين، ومناسباً لوصفهم بالتقوى، وهو في مقابل الربا الذي ورد ذكره في الآية السابقة

---

(١) حاشية القونوي (٦/٣١٨).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير (٣/٤/٩١).

(٣) ينظر: الكشاف (١/٤٠٧).

في قوله - تعالى -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٠]، وهي أول ما نزل من الآيات التي تحرم الربا على المؤمنين[١]، وفيها ارتباط بالوصف بالتقوى؛ ذلك أنه لما أمر بالتقوى هنا ناسبه أن يبين في آية الشاهد صفات هؤلاء المتقين، وكذلك خُص البدء بالنفقة إشارة إلى ما جاء فيها من النهي عن الربا، وإن كانت الحاجة إلى المال ملحّة، والرغبة إليه شديدة، فالنفقة تمنع أكل أموال الناس بغير حق، كما أنها تبطل عادات الربا التي نمت في الجاهلية، كما أنه يُذهب النخوة وحب الخير، ويبطل المساعدة بين الناس.

٢- وفي حذف مفعول ﴿يُنفِقُونَ﴾ إشارة إلى شموله لكل ما يصلح للإنفاق من حيث النوع والكم[٢]، وفي ذلك إهابة وترغيب للمؤمنين في مدِّ يد العون والمساعدة بكل صورها ودرجاتها؛ فصاحبها يعد من المتقين.

٣- وأشاع **الطباق** بين قوله - سبحانه -: ﴿السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾ إضاءات الإيمان، وإشراقات النفقة، فهو يُصور منافعها في حالتي الرخاء والشدة والصحة والمرض، إذ أصبحت أيدي المؤمنين ممتدة بالعطاء تأمل السبق، وتسارع إلى الجنة، ولا تخشى الفقر، كما تأمن العوز.

٤- وفي قوله - تعالى -: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ تذييل[٣]، وهو تعقيب على قوله - تعالى -: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ وتأكيد على حسن مآلهم.

---

(١) ينظر: تفسير المنار (٤/١٢٣).

(٢) ينظر: إرشاد العقل السليم (٢/٣٣).

(٣) ينظر: المصدر والموضع ذاته، والتحرير والتنوير (٣/٤/٩١).

٥- واللام في قوله - تعالى -: ﴿ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ أن تكون للجنس[1] إشارة إلى هؤلاء المؤمنين، وإيذاناً بأن صفات المؤمنين الوارد ذكرها، والإتيان بها على الوجه المطلوب، هو من باب الإحسان، وبأن الموصوفين بتلك الصفات هم المحسنون.

٦- ولذلك يُعدُّ قوله - تعالى -: ﴿ٱلْمُحْسِنِينَ﴾: «من باب وضع المظهر موضع المضمر للمدح بالإحسان، وإيذاناً بعلة المحبة»[2].

وذهب بعض الباحثين إلى أنه لما كانت (الواو) في قوله - تعالى -: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ للاستئناف، فلم يعطف على ما سبق، موضحاً ذلك بقوله: «الإحسان وصف من أوصاف المتقين، ولم يعطفه على ما سبقه من الصفات، بل صاغه بهذه الصيغة تمييزاً له بكونه محبوباً عند الله - تعالى - لا لمزيد من مدح مَنْ ذُكِر من المتقين المتصفين بالصفات السابقة، ولا لمجرد مدح المحسنين الذي يدخل في عمومه أولئك المتقون (...)، فالذي يظهر لي هو ما أشرت من أنه وصف رابع المتقين، كما يتضح من الواقعة الآتية: يروى أن بعض السلف غاظه غلام له فجأة غيظاً شديداً، فهمَّ بالانتقام منه، فقال الغلام: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ﴾ فقال: كظمت غيظي. قال الغلام: ﴿وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾، قال: عفوت عنك. قال: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ قال: اذهب فأنت حر لوجه الله. فهذه الواقعة

---

(١) ينظر: الكشاف (١/ ٤٠٧)، وإرشاد العقل السليم (٢/ ٣٣).

(٢) حاشية القونوي (٦/ ٣٢٠).

تبين لك ترتب المراتب الثلاث»[1].

وهذا الرأي يشير إلى أن (ال) هنا للجنس ؛ «فيتناول كل محسن، ويُدخل تحته هؤلاء المذكورين»[2].

ومن صور الاستعارة ما جاء ممثلاً لصفات المؤمنين في قوله - تعالى -: ﴿وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا ۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٦][3].

الاستعارة في قوله - تعالى -: ﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾:

وفي صياغة هذه الاستعارة دقة عظيمة في اختيار الألفاظ المعبرة بإحكام، إذ جاء لفظ (أفرغ) من الإفراغ ؛ وهو في اللغة: خلاف الشَغْل، وأفرغت الدِّلو: صببت ما فيه[4]. يقال: درهم مفرغ، إذا كان مصبوباً في قالبه، وليس مضروباً[5].

ومنه استعير في الصبر على سبيل **الاستعارة المكنية**[6]: حيث شبه الصبر بماءٍ، ثم تنوسي التشبيه، وادُّعي أن المشبه (وهو الصبر) فرد من أفراد المشبه به (وهو

---

(١) تفسير المنار (٤/ ١٣٥). الكشاف (١/ ٤٠٧). وقد أوردهذه القصة ابن الجوزي عن جعفر الصادق، ولم يعزها لأحد، وقد ذكرها البيهقي في شعب الإيمان (٦/ ٣١٧)، ولم يعلق عليها. ينظر: بحر الدموع (١٧٤)، عبدالرحمن بن علي بن الجوزي، تحقيق: إبراهيم باجس عبد المجيد، دار ابن حزم، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م، وأوردها السيوطي في الدر المنثور (٢/ ١٣٠)، وعزاها للبيهقي عن علي بن الحسين، وهي مروية في كثير من كتب الأدب عن أناس آخرين كجعفر الصادق، وميمون بن مهران، والمأمون العباسي.

(٢) الكشاف (١/ ٤٠٧).

(٣) سبق شرح الآية الكريمة وبيان أسرارها البلاغية في موضوع التقديم والتأخير.

(٤) ينظر: المفردات (ص ٣٧٧).

(٥) ينظر: مفاتيح الغيب (٧/ ١٤/ ١٧٠).

(٦) ينظر: التحرير والتنوير (٥/ ٩/ ٥٦).

الماء) ؛ بجامع الإنزال في كلٍ، ثم استعير الماء للصبر للدقة في التعبير، ثم حذف المستعار (وهو الماء)، ورمز له بشيء من لوازمه وهو الإفراغ ؛ ليدل على سرعة السكب، وإثبات الإفراغ للماء استعارة تخيلية، وهو القرينة نفسها.

وسر بلاغة هذه الاستعارة: يكمن في دقة استعارة ألفاظها، ثم صياغتها في قالب بياني بليغ، فالإفراغ جسد حالة إيمانهم العظيم بالله ﷻ، إذ طلبوا منه أن يفرغ عليهم كل الصبر لا بعضه، وجملة واحدة كما يُفرغ ماء الإناء، وفي معاني تلك الألفاظ تتجلى حاجة نفوسٍ تواجه معركة غير متكافئة، لذا بادروا فطلبوا ما يشعرون معه بالأمان، وهو صبر يتدفق تدفق المياه بسهولته ويسره، مما يوحي بصدق رغبتهم في الثبات على الدين الحق.

ومن الاستعارات التي أشرقت معانيها في آيات صفات المؤمنين قوله - تعالى -: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

سياق الآية الكريمة في أحوال بني إسرائيل، وإشارة إلى أنَّ الإيمان بالنبي ﷺ مقدم على سائر الأنبياء، وناسب ذلك بيان صفات المؤمنين به ؛ الذين عظموه، وبجلوه، ونصروه، واتبعوا القرآن الركيم نوراً يهتدون به في الظلمات، لذلك هم الفائزون المفلحون[١].

---

(١) ينظر: البحر المحيط (٤/ ٤٠٢)، وتيسير الكريم الرحمن (١/ ٦٢٠).

وترتبط بسابقتها قوله - تعالى -: ﴿وَٱكۡتُبۡ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِنَّا هُدۡنَآ إِلَيۡكَۚ قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُۖ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

هذه الآية المباركة من بقية خطاب موسى عليه السلام عندما نزلت الرجفة بالعصاة بعد تكذيبهم لرسولهم عليه السلام؛ فدل على ولايته لله عز وجل، لأن من صفات المؤمنين المبادرة إلى وليهم، وناصرهم بطلب نفعهم، ودفع الضر الذي حل بهم، وسؤال أمة موسى عليه السلام الحسنة في الدنيا والآخرة، كسؤال المؤمنين من هذه الأمة، كما أخبر عنهم في قوله - تعالى -: ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ﴾ [البقرة: ٢٠١]، فناسب من كتب له الرحمة في الدنيا والآخرة أن تكون التقوى وإيتاء الزكاة، والإيمان بالله العظيم من صفاته، وأن تستكمل صفاتهم في آية الشاهد؛ بأنهم الذين يتبعون النبي الأمي[(١)]، ومضمون الآية إشارة إلى جواب دعاء موسى - عليه الصلاة والسلام -[(٢)].

من بلاغة **الاستعارة** في قوله - تعالى -: ﴿وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ﴾[(٣)] حيث التكاليف الشاقة[(٤)] التي ابتلي بها بنو إسرائيل شبهت بالقيود والأغلال، ثم حذف المشبه (وهو تلك التكاليف الشاقة) لكثرتها

---

(١) ينظر: مفاتيح الغيب (٨/ ١٥/ ٢٠).

(٢) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١/ ٣٦٣).

(٣) الإصر: الذنب، والثقل، وجمعه: آصار. ينظر: لسان العرب (٤ ٢٣)، (باب الراء، فصل الراء).
والغُلّ: جامع يُوضع في العنق، أو اليد، والجمع: أغلال، لا يكْسر على غير ذلك. ينظر: لسان العرب (١١/ ٥٠٤)، (باب اللام، فصل الغين).

(٤) والتكاليف الشاقة هذه مثل: أن التوبة لا تكون إلاّ بقتل النفس، وقطع الأعضاء الخاطئة، وقرض موضع النجاسة من الجلد والثوب. ينظر: إرشاد العقل السليم (٣/ ٣٨).

وتنوعها، ثم صرح بذكر المشبه به (وهو القيود والأغلال) إشعاراً بما كانوا عليه من التعب على سبيل **الاستعارة التصريحية**.

وسر بلاغة هذه الاستعارة يتضح في التعبير بلفظ ﴿يَضَعُ﴾ دون غيره؛ لأنه يجسد ذلك الجهد والعناء الذي تتكبده بنو إسرائيل من العمل بتلك التكاليف، حتى وكأنها ثقل يقيدهم، لذلك ناسب التعبير بالوضع الذي يشير إلى عبء الموضوع، ويشعر بالراحة بعد التخلص من التكاليف التي أزاحها عنهم المصطفى ﷺ. ولا يخفى ما في الجار والمجرور ﴿عَلَيْهِمْ﴾ من أثر في بيان تمكن التعب والإعياء منهم، كما تمكن القيد والأغلال من المقيد.

ومن الاستعارات المتألقة ما جاء في قوله - تعالى -: ﴿وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ﴾ الآية.

فقد شُبه القرآن الكريم بما يحمله للناس كافة من خيري الدنيا والآخرة بالنور، ثم حذف المشبه (وهو ثمرة اتباع هذا الدين) فهي لا تخفى على ذي بصيرة، وصرح بلفظ المشبه به (وهو النور) على سبيل **الاستعارة التصريحية**، وبما أنها في المصدر، فقد دلت على شدة هذا النور ترغيباً في تحصيله، وهي لذلك أصلية، وبجامع الاستضاءة والإظهار في كلٍ، فالقرينة معنوية.

والبلاغة في هذه الاستعارة تعود إلى ما تعنيه كلمة ﴿ٱلنُّورَ﴾، فهو من نار، وأنار، واستنار، وشيء منير ومستنير، وأنار السراج ونوَّره[1]، والنور هو الضوء المنتشر الذي يعين على الإبصار[2].

---

(١) ينظر: أساس البلاغة (ص ٦٥٧).

(٢) ينظر: المفردات (ص ٥٠٨).

ومناسبة استعارة لفظ ﴿ٱلنُّورَ﴾ للدلالة على القرآن الكريم فلأنه:

أولاً: «بإعجازه ظاهر أمره مظهر غيره، أو لأنه كاشف الحقائق مظهر لها»(١).

ثانياً: و«لأنه يجعل المقتدى به ببيان طريق الحق كالماشي في ضوء النهار»(٢).

من الأسرار البلاغية في الآية المباركة:

التعبير بالفعل المضارع في قوله - تعالى -: ﴿ يَتَّبِعُونَ ﴾ دل على الاستقبال والتجدد، مما يشير إلى أنهم على الدين الحق مستمرون.

ومعنى لفظ الاتباع: الاقتداء بما جاء به ﷺ اعتقاداً وقولاً وعملاً، وفيه إشارة إلى ما يجدونه من جهد وتعب في تحقيق تلك المعاني(٣).

وتقديم الوصف بالرسالة على النبوة في قوله - تعالى -: ﴿ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ﴾ بدأ بالأشرف فيه إشعار بأهمية الكتاب الذي اختص بالنزول معه، وهو القرآن الكريم الذي شُبه بالنور تعظيماً، ثم ثنى بما يدل على أنه بشر، وليس من الملائكة، وإشارة إلى اختصاص النبوة بالمعجزات التي تؤيده(٤).

وإنما سمي رسولاً فبالإضافة إلى الله - تعالى -؛ لأنها قربة منه، وسمي نبياً بالإضافة إلى العباد؛ لأن معنى النبي اللغوي هو المخبر للعباد(٥).

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١/٣٦٣)، وينظر: حاشية زاده (٢/٢٧٥)، وإرشاد العقل السليم (٣/٣٩).

(٢) نظم الدرر (٨/١١٩).

(٣) ينظر: المصدر ذاته (٨/ ١٠٦).

(٤) ينظر: نظم الدرر(٨/ ١٠٦)، وإرشاد العقل السليم (٣/ ٣٨).

(٥) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١/ ٣٦٢)، وحاشية القونوي (٥/ ٥١٨).

وفي هذين الوصفين للمصطفى ﷺ تعظيم له ولرسالته، وإقامة للحجة على من أنكره.

وكونه وُصِفَ بـ﴿ٱلۡأُمِّيَّ﴾ تشريف للأمّة العربية؛ لأن علمها بغير مُعَلِّم من البشر، فكل ما جاء به النبي ﷺ صدق وحق عن علاّم الغيوب[١].

في التعبير بلفظ الكتابة في قوله - تعالى -: ﴿ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ﴾ إشارة إلى إلى ما وجدوه من أوصافه، وباسمه (محمد، وأحمد)[٢]، وإشارة إلى بشائر الأنبياء - عليهم السلام - بنبوته ﷺ، ليكون حجة أخرى، ومعجزة خالدة تتجدد في كل أمة، وفي كل زمان، فكل مدون ومثبت في كتبهم التي على لسان رسلهم - عليهم السلام - وزاد في تقرير ذلك بقوله - سبحانه -: ﴿عِندَهُمۡ﴾[٣].

ولقد جاءت أوصاف المصطفى - عليه أفضل الصلاة والسلام - بصورة **المقابلة** بين وصفين في قوله - تعالى -: ﴿يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾[٤] بلغت في ذلك المقابلة شأواً بعيداً في إظهار كمال صفاته ﷺ، ذلك أنه لما كان يأمر بذلك المعروف، فقد تممه بالنهي عن نقيضه، دليلاً على حرصه على

---

(١) ينظر: نظم الدرر (٨/ ١٠٦).

(٢) ينظر: الكشاف (٢/ ١٥٩)، وإرشاد العقل السليم (٣/ ٣٨).

(٣) ينظر: محاسن التأويل (٣/ ٦٤٥، ٦٤٨) لمحمد جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت - لبنان، ط١، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.

(٤) لقد سبق بيان معنى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في آية آل عمران بأن الأمر بالمعروف هو: كل أمر تعارفت عليه العقول السليمة. والنهي عن المنكر: هو كل ما تأباه النفوس، وتنكره الفطر السليمة.

أمته ؛ لأن تكون على الصراط المستقيم، ولئلا يدعي متطفل على الدين، فيحل منكراً بحجة عدم منعه، ولعدم تحريمه.

ثم مقابلة أخرى بين ثلاثة وثلاثة في قوله - تعالى -: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ﴾ وذلك بمقبلة الحلال بالحرام، و﴿لَهُمُ﴾ بـ﴿عَلَيۡهِمُ﴾، والطيبات بالخبائث.

وسر بلاغتها: أنه ﷺ عندما بين ما أحل الله - تعالى - لهم، فخشية أن يتبادر إلى بعض ذوي النفوس أن تلك المحرمات مما لم يأت على ذكرها حلال، فاستدراكاً لما قد يقع بيَّن ما يحرم عليهم كذلك، ليكون قد أدَّى رسالة الإسلام كاملة تامة.

وفي المقابلة بين (لهم، وعليهم) إشعار بالثواب والعقاب الذي يترتب على الأمرين معاً، مما يكون فيه ترغيب في الثواب، وترهيب من العقاب.

ثم المقابلة بين إحلال الطيبات من الكل، وسميت بذلك لطيب مردودها، فهي لذلك حلال، وتحريم الخبائث من المأكول، دليل على خبثه وعدم نفعه.

وفي المقابلة بين الحلال الطيِّب وبين الخبيث الحرام دقة متناهية في بيان الأحكام الشرعية، حتى لا تختلط على الناس، فيتعدى بعضهم حدودها.

والوصف بقوله - سبحانه -: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ﴾ بيان لعلو رتبة متبعيه، وذلك مناسب إثر ذكر أوصافه الجليلة ﷺ[1]. وكونهم آمنوا به فقد حصل لهم الأمان ؛ لأنهم لم يكذبوا بشيء من آياته ﷻ[2] كما أن فيه إشارة إلى

---

(١) ينظر: إرشاد العقل السليم (٣/ ٣٩).

(٢) ينظر: نظم الدرر (٨/ ١١٨).

من آمن به من أعيان بني إسرائيل، كعبدالله بن سلام، وغيره من أهل الكتابين[١].

ومن صفات المؤمنين تعظيمهم لنبيهم إقراراً بفضل ما جاء به، حيث قال تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ﴾[٢] والتعزير في الآية مراد له: انهم منعوه، وعظموه، ووقروه حتى لا يقوى عليه أحد[٣].

ومن صفاتهم كذلك أنهم ﴿نَصَرُوهُ﴾[٤]، والمراد به هنا: منعه بالسلاح، ونصرته على أعدائه[٥].

وأما معنى المعية في قوله - تعالى -: ﴿وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ﴾، والقرآن الكريم أنزل مع جبريل عليه السلام، وليس مع النبي ﷺ، فالمراد أنزل مع نبوته دليلاً عليها، مشفوعاً به[٦].

---

(١) ينظر: البحر المحيط (٤/ ٤٠٣).

(٢) قوله - تعالى -: (وعزروه) من عزر، والعزر هو: اللوم، وعَزَره يعزره عزراً، وعزَّره: ردده. وأصل التعزير: المنع، والردُّ، فكأن مَنْ نصرتَه قد رددت عنه أعداءه، ومنعتهم من أذاه، كما أنه من الإعانة، والتوقير والتعظيم. ينظر: الصحاح (٣/ ٨٨٥)، (فصل العين، باب الراء)، ولسان العرب (٤/ ٥٦٢)، (باب الراء، فصل العين).

(٣) ينظر: الكشاف (٢/ ١٦٠)، وإرشاد العقل السليم (٣/ ٣٩).

(٤) النصر: إعانة المظلوم؛ نصره على عدوه، ينصره، ونصره ينصره نصراً، ورجل ناصر من قوم نُصَّار. والنُّصْرة: حسن المعونة. وانتصر الرجل: إذا امتنع من ظالمه، ويكون الانتصار من الظالم الانتصاف. ينظر: الصحاح (٣/ ٨٨٥)، (فصل النون، باب الراء)، ولسان العرب (٥/ ٢١٠)، (باب الراء، فصل النون).

(٥) ينظر: جامع البيان (٣/ ٥٠٩)، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل (١/ ٣٦٣).

(٦) ينظر: الكشاف (٢/ ١٦٠)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١/ ٣٦٣)، وحاشية القونوي (٨/ ٥٢٠).

ويجوز أن تكون (مع) بمعنى عليه، أي: النور الذي أُنزل عليه[1].

والإشارة في قوله ﷻ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ إشعار بعلو صفاتهم، وعلو مرتبتهم. وأما **القصر** فإنه مستفاد من تعريف المسند، ومن ضمير الفصل. **والغرض** منه: مدح أمة محمد ﷺ بالإيمان، وأنَّ فلاح غيرهم من الأمم، كلا فلاح إذا نسب إلى فلاحهم[2].

ويمكن القول إن هذا المعنى الذي خرج إليه استعمال النور، فهو من المجاز الذي جاء ذكره عند الزمخشري حيث قال: «ومن المجاز نوَّر الأمر: بيَّنه، وهذا أنور من ذاك أبين»[3]، ولقد جاء لفظ ﴿ٱلنُّورَ﴾ على وجه الاستعارة في كثير من الآيات المباركة في القرآن الكريم، منها قوله - تعالى -: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧]، فنلاحظ أن لفظ ﴿ٱلنُّورَ﴾ مستعار للإيمان بالله - تعالى - على طريق الاستعارة التصريحية. وجاء كذلك اللفظ استعارة للإيمان أو القرآن أو الحكمة، على اختلاف ما ورد في تفسيره من آراء في سورة الأنعام: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ﴾ [الآية: ١٢٢]، وجاء اللفظ كذلك استعارة تصريحية لمعنى القرآن الكريم في سورة الأعراف قال - تعالى -: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الآية: ١٥٧]، وهذه المعاني من الضرب

(١) ينظر: البحر المحيط (٤/ ٤٠٣)، وإرشاد العقل السليم (٣/ ٣٩).
(٢) ينظر: إرشاد العقل السليم (٣/ ٣٩)، والتحرير والتنوير (٥/ ٩/ ١٣٨).
(٣) أساس البلاغة (ص ٦٥٧).

المعقول بعين البصيرة، وهو ذلك الأمر الذي انتشر وعرف بين الناس بالأمور الإلهية التي يدركها العقل[١].

كما وردت **الاستعارة** في الأنوار الموصوفة والمتعددة مثل نور الإسلام ونور اليقين، ونور المعرفة، ونور التوحيد، وإن كانت مختلفة الأسماء، فإنها أشكال غير أضداد، ويتولد من كل نورٍ منها فوائد على حدة ما لا يتولد من الآخر على قدر مراتبها، فكل منه يتولد منه خوف ورجاء، فنور الإسلام: يتولد منه خوف الخاتمة، ورجاء حسن العاقبة لقوله - تعالى -: ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢]، ونور الإيمان: يتولد منه خوف طوارق السوء، وكذلك يتولد منه رجاء طوارق الخير.

وأما نور التوحيد: فإنه يتولد منه خوف الحقائق، ورجاء الحقائق، وهذا النوع الذي يرجع خوفه إلى مشاهدة الربوبية، وهو أن يخاف الله - تعالى -، ولا يخاف سواه، ويرجوه لا يرجو سواه، وسائر الأحوال التي ذكرت شرحها على هذا السبيل الذي وصفت لله - تعالى -[٢]. فعلى هذا فإن معنى النور توضحه الإضافة إليه، وما يرد في الآية الكريمة من معنى يناسب المراد. والله أعلم.

الأثر النفسي للتعبير بلفظ النور على اختلاف المعاني: يتضح اللطف من التلازم بين معنى النور الحقيقي حيث الاستضاءة، وتمييز الأشياء، ومعرفة الطريق الصحيح، وبين المعنى المستعار له حيث الهداية والرشاد، كما أنه بيِّن، فهو يستقطب كل الحواس للاستفادة من آثاره، فبه تعمل كل ما يرضي ربَّ العالمين.

---

(١) ينظر: المفردات (ص ٥٠٨).

(٢) ينظر: بيان الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللب (ص ٧٩، ٨٠).

المبحث الرابع

الكنايـة

إحدى صنوف البيان الدالة على ما خفي من المعاني، وبيان لطرق الانتقال فيها من ملزوم المعنى إلى لازمه، اتساعاً وتفنناً في الكلام، مبناه الكناية.

الكناية لغةً:

مصدر قولك: كنيت بكذا عن كذا[١]، والكُنية على ثلاثة أوجه: أحدها أن يكنى عن الشيء الذي يستفحش ذكره، الثاني: أن يكنى الرجل باسمٍ توقيراً وتعظيماً، والثالث: أن تقوم الكُنية مقام الاسم فيعرف بها صاحبها[٢].

واصطلاحاً:

حسبما اتفق عليه البيانيون: «أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود، فيومىء به إليه، ويجعله دليلاً عليه، مثال ذلك قولهم: (طويل النجاد، يريدون طويل القامة)»[٣]. وهو ما عبَّر عنه الخطيب القزويني[٤] بقوله:

---

(١) ويقال: كنوت فيكون يائي اللام، أو واوي اللام. ينظر: أدب الكاتب (ص ٣٦٤)، ولسان العرب (١٥/٢٣٣) (باب الألف المقصورة، فصل الكاف).

(٢) ينظر: المطول (ص ٦٣٠).

(٣) دلائل الإعجاز (ص ٦٦).

(٤) الخطيب القزويني: محمد بن عبد الرحمن بن عمر جلال الدين القزويني، ولد بالموصل، وقدم دمشق ومصر، صار قاضياً بالشام، من تصانيفه: الإيضاح على صاحب المفتاح في المعاني والبيان، تلخيص المفتاح للسكاكي، والمشذر المرجاني من شعر الأرجاني، توفي سنة ٧٣٩هـ. ينظر: البدر الطالع (ص ٧٠٠)، وهدية العارفين (٢/ ١٢٠).

وبالنسبة لمعتقده فإنه جنح نحو الاعتزال مما أوقعه في مآخذ عقدية، وكتابه الإيضاح يشهد بالعديد من ذلك، ينظر: المدخل إلى دراسة بلاغة أهل السنة (ص٨٣).

«لفظ أريد به لازم معناه، مع جواز إرادة معناه حينئذٍ»[١]، فلا يمتنع في قولك: طويل النجاد أن يراد طول نجاده مع إرادة طول قامته، فنلحظ من هذا أن الكناية لا يتنافى معها إرادة الحقيقة؛ لأن الكناية كثيراً ما تخلو من إرادة المعنى الحقيقي، بمعنى أن الممدوح قد لا يكون له نجاد قط[٢].

بين الحقيقة والكناية: لا بد في الكناية من أن تكون ذات علاقة بين المعنى الظاهري للكلام (**المعنى الأصلي الذي كنى به**) وبين المعنى الكنائي، وهذه الصلة هي ما تسمى بالعلاقة التي تربط بين المعنيين، وإلاَّ التبس المعنى، وأصبح إلغازاً وتعمية، ولم يكن بلاغةً وبياناً، كما في قوله - تعالى -: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلاً﴾ [الفرقان: ٢٧]؛ فقد عبَّر عن شعوره بالحسرة والندم على ما فرط بعضٍّ يديه[٣].

ولقد أورد الشيخ عبد القاهر الجرجاني، هذا المعنى بدقة أكثر، حيث قال: «ليس المعنى إذا قلنا: إن الكناية أبلغ من التصريح، أنَّك لما كنيت عن المعنى زدته في ذاته؛ بل المعنى أنك زدت في إثباته؛ فجعلته أبلغ وآكدَ وأشدَّ، فليست المزية في قولهم: (جمُّ الرماد) أنه دل على قِرىً أكثر، بل إنك أثبتَّ له القِرى الكثير من وجه هو أبلغ، وأوجبته إيجاباً هو أشدّ، وادَّعيته دعوى أنت بها أنطق وبصحتها أوثق»[٤].

---

(١) الإيضاح (ص ٢٨٦).

(٢) ينظر: مفتاح العلوم (ص ١٩٠)، وينظر: الإيضاح (ص ٢٨٦)، والمطول (ص ٦٣١).

(٣) ينظر: من بدائع النظم القرآني (ص ٦٨)، للدكتور السيد عبد الفتاح حجاب، ط الجندي، بنها الجديدة، وعلم البيان (ص ٢٤٤)، للدكتور بسيوني فيود.

(٤) دلائل الإعجاز (ص ٧١).

والكناية عند البلاغيين ثلاثة أنواع:

١- كناية عن موصوف، كقولهم : (المضياف) كناية عن عمرو.

٢- كناية عن صفة، كقولهم: كثير رماد القدر، كناية عن صفة الكرم.

٣- كناية عن نسبة مثل: المجد بين ثوبيه[١].

وبلاغة الكناية ومزيتها؛ في القرآن الكريم خاصة: أنها تؤكد المعنى، وتوجب إثباته، وذلك عن طريق إثبات الصفة: «بإثبات دليلها، وإيجابها بما هو شاهد في وجودها، آكد وأبلغ في الدَّعْوى من أن تجيء إليها فتثبتها هكذا ساذجاً غفلاً»[٢].

وللكناية مزية أخرى: «وسببها التركيب الجديد الذي تُحَوَّلَ به المعنى إلى عالم من الصور المجسمة المحسوسة، وإلى علاقاتٍ جديدةٍ، قام فيها الخيال بدور بعيد في نظمها؛ فهذه الكثبان الرمادية التي يقف أمامها الناظر؛ ليطّلع من خلفها على حركةٍ نشطةٍ من الحياة، تمثّل هذا الكرم، فهناك قدور تُنصب، وحطب يحرق، وحركة من الضيوف لا تنقطع جيئةً وذهاباً، كل هذه الحياة تمثلها لنا كلمة (كثير الرماد)»[٣].

واختصت الكناية في القرآن الكريم:

١- بالإيجاز اللطيف العجيب، الذي لا يستطيع محاكاته أحد.

---

(١) ينظر: الإيضاح (ص ٢٨٦، ٢٨٧)، والمطول (ص ٦٣٠).

(٢) دلائل الإعجاز (ص ٧٢).

(٣) الكناية أساليبها ومواقعها في الشعر الجاهلي (ص ٤٨)، تأليف محمد الحسن علي الأمين أحمد. مكتبة الفيصلية، مكة المكرمة، ط١، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م. وينظر: الأسلوب الكنائي (ص ٨٨)، للدكتور محمد السيد شيخون، الناشر مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ط١، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

٢- وبجمال التعبير، لما فيها من ألفاظ مهذبة، بعيدة عما يستهجن، لذلك تربعت على عرش الجمال، وفازت بقصب السبق.

٣- فيها قوة تأثير لما فيها من حسن التصوير.

٤- تميزت بنظمها البديع، فمعناها لا يؤدى بغير لفظها، ولفظها لا يصلح إلا لمعناها حتى لا يمكن التفرقة بينهما[1].

بين الكناية والمجاز:

إن الكناية تشتمل على قرينةٍ لا تمنع من إرادة المعنى الأصلي، كما اتضح في قولهم: (طويل النجاد)، أما أسلوب المجاز؛ فإنه يشتمل على قرينةٍ تمنع من إرادة المعنى الأصلي للفظ[2]، ومثاله قولهم: «عجبت للجيفة كيف يطغى»، فهذا مجاز مرسل، علاقته اعتبار ما سيؤول إليه الإنسان بعد موته، حيث أطلق لفظ الجيفة، وأريد بها الإنسان الحي، وهذه القرينة تمنع من إرادة المعنى الأصلي للجيفة[3].

وهناك فرق آخر بين الكناية والمجاز، ذلك أن: «مبنى الكناية على الانتقال من اللازم إلى الملزوم، ومبنى المجاز على الانتقال من الملزوم إلى اللازم»[4].

---

(١) ينظر: الأسلوب الكنائي (ص ١٠١ -١٠٦).

(٢) ينظر: الإيضاح (ص ٢٨٦، ٢٨٧)، والمطول (ص ٦٣٠).

(٣) ينظر: علم البيان (ص ٢٤٥) للدكتور بسيوني عبد الفتاح فيود.

(٤) الإيضاح (ص ٢٨٦). ولقد فرق السكاكي بين المجاز والكناية بنص تلك العبارة، والمراد عندما نقول: فلان كثير الرماد، فكثرة الرماد لازم ينتقل منه إلى الملزوم وهو الكرم. أما المجاز؛ فمثاله: أقبل الأسد في يده بندقية؛ فإن الأسد ملزوم، والشجاعة لازم له، فينتقل من الملزوم إلى اللازم. أي من الأسد إلى الشجاعة.

التعريض لغة:

«العين والراء والضاد بناء تكثُر فروعُه، وهي مع كثرتها ترجع إلى أصل واحدٍ، وهو العَرْض الذي يخالف الطُّول (...)، ومن ذلك: عَرْضُ الجُنْد: أن تُمِرَّهم عليك، وذلك كأنك نظرت إلى العارض من حالهم»[1].

ومنه: التعريض: خلاف التصريح، والمعاريض: التورية بالشيء عن الشيء، ومن ذلك التعريض في خطبة المرأة في عدتها، وهو: أن يتكلم بكلام يشبه خطبتها ولا يصرَّح به[2].

التعريض اصطلاحاً:

«أن تذكر شيئاً تدل به على شيء لم تذكره، كما يقول المحتاج للمحتاج إليه: جئت لأسلم عليك (...) وكأن إمالة الكلام إلى عُرْضٍ يدل على الغرض»[3]. وكما جاء في حده بأنه: «اللفظ الدال على الشيء من طريق المفهوم بالوضع الحقيقي والمجازي؛ فإنك إذا قلت لمن تتوقع صلته ومعروفة بغير طلب: والله إني محتاج وليس في يدي شيء (...)؛ فإنَّ هذا وأشباهه تعريض بالطلب، ولم يوضع هذا اللفظ في مقابلة الطلب لا حقيقةً ولا مجازاً، وإنما دل عليه من طريق المفهوم»[4].

وتعود أهمية التعريض: إلى أنه يتحرز به عن المخاشنة، وإيذاء الناس بالكلام غير المباشر[5]، وهو أسلوب يناسب ذكاء العربي، ونقاء تفكيره، فيأتي بالفائدة من المدح والثناء في أن يعرّض فيه بالآخرين.

---

(١) معجم مقاييس اللغة (٤/ ٢٦٩، ٢٧٠)، (باب العين والراء، وما يثلثهما).

(٢) ينظر: لسان العرب (٧/ ١٨٣)، (باب الضاد، فصل العين).

(٣) الكشاف (١/ ٢٧٩).

(٤) المثل السائر (٣/ ٥٦)، وينظر: كتاب الطراز (ص ١٧٩) للطيبي.

(٥) ينظر: التبيان في علم المعاني والبديع والبيان (ص ٢٧٦).

ومن شواهده في القرآن الكريم قوله - تعالى -: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ [البقرة: ٢-٣].

إذ فُسِّر: «(الغيب) بـ(الغيبة)، بمعنى يؤمنون مع الغيبة عن حضرة النبي ﷺ، أو عن جماعة المسلمين، على معنى هدىً للذين يؤمنون عن إخلاصٍ، لا عن الذين يؤمنون عن نفاقٍ»[1]، وهذه الآية من التعريض بالكفار والمنافقين الذين لا يؤمنون ولا يهتدون.

ومن ألوان الكناية في آيات صفات المؤمنين قول الله ﷻ: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ۝ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٣-٢٧٤].

الآيتان الكريمتان حث للمؤمنين على أن يتحروا بصدقاتهم الفقراء الذين حبسوا أنفسهم في سبيل الله - تعالى -، وعلى طاعته، لا إرادة لهم في الكسب ولا قدرة عليه، وهم مع ذلك يتعففون، ويتلطفون حتى لا يُشعروا أحداً بحاجتهم؛ بل يظنهم من رآهم أنهم أغنياء.

فهذا الصنف من الفقراء أفضل من وضعت فيهم النفقات، دفعاً لحاجتهم، وإعانةً لهم على طريق الخير، وتحفيزاً لهم للمثابرة على الصبر.

---

(١) مفتاح العلوم (ص ١٩٣، ١٩٤).

ثم بين أهمية النفقة على المحاويج حيثما كانوا، لما لها من الأجر والثواب عند الله - تعالى -، وخصَّ أجر المنفقين بأنه من عنده دلالة على شرفه(١).

وترتبط الآيتان بما قبلهما قوله - تعالى -: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٢].

لما أخبر - سبحانه - في هذه الآية الكريمة عن جواز الصدقات للمحاويج على إطلاقهم؛ المؤمن والكافر على وجه الشمول، وبيّن أنه لا يحق منعها الكافر حتى يدخل في الإسلام؛ لأن دخول الإسلام وعدمه توفيق من الله ﷻ، فلا يمنع التصدق عليهم(٢).

---

(١) ينظر: جامع البيان (٢/١٦٧-١٦٩)، وتيسير الكريم الرحمن (١/٢٠٤، ٢٠٥).

(٢) ينظر: جامع البيان (٢/١٦٦)، ونظم الدرر (٤/١٠٤). وروي في أسباب نزول قوله - تعالى -: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟...﴾، أنها نزلت في فقراء المهاجرين، وكانوا نحو أربعمائة، وهم أصحاب الصفة، لم يكن لهم مسكن ولا عشائر بالمدينة، وكانوا ملازمين المسجد، ويتعلمون القرآن الكريم، ويصومون ويخرجون في كل غزوة، عن ابن عباس ﷺ وقف رسول الله ﷺ يوماً على أصحاب الصفة، فرأى فقرهم وجدَّهم، فطيب قلوبهم فقال: **(أبشروا يا أصحاب الصفة، فمن لقيني من أمتي على النعت الذي أنتم عليه راضياً بما فيه، فإنه من رفاقي)**. ومفاتيح الغيب (١٤/٧/٧٠)، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٢/ ٢١٥، ٦١٦). ينظر: فهرس تخريج الأحاديث، وروي في سبب نزول قوله - تعالى -: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ...﴾ أنها نزلت في علي ﷺ، فإنه تصدق بدرهم بالليل، وبدرهم بالنهار، وبدرهم سراً، وبدرهم علانية". كتاب التسهيل لعلوم التنزيل (١/٩٤)، وأسباب النزول (ص ٧٨)، وروي أنها نزلت في أصحاب الخيل الذين يرتبطون الخيل في سبيل الله ﷻ ينفقون عليها بالليل والنهار سراً وعلانية. ينظر: أسباب النزول (ص ٧٧).

من بلاغة الكناية في الآية المباركة:

لقد ظهر واضحاً في هذه الآية الكريمة اعتمادها على الأسلوب الكنائي ؛ فقد جاء التعبير عن صفات هؤلاء المؤمنين بصفةٍ خاصةٍ بثلاث كنايات، وذلك ما يلائم ما هم عليه من التعفف والترفع عن طلب ما عند الناس، فكانت الكنايات كالتالي:

الكناية الأولى في قوله - تعالى -: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ﴾:

من الأوصاف العظيمة للمؤمنين، والتي تباهى بها القرآن الكريم: التعفف والترفع عن السؤال، حتى في وقت الفقر والحاجة، بل والرضا والصبر على ذلك، ومجيئه بأسلوب الكناية مناسب لعدم استطاعتهم - رضوان الله عليهم - السعي لطلب الرزق ؛ فلم يسلكوا سبل التكسب على سعتها رغبةً فيما عند الله - تعالى - ؛ ذلك أن: «الضرب في الأرض كناية عن التجر ؛ لأن شأن التاجر أن يسافر ليبتاع ويبيع ؛ فهو يضرب الأرض برجليه أو دابته»[1]. ذلك أنه انتقل في التعبير من لازم الضرب في الأرض وهو السفر، إلى ملزومه وهو البيع والشراء الذي ينتج عنهما الكسب، وهو المراد.

الكناية الثانية في قوله - تعالى -: ﴿لَا يَسْـَٔلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾: عن صفة التعفف لعدم إظهار آثار الفقر، فلا يظهر عليهم من رثاثة الحال ما يدل على حاجتهم[2].

---

(١) التحرير والتنوير (٣/٣/٧٤).

(٢) ينظر: البحر المحيط (٢/٣٤٣).

وتعريض بالملحفين بالسؤال ؛ ففي ذلك زيادة فائدة في أهمية عدم السؤال، والإلحاف: الإلحاح في المسألة، وأصله من اللُحاف، وهو ما يتغطى به[١]، وسمي الإلحاح بذلك ؛ لأنه يغطي القلب كما يغطي اللحاف مَنْ تحته[٢].

ولأهمية عدم السؤال، ناهيك عن الإلحاف فيه، لأنه مما يؤثر في شخصية المسلم، ويقدح في كرامته ودينه، فإن التشدد في رفض هذه الصفة جاء بصيغة المبالغة المنفية، وبطريقة التعريض بالآخرين الملحفين، ونظيره في قوله - تعالى -: ﴿ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾ [غافر: ١٨]، أي لا شفيع أصلاً، وحيث لا شفيع فلا إطاعة، فخلص من ذلك أنه لا شفيع يطاع. وكما في قول امرئ القيس:

علـى لا حـبٍ لا يُهْـتَدى بمـنارِه ... إذا سـافَهُ العـودُ النُّبَاطـيُّ جَرْجَـرا[٣]

فالشاعر أراد نفي المنار على إطلاقه، وكذلك نفي الاهتداء به، وفي الآية الكريمة نفي للإلحاف، ونفي للسؤال على إطلاقه بقرينة قوله - تعالى -: ﴿يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ﴾ [البقرة ٢٧٣][٤].

---

(١) ينظر: المفردات (ص ٤٤٨).

(٢) ينظر: روح المعاني (٤٦/٣/٢).

(٣) البيت من الطويل، وهو في ديوان امرئ القيس (ص ٤٦).

اللاحب: الطريق الواضح. سافه: شمه، العود: الجمل المسن، النباطي: الضخم، ونسبة إلى النبط، وهم قوم يسكنون بالبطائح بين العراقين. جرجر: رغا وضج.

(٤) ينظر: معاني القرآن وإعرابه (٣٥٧/١)، ومفاتيح الغيب (٧١/٧/٤)، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٦١٧/٢)، والتحرير والتنوير (٧٦/٣/٣)، وخصائص التشبيه في سورة البقرة (ص ٤٥٢، ٤٥٣).

وتحسن هذه الطريقة إذا كان التعبير الواقع بعد النفي بمنزلة اللازم للنفي ؛ فيكون نفي اللازم نفياً للملزوم بطريق برهاني ، كما يقول السعد[1].

ويمكن أن يكون المراد من قوله - تعالى - : ﴿إِلْحَافًا﴾ هنا : أنهم يلحفون على أنفسهم في ترك السؤال ، ومنعهم ذلك يكون بالمصابرة الشديدة[2] ، بل وأجدها من أوجه التفسيرات المناسبة لوصف حال هؤلاء الفقراء المؤمنين.

ولقد أورد الزمخشري احتمالين لمعنى الجملة ، ولم يرجح أحدهما على الآخر ، حيث قال : «ومعناه أنهم إن سألوا ، سألوا بتلطفٍ ولم يلحوا ، وقيل : هو نفي للسؤال والإلحاف جميعاً ، كما في قول الشاعر :

على لا حب لا يهتدى بمناره

يريد نفي المنار والاهتداء به»[3].

ولكنَّ الرازي ذكر أن الزمخشري قد اختار معنى أنهم سألوا بتلطف ، ولم

---

(١) ينظر : المطول (ص ٦٣٠).

والسعد هو : سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله الهروي الخراساني ، العلامة الفقيه الأديب ، الحنفي الشهير بالتفتازانى ، ولد سنة ٧٢٢هـ ، من تصانيفه : الاصباح في شرح ديباجة المصباح في النحو ، وشرح تلخيص المفتاح للسكاكى في المعاني والبيان ، والمطول في المعاني والبيان ، وحاشية على الكشاف للزمخشري ، وغيرها كثير. توفي بسمرقند في المحرم سنة ٧٩٢هـ. ينظر : البدر الطالع (ص ٨٢١) ، وهدية العارفين (٢/ ٤٣٣) ، وهو مخالف لمنهج أهل السنة في تأويله صفات الله عز وجل في عدد من مواضع كتابه المطول. كما صرح عن معتقده بأنه ماتريدي صلب. ينظر : المدخل إلى دراسة بلاغة أهل السنة (ص١٠٩).

(٢) ينظر : مفاتيح الغيب (٧٢/٧/٤) ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٦١٧/٢) ، وحاشية الشهاب (٦٠٣/٢).

(٣) الكشاف (٣١٣/١ ، ٣١٤).

يلحوا[١]، وذكر أنه رأي ضعيف، واحتج لذلك بأن الله - تعالى -: قد وصفهم بالتعفف عن السؤال، فقال - سبحانه -: ﴿يَحۡسَبُهُمُ ٱلۡجَاهِلُ أَغۡنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ﴾[٢]، ولكن الواقع كما لاحظنا أن الزمخشري، ذكر التفسيرين، ولم يرجح أحدهما على الآخر. وقد يرجع ذلك - والله أعلم - إلى أن النسخة التي قرأها الرازي تخالف النسخة المطبوعة.

الكناية الثالثة في قوله - تعالى -: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ يجري مجرى قول السلطان لمن استحسن عمله: ما يكفيك بأن أكون شاهداً ومطّلِعاً على خدمتك وحسن طلعتك، فهذا أعظم من قول: إنَّ أجرك واصلك[٣]. ووجه الكناية: هنا واضح، إذ إنه يقول -سبحانه -: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ أراد لازم المعنى، وهو أن العطاء والمكافأة واصلة إليهم بما يليق بربٍّ العالمين؛ وليس المراد علم الله ﷻ فقط (وهو الملزوم). وهذه هي الكناية عن سعة الرزق؛ بحيث لا يعلم به غيره.

من بلاغة الآيتين الكريمتين:

أولاً: الخطاب في قوله - تعالى -: ﴿لِلۡفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحۡصِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ للرسول ﷺ أو لكل من له حظ من الخطاب مبالغة في بيان حالهم ووضوحه[٤]، ثم الحذف في قوله - سبحانه -: ﴿لِلۡفُقَرَآءِ﴾ خبر لمبتدأ محذوف، وتقديره: وصدقاتكم للفقراء[٥]، والجملة المباركة: شبه كمال اتصال؛ لأنها جملة مستأنفة

---

(١) ينظر: مفاتيح الغيب (٧١/٧/٤).
(٢) ينظر: مفاتيح الغيب (٧٢/٧/٤).
(٣) ينظر: مفاتيح الغيب (٧٢/٧/٤)، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٦١٨/٢).
(٤) ينظر: روح المعاني (٤٦/٣/٢).
(٥) ينظر: مفاتيح الغيب (٧٠/٧/٤)، والبحر المحيط (٣٤١/٢).

استئنافاً بيانياً مبنياً على سؤال[١].

والحصر: التضييق والإحصار؛ يقال في المنع الظاهر كالعدو، وكذلك المنع الباطن، كالمرض، والحصْر لا يقال إلاَّ في المنع الباطن كما في هذه الآية[٢].

وبناء الفعل لما لم يسم فاعله لتعدد أسباب الحصر واختلافها من شخصٍ لآخر، كما أن فيها تعظيماً لذلك.

وقوله ﷻ: ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ فإنه إن كان المراد بالذين أُحصروا: القوم الذين بصدد القتال، ويحتاجون للمعونة، فتكون ﴿فِي﴾ ظرفية مجازية.

وأما إن كان المراد بهم المهاجرون الذين خرجوا من ديارهم وأموالهم بمكة، وجاؤوا دار الهجرة لأجل سبيل الله - تعالى - فإن ﴿فِي﴾ للتعليل[٣].

وأرجح أن تكون ﴿فِي﴾ للتعليل، لأن المهاجرين ﵃ قد فرطوا في دنياهم بمكة، وفروا بدينهم إلى المدينة؛ رغبةً فيما عند الله - تعالى - وعند رسول الله ﷺ، وأضيف إلى ذلك انشغالهم بالجهاد، وما يترتب عليه من جراحٍ وإعياء تزيد من تأخر حالهم، وتعيق ضربهم في الأرض لطلب الرزق، إلى أن وصل حالهم إلى الفقر الشديد، بالإضافة إلى دافع الحياء من السؤال، ناهيك عن الإلحاف الذي يرفضه دين محمد ﷺ.

الاستعارة في لفظ ﴿سَبِيلِ﴾: تصريحية أصلية؛ حيث شبه الجهاد وما فيه من مشاقٍ بالطريق التي كثر سالكوها (سابلوها)، وحذف المشبه - لاحتمال وجوه متعددة في معناه -، وأبقي المشبه به، فهي تصريحية، وكونها في الاسم فهي أصلية.

---

(١) ينظر: البحر المحيط (٣٤١/٢)، وروح المعاني (٤٥/٣/٢).

(٢) ينظر: المفردات (ص ١٢٠).

(٣) ينظر: التحرير والتنوير (٧٤/٣/٣).

من المراد بـ﴿ٱلَّذِينَ أُحۡصِرُواْ﴾ فقد وردت عدة أقوالٍ، منها[1]:

١- أنهم حصروا أنفسهم ووقفوها على الجهاد، ولكن لا أعتقد بهذا القول؛ لأن الدين يحث على العمل والجهاد في سبيل الله تعالى.

٢- عن قتادة: أنهم الذين منعوا أنفسهم من اتخاذ التجارة مصدراً للعيش؛ لأن الكفار حول المدينة مجتمعون ومترصدون للمؤمنين، متى وجدوهم قتلوهم. وهذا الرأي له ما يمنع قبوله، وهو أن غيرهم من المؤمنين كانوا يتجرون ويزاولون غير التجارة من مصادر الرزق المختلفة، ولهم من قوة الإيمان ما يجعلهم لا يهابون المشركين.

٣- عن ابن عباس ﷺ: أنهم قوم من المهاجرين، حبسهم الفقر عن الجهاد في سبيل الله - تعالى - فعذرهم. ولكني أجد من الروايات ما يدل على أن من المجاهدين من كان يسير على قدميه، ولم يتقاعس عن الجهاد، والآيات التي تشيد بالمجاهدين عن غيرهم كثيرة، منها قوله - تعالى -: ﴿فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ عَلَى ٱلۡقَٰعِدِينَ دَرَجَةً﴾ [النساء: ٩٥].

٤- أنهم قوم مشتغلون بذكر الله تعالى، وبعبوديته وطاعته، وكانت شدة استغراقهم في تلك الطاعات أحصرتهم عن الاشتغال بسائر المهمات، وهذا القول يتفق مع القول الثاني من وجهٍ، ولكننا نعلم أن ديننا لا يدعو إلى الانقطاع للعبادة دون السعي في طلب الرزق.

٥- أنهم الذين أصيبوا بالجراح أثناء الجهاد مع رسول الله ﷺ، فصاروا زمنى، وأحصرهم المرض عن طلب الرزق[2]، وذهب الزجاج إلى أنهم الذين

(١) ينظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٢/٦١٦).

(٢) ينظر: المصدر والموضع ذاته.

ألزموا أنفسهم أمر الجهاد، وليس لأنهم لا يقدرون أن يتصرفوا، كقولك: أمرني أقيم مما أقدر على أن أبرح[١]. وأراني أرجح القول الأخير من جهة:

(أ) أنهم اكتسبوا تلك المكانة العظيمة عند رسول الله ﷺ، لما لهم من سابقة الجهاد التي هي من أساسيات نشر الدين وتثبيت دعائمه.

(ب) أجد في معنى ﴿يَسْتَطِيعُونَ﴾ وهي من الاستطاعة بمعنى القدرة، وقيل: عن الاستطاعة خاصة بالإنسان والإطاقة عامة. والاستطاعة إذن هي القدرة على الشيء[٢].

فكون معنى ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ لا يقدرون على شيء يدل أنه أصابهم من الجراحات في الجهاد ما أقعدهم[٣]، ومع هذا فلهم من قوة الإيمان ما جعلهم يتعففون ويتكففون عن السؤال.

التشبيه في قوله - تعالى -: ﴿يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ﴾، والحسبان: هو الظن، فقد ذهب الخطيب القزويني أنه يفهم منها التشبيه؛ حيث قال: «وقد يذكر فعل ينبئ عن التشبيه كعلمت في قولك: علمت زيداً أسداً ونحوه. هذا إذا قرب التشبيه، فإنْ بعد أدنى تبعيد قيل: خلته وحسبته ونحوهما»[٤].

وفي القول: (يفهم منها التشبيه) دون قول (تدل)، لأن بينهما فرقاً في الدلالة على المراد بأن (حسب) يفهم منها التشبيه فقط، ولكنها ليست أداة له.

---

(١) ينظر: لسان العرب (٨/٢٤٢)، (باب العين، فصل الطاء).

(٢) ينظر: معاني القرآن وإعرابه (١/٣٥٧).

(٣) وذلك يتفق مع بعض ما جاء في غرائب القرآن ورغائب الفرقان. ينظر: (٢/٦١٦).

(٤) الإيضاح (٣/٣٥)، وبهامشه بغية الإيضاح (٣/٣٥).

وهذا ما يدل عليه قول الشيخ عبد المتعال الصعيدي: «يعني فعلاً غير الأفعال السابقة الموضوعة من أصلها للدلالة على التشبيه، فأداة التشبيه هنا مقدرة، والفعل إنما يدل على قرب التشبيه أو بعده»[1].

وبعد أن استقر الرأي على أن (حسب) ليست أداة تشبيه، ولكن يفهم منها التشبيه فقط، فإنني أضيف المعنى الذي أورده الرازي، من أن لهم من أوصاف الهيبة من يراها يظن أنهم أغنياء، حيث يقول: «إن لعباد الله المخلصين هيبة ووقعاً في قلوب الخلق، كل من رآهم تأثر منهم وتواضع لهم، وذلك إدراكات روحانية لا علات جسمانية، ألا ترى أن الأسد إذا مرَّ هابته السباع بطباعها لا بالتجربة، لأن الظاهر أن تلك التجربة ما وقعت»[2]، فلهذا ناسب أن يؤتى بهذه الأداة (حسب) دون (الكاف) أو (كأن)؛ ذلك أنهم لم يشبهوا الأغنياء من جميع النواحي؛ حيث نضرة الوجوه، وانفراج الأسارير، وإنما التشابه فقط من جهة التعفف عن طلب المال، فالذي يراهم يرجح أنهم أغنياء مالٍ لتعففهم.

والتشبيه في هذه الآية المباركة قائم على أن المشبه هو الضمير في (يحسبهم) العائد على فقراء المسلمين ﴿ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة: ٢٧٣]، والمشبه به: هم الأغنياء، أما المشبَّه (بفتح الباء) هو الجاهل لحال هؤلاء الصنف من الناس، أما وجه الشبه: هو تعففهم عن سؤال الناس.

---

(١) هامش بغية الإيضاح (٣/٣٥).

(٢) مفاتيح الغيب (٤/٧/٧١).

ولقد رغّب المولى - تبارك وتعالى - بالإنفاق لعظمة النفقة، ولأهمية الإنفاق أرشد لذلك إلى أكمل وجوه الإنفاق، وإلى أنفع الأوقات والأحوال، فكلما نزلت بمؤمن حاجة محتاج عجل قضاءها، ولم يؤخرها ويعلقها بوقتٍ من الأوقات، حيث يقول - تعالى -:

أولاً: ﴿وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ﴾.

ثانياً: ﴿وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾.

ثالثاً: ﴿وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾.

ليس هذا من قبيل التكرار ولا التأكيد، وإنما لما بين المعاني من ترابطٍ، فكل جملةٍ بمثابة قيد للأخرى، **فالجملة الأولى** ذكر فيها أن الخير الذي يعمله مع غيره إنما هو لنفسه وأكثر، لأن الجزاء يعود بالخير على صاحبه، **والثانية**: أن جزاء الخير ينشأ عن توفيه الأجر كاملاً وافياً. **والثالثة**: علم المولى - تبارك وتعالى - بما ينفع الإنسان من الخير ومقداره، لذلك أتى بوصف المطلع على ذلك[1].

وتتوالى الإشادة بالنفقة ترغيباً فيها، وحثاً على أدائها في قوله - تعالى -: ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٤].

من البلاغة تخصيص الأموال والنفقة بما يلي من أساليب:

الطباق بين (﴿اللَّيْلِ﴾ ﴿النَّهَارِ﴾)، وبين قوله - تعالى -: ﴿سِرًّا﴾ ﴿وَعَلَانِيَةً﴾:

أولاً: لصوته تأثير في النفس يبعث على الابتهاج لمعرفة سر تطابقه.

---

(١) ينظر: مفاتيح الغيب (٧٢/٧/٤)، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٦١٨/٢)، والبحر المحيط (٣٤٣/٢، ٣٤٤).

ثانياً: فيه دليل أنه على المؤمن أن يشتغل بما ينفع المؤمنين في الليل والنهار، وفي السر والعلن؛ لأن لكل وقتٍ منها فائدة تعود بالنفع على صاحبها.

ومن بلاغة تقديم الليل على النهار والسر على العلانية: الدلالة على فضل صدقه الليل على صدقه النهار؛ لأنها في السر، وقدم الحال الأفضل، وهو صدقه السر على العلانية.

و**(الباء)** في قوله - تعالى -: ﴿بِٱلَّيۡلِ﴾ للظرفية، **والتعبير بالمصدر (﴿سِرًّا﴾، ﴿وَعَلَانِيَةً﴾) منصوباً**، إشارة إلى حال المؤمنين[1].

وكذلك في الآية طباق في قوله - تعالى -: (﴿أُحۡصِرُواْ﴾، ﴿ضَرۡبًا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾)، **وفي قوله ﷻ:** (﴿لِلۡفُقَرَآءِ﴾، ﴿أَغۡنِيَآءَ﴾)[2].

كل هذه الألفاظ تصور حياة المؤمن بعد أن تقلد الإيمان، وعاش في رحاب تعاليمه، وتخرج من مدرسة المصطفى ﷺ بصفات الإيمان التي جاءت معبرة نابضة في هاتين الآيتين الكريمتين.

ثالثاً: أنَّ في هذا الطباق دليلاً على معنى العموم في الآية، وأنها في الذين يعمون كل الأحوال بالصدقات؛ فكلما نزلت حاجة بمحتاج عجلوا قضاءها ولم يؤخروها، ولم يعلقوها بوقتٍ من الأوقات. وتقديم الليل على النهار والسر على العلن؛ إشارة إلى فضل صدقة السر على العلن[3].

---

(١) ينظر: البحر المحيط (٢/ ٣٤٤).

(٢) المصدر ذاته (٢/ ٣٤٣)

(٣) ينظر: مفاتيح الغيب (٤/ ٧/ ٧٤)، إرشاد العقل السليم (١/ ٣١٥).

«ولقد دخلت الفاء على قوله - تعالى -: ﴿فَلَهُمْ﴾ لتضمين الموصول ﴿ٱلَّذِينَ﴾ معنى اسم الشرط لعمومه»[1]. وتقدير الكلام: من أنفق فلا يضيع أجره، كما في قولك: الذي أكرمني له درهم، لم يفد أن الدرهم بسبب الإكرام، وأما قول: الذي أكرمني فله درهم، يفيد أن الدرهم بسبب الإكرام؛ فالمفهوم من ذلك أن الفاء دلت على أن الأجر بسبب الإنفاق[2].

ومن الكنايات التي وردت في آيات صفات المؤمنين قوله - تعالى -: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾﴾ [النور: ٣٦-٣٧].

لقد سبق شرح معاني هاتين الآيتين[3]، وأفرد هنا بالتقديم **الكناية** في قوله - تعالى -: ﴿بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ﴾ حيث ورد أنه «أريد بها الصلوات المفروضة كما ينبئ عن تعيين الأوقات المفروضة»[4].

ويصح فيها أن المراد التسبيح وذكر الله - تعالى - عامة، وفي كل الأوقات، وفي هذا يكون المعنى كناية عن صفة المحافظة على الصلوات.

---

(١) البحر المحيط (٢/ ٣٤٤).

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب (٧٤/٧/٤)، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل (١٤١/١، ١٤٢)، وإرشاد العقل السليم (٣١٥/١)، ونظم الدرر (١٠٧/٤).

(٣) في موضوع الفصل والوصل.

(٤) إرشاد العقل السليم (٤٦٤/٤، ٤٦٥).

و الكناية في قوله - تعالى -: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ﴾، فهو كناية عن صفة قوة الإيمان التي تدل على صفاء نفوسهم في عبادته - سبحانه - حيث تركوا شواغل الدنيا التي تقعد بهم عن أداء فروضهم في أوقاتها.

ومن الشواهد على التعريض ما ورد في قوله - تعالى -: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١][(١)].

الآية الكريمة ترتبط بسابقاتها قوله - تعالى -: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ ۚ أُولَٰئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا ۖ وَإِن يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنبَائِكُمْ ۖ وَلَوْ كَانُوا فِيكُم مَّا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الأحزاب: ١٨-٢٠].

في هذه الآيات الكريمة فضح للكفر، وكشف لما خفي تحت أستار النفاق من كره للمؤمنين، ولرسولهم الكريم ﷺ، والله ﷻ أعلم بما في نفوسهم منهم؛ لذلك ناسبه في آية الشاهد أن يقبل المولى - تبارك وتعالى - بالخطاب تشريفاً لهم وترغيباً، فهم في مزيد التأسي بالمصطفى ﷺ، فالكلام في هذه الآية الكريمة: «خبر ولكن اقترانه بحرفي التوكيد في ﴿لَّقَدْ﴾ يومئ إلى **تعريض بالتوبيخ** للذين لم ينتفعوا بالأسوة الحسنة من المنافقين، والذين في قلوبهم مرض»[(٢)].

---

(١) لقد سبق بيان الأسرار البلاغية لهذه الآية في موضوع الجملة الاسمية والفعلية.

(٢) التحرير والتنوير (١٠/٢١/٣٠٢).

فهذا تعريض بالفريق الذين أخّرهم الكفر عن اللحاق بركب المؤمنين المجاهدين، فصدَّهم ما في قلوبهم من المرض والشك في الدين عن فضيلة الاقتداء بالرسول ﷺ.

وهو ما أظهر معه فضل المؤمنين الذين اقتدوا بالرسول ﷺ في أقواله وأفعاله.

ومن شواهد التعريض بالمنافقين ما جاء في قوله - تعالى -: ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴾ [الأحزاب: ٢٣][١].

المراد من الآية: وصفهم بالثبات على العهد، وعدم التبديل. والتبديل: من بَدَل، وهو قيام شيء مقام الشيء الذاهب، يقال: بدلت الشيء إذا غيرته، ولم تأت ببديل[٢].

وهو أعم من العوض، وبدَّل الكلام: حرّفه[٣]. لذلك فإن وصفهم بعدم التبديل فيه دليل على صفاء نفوسهم التي عمروها بالإيمان، فلم يفاوضوا في أمر الجهاد، ولم يبدلوه بنعيم الدنيا الزائل؛ لذلك لم يقبلوا بها عوضاً عن الآخرة، وكذلك في أخذهم العهد على أنفسهم دليل على أنهم لم يحرفوا مواقع الكلام صدقاً في قولهم وفعلهم[٤].

---

(١) لقد سبق شرح الآية الكريمة، وبيان شيء من أسرارها البلاغية في موضوع الإظهار والإضمار(ص ٣٧٨).

(٢) ينظر: معجم مقاييس اللغة (١/ ٢١٠)، (باب الباء والدال، وما يثلثهما).

(٣) ينظر: المفردات (ص ٣٩).

(٤) ينظر: المعجم الوسيط (١/ ٤٤).

وفي قوله - تعالى -: ﴿وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ **كناية تعريضية**: حيث ذكر عدم التبديل، وأراد الثبات على العهد حتى الموت شهداء، ومنهم من ينتظر الشهادة. وفيها تعريض بغيرهم من المنافقين الذين بدلوا العقود ونقضوا العهود(١).

وسره البلاغي: يكمن في إيلامهم بهذه الجملة الكريمة، كما أن في صياغة هذه الجملة الكريمة **تعميم** بمدح الذين قضوا نحبهم، والذين ينتظرون الشهادة بعدم التبديل والتغيير. والضمير يعود للفريق الأول مع إيذان بمساواتهم بالفريق الثاني في الحكم عليهم بالوفاء بالعهد، ويحتمل أن يكون الضمير في (بدَّلوا) أراد به المنتظرين للوفاء بالعهد(٢).

والتذييل في قوله - تعالى -: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ مناسب لمضمون الكناية، فالله - تعالى - غفور لمن تاب وعاد من النفاق، ورحيم بالمؤمنين الذين قاتلوا وقُتِلوا؛ حيث تكفل بجزائهم من عنده على حسن صدقهم.

ومن لطائف الشواهد على الكناية قوله - تعالى -: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَـٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ يَـٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَـٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ۚ قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾[غافر: ٢٨-٢٩].

---

(١) ينظر: الكشاف (٣/٥١٧)، وحاشية القونوي (١٥/٣٣٩، ٣٤٠)، وتفسير روح البيان (٧/١٩٠).

(٢) ينظر: إرشاد العقل السليم (٥/٢١٩).

نتبين في آيتي الشاهد قصة الإيمان المتفرد، حيث إن المؤمن(١) كان من آل فرعون، وأنه كان يكتم إيمانه، ويعيش في قصر فرعون.

إنَّ هذه القصة نَسجَت ألفاظها وعباراتها صورة المواجهة بين العقل المؤمن من جهة، وبين قبح صنيع القوم الذين عزموا على قتل موسى عليه السلام الذي جاءهم بالبينات التي تدل على تفرد الله في وحدانيته - سبحانه -، وخاصة بعد أن اشتهرت هذه البينة عندهم؛ فَعَلِم الصغير به والكبير، وهو أمر لا يستوجب قتله، ولقد حاجهم المؤمن بما يدل على كمال عقله وصدقه في مواجهة دفع الأذى عن موسى عليه السلام، إذ خيّرهم بين أمرين: إما أن يكون كاذباً فعليه كذبه،

---

(١) اختلفوا في ذلك الرجل الذي كان من آل فرعون؛ فقيل: إنه كان ابن عم لفرعون، وكان في مقام ولي العهد، وصاحب الشرطة، وقيل: كان قبطياً من آل فرعون، وما كان من أقاربه، وقيل: إنه كان من بني إسرائيل، والقول بأنه من آل فرعون هو الأقرب؛ لأن لفظ الآل يقع على الأهل والعشيرة، كما في قوله - تعالى -: ﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ﴾ [القمر: ٣٤]، وعن رسول الله ﷺ أنه قال: **(الصديقون ثلاثة: حبيب النجار مؤمن آل ياسين، ومؤمن آل فرعون الذي قال: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ﴾، والثالث: علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وهو أفضلهم)**. وقيل: إنه قال: كان أبو بكر خيراً من مؤمن آل فرعون؛ لأنه كان يكتم إيمانه، وأظهر أبو بكر إيمانه جهاراً، قال تعالى: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ﴾ فكان ذلك سراً، وهذا كان جهاراً. ينظر: الكشاف (٤/١٥٧، ١٥٨)، والبحر المحيط (٧/٤٤٢)، وتفسير القرآن العظيم (٤/ ٨٤، ٨٥)، وروح المعاني (١٢/٢٤/٣١٧). وحديث: **(الصديقون ثلاثة...)** ذكره الألباني في ضعيف الجامع الصغير (ص ٥١٩)، وقال عنه: "موضوع"، وعزاه إلى أبي نعيم في معرفة الصحابة، وابن عساكر، بينما عزاه السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٢٦٢) إلى أبي داود، وأبي نعيم، وابن عساكر، والديلمي. ولم أجده في سنن أبي داود.

وإن كان صادقاً، ولم تؤمنوا؛ فإنه لا محالة مصيبكم بعض الذي يعدكم، وهذا تخويف من الاغترار بمظاهر الملك والعظمة على قومه؛ فهي في الدنيا فقط[١].

من أسرار المناسبة:

أولاً: بين هذه الآيات الكريمة وبين سور الحواميم: فسورة غافر أول سورة من سور الحواميم[٢]، ولذلك ناسب أن يأتي بعدها الحواميم الست الباقية، لتآخي مطالعها في الافتتاح بتنزيل الكتاب من جهةٍ، ومن جهةٍ أخرى فإن ترتيب الحواميم متناسب من حيث اشتراكها في الافتتاح بـ(حم) وبذكر الكتاب بعده[٣].

ثانياً: مناسبة ارتباطها بما قبلها قوله - تعالى -: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾ [غافر: ٢٧].

إنه لما استعان فرعون بقوته وجبروته - وهذه شريعة الكفر - بينت الآية الكريمة حقيقة الإيمان التي تجلت في رد موسى عليه السلام؛ حيث استعان هو بربه عز وجل مستعيذاً به من كفرهم، الذي يقودهم إلى الشر والفساد، وكما كان هذا مبدأ رسولهم الكريم؛ فقد سار عليه الذي آمن من آل فرعون؛ فقال - تعالى -: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ﴾ الآيات.

الكناية بين الإقرار بالوحدانية والدفاع عن موسى عليه السلام:

في قوله - تعالى -: ﴿أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ﴾: **كناية بارعة في هذا الموقف**، أراد بها المؤمن تخليص موسى عليه السلام، وتخليص نفسه من عقوبة لا يستحقها هذا

---

(١) ينظر: جامع البيان (٦/٤٢٢، ٤٢٣)، ولباب التأويل في معالم التنزيل (٥/٣٣٦، ٣٣٧).

(٢) الحواميم: غافر، وفصلت، والشورى، والزخرف، والدخان، والجاثية، والأحقاف.

(٣) ينظر: تناسق الدرر في تناسب السور (ص ١١٥).

النبي الكريم، ولا يستحقها من يؤمن به ؛ فجاءت الكناية مصيبة في مكانها، وكأنها توقيع ولغة إشارة لا يفهمها إلاّ من له قلب تعلق بالإيمان، وله صلة وطيدة بمعاني العبارات ؛ حيث ذكر لازم الإيمان وهو قول: ﴿رَبِّيَ ٱللَّهُ﴾، وأراد ملزومه، وهو الاعتقاد في القول.

وفي الجملة الكريمة ﴿رَبِّيَ ٱللَّهُ﴾ **قصر صفة على موصوف** - قصر حقيقي تحقيقي - ؛ حيث قد قصر صفة الربوبية على موصوف واحد هو الله - تعالى -، والقصر مستفاد من تعريف الطرفين[١]. وفي هذا الأسلوب استدراج لهم إلى الاعتراف بوحدانية الله - تعالى -، وكذلك **تعريض** بمن عبد غير الله - تعالى -، فالله هو المعبود - سبحانه - الحقيقي ؛ لا ما سواه. **وفيه تقدير محذوف**: أتقتلون رجلاً ساعة أن يقول ربي الله[٢].

بين التعريض بفرعون والاحتجاج لموسى عليه السلام:

في قوله - تعالى -: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ كَذَّابٞ﴾ ؛ فهذا القول الكريم احتجاج من وجهين:

(أ) أنه لو كان موسى عليه السلام مسرفاً كذاباً لما هداه الله - تعالى - إلى البينات، ولما أيده بالمعجزات.

(ب) والوجه الآخر في الاحتجاج لصدق موسى عليه السلام أنه لو كان كاذباً فسيخذله الله عز وجل ويهلكه ؛ فلا حاجة إلى قتله. وبهذه الطريقة أراد تليين

---

(١) ينظر: تفسير روح البيان (٨/ ٢٤٠)، والتفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم (٣/ ٤٦٠).

(٢) ينظر: الكشاف (٤/ ١٥٨).

شكيمتهم، وعرَّض بهذا القول بفرعون، بأنه مسرف كذاب، والعاقبة أن الله لا يهدي من كانت هذه صفته إلى سبيل الصواب ومنهاج النجاة[1].

ومن الأسرار البيانية في آيتي الشاهد الكناية عن صفة قوله - تعالى -: ﴿ظَٰهِرِينَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ فهي **كناية عن صفة** القوة والمنعة التي أكرمهم الله - تعالى - بها في الدنيا. المراد منها تخويف فرعون من زوال ملكه، والقضاء على مملكته.

وأما وصف ملكهم بأنه بلغ عموم الأرض؛ **فهو من العام الذي أريد به الخاص**؛ لأن المراد أرض مصر[2]، وقوله - سبحانه -: ﴿ظَٰهِرِينَ﴾ حال، وصاحبه هو الضمير في قوله - تعالى -: ﴿لَكُمُ﴾ تذكير بفضل الله - تعالى - المنعم عليهم في هذه الدنيا، وتفضيلهم على غيرهم مما يخشى معه تبدل أحوالهم.

من اللطائف البلاغية في آيتي الشاهد الكريمة التالي:

في قوله - تعالى -: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ﴾.

(الواو) للعطف على ما سبق من فعل القول[3]: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ﴾، **والتنكير في قوله - تعالى -:** ﴿رَجُلٌ﴾ للتعظيم، ولرفعة شأن المؤمن، وذلك بدلالة السياق كما ورد ذكر المؤمن بثلاثة أوصاف:

١ - الوصف بالإيمان بالله - تعالى - دليل على إيمانه بموسى عليه السلام.

---

(١) ينظر: حاشية ابن التمجيد (١٧/ ٥١)، وإرشاد العقل السليم (٥/٤١٨)، وحاشية القونوي (١٧/٥٢).

(٢) ينظر: الكشاف (٤/١٥٩)، والبحر المحيط (٧/ ٤٤٣).

(٣) ينظر: التحرير والتنوير (١١/٢٤/١٢٧).

٢- ومن أوصافه أنه من آل فرعون، وفيه تبكيت لفرعون وقومه بأنه منهم، وخرج عن طوعهم وظلمهم.

٣- بأنه يكتم إيمانه؛ فلا يعلم به أحد إلا الله ﷻ، إشارة إلى جبروت فرعون في عذاب الخارجين عن عبوديته.

ومن البلاغة تقديم بعض هذه الصفات على بعض، حيث تقديم الوصف بالإيمان ﴿مُّؤْمِنٌ﴾ لشرفه، وهو أساس كل الخلافات بين فرعون، وموسى عليه السلام، ثم تقديم انتمائه وجنسه ﴿مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ على كتم الإيمان في قوله: ﴿يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ﴾، وذلك لبيان حقيقته بأنه من آل فرعون، مما اقتضى تقديمه، ولو أُخِّر على كتم الإيمان لالتبس المعنى، وأصبح المتبادر إلى الذهن أن الرجل من بني إسرائيل يكتم إيمانه من آل فرعون[1].

وفي هذه إشارة إلى أن الإيمان نور يسطع في النفوس، رغم كل القوى المعارضة له؛ فهو يستمد قوته من رضا رب العالمين.

والتعبير بلفظ ﴿يَكْتُمُ﴾ مراد به ستر الحديث[2]، وهو من قولهم: ناقة كتوم: لا ترغو إذا رُكبت قوةً وصبراً[3]. فإضافة القوة والصبر إلى ستر الحديث، إشارة إلى ما كان يتكبده المؤمن في التخفي محافظةً على دينه؛ مما يحتاج معه إلى قوة في

---

(١) ينظر: حاشية القونوي (١٧/ ٤٧).

(٢) ينظر: المفردات (ص ٤٢٥)، وهو من كتمه كتماً وكتماناً. كما في قوله - تعالى -: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَـٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٤٠].

(٣) ينظر: معجم مقاييس اللغة (٥/ ١٥٧)، (باب الكاف والتاء، وما يثلثهما).

الإيمان، وعزيمةٍ في المضاء على ما هو عليه، وأما ما يشير إليه اللفظ من معنى الصبر؛ ففيه دلالة على التجلد وتحين الوقت المواتي لإظهار ذلك الدين[١].

وأما الاستفهام في قوله - تعالى -: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ﴾ فلإنكار ما يرغبون الإقدام عليه، وتبكيتاً لهم، وتوخياً في إقناعهم؛ لأن الدعوة إلى الله - تعالى - ليست مما يعاقب عليها فاعلها[٢]. وقوله ﷻ: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً﴾ مجاز مرسل، ذكر فيه المسبب (القول)، وأراد السبب[٣] (الاعتقاد). وهذا الإنكار المراد من تذكيرهم بحرمة قتل هذه النفس التي لا ذنب لها إلا الدعوة إلى الله ﷻ.

والتنكير في قوله - تعالى -: ﴿رَجُلاً﴾ مراد به الرجل المؤمن تمويهاً على السامع، ليستبعد الناس أن هناك صلة ما تربطهما، وهي صلة الإيمان أجلُّ الصفات.

وكذلك لم يصفه بالنبوة، أو باسمه، زيادة في إخفاء ما في نفسه من عبق الإيمان[٤]. وذلك الاحتراس في أمور الدعوة واجب، عندما تكون الدعوة في أول عهدها، هذا بالإضافة إلى ما في لفظ ﴿رَجُلٌ﴾ من دلائل التقدير والتعظيم بصفة ﴿رَجُلٌ﴾، وفيها إبعاد عن نفسه تهمة الإيمان التي يدعونها. والتنكير في هذا المقام للتعظيم.

---

(١) ينظر: نظم الدرر (١٧/ ٥٣).

(٢) ينظر: الكشاف (٤/ ١٥٨)، وإرشاد العقل السليم (٥/ ٤١٨)، والتحرير والتنوير (١١/ ٢٤/ ١٢٩).

(٣) ينظر: حاشية الشهاب (٨/ ٢٥٦).

(٤) ينظر: البحر المحيط (٧/ ٤٤٣).

وقوله - تعالى -: ﴿وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾.

جملة حالية[(١)]، وهي قيد لما قبلها، قد أراد بها التأكيد على استقباح فعلهم إرادة قتل موسى عليه السلام الذي جاء في قوله - تعالى -: ﴿أَتَقْتُلُونَ﴾.

وفي لفظ ﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ استعارة تصريحية؛ حيث شبهت المعجزة بالبينة، بجامع الوضوح في كلٍ، ثم تنوسي التشبيه، وادُّعِيَ أن - المشبه به - المعجزة فرد من أفراد البينات (المشبه)، ثم استعيرت البينات للمعجزة على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية.

وجمال بلاغتها يتجلى في أنها أظهرت الأمر المعنوي في صورة الأمر الحسي المشاهد؛ فجعلته أكثر وضوحاً.

والتعريف في لفظ ﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ لتعظيم شأن معجزات موسى عليه السلام بأنها مما يبهر العقول؛ ويجعلها تحار دون تفسيرها، و(الباء) في قوله - تعالى -: ﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ للمصاحبة، أراد بها إشعارهم أن دعوته مدعمة بالأدلة الصادقة على نبوته، وأسلوب الخطاب: فيه ارتقاء بالحجج؛ فقد بيَّن أن سبب تصديق موسى عليه السلام أنه جاء بالبينات[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ جمع مؤنث سالم، شاع أنه للقلة، لكن إذا دخلت عليه ﴿ءَالِ﴾ فإنها تفيد الكثرة بدلالة المقام[(٣)]، والجملة الكريمة معطوفة على جملة الحال؛ فجعلتها حالاً مثلها تنبئ عن حال المؤمن، وما يعتمل في

---

(١) ينظر: إرشاد العقل السليم (٤١٨/٥)، وتفسير روح البيان (٢٤٠/٨).

(٢) ينظر: إرشاد العقل السليم (٤١٨/٥)، والتحرير والتنوير (١٢٩/٢٤/١١).

(٣) ينظر: روح المعاني (٣١٧/٢٤/١٢).

نفسه من اضطراب ؛ فجاء أسلوبه مظهراً به ذلك الشك ، ليكون كلاماً مشتملاً على احتمالي الصدق والكذب[١].

ومن البلاغة في الجملة الكريمة حذف حرف من قوله - تعالى - : ﴿يَكُ﴾.

وذلك لضيق المقام غاية الضيق مما هو فيه ، إذ إنه بيْن شرورٍ ثلاثة :

عزمهم على قتل نبي الله ﷺ ، وإتيانهم العذاب ، ومحاولتهم الكشف عن حقيقة إيمانه ، لذلك جاء **الإيجاز بحذف نون (يكون)** من أفضل طرق التعبير ، ففيه بيان للمؤمن وما عليه ، إنصافاً ودفعاً للتهمة[٢].

ولقد أضيف لفظ الجلالة (رب) إليهم مخاطباً في قوله - تعالى - : ﴿مِن رَّبِّكُمْ﴾ بعد ذكر البينات احتجاجاً عليهم ، وتلطفاً بهم عن المكابرة ، ثم حاجهم احتياطاً لمن ينكر قوله[٣] ، وبيان أن ما كان من قبل رب العالمين يجب اتباعه وإنصاف مبلغه.

ومن البلاغة في أسلوب المؤمن الداعية ما جاء في قوله - تعالى - : ﴿وَإِن يَكُ كَـٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ﴾ :

١ - **حسن التقسيم** : لتفادي ما قد يحدث في ظل تلك الظروف ، وفيه احتجاج عليهم ، فمن كان كاذباً فسيلحق به وبال كذبه ، وإن كان صادقاً ولو في بعض دعواه فلا بد أنه سيصيبكم مما ادعاه شيء[٤] ، فبدأ بحالة الكذب ، في قوله - تعالى - : ﴿فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ﴾ حتى يسلم من شرِّ فرعون وقومه[٥].

---

(١) ينظر: نظم الدرر (١٧/ ٥٤)، والتحرير والتنوير (١١/ ٢٤/ ١٣٠).

(٢) ينظر: نظم الدرر (١٧/ ٤٥).

(٣) ينظر: إرشاد العقل السليم (٥/ ٤١٨).

(٤) ينظر: الكشاف (٤/ ١٥٨)، وإرشاد العقل السليم (٥/ ٤١٨).

(٥) ينظر: البحر المحيط (٨/ ٤٤٢).

٢- الطباق بين (﴿كَـٰذِبًا﴾- ﴿صَادِقًا﴾) يجد فيه ذلك الداعية أملاً قد يلهب حماس فرعون وقومه يتجهون به لتقبل دعوة موسى ؛ لأن بين الكذب وخسته، وبين الصدق ونوره تعلو حقيقة دعوة موسى عليه السلام، ويشرق نور الألوهية الصادق.

٣- ومن البلاغة كذلك ؛ الإيجاز: الذي هو أحد مقومات الدعوة، وفي قوله - تعالى -: ﴿فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ﴾ **الإيجاز بالحذف**، حيث حذف المضاف، وتقديره: فعليه وزر كذبه.

وبلاغة الحذف: أوقعت مسؤولية المكذبين على أنفسهم، وقد أدى موسى عليه السلام أمانة التبليغ كاملةً، وتبعه فيها الرجل المؤمن، كما لا يخفى ما في الحذف من التهديد والوعيد، ما يترك في النفس آثاراً عميقة لا يقوم بها الذكر؛ لأن تقدير المحذوف تذهب فيه النفوس كل مذهب.

٤- ولا تخفى ضرورة التعبير بـ﴿إن﴾ التي تفيد التردد بين احتمالين، وهنا احتمال الكذب وما ينشأ عنه من آثار سلبية ؛ حيث قدم على احتمال الصدق وما يترتب عليه من الآثار الإيجابية، وهذا الأسلوب فيه استمالة وتودد رقيقان، لعله يفتح أبواب القبول فيما انغلق من أنفسهم.

ومن البلاغة التعبير بلفظ ﴿بَعْضُ﴾ في قوله - تعالى -: ﴿يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ﴾ حيث إيثار لفظ البعضية ؛ لأن المؤمن محتاج إلى دقة في اختيار الألفاظ وهو يحاجُّ خصوم موسى عليه السلام، ويداريهم، والبعضية تعني عدم وقوع كل ما توعد به[1] ؛ وكلام الرجل هذا كلام منصف في حق موسى عليه السلام ليهضمه

---

(١) ينظر: تفسير روح البيان (٨/ ٢٤١).

حقه؛ فلا يظهر إيمانه به وتصديقه إياه، حتى لا ينكشف أمره[١]، وهناك احتمال آخر، وهو أنه لو جُزم بوقوع كل ما توعد به موسى عليه السلام لانكشف أمره، فلا يأخذ عليه مأخذاً.

ومن اللطائف البلاغية في قوله ﷻ: ﴿يَٰقَوۡمِ لَكُمُ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَ ظَٰهِرِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ **حيث النداء**: فيه تلطف في الموعظة، ومناداتهم بقوله: ﴿لَكُمُ ٱلۡمُلۡكُ﴾ الذي هو أعظم مراتب الدنيا، وإليه تطمح النفوس، وكذلك في النداء بالملك موافقة لشهواتهم الدنيوية[٢]. **وللخطاب أثره في بيان المراد**؛ حيث قال: ﴿لَكُمُ﴾ مصرحاً بالمقصود[٣]، فبه تمت مواجهة المخاطبين بالقول، ووضعتهم في محل المسؤولية قبل فوات الوقت، وإيذان زمن العقوبة.

وفي تقديم الخبر (الجار والمجرور) على المبتدأ ﴿ٱلۡمُلۡكُ﴾ قصر للملك على قومه؛ ليذكرهم بنعمة الملك التي أعلت شأنهم في الدنيا. **والتعبير باليوم إشارة** إلى تقلبات الزمان، وأنها تفعل بالإنسان فعلها، وفيه تخويف لهم بما عرفوا من قصص الأمم الأخرى، وما حلَّ بها من العذاب[٤].

وهذه النصائح المؤثرة، وبأساليب مختلفة، انبثق عنها سؤال تقديره: فما قال فرعون؟ فجاءت الآية الكريمة بالإجابة: ﴿مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ﴾، لذلك فصلت عن سابقتها **لشبه كمال الاتصال**، لما بين الجملتين من الاختلاف، إحداهما سؤال، والأخرى جوابه.

---

(١) ينظر: الكشاف (٤/١٥٨، ١٥٩).

(٢) ينظر: البحر المحيط (٧/٤٤٣).

(٣) ينظر: نظم الدرر (١٧/٥٧).

(٤) ينظر: المصدر والموضع ذاته.

وبلاغته: تكمن في إزالة القناع عن حقيقة فرعون، فبدا خائراً في نفسه ضعيفاً، تجمل بما بقي له من الهيبة، لأنه أخذ يشاور قومه ويحاورهم، ويستمع إلى رأي المؤمن دون بأسٍ عليه، حيث قال: ﴿ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ ﴾ وهو ما يضمره ويظهره من قتل موسى عليه السلام[1]. مستعيناً بالنفي والاستثناء إحدى طرق القصر للتأكيد على سداد رأيه[2]، وكذلك الشأن في قوله - تعالى -: ﴿ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴾، **فهما قصران ادعائيان** لمجيئهما على رأي فرعون واعتقاده.

وفي هذا القول **تعريض بالمؤمن**، واعتبار رأيه سفاهة لا يعتد به[3].

---

(١) ينظر: البحر المحيط (٧/٤٤٣).

(٢) ينظر: حاشية القونوي (١٧/٥٣).

(٣) ينظر: التحرير والتنوير (١١/٢٤/١٣٣).

الفصل الخامس

فنـــون البديـــع

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: البديع المعنوي.

المبحث الثاني: البديع اللفظي.

المبحث الثالث: الفاصلة القرآنية.

المبحث الأول

البديع المعنوي

البديع في اللغة:

من بَدَع، الباء والدال والعين أصلان: أحدهما ابتداء الشيء وصُنْعِهِ لا عن مثالٍ، والآخر الانقطاع والكلال.

فالأول قولهم: أبدعْتُ الشيء قولاً أو فعلاً، إذا ابتدأته لا عن سابق، مثال: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١١٧]، والعرب تقول: ابتدع فلان الرَّكيَّ: إذا استنبطه، وفلان بدع في هذا الأمر، قال الله - تعالى -: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٩]، أي ما كنت أول من أرسل، فقبلي رسل كثير[(١)]، والبديع والبدْع: الشيء يكون أولاً[(٢)]، والمراد مما سبق أن البديع هو: «الجديد الغريب، والبارع والعجيب، ومن هنا فهم البلاغيون القدماء مصطلح البديع على أنه درجة خاصة من التميز، يظفر بها الفنان المطبوع»[(٣)].

ويخلص من هذا أن البديع بمعنى الابتداع والابتكار.

البديع اصطلاحاً:

هو: «علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال، ووضوح الدلالة»[(٤)].

---

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة (١/ ٢٠٩)، (باب الباء والدال وما بعدها في الثلاثي).

(٢) لسان العرب (٨/ ٦)، (باب العين، فصل الباء).

(٣) البديع تأصيل وتجديد (ص ١١)، دكتور: منير سلطان، الناشر: منشأة المعارف بالإسكندرية، ط ١٩٨٦م.

(٤) الإيضاح (ص ٣٠٠).

وبالنظر إلى هذا التعريف يكون دور البديع ثانوياً بعد علمي المعاني والبيان، على أن كثيراً من المحدثين يرون أن دور البديع لا يختلف عن علم المعاني والبيان، وهذه قضية لها أدلتها وأبعادها.

وأنا لا أريد أن أفصل في شأن هذه القضية، وعلماء البديع قسموه إلى قسمين بالنظر إلى طبيعته في الأداء: محسنات معنوية، ومحسنات لفظية.

وقد يبدو لنا أثر البديع من خلال الشواهد التي سأعرضها، فالمحسنات المعنوية هي: «عبارة عما يزيد المعنى حسناً لزيادة تنبيه»[١].

وأما المحسنات اللفظية فهي: «المنسوب حسنه إلى اللفظ بأن يجعل بها تحسينه»[٢].

الطباق:

في اللغة: الطباق من (طبق) «الطاء والباء والقاف أصل صحيح واحد، وهو يدل على وضع شيء مبسوط على مثله حتى يغطيه، من ذلك الطَّبَق، تقول: أطبقت الشيء على الشيء، فالأول طَبَق للثاني؛ وقد تطابقا»[٣].

ولقد ورد في معنى طبق - وجمعها طَبَقات - أنها الجماعة من الناس، وهم الأصناف المختلفة. ويقال: طابق البعير، أي: وضع رجله في موضع يده[٤].

---

(١) شرح عقود الجمان (٧٩/٢) على هامش عقود الجمان، لجلال الدين السيوطي مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر، ط٢، ١٣٧٤هـ، ١٩٥٥م.

(٢) المصدر ذاته (١٥٩/٢).

(٣) معجم مقاييس اللغة (٤٣٩/٣)، (باب الطاء والباء، وما يثلثهما).

(٤) ينظر: لسان العرب (٢١٢/١٠، ٢١٣)، (باب القاف، فصل الطاء).

وفي اصطلاح البلاغيين: هو «المطابقة في الكلام هي الجمع بين الشيء وضده في جزء من أجزاء الرسالة أو الخطبة، أو بيت من بيوت القصيدة؛ مثل الجمع بين السواد والبياض، والليل والنهار، والحر والبرد»[١]، وعرفها الخطيب القزويني: بقوله: «هي الجمع بين المتضادين، أي المتقابلين في الجملة»[٢].

وتسمى أيضا الطباق، والتطبيق، والتضاد.

بين المعنى اللغوي والاصطلاحي للطباق: يرى بعض البلاغيين، أنه لا مناسبة بين المعنيين، ويرى آخرون أن هناك مناسبة تجمع بينهما لسببين:

الأول: أن الجمع بين الضدين يعتبر توفيقاً بينهما كما يقتضي المعنى.

الثاني: أنَّ (الطَبَق) بالتحريك في اللغة: المشقة، لقوله - تعالى -: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ [الانشقاق: ١٩]، أي: مشقة بعد مشقة، ولمشقة الجمع بين الضدين في الحقيقة، سموا كل كلام جُمع فيه بين الضدين طباقاً[٣].

وللطباق شواهد كثيرة في القرآن الكريم. و مما جاء في آيات صفات المؤمنين: قوله — تعالى -: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر: ٩].

ارتباط الآية بما قبلها:

تحول الخطاب في آية الشاهد المباركة إلى الرسول ﷺ وللمؤمنين، إضراباً عن حال الكافرين، وهم في حالة اضطراب نفسي بعد أن تبين أنهم من أصحاب

---

(١) كتاب الصناعتين (ص ٣١٦).

(٢) الإيضاح (ص ٣٠٠).

(٣) ينظر: علم البديع (دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة) (١٣٦)، تأليف الدكتور: بسيوني عبد الفتاح فيود، مؤسسة المختار، القاهرة، ط٢، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

النار في قوله – تعالى –: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلنَّارِ﴾ [الزمر: ٨].

وجاء أسلوب الآيتين الكريمتين بالمقابلة بين طرفي أهل الإيمان، وهم أهل العلم، وبين الكفار، وهم أهل الجهل، فهذه المقارنة تجعل المخاطب يُعْمِل الفكر في موضوع الخطاب، ويستنتج ما يريده ربُّ العزة والجلال من تثبيت أهل الإيمان على ما هم عليه من حالات إيمانية، فيها ما فيها من المشقة؛ بعثاً لهمة عقول غيرهم، وإثارة لحميتهم في الابتعاد عن الكفر الذي يدل على ضعف عقولهم، وقصور أفهامهم، وهذا ما لا يرضاه عاقل لنفسه، فالآية الكريمة تبحث موضوعين:

(أ) بيان أهمية العقول الناصعة في الإيمان بالله – تعالى –، وهي ما عبر عنه باللب وهو محل الفكر[1].

(ب) أهمية العلم بالله ﷻ؛ فهي التي جعلت الرسول ﷺ والمؤمنين على صلة بربهم ليلهم ونهارهم، ورخاءهم وشدتهم، بعكس المشركين الذين لا يعرفونه إلاّ وقت الشدة، ثم يعودون لكفرهم.

البلاغة في المطابقة بين الوصفين؛ قوله – تعالى –: ﴿سَاجِدًا وَقَآئِمًا﴾:

في هذه الآية المباركة وصف للمؤمنين بذوي الألباب، وامتداحهم، والثناء عليهم بذلك، كما بينت موجب ارتقائهم إلى هذه الصفة الكريمة هو معرفتهم

---

(١) واللب في المنطقة البعيدة من الرأس، محمية بثلاث عظيمات قوية لأهميتها في التفكير، وهي التي تميز الإنسان عن غيره من المخلوقات، واللبُّ من كل شيءٍ خالصه وخياره. ينظر: لسان العرب (١/ ٧٢٩)، (باب الباء، فصل اللام).

مواطن العبادة التي هي عماد الدين، وثاني ركن في الإسلام، فجاء التعبير عنها بالتطابق بين أشد ركنيها مشقة السجود والقيام، فهذان الوصفان بيان لما عليه ليل المؤمن من قيامٍ وسجود على هيئةٍ مخصوصة، وقد أسلم جوارحه ومشاعره لله ﷻ منصرفاً عن مشاغل الدنيا ومتعها، وعن راحة المضجع، فظهر أن التعبير بالطباق مناسب لرسم صورة صحيحة للمؤمن خالياً في جوف الليل، حيث لا يراه إلاّ ربُّ العالمين.

كما لا يخفى الأثر الصوتي في نفس السامع، فهو بين هذين اللفظين يُعْمِل ذهنه، ويستدعي خواطره لبيان معرفة سرّ اقتران الصفتين بعضهما ببعض، بالإضافة إلى أنهما تضفيان الخفة والنَّشاط والمثابرة؛ حيث تتابع القيام والسجود، مما يجعل نفس المؤمن الذكي تَهُبُّ إلى امتثال هذه العبادة الخفية، والجمع بين هاتين الصفتين بالواو ليدل على أن المؤمن قد ألزم نفسه بهما، فكما هو قانت في سجوده فهو كذلك قانت في قيامه.

ومنه قوله ﷺ: **(أفضل الصلاة طول القنوت)**[1]، وهو القيام فيها، ومنه القنوت في الوتر[2]، لذلك امتدح المؤمن بصفة القيام لما فيها من أجرٍ، وأفردها لذلك بالذكر.

صيغة فاعل وأثرها البلاغي: تدل على أن الانتفاع بالعمل إنما يحصل إذا كان الإنسان مواظباً عليه، ويؤازر مدلول الصيغة قوله - تعالى -: ﴿قَانِتًا﴾ أي مواظباً لازماً بما يجب عليه من الطاعات مع الخضوع[3].

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب أفضل الصلاة طول القنوت، (ص ٣٨٠)، رقم الحديث (٧٥٦).

(٢) ينظر: الكشاف (٤/ ١١٢).

(٣) ينظر: المفردات (ص ٤١٣).

وتقديم السجود على القيام: لأنه أدخل في معنى العبادة، ومنهم من يرى أنه أفضل من القيام لحديث: (**أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد**)[1].

المطابقة في قوله - تعالى -: ﴿يَحْذَرُ ٱلْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِۦ﴾ أراد يحذر عذاب الآخرة[2]، **فجاءت المطابقة بين فعلي** (﴿يَحْذَرُ﴾، ﴿وَيَرْجُوا﴾)، وبين الاسمين (﴿عَذَابٌ﴾، ﴿رَحْمَةَ﴾)، ويسمى ما بين الآخرين طباق خفي[3]؛ لأنه جاء بين معنى يحذر الآخرة وبين ﴿رَحْمَةَ﴾، يتضح من هذا أن المؤمن الملازم طاعة ربه بين يديه ساجداً قائماً مضطرباً مأخوذاً مما يعرف من عذاب الآخرة، قد يلحقه فيشفق منه، وتراه في أمن رجاء ربِّ العالمين لحظات أخرى لا يتعاظم فعله، ولا

---

(١) ينظر: روح المعاني (١٢/٢٣/٢٣٦)، والحديث أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة ﷺ، وتتمته: (فأكثروا الدعاء)، كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود، رقم (٤٨٢).

(٢) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/٣٤٧)، وإعراب القرآن للنحاس (٤/٥).

(٣) الطباق الخفي: وهو الطباق المعنوي، ولقد أُلحق الطباق الخفي بالطباق المعنوي لخفاء التضاد فيه، وهو: «الجمع بين أمرٍ وما يتعلق بمقابله»، كما في قوله - تعالى -: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩] مما يقابل الشدة، فما يقابل الشدة هو اللين، والآية لم تجمع بين الشدة واللين؛ بل جمعت بين الشدة وما يتعلق باللين وهو الرحمة. ينظر: الإيضاح (ص ٣٠٣)، وعلم البديع (١٤١) د. بسيوني فيود.

وفي الآية تكميل، وذلك أنه بعد أن مدحهم بالشدة على الكفار، كمل مدحهم بأن وصفهم بالرحمة على الكافرين، فأتى بوصفهم ﴿رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾. ينظر: تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن (ص ٣٥٧)، لابن أبي الإصبع المصري، تقديم وتحقيق: الدكتور حفني محمد شرف، إصدار المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث، يشرف على إصدارها: محمد توفيق عويضة، بدون تاريخ طبعة.

يغتر بعمله ؛ لأنه يعلم أن الجنة لا تنال إلا برحمته - تعالى - ، لذلك ناسب التعبير عن ذلك الوضع بالفعلين : (﴿يَحْذَرُ﴾ ، ﴿وَيَرْجُواْ﴾) مضارعين لما فيهما من دلالة التجدد.

وقوله - تعالى - : ﴿ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ﴾ **كناية عن موصوفٍ** هو الجنة ؛ لأنها لا تنال إلا برحمته - تعالى - ، لهذا فهي محل للرجاء ، ولهذا عبر بالمضارع الذي يدل على التجدد في قوله - تعالى - : (﴿يَحْذَرُ﴾ ، ﴿وَيَرْجُواْ﴾) ، ثم مجيء لفظي (عذاب الآخرة والرحمة) مصدرين للمبالغة في وصف الخوف من العذاب ، وبياناً لاستغراق المؤمن في طلب رحمة الله - تعالى -.

المجاز المرسل : في إسناد الحذر للآخرة ، وإنما هو للعذاب ، فهو لذلك مجاز مرسل علاقته المسببية ؛ لأن في الآخرة يحصل العذاب - أعاذنا الله منه -.

طباق السلب بين فعلين في قوله - تعالى - : ﴿ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ هذان اللفظان أثريا معنى الجملة المباركة ، إذ تبين فيها مواجهة بين فريقين : أهل العلم ، وأهل الجهل ، فكأن هذين الوصفين جعلا المؤمن يحكّم عقله في هذه المسألة ، فجاءت النتيجة :

أولاً : أن نفي العلم عن الكفار سلبهم أهم مدلولات الإنسانية وهو اللب ، ورفع مكانة أهل العلم.

ثانياً : «إنما وصف الله - تعالى - الكفار بأنهم لا يعلمون ؛ لأنهم وإن آتاهم الله آلة العلم إلاّ أنهم أعرضوا عن تحصيل العلم ، فلهذا السبب جعلهم كأنهم ليسوا أولي الألباب من حيث إنهم لم ينتفعوا بعقولهم وقلوبهم»[1].

---

(١) مفاتيح الغيب (١٣/٢٦/٢١٩).

ثالثاً: أن من العلماء من فسَّر ﴿ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ﴾ بأنهم أهل عبادة الليل؛ الذين أشار إليهم في مستهل الآية الكريمة: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ هم الذين لا يأتون بهذا العمل، وفي هذا التفسير ازدراء بأهل العلم الذين فتنوا بالدنيا فلم يقنتوا، فهم لذلك عند الله - تعالى - جهلة[1].

فلهذا جاء التعبير بنفي العلم أنسب من وصفهم بالجهل؛ لأن المولى وهبهم مميزاته، وهم الذين وصفهم عند البلاء والمصائب بأنهم يوحدون الله - تعالى -، وعند الأمن يشركون به.

رابعاً: في هذا التطابق المنفي دعوة لاستنباط الفائدة من العبادة الليلية، وأهمية الخشوع في أنس تهجد الليل. والله أعلم.

ويمكن أن يكون هناك تشبيه يفهم من قوله - تعالى -: ﴿ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ تقديره كما لا يستوي العالمون والجاهلون، كذلك لا يستوي القانتون والعاصون[2]، ووجه الشبه انتفاء النفع في كل من المشبه والمشبه به، والفائدة من ذلك: المبادرة إلى لزوم الطاعة والبعد عن المعاصي.

من الأسرار البلاغية في الآية الكريمة:

حروف المعاني وأثرها في تقدير المعنى:

حيث استهلت الآية المباركة بأحد حروف المعاني، وهو همزة الاستفهام في قوله - تعالى -: ﴿أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ﴾ فيها قراءات كان لها أثر في اختلاف المعنى، وهي:

---

(١) ينظر: الكشاف (٤/ ١١٣)، ومفاتيح الغيب (١٣/ ٢٦/ ٢١٩)، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل (٢/ ٣٢١).

(٢) ينظر: الكشاف (٤/ ١١٣).

أولاً: قراءة الحرميين (نافع، وابن كثير) بتخفيف ميم ﴿أَمَنْ﴾[١]، وفيها وجهان:

١- أن همزة الاستفهام للتقرير دخلت على (مَنْ) بمعنى الذي؛ وعليه يكون مقابل الهمزة محذوف، والتقدير: (أمَنْ هو قانت كمن جعل لله أنداداً)، أو (أمن هو قانت كغيره)، والتقدير: (أهذا القانت خير أم الكاف) المخاطب بقوله - سبحانه -: ﴿قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلاً﴾ [الزمر: ٨].

ويدل عليه قوله - تعالى -: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾، حيث حذف خبر المبتدأ، وما يعادل المستفهم عنه، وقيل: التقدير أن الأولين أولى لقلة الحذف[٢].

٢- أن تكون الهمزة للنداء، (ومَنْ) منادى، واستحسنه الفراء[٣]، والمراد به النبي ﷺ وهو المأمور بقوله - تعالى -: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى...﴾ [الزمر: ٩] الآية، كأن قيل: يا من هو قانت قل: كيت وكيت[٤]، واستبعده بعضهم؛ لأنه لم يقع في القرآن الكريم نداء بغير (ياء) حتى يُحمل هذا عليه[٥]، وضعفه أبو حيان بأنه

---

(١) وهي لهما وليحيى بن وثاب. ينظر: معاني القرآن للفراء (٢/٤١٦)، كما هي لنافع وابن كثير ويحيى بن وثاب والأعمش وحمزة. ينظر: إعراب القرآن للنحاس (٤/٥)، والكشف عن وجوه القراءات السبع وحججها (٢/٢٣٧)، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل (٢/٣٢١)، والدر المصون (٩/٤١٤)، وروح المعاني (١٢/٢٣/٢٣٦).

(٢) ينظر: معاني القرآن للفراء (٢/٤١٦، ٤١٧)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/٣٤٧)، وإعراب القرآن للنحاس (٤/٥).

(٣) ينظر: معاني القرآن (٢/٤١٦، ٤١٧)، واستحسنه النحاس في إعراب القرآن (٤/٥).

(٤) ينظر: الدر المصون (٩/٤١٤، ٤١٥)، وروح المعاني (١٢/٢٣/٢٣٦).

(٥) ينظر: الدر المصون (٩/٤١٥) حتى وإن كانت العرب تدعو بالألف كما تدعو بالياء. ينظر: معاني القرآن للفراء (٢/٤١٦)، وإعراب القرآن للنحاس (٤/٥).

أجنبي مما قبله ومما بعده[١]، وأجاب عنه السمين الحلبي بأنه ليس أجنبياً؛ لأن المنادى هو المأمور أي الرسول ﷺ[٢] إذ ناداه الله - تعالى - بالأوصاف العظيمة الأربعة، وهي: ساجد، وقائم، ويحذر الآخرة، ويرجو رحمة ربه؛ لأنها أوصاف له ﷺ، ونداء لمن هم من أصحاب هذه الأوصاف أن يقولوا: هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون، وأن إفراد قوله - تعالى -: ﴿قُلْ﴾ مراعاة للفظ (مَنْ) وهو المنادى[٣].

ثانياً: قراءة الجمهور: ﴿أَمَّنْ﴾ بتشديدها؛ فتكون (أم) قد دخلت على (مَنْ) الموصولة بمعنى الذي، فأدغمت الميم في الميم.

وفي (أم)[٤] قولان: جواز حملها على الاتصال والانقطاع كما يلي:

١- **أنها المتصلة**: ومعادلها محذوف تقديره: (أهذا الكافر خير أم الذي هو قانت) ثقة بدلالة مساق الكلام عليه، تأكيداً للتهديد وتهكماً به، كما في

---

(١) ينظر: البحر المحيط (٧/٤٠٢)، والدر المصون (٩/٤١٥).

(٢) ينظر: الدر المصون (٩/٤١٥)، وروح المعاني (١٢/٢٣/٢٣٦).

(٣) ينظر: التحرير والتنوير (١١/٢٣/٣٤٥).

(٤) أم المتصلة: هي أم المُعادِلة، سميت بذلك لمعادلتها للهمزة في إفادتها التسوية، وسميت متصلة؛ لأن ما قبلها من الكلام وما بعدها لا يستغني أحدهما عن الآخر، والسؤال عنها بتعيين أحد الشيئين كما في قولك: أزيد عندك أم عمرٌ، فالجواب بأحدهما فقط، ولا ثالث. ينظر: مغني اللبيب (ص ٦٧).

أم المنقطعة: التي لا يفارقها الإضراب، ثم تارةً تكون مجردة للإضراب وتارة تتضمن مع ذلك استفهاماً إنكارياً، أو استفهاماً طلبياً. ينظر: حروف المعاني (ص ٤٨)، والمغني (ص ٦٦).

قولك: أأنت أحسن حالاً ومالاً أمن هو قائم بمواجب الطاعات، وأداء العبادات في ساعات الليل في حالتي السراء والضراء.

٢- **وإما أنها المنقطعة:** فتقدر بـ(بل، والهمزة)، أي: بل أمن هو قانت كغيره، أو كالكافر المقولة له: تمتع بكفرك، وأن ما فيها من الإضراب للانتقال من التهديد إلى التبكيت[١]. هذا ولقد رأى فيها جُلُّ العلماء أنها المتصلة أو المنقطعة[٢].

وفي قوله - تعالى -: ﴿سَاجِدًا وَقَآئِمًا﴾ **قُدِّم السجود** على القيام، لأنه أدخل في باب العبادة.

وقوله - تعالى -: ﴿يَحْذَرُ ٱلْأَخِرَةَ﴾، **ففيها إيجاز** بالحذف، تقديره: يحذر عذاب الآخرة[٣].

وفي قوله - تعالى -: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ حيث تصدرت الجملة الكريمة بفعل الأمر ﴿قُلْ﴾ إشارة ودليلاً على أهمية المقول[٤]، وأنه رسالة خاصة ينبغي المواجهة بها وتبليغها.

والاستفهام في ﴿هَلْ يَسْتَوِى﴾ للإنكار: إنكار للمساواة بين أهل العلم وأهل الجهل، وإيثار أداة الاستفهام ﴿هَلْ﴾ لتحقق الإنكار.

---

(١) ينظر: إرشاد العقل السليم (٥/٣٨٢).

(٢) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/٣٤٧)، وحاشية الشهاب (٨/١٨٦)، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل (٢/٣٢١).

(٣) ينظر: إرشاد العقل السليم (٥/٣٨٢).

(٤) ينظر: المصدر والموضع ذاته.

وفصلت جملة ﴿هَلۡ يَسۡتَوِي﴾ عما قبلها:

أولاً: لأنها إنشائية، والأولى ﴿يَحۡذَرُ﴾ خبرية لفظاً ومعنى.

ثانياً: أنها توكيد للإنكار في ﴿أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ﴾؛ حيث قُدم أهل العلم على أهل الجهل، تقديراً للعلم وتحقيراً للجهل.

وفي قوله - تعالى -: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ **قصر وفصل**[1]: أما القصر، فقد قصر صفة التذكر على أصحاب العقول، وأما الفصل، فلأن هذه الجملة خبرية لفظاً ومعنى، والجملة الأولى: ﴿قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي﴾ إنشائية لفظاً ومعنى، فبين الجملتين كمال الانقطاع.

ويُظْهر البديع صدق الإيمان في آيات صفات المؤمنين في قوله - تعالى -: ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلًا أَصۡحَٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ إِذۡ جَآءَهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱثۡنَيۡنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزۡنَا بِثَالِثٖ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيۡكُم مُّرۡسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُواْ مَآ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَكۡذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُواْ رَبُّنَا يَعۡلَمُ إِنَّآ إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيۡنَآ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾ [يس: ١٣-١٧].

مناسبة الآيات الكريمة ووجه ارتباطها بسابقتها:

هذه الآيات الكريمة تبين في مضمونها أهمية الدعوة إلى الله - تعالى - وأنها حق لدى مؤمني الأمم الأخرى؛ فهذه سنة الله - تعالى - جرت بين خلقه منذ بدء الخليقة، **وأما مناسبتها**: فقد جاءت تسلية لنفس الرسول ﷺ، فقد كان المرسلون من قوم عيسى عليه السلام أرسلوا من جهته إلى أنطاكية؛ وكان أهلها من

(١) ينظر: إرشاد العقل السليم (٥/٣٨٣).

اليهود يعبدون الأوثان[١]، ويعتبر هؤلاء الرسل هم رسل الله - تعالى -؛ لأنهم مرسلون بإذنه - سبحانه - لذلك لا يقع في نفسك يا محمد أن أولئك كانوا رسل الرسول وأنت رسول الله - تعالى -، فإن تكذيبهم كتكذيبك، فتتم التسلية[٢]، وكذلك ضرب هذا المثل ليعتبر المشركون من أهل مكة مما يكون رادعاً لهم.

من بلاغة الطباق المعنوي:

في قوله - تعالى -: ﴿إِنَّآ إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ﴾ وقوله - سبحانه -: ﴿إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَكۡذِبُونَ﴾ فقوله - تعالى -: ﴿إِنَّآ إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ﴾ يعني أنهم صادقون في دعواهم، وأنهم مرسلون من الله - تعالى -، ومعنى هذا الصدق نفي ما يضاده ويقابله، ويدل عليه التصريح بقوله - تعالى -: ﴿إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَكۡذِبُونَ﴾ «معناه: ربنا يعلم إنَّا لصادقون»[٣]، «فقد جمع في الآية بين الكذب وبين ما يتعلق بمقابله، وهو: ﴿إِنَّآ إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ﴾»[٤].

من البلاغة في الآيات المباركة: استهل النموذج المبارك بضرب هذا المثل لتسلية الرسول ﷺ، ولبيان أهمية الدعوة إلى الله ﷻ، وكذلك أنه يجب قبول الحق والدعوة إلى الله - تعالى - ممن يأتي بها.

---

(١) ولما قربا من المدينة رأيا شيخاً يرعى غنيمات له، وهو حبيب النجار صاحب (يس)، فسألهما، فأخبراه، فآمن بهما بعد آية شفاء ابنه المريض، ثم فشا خبرهما في المدينة، ووصل إلى الملك فآمن بهم ومن معه. ينظر: الكشاف (٤/ ٨)، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي) (٢/ ٢٧٩).

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب (١٣/ ٢٦/ ٤٥).

(٣) البرهان في علوم القرآن (٣/ ٤٥٦).

(٤) علم البديع (ص١٤٢) د. بسيوني فيود.

ففي قوله - تعالى -: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَآ﴾ بدل من قوله - سبحانه -: ﴿إِذْ جَآءَهَا﴾ المراد منه تفصيل ذلك المجيء[1]، وفي إسناده إلى الله ﷻ أعظم تسلية للرسول ﷺ، ولما جاء موضوع الآيات الكريمة بأسلوب الحوار بين الفريقين على طريقة قال وقال؛ فلذلك ناسبه لون الطباق المعنوي؛ لأنه الأسلوب الذي يجمع بين المعنى وضده في خفاء.

حذف المفعول به في قوله - تعالى -: ﴿فَعَزَّزْنَا﴾ لدلالة ما قبله عليه، ولأن المقصد ذكر المعزز به، والمراد: «قوينا، يقال: المطر يعزز الأرض إذا لبدها، وشدَّها، وتعزز لحم الناقة»[2].

---

(١) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٢/٢٧٨).

(٢) الكشاف (٤/٨)، وينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٢/٢٧٩)، وإرشاد العقل السليم (٥/٢٩٢).

أما المثل فعلى ضربين:

الأول: أن يكون المستعار منه شيئاً محققاً واقعاً، كقولهم: (خُذه ولو بقرطي مارية)، وقصته أن مارية بنت ظالم أهدت إلى الكعبة قرطها الثمين، فالمثل يضرب في الشيء الثمين: أي لا يفوتنك بأي ثمن يكون.

الثاني: أن يكون المثل مقدراً مفروضاً، كقولهم: (طارت به العنقاء)، أي: غيبته. ينظر التبيان للطيبي (٢٤١، ٢٤٢)، هذا المثل يقال إذا هلك كل القوم. وينظر: كتاب جمهرة الأمثال (٢/١٥)، المثل رقم (١٢١٥)، لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري. ضبطه/ د. أحمد عبد السلام، خرَّج أحاديثه: أبو هاجر محمد سعيد زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

أهمية توالي التوكيدات وأثرها البلاغي:

مناسب في موضعه ؛ لأنه ورد في سابق كلامهم من الإنكار ما هو بحاجة إلى التوكيد قوله - تعالى -: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا...﴾ فلما قالوا: ﴿إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ﴾ أولاً، وهو مجرد إنكار، فقابلتهم الرسل بالتوكيد بـ(إن) واسمية الجملة، وقوله - تعالى -: ﴿إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾ فجاء الكلام مؤكداً بالقسم، وإنَّ، واللام، واسمية الجملة، لأنه جواب عن مبالغتهم في الإنكار، فقابلتهم الرسل بزيادة التوكيد[1].

أما قوله - تعالى -: ﴿رَبُّنَا يَعْلَمُ﴾، فهو أسلوب جارٍ مجرى القسم، كقولهم: شهد الله، وعلم الله، وإنما حسن هذا الجواب منهم لأنه وارد على طريق التوكيد والتحقيق مع قولهم: ﴿وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ أي الظاهر المكشوف بالآيات الشاهدة لصحته، وإلاَّ فلو قال المدعي: والله إني لصادق فيما أدعي، ولم يحضر البيّنة كان قبيحاً[2].

واختيار الاسم المبارك ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ﴾: دلالة على حلمه عليهم ،ورحمته بعدم تعجيل العذاب حين الإنكار، كما أنه وصف صالح لعقيدة الفريقين[3].

وقوله - سبحانه -: ﴿وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ أسلوب وعظ لمن كفر، وتبرئة لأنفسهم من أي منفعةٍ لا يحصلون عليها من إيمان هؤلاء القوم[4].

---

(١) ينظر: الدر المصون (٩/٢٥١).

(٢) ينظر: الكشاف (٤/٩، ٨)، والإيضاح (٢١)، والمطول (١٨٦)، وإرشاد العقل السليم (٥/٢٩٣، ٢٩٤).

(٣) ينظر: حاشية الشهاب (٨/١٠)، والتحرير والتنوير (١١/٢٢/٣٦١).

(٤) ينظر: الإيضاح (٢٢)، والدر المصون (٩/٢٥١، ٢٥٢).

وأرى أن هذه الجملة المباركة تبين أحد أساليب الدعوة، وما ينبغي أن يكون عليه الداعية من التبرؤ من المصلحة التي قد يعتقدها المدعون.

الكناية في قوله - تعالى -: ﴿قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ عن: «إنكار اختصاص المرسلين برسالتهم إليهم، وعن اختصاص أنفسهم بوجوب طاعة الرسل عليهم، ثم قالوا: وما أنزل الرحمن من شيء من الوحي السماوي، ومن رسول يبلغ ذلك الوحي إليكم، فكيف صرتم رسلاً، وكيف يجب علينا طاعتكم، وهو من تتمة هذه الكناية»[1]، وهي كناية عن صفة الإرسال.

فإثبات أنهم بشر، وهو ملزوم المعنى، يقتضي الانتقال إلى لازم معناه، وهو عدم إلزامهم واختصاصهم بطاعة هؤلاء الرسل.

وكما في قوله - تعالى -: ﴿وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَٰنُ مِن شَيْءٍ﴾ نفي لأن يكون هناك مرسلون، أو وحي يجب تبليغه، فهذا ملزوم العبارة المباركة، ويقتضي كذلك الانتقال إلى لازم معناها، وهو نفي الطاعة والإيمان، لا مرْسلٌ ولا رسالة، وهو أسلوب ما يسمى بعكس الظاهر، حتى تتم لهم تبرئة أنفسهم من ذنبهم.

ومن المحسنات المعنوية:

اللف والنشر:

اللفُّ لغةً:

«اللام والفاء أصل صحيح يدل على تلوِّي شيء على شيء، يقال: لففت الشيء بالشيء لفاً، ولففت عمامتي على رأسي»[2].

---

(١) حاشية زاده (٤/١٢٤).

(٢) معجم مقاييس اللغة (٥/٢٠٧) (باب اللام والفاء، وما يثلثهما).

النشر لغةً:

«النون والشين والراء أصل صحيح يدل على فتح شيء وتشعّبه»[(١)].

اللف والنشر في اصطلاح البلاغيين:

هو: «ذكر متعددٍ على جهة التفصيل أو الإجمال، ثم ذِكْر ما لكل واحدٍ من غير تعيين، ثقةً بأن السامع يرده إليه»[(٢)].

أي يَرُد ما لكل من أطراف هذا المتعدد إلى ما هو له مناسب، فالأول يكون فيه ذكر المتعدد، **وهو على نوعين:**

الأول: منهما مفصل، وهو ضربان: الأول منهما أن يجيء النشر مرتباً على ترتيب اللف، بأن يكون الأول من النشر للأول من اللف، والثاني للثاني، على الترتيب، **ويسمى مرتباً**، ومثاله قوله – تعالى -: ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ﴾[القصص: ٧٣]، فقد ذكر الليل والنهار على التفصيل، ثم ذكر ما لليل وهو السكون فيه، ثم ذكر ما يختص به النهار من قضاء الحوائج وتدبير أمور الناس، وجاء ذلك على الترتيب، والثاني منهما أن يكون النشر على غير ترتيب اللف؛ لأنه إما أن يكون الأول من النشر للآخر من اللف، والثاني لما قبله وهكذا، ويسمى معكوس الترتيب.

النوع الثاني: أن يكون المتعدد على جهة الإجمال[(٣)].

وهناك نوع آخر، وهو أن يذكر متعدد على التفصيل، ثم يذكر ما لكل نوع، ويؤتى بعد بذكر ذلك المتعدد على الإجمال ملفوظاً أو مقدراً، فيقع النشر بين

---

(١) معجم مقاييس اللغة (٥/٢٠٧)، (٥/٤٣٠) (باب النون والشين والراء).

(٢) الإيضاح (٣١٣).

(٣) ينظر: المطول (٦٥٤) وما بعدها.

لفين: أحدهما مفصل، والآخر مجمل، كما في قوله - تعالى -: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

ومن شواهد اللف والنشر في صفات المؤمنين ما جاء في قوله - تعالى -: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِىٍّ قَـٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦-١٤٨].

المعنى: أن كثيراً من الأنبياء قتلوا ومعهم عدد من المؤمنين بهم، والذين بقوا بعدهم ما ضعفوا، ولا داخل نفوسهم الوهن في دينهم، بل واصلوا الجهاد ونصرة الدين، لذلك كانت الآية تسلية للمؤمنين، وتحريضاً على الجهاد، ومن أوصافهم الدعاء بطلب المغفرة، وإقرار بالذنوب، ومنها طلب الثبات على الإيمان والنصرة على الكافرين[1].

وترتبط الآيات بما قبلها قوله - تعالى -: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَـٰبًا مُّؤَجَّلًا ۗ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْـَٔاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ۚ وَسَنَجْزِى ٱلشَّـٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٥].

---

(١) ينظر: جامع البيان (٢/٣٤٠-٣٤٢)، ولباب التأويل في معاني التنزيل (١/٥٥٦)، وتيسير الكريم الرحمن (١/٢٦٠).

الآية فيها حض على الجهاد، وإعلام بأن الجبن والحذر لا يدفعان المقدر، وآجال العباد بيد الرحمن، فلا موت قبل الأجل، وتبين الآية أن الناس على قسمين: إثابة الطائع، وعذاب العاصي، وذلك لم يضر الله - تعالى - شيئاً، فناسبه أن يعطف آية الشاهد الكريمة على سابقتها؛ مواساة للمؤمنين، وتأسياً بالصالحين من قبلهم[١].

من بلاغة اللف والنشر غير المرتب في الآيات[٢]:

لقد جمع المؤمنون في دعائهم بين أمري الدنيا والآخرة، وقدموا ما للآخرة قوله - تعالى -: ﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا﴾ وأخروا ما للدنيا قوله - تعالى -: ﴿وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾، وهو لف متعدد. ثم جاء النشر على غير ترتيب اللف؛ حيث قدّم ثواب الدنيا على ثواب الآخرة قوله - تعالى -: ﴿فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾، وفي ذلك إشعار بقبول دعائهم وإجابتهم إلى طلبهم[٣].

ومن بلاغة هذه الجمل الكريمة: أن قدم طلب الاستغفار على طلب تثبيت الأقدام والنصر والفوز، وذلك ليكون طلبهم أوفق وأحرى بالاستجابة من الله ﷻ؛ لأن في الدعاء زكاة للنفس وطهارة[٤].

---

(١) ينظر: نظم الدرر (٥/٨٥).

(٢) ينظر المصدر ذاته (٥/٨٩).

(٣) ينظر: البحر المحيط (٣/٨١، ٨٢).

(٤) ينظر: المصدر ذاته (٣/٨١).

من بلاغة الآيات الكريمة ما يلي:

قوله - تعالى -: ﴿وَكَأَيِّن﴾ هي (أي) دخلت عليها كاف التشبيه، فصارت بمعنى (لَم)[1]، تدل على الكثرة؛ استحضاراً لمشاهد قصص الأنبياء السابقين مع أممهم لأخذ العظة والعبرة، والبَدء بهذا الأسلوب الذي يدل على كثرتهم فيه؛ إثارة لهمة المجاهدين مع الرسول ﷺ وللمؤمنين عامة أن يتصفوا بصفات مؤمني الأمم الأخرى؛ فالدين واحد لله - تعالى -.

وفي قوله - تعالى -: ﴿قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ﴾، فصيغة ﴿قَٰتَلَ﴾ أعم في المدح والثناء؛ لأنه يدخل فيها من قُتل ومن بقي[2]، ولهذا جاء التعبير بقوله: (ربيون) ليدل على أنهم جماعة كثيرة، واحدها رِبِّيٌّ[3]، وهو فوق الحِبْر الجامع إلى العلم والفقه البصر بالسياسية والتدبير في أمور الرعية، والألف والنون للدلالة على المبالغة في الوصف[4].

وفي العبارة إيجاز بالحذف، تقديره: قاتل كائناً معه ربيون[5]، ولقد وردت ثلاثة أوصافٍ لهؤلاء المؤمنين منفية، أراد بها بيان موقفهم في الحروب ومواجهة العدو، قوله- تعالى -: (﴿فَمَا وَهَنُواْ﴾، ﴿وَمَا ضَعُفُواْ﴾، ﴿وَمَا ٱسْتَكَانُواْ﴾)، فهذه المفردات، وإن اختلفت مادتها، إلاّ أن مدلولها واحد، مع شيء من التباين في الأوصاف.

---

(١) ينظر: الكتاب (٢/١٧٠، ١٧١)، وإعراب القرآن للنحاس (١/٤١٠).

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن (٢/٤/٢٤٠، ٢٤١)، والبحر المحيط (٣/٧٩).

(٣) ينظر: جامع البيان (٢/٣٤٠)، ونزهة القلوب في تفسير غريب القرآن (٢٥٠).

(٤) ينظر: التبيان في تفسير غريب القرآن (١٥٠).

(٥) ينظر: معجم البلاغة القرآنية (١/٤٦٣).

فالوهن: ضعف يصيب الخَلْق والخُلُق، كما في قوله - تعالى -: ﴿رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي﴾ [مريم: ٤]، وقوله - تعالى -: ﴿فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٤٦][١]، وهو يختلف قليلاً في معناه عن **(الضُّعف)** الذي هو خلاف القوة، وقد ضَعُفَ فهو ضعيف، والضُّعف قد يكون في النفس وفي البدن وفي الحال[٢]. أما وصفهم بقوله - **سبحانه** -: ﴿ٱسْتَكَانُوا۟﴾ استفعال من السكون، وهو ثبوت الشيء بعد تحرك، ويستعمل في الاستيطان كذلك[٣].

واجتماع هذه الصفات الثلاثة منفية يدل على أنهم لم يهنوا عن العمل في سبيل الله[٤]، ولم يضعُفوا عن الجهاد بعد ما أصابهم، ولم ضعُف يقينهم، ولا انحلت عزائمهم وقواهم؛ لذلك لم يقعدوا عن الجهاد في سبيل إعلاء كلمة الله - تعالى -؛ بل إنهم قاتلوا على ما قاتل عليه نبيهم من قوة الإيمان، وثبتوا حتى لحقوا بربهم[٥].

ولقد أفاد نفي هذه الصفات التعريض بغيرهم، لما أصابهم يوم أحد من الانكسار[٦].

---

(١) ينظر: المفردات (٥٣٥).

(٢) ينظر: المصدر ذاته (٢٩٥، ٢٩٦).

(٣) ينظر: المصدر ذاته (٢٣٦)، ولسان العرب (١٣/٢١١)، (فصل النون باب السين).

(٤) ينظر: نظم الدرر (٥/٨٦).

(٥) ينظر: البحر المحيط (٣/٨٠).

(٦) ينظر: ذات المصدر والموضع، ونظم الدرر (٥/٨٧).

التقسيم:

وهو أحد ألوان البديع، ويرد في الكلام على صور مختلفة، أهمها ما يلي:

١- استيفاء المتكلم جميع أقسام المعنى الذي هو آخذ فيه، حتى لا يترك احتمالاً لقسم آخر، ومثاله ما جاء في قوله - تعالى -: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ۝١٩٠ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٩٠-١٩١][١].

فالآية لم تترك قسماً من أقسام الهيئات التي عليها يكون الإنسان إلا أتت به.

٢- ومن صور التقسيم: ذكر أحوال الشيء مضافاً إلى كل حال ما يلائمها ويليق بها، ومثاله ما ورد في قول أبي الطيب المتنبي[٢]:

بدت قمراً ومالت خوط بانٍ وفاحت عنبراً ورنت غزالاً[٣]

فقد ذكر ظهورها مضيفاً إليه وصف حالها كالقمر، ثم ذكر مشيتها، وأضاف إليها وصفاً يميزها بأنها خوط بانٍ.

---

(١) سبق شرح الآيتين الكريمتين في الفصل الأول (حروف المعاني) وبيان أسرارهما البلاغية، وهنا أبين ما يخص اللون البديعي فقط.

(٢) أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي الكندى أبو الطيب المتنبي، ولد سنة ٣٠٣ هـ، من أعظم شعراء العربية، عاش في العصر العباسي في بلاط سيف الدولة، تميز شعره بالجزالة، مدح وهجاء، توفى سنة ٣٥٤هـ له ديوان شعر كبير مشهور مطبوع. ينظر: نزهة الألباء في طبقات الأدباء (ص ٢٥٥)، لأبي البركات عبد الرحمن بن محمد الأنباري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، وهدية العارفين (١/ ٥٥١).

(٣) البيت من الرجز، وهو في ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح أبي البقاء العكبري (٣/ ٢٢٤).

٣- ذكر متعددٍ، ثم إضافة ما لكل على التعيين، ومثاله ما ورد في قول أبي تمام[١]:

فما هو إلا الوحْيُ، أو حدُّ مرْهَفٍ تُميل ظُباهُ أخدعَيْ كلِّ مائلِ
فهذا دواءُ الداءِ من كل عالِمٍ وهذا دواء الداء من كلِ جاهلِ[٢]

ومن الشواهد على التقسيم ما جاء في قوله - تعالى -: ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۗ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [آل عمران: ١٢٦].

سبق شرح الآية الكريمة وبيان أسرارها البلاغية[٣]، وهنا أقتصر على ما جاء فيها من حسن (التقسيم): حيث جمال التقسيم بين جمل الآية الكريمة حيث البشرى بالنصر، وما يترتب عليها من طمأنينة القلوب الخائفة المتطلعة إلى النصر؛ كما حصل لهم يوم بدرٍ، ثم في الجملة الأخرى بيان ما عليه مدار الجهاد في سبيل الله - تعالى - وهي توخي النصر من عند الله ﷻ وحده؛ فلا

---

(١) حبيب بن أوس بن الحرث بن قيس، أبو تمام الطائي، الشاعر المشهور، ولد في قرية جاسم، ونشأ بمصر، وانتقل إلى العراق، وسكن الموصل، تميز شعره بالصنعة والتعقيد، توفي سنة ٢٣١هـ. من تصانيفه: الحماسة الطائية المشهورة، وديوان شعر كبير، وفحول الشعراء، وكتاب الاختيارات من شعر الشعراء، وكتاب الاختيار من أشعار القبائل. ينظر: نزهة الألباء (ص ١٣٩)، وهدية العارفين (١/ ٢١٧).

(٢) البيتان من الطويل، وهما في ديوان أبي تمام (٣/٨٦، ٨٧). وينظر: الإيضاح (٣١٥)، وينظر: علم البديع (٢١٣-٢١٦) د. بسيوني فيود.
والمراد: عادات من النصر والتأييد عودها الله عصابة الحق وهم المسلمون.
والوحي: القرآن، أي الإيمان به، والعمل بما فيه دواء كلِّ عالم، والسيف دواء كل جاهل.

(٣) ينظر: موضوع التقييد والإطلاق ص (٣٣٤) من البحث.

تأخذوا في أنفسكم ما فعله من انهزم ورجع عن مناصرتكم، ولا لمن تأخر عن مد يد العون، فكل شيء بيد الله - سبحانه -، وهذه الجمل الثلاث - كما نلاحظ - أنه ترتب بعضها على بعض مما يحقق للمؤمنين أمر عزتهم ونصرهم، وكان في الآية السابقة لها جعل كل ذلك مرتبطاً بالصبر والتقوى، حيث قال - تعالى -: ﴿ بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾[آل عمران: ١٢٥].

ومن الشواهد التي رفعت مكانة المؤمنين إلى أعلى مراتب الإيمان: ما تحلوا به من الصفات التي جاءت في قوله - تعالى -: ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴾ [الأحزاب: ٢٣][١].

سأكتفي هنا ببيان ما جاء في هذه الآية الكريمة مما يخص موضوع التقسيم الذي ورد في قوله - تعالى -: ﴿ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ﴾، وهذا القول هو تفصيل لحال الصادقين، وتقسيمهم إلى قسمين[٢]، ولقد جاءت الفاء لتفصيل هذا الإجمال؛ حيث قُدِّم الفريق الأول، وهم الذين قضوا نحبهم ونذرهم، وهم الذين قاتلوا حتى استشهدوا كحمزة بن عبد المطلب، ومصعب ابن عمير، وأنس بن النضر، وغيرهم ممن أتموا عهدهم، وفرغوا مما ألزموا أنفسهم به، ثم هناك قسم آخر من الصحابة ﷺ ممن نذروا إذا شهدوا مع رسول

---

(١) هذه الآية الكريمة سبق بيان شرحها وبيان أسرارها البلاغية في الإظهار والإضمار (ص٤٢٨) من الكتاب.

(٢) ينظر: إرشاد العقل السليم (٥/٢١٨، ٢١٩)، وتفسير روح البيان (٧/١٨٩).

الله ﷺ حرباً ليقاتلون ويثبتون معه حتى الموت، ولم تقدر لهم الشهادة يومها؛ فكانوا ممن ينتظر قضاء نحبه، ومن هؤلاء عثمان بن عفان، وطلحة بن عبيدالله رضي الله عنهما[1].

وللتقسيم هنا سره البلاغي:

حيث دل على أن القسمين السابق ذكرهما، جاءت الآية الكريمة تمتدحهم بقوة الإيمان وبحسن الخلق، فقد ثبتوا في المعركة مع رسول الله ﷺ حتى الموت، وأما من عاش منهم فإنه ظل على عهده ونذره، فلم يبدل، ولم يغير حتى لحق أصحابه الكرام على الشهادة.

ودل التقسيم كذلك على حسن العاقبة بما أُعد لهم من خير الجزاء في الآية التالية، قوله - تعالى -: ﴿لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ ...﴾ [من الآية ٢٤]، فشملهم جزاء الله ﷻ كما شملهم حسن النية والصدق في إنجاز الوعد.

ومن صور البديع المعنوي:

التجريد:

التجريد في اللغة:

من جرد: «الجيم، والراء، والدال أصل واحدٌ، وهو بُدوُّ ظاهر الشيء، حيث لا يستره ساتر، ثم يحمل عليه غيره مما يشاركه في معناه، يقال: تجرَّد الرَّجل من ثيابه، يتجرَّدُ تجرُّداً (...)، والجريد: سعف النخل، الواحدة جريدة، سمِّيت بذلك لأنه قد جُرد عنها خوصها»[2].

---

(١) ينظر الكشاف (٣/٥١٦)، وإرشاد العقل السليم (٥/٢١٩)، وحاشية القونوي (١٥/٣٣٨).

(٢) مقاييس اللغة (١/٤٥٢).

وفي اصطلاح البلاغيين:

هو: «أن ينتزع من أمرٍ ذي صفةٍ أمر آخر مثله في تلك الصفة مبالغة في كمالها فيه»[(١)]، كما في قوله - تعالى -: ﴿ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعۡدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُۖ لَهُمۡ فِيهَا دَارُ ٱلۡخُلۡدِۖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ﴾ [فصلت: ٢٨].

فجهنم دار الخلد، ولكن جردت منها دار أخرى، وسميت ﴿دَارُ ٱلۡخُلۡدِ﴾ لإفادة المبالغة في الوصف، وتهويل أمر جهنم تخويفاً.

وللتجريد أقسام أهمها:

١- أن يكون بدخول (في) على المنتزع منه كما في قوله تعالى: ﴿لَهُمۡ فِيهَا دَارُ ٱلۡخُلۡدِ﴾ [فصلت: ٢٨].

٢- أن يكون بدخول (الباء) على المنتزع منه، ومثاله: لئن سألت فلاناً لتسألن به البحر.

٣- أن يكون بدخول (من) على المنتزع منه، كقولهم: (لي من فلان صديق حميم).

٤- أن يكون بدخول (باء المعية) على المنتزع.

٥- أن يستفاد التجريد من السياق والقرائن.

٦- أن يكون بطريق الكناية[(٢)].

ومن موارده العذبة ما ورد في الذكر الحكيم:

---

(١) الإيضاح (ص ٣١٨) وينظر: المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع (ص ٢٧٨)، لأبي محمد القاسم السجلماسي، تقديم وتحقيق: علال الفاسي، مكتبة المعارف، الرباط، ط ١، ١٤٠١-١٩٨٠م.

(٢) ينظر: الإيضاح (ص ٣١٨، ٣١٩)، وشرح عقود الجمان (١١١/٢)، وعلم البديع (ص ٢٠٥، ٢٠٦) للدكتور بسيوني عبد الفتاح فيود.

قوله - تعالى -: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢١-٢٤][(١)].

في هذه الآية الكريمة قوله - تعالى -: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [من الآية ٢١] تجريد، فالمراد بالأسوة: القدوة، وهي الحالة التي يكون الإنسان عليها في اتباع غيره[(٢)].

والجملة الكريمة مدح للرسول ﷺ لما هو عليه من كمال الصفات، فمن حقه أن يكون هو المؤتسى، وهو القدوة والمثال، ولقد جاء حرف الجر ﴿فِي﴾ **على معنى التجريد**، إذ تجرد من نفسه الشريفة وذاته الكريمة ما هو قدوة للمؤمنين، وتمثل ذلك في خصاله الحميدة: كالثبات في الحرب، ونصرة الدين، والصبر على الشدائد ما تجعله ﷺ أسوة حسنة، فهو الأحق بالاقتداء، ويسمى هذا الأسلوب بالتجريد، **وسر بلاغته**: تكمن في المبالغة في الدعوة إلى الاقتداء به عليه السلام[(٣)].

ومن صور البديع في هذه الآيات (فاء التفريع) في قوله - تعالى -: ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣].

---

(١) لقد سبق بيان الأسرار البلاغية لهذه الآيات في موضوع التعبير بالجملة الاسمية أو الفعلية.

(٢) الأسوة: تكون بالضم والكسر. ينظر: المفردات (ص ١٨).

(٣) ينظر: حاشية زاده (٤/٥٨)، والتحرير والتنوير (١٠/٢١/٣٠٢، ٣٠٣).

فالفاء للتفريع، ولبيان حسن التقسيم[1] والترتيب الذي اقتضاه المعنى، فالمعاهدون على قسمين:

الأول: الذين قضوا نذورهم، وأوفوا عهودهم.

والثاني: الذين ينتظرون أن يحين الوقت لإنفاذ عهودهم، ويدل عليهم قوله - تعالى -: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ﴾.

ومنه:

التفريع:

في اللغة:

من فرع: «الفاء، والراء، والعين أصل صحيح، يدل على علو وارتفاع وسمو وسبوغ، من ذلك الفرع، وهو أعلى الشيء، والفرع: مصدر فَرَعْتُ الشيء فرعاً، إذا علوته»[2]، وورد بأنه: «ضد التأصيل، كما هو مقتضى كلام الجمهور. **كما هو لغة:** (جعل الشيء فرعاً لغيره)»[3].

ونُقل اشتقاق اللفظ من الفرع الذي في مقابلة الأصل إلى ما يناسب **المعنى الاصطلاحي**، وهو: «أنْ يقصد المتكلم وصفاً آخر يزيد الموصوف تأكيداً»[4].

---

(١) ينظر: إرشاد العقل السليم (٥/٢١٨).

والتقسيم: «هو ذكر متعدد، ثم إضافة ما لكل على التعيين». الإيضاح (ص ٣١٥).

(٢) مقاييس اللغة (٤/٤٩١).

(٣) شرح عقود الجمان (٢/١١٩).

(٤) المنزع البديع (ص ٤٦٦)، وينظر: القول البديع في علم البديع (ص ٧٠)، للشيخ مرعي بن يوسف الكرمي المقدسي الحنبلي. تحقيق د. عوض الجميعي سنة ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

ومن ذلك قول الكميت[١]:

أحلامكم لسقاة الجهل شافيةٌ كما دماؤكم تشفي من الكلب[٢]

إذ فرَّع من وصف أحلامهم الشفاء من أدواء الجهل، ووصفهم بشفاء دمائهم من داء الكلب[٣].

ومن شواهده ما جاء في صفات المؤمنين في قوله - تعالى -: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ [المائدة: ٨٣].

قد سبق شرح الآية الكريمة، وبيان تفسيرها وبلاغتها في موضوع (الحال)[٤]، والآن أستنبط ما فيها من بديع في قوله - تعالى -: ﴿فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾: الفاء للتفريع. إذ أنه لصدق إيمانهم الذي امتلأت به نفوسهم وعقولهم، دل على اعتقاد جازم تفرع عنه رجاء بإلحاقهم بالذين شهدوا بعثة رسلهم وصدقوهم.

---

(١) الكميت بن زيد، من بني أسد، ويكنى أبا المستهل، كان معلماً للصبيان، وكانت بينه وبين الطرماح مودة ومخالطة على ما بينهما من التباعد في الدين والرأي، فالكميت رافضي عدناني، عصبي في شعره، شديد التكلف، كثير السرقة، وهو أكثر شعراً من الكميت بن معروف، ومن جده الكميت بن ثعلبة. ينظر: الشعر والشعراء (ص ١٣٩)، ومعجم الشعراء (ص ٢١٣)، لمحمد بن عمران المرزباني، صححه وعلق عليه: الأستاذ الدكتور ف. كرنكو، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

(٢) البيت من البحر البسيط. ينظر: الإيضاح (ص ٣٢٥).

(٣) ينظر: المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع (ص ٤٦٦)، وينظر: الإيضاح (ص ٣٢٥)، وكتاب القول البديع في علم البديع (ص ٧٠)، للشيخ مرعي بن يوسف الكرمي المقدسي الحنبلي.

(٤) ينظر ص (٤٣٩) من البحث.

وكذلك الشان في قوله - تعالى -: ﴿فَأَثَبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَّٰتٍ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [المائدة: ٨٥].

الفاء في قوله - سبحانه -: ﴿فَأَثَبَهُمُ﴾ للتفريع، أي تفرع ونتج عن إقرارهم واعترافهم بالإسلام نعيم مقيم، استحقوا به الرفعة إلى مصاف المحسنين[١].

تأكيد المدح بما يشبه الذم:

وهو: «تأكيدك للمدح بما يشبه ذماً (...)، وذلك بأن تبالغ في المدح إلى أن تأتي بعبارة يتوهم السامع في بادئ الرأي أنه ذم، وهو بأن تثبت للممدوح وصفاً يمدح به، أو تنفي عنه وصفاً معيناً، ثم تعقبه بالاستثناء، فتوهم في الأول أنك تثبت به ما يذم، وكذا في الثاني، ويكون الأمر فيهما بالعكس»[٢].

وهو ضربان:

أفضلهما: أن يستثنى من صفة ذم منفية عن الشيء صفة مدح بتقدير دخولها فيها، كقول النابغة الذبياني:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم   بهن فلول من قراع الكتائب[٣]

أي: إن كان فلول السيف من قراع الكتائب من قبيل العيب، فأثبت شيئاً من العيب، على تقدير أن فلول السيف منه، وذلك محال، فهو في المعنى تعليق بالمحال، كقولهم: حتى (يبيض الفار)[٤].

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير (١٢/٧/٤).

(٢) شرح عقود الجمان (١٢٤/٢).

(٣) البيت من البحر الطويل. ينظر: ديوان النابغة (ص ٤٧١).

(٤) ينظر: الإيضاح (ص ٣٢٥).

فالتأكيد فيه من وجهين:

أحدهما: أنه كدعوى الشيء ببيِّنةٍ.

والثاني: أن الأصل في الاستثناء أن يكون متصلاً، فإذا نطق المتكلم بـ(إلا) أو نحوها، توهم السامع قبل أن ينطق بما بعدها أن ما يأتي بعدها مخرج مما قبلها، فيكون شيء من صفة الذم ثابتاً، وهذا ذم، فإذا أتت بعدها صفة مدحٍ تأكد المدح؛ لكونه مدحاً على مدح، وإن كان فيه نوع من الخلابة.

الضرب الثاني: «أن يثبت لشيء صفة مدحٍ، ويعقب بأداة استثناء تليها صفة مدحٍ أخرى له، كقول النبي ﷺ: **(أنا أفصح العرب، بيد أني من قريش)**[1]، ومن تأكيد المدح بما يشبه الذم ضرب ثالث، وهو أن يأتي الاستثناء فيه مفرغاً»[2].

ومن شواهده في القرآن الكريم قوله - تعالى -: ﴿وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا ۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٦][3].

في هذه الآية الكريمة بيان لشدة حنق فرعون على السحرة الذين آمنوا برب موسى وهارون، بدليل ما جاء في الآية الكريمة على لسانهم في قوله - تعالى -: ﴿وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ﴾ أصله من النقمة، يقال: نقَمْتَ الشيء إذا نكِرْتَهُ إما باللسان،

---

(١) ذكره في التلخيص الكبير (٤/ ٦) الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، صححه ونسقه وعلق عليه: السيد عبد الله هاشم اليماني المدني، المدينة المنورة، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م. وقال: "يروى"، ولم يعلق عليه بشيء، وهو في النهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ١٧١)، ولسان العرب (٣/ ٩٩)، (باب الدال، فصل الباء).

(٢) الإيضاح (ص ٣٢٥، ٣٢٦). وهذا النوع كما في آية الشاهد.

(٣) لقد سبق في موضوع الاستعارة شرح الآية الكريمة وبيان أسرارها البلاغية. ينظر (ص ٦٠٨).

وإما بالعقوبة[(١)]، والمراد أنك يا فرعون لا تكره منا فعلاً، ولا تطعن علينا قولاً تعذبنا لأجله إلا إيماننا بالله - تعالى -[(٢)]. وفي هذه الصياغة يظهر لنا أحد ألوان البديع: **وهو تأكيد المدح بما يشبه الذم في قوله - تعالى -**: ﴿وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنۡ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا﴾ [الآية: ٦٢].

وفي قوله - تعالى -: ﴿إِلَّآ أَنۡ ءَامَنَّا﴾ يجوز ما يلي من الإعراب: «أن يكون في محل نصب مفعولاً به، أي: ما تعيب علينا إلا إيماننا. ويجوز أن يكون مفعولاً من أجله، أي: ما تنال وتعذّبنا لشيءٍ من الأشياء إلا لإيماننا، وعلى كلا القولين فهو استثناء مفرغ»[(٣)].

ففي إثبات الغضب المنفي إشارة إلى أنه سيذكر شيئاً يستحقه؛ فاستخدمت ﴿إِلَّآ﴾ أداة الاستثناء، مما يهيئ للسامع أنه ستأتي بعد هذه الصفة التي من أجلها استحقوا الغضب والذنب اللذين تتبعهما العقوبة انتقاماً، ولكن السامع فوجئ بفخر المؤمنين بذنبهم، ألا وهو الإيمان، واصفين به أنفسهم؛ الذي هو أصل

(١) ينظر: المفردات (ص ٥٠٤).

(٢) ينظر: لباب التأويل في معاني التنزيل (٢/٥٦٣).

(٣) الدر المصون (٥/٤٢٢)، وينظر: البحر المحيط (٤/٣٦٦)، وروح المعاني (٥/٩/٢٨). وأما ابن عاشور فإنه يرى أنه من الاستثناء المتصل وليس من المنفصل؛ لأن الإيمان ينقمه فرعون عليهم، فليس في الكلام تأكيد الشيء بما يشبه ضده. ينظر: التحرير والتنوير (٥/٩/٥٦). والاستثناء المفرغ هو ما كان المستثنى منه محذوفاً، واعتمد على النفي. نحو: ما أتاني إلا زيد، وما لقيت إلا زيداً، وما مررت إلا بزيدٍ، ويعرب ما بعد إلاّ حسب موقعه من الإعراب. ينظر: الكتاب (٢/٣١٠) وما بعدها، والإيضاح في شرح المفصل (١/٣٦١)، وشرح الكافية للرضي (٢/٩٩) وما بعدها.

المفاخر وخير الأعمال، وهو ليس ذنباً يعابون عليه كما يدعي فرعون، وبذلك أثبتوا لأنفسهم البراءة التامة من العيوب والنواقص.

وسرُّ جمال هذا اللون البديعي: في اعتماده على المفاجأة مما يحصل معه ويتحقق توكيد الصفة بغير ما كان يتوقع السامع؛ لأن الاستثناء يمهد لمعنى مخالف لما سبق، ومجيء التوكيد للمعنى السابق يحدث إيقاظاً وتنبيهاً، وفيه طرافة وجدة في التعبير.

وفي قوله - تعالى -: ﴿بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا﴾، الباء سببية، والجمع في آيات: إشارة إلى الآيات التي أظهر الله - تعالى - بها صدق موسى عليه السلام، وإلى أن لله - تعالى - دلائل متعددة تدل على وجوده، وفي إضافة (نا) إلى لفظ الجلالة (رب) إشارة إلى دخولهم الدين، وإقرارهم برب موسى، وفيه إشارة إلى سبب العبودية، وهي أنه الرب وهم المربوبون.

ومن الشواهد ما جاء يثبت صفة قوة إيمان المؤمنين بالله - تعالى - في الأمم الأخرى بطريق تأكيد المدح بما يشبه الذم، ما ورد عن قصة أصحاب الأخدود[1] في قوله - تعالى -: ﴿وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝٨ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [البروج: ٨-٩].

والآية الكريمة في مضمونها تصور المؤمنين الذين صبروا على شدة الإيذاء حفاظاً على دينهم، واقتناعهم بصواب طريقهم[2].

---

(١) ورد أن الذي قتل أصحاب الأخدود هو ذو نواس، واسمه زرعة، وهو الذي غزا المدينة، وكسا الكعبة، واستصحب حبرين من يهود المدينة، فتهود على يديهما من تهود من أهل اليمن، فقتل ذو نواس في غداة واحدة في الأخدود عشرين ألفاً. ينظر: تفسير القرآن العظيم (٤/٥٤٨).

(٢) ينظر: جامع البيان (٧/٤٩٤)، وفي ظلال القرآن (٦/٣٨٧٣).

وترتبط بما قبلها قوله - تعالى -: ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ﴾ [البروج: ٤-٧].

فهذه الآية تبين مصير الكفار الدنيوي، وهو الطرد من رحمة الله - تعالى -، وتبين عمق الإيمان في نفوس المؤمنين الذين فتنهم الكفار، ولم يتأثروا بالأخدود الذي حفره الكفار وأشعلوا به النيران، فلم يزدهم إلاّ إيماناً بالله - تعالى - وتسليماً له، فقال - تعالى -: ﴿وَمَا نَقَمُوا﴾ الآيتان، على طريقة المدح بما يشبه الذم، وهذا الأسلوب فيه تعجب من ظُلْم أهل الأخدود لما فعلوه بالمؤمنين[١]، كما أن فيه من الهدوء وبعث الطمأنينة مما يجعله يختلف عن أساليب الآيات السابقة إذ يصور المشاهد البشعة حساً وعقلاً، ويبين مقدار غضب المولى - تبارك وتعالى - على الكافرين؛ فجاء الحديث عن المؤمنين بتأكيد مدحهم في صورة تشبه الذم، ليدل على رضاه عنهم، وعن ثباتهم على الحق، والسبب أن ما وقع عليهم من القتل والتعذيب إلا ظلماً ذلك أنه: «ما وجد هؤلاء الكفار الذين فتنوا المؤمنين على المؤمنين والمؤمنات بالنار في شيء، ولا فعلوا بهم ما فعلوا بسببٍ إلا من أجل أنهم آمنوا بالله، وقال: ﴿إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا بِٱللَّهِ﴾، لأنَّ المعنى: إلا إيمانهم بالله، فلذلك حَسُن في موضعه ﴿يُؤْمِنُوا﴾ إذْ كان الإيمان لهم صفة، فهم يجددون إيمانهم مستمرين ومقيمين على ذلك»[٢].

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير (١٥/٣٠/٢٤٤).

(٢) جامع البيان (٧/٤٩٤)، وينظر: نظم الدرر (٢١/٣٥٨).

والاستثناء في هذه الآية مفرغ[1]، **وتكمن بلاغته في أنه مفصح عن براءتهم** مما نسب إليهم، وعما عيب عليهم[2].

ومن لطائف البلاغة ما يلي: استهلت الآية بكلمة الغضب، وإعلان النقمة عليهم مما بث معاني البغض والكراهية في الآيتين.

التعبير بالمستقبل عن الماضي في قوله - تعالى -: ﴿إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا بِٱللَّهِ﴾: استحضار لصورة هؤلاء المؤمنين، وهم في حالة إيمان مع ما وجدوا من الإيذاء والقمع والتخويف، ومع هذا فإنهم يجددون العهد مع الله - تعالى - بالإيمان، ولذلك جاء فعل الإيمان متعدياً بالباء ﴿بِٱللَّهِ﴾؛ ليدل على تعلقهم به ﷻ، فهو ذو القدرة الذي يعينهم، ويخلصهم من عذاب الأخدود.

ثم إجراء الصفات الثلاث على اسم الله ﷻ (﴿ٱلْعَزِيزِ﴾، ﴿ٱلْحَمِيدِ﴾، ﴿مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾)، فقد وصف نفسه - سبحانه - بـ﴿ٱلْعَزِيزِ﴾ ليدل على شدته في الانتقام ممن يستحق[3]، وألاَّ يُظن أن تمكين أهل الكفر من أهل ولاية الله ﷻ لعجزٍ في نصرتهم؛ بل ليبتليهم، وليعظم أجورهم[4].

وأما وصف نفسه بـ﴿ٱلْحَمِيدِ﴾، فلإحسانه إلى خلقه[5] الذي أحسن إليهم، ومع هذا فقد ارتكبوا أشنع الجرائم في حق من آمن بالله ﷻ، لهذا فسوف

---

(١) ينظر: الإيضاح (ص ٣٢٦).

(٢) ينظر: إرشاد العقل السليم (٦/ ٤٠٦).

(٣) ينظر: جامع البيان (٧/ ٤٩٤).

(٤) ينظر: نظم الدرر (٢١/ ٣٥٧).

(٥) ينظر: جامع البيان (٧/ ٤٩٤).

يعاقبون بأشد الانتقام، ويثبت أهل الإيمان ويعظم جزاؤهم[١]. وفي قوله - تعالى -: ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، تهديد ووعيد للكافرين بأنه قادر على أن يبطش بهم، وقدرته على خلق تلك المخلوقات العظيمة ﴿ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ شاهد على ذلك.

ولقد ذيلت الآيتان بقوله - تعالى -: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾، فقد أعقب الآية السابقة بإظهار قوته - سبحانه -، وأكد على بيان قدرته بجملة التذييل[٢] تخويفاً للكافرين من عاقبة فعلهم وإجرامهم، وتحذيرهم بأنه أعظم شهيد في ذلك اليوم.

ولقد التزم في الآية بما لا يلزم في الفاصلة، إذ التزم حرفي الدال وقبله حرف الياء، مما جعل الأصوات متكثفة، فيها عمق معاني القدرة الإلهية للانتقام للمؤمنين.

الاحتباك:

الاحتباك في اللغة:

حبك، «الحاء والباء والكاف، أصل منقاسٌ مطرد، وهو إحكام الشيء في امتداد واطّراد، يقال: بعير محبوك القَرَى، أي قوية»[٣]، ويقال: «حبَكَ الشيء حبكاً: أحكمه، ومنه يقال: حَبَك الثَّوْبَ: أجاد نسجه»[٤].

---

(١) ينظر: نظم الدرر (٢١/٣٥٨).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير (١٥/٣٠/٢٤٤).

والتذييل: هو تعقيب الجملة بجملة تشتمل على معناها للتوكيد، وهو ضربان: ضرب لا يخرج مخرج المثل، لعدم استقلاله بإفادة المراد، وتوقفه على ما قبله. وضرب يخرج مخرج المثل، وهو ما جاء في آية الشاهد. ينظر: الإيضاح (ص ١٤٩).

(٣) معجم مقاييس اللغة (٢/١٣٠)، (باب الحاء والباء، وما يثلثهما).

(٤) المعجم الوسيط (١/١٥٣).

وفي اصطلاح البلاغيين:

هو: «أن يجتمع في الكلام متقابلان، فيحذف من واحدٍ منهما مقابله؛ لدلالة الآخر عليه، كقوله - تعالى -: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ﴾ [هود: ٣٥]، الأصل: فإن افتريته فعليَّ إجرامي وأنتم برآء منه، وعليكم إجرامكم وأنا بريء مما تجرمون، فنسبة قوله - تعالى -: ﴿إِجْرَامِي﴾، وهو الأول إلى قوله: (وعليكم إجرامكم)، وهو الثالث كنسبة قوله: (وأنتم برآء منه)، وهو الثاني إلى قوله - تعالى -: ﴿وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ﴾ [هود: ٣٥]، وهو الرابع، واكتفى من كل متناسبين بأحدهما»[١].

ويلاحظ أن المعنى اللغوي مرتبط مع المعنى الاصطلاحي ارتباطاً وثيقاً، ومعبراً عنه بوضوح، حتى أن: «مأخذ هذه التسمية من الحبك الذي معناه الشدّ والإحكام، وتحسين أثر الصنعة في الثوب، فحبك الثوب: شد ما بين خيوطه من الفُرج، وشدّه وإحكامه بحيث يمنع عنه الخلل مع الحسن والرونق، وبيان أخذه منه أن مواضع الحذف من الكلام شبهت بالفُرج بين الخيوط، فلما أدركها الناقد البصير بصوغه الماهر في نظمه وحوكه، فوضع المحذوف مواضعه كان حائكاً له مانعاً من خللٍ يطرقه، فسدَّ بتقديره ما يحصل به الخلل، مع ما أكسبه من الحسن والرونق»[٢].

وقيمته البلاغية: يعبر عنها السيوطي بقوله: «وهو من ألطف الأنواع، وأبدعها، وقلَّ من تنبه له أو نبه عليه من أهل فن البلاغة (...)، وذكره

---

(١) البرهان في علوم القرآن (٣/١٢٩)، وينظر: الإتقان في علوم القرآن (٢/٧٩، ٨٠).

(٢) الإتقان في علوم القرآن (٢/٨٠).

الزركشي في البرهان، ولم يسمه هذا الاسم، بل سماه الحذف المقابلي، وأفرده في التصنيف من أهل العصر العلاّمة برهان الدين البقاعي»[1].

ومن أعظم دلائل قيمته البلاغية كثرة وروده في القرآن الكريم، وله مزية أخرى، ذلك أنه يجعل العقل يذهب فيه لتدبر معانيه، مما يجعل المؤمن القارئ نشطاً في ترقب نظم الألفاظ، وتتبع جمل الكلام بمهارة وحذق.

وله بعض أمثلة متفرقة في هذا البحث[2]، وسأفرده بشاهد من آيات صفات المؤمنين، وهو ما جاء في قوله - تعالى -: ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ لَفِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ﴾ [الشورى: ١٨].

وجه ارتباط آية الشاهد بسابقتها: قوله - تعالى -: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ ۗ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ [الشورى: ١٧].

وفيها بيَّن أنه أنزل الكتاب مشتملاً على دلائل قدرته ومعجزاته الباهرة - سبحانه -، وأنزل الميزان ليتم الفصل بالحق، وهو القسطاس المستقيم، مع أن القيامة لم يحدد موعدها؛ بل ستفاجئهم ليجدَّ العاقل ويجتهد، ويعيد النظر والاستدلال؛ لأن الرسول ﷺ تهددهم بها، فما كان من بعضهم إلا أن استعجلوها حتى يتبينوا الحق عياناً، وذلك استهزاء. فلدفع هذه الشبهة قال - تعالى -: ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ...﴾.

---

(١) الإتقان في علوم القرآن (٢/٧٩).

(٢) انظر (ص٥١٤) من الكتاب.

وهو شروع في تفصيل أمر الناس فيها ليتعظ العاقل من غير بحث عن قربها أو بعدها، فهي كائنة بأمر الله - تعالى -، وعلى المرء الاستعداد لها[1].

ومن البلاغة الاحتباك في الآية المباركة قوله - تعالى -: ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا..﴾.

التعبير بالاسم الموصول: في قوله - تعالى -: ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ يدل على علة استعجال الكفار أمرها، ووصفهم بعدم الإيمان ليدل على عدم تصديقهم بيوم القيامة، وبيان بأن المؤمنين على بصيرة من أمرها، فهم مؤمنون بها. وكون الآية «من الاحتباك: ذكر الاستعجال أولاً دليلاً على حذف ضده ثانياً، والإشفاق ثانياً دليلاً على حذف ضده أولاً»[2].

وأداء المعنى بغير حذف تقديره: «يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها فلا يشفقون منها، والذين آمنوا مشفقون منها، فلا يستعجلون بها»[3].

ومن بلاغة الآية المباركة:

طباق السلب بين قوله - تعالى -: ﴿لا يُؤْمِنُونَ﴾، وقوله - تعالى -: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ ليتضح حال المؤمنين بها من إشفاق ووجل، مع تصديقهم وعملهم الصالحات ورجائهم القبول. ودل الماضي على تحقق صفة الإيمان وثبوتهم عليها، والله أعلم.

---

(١) ينظر: مفاتيح الغيب ١٣٧/٢٧/١٤، ونظم الدرر ٢٨٢/١٧.

(٢) نظم الدرر (٢٨٣/١٧).

(٣) التحرير والتنوير (٧٠/٢٥/١٢).

وبذلك اتضح حال ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِهَا﴾ ؛ إذ أن شأنهم الشك والريب، يمارون في وقوعها، فكان التعبير بالمضارع وصفاً مناسباً لحال المتردد ذي الأحوال المتقلبة.

القصر بـ(أل)[1] وأثره البلاغي في قوله - تعالى -: ﴿أَنَّهَا ٱلۡحَقُّ﴾.

أفاد قصر المسند على المسند إليه، مبالغة لكمال الجنس في إسناده إليه، وتقدير الكلام: (بأنها الحق كل الحق) كما في قولهم: عنترة الشجاع[2].

التذييل في قوله - تعالى -: ﴿أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِي ٱلسَّاعَةِ لَفِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٍ﴾

المراد منه التحقيق والتأكيد على أن الذين يستعجلون قيام الساعة شكاً في وقوعها إنما هم في ضلال شديدٍ؛ لأن حصولها واقع، وفي هذا تخويف لهم، وإنذار عن الوقوع في مهاوي الشك في العقيدة، والله أعلم.

ومن بلاغته هذه الجملة المباركة: الافتتاح بـ﴿أَلَآ﴾: للتنبيه عنايةً واهتماماً بما صرح به في هذه الجملة المباركة.

التعبير بلفظ ﴿يُمَارُونَ﴾: أصله مُرِّيت الناقة، إذا مسح ضرعها بشدة لحلبه ليستخرج لبنه، أو من المماراة: أي المُلاجّة بين المتجادلين في أمر الساعة، فكل

---

(١) لتعريفه: يسمى القصر بتعريف الطرفين، وهو أحد طرق القصر كما في قوله: (الله القوي)، وقوله: (ذلك هو الفضل الكبير)، فقوله: ذلك اسم إشارة معرفة، والفضل معرف بأل ... فأدى تعريف الطرفين إلى القصر.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير (٧٠/٢٥/١٢).

يستخرج ما عند صاحبه بكلام فيه شدة[١] طلباً لظهور شك غيرهم[٢]، والمعنى أنهم «يشكون ويخاصمون في قيام الساعة»[٣].

وذهب الألوسي إلى أن معنى المفاعلة غير مقصود، فالمعنى: الذين يترددون ويشكون في أمره هو قيام الساعة[٤].

وفي اللفظ استعارة تبعية: إن كان من مرى الشيء امتراه واستخرجه، وهو التعرض لضرع الناقة لاستخراج ما فيها من اللبن، فيكون تفسيره: يجادلون حملاً على الاستعارة التبعية التصريحية[٥] بأن شبهت المجادلة بمماراة الحالب للضرع - بعد اعتبار أن المشبه فرد من أفراد المشبه به -، فاستعير المشبه به للمشبه، واشتق من المماراة (المشبه به) بمعنى المجادلة ﴿يُمَارُونَ﴾ بمعنى يجادلون على سبيل الاستعارة التبعية التصريحية. والله أعلم.

واللفظ المبارك ﴿يُمَارُونَ﴾: يصور ريب الكفار المكذبين بوقوع الساعة ومجادلتهم في وقوعها بصورة محسوسة مشاهدة، وذلك يكشف حيرتهم في أمرها قولاً وعملاً، فهم مترددون لا يقر لهم شأن إلى أن تقوم الساعة.

---

(١) ينظر: الكشاف (٤/ ٢١١)، ونظم الدرر (١٧/ ٢٨٤)، وإرشاد العقل السليم (٦/ ١٤)، ولسان العرب (١٥/ ٢٧٧)، (باب الألف، فصل الميم).

(٢) ينظر: نظم الدرر (١٧/ ٢٨٤).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٨/ ١٦/ ١٨).

(٤) ينظر: روح المعاني (١٣/ ٢٥/ ٢٧).

(٥) ينظر: حاشية زاده (٤/ ٢٧٤).

المبحث الثاني
البديع اللفظي

الجناس:

الجناس في اللغة:

«بكسر الجيم، وهو لغةً مصدر جانس، ويسمى التجنيس والمجانسة، وهو مشتق من حروف الجنس؛ لأن كلاً من اللفظين المتجانسين من جنس»[١].

وفي اصطلاح البلاغيين:

«الجناس بين اللفظين هو تشابههما في اللفظ»[٢] مع الاختلاف في المعنى، ولا يشترط في الجناس تشابه جميع الحروف، وإنما يكتفى في التشابه ما تعرف به المجانسة، وهي: «أن تشبه اللفظة اللفظة في تأليف حروفها»[٣].

والجناس ضربان:

التام: وهو أن يتفق اللفظان في أنواع الحروف، وأعدادها، وهيئاتها، وترتيبها، وهو أنواع.

والضرب الثاني؛ غير التام: وهو ما اختلف فيه اللفظان في واحدٍ أو أكثر من الأمور الأربعة المذكورة، وهي: نوع الأحرف، وعددها، وهيآتها، وترتيبها،

(١) شرح عقود الجمان (٢/١٥٩)، وينظر: معجم مقاييس اللغة (١/٤٨٦)، (باب الجيم والنون، وما يثلثهما).

(٢) الإيضاح (ص ٣٣٣).

(٣) البديع (ص ٢٥) لأبي العباس عبدالله بن المعتز، تقديم وشرح د. محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت- لبنان، ط١، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

ويأتي هذا الجناس على أنواع كذلك[١].

والجناس من أكثر أنواع البديع تفريعاً، وأقسامه متشعبة.

وللجناس مكانته في البلاغة، واشترطوا لذلك ألا يكون متكلفاً، بأن يأتي في السياق مؤدياً معنىً. ولقد قال فيه عبد القاهر الجرجاني: «أما التجنيس، فإنك لا تستحسن تجانس اللفظتين إلا إذا كان موقع معنييهما من العقل موقعاً حميداً، ولم يكن مرمى الجامع بينهما مرمى بعيداً (...)، فقد تبين لك أن ما يُعطي التجنيس من الفضيلة أمر لم يتم إلا بنصرة المعنى، إذ لو كان باللفظ وحده، لما كان فيه مستحسن، ولما وُجد فيه معيب مستهجن، ولذلك ذم الإكثار منه والولوع به»[٢].

أثر الجناس:

(أ) **في الكلام:** عظيم الموقع، جليل القدر في الفصاحة، ولولا ذلك لما أنزل الله كتابه المجيد وقد استعمل فيه هذا اللون البديعي[٣].

(ب) **وفي النفوس:** يحدث ميلاً وإصغاءً إليه؛ بتشويق السامع إلى معنى اللفظ الآخر.

---

(١) ينظر: المطول (ص ٦٨٢) وما بعدها.

المراد بقوله: أنواع الحروف، أن يتفقا (أي اللفظان) في أنواع الحروف، وكل من الألف والباء والتاء إلى آخره، نوع آخر من الحروف ويخرج بذلك يفرح ويمرح، وفي أعدادها: يخرج نحو الساق والمساق، وفي هيآتها يخرج به نحو: البَرد والبُرد. ينظر: المطول (ص ٦٨٢).

(٢) أسرار البلاغة (ص ٤-٥)، تحقيق رشيد رضا.

(٣) ينظر: كتاب الطراز (ص ٣٧٢).

«فإن مناسبة الألفاظ تحدث ميلاً وإصغاءً إليها، ولأن اللفظ المشترك إذا حمل على معنى، ثم جاء والمراد به آخر، كان للنفس تشوق إليه»[١].

ومن أنواع الجناس ما جاء في آيات صفات المؤمنين قوله - تعالى -: ﴿فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٨][٢].

في قوله - تعالى -: (﴿حُسْنَ﴾، ﴿ٱلْمُحْسِنِينَ﴾).

الحاء والسين والنون أصل واحد، والحسن ضد القبح، وهو عبارة عن كل مبهجٍ مرغوبٍ فيه، وليس في هذا الباب إلاّ هذا[٣].

ونلحظ بين اللفظتين تجانساً؛ فقد اشتقتا من أصلٍ واحدٍ يدل على الاستحسان في كل شيء؛ فكأنه لما كان الإنسان محسناً في نفسه قولاً وعملاً واختياراً، فقد اشتق له جزاءٌ من ذات طبعه الطيب، فجازاه بحسن ثواب الدنيا، ورفعه إلى درجة الإحسان، وفي الآخرة بحبه - سبحانه وتعالى -، حتى يتم التمازج بين النفس الطيبة وبين جزائها؛ لتزداد طمأنينة وأنساً بعملها، وبحب الله - تعالى - لها.

وهناك **مقابلة** لطيفة بين قوله - تعالى -: ﴿ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا﴾، وقوله: ﴿ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾، فهذا التضاد بين لفظتي الدنيا والآخرة، مع الاشتراك في لفظ الثواب، يوحي بعظم ثواب الآخرة، وفي تقييده بقوله - سبحانه -: ﴿حُسْنَ﴾ إظهار وتأكيد لهذا الحسن، مما يشعر بتدني ثواب الدنيا؛ لأنها لا تساوي عند الله ﷻ شيئاً.

---

(١) الإتقان في علوم القرآن (٢/١١٦).

(٢) جاء بيان معنى هذه الآية الكريمة وأسرارها البلاغية في موضوع اللف والنشر (ص٧٤١) من الكتاب.

(٣) ينظر: معجم مقاييس اللغة (٢/٥٧، ٥٨)، (باب الحاء والسين وما يثلثهما).

وفي قوله - تعالى - عز من قائل: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ وضع المظهر موضع المضمر؛ ليدل على أولئك المعهودين بالصفات المذكورة، هذا إذ اعتبرت اللام للعهد.

وإذا اعتبرت للجنس، فالمعنى أن الحب يطال كل محسن، ترغيباً للمؤمنين في تحصيل ما حُكي عنهم من المناقب والصفات الجليلة[١].

كما أن هذه الجملة الكريمة ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ تذييل أراد به تقريراً: «لمضمون ما قبله؛ فإن محبة الله - تعالى - للعبد عبارةٌ عن رضاه عنه، وإرادة الخير به، فهي مبدأ لكل سعادة»[٢].

وقوله تعالى: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [النور: ٣٧].

ورد ذكرها وشرح معانيها البلاغية في موضوع الفصل والوصل[٣]، وأقدم هنا ما يخص موضوع علم البديع، وهو الجناس في قوله - تعالى -: (﴿تَتَقَلَّبُ﴾، ﴿ٱلْقُلُوبُ﴾) المسمى جناس الاشتقاق، وهو من قبيل المناسبة بين حروف الكلمتين، ومع اختلاف أوضاع الحروف؛ إلا أنه ظل الاشتراك في المعنى بينهما قائماً، وهو التغير والتبدل، «فجونس بالقلوب التقلب، والأصل واحد، فالقلوب تتقلب بالخواطر، والأبصار تتقلب في المناظر، والأصل التصرف»[٤].

---

(١) ينظر: البحر المحيط (٣/٦٣، و٨٢)، وإرشاد العقل السليم (٢/٤٦).

(٢) إرشاد العقل السليم (٢/٤٦)، وينظر: التحرير والتنوير (٣/٤/١٢١).

(٣) ينظر (ص٤٧١) من الكتاب.

(٤) رسالة الرماني ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن (ص ١٠٠).

وتتبدى **بلاغة الجناس** هنا في أن اللفظتين الكريمتين تدلان على التقلب والتغير، مما يدل على الاضطراب والخوف، وأراد بذلك تصوير أحد مشاهد أهوال يوم القيامة ببيان أحوال أهله التي تكون مضطربة تتنقل ببصرها، وبأحاسيسها هنا وهناك طمعاً في النجاة وحذراً من الهلاك، وهذا المعنى تستعمله العرب في الحروب[1]، وتخصيص القلوب والأبصار فلأنها موضع الأحاسيس.

والتعبير بالمضارع ﴿تَتَقَلَّبُ﴾ يدل على تجدد ذلك، ويدل على أنهم منه في عذاب.

ووصف هذا اليوم الذي يخافه المؤمنون في الدنيا، يدل على تصديقهم لما ورد عن ذلك اليوم، وأنهم يحسبون له حسابه، ويعدون عدته حتى يأمنوه في الآخرة.

ردّ العَجز على الصدر:

ويسمى التصدير، **وهو في اللغة** من صدر، الصاد، والدال، والرَّاء أصلان صحيحان، أحدهما يدل على خلاف الورد، والآخر: صدر الإنسان وغيره، ومن التصدير، وهو حبل يُصدَّر به البعير لئلا يُردَّ حمله إلى خَلْفه[2].

وعند البلاغيين: «هو أن يجعل أحد اللفظين المكررين أو المتجانسين أو الملحقين بها في أول الفقرة، والآخر في آخرها، كقوله – تعالى –: ﴿وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ﴾ [الأحزاب: ٣٧]، وكقولهم: سائل اللئيم يرجع ودمعه سائل»[3].

---

(١) ينظر: البحر المحيط (٦/ ٤٢٢).

(٢) ينظر: معجم مقاييس اللغة (٣/ ٣٣٧) (باب الصاد والدال، وما يثلثهما).

(٣) الإيضاح (ص ٣٣٨).

وورد في تعريفه: «وهو في النثر أن تقع اللفظة أوله ومثلها أو مجانسها أو الملحق بها آخره»[(١)].

ومن الأمثلة على ذلك في آيات صفات المؤمنين قوله - تعالى -: ﴿قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ﴾ [الأعراف: ٨٩][(٢)].

لَمّا لم يجد شعيب ﷺ من قومه قبولاً، وأيس من إيمانهم، دعا بهذا الدعاء، قائلاً: ﴿ٱفْتَحْ بَيْنَنَا..﴾ الآية، أي اقض وافصل، واحكم بالعدل والحق بيننا وبين قومنا[(٣)].

وافتح: من الفتح بمعنى القضاء والحكومة[(٤)]، ولقد كان أهل عمان يسمون القاضي الفاتح والفتاح؛ لأنه يفتح مواضع الحق[(٥)].

وفي الآية الكريمة **رد العجز على الصدر**، وهو أحد ألوان البديع المعروفة، إذ جاءت الفاصلة الكريمة في قوله - تعالى -: ﴿خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ﴾ رداً على قوله - تعالى -: ﴿ٱفْتَحْ﴾، وقد أفاد ذلك تمكين المعنى من النفوس، وتأكيده وتقريره فيها. فلأول وهلة قد يتصور أن قوله - تعالى -: ﴿خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ﴾ إعادة للفظ

---

(١) عقود الجمان (٢/ ١٧٥).

(٢) لقد سبق بيان الأسرار البلاغية في موضوع التقديم والتأخير. ينظر (ص٤١٣) من الكتاب.

(٣) ينظر: لباب التأويل في معاني التنزيل (٢/ ٥٥٠).

(٤) ينظر: بصائر ذوي التمييز (٤/ ١٦١)، (بصيرة في فتح).

(٥) ينظر: مفاتيح الغيب (٧/ ١٤/ ١٤٧).

﴿ٱفۡتَحۡ﴾، ولكن هذه الإعادة جاءت لفائدة، حيث الوقوف على هذه الفاصلة يثبتها في ذهن السامع، وهي اطلبوا الحكم والفصل في أمرنا ممن له أفضل الأحكام - سبحانه -؛ لأنه يقضي عن خبرةٍ وعلم بما في النفوس، كما أنه لا يتأثر بهوى، ولا يقضي عن ضعفٍ أو مصلحةٍ، ومن كان هذا وصفه؛ فإن اللجوء إليه يجعل الخصم يذعن ويستجيب لقضائه دون أي اعتراض.

ومن جهةٍ ثانية ؛ فإن قولهم ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىۡءٍ عِلۡمًا﴾ بما فيه من الدلالة على عمق الإيمان؛ فإنه جاء مناسباً لطلبهم الحكم منه - تعالى -، ومعللاً لإفراد التجائهم إليه ﷻ.

لزوم ما لا يلزم

وهو: «أن يجيء قبل حرف الروي وما في معناه من الفاصلة ما ليس بلازم في مذهب السجع كقوله - تعالى -: ﴿فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ۝٢٠١ وَإِخۡوَٰنُهُمۡ يَمُدُّونَهُمۡ فِى ٱلۡغَىِّ ثُمَّ لَا يُقۡصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١-٢٠٢]»[1].

الفاصلتان ﴿مُّبۡصِرُونَ﴾، و﴿لَا يُقۡصِرُونَ﴾ اتّحدتا في الانتهاء بحرف النون، وقد التزم قبلها ثلاثة أصوات متماثلة، وهي: حرف الواو، والراء، والصاد، ولقد تكرر صوت الصاد بين الفاصلتين، ثم يليه تكرار حرف الراء المتردد — بطبيعته -، ثم بمخرجه من بين الشفتين ليناسب الضمة، وهي صوت قصير يؤذن بترديد حرف المد الواو، وظهور طول صوته يشير إلى عمق إيمانهم، وأنهم المتقون، ويؤكد ضياء بصائرهم، وسرعة استجابتهم لذكر الله - تعالى -، ثم وصف

---

(١) الإيضاح (ص ٣٤٥).

الذين يمدونهم في الغي أنهم ﴿لَا يُقْصِرُونَ﴾، ذلك التوافق في الحروف يشعر بعمق صفة الإيذاء في هذا الصنف.

ومن الشواهد على هذا اللون البديعي ما جاء في قوله - تعالى -: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ۝ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ [فاطر: ٢٩-٣٠][1].

لقد جاءت فاصلتا الآيتين (﴿تَبُورَ﴾، ﴿شَكُورٌ﴾) متوحدة بالراء، التزم قبلها بحرف الواو، وهو مما لا يلزم في الفاصلة؛ فأصبح الكلام الكريم ملتزماً واواً فراء، ثم واواً فراء، مما أسبغ على الآيتين انسجاماً صوتياً مرده تكرار تلك الأصوات، ثم تداخل صفات تلك الأصوات مع معاني الآيتين، مما جعل معاني البشرى بعدم بوار أعمالهم، والزيادة من فضله، والمغفرة والشكر للمؤمنين تتزايد وتتنامى بتكرار حرف الواو، وتردُّد حرف الراء.

والملاحظ أن جمال ذلك البديع، وهو مما يعبر عنه - بلزوم ما لا يلزم - جاء في صياغة الآيتين معبراً عن المعاني بنسيج معجزٍ وجمالٍ مبدعٍ، لا ينفك أحدهما عن الآخر.

---

(١) سبق شرح الآيتين الكريمتين وبيان أسرارهما في موضوع الالتفات. ينظر: (ص ٤٨٦) من الكتاب، وسأكتفي هنا ببيان أحد فنون البديع: لزم ما لا يلزم.

المبحث الثالث

الفاصلة القرآنية

الفاصلة في اللغة:

من فصل: «الفاء والصاد واللام كلمة صحيحة، تدل على تمييز الشيء من الشيء، وإبانته عنه، يقال: فَصَلْت الشيء فصلاً»[١]. والفواصل: جمع فاصلة، وهي مأخوذة من الفصل، وهو إبانة أحد الشيئين عن الآخر، وهي الحاجز بين الشيئين إشعاراً بانتهاء ما قبله، وكذلك هي الخرزة التي تفصل بين الخرزتين في النظام، وفواصل القلادة شذر يفصل به بينها، وهي هنا أواخر الآي[٢].

أما في اصطلاح أهل العلم:

فهي: «حروف متشاكلة في المقاطع تُوجب حسن إفهام المعاني، والفواصل بلاغة، والأسجاع عيب، وذلك أن الفواصل تابعة للمعاني، وأما الأسجاع فالمعاني تابعة لها»[٣].

---

(١) معجم مقاييس اللغة (٥٠٥/٤)، (باب الفاء والصاد واللام).

(٢) ينظر: المفردات (ص ٣٨١)، وتاج العروس (٥٩/٨)، (باب اللام، فصل الفاء).

(٣) النكت في إعجاز القرآن (ص ٩٧) للرماني، وهذا تعريف الفاصلة الذي عرفها به الباقلاني في مؤلفه إعجاز القرآن (ص ٢٧٠، ٢٧١)، لأبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف، الطبعة الرابعة.

ولقد وردت عدة مناقشات لبعض جمل هذا التعريف، منها أنه قول: يقع به إفهام المعاني، وهذا القول يُلْزم أنها: «تعقيب على المعاني التي تضمنتها الآية، وفي هذا التعقيب يُرى وجه جديد لتلك المعاني، فتزداد وضوحاً وبياناً، وإذن يكون من وظيفة الفاصلة تلخيص معنى الآية تلخيصاً يبرز به المعنى المراد منها (...)، وهذا يحتاج أن تكون الفواصل جملاً مستقلة، تؤدي معنى تاماً مستقلاً بدلالته، مثل: ﴿ والله غفور رحيم ﴾ (...)، ولكنّ هناك كثيراً من الفواصل ليست على تلك الصفة، وإنما قد تكون هي آية قائمة بنفسها، مثل قوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ۝ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ۝ ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ﴾ [الطارق: ١ -٣]، فالطارق والطارق والثاقب فواصل لآيات، وهي بمنزلة الجزء من الكل لا يمكن فصلها.

وعلى هذا فالتعريف الذي عرَّف به القاضي أبو بكر الفاصلة ليس تعريفاً جامعاً مانعاً كما يقولون، إذ إن قوله: يقع بها إفهام المعاني يلزم منه أن تكون للفاصلة دلالة مستقلة (...)، وهذا ما لا يمكن أن يتحقق في كثير من الفواصل التي هي بعض آي»[1].

وصاحب هذا القول لا يرى في الفواصل دلالة مستقلة يمكن أن يقع بها إفهام المعاني.

---

(١) إعجاز القرآن الكريم (ص ٢٠٦ ، ٢٠٧)، لعبد الكريم الخطيب (في دراسة كاشفة لخصائص البلاغة العربية ومعاييرها)، الكتاب الثاني، دار المعرفة للطباعة، بيروت - لبنان، ط٢، ١٣٩٥هـ/١٩٨٥م.

كما أخذ ابن سنان الخفاجي[١] على الرّمّاني أن تكون الفواصل بلاغة... فيقول: «هذا غير صحيح، والذي يجب أن يحرر في ذلك أن يقال: إن الأسجاع حروف متماثلة في مقاطع الفصول على ما ذكرناه، والفواصل على ضربين: ضرب يكون سجعاً، وهو ما تماثلت حروفه في المقاطع، وضرب لا يكون سجعاً، وهو ما تقاربت حروفه في المقاطع ولم تتماثل، ولا يخلو كل واحدٍ من هذين القسمين - أعني المتماثل والمتقارب - من أن يكون يأتي طوعاً سهلاً، وتابعاً للمعاني، وبالضد من ذلك، حتى يكون متكلفاً يتبعه المعنى، فإن كان من القسم الأول فهو المحمود الدال على الفصاحة وحسن البيان، وإن كان من الثاني فهو مذموم مرفوض.

فأما القرآن، فلم يرد فيه إلا ما هو من القسم المحمود لعلوه في الفصاحة»[٢].

ومضمون رأي ابن سنان على ما قاله الرماني: أن الفواصل هي ما كانت نهاية الآيات متقاربة الحروف، لكن أهل العلم أجمعوا أن يسمى ما في القرآن الكريم فواصل؛ سواء كانت متماثلة الحروف، أو متقاربة تأدباً.

---

(١) أبومحمد عبدالله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي، العالم الشاعر الأديب، ولد سنة ٤٢٢هـ، من بني خفاجة الذين كانوا ينزلون حلب، كان والده من أشرافها، ولما كبر تتلمذ على علماء عصره، واتصل بأبي العلاء المعري، وقد تأثر بعقيدته ومذهبه في التشيع، لذلك خرج عن طاعة أولياء أمره، مات مسموماً سنة ٤٦٦هـ. ينظر: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون (٢/ ٣٤)، لمصطفى بن عبد الله القسطنطيني الرومي الحنفي المشهور بحاجي خليفة، دار الفكر، بيروت، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، وهدية العارفين (١/ ٣٧٠)، ويضاف إلى تشيعه الاعتزال؛ لأنه أثنى على أهل الكلام وامتدح مذهبهم. ينظر: المدخل إلى دراسة بلاغة أهل السنة (ص٤٨).

(٢) سر الفصاحة (ص ١٦٥)، لأبي محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي، شرح وتصحيح عبد المتعال الصعيدي، مكتبة محمد علي صبيح، الأزهر، سنة ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م.

والفواصل المتقاربة المخارج من مثل قوله - تعالى -: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٢-٣]، فالميم تقارب النون في مخرجها.

وأما المتماثلة الحروف، فإنها من مثل قوله - تعالى -: ﴿وَٱلطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٖ مَّسۡطُورٖ ۝٢ فِي رَقّٖ مَّنشُورٖ ۝٣ وَٱلۡبَيۡتِ ٱلۡمَعۡمُورِ﴾ [الطور: ١-٤].

والذي يمنع القول بالسجع في القرآن الكريم أن «أصله من سجع الطير، فشرف القرآن أن يستعار لشيء منه لفظ أصله مهمل، ولأجل تشريفه عن مشاركة غيره من الكلام الحادث في وصفه بذلك، ولأن القرآن الكريم من صفاته - تعالى -، فلا يجوز وصفه بصفةٍ لم يرد الإذن بها»[1]، وكما أن اعتبار السجع عيباً توصف به فواصل القرآن الكريم، فكذلك يمتنع استعمال القافية وصفاً لخاتمة آياته، لأن المولى - تبارك وتعالى - نزه القرآن الكريم عن أن يكون شعراً، فأوجب ذلك سلب وصف القافية عن فواصله؛ لأن القافية من أخص صفات الشعر، فلا يجوز لذلك تسميتها قوافي إجماعاً[2].

وتسمية ما تماثلت حروفه، أو تقاربت من القرآن فواصل تمييزاً له عما كان كذلك من كلام البشر؛ لأن القرآن الكريم قد اختص بأوصاف خارجة عن أوصاف كلام البشر، ذلك أنه «وإن كان من المنثور، إلاَّ أنه خارج عن الوضعين، وليس يسمى مرسلاً مطلقاً، ولا مُسَّجعاً؛ بل تفصيل آيات ينتهي

---

(١) الإتقان في علوم القرآن (٢/١٢٥)، وينظر: البرهان في علوم القرآن (١/٥٥).

(٢) لقد أثيرت قضية نفي أن يكون السجع صفةً لفواصل آي القرآن الكريم، والرد بالتالي على من حاول إثباتها. ينظر: الإتقان في علوم القرآن (٢/١٢٤-١٢٥)، وسر الفصاحة (ص ١٦٥)، ومقدمة ابن خلدون (ص ٥٦٧)، وأسلوب الدعوة القرآنية بلاغةً ومنهاجاً (٣٢٣)، للدكتور عبد الغني محمد سعد بركة، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١٤٠٣، ١هـ/١٩٨٤م.

إلى مقاطع، يشهد الذوق بانتهاء الكلام عندها، ثم يعاد الكلام في الآية الأخرى بعدها، ويثنى من غير التزام حرف يكون سجعاً ولا قافية، وهو معنى قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ [الزمر: ٢٣]، وقال: ﴿قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْأَيَٰتِ﴾ [الأنعام: ٩٧]، ويسمى آخر الآيات منها فواصل إذ ليست أسجاعاً، ولا التزم فيها ما يُلتزم في السجع، ولا هي أيضاً قوافٍ»[1]، وهذه الدلائل والحجج التي نفى فيها ابن خلدون السجع عن القرآن الكريم، قد قال بها من بعده كثيرون من الذين ينفون السجع عن القرآن الكريم[2].

أنواع الفواصل:

فعلى ما مضى بيانه، فإن أنواع الفواصل تكون على وجهين: **أحدهما** على الحروف المتجانسة، **والآخر** على الحروف المتقاربة[3]، كما مضى بيان أمثلته... هذا من ناحية تماثل الحروف أو تقاربها، أما من ناحية الطول والقصر، فهي على أوجه ثلاثة:

«**أولها**: أن تكون الفقرتان متساويتين في أنفسهما من غير زيادة ولا نقصان، وهذا كقوله تعالى: ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ۝١ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ۝٢ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا﴾ [العاديات: ١-٣].

---

(١) مقدمة ابن خلدون (ص ٥٦٧)، لعبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي، دار القلم، بيروت، ط٥، ١٩٨٤م. وينظر: البرهان في علوم القرآن (١/ ٥٤).

(٢) ينظر: الفاصلة في القرآن الكريم (ص ٩٢)، محمد الحسناوي، وينظر: مباحث في علوم القرآن (ص ٣٥)، د. صبحي الصالح، دار العلم للملايين، بيروت، ط٢٠، ١٩٧٧م.

(٣) ينظر: النكت في إعجاز القرآن (ص ٩٨)، والبرهان في علوم القرآن (١/ ٧٢، ٧٣).

وثانيها: أن تكون الفقرة الثانية أطول من الأولى، ومثاله قوله - تعالى -: ﴿ بَلْ كَذَّبُواْ بِٱلسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ۝ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانِۭ بَعِيدٍ سَمِعُواْ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ۝ وَإِذَآ أُلْقُواْ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْاْ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴾ [الفرقان: ١١-١٣]، فالثانية كما هو واضح أطول من الأولى.

وثالثها: عكس هذا، وهو أن تكون الثانية أقصر من الأولى، وهو معيب عند جماهير أهل هذه الصناعة، ولا يكاد يوجد من هذا الضرب شيء في القرآن، وإنما أكثر وروده على الوجهين الآخرين»[(١)].

إن التشاكل الواقع بين حروف أواخر بعض الآي يمد التعبير بنبرة صوتية متميزة، تزيد من تأثير القرآن الكريم في النفوس، بجانب وظيفتها المعنوية التي تساعد على تلاوته وترتيله تجويداً يتناسب مع الموقف تجاه المشاعر التي تصاحبه، لهذا نرى القرآن الكريم يتنقل من فاصلة إلى أخرى تبعاً للموقف[(٢)].

وبالإضافة إلى التناسب الذي يضفيه التعبير في الفواصل، فإن تحقيق التشاكل أو التقارب في الفواصل يقتضي أموراً هي:

الأول: زيادة حرفٍ على الكلمة كما في قوله تعالى: ﴿ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا ﴾ [الأحزاب: ٦٦]. فقد ألحقت الألف بـ﴿ ٱلرَّسُولَا ﴾.

الثاني: حذف همزة أو حرف اطراداً. كما في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴾ [الفجر: ٤].

---

(١) كتاب الطراز (ص ٥٦٣).

(٢) ينظر: أسلوب الدعوة القرآنية بلاغةً ومنهاجاً (ص ٣٣٣).

الثالث: الجمع بين المجرورات. كما في قوله - تعالى -: ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا﴾ [الإسراء: ٦٩].

الرابع: تأخير ما أصله أن يقدم كقوله - تعالى -: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [البقرة: ٣]؛ حيث أخَّر الفعل عند المفعول فيها وقدمه فيما قبلها قوله - تعالى -: ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [البقرة: ٣].

الخامس: إفراد ما أصله أن يجمع كقوله - تعالى -: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ﴾ [القمر: ٥٤].

قال الفراء: الأصل (الأنهار)، وإنما أفرد لأنه رأس آية فيقابل بالتوحيد رؤوس الآي.

السادس: جمع ما أصله أن يفرد، كما في قوله - تعالى -: ﴿لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ﴾ [إبراهيم: ٣١].

السابع: تثنية ما أصله أن يفرد، كقوله - تعالى -: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٤٥].

الثامن: تأنيث ما أصله أن يذكّر، كقوله - تعالى -: ﴿كَلَّا ۖ بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْءَاخِرَةَ ۝ كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ﴾ [المدثر: ٥٣-٥٤].

التاسع: زيادة كلمة مراعاة للفواصل، كقوله - تعالى -: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١]، وقال في العلق: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ [العلق: ١]، فزاد في الأولى ﴿ٱلْأَعْلَى﴾، وزاد في الثانية: ﴿خَلَقَ﴾ مراعاة للفواصل في السورتين.

العاشر: صرف ما أصله ألا ينصرف، كقوله - تعالى -: ﴿كَانَتْ قَوَارِيرَاْ ۝ قَوَارِيرَاْ﴾ [الإنسان: ١٥-١٦].

الحادي عشر: إمالة ما أصله ألاّ يمال، كإمالة ألف: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ [الضحى: ١-٢].

الثاني عشر: العدول عن صيغة المضي للاستقبال مثال قوله - تعالى -: ﴿فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة: ٨٧]، حيث لم يقل: (وفريقاً قتلتم)، كما سوى بينهما في سورة الأحزاب فقال: ﴿فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾ [الأحزاب: ٢٦]، لأنها رأس آية[1].

خلاصة القول في تعريف الفاصلة:

أنها الكلمة التي تختم بها الآية من القرآن «وأن من صفاتها أن تكون مستقرة في قرارها، مطمئنة في موضعها، غير نافرةٍ ولا قلقة، يتعلق معناها بمعنى الآية كلها تعلقاً تاماً، بحيث لو طرحت لاختل المعنى واضطرب الفهم، فهي تؤدي في مكانها جزءاً من معنى الآية، ينقص ويختل بنقصانها، وقد يشتد تمكن الفاصلة في مكانها حتى لتوحي الآيات الكريمة بها قبل نطقها، كما في قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٠]، فلما كان المقام هو مقام تشريع وتحذير يستدعي عزة المحذر، وحكمة المشرع»[2]، كان في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ فاصلة مناسبة لمعنى الآية المباركة.

---

(١) ينظر: البرهان في علوم القرآن (١/ ٦١- ٦٧).

(٢) من بلاغة القرآن (ص ٧٥-٧٧) بتصرف د. أحمد أحمد بدوي.

جهود سيد قطب في باب الفواصل:

١- التوسع في تطبيق إيقاعات الفواصل الحسية العنيفة والغامضة والرخية.

٢- إبراز ظاهرة التناسق، لا سيما تناسق الجرس الصوتي والنفسي والفكري من خلال الظلال للفظة الفاصلة وحروفها وقرينتها المتنوعة الطول والأبنية، ومن خلال ظاهرة التكرار.

٣- الاهتمام بجمالية مواضع كل مقطع أو مشهد على حدة، ثم عقد المقارنات القريبة والبعيدة[1].

ومن الشواهد القرآنية المتحدة الفاصلة، والتي تدل على أثر جمالها وبلاغتها في إظهار المعنى، قوله - تعالى -: ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ۝١٦ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾ [آل عمران: ١٦-١٧].

الملاحظ على فاصلتي الآيتين تناسبهما مع المعنى الذي اختتمتا به، إذ أن الدعاء مخ العبادة، وهو الصلة الحميمة بين العبد وربه، والملاحظ على الآية الأولى، أن دعاء هؤلاء المؤمنين شفاعة إلى الله ﷻ أن يغفر ذنوبهم، وأن يقيهم ما يؤرقهم وهو العذاب، ومجيء التعبير بلفظ ﴿ٱلنَّارِ﴾ دلالة على إطلاق الخوف من عذاب أي أنواع النار التي وعد الله - تعالى - بها العاصين، مما يدل على شدة الخوف.

ومما يناسب هذه النفوس القلقة على مصيرها، وحالها بين الرجاء والخوف، أنها التجأت إلى الدعاء وقت الأسحار قبيل الفجر، وهو الوقت الذي تصفو فيه النفوس، وتتجلى الخواطر جياشة تطلب المغفرة بصدق.

---

(١) ينظر: الفاصلة في القرآن (ص ٦٨)، لمحمد الحسناوي.

فهذا ناسب أن تختم الآية بوصفهم بالمستغفرين في وقت السحر.

ولقد جاء التناسب بين فاصلتي الآيتين من حيث التزام حرف المد (الألف)، أراد به الترنم بمعاني الفاصلة، ثم التزام حرف الراء الذي أضفى تكراره[1] بين الفاصلتين بتكرار أصول الكلمتين، مما أوحى بتكثير المعاني **(النار، والأسحار)**، فالإيحاء بتكرار الراء في لفظ (النار)تكثير منها إظهاراً لشدة خوف المؤمنين من عذابها، وأما تكرار حرف الراء في لفظ **(الأسحار)** تعظيماً لشأن الاستغفار وقت السحر.

ومن الشواهد القرآنية في إثبات صفات المؤمنين ما جاء متسق الفواصل في قوله - تعالى -: ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا ۗ إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾ إِذْ هَمَّت طَّائِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا ۗ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰ ۚ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ ۗ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [آل عمران: ١٢٠-١٢٦].

لقد سبق شرح هذه الآيات، وبيان أسرارها البلاغية[2]، وأقتصر هنا على بيان أسرار فواصلها البلاغية، وذلك في قوله - تعالى -: (﴿مُحِيطٌ﴾، ﴿عَلِيمٌ﴾، ﴿الْمُؤْمِنُونَ﴾، ﴿تَشْكُرُونَ﴾، ﴿مُنزَلِينَ﴾، ﴿مُسَوِّمِينَ﴾، ﴿الْحَكِيمِ﴾).

---

(١) صفة حرف الراء: مجهور مكرر، يُشعر بالوفرة والكثرة لتكرار لفظه عند النطق. ينظر: سر صناعة الإعراب (١/١٩١، ١٩٣).

(٢) ينظر ذلك في موضوع التقييد والإطلاق ص (٣٣٤).

ما يغلب على فواصل الآيات هو اتحادها في حرفي الياء والواو، قبل حرف الفاصلة، وهما من حروف اللين التي يغلب عليها جرس حرفي المدّ الساكنة، ثم حرف الفاصلة المتحرك. ثم تراوح الفاصلة بين الميم والنون، وهما من حروف الذلاقة التي يسهل النطق بها على اللسان، مما أضفى على ذلك الآيات جرساً صوتياً منشرحاً يبعث في النفوس الخائفة المضطربة من نتائج المعركة إحساساً بالطمأنينة والثقة، نتيجة لما تؤديه غُنَّة الصوتين من تأثير بليغ في النفوس.

ومن الأسرار البلاغية لما اختلفت فاصلته ما جاء في قوله - تعالى -: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١١١-١١٢][(١)].

تبين في الآية الأولى منهما وعد الله ﷻ لعباده المقاتلين في سبيله بالجنة، والتأكيد على الوفاء بذلك العهد، وتبعه الأمر بالاستبشار بذلك، ففيه مزيد من التأكيد بحصوله، ولقد ناسب هذه الأماني الجميلة بوصفها ﴿ٱلْفَوْزُ﴾، وبأنه ﴿ٱلْعَظِيمُ﴾. ثم الآية التالية وقد عبق نظمها بأوصاف هؤلاء المؤمنين، والتي تختلف في مضمونها عن وصف المؤمنين بالجهاد، ذلك أنه لما رغّب المجاهدين في

---

(١) سبق شرح هذا الشاهد وبيان أسراره البلاغية في موضوع الجملة الاسمية والفعلية (ص ٣١٧)، وأكتفي هنا ببيان الخصائص البلاغية للفاصلة.

القتال ويبشرهم بالجنة؛ أراد - سبحانه - بعث الطمأنينة في نفوس غيرهم من المؤمنين؛ ممن لا طاقة لهم على الجهاد، ولكنه تمكن من أداء عبادات لا يستطيعها إلا من له طبيعة المجاهد في الصبر، والاستدامة على تحمل تبعتها، ولقد ناسب هذا الفريق من المؤمنين أن يختم لهم بالبشرى كذلك حيث قال - تعالى -: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ «وفيه من كمال العناية ما فيه»[1]، وشكراً على صنيعهم، وترغيباً لغيرهم في صفاتهم.

وكما جاءت الفاصلتان مناسبتين لمضمون آيتيهما؛ فإنهما كذلك اتحدتا في حرف المد الياء[2]، الذي أعطى للآيتين جرساً متناسقاً، تأنس له النفس، وينشرح له الصدر، وكذلك فإن حرف المد جاء امتداداً لصوت الميم والنون فاصلتي الآيتين، بما لهما من صفات الذلاقة، وخِفّت المخرج، ثم تميزهما بحسن الانشراح، وكثرة الامتزاج بغيرهما من الحروف.

فهذا التقارب بين الفاصلتين يشير إلى تقارب فضل المؤمنين من فضل المجاهدين، الذين ذكرت أوصافهم في الآية. أما الاختلاف بين مخرجيهما فيدل على الاختلاف بين درجات المجاهدين عن غيرهم من العابدين لقوله - تعالى -: ﴿وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٥].

ومن الشواهد على الأثر الجمالي للفاصلة وهي مستقرة في مكانها تؤدي معناها المنوط بها أحسن أداء ما جاء في قوله - تعالى -: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ

---

(١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٥/٥٦١).

(٢) المسمى بحرف اللين، وسميت كذلك؛ لأن مد الصوت لا يكون إلا في أحد حروفها المعروفة، ثم وصفها باللين لمخرجها اللين في النطق من غير كلفة على اللسان، بخلاف ما عليه مخرج سائر الحروف.

إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۝ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [السجدة: ١٥-١٦].

في الآيتين الكريمتين يظهر شاهد متميز بعدة صفات روحانية، فيها الكثير من مجاهدة النفس. كما أن في الآيات التالية لها من إكرام رب العالمين لهم ما يدل على رفيع مقامهم.

وترتبط الآيتان بما قبلهما قوله - تعالى -: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ۝ فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ ۖ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٣-١٤].

بعد أن ذكر - سبحانه - أنه قسم الناس إلى قسمين، وبيّن أوصاف الكفار ومصيرهم، ناسب أن يبين في آيتي الشاهد صفات أهل الإيمان، وأن يبين منازلهم[(١)].

من بلاغة الفاصلة في قوله - تعالى -: ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ فاصلة متفقة مع التي بعدها، منسجمة في معناها مع سياق الآية الكريمة، فعندما سلبوا صفة الاستكبار ثبتت لهم صفة التواضع، وقد ناسب التواضع صفات هؤلاء المؤمنين في هاتين الآيتين الكريمتين، وهو بالتالي مغاير لصفات الكافرين في الآية السابقة: ﴿فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾ فالنسيان هو الإهمال والإضاعة الناتجان عن التكبر.

---

(١) ينظر: نظم الدرر (١٥/ ٢٥٣، ٢٥٤).

كما أن ﴿يُنفِقُونَ﴾ فاصلة مناسبة لوصف أحوال المؤمنين الواردة في الآية السابقة لما يلي:

(أ) لأن الإنفاق والبذل صفة لا تنفك عن الخائف من عذاب ربه، وتلازم الطامع في ثوابه.

(ب) كما أن الإنفاق مجاهدة للنفس فيما تحب من عرض الدنيا، كما هو الحال في مجاهدتها النزوع إلى راحة النوم.

ولا يخفى الأثر الصوتي لفاصلتي الآيتين، ويتضح ذلك بعد أن نُزِّلت الفاصلتان من آيتيهما أكمل المنازل فتمتا المعاني، وأدت أوصاف المؤمنين بإعجازٍ باهرٍ في قوله تعالى -: (﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾، ﴿يُنفِقُونَ﴾) حيث امتداد الصوت بحرف (الواو)، وقد أخذ بمجامع أصوات حروف الآية الكريمة فاختتمها بغنة (النون) للترنم بصفة لتوضع التي جاءت بأبلغ صياغة، حيث نفت الكبر عنهم مطلقاً؛ لأنه لا يليق بالمؤمنين، وهم يعلمون أن الكبرياء من صفات المولى - تبارك وتعالى -، ثم الصفة الأخرى، وهي النفقة مطلقة غير مقيدة بمناسبة زكاةٍ أو صدقةٍ أو جهادٍ، لهذا ناسب امتداد الصوت مترنماً بما حوته الصفتان من المعاني، وقد ساعد ذلك غُنَّةُ النون، التي أثارت منابع الإجلال والإعجاب بتلك الصفات.

من أسرا البلاغة في الآيتين:

في قوله - تعالى -: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾:

١- جاءت بأسلوب قصر فيه صفة الإيمان عليهم، وفي هذا القصر تعريض بغيرهم من المكذبين بلقاء الله ﷻ الذين توعدهم - سبحانه وتعالى - في

الآيات السابقة، وقرعهم على تكذيبهم بما جاء به القرآن الكريم، ومع ذلك كانت النتيجة كفرهم بالله العظيم، فاستحقوا على ذلك شتى أنواع العذاب.

٢- التعبير بالفعل المضارع ﴿يُؤْمِنُ﴾، وبتآزره مع أداة القصر تحقق المعنى المراد، فالمجتمع المكي الذي نزلت فيه الآيتان الكريمتان خليط من المؤمنين وغيرهم، فدل هذا التعبير على أن المقصود بهم المؤمنون المتصفون بحالة كمال الإيمان دون غيرهم. كما يدل على تجدد الإيمان، فكلما سمعوا بنزول آية على رسول الله ﷺ لا يكذبون ولا يتشككون، بل يؤمنون بها مذعنين، أي أنهم في حالة إيمان دائم ﴿بِـَٔايَـٰتِنَا﴾ أي بالقرآن الكريم، فهم إن ﴿ذُكِّرُوا بِهَا﴾ أسرعوا فبادروا بالاستجابة والطاعة. يقال: «ذكرت الشئ وتذكرته، واجعله مني على ذكر، أي لا أنساه»[1]. والتذكير يكون بما هو معلوم أصلاً، ولقد «عبر عن إبلاغهم آيات القرأن وتلاوتها على أسماعهم بالتذكير المقتضي أن ما تتضمنه الآيات حقائق مقررة عندهم، لا يُفَادون بها فائدة لم تكن حاصلة في نفوسهم، ولكنها تكسبهم تذكيراً»[2].

٣- في استعمال الفعل ﴿ذُكِّرُوا﴾ على صيغة (فعّل) ما يفيد التكثير، أي إعادة الذكرى مرة بعد أخرى.

٤- وفي بناء الفعل ﴿ذُكِّرُوا﴾ لما لم يسم فاعله بيان بأنهم يستجيبون أياً كان المذكر.

---

(١) أساس البلاغة (ص ٢٠٥).

(٢) تفسير التحرير والتنوير (١٠/ ٢١/ ٢٢٧).

٥- التعبير بالموصول وصلته دليل على استحكام الإيمان في قلوبهم، كما أن فيها وصفاً لحالهم عند سماعهم الذكرى، وأما رد فعلهم للتذكير، فإن جواب الشرط حمل بين جوانبه وصفاً لنفس أذاب الإيمان نوازعها البشرية، فهم يخرون للأذقان ساجدين حال التذكير.

والخر: «هو اضطراب وسقوط مع صوت»[١]، وفي استعمال لفظ (خرَّ) «تنبيه أن ذلك الخرير كان تسبيحاً بحمد الله لا بشيء آخر»[٢]، لأن التسبيح غنما يكون في السجود، كما هو المتعارفُ عليه.

ثم التعبير بالسجود وهو ملاصقة الجبهة للأرض تعبيراً عن مظاهر الخضوع، وبياناً بأن خرورهم لم يكن مجرد سقوط؛ بل هو الاستسلام ممزوجاً بأقصى صفات الذل لله - تعالى -.

وفي قوله - تعالى -: ﴿وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ عدة وقفات:

أولاً: وصفهم بالتسبيح: وهو تنزيه الله ﷻ عن كل شائبة نقص، وناسب ذلك بيان صيغة التسبيح، وأنه بالحمد لله - تعالى -.

ثانياً: (الباء) في قوله: ﴿بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾: هي لملابسة الحمد في كل شيء، «والجار والمجرور في موضع الحال والتعرض لعنوان الربوبية بطريق **الالتفات** مع الإضافة إلى ضميرهم للإشعار بعلة التسبيح والتحميد بأنهم يفعلونهما بملاحظة ربوبيته - تعالى - لهم»[٣].

---

(١) معجم مقاييس اللغة (٢/ ١٤٩)، (باب الخاء والراء، وما يثلثهما).

(٢) المفردات (ص ١٤٤).

(٣) روح المعاني (١١/ ٢١/ ١٢٨).

وبوصف حالهم هذه دليل على تفاعلهم النفسي مع الموقف، مما ينبئ عن قوة في العقيدة ورقة في المشاعر.

كما خصهم - سبحانه وتعالى - بالتواضع والخضوع له، فقال: ﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ وإنما نفى عنهم الكبر والتيه؛ لأن «الكبر هو إظهار عظم الشأن، وهو في صفات الله - تعالى - مدح؛ لأن شأنه عظيم، وفي صفاتنا ذم، لأن شأننا صغير، وهو أهل للعظمة، ولسنا لها أهل»[1].

ومن البلاغة في قوله - تعالى -: ﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾:

أولاً: في تقديم المسند إليه ﴿هُمْ﴾: إفادة أن المؤمنين لا يستكبرون، وأما غيرهم فمستكبر عن السجود، والتسبيح، والطاعة.

ثانياً: تعارف البلاغيون على أن مجيء الخبر فعلاً مضارعاً دليل على تجدد الفعل حالاً بعد حال، فهم لا يتكبرون، ولا يترفعون عن السجود في كل الأحوال.

ثالثاً: في مجيء الخبر جملة فعلية مسبوقة بنفي، وتقديم المسند إليه ﴿هُمْ﴾ يفيد أحد أمرين:

(أ) إما تقوية الحكم وتوكيده.

(ب) وإما إفادة التخصيص.

والموقف في الآية الكريمة يحتمل التخصيص لوجود قرينة تدل على اختصاصهم بالإيمان دون غيرهم.

---

(١) الفروق اللغوية (ص ٢٠٤، ٢٠٥).

وفي مقام الإعجاب بهم أفاض - سبحانه وتعالى - في ذكر صفاتهم فقال - عز ذكره -: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾ «ولما كان المتواضع ربما نسب إلى الكسل نفى ذلك عنهم بقوله مبيناً بما تضمنته الآية السالفة من خوفهم ﴿تَتَجَافَىٰ﴾ أي ترتفع ارتفاع مبالغ في الخفاء»[١].

وفي هذه الآية الكريمة بلاغة:

* معنى ﴿تَتَجَافَىٰ﴾: من التجافي، يقال: «جفا السرج عن ظهر الدابة رفعه عنه، وجنب النائم عن الفرش بمعنى ترفع وتنحى»[٢]، أي هم منتبهون لا يعرفون النوم[٣].

ولقد وفق البقاعي في وصف هذا التجافي بأنه حالة نفسية تعتري المؤمن، فتسمو بها نفسه حتى تجفو مضجعها، وتستحب قيام الليل، دون حاجة الى أن يوقظها موقظ، فقال: «إنما النفس إذا طمعت ووطنت على النوم استرسلت فيه، وإذا أزعجت بصدق العزيمة لا تسترسل في الاستقرار، وهذا الانزعاج في النفس بصدق العزيمة هو التجافي الذي قال الله؛ لأن الهمّ بقيام الليل، وصدق العزيمة يجعل بين الجنب والمضجع سوءاً وتجافياً»[٤]. وهذا المعنى يتوافق مع أصل معنى التجافي.

* استعمال الفعل على صيغة (تتفاعل) ما يدل على مبادلة أمر بآخر، فهم أبدلوا راحة المضجع بتعب قيام الليل، وقيام الليل فيه من الأجر والثواب ما يرغب المؤمن في الحصول عليه.

* ﴿جُنُوبُهُمْ﴾: على صيغة جموع الكثرة، ليدل على كثرتهم.

---

(١) نظم الدرر (١٥/ ٢٥٤).
(٢) المفردات (ص ٩٤).
(٣) ينظر: البحر المحيط (٧/ ١٩٧).
(٤) نظم الدرر (١٥/ ٢٥٥).

وأصل الجنب «الجارحة، وجمعه جنوب، ثم يستعار في الناحية التي يليها كعادتهم في استعارة سائر الجوارح»[1].

والمعنى: أنهم حرموا أنفسهم راحة التقلب في المضجع، والدعة بعد كد النهار وجهده.

* و﴿ٱلْمَضَاجِعِ﴾: واحدها: مضجع، والضجعة: الدعة والخفض، وأصل الضاجع المائل، يقال: أراك ضاجعاً إلى فلان، أي مائلاً إليه[2].

* والمقصود بها أماكن الاتكاء للنوم. ولقد ناسب استعمال المضاجع في هذا المقام لاشتراك المعنيين في الميل، وتميز المعنى بدلالة حرف الجر. فدل في الآية الكريمة ﴿عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾ أي: بعيداً عنها.

* التعبير بالفعل مضارعاً: فيه دليل على تجدد عبادتهم مهما كانت الظروف، فهم مداومون عليها.

* جملة ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾ مستأنفة. كما أنها ليست أجنبية عن جملة ﴿خَرُّوا سُجَّدًا﴾، وفي مجيئها منفصلة عما قبلها دليل على عظيم اتصال أفعالهم، وعلى تواصلها، فهي لا تحتاج إلى حروف عطف لبيان تواصل عباداتهم، وإنما جاءت منفصلة عنها لتأكيدها.

وفي قوله تعالى: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ عدة وقفات:

الأولى: الدعاء، «هو حالة الابتهال إلى الله تعالى»[3].

---

(١) المفردات (ص ٩٩).

(٢) ينظر: أساس البلاغة (ص ٣٧١).

(٣) البحر المحيط (٧/ ١٩٧).

الثانية: جملة ﴿يَدْعُونَ﴾: حال لبيان أن تجافيهم عن المضاجع داعين خوفاً وطمعاً ولبيان هجرهم المضجع ليس لسبب إلاّ للعبادة.

الثالثة: قوله - تعالى -: ﴿خَوْفًا وَطَمَعًا﴾.

والخوف: يتعلق بالمكروه، ويترك المكروه، فناسب استعمال الخوف صفة لهم، لأنه خوف من الذنوب، وخوف من عدم قبول أعمالهم.

والطمع: هو: «نزوع النفس إلى الشيء (...)، ولما كان أكثر الطمع من أجل الهوى قيل: الطمع طبع»[1]، فطمعهم فيما عند الله أصبح كأنه طبع، فهم مداومون عليه.

و﴿خَوْفًا وَطَمَعًا﴾: مصدران في محل مفعول لأجله، كما أنهما عنوان المؤمنين في هاتين الآيتين الكريمتين، فكل أحوالهم السابقة والتالية لهاتين الصفتين هي نتائج حتمية للخوف من عذابه، والطمع في ثوابه، وبما أن الرغبة فيما عند الله - تعالى - أصبحت ملازمة لهم، وهي طبعهم فقد وصفهم بها.

وبعد أن ذكر - سبحانه وتعالى - صفاتهم وأحوالهم الروحية التي بينهم وبين خالقهم أعقبها بنوع من العبادات العلنية، وهي صفات مغايرة، لذلك احتاج الأمر إلى صيغة أخرى، فوصل بالواو ما انفصل من الجمل السابقة، فقال - عز شأنه -: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾، وفيها عدة وقفات:

الأولى: تقديم ﴿مِمَّا﴾: بيان لفضل الله ﷻ عليهم، وأنهم صاغوا اعترافهم بذلك الفضل نفقات في سبيل الله تقرباً.

---

(١) المفردات (ص ٣٠٧).

الثانية: ﴿رَزَقْنَٰهُمْ﴾، ومجيء الفعل ماضياً: دل على أن رزقهم غير متجدد، ومع هذا فإن إنفاقهم وبذلهم في سبيله دائم لا ينقطع، كمن لا يخشى فقراً ولا ينتظر عطاءً.

الثالثة: ﴿يُنفِقُونَ﴾، الإنفاق: عام يشمل الطاعات الواجبة وغيرها، كالزكاة، والصدقات، وحتى نفقة الأهل إن احتسبها الرجل فهي له صدقة لقول رسول الله ﷺ: (**إذا أنفق الرجل على أهله نفقة وهو يحتسبها فهي له صدقة**)[1]، ودل على ذلك كون الإنفاق جاء مطلقاً غير مقيد بشرط.

ومن الفواصل التي اتحدت أصواتها ما ورد في قوله - تعالى -: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[الأحزاب: ٢٢-٢٤][2].

تألبت القبائل على المؤمنين في يوم الأحزاب؛ فكان الموقف عصيباً، لم يمرَّ عليهم مثله من قبل، إلاّ أن الرسول ﷺ لم يجد منهم إلا الإيمان والرضا؛ لذلك

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب ما جاء أن الأعمال بالنية والحسبة، ولكل امرئ ما نوى، (ص ٣٤)، رقم الحديث (٥٥)، ومسلم في الصحيح، كتاب الزكاة، باب فضل النفقة والصدقة على الأقربين والزوج والولد والوالدين ولو كانوا مشركين، (ص٥٠٢)، رقم الحديث (١٠٠٢).

(٢) لقد سبق شرح الآية وبيان أسرارها البلاغية في موضوع التعبير بالجملة الاسمية والفعلية (ص ٣٢٥). وسأكتفي هنا ببيان الفاصلة وقد توحدت في كل الآيات.

جاءت الفاصلة ﴿تَسْلِيمًا﴾ معبرةً عن ذلك مناسبةً في موضعها لمعنى الآية الكريمة؛ لأن التسليم هو الانقياد والطاعة المطلقة، ومنها وصفهم في قوله - تعالى -: ﴿وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

ثم فاصلة الآية التي بعدها في قوله - تعالى -: ﴿وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ مناسبة لمعنى الصدق، فقد نفت عنهم الآية تبديل العهد، وتغيير ما أخذوه على أنفسهم من الموت في سبيل الله - تعالى -؛ لذلك جاءت الفاصلة ﴿تَبْدِيلًا﴾ مناسبة في معناها لمعنى الآية؛ حيث وصفتهم بالثبات وعدم التحول.

ثم اختتمت الآية الأخيرة بقوله - تعالى -: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾، إذ التعبير بلفظ الجلالة ﴿رَّحِيمًا﴾ مناسب في معناه لمعنى الآية، فالله - سبحانه وتعالى -، قد فتح باب التوبة ورغّب فيها، عندما أظهر قدرته في مجازاة الصادقين على صدقهم، ومحاسبة المنافقين على نقضهم عهد الإيمان، وأن من مظاهر قدرته كذلك أن يقبل توبة التائبين؛ فكان غفوراً للذنوب من جهة، ورحيماً لقبوله عودة التائبين من جهة أخرى.

فهذا وجه التناسب بين فواصل الآيات وبين معانيها، ثم توالي حرف المد (الألف) مما ساعد على تكثيف الجرس؛ الذي يعطي الآيات تميزاً صوتياً، وترنماً نديّاً بصفات هؤلاء المؤمنين. ثم خَتْمها بوصفه - سبحانه - بالرحمة، زيادة في الأنس بها، وتعظيماً لشأنها.

ومن شواهد الفاصلة في آيات صفات المؤمنين قوله - تعالى -: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا

يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ يَـٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَـٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ۚ قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَـٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ﴾ [غافر: ٢٨-٣٠][١].

سأكتفي هنا ببيان الفاصلة، وأثرها في معنى الآيات؛ فقول الرجل المؤمن وهو يناصح قومه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾؛ فيه تعريض بقومه الذين لم يؤمنوا بإله موسى عليه السلام، وختام الآية الكريمة بوصف ﴿كَذَّابٌ﴾ مناسب لما عليه دعوة فرعون التي قوامها الكذب والخداع؛ فجاءت الفاصلة مناسبة للتعريض بهم من جهة، ومن جهة أخرى أراد بها وصف فرعون خاصة بهذا الوصف إبطالاً لدعوته؛ وكذلك لبيان براءته - أي الرجل - مما يعتقدون؛ لأن الكذب شناعةٌ كبرى، يتبرأ منها كل مؤمن صادق في إيمانه.

ونلاحظ في الآية التالية لها قول فرعون: ﴿مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ لقد وصف نفسه بالرشاد في قوله: ﴿ٱلرَّشَادِ﴾ فجاءت فاصلة مناسبة لمعنى الآية؛ حيث المؤمن يذكّر قومه بما هم عليه من فضل ونعمة وملكٍ، وأن كفرهم بالمنعم عز وجل يسلبهم هذا الملك، ويجعلهم أسفل سافلين، ففي ذلك القول منتهى الحكمة، وفيه إشارة إلى ما هم عليه من ضلال تنبه له فرعون، فبادر مسرعاً إلى إبطال هذا الرأي؛ خوفاً أن يستقر في نفوس القوم، واصفاً رأيه بالرشاد وسداد الحكمة والمشورة.

---

(١) هذه الآيات الكريمة سبق شرحها وبيان أسرارها البلاغية في موضوع الكناية (ص٧١٠).

ولكن لما كان المؤمن صادقاً في إيمانه ونُصحه، فقد ذكّر قومه بيوم الأحزاب؛ فختمت الآية الأخيرة بالفاصلة ﴿ٱلْأَحْزَابِ﴾؛ لأخذ العظة والعبرة، والملاحظ على حوار المؤمن أنه التزم فيه بفاصلة الباء بعد حرف المد (الألف)، أما رد فرعون؛ فقد خالف فيه المؤمن؛ فجاء بحرف الدال بعد حرف المد (الألف) أيضاً، وكأنه بهذه المخالفة يظهر شيئاً من تماسك نفسه التي انهارت أمام هيبة دعوة موسى ﷺ، وعباراته قد تلجلجت وضعفت أمام قوة حجج المؤمن الصادقة، هذا بالإضافة إلى ما في هذه الفواصل من التناسب الصوتي الذي انبعث من جمال نظم الآيات، حيث تناسب الأصوات والمقاطع، ثم توازن الآيات، وتناسب الفواصل التي جاءت مترتبةً متواليةً بعضها مع بعض، جعل النفوس لها تأنس وتطرب، ثم في تناوب الجرس بين حرفي الباء والدال، وبما لهما من صفات الشدة[1] التي تدل على قوة تمسك كل طرفٍ برأيه، بل وتشدده في ذلك، مما أضفى على الآيات جرساً قوياً معبراً، وهذا ضروري ومناسب في مثل هذه المشادة التي أوجدها فرعون[2].

---

(١) ينظر: التناسب البياني في القرآن (ص ٣٧٥) لمعرفة صفات هذه الحروف.

(٢) ينظر في صفات حرفي الدال والباء: سر صناعة الإعراب (١/٦٠، ٦١).



الفصل السادس

الخصائص الأسلوبية

وفيه سبعة مباحث:

المبحث الأول: أثر التقابل في آيات صفات المؤمنين.

المبحث الثاني: الموازنة بين المتشابه اللفظي.

المبحث الثالث: الطول والقصر.

المبحث الرابع: الفرق بين صفات المؤمنين في الآيات المكية والمدنية.

المبحث الخامس: مناسبة الصفات لسياق السورة.

المبحث السادس: الصفات المثبتة والصفات المنفية.

المبحث السابع: الصفات الضمنية.



المبحث الأول

أثر التقابل في آيات صفات المؤمنين

في اللغة:

من قبل، «القاف، والباء، واللام أصل واحد صحيح، تدل كَلِمُهُ كُلها على مواجهة الشَّيء للشَّيء»[١]، و«التقابل مثله، وهو قُبالك، وقبالتك أي تجاهك»[٢].

وفي اصطلاح البلاغيين:

يقول أبو هلال العسكري: «إيراد الكلام ثم مقابلته بمثله في المعنى أو اللفظ على جهة الموافقة أو المخالفة»[٣].

ويعرفها ابن رشيق بقوله: «هي مواجهة اللفظ بما يستحقه في الحكم»[٤].

ولقد زاد في توضيحها أبو الحسن القرُطاجني[٥] بقوله: «وإنما تكون المقابلة في الكلام بالتوفيق بين المعاني التي يطابق بعضها بعضاً، والجمع بين المعنيين اللذين تكون بينهما نسبة تقتضي لأحدهما أن يذكر مع الآخر من جهة ما بينهما

---

(١) معجم مقاييس اللغة (٥١/٥) (باب القاف والباء، وما يثلثهما).

(٢) لسان العرب (٥٤٠/١١)، (باب اللام، فصْلُ القاف).

(٣) كتاب الصناعتين (ص ٣٤٦).

(٤) العمدة (١٥/٢).

(٥) أبو الحسن حازم بن محمد بن حسين بن حازم النحوي الأنصاري القرطاجني، صاحب القصيدة الميمية في النحو المشهورة، ونسبة القُرطاجنّي إلى قرطاجنة الأندلس، لا قرطاجنة تونس، كان إماماً بليغاً أديباً، نزل تونس، وامتدح بها المنصور صاحب إفريقية، توفي سنة ٦٨٤هـ. ينظر: شذرات الذهب (٣٨٨/٥)، ولقد ورد عن معتقده بأنه غير واضح، وأما منهجه فهو أقرب إلى العقليين من المعتزلة. ينظر: المدخل إلى دراسة بلاغة أهل السنة (ص٧٤).

من تباين أو تقارب، على صفة من الوضع تلائم بها عبارة أحد المعنيين عبارة الآخر، كما لاءم كلا المعنيين في ذلك صاحبه»[١].

وهذه التعريفات في مجموعها هي ما عبر عنها الخطيب القزويني بقوله: «وهو أن يؤتي بمعنيين متوافقين، أو معانٍ متوافقة، ثم بما يقابلها على الترتيب»[٢].

ويُستخلص مما سبق أثر التقابل في النفس، ذلك: أن وقوع التقابل في الكلام يكون بالجمع بين المعاني المتوافقة[٣]، أو المعاني المتخالفة، وهذا التوافق أو التخالف يُظْهِر المعاني، ويشير إلى الغرض المراد منها، الذي قد يكون مزيد توضيح للمعنى، ومن ثَمَّ إعطاؤه صوراً متنوعة متعددة نتيجة ذلك التوافق، أما في المعاني المتخالفة فإنه يثير الانتباه تجاه تلك الأضداد، مما يزيد في بهائها، فالضد يظهر حسنه الضد، وكذلك فإن تلك التعريفات تشير إلى أن التقابل بين المعاني يستتبعه التقابل بين الألفاظ والعبارات، وينتج عنه توازن صوتي متميز لا ينكره منصف، وأيضاً توازن في الأفكار نابع من الشعور الذي أوجده التقابل بين الطرفين.

ولقد اختلف بعض البلاغيين في الفرق بين المقابلة والمطابقة، إذ جعل بعضهم المطابقة فرعاً من المقابلة، ومنهم من جعل المقابلة نوعاً مستقلاً.

---

(١) منهاج البلغاء وسراج الأدباء (ص ٥٢)، لأبي الحسن حازم القرطاجني، تقديم وتحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط٣، سنة ١٩٨٦م.

(٢) الإيضاح: (ص ٣٠٤).

(٣) أراد بالمعاني المتوافقة ما جاء في قوله - تعالى -: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾ [الأعراف: ١٥٧] ﴿وَيُحِلُّ﴾ متوافق مع ﴿لَهُمُ﴾، وكذلك ﴿يُحَرِّمُ﴾ متوافقة مع ﴿عَلَيْهِمُ﴾، ثم قوله: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ﴾ مقابل لقوله: ﴿يُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ﴾.

والفرق بينهما من جهتين:

الأول: أن المطابقة لا تكون إلا بالجمع بين ضدين، أما المقابلة فتكون غالباً بالجمع بين ثلاثة أضداد أو أكثر.

الثاني: أن المطابقة تكون بالأضداد فقط، أما المقابلة فتكون بالأضداد وغير الأضداد[١].

وللتقابل أثره البلاغي في القرآن الكريم:

ذلك أن «تقابل الأجزاء المتساوية في الحجم والشكل من علامات الجمال وهو ماثل (...) في الطبيعة؛ في أوراق الأشجار والأزهار مثلاً، وفي أجسام الأحياء، ويظهر التقابل الجانبي بصورة كاملة في أجسام الحيوانات والإنسان، فالنصف الجانبي الأيمن منها معادل ومقابل للنصف الجانبي الأيسر، ويعد مبدأ التقابل من عوامل التوازن والجمال في الصور والأشكال الهندسية (...) والقرآن يُكْثر في نظمه من استخدام هذا المبدأ، ويجعله أداة فنية للبيان ووسيلة للتأثير في النفوس»[٢].

ولا شكّ أن أثر التفاعل ممتدة فروعه، متناولة صفات المؤمنين، مادحة لهم مؤكدة تلبسهم بها في موقع، وهي تنفي عنهم ضدها في المقابل، ومن شواهد ذلك ما جاء في صفات المنافقين والمنافقات، وما يقابلها من صفات المؤمنين والمؤمنات، بأسلوب يجعل القارئ يتبين صفات دنيئةٍ يجب على المجتمع المسلم أن يتخلص منها، لأنها وصمة لا تناسبه، وفي مقابلها صفات للمؤمنين مشرقة إشراق الشمس، تضيء حياتهم في لياليها المدلهمة.

---

(١) ينظر: العمدة (٢/١٥).

(٢) التناسب البياني في القرآن (ص ١٢٩).

وأمثلة هذا الوجه من المقابلة ما جاء في قوله - تعالى -: ﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [التوبة: ٦٧].

الآية الكريمة وصف للمنافقين وبيان الخاصة أعمالهم فضحاً لهم، فهم على أمرٍ واحدٍ، ودينٍ واحد، يجمعهم النفاق والأعمال الخبيثة، لذلك وصفوا بأن بعضهم من بعض، فهم مشتركون في ذات الصفات، وهذا مَثَل قولك لإنسان: أنا منك وأنت مني، فأمرنا واحد، وفي هذا إشارة إلى وجوب استبعادهم وعدم ولايتهم.. ومن أوصافهم: النهي عن الدين وصالح الأعمال، والبخل بالصدقة، وعدم ذكر الله، ولبشاعة صور المنافقين، فقد حصر الفسق فيهم؛ لأنه أعظم من فسق غيرهم[1].

وترتبط بسابقتها قوله - تعالى -: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴾ [التوبة: ٦٥-٦٦].

وسبب نزول آية الشاهد متعلق أشد التعلق بمعناها، وبالآيات قبلها، ذلك أنه: كان رسول الله ﷺ يسير في غزوة تبوك وبين يديه ثلاثة نفر من المنافقين، اثنان منهم يستهزئون بالقرآن وبالرسول، والثالث يضحك، قيل: كانوا يقولون إنّ محمداً يزعم أنه يغلب الروم ويفتح مدائنهم، ما أبعده من ذلك[2].

---

(١) ينظر: لباب التأويل في معاني التنزيل (٣/١٥٠-١٥١)، وتيسير الكريم الرحمن (١/٧٠٨، ٧٠٩).

(٢) ينظر: أسباب النزول (ص ٢٠٥)، ولباب التأويل في معاني التنزيل (٣/١٥٠).

وفي قوله - تعالى -: ﴿أَبِٱللَّهِ﴾ الهمزة للتوبيخ الإنكاري، المراد منه تصوير بشاعة الإقدام على الاستهزاء بالله وبرسوله ﷺ وبفرائضه وأحكامه، إذ إن الاستهزاء بأيٍ منها يوقع صاحبه في دائرة النفاق، ثم بعد أن بين - سبحانه - طائفة من أقوالهم، وهي غاية في الفساد والضلال، اقتضى ذلك بيان أخلاقهم، وأن يسأل عن أحوال المتخلفين إن هم خرجوا للقتال، فوصفهم بخلقٍ لازمٍ لهم وهو دليل عليهم، إذ قال - تعالى -: ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ...﴾ الآية[1]، وأما الآية الأخرى المقابلة لها فهي قوله - تعالى -: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٧١].

أراد بذلك وصف المؤمنين ذكورهم وإناثهم، وأنهم في المحبة واجتماع الكلمة والعون والنصرة سواء، كل منهم موالٍ للآخر، وهذه الصفة هي عنوانهم الدال عليهم. ثم ذكر بعد ذلك أوصافهم: بأنهم يأمرون بالإيمان بالله ﷻ وبطاعته، وبفعل الخيرات[2].

وترتبط بسابقتها قوله - تعالى -: ﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ وَأَصْحَٰبِ مَدْيَنَ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتِ ۚ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [التوبة: ٧٠]، هذه الآية الكريمة بينت الطوائف الستة خاصة؛ لأن آثارهم باقية في شمال الجزيرة العربية (بلاد الشام والعراق)، ومنها ما هو باليمن، وتلك المناطق قريبة من أرض العرب؛

---

(١) ينظر: نظم الدرر (٨/٥١٩/٥٢٠).

(٢) ينظر: معالم التنزيل (٣/٨٠، ٨١)، وتيسير الكريم الرحمن (١/٧١٠، ٧١١).

ومن هؤلاء المنافقين الذين كفروا بالله - تعالى - بعد إيمانهم، وهذا أسلوب تحذير للمنافقين من أن يصيبهم مثل ما أصاب أولئك[1]، وعموم الآية استكمال لصفات المنافقين، وما استحقوه من العقوبة تحذيراً، ذلك ناسبه أن يبين صفات المؤمنين بقوله: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ﴾.

المقابلة بين صفات المؤمنين والمنافقين:

وذلك أنه لما بيَّن - سبحانه - صفات المنافقين وما توعدهم به استتبعه التهديد بإهلاكهم، عطف عليه بيان صفات المؤمنين على وجه المقابلة بينهما.

ونلحظ أثر المقابلة بين الطرفين: تتجسد في المعاني الناتجة عن المقابلة، والتي منها الترغيب في التوبة إلى الله - تعالى - بعد الخوض في حديث النفاق، والحث على الإقبال على ذلك، ومن ثمَّ التوجه نحو صفات المؤمنين، وترك صفات النفاق التي استعرضتها الآيات السابقة، ثم ذكر مقابلها في الآيات الأخرى.

ولقد أُجريت المقابلة عن عدة جوانب يستكمل أحدها الآخر:

* الوصف بالبعضية في آية المنافقين؛ فدل على نفي إيمانهم، وتكذيبهم بالذي حلفوا لأجله في قوله - تعالى -: ﴿وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ﴾ [التوبة: ٥٦][2]، بينما جاء وصف المؤمنين بالولاية - التي هي من أخص صفاتهم، فبعضهم لبعض - في مقابلة وصفه للمنافقين - بعضهم من بعض -، لذلك عقَّبَ بقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ﴾؛ «لأن السين تفيد وجود الرحمة، وتأكيد حصولها»[3].

---

(١) ينظر: نظم الدرر (٥٤٣/٨).

(٢) ينظر: الكشاف (٢٧٨/٢).

(٣) الكشاف (٢٨٠/٢).

وذلك «لما كان نفاق الاتباع وكفرهم إنما حصل بتقليد المتبوعين، وهم الرؤساء والأكابر، وحصل بمقتضى الطبيعة أيضاً، قال فيهم: بعضهم من بعض. ولما كانت الموافقة الحاصلة بين المؤمنين بتسديد الله وتوفيقه وهدايته لا بمقتضى الطبيعة وهوى النفس، وصفهم بأن بعضهم أولياء بعض، فظهر الفرق بين الفريقين، وظهرت الفائدة»[1].

لذلك جاء التعبير بحرف الجر ﴿مِّنۢ﴾ الذي دَلّ على أن قلوبهم: «متشابهة في النفاق، والبعد عن الإيمان كأبعاض الشيء الواحد. وقيل: إنه تكذيب لهم في حلفهم بالله إنهم لمنكم، وتقرير لقولهم: وما هم منكم، وما بعده كالدليل عليه، فإنه يدل على مضادة حالهم لحال المؤمنين»[2].

ولقد تبع هذين الوصفين - البعضية والولاية من بعض - نتائج مختلفة، تكونت منها صفات الفريقين؛ ففي جانب المؤمنين نتج عن ولاية بعضهم لبعض أن أصبحوا يداً واحدةً متعاضدةً متآزرة، حتى كأنهم جسد واحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر، وما ذلك إلا لاتحاد قلوبهم على الإيمان؛ مما جعل أهدافهم متحدة، يأمرون كلهم بغرضٍ واحدٍ، وهو كل ما أمر به الشرع وأجازه لهم، ﴿وَيَنْهَوْنَ﴾ عن المنكر من الأقوال والأفعال دون محاباة، وهذه الصفات هي دليل قطعي على صحة الإيمان[3].

---

(١) لباب التأويل في معاني التنزيل (١٥٤/٣)، وينظر: نظم الدرر (٥٤٣/٨).

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٤١١/١)، وينظر: حاشية القونوي (٢٧٤/٩).

(٣) ينظر: نظم الدرر (٥٤٣/٨، ٥٤٤).

وصفات المؤمنين هذه جاءت في مقابلة صفات المنافقين[1] ؛ الذين هم من طينةٍ واحدةٍ، ودأبهم واحد في كل زمانٍ ومكان، وإن اختلفت ظواهر أقوالهم وأفعالهم، إلا أن مرجعها إلى طينة النفاق التي أوهنها تشعب طرقها عن مواجهة الناس بحقيقة كفرها، لذلك فإنهم يأمرون بالمنكر، وينهون عن المعروف، فدلوا بهذه الصفات على كفرهم الذي هو مقابل دليل إيمان المؤمنين.

ثم أتبع ذلك من الصفات ما يدل على دماثة أخلاق المؤمنين، وحسن أعمالهم، وهو نتيجة حتمية لما هم عليه من الإيمان، تفرع عنها استحباب التواصل مع الله ﷻ، فكانوا يقيمون الصلاة على وجهها المطلوب حباً فيها، ورغبةً إلى الله - تعالى - بواسطتها.

ثم بعد إقرارهم لما للخالق، أدوا ما يكون فيه خدمة للمخلوق، قال - تعالى -: ﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ﴾ مما يدل على تخلص نفوسهم من حبِّ المال فأصبحت زاكيةً طيبةً، وهذه الصفات في مقابل صفات المنافقين: نسيان الله - تعالى - وقبض الأيدي. ثم جاء الجزاء موافياً للفريقين، رحمة الله - تعالى - للمؤمنين، لتقابلها لعنته على المنافقين[2].

ومن الشواهد على المقابلة كذلك ما جاء في قوله - تعالى -: ﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ

(١) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١/ ٤١٢)، وحاشية القونوي (٩/ ٢٨٠).

(٢) ينظر: حاشية القونوي (٩/ ٢٨٠)، وفي ظلال القرآن (٣/ ١٦٧٥، ١٦٧٦).

سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ۝ وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: ١٩-٢٢][1].

جاء تشبيه الكافر والجاهل في هذه الآية بالأعمى؛ لأنهما لا يهتديان لرشد، وأما ذوو العقول السليمة، فهم الذين ينتفعون بالمواعظ ويهتدون، ومن صفاتهم مراعاة العهد الذي عهده إليهم، وأخذوه على أنفسهم، وهو القيام بما أمر الله - تعالى - به، وأكد هذه الصفة بقوله: ﴿وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ﴾، ويدخل فيه الأيمان، والنذور، وهم كذلك الذين يصلون الرحم؛ فيبدؤون بوصل الأهل والأقارب، وهو ضد قطعهم. وهم على خوفٍ ألاّ تقبل أعمالهم؛ لعلمهم بما يجده المقصر من سوء الحساب، ومن أوصافهم الصبر، وإقامة الصلاة، ومقابلة الحسنة بالسيئة، فهؤلاء لهم الجنة جزاءً موفوراً[2].

وترتبط بما قبلها قوله - تعالى -: ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ [الرعد: ١٨].

حيث بيّن فيها جزاء من أجاب دعوة الله - تعالى -، وجزاء من أعرض عنها، والجزاءان لا يستويان؛ لأن أصحابها غير متساوين في الانتفاع والاهتداء بآيات الله ﷻ وبدلائل قدرته، ثم ناسب ذلك تعيين المنتفعين وذكر أوصافهم، وهم ذوو العقول النيرة القابلة للتذكر، فقال - عز من قائل -: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ الآيات[3].

---

(١) سبق دراسة هذه أسرار الآيات البلاغية في موضوع المفردات.

(٢) ينظر: جامع البيان (٤/٤١٨-٤٢٠)، وتيسير الكريم الرحمن (١/٨٧٦).

(٣) ينظر: نظم الدرر (١٠/٣٢٧).

ولمّا ذكر ما للناجين من النعيم، ذكر مآل الهالكين، وبيّن أوصافهم، والتي هي في مقابل أوصاف المؤمنين فقال - تعالى -: ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ...﴾ الآيات. وهذه الآيات هي في مقابل قوله - تعالى -: ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٥].

وهذه ترتبط بسابقتيها في قوله - تعالى -: ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٣-٢٤]، ذلك أنه لما ذكر ما للناجين من النعيم، ذكر مآل الهالكين، وبيّن أوصافهم، والتي هي في مقابل أوصاف المؤمنين فقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ﴾ الآية.

أثر التقابل بين صفات المؤمنين والكافرين:

لما ذكر - سبحانه - أحوال السعداء، وبينها في ثمان خلال[1] تشير إلى أبواب الجنان، وقيل: أبواب القصور[2]، قابلها بأحوال الأشقياء، وذلك أن نقض العهد ضد الوفاء به، ثم ذكر مادحاً المؤمنين بأنهم ﴿وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ﴾ توكيداً لوفائهم، وهذه الطريقة فيها إلزام بالصفة الأولى، وهي كقولك لما وجب

(١) ١. يوفون بالعهد، ولا ينقضون الميثاق. ٢. الذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل. ٣. ويخشون ربهم. ٤. يخافون سوء الحساب. ٥. والذين صبروا. ٦. وأقاموا الصلاة. ٧. وأنفقوا في السر والعلن. ٨. ويدرؤون بالحسنة السيئة.

(٢) ينظر: معالم التنزيل (٣/٣٥٢)، ولباب التأويل في معاني التنزيل (٣/٤٤٧).

وجوده أن يمتنع عدمه[١]. ثم ذكر صفة أخرى للمؤمنين، وهي صلة المؤمنين بعضهم لبعض، ولذوي رحمهم، وفي مقابلها صفة أخرى للكافرين، وهي قطيعة الرحم، ثم ذكر من صفاتهم الأخلاقية فدل على سمو أصحابها، وهي الخشية من الله ﷻ؛ فلا يفعلون من المعاصي شيئاً خوفاً وتعظيماً لما وضعه من حدود؛ لأنهم على علمٍ بسوء عاقبة من يتجاوز ذلك، ثم ذكر مقابليهم الذين يفسدون في الأرض بالكفر والمعاصي، وأخيراً المقابلة بين النهايتين، وإن كانت البداية تدل عليها، فالمؤمنون لهم عقبى الدار، وهي الجنة، والكفار لهم سوء الدار وهي النار[٢]. والملاحظ أنه قد ذكرت ثلاث من صفات المعاندين، وهي في مقابل ثمان صفاتٍ للمؤمنين، حيث ذُكِر نقضهم للعهد، وهو الإيمان بالله - تعالى - بعد أن اعترفوا وأقروا به، وقطعهم ما يجب أن يصلوه، ومع هذا فإنهم يسعون للإفساد في الأرض. فهذه الصفات لم تقابل بصفات المؤمنين المذكورة في الآية قبلها، فلم تتعرض آية الكافرين: «لنفي الخشية والخوف عنهم صريحاً، لدلالة النقض والقطع على ذلك، وأما عدم التعرض لنفي الصبر المذكور، فلأنه إنما اعتبر تحققه في ضمن الحسنات المعدودة ليقَعْن معتداً بهن، فلا وجه لنفيه عمن بيْنه وبيْن الحسنات بُعْد المشرقين، كما لا وجه لنفي الصلاة والزكاة ممن لا يحوم حول أصل الإيمان بالله - تعالى - فضلاً عن فروع الشرائع، وإن أريد بالإنفاق التطوع، فنفيه مندرج تحت قطع ما أمر الله - تعالى - بوصله، وأما درء السيئة بالحسنة، فانتفاؤه عنهم ظاهر مما سبق ولحق، فإن من يجازي

---

(١) ينظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٦/ ٣٧٠).

(٢) ينظر: لباب التأويل في معاني التنزيل (٣/ ٤٤٨).

إحسانه ﷻ بنقض العهد ومخالفة الأمر، ويباشر الفساد بَدْءاً حسبما يحكيه قوله - عز وعلا -: ﴿وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ أي بالظلم وتهييج الفتن، كيف يتصور منه مجازاة الإساءة الإحسان»[1].

وبعد ما بينه أبو السعود يُلاحظ أن صفات الكافرين المذكورة، وهي (نقض العهد، وقطع ما أمر الله بوصله، ثم الإفساد في الأرض) جاءت متضمنة لباقي صفاتهم المقابلة لصفات المؤمنين المذكورة في الآية قبلها. وبهذه الملحوظة تكون صفات الكافرين صورة متكاملة متقابلة لصفات المؤمنين، وجاء التضمين في موقعه المناسب، فأخذ من القلوب مكاناً، وجعل للعقل متسعاً للتفكير.

لماذا لم تذكر صفات الكافرين المقابلة لصفات المؤمنين جميعها؟، وأجد الإجابة فيما يلي:

(أ) إن صفاتهم التي ذكرت من البلاغة والدقة بحيث تضمنت معاني أخرى أكثر وأعمق مما لو ذكرت مباشرة.

(ب) في عدم ذكر صفات الكافرين دليل على قطع الرجاء فيهم، وخيبة الآمال في حسن فعالهم وأقوالهم، وذلك تشير إليه تلك الصفات المتضمنة، والتي منها قطعهم العهود والمواثيق، وعدم صلة الأرحام، فهي من الخسة والدناءة مما لا يسعها ذكر.

(جـ) كذلك في عدم ذكر صفاتهم يجدها العقل مندرجة في استنباط الكثير من أخلاقهم التي قد يقيدها الذكر، ويحد من شمولها.

(د) ثم النهاية الموجعة المؤلمة، لعنٌ في الدنيا بلا إمهال لمباشرة عذاب الآخرة.

---

(١) إرشاد العقل السليم (٣/٤٥٥).

المبحث الثاني

الموازنة بين المتشابه اللفظي

نزل القرآن الكريم هادياً ومبشراً ونذيراً بأسلوب عربي مبين، ومع هذا فقد انبهر أرباب الفصاحة والبلاغة من سحر بيانه، وحسن عرض معانيه، ورصف كلماته ومبانيه، مما أظهر عجزهم عن مجاراته وهم أساطين اللغة، فلم يستطيعوا الإتيان ولو بآيةٍ واحدةٍ من مثل آياته.

ومن ضروب بلاغته التي أعجزت العرب، وهم جهابذة اللغة، وصفوة البلاغيين، موضوع المتشابه اللفظي، لذلك أخذوا يعكفون على دراسة تلك الآيات الكريمة التي تشابهت ألفاظها في موضع، واختلفت في موضع آخر من حيث زيادة كلمة أو حذفها، أو التقديم والتأخير، أو التعريف والتنكير، أو الجمع والإفراد، أو إبدال حرف مكان آخر، أو كلمة مكان أخرى[1].

ووجدت نوعاً آخر من المتشابه اللفظي يمكن إضافته إلى ما سبق، وهو التشابه بين ألفاظ الآيتين في كل الألفاظ، والاختلاف في الحركات. وله مثال في البحث، سيأتي في موطنه بمشيئة الله.

والمتشابه الذي أعنى بدراسته في هذا البحث «إنما هو المتشابه اللفظي فحسب، وهو ما توارد من الآيات بنوعٍ من التبديل والتغيير في ألفاظها»[2].

ومن بديع شواهد المتشابه اللفظي: توافق صفات المؤمنين في آيات مع نظيراتها في آيات أخرى، مع اختلافٍ في بعضها، أو تقديم أو تأخير في بعضها

(١) ينظر: من بلاغة المتشابه اللفظي في القرآن الكريم (ص ١١، ١٣)، تأليف د. محمد بن علي الصامل، ط١، دار إشبيليا، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.
(٢) المرجع ذاته (ص ١٣).

الآخر، ومن ذلك ما ورد في قوله - تعالى -: ﴿ الٓمٓ ۝ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [البقرة: ١-٥].

وقوله - تبارك وتعالى -: ﴿ الٓمٓ ۝ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ۝ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ۝ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝ ﴾ [لقمان: ١-٥].

ارتباط آيات سورة (البقرة) بما قبلها:

سورة (الفاتحة) التي تضمنت الإقرار بالربوبية؛ الذي منه الالتجاء إليه - سبحانه - وطلب العصمة عن دين اليهود والنصارى، وطلب الهداية إلى الدين المستقيم.

فجاءت سورة (البقرة) مفتتحة بتعظيم القرآن الكريم، ونفي الريب عنه، وبيان أن فيه كل الهدى المسؤول عنه[1]، فلهذا ناسب تعقيب سورة (الفاتحة) بسورة (البقرة)، لأنها بيان لأوصاف هؤلاء المتقين المجملة صفاتهم في سورة (الفاتحة)[2].

وترتبط آيات سورة (لقمان) بما سبقها:

وهو سورة (البقرة)، ذلك أنه ابتدأ القرآن الكريم من بعد سورة (الفاتحة) بنفي الريب عن الكتاب، وبيّن أنه هدى للمتقين، واستدل على ذلك بما جاء في

---

(١) ينظر: تناسق الدرر في تناسب الآيات والسور (ص ٦٣).

(٢) ينظر: نظم الدرر (١/ ٧٧)، و(١٥/ ١٤٥).

السور التي بعدها، وكان قد وصفه في سورة (يونس) بالحكمة، وزاد أنه هدىً للمحسنين في سورة (لقمان)[١].

فالملاحظ أن وصف المؤمنين جاء بالمحسنين في سورة (لقمان)، وهم الذين رسخوا في الدين رسوخاً جعلهم يعبدون الله - تعالى - وكأنهم يرونه، وهو مما ورد عن أوصافهم، أنهم الذين: «لزموا التقوى فأدتهم إلى الإحسان، وهو عبادته - تعالى - على المكاشفة والمراقبة؛ فهي له أو هو لها آخر»[٢].

ومن جانب آخر: فإنه لما وصف القرآن الكريم بالحكمة، ذكر ما يناسب خاص حكمته، أنه رحمة للمحسنين في سورة (لقمان)، ولم يذكر صفة (رحمة) في سورة (البقرة) لذلك[٣].

وأرى أن وصفهم بالمحسنين، وهم الذين ترقوا إلى مراتب كمال الإيمان، يدل على أنهم آمنوا بما أُنزل على الرسول ﷺ، وأنهم يؤمنون بالكتب السابقة، بل ترقوا إلى ما هو أعظم من هذا.

ولهذا لم تُذكر الصفتان في قوله - تعالى -: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ [البقرة: ٤][٤]؛ فلأن هاتين الصفتان من صفات المتقين.

---

(١) ينظر: نظم الدرر (١٥/ ١٤٠).

(٢) المصدر ذاته (١٥/ ١٤٤).

(٣) ينظر: المصدر ذاته (١٥/ ١٤٠).

(٤) ولقد ورد أن هذه الآيات الأربع من سورة البقرة نزلت في مؤمني أهل الكتاب خاصة؛ لأنهم آمنوا حال سماعهم إخبار الله - تعالى - عن الغيب، وأقروا بما كانوا يعلمونه، ويخفونه بينهم، لذلك آمنوا بما نُزِّل عليه ﷺ، وصدقوا بالقرآن الكريم، وبما يحويه من جميع أخبار الغيب. ينظر: جامع البيان (١/ ٩٢).

وجاء وصفهم في سورة (لقمان) بقوله — تعالى -: ﴿وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾؛ وهو الركن الثالث من أركان الإسلام، وهي بعد إقامة الصلاة. إشعار بأنهم يؤدون الفرائض وعلى الوجه المطلوب، وصيغة التعبير عنها بـ﴿وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ إشارة إلى أنهم يؤتونها طواعية، ومن ذات أنفسهم. ولهذا كانت الإشادة بالمحسنين لما لهم من حسن الخصوص.

وأما ما جاء في سورة (البقرة) قوله- تعالى -: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ فإنه يدل على تمكين الله - تعالى - لهم من الانتفاع بما أعطاهم في أوجه الخير.

كما أن هناك وجهاً آخر للتشابه بين الآيات. فقد ختمت آيات سورة (البقرة) بقوله - تعالى -: ﴿وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾، وكذلك في سورة (لقمان)، إلا أنه زاد في قوله - تعالى -: ﴿وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ ضمير **الفصل** ﴿هُمْ﴾، وفي هذه الزيادة إشارة إلى خاصة هذا الكمال الذي يدل عليه وصفهم بالمحسنين.

ثم وصفهم في السورتين بقوله - تعالى - ﴿هُمْ يُوقِنُونَ﴾ «أي يؤمنون بها إيمان موقنٍ، فهو لا يفعل شيئاً ينافي الإيمان بها، ولا يغفل عنها طرفة عين، فهو في الذروة العليا من ذلك؛ فهو يعبد الله كأنه يراه، فآية البقرة بداية، وهذه نهاية.

ولما كانت هذه الخلال أمهات الأفعال الموجبة للكمال، وكانت مساوية من وجه لآية البقرة، ختمها بختامها بعد أن زمها بزمامها فقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾»[1].

---

(١) نظم الدرر (١٥/ ١٤٥).

ومن أوجه الاختلاف حركات الإعراب، وذلك بين الآيات التي اتفقت ألفاظها وعباراتها. ذلك قوله - تعالى -: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة: ٩]، وقوله ﷻ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ٢٩].

وترتبط (آية المائدة: ٩) بسابقتها قوله — تعالى -: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [سورة المائدة: ٨].

استهلت آية (المائدة: ٨) بالنداء تنشيطاً للمؤمنين للقيام بما أُمروا به من لوازم الإيمان، ومن هذه اللوازم، الشهادة بالعدل دون تفريطٍ، ويشمل ذلك القريب والبعيد، والصديق والعدو، تلبيةً لنداء الأمانة، وهي من متطلبات الدين، فالحكم بالعدل يكون بين الأعداء والمبغضين، كما هو بين الإخوة والأصدقاء، فبهذا تسقط أردية العداوات، وتمحى سويداء الأحقاد، وكمال هذه الصفة وتمامها دليل على التقوى، واختتمت الآية بالتحذير من مخالفة ذلك؛ لأن الجزاء يشمل صغائر الأمور ومحقراتها، كما يشمل كبائر الآثام وعظائم الأمور[1]. **فناسب هذا النهي والوعيد، أن يبشر بصفاتهم بحسن الوعد**، فقال - تعالى -: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ الآية.

وترتبط آية (الفتح) بما قبلها قوله - تعالى -: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ [الفتح: ٢٨].

الآية إخبار بحكمٍ عام، وهو أن رسالة محمد ﷺ هي العلم النافع، التي يهتدي بها الخلق، وبيَّن لهم طريق الخير من الشر، وهي دين العدل،

---

(١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن (١/ ٤٢٨).

والإحسان، والرحمة. لذلك علت على الخلائق وجميع الأديان بالحجة وبجهاد السيف.

ولقد ناسب هذا أن يبين اسم الرسول ﷺ المنوه باسمه قائلاً: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾[1].

من بلاغة المتشابه اللفظي بين قوله - تعالى -: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة: ٩].

وقوله - سبحانه -: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا﴾ [الفتح: ٢٩].

في هاتين الآيتين الكريمتين وقفات بلاغية.

* سرُّ الرفعِ في قوله تعالى: ﴿وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾، ثم النصب في آية الفتح: ﴿وَأَجْرًا عَظِيمًۢا﴾.

* ومن ناحيةٍ أخرى سرُّ الاختلاف بين حرفي الجر، ففي المائدة ﴿لَهُم﴾، وفي آية الفتح ﴿مِنْهُم﴾.

* ثم مجيء المفعول الثاني جملة حلَّت محلَّ المفرد في آية المائدة، وأما آية الفتح فإنَّ مفعولها مفرد.

هذه الأوجه التي اختلفت فيهما الآيتان، ولقد استقر الرأي على ما ذهب إليه الإسكافي[2]؛ حيث بين ذلك في مسائل:

---

(١) ينظر: نظم الدرر (١٨/ ٣٣٧).

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله اللغوي؛ الخطيب البغدادي المعروف بالإسكافي، توفي سنة ٤٢١هـ، من تصانيفه: شرح أبيات سيبويه)، و(شرح الحماسة الطائية)، و(غلط العين على سيبويه)، و(لطف التدبير في سياسة الملوك). ينظر: هدية العارفين (٢/ ٥٢).

المسألة الأولى: رفع ﴿مَّغْفِرَةٌ﴾ في الآية الأولى، نصبها في الآية الثانية، سرُّ ذلك مرتبط باختلاف حرفي الجر: (﴿لَهُم﴾، ﴿مِنْهُم﴾)، ذلك أنه لما قال في الأولى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم﴾ عُلم أنهم وُعدوا بما هو حق لهم، فعدل عن ذكر المفعول إلى جملة تضمنت معناها، وهذه الجملة ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾، فهي مبتدأ وخبر في محل نصب، والتقدير: وعد الله الذين آمنوا مغفرة.

وأما الآية الأخرى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾، فقد جاء بقوله: ﴿مِنْهُم﴾، وهو جار ومجرور متعلق بقوله - تعالى -: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾، ولم يكن هناك ما تُرفع به مغفرة، فتعدى إليها الفعل الذي هو: ﴿وَعَدَ﴾، وهذا هو الأصل في نصب المفعول به.

المسألة الثانية: وفي الآية الثانية من سورة (الفتح)، جاء التعبير بحرف الجر ﴿مِنْهُم﴾ التي معناها التبعيض؛ فإنها تعني أنَّ بعضهم يطاله ذلك الوعد، مع أن مستهلَّ الآية الكريمة ثناء على محمد ﷺ، وعلى الذين آمنوا معه قوله - تعالى -: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾، ومعنى ذلك الثناء أن المغفرة والأجر تطالهم جميعاً.

وفي التعبير بقوله - تعالى -: ﴿مِنْهُم﴾ سر بلاغي يرجع إلى سببين:

١- أنَّ ﴿مِنْهُم﴾ ليست للتبعيض هنا، إنما هي لبيان جنس هؤلاء الذين آمنوا وعملوا الصالحات.

٢- أن تكون للتقييد، أراد به تحذيرهم بمعنى وإن علم من هؤلاء المؤمنين الصلاح والتقوى، فسبحانه يذكرهم بما ينبغي الثبات عليه بالأمر والنهي.

المسألة الثالثة: في الآية الأولى جاء المفعول الثاني جملة حلّت محل المفرد، والآية الثانية من سورة (الفتح) مفعولها مفرد.

ولهذا **التخصيص** بلاغة: أنَّ الأولى خطاب لقوم مضمونه الحث على توخي العدل في أحكامهم، والقسط في التعامل مع الناس، كما بُيِّن ذلك في شرح الآية، وفي ذلك عموم وشمول.

أما الآية الثانية: فإنها خاصة بشأن الصحابة - رضوان الله عليهم - الذين جاء الثناء على أوصافهم في ختام سورة الفتح بأنهم الرحماء بينهم، وأنهم الأشداء على الكفار، وهم الملازمون لصلاتهم ركعاً سجداً ابتغاء لمرضاة الله ﷻ... إلى آخر الصفات الواردة في الآية. فلخصوصيتهم بهذه الصفات الكريمة خصهم - سبحانه - بالمغفرة مصرحاً بها.

ثم في الآية الأولى أخبر عن وعدهم حين قال - سبحانه -: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾، ثم أتى بخبرٍ ثانٍ فقال: ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾ على معنى إن أدوا ما عليهم من موجبات الإيمان، ولم يحبطوا أعمالهم بالسيئات، لذلك لم يعلق المغفرة بوعد فينسبه إليه[1].

---

(١) ينظر: درة التنزيل وغرة التأويل (ص ٤٧، ٤٨) بتصرف، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بالخطيب الإسكافي، برواية ابن أبي الفرج الأردستاني، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

وهناك آراء أخرى في هاتين الآيتين، لم أجد حاجة إلى الإطالة بذكرها. ينظر: ملاك التأويل (١/ ٣٧٤، ٣٧٥)، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي العاصمي الغرناطي، تحقيق: سعيد الفلاّح، دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

ومن بلاغة الآيتين استعمال لفظ ﴿وَعَدَ﴾: وبدقةٍ متناهيةٍ للتعبير عن المراد فيقال: وعدت الرجل تريد وعدته خيراً، وأوعدت الرجل تريد أوعدته شراً، وإذا ذكرت ذلك الوَعْد فيها جميعاً: واعدته، وإذا لم تذكر الموعود قلت في الخير وعدته وفي الشر أوعدته، فقال ﷻ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ فدل على الخير. ثم بيَّن ذلك الخير فقال: ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[1].

وعندما قدم قوله - تعالى -: ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾ فيعني تقدم إسقاط الحق عنهم بصيغة تدل على الثبات والاختصاص لتأمينهم من الخوف، وفي ذلك إشارة إلى أن أحداً لا يستطيع أن يقدر الله حق قدره[2].

ثم التشابه اللفظي من حيث التقديم والتأخير بين الجمل في قوله - تعالى -:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يُهَاجِرُوا۟ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ ۚ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الأنفال: ٧٢].

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟

---

(١) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١٥٦/٢)، وإعراب القرآن للنحاس (١٠/٢)، ومعجم مقاييس اللغة (١٢٥/٦)، (باب الواو والعين، وما يثلثهما)، والمفردات (ص ٥٢٧).

(٢) ينظر: نظم الدرر (٤٤/٦).

مَعَكُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمْ ۚ وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [الأنفال: ٧٤-٧٥].

وبين قوله - تعالى -: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴾ [التوبة: ٢٠].

ارتباط آيات الأنفال بأول السورة الكريمة:

من مقاصد هذه السورة الكريمة بيان أهمية اجتماع أمر المسلمين في نصرة الدين، وإعلاء كلمة الحق، وإذلال الكفر وأهله، كذلك تبرؤ العباد من الحول والقوة، وبيان أن كل أمر العبد بيد الله - تعالى -، وهذه المعاني متناسبة مع آيات الشاهد المباركة؛ ذلك أنه لما بُعث النبي ﷺ بمكة داعياً إلى الله - تعالى -، واقتضت مشيئة الله ﷻ أن يهاجر النبي ﷺ والمؤمنون إلى المدينة؛ لتتاح لهم إقامة شعائر الدين، ونشره في أصقاع المعمورة، فاختلفت مواقف المسلمين؛ لاختلاف درجاتهم الإيمانية، فمنهم من وافقه في الهجرة، وهم المهاجرون الأولون، وآخرون لم يوافقوه، وهناك من أدرك أهمية الهجرة مؤخراً، فهاجر بعد هجرته ﷺ.

جاءت هذه الآيات لتحدد كيان المجتمع الإسلامي، وهو يقوم على ركيزتين: الأولى هي الإيمان بالله ورسوله، والثانية هي الموالاة بين المهاجرين والأنصار، وترسم وتحدد علاقة هذا المجتمع بالذين آمنوا ولم يهاجروا، فهؤلاء ليس من حقهم الموالاة إلا أن يُؤمّنوا على أن رابطة الإيمان تستلزم نصرهم إن طلبوه، ومؤدى هذا أن الذين آمنوا وهاجروا بعد المهاجرين الأولين جزء من

المجتمع المسلم؛ إذ إنَّ التأخر في الإيمان والهجرة لا يحجبهم عن الانصهار في بوتقة هذا المجتمع.

ارتباط الآية بسابقتيها قوله - تعالى -: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِىٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٧٠ وَإِن يُرِيدُوا۟ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [الأنفال: ٧٠-٧١].

ذلك أن هاتين الآيتين الكريمتين فيهما بيان حكم شرعي للأسرى، وهو أن الخير الذي في قلوبهم لم يطلع عليه أحد إلاَّ الله - تعالى -، وهذا لا يسقط عنهم الفداء؛ لأن الناس يُؤَاخَذُون بظواهر أحوالهم وأفعالهم، لذلك فكل ما لا دليل عليه، فحكمه بينهم حكم العدل، ثم ختم بصفتي العلم والحكمة، فناسب ذلك أن تستهل الآيات في بيان الخير المفيد[1].

ولما كانت آيات الشاهد المباركة هي خاتمة السورة، وهي بيان لأحوال هؤلاء المؤمنين؛ وهي كذلك بيان للحكم فيهم[2]، بينت درجاتهم الإيمانية، فالكاملو: «الإيمان، منهم هم الذين حققوا إيمانهم بتحصيل مقتضاه من الهجرة والجهاد وبذل المال ونصرة الحق، ووعد لهم الموعد الكريم فقال: ﴿لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ لا تبعة له ولا منة فيه، ثم أُلْحق بهم في الأمرين من سيلحق بهم ويتسم بسمتهم»[3].

---

(١) ينظر: نظم الدرر (٨/٣٣٦).

(٢) ينظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٥/٣٨١)، ونظم الدرر (٨/٢١٥).

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١/٣٩٣).

أما ارتباط آية سورة التوبة بسابقتها قوله - تعالى -: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [التوبة: ١٩]، تتمثل في أن هذه الآية تومئ إلى ترجيح فضيلة الإيمان والجهاد على السقاية وعمارة المسجد الحرام، كما يشير إلى ذلك الاستفهام الإنكاري الذي استهلت به لفظة ﴿أَجَعَلْتُمْ﴾.

ثم صرحت آية الشاهد المباركة بأن الإيمان والهجرة والجهاد في سبيل الله بالمال والجهاد بالنفس هي أعظم الأعمال، ولم يقل - سبحانه -: أعظم درجةً من أعمال البيت الحرام، ولكن أطلق، فدل على أنهما أفضل من كل ما سواهما على الإطلاق؛ لأنه لا فضيلة ولا صفة للمؤمن أتم وأكمل من هذه الصفات[1].

وسبب نزول هذه الآية الكريمة بهذا الحكم العظيم أن: «علي بن أبي طالب، والعباس بن عبد المطلب[2]، وطلحة بن منبه[3] افتخروا، فقال طلحة:

(١) ينظر: مفاتيح الغيب (١٢/١٦/٨).

(٢) العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي، أبو الفضل، عم رسول الله ﷺ، وأمه بتيلة بنت جناب بن كلب، ولد قبل رسول الله ﷺ بسنتين، من أكابر قريش في الجاهلية والإسلام، وجد الخلفاء العباسيين، قال رسول الله ﷺ في وصفه: **(أجود قريش كفاً وأوصلها، هذا بقية آبائي)**. عم المصطفى ﷺ، شهد بيعة العقبة مع الأنصار قبل أن يسلم، وشهد بدراً مع المشركين وهو مكره، فأسر وافتدى نفسه، وشهد فتح مكة، ويقال: إنه أسلم قديماً وكتم إسلامه، وقد كان يكتب إلى النبي ﷺ الأخبار، ثم هاجر قبل الفتح بقليل. وعمي في آخر عمره، توفي سنة ٣٢ هـ. ينظر: الاستيعاب (٣/ ٩٤)، والإصابة (٢/١/٢٧١).

(٣) طلحة بن منبِّه: لم أجد من ترجم له في كتب الصحابة ولا في كتب الأنساب.

أنا صاحب البيت، وعندي مفاتحة، وقال العباس: أنا صاحب السقاية، وقال علي: لقد أسلمت قبل الناس، وجاهدت مع رسول الله ﷺ»[1].

وسبب النزول هو حادثة تاريخية تؤيد ما جاء في الآية الكريمة من إبطال مثل هذه المعتقدات.

بلاغة النظم في هذه الآيات:

تكشف النظرة الأولى أن هذه الآيات تتشابه في النظم من جانب، وتختلف من جانب آخر، والتشابه لا يحتاج إلى بيان، أما الاختلاف، فإنه بحاجة إلى إنعام النظر فيه، حتى تنجلي أسراره، ويتمثل هذا الاختلاف في الأمور الآتية:

الأمر الأول: تقديم الأموال والأنفس على قوله تعالى: ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ في سورة [الأنفال: ٧٢].

وتقديم: ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ على الأموال والأنفس في سورة [التوبة: ٢٠]؛ وإنما كان هذا؛ لأن آية الأنفال جاءت تعقيباً على ما أنكره الله - تعالى - على أصحاب النبي ﷺ لما أسروا المشركين، ولم يقتلوهم طمعاً في الفدية، قال تعالى: ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٧]، فلولا فضل الله - تعالى - على المسلمين لأخذهم بعذاب عظيم، يقول تعالى في ذلك ﴿لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٨]، أي بسبب أخذكم ذلك الفداء، ولكن الله ﷻ رحمهم، فغفر لهم كما أخبر بذلك في قوله - تعالى -: ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾

---

(١) كتاب التسهيل لعلوم التنزيل (٢/٧٢).

[الأنفال: ٦٩]، فناسب هذا الموقف أن يعقب بامتداح فئة المؤمنين التي هاجرت وجاهدت بالمال والنفس في سبيل الله، فلذلك قدم الأموال والأنفس على قوله - سبحانه -: ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ ليعلم المؤمنون حقيقة الدين الصحيح، وطريقه المبين، وأنه يجب أن يُقَدَّم ما هو الأولى والأهم بالتقديم؛ ليحوز الموصوفون صفة كمال الإيمان، فهم الذين بادروا بذلك البذل حباً في الله - تعالى - وحبٌ رسوله ﷺ.

والموقف غير ذلك في سورة براءة، فقد جاءت آية الشاهد المباركة بعد قوله - تعالى -: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ﴾ [براءة: ١٦].

ثم أتبعها بآية تبطل اعتقاد من يظن بأن عمارة المسجد الحرام، وسقاية الحاج مع الكفر، ومراعاة المكانة الاجتماعية، وفي مقام من آمن بالله - تعالى -؛ حيث يقول - سبحانه -: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ...﴾، فناسب هذا أن يكون المندوب إليه في هذه الآية بعد الإيمان بالله - تعالى - الجهاد في سبيله؛ حيث يقول: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ تنبيهاً لما أراد، ثم بعد ذلك ذكر فضيلة بذل الأموال والأنفس، حسبما اقتضى الموضع تقديمه في سورة الأنفال، وتأخيره في سورة براءة[1].

---

(٢) ينظر: درة التنزيل وغرة التأويل (ص ١٠٤)، والبرهان في متشابه القرآن (ص ٢٠٥)، لمحمود بن حمزة بن نصر الكرماني، قدم له وراجعه: أحمد عز الدين عبد الله خلف الله، دار الوفاء للطباعة والنشر، المنصورة، ط١، ١٤١١هـ - ١٩٩١م، وأسرار التكرار في القرآن (ص ٩٥)، لمحمود بن حمزة بن نصر الكرماني، دراسة وتحقيق: عبد القادر أحمد عطا، دار الاعتصام، القاهرة، بدون تاريخ طبعة.

وذهب ابن الزبير الغرناطي[1] إلى أن التقديم هنا فيه تغبيط لهم، وإعظام لفعل هؤلاء المؤمنين؛ بالإضافة إلى ما سبقت الإشارة إليه من مدحهم وتعظيم فعلهم[2].

ومن وجه آخر، فإن البقاعي يرى أنه لما كان المُتَحَدَّث عنه من قبل هو «المجاهد في سبيل الله، اقتضى المقام تقديمه على الآلة، بخلاف ما في آخر الأنفال، فإن المقام اقتضى هناك تقديم المال والنفس؛ لما تقدم من موجبه في غير آية (...) وأيضاً ففي هذا الوقت كان المال قد كثر، ومواضع الجهاد قد بعدت، فناسب الاهتمام بالسبيل، فلذا قدم»[3].

---

(١) هو: أحمد بن إبراهيم بن الزبير بن محمد بن إبراهيم بن الزبير، يكنى بأبي جعفر، ولد بجيان سنة (٦٢٧هـ)، وقيل: (٦٢٨هـ)، استقر بغرناطة، وإليها نُسب، لذلك غلب عليه لقب (الغرناطي)، وولي بها قضاء المناكح، وكذلك الخطبة والإمامة بجامع غرناطة. اشتهر بإخلاصه للعلم، وتفانيه في نصرة الحق، كان شديد التقوى، لطيف المعشر، سني العقيدة، مالكي الفقه، بل هو من أعيان هذا المذهب. أخذ عن إبراهيم بن محمد بن أبي بكر الطبري، وأبي عبد الله بن عطية القيسي وغيرهما، له مكانة علمية كبيرة، فهو متضلع في اللغة، والتفسير، والقراءات، ومحدث، فقيه، أصولي، مؤرخ، من مؤلفاته: (أرجوزة في بيان مذهب الشوذية)، و(تعليقة على كتاب سيبويه)، و(الزمان والمكان). ينظر: بغية الوعاة (١/ ٢٩١-٢٩٢)، لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت -لبنان، بدون تاريخ طبعة. البدر الطالع (ص ٥٣)، لمحمد بن علي الشوكاني، وشجرة النور الزكية في طبقات المالكية (ص ٢١٢)، لمحمد بن محمد مخلوف، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، بدون تاريخ طبعة.

(٢) ينظر: ملاك التأويل (١/ ٥٨١).

(٣) نظم الدرر (٨/ ٤١٧).

الأمر الثاني: الإطلاق في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ۝٧٤ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمۡۚ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ﴾ [الأنفال: ٧٥].

فإنه أطلق الهجرة والجهاد في سبيل الله - تعالى - ولم يقيده بالأموال أو بالأنفس؛ ليشمل المؤمنين المجاهدين الذين لديهم الأموال فيجاهدون بها، والذين لا يملكونها فلا تحزن نفس أحدهم على التقصير فيما لا تملك.

وعطف عليهم مساويهم في الفضل وهم الأنصار؛ حيث آووا إخوانهم المهاجرين ونصروهم، ولهذا استحق الفريقان الوصف بصدق الإيمان؛ لأنهم حققوا إيمانهم، فالمهاجر هو الذي هجر كل ما يحبه من أمور الدنيا، والفريق الآخر الأنصار[1].

الأمر الثالث: أنه لم يذكر في هذه الآية قوله - تعالى -: ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ كما فعل في الآيتين السابقتين؛ ذلك أنه لما جعلهم في معيَّة إخوانهم المهاجرين والمجاهدين، فقد ألحقهم بهم، وجعلهم منهم، وشهد لهم بذلك تفضلاً منه - تعالى -، وترغيباً في الإيمان[2]، ولهذا لم يذكر السبيل مرةً أخرى، فلأن هذه المعية دلت على أن عملهم الهجرة والجهاد، وإن تأخر عن السابقين، إلاّ أنه في سبيل الله - تعالى - مثلهم، كما جاءت الآيات السابقة بالحكم عليهم؛ لذلك لم يتكرر ذكر ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ اكتفاءً بما دل عليه. والله أعلم.

---

(١) ينظر: نظم الدرر (٨/٣٤٧).

(٢) ينظر: الكشاف (٢/٢٣٢)، ونظم الدرر (٨/٣٤٨).

ومن الآيات المتشابهات في ألفاظها، والتي اختلفت طلائعها، ما جاء في سورتي (النمل) و (لقمان)، وذلك من وجوه؛ فكل منهما جاء وصفاً للمؤمنين، وبذات الصفات، ولكن أوجه الاختلاف بينهما من حيث البداية والخاتمة. والمتأمل يلحظ أن ذلك التشابه والاختلاف كان لمناسبة اقتضاها سياق الآيتين. ويتبين ذلك عند دراسة قوله - تعالى -: ﴿ طسٓۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ مُّبِينٍ ۝ هُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ۝ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ﴾ [النمل: ١-٣].

وقوله - عز من قائل -: ﴿ الٓمٓ ۝ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ۝ هُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّلۡمُحۡسِنِينَ ۝ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ۝ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝ ﴾ [لقمان: ١-٥][1].

وترتبط آيات سورة (النمل) بسابقتها سورة (الشعراء) قوله - تعالى -: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْۗ وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ ﴾ [الشعراء: ٢٢٧].

اختتمت سورة (الشعراء) ببيان عظمة القرآن الكريم، وأنه من عند الله - تعالى -، وأنه منزه عن السحر، وعن الافتراءات، وعن الشعر كذلك؛ لأن كل ذلك من إيحاءات الشياطين، ثم استثنى من أولئك أهل الإيمان الصحيح، وذكر أوصافهم، وناسب هذا أن يفتتح به السورة التي تليها (النمل) مشيداً

---

(١) سبق بيان صلة آيات سورة (لقمان) في الشاهد السابق من المتشابه اللفظي. وأكتفي هنا ببيان أوجه التشابه والاختلاف بينها وبين نظيرتها آيات سورة (النمل).

بآياته الكريمة التي تنزهت عن كل ما قيل عنها، وعن كل ما وصفت به، بل هي الآيات التي تكاملت في معانيها، وفي جمعها لأصول الدين وفروعه[1].

* لذلك جاء ذكر فضل آيات القرآن الكريم في سورة (النمل)، وتُرك ذكر ذلك في سورة (لقمان)، لِمَا بَيْن كلٍ من الشاهدين وما سبقهما من تناسب.

* تشابهت أوصاف القرآن الكريم في الشاهدين بالهدى، واختلفت في أنه جاء وصفه - تعالى - بالرحمة في سورة (لقمان)، وبالبشرى في سورة (النمل): لسببين:

(أ) أنه لم يختم آيات (النمل) ببيان جزاء المؤمنين؛ لأنه سيبين أوصاف مقابليهم.

(ب) أنه بذكر (البشرى) ألمح إلى جزائهم، وأنه من الفخامة مما يبشر به.

* ومن أوجه الاختلاف بين الشاهدين، مجيء الوصف بالمؤمنين في سورة (النمل)، وفي سورة (لقمان) بالمحسنين، وذلك: لأن آية (النمل) استكمال لما جاء عن المؤمنين في آخر سورة (الشعراء) أن منهم من يقولون ما لا يفعلون، ومنهم الذين يؤمنون ويعملون الصالحات، فناسب ذلك ذكرهم بوصف المؤمنين أولاً في سورة (النمل)، ثم بيان أوصافهم التي منها قوله - تعالى -: ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ﴾ [الآية: ٤].

ومن شواهد الآيات الكريمة ما تشابهت في بعض أجزائها، واختلفت في تقديم وتأخير بعض أركانها ما جاء في قوله - تعالى -: ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ يَسۡعَىٰ﴾ [القصص: ٢٠].

(١) ينظر: نظم الدرر (١٤/ ١٢٣).

وقوله - تعالى -: ﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ﴾ [يس: ٢٠].

فالملاحظ في سورة (يس) أن الفاعل ﴿رَجُلٌ﴾ جاء متأخراً عن الجار والمجرور ﴿مِنْ أَقْصَا﴾، بينما ورد الفاعل ﴿رَجُلٌ﴾ متقدماً يلي الفعل في سورة (القصص) على مرتبته. والمعروف أن الفاعل لا يتأخر عن رتبته إلا لسببٍ من جهة اللفظ أو المعنى:

فأما تقديم ﴿رَجُلٌ﴾ في سورة (القصص)؛ فإنه لارتباط آية الشاهد بما سبقها قوله - تعالى -: ﴿فَأَصْبَحَ فِي ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ ۚ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ ۝ فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ ۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ﴾ [القصص: ١٨-١٩].

لما شاع خبر[1] تشاور آل فرعون على قتل موسى عليه السلام، مما جعل ذلك الرجل الناصح يتقدم نحو موسى عليه السلام ساعياً، لذلك قُدِّم الفاعل (رجل) على الجار والمجرور ﴿مِنْ أَقْصَا﴾؛ لأن موسى عليه السلام كان في حاجة إلى مساعدة،

---

(١) وذلك أنه بعد أن قتل موسى عليه السلام الرجل تاب عن ذلك الفعل، واستغفر، وأخذ العهد على نفسه بعدم مناصرة المجرمين، فلا يعين أحداً على معصية. ولكن موسى عليه السلام أصبح خائفاً في المدينة مذعوراً من أن يشعر به آل فرعون؛ لأن مثل هذا الفعل لا يجرؤ عليه إلا موسى عليه السلام، وبينما هو على هذه الحالة المترقبة، فإذا الذي استنصره سابقاً يعود في حالةٍ أشد ذعراً؛ طالباً المساعدة على قبطي آخر مستصرخاً، فوبخه موسى عليه السلام على فعله، وبينما القبطي والإسرائيلي في ذلك اللجاج، همَّ موسى عليه السلام بالقبطي الذي زجره عن فعل القتل، ووصفه بعدم الإصلاح الذي هو الفصل بين المتخاصمين وليس بالقتل. ينظر: تيسير الكريم الرحمن (٢/ ٢٧٢-٢٧٣).

ومؤازرة لذلك قُدِّم الفاعل ﴿رَجُلٌ﴾ ؛ إشارة إلى إحراز فضيلة السبق لنصرة داعي الحق دون النظر إلى المسافة في بعد الدار، أو كُفْر من كفروا، فلم ينتفعوا بقرب الدار[1]، وليدل بما في هذا الوصف من الدلالة على قوة النصرة.

وأما في سورة (يس)؛ فإن الجار والمجرور ﴿مِنْ أَقْصَا﴾ جاء متقدماً على الفاعل ﴿رَجُلٌ﴾، فذلك لارتباط آية الشاهد بما قبلها قوله – تعالى-: ﴿ قَالُوا۟ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا۟ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٧﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا۟ لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ قَالُوا۟ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ ۚ أَئِن ذُكِّرْتُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴾ [يس: ١٥-١٩].

ذلك أنه لمّا ذكر في الآيات الكريمة عن قصة أصحاب القرية الذين لم تؤثر فيهم الدعوة إلى الله ﷻ، ولم يعتبروا بما جاء به المرسلون، بل جعلوهم في وضع المتهمين بالشؤم والفأل السيئ على أهل القرية، ولم تنفعهم دعوة الداعين بشيء، ولما كان الأمر كله بيد الله ﷻ، فهو الذي يهدي إلى دين من كان فيه الخير والصلاح، وليس العبرة في قرب المكان؛ فهو قادر أن يهدي البعيد كما يهدي القريب؛ لهذا قدم ذكر المكان من ﴿مِنْ أَقْصَا﴾ وهو الجار والمجرور على الفاعل ﴿رَجُلٌ﴾ ؛ ليدل على أن في الدعوة إلى الله ﷻ كل الخير، ولا عبرة بقرب المكان من الداعية، أو بعده عنهم؛ لذلك عُدل بالتعبير عن القرية إلى المدينة، للدلالة على السعة، وبعد الأطراف، ولهذا

---

(١) ينظر: ملاك لتأويل (٢/٩٠٤).

فقد عُبِّر عن مقدم الرجل المؤمن ساعياً، والسعي هو مرحلة ما فوق المشي ودون العدو[1].

ومع هذا فقطْع تلك المسافة إشارة إلى شدة إيمانه، وحرصه على نصيحة قومه[2].

ولقد ورد أن تقديم الجار والمجرور على الفاعل: «لاشتمال ما قبل الآية على سوء معاملة أصحاب القرية الرسل، فكان المقام مقام أن ينتظر السامع لإلمام حديث بذكر القرية، هل فيها منبت خيرٍ أم كلها كذلك»[3].

وفي هذا التقديم (الجار والمجرور) تصوير لمشقة هذا الداعي، الذي تجشم السعي من أطراف المدينة داعياً قومه، محرِّصاً من مغبة إيذاء المرسلين، وبهذا الموقف العظيم، تتضح أهمية الدعوة إلى الله - تعالى -، وأهمية الصبر عليها.

---

(١) ويستعمل هنا الفعل للجدّ في الأمور. ينظر: المفردات (ص ٢٣٣).

(٢) ينظر: نظم الدرر (١٦/ ١٠٩).

(٣) المطول (٣٧٩)، وحاشية القونوي (١٦/ ١١١).

المبحث الثالث

الطول والقصر

طول آيات صفات المؤمنين في القرآن الكريم هو تصوير لها ببسطٍ وتفصيلٍ دقيقين للمراد من معانيها لتُلْقي في النفس انطباعات مناسبة لما يريد القرآن الكريم أن يعمِّقه من هذه الصفات، دعماً لنفس المؤمن، فيكون تأثيرها أقوى؛ لذلك يعمد إلى إطالة تلك المشاهد لتتعرض لها النفس زمناً أطول، فيكون تأثيرها أمد وأعمق، وتتعايش مع تلك الصفات مدة أكبر. فيكون التأثير أبلغ إذا تكررت تلك الآيات الطويلة التي توضح صفات المؤمن المطلوبة بأساليب وصيغ متغيرة، وكلماتٍ قوية تؤثر في نفس المتصلب المتشدد، وأخرى سلسة تنساب بين جنبات النفْس المؤمنة بسهولة، فتأخذها إلى الطريق الصحيح، وثالثة رقراقة تفيض حناناً ورقة تجاذب النفس المطمئنة أفكارها ومساءلاتها، وتقيها شر المؤثرات. كل منها تناسب نفساً، وتتوافق مع المواقف، فيكون لذلك الطول أثره في استقرار النفوس، وتجلية انطباعاتها، ومن ثمَّ أخذها بمجامع القلوب، فتقودها إلى الاستجابة لما توحي به معاني الكلمات وظلالها، ولما تقربُهُ المشاهد البيانية والبديعية، ففي ذلك مندوحة للنفس أن تسأل وتجد الإجابة، فمن ذا الذي لا تحدثه نفسه بما قرأ وسمع، ومن ذا الذي لا يَرِد في خاطره، ولو جزء مماثل لتلك الصفات، ويتمنى أن يتصف بها.

وكذلك فإن طول الآيات في القرآن الكريم يُشْعِر بتفهمٍ لنفوسِ المؤمنين، وإن كانت على خيرٍ وبخيرٍ، لكنها بحاجة إلى أن تستأنس بصفات الأبرار

المحسنين والمتقين وغيرهم، علّها تجد نفْسَها بين هؤلاء وأولئك، فتحافظ على ما وجدته فيها من خيرٍ وصلاح. وهذا الأسلوب البلاغي المنبسط بما يقتضيه المقام ليحقق غاية تستهدفها الآيات المباركة، وتتطلبها مناسبة الحال.

ومن الملاحظ أننا نجد المعنى الطويل ذاته يأتي في سورة أخرى، أو في السورة نفسها بأسلوبٍ قصيرٍ.

ولقد عُبِّر - كذلك - عن الطول والقصر بالمجمل والمفصل[1]. ولا شك أن لهذا الطول، ولذلك القِصَر أسباباً بلاغيةً، أسأل الله - تعالى - الصواب في استنباطها.

ومن الشواهد الكريمة على أسباب طول آيات صفات المؤمنين في موضع من القرآن الكريم، وقصر بعضها في موضعٍ آخر، ما جاء في قوله - تعالى -: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ [الأنفال: ٢-٤].

وهذه الآيات تتصل بما قبلها قوله - تعالى -: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [الأنفال: ١].

ذلك أنه لما كان الإيمان بالله - تعالى - مستلزماً للطاعة في كل ما أمر به ونهى عنه؛ بما دل عليه قوله - تعالى -: ﴿ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ المراد «صادقين في دعوى

---

(١) ينظر: تناسق الدرر في تناسب الآيات والسور (ص ١٠٢)، وذلك في حديثه عن قصص الأنبياء عليهم السلام في القرآن الكريم التي جاءت مجملة في موضع، ومفصلة في موضع آخر.

الإيمان، فليس كل من يدعي شيئاً يكون صادقاً في دعواه حتى يحصل البيان بالامتحان، ولذلك وصل به قوله مؤكداً غاية التأكيد؛ لأن التخلص من الأعراض الدنيوية عسر»[1].

لذلك جاء وصف هؤلاء المؤمنين في آيات، فأطال مفنداً فيها، حتى نتبين صفات المؤمنين الذين صدقوا في دعوى الإيمان.

ولقد جاء بيان صفات المؤمنين بأسلوب القَصْر، لبيان أنَّ من تحلّى بهذه الصفات الجليلة هو المؤمن حقَّ الإيمان.

بينما سيتضح لنا أنه قَصَر صفة الإيمان في موضع آخر على صفةٍ واحدةٍ فجاءت الآية لذلك قصيرة على غير ما هي عليه في سورة الأنفال؛ حيث يقول - تعالى -: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النور: ٦٢].

فنلاحظ أنه اقتصرت صفات المؤمنين على صفة الإيمان مقترنة بصفة أخرى تميز بها أولئك المؤمنون، وهي طلب الإذن من الرسول ﷺ قبل أن يذهبوا لشؤونهم؛ لأن هذا يعني وفاءهم بالسمع والطاعة في العسر واليسر.

كما أن الاستئذان خاصة من الصفات التي على المؤمن المصاحب للرسول ﷺ أن يتقلدها، لذلك تصدرت: «الجملة بأداة الحصر، وإيقاع المؤمنين في مبتدأ

---

(١) نظم الدرر (٨/٢١٩).

مُخبراً عنه بموصول أحاطت به وصلته بالرتب الثلاث شرحاً له»[1]. وذلك لأن هذه الآية الكريمة مرتبطة بما جاء في قوله - تعالى -: ﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٤٧].

فهذه الآية يُخبر فيها المولى - تبارك وتعالى - عن حال الذين يقولون الإيمان بألسنتهم، ويلتزمون بالطاعة، ثم لا يقومون بما قالوا، بل يعرضون عنه، ويتولون معرضين، وتجدهم لا يقومون بكثير من العبادات الشاقة - على بعض النفوس -، كالزكاة والجهاد، وغيرهما[2].

لذلك ناسب أن يقتصر في آية الشاهد على بيان صفة الاستئذان فقط؛ تأدباً عن: «طريق الحصر مقابلاً لسلب ﴿وَمَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ مبيناً عظيم الجناية في الذهاب عن مجلس النبي ﷺ المقتضي للجمع من غير إذن: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ أي الكاملون الذين لهم الفلاح»[3].

فجاءت آية النور ضمن الآيات القصيرة، ولم تحتوِ إلاّ صفةً واحدة لمناسبة المقام.

ومن الشواهد على طول آيات صفات المؤمنين في موضع، وقصرها في موضع آخر ما جاء في قوله - تعالى -: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَـٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَـٰعِلُونَ ۝٤ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَـٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ

---

(١) نظم الدرر (١٣/ ٣٢٢).

(٢) ينظر: تيسير الكريم الرحمن (٢/ ١٦٧).

(٣) نظم الدرر (١٣/ ٣٢١).

ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١-١١].

وترتبط بما جاء في آخر سورة (الحج): «أنه لما ختمها بقوله تعالى: ﴿وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: ٧٧]. وكان ذلك مجملاً، فصَّله في فاتحة هذه السورة، فذكر خصال الخير التي من فعلها فقد أفلح، فقال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾ [الآيات: ١-٦]»[1] نلاحظ أن وصف المؤمنين قُيد بتلك الأوصاف، وأطال فيها، فاستقطب جمعاً كبيراً منها، ترغيباً في الفلاح والفوز.

أما المؤمنون الذين ورد ذكرهم في آية (الحجرات) قوله - تعالى -: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الآية: ١٥].

فقد جاء وصفهم بالآيات القصيرة، فلم تشتمل على كثير من صفات المؤمنين، وذلك لارتباطها بما قبلها قوله - تعالى -: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات: ١٤].

---

(١) تناسق الدرر في تناسب الآيات والسور (ص ١٠٣).

ملحوظة: قد سبق شرح هذه الآيات وبيانها في موضوع (المفردات)، (ص ١٢٥) من الكتاب.

والمراد بهم أهل البادية من بني أسد[١] الذين اتصفوا بالغلظة وشدة الطبع، ولقد ألحق التاء في فعلهم ﴿قَالَتِ﴾ للدلالة على ضعف عزائمهم، وتأخرهم عن مسايرة أهل الإيمان، إذ قالوا كلمة الحق ولم يعملوا بها؛ لأنهم أسلموا بانقيادهم ظاهراً[٢]. ولا يعد الإقرار باللسان إيماناً لتجرده من الصدق ومن العمل الصالح ظاهره وباطنه، فلما ادعت الأعراب انخراطهم في سلك المؤمنين، وهم ليسوا كذلك، اقتصرت الآية التي تليها على ما يناسب - آية الشاهد - وبما يناسب التي قبلها لبيان حقيقة الإيمان. فجاء الخبر على سبيل الحصر موضحاً دلائله الظاهرة والباطنة، والتي منها الصدق الذي لا يداخله ريب ولا شك، والجهاد بالأموال والأنفس، فسماهم لهذا بالصادقين؛ دلالة على كذب غيرهم من الأعراب في دعوى الإيمان.

ومن هنا وضحت بعض جوانب وأسباب طول آيات سورة (المؤمنون) لجمعها كثير من صفاتهم، بينما جاءت آية سورة (الحجرات) قصيرة، مقتصرة على صفتين من صفات المؤمنين. وذلك لوحظ أنه لارتباطهما بما قبلهما من الآيات، حتى يتم التكامل البلاغي في القرآن الكريم، ومن كل جانبٍ فيه.

بينما نجد في سورة (النساء) أنها من الآيات الطوال؛ لأنها بيَّنتْ أوصاف المجاهدين وبسطت القول فيها؛ لأن مقام الآية الكريمة ومناسبتها تقتضي ذلك

---

(١) بنو أسد: حي من بني خزيمة من العدنانية، وهم بنو أسد بن خزيمة بن مدركة، بطن كبير متسع وذو بطون، وبلادهم مما يلي الكرخ من أرض نجد في مجاورة طيئ. ينظر: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب (ص ٤٧).

(٢) ينظر: نظم الدرر (١٨/ ٣٨٥).

قال - تعالى -: ﴿ لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَـٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَـٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَـٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَـٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَـٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ۝ دَرَجَـٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء: ٩٥-٩٦].

فلأهمية الضرب والجهاد في سبيل الله - تعالى - بينت هذه الآية فضيلته ومزاياه، حتى لا يتقاعس عنه أحد من المؤمنين، لهذا المقام فلقد جاءت الآية بعدد من صفات المؤمنين ترغيباً في الجهاد، مما أدى إلى طول الآية الكريمة عن سابقتها في (الحجرات).

ومن الآيات التي تناهى طولها، فجاءت بالكثير من صفات المؤمنين؛ ما ورد في آخر سورة (الفرقان)، ثم تلتها آخر آية في سورة (الشعراء)، وهي من الآيات القصيرة. ولكلٍ من الطول والقصر مناسبة تقتضي ذلك، فمن ذلك ارتباط كل شاهدٍ بما سبقه في السورة نفسها، أو في السورة الأخرى.

يقول - تعالى -: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا ﴾ [الفرقان: ٦٣].

لقد ورد في أوائل هذه السورة ذكر الذين تسلط عليهم الشيطان فأصبحوا حزبه؛ لذلك لم يضِفهم إلى اسم من أسمائه الجليلة، إشارة إلى هوانهم وذلهم لعبادتهم غيره - سبحانه - كما يشير إلى ذلك في قوله - تعالى -: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ۗ وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا ﴾ [الفرقان: ٥٥].

ثم ختم ذلك بقوله ﷻ: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴾ [الفرقان: ٦٢].

وفي هذه الآية بيان لأهمية الاعتبار والاستدلال على قدرة الله - تعالى - في خلق الليل والنهار، ليكون ذلك دافعاً للتذكر والتفكر في قدرة الله ﷻ، وشكره في كل الأوقات، وفي هذا إشارة إلى صفات من أخلصهم لنفسه.

ثم في إضافتهم إلى اسمه تشريفاً لهم[1]، فناسب ذلك الإطالة في ذكر صفاتهم، والتمدح بها، والثناء على أهلها، ونفي ما لا يليق عنهم، فقال - تعالى -: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ...﴾ الآيات.

أما آية سورة (الشعراء)، فقد جاءت من الآيات القصيرة، حيث اقتصر فيها على نوعٍ معينٍ من صفات المؤمنين، مما يناسب موضوع الآية التي جاءت تبين حكم قول الشعر، وتحرمه إذا كان فيما يستهجن من الأقوال والدعوة إلى سيئ الأفعال، ثم استُثني منهم المؤمنون الذين ذكر صفاتهم في قوله - تعالى -: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾ [الشعراء: ٢٢٧].

ولِما بيْن هذه الآيات من ترابطٍ وتناسبٍ، «فإن آيات سورة (الفرقان) شرح وبيان لما يجيء في آية سورة (الشعراء)، ذلك أنه: ((لما ختم (الفرقان) بقوله: ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴾ [الفرقان: ٦٣]، وقوله: ﴿ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا ﴾ [الآية: ٧٢]، ختم هذه السورة بذكر الشعراء الذين هم بخلاف ذلك، واستثنى منهم من سلك سبيل أولئك، وبيَّن ما يُمدح من الشعر، ويدخل في قوله: ﴿سَلَٰمًا﴾، وما يذم منه، ويدخل في اللغو»[2].

---

(١) ينظر: إرشاد العقل السليم (٥/ ٢٤).

(٢) تناسق الدرر في تناسب الآيات والسور (ص ١٠٧).

فهذا دليل على امتداد المعاني وتواصلها فيما بين الآيات والسور؛ فقوله: ﴿سَلَٰمًا﴾ هو القول الذي يسلمون فيه من الإثم. وقوله: ﴿بِٱللَّغۡوِ﴾ أي: الكلام القبيح وغيره[1]، فهذه صفات كلام المؤمنين الذين هم عباد الرحمن، مما قد يقع فيه بعض الشعراء.

(١) ينظر: تفسير الجلالين (ص ٤٧٨).

المبحث الرابع

الفرق بين صفات المؤمنين في الآيات المكية والمدنية

من المسلّمات التي لا حاجة إلى توضيحها بالأدلة، أن القرآن الكريم نزل منجماً؛ ولهذا أسباب، أهمها مواكبة الحوادث والمناسبات، فنتج عن ذلك آياتٍ منها ما هو مكي، ومنها ما هو مدنيٌّ.

وللتمييز بينهما جاء تقسيم الآيات حسب النزول الزماني أو المكاني، فكان التقسيم حسب الزمان هو أضبطها لتيسير دراستها.

فالمكيّ هو ما كان نزوله قبل الهجرة، والمدني ما نزل بعد الهجرة، والملاحظ أنه لا ارتباط بمكان النزول. فالذي نزل بعد الهجرة، ولو بمكة، يسمى مدنياً، وما نزل قبل الهجرة يسمى مكياً[1].

وسأتحدث - بمشيئة الله تعالى - عن الفرق بين الآيات المكية والمدنية من جانبٍ خاصٍ، وهو صفات المؤمنين، فنزول القرآن الكريم منجماً حسب الأشخاص والأحوال والمناسبات، لا شك أنه يجعل مواضيع القرآن الكريم متجددة تجدد الزمان وأحداثه، ومن هنا نتج الاختلاف بين الصفات.

---

(١) ينظر: الإتقان في علوم القرآن الكريم (١/١١، ١٢)، وينظر: المعجزة الكبرى (ص ٢٠)، لمحمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، بدون تاريخ طبعة، ومباحث في علوم القرآن (ص٦١)، للشيخ مناع القطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢٥، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، ودراسات في القرآن والحديث (ص ٥٧، ٥٨)، للدكتور يوسف خليف، مكتبة غريب، الفجالة، بدون تاريخ طبعة.

فصفاتهم رضوان الله عنهم يغلب عليها الصبر والتحمل والتضحية والرغبة إلى الله ﷻ، وكذلك هم في حاجة إلى ما فيه تثبيتهم، وبعث روح الطمأنينة والعزم على مواصلة السير في الطريق المستقيم.

وأما في المدينة، وقد استقر أمر المجتمع الإسلامي، وأصبح ذا مكانة، فإنه تغلب عليه صفات الجهاد والبذل والتسابق إلى أنواع العبادات، وبيان الأنظمة الجديدة التي تناسب دولة الإسلام.

توطئة عن المجتمع المدني قبل الإسلام:

المجتمع المدني يختلف بطبيعته عن المجتمع المكي، فهو يتألف من ثلاث طوائف مختلفة:

الأولى: الأنصار، وهم العرب الذين اعتنقوا الإسلام، والتفوا حول رسولهم محمد ﷺ يدافعون عنه، ويناصرونه بكل ما يملكون من أنفسٍ وأموالٍ وأولاد.

الثانية : وهم اليهود الذين نزلوا في المنطقة الشمالية من الجزيرة العربية التي هاجروا إليها فراراً من الاضطهاد الروماني، وهم ثلاث قبائل: بنو النضير، وبنو قريظة ، وبنو قينقاع، وهم أصحاب دين سماوي، وكتاب منزل، ولكنهم أصحاب حقدٍ ومكرٍ وخداعٍ، فأخذوا يدبرون لنبي الله ﷺ المكائد، ويؤلبون قريشاً ضده، ويسعون للتخلص منه والقضاء عليه.

الثالثة: المنافقون، وهم الطائفة التي تعلن الإسلام أمام الناس، وتضمر الكفر.

وامتاز النصارى عن اليهود برقة قلوبهم، وصفاء نفوسهم، وهم أقرب مودةً إلى المسلمين[(١)].

والقرآن الكريم في آياته المدنية يلخص هذه الطوائف، ويصف أحوال نفوسهم ويحذر المؤمنين منهم ؛ حيث يقول - سبحانه -: ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۝٨٢ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ [المائدة: ٨٢-٨٣].

ولتأسيس دولة إسلامية قوية، ومجتمع مسلم سوي متماسك، فإن الآيات المدنية تميزت بإظهار هذا الجانب، حيث قال - تعالى -: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء: ٨٣].

والآية الكريمة تأديب من الله تعالى لعباده المؤمنين في المدينة، إذا جاءهم أمر يتعلق بشؤون الدولة المسلمة، أو فيه بشرى بما يسرهم، ألاّ يبادروا بإذاعته، ولا يتعجلوا بإشاعته بين الناس حتى يتثبتوا من صحته، وبعد رده إلى الرسول ﷺ وإلي أولي الأمر فيهم، وإلى أهل الرأي والخبرة منهم، ولهم يفوض الأمر في إذاعته أو كتمه ؛ لأنهم أعلم بما فيه مصلحة المسلمين[(٢)].

---

(١) لمزيد من التفصيل ينظر: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي (١/١٠٠ وما بعدها) للدكتور حسن إبراهيم حسن، مكتبة النهضة المصرية، ط٧، ١٩٦٥م. ودراسات في القرآن والحديث (٦٢، ٦٣) د. يوسف خليف.

(٢) ينظر: جامع البيان (٢/٥١٤)، ومفاتيح الغيب (٥/١٠/١٥٨).

وفي هذا: «دليل لقاعدة أدبية، وهي أنه إذا حصل بحث في أمر من الأمور، ينبغي أن يُولّى مَنْ هو أهل لذلك، ويُجعل إلى أهله، ولا يتقدم بين أيديهم، فإنه أقرب إلى الصواب، وأحرى للسلامة من الخطأ، وفيه النهي عن العجلة والتسرع لنشر الأمور من حين سماعها»[1].

ولأهمية إذاعة الأخبار السياسية والحربية بين العامة، فإنني أورد أقوال مفسري وعلماء هذا العصر لحاجتنا الماسة لهذه الآراء الفاصلة، فقد تناويت أقوال المغرضين من منافقي هذه الأمة، ومن أعداء الإسلام صراحةً وضمناً، كل يحاول زرع الحقد والضغينة بين أبناء الأمة المسلمة كافة، وبينها وبين ولاة أمرها خاصة.

فأجد في رأي الشيخ محمد رشيد رضا[2] جامعاً لعناصر المجتمع المختلفة إذ يقول: «ويجوز أن يكون الكلام في جمهور المسلمين من غير تعيين لعموم العبرة، ومن خَبِر أحوال الناس يعلم أن الإذاعة بمثل أحوال الأمن والخوف لا تكون من دأب المنافقين خاصة؛ بل هي مما يلغط به أكثر الناس، وإنما تختلف

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (١/٣٤٨).

(٢) محمد رشيد رضا: علامة أديب محقق مصلح صحفي، من أعلام الأمة في النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري، رحل من لبنان إلى مصر، وتتلمذ على الشيخ محمد عبده، وتبنى أفكاره الإصلاحية، يتميز بمنهجه الإصلاحي السلفي، من تصانيفه: تفسير المنار، وتاريخ الأستاذ الإمام، توفي سنة ١٩٣٥م. ينظر: المعاصرون (ص ٣٣٤)، محمد كرد علي، علق عليه محمد المصري، دار صادر بيروت، ط٢، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، ومن أعلام التراث في العصر الحديث (ص ٦٠)، محمود الأرناؤوط، مكتبة دار العروبة، الكويت، ودار ابن العماد، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

النيات، فالمنافق قد يذيع ما يذيعه لأجل الضرر، وضعيف الإيمان قد يذيع ما يرى فيه الشبهة استشفاء مما في صدره من الحكة، وأما غيرهما من عامة الناس فكثيراً ما يولعون بهذه الأمور لمحض الرغبة في ابتلاء أخبارها وكشف أسرارها»[1].

والشاهد في الآية الكريمة بيان لأهمية الدين الإسلامي في بناء المجتمع والدولة؛ بل والفرد المسلم، كل ذلك في رحاب القرآن الكريم، وفي ظل أحكامه ليشمل كل المواقف وكل الأحوال، وإعطاء كل فئة من المجتمع أحقية العمل بما يجب العمل به، وألاّ يلتفت في وقتنا الحاضر إلى سياسة بعض الأمم التي تدعي التحضر، وأنّ الأفراد يشاركون في الحكم، ولهم حرية الرأي في القول، ولكن هذا منهج أفراد ابتدعوه، وإنما اقتضت حكمة الإسلام «أنه لا غضاضة في هذا على فردٍ من أفراد المسلمين، ولا خدشاً لحريته واستقلاله، ولا نيلاً من عزة نفسه، فحسبه أنه حر مستقل في خويصة نفسه، لم يكلف أن يقلد أحداً في عقيدته، ولا في عبادته، ولا غير ذلك من شؤونه الخاصة به، وليس من الحكمة (...) أن يُسْمَح له بالتصرف في شؤون الأمة ومصالحها (...) وإنما الحكمة والعدل في أن تكون الأمة في مجموعها حرة مستقلة في شؤونها كالأفراد في خاصة أنفسهم، فلا يتصرف في هذه الشؤون العامة إلا من تثق بهم من أهل الحل والعقد المعبر عنهم في كتاب الله بأولي الأمر»[2].

وهكذا نرى أن موضوع الآية المباركة دستور يضيء صفحات المؤلفات عند التأليف فيه، وهو كذلك موضوع لا تجده في السور المكية لاختلاف المناسبات والزمان والمكان، فالقرآن من عند عليم حكيم - سبحانه -.

---

(١) تفسير المنار (٥/ ٢٩٨).

(٢) المرجع ذاته (٥/ ٣٠٠).

من صور البلاغة في الآية الكريمة ما أعان على إبراز الأفكار العامة فيها، ففي قوله - تعالى -: ﴿جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ﴾ مجاز.

وما أريد بلفظ ﴿أَمۡرٞ﴾، فإما أن يكون التجوّز في (المجيء) بأن يكون المراد به (السماع) أي سماع، وله نظائر، مثل: بلغ الأمر، وانتهى إليه أمره، وأتاه الأمر: مراد به الخبر[١]، وهو حينئذ من قبيل الاستعارة التصريحية التبعية، وإما أن يكون في إسناد المجيء إلى الأمر، فيكون من قبيل المجاز العقلي من إسناد الفعل إلى المفعول، فإن الأمر يؤتى به، ولا يأتي.

المجاز في قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ رَدُّوهُ﴾. حقيقة الرد: إرجاع الشيء إلى ما كان فيه من مكانٍ أو يدٍ. واستعماله في إبلاغ الخبر مجازاً في إبلاغ أولى الناس بعلمه[٢]. فهو من قبيل الاستعارة التبعية.

وأهمية المجاز بالفعل ﴿رَدُّوهُ﴾ ترجع إلى حقيقة معنى (ردَّ الشيء)، أي إرجاعه وأداؤه إلى أهله على وجه الاستحقاق، كذلك الأمر في خواص الأخبار لا بد أن ترد الآراء إلى أهلها ذوي العلم بها لاستنباط الأحكام، وليس إذاعتها فيتداولها كل العوام.

المجاز في قوله - تعالى -:﴿يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡ﴾:

الاستنباط: هو الاستخراج، يقال: استنبط الفتية الفقيه إذا استخرج الباطل باجتهاده وفهمه[٣]. ويقال: كذلك لكل من استنبط معنىً حسناً ورأياً صائباً سديداً، وذلك من المجاز[٤].

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير (٣/٥/١٣٩).
(٢) ينظر: حاشية زاده (٢/٥٤).
(٣) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١/ ٢٢٧)، وحاشية زاده (٢/٥٤).
(٤) ينظر: أساس البلاغة (ص ٦١٥).

والاستنباط في اللغة: من نبط، كلمة تدل على استخراج شيء، واستنبطت الماء: استخرجته، وإخراج النَّبط: هو الماء الذي يخرج من البئر أول ما تحفر[1]، وعليه فاستعماله في استخراج المعاني من قبيل الاستعارة التبعية.

قال الزمخشري: «وإنباطه، واستنباطه - يعني الماء - إخراجه واستخراجه، فاستعير لما يستخرجه الرجل بفضل ذهنه من المعاني والتدابير فيما يَعْضُل، ويُهِمّ»[2].

وإن كان المراد من المستنبطين أولو الأمر ومَنْ هم من أهل العلم والرأي والمشورة[3]، فإن ﴿مِنْهُمْ﴾ تبعيضية، أي أن بعضهم مستنبط[4].

ومما يلفت الانتباه في صفات المؤمنين أنها جاءت في سياق قصص عن الأمم السالفة مع أنبيائهم، وهو أسلوب من أساليب الدعوة المباركة؛ ليثبِّت المؤمنين بما يحدِّثهم به من أنباء الرسل السابقين - عليهم الصلاة والسلام -، ومن صفات مؤمنيهم، ففيها العبرة والعظة.

توطئة عن القصص القرآني في الآيات المكية والمدنية:

القصة في القرآن الكريم أحد العناصر التي تهدف إلى تحقيق الغرض الأساس من نزول القرآن الكريم؛ وهو دعوة الناس قاطبة إلى عبادة الله - تعالى -

---

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة (٣٨١/٥)، (باب النون والباء، وما يثلثهما)، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل (٢٢٧/١)، ولسان العرب (٤١٠/٧)، (باب الطاء، فصل النون).

(٢) الكشاف: (٥٣٠/١).

(٣) ينظر: جامع البيان (٥١٤/٢).

(٤) ينظر: حاشية الكازروني (١٠٤/٢)، لأبي الفضل القرشي الصديقي الخطيب، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ طبع.

وحده. ولإنجاح هذه الدعوة كان لا بد من استهداف أغراض أخرى تؤدي إلى هذا الغرض، ومن هذه الأغراض:

١- إثبات الوحي الإلهي، والرسالة النبوية.

٢- أخذ العبرة والعظة من قدرة الله ﷻ بتوضيح آثارها للعيان، لتدبر ما حل بالأمم السابقة التي كذبت أنبياءها، ليقلع المكذبون عن تكذيبهم، ويثبت المؤمنون على إيمانهم.

٣- بيان أنَّ دين الله واحد، وأن الرسل والأنبياء - على كثرتهم - غايتهم واحدة، وأن الله ﷻ ينصر رسله، وإنْ واجهتهم المتاعب والمصاعب، وحل بهم ما حل من العذاب[1].

خصائص الأسلوب القصصي في القرآن الكريم:

للقصة في القرآن الكريم - مكيهُ، ومدنيهُ على السواء - خصائص أسلوبية متعددة، أعرضها بإيجاز في النقاط التالية:

١- الإلمام بجانب من الوقائع التاريخية دون اهتمام بالتفاصيل الجزئية التي تصرف عن التدبر والاعتبار، ومن ثم يقتصر السرد على الحوادث التي تتعلق بالغرض دون ما عداها[2].

---

(١) ينظر: من روائع القرآن (ص ١٩١ -١٩٦)، للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفارابي، دمشق، .

(٢) ينظر: سيكولوجية القصة في القرآن (ص ٨٧)، د. التهامي نقره، رسالة دكتوراه، الحلقة الثالثة - جامعة الجزائر، ١٩٧١، الشركة التونسية للتوزيع، ومن روائع القرآن (ص ١٩٥-٢٠٠).

٢- تنوع العرض، ومن ثم تتكرر القصة مرات عديدة، وفي كل مرة مشهد خاص من مشاهدها له اتصال وثيق بالغرض الذي سيقت من أجله، فسياقات القصة متعددة، ولها في كل سياق غرض معين يختلف عن غيره.

٣- تنوع المدخل؛ ليتلاءم مع المشهد، والغرض.

٤- يتراءى في القصة عنصر الإثارة والتشويق، ومن ثم فإن القصة ليست أخباراً مجردة كما في كتب الحكايات، أو كتب التاريخ، لذلك تُختار فيها الكلمة الموحية، والصورة المضيئة اللافتة، فإذا بالنفس تتفاعل مع الحدث والمشهد، وتتابع الشخصيات في حركاتها فتنتقد المشاعر، ويستيقظ الوجدان، ويُستنبط من الحدث، والمشهد ما يحتويه من العظة والعبرة.

تلك خصائص أسلوبية عامة يجدها قارئ القصة القرآنية، فإذا به تغرورق عيناه بالدموع، وإذا بلسانه وجنانه ينطقان بلا إله إلا الله، وإذا به يخر ساجداً لعظمة مالك الكون، ومبدعه، ومدبر أموره.

ومن الشواهد على ذلك ما جاء في قوله - تعالى -: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ۝ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ۝ فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ۝ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ۝ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ۝ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا ۝ هَٰؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً ۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ ۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ [الكهف: ٩-١٥].

ارتباط الآيات المباركة بموضوع المبحث:

إن قصة الفتية الذين آمنوا بربهم واحدة من أمثلة القصص القرآني الذي يبين جانب الجهاد والهجرة في سبيل الله - تعالى - في الأمم السابقة.

ويتجلى الجانب الذي يتحقق منه ما يتناسب وصفات المؤمنين في مكة، بما فيها من جوانب تهم المسلمين في ماضيهم وحاضرهم؛ حيث تضييق الكفار عليهم، وتآمرهم ضدهم، فهذه القصة بمثابة تسلية لنبي الله ﷺ ولهم على امتداد العصور.

عناصر قصة أصحاب الكهف، ومناسبتها للمجتمع الإسلامي بمكة في فجر الدعوة:

١- هذه الآيات المباركة من أهم مظاهر قصة أصحاب الكهف، حيث مهد بها للدخول إلى ذات القصة، حيث قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ...﴾ [الكهف: ٩-١٢](١).

وهي خلاصة لقصة أصحاب الكهف بما فيها من عجب يتناسب وحال بعض أهل مكة الذين يترددون بين الكفر والإيمان، وخاصة من كان منهم على اطلاع ودراية بأخبار الأمم السابقة، فهذه المقدمة الكريمة لعلها تجعلهم ينجذبون فيستمعون إلى بقية أحداثها؛ مما يكون سبباً في دخولهم الإسلام.

٢- ثم شَرَح مضمون القصة مفصَّلاً، وبين أن أساسها هو توضيح جوانب العقيدة، وغرسها في نفوس مؤمني مكة ليربط على قلوبهم وليضرب مثلاً طيباً

---

(١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن (١/ ٩٩٨)، وإعجاز القرآن (ص ٣٢٧)، لعبد الكريم الخطيب.

للمؤمنين الذين يسكن الإيمان قلوبهم ؛ حيث قال تعالى : ﴿نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ﴾ [الكهف : ١٣]. فهؤلاء الفتية آمنوا بربهم، وتمسكوا بدينهم القويم، يريدون الحفاظ عليه خوفاً من فتنة قومهم. وجاء عرض القصة بكلمات انتظمت في عقد ثمين، مما جعلها تتميز بجرس هادئ رقيق، يتناسب مع ما يجب أن يكون عليه القصص[1].

٣- بيان أنهم ﴿فِتْيَةٌ﴾ ليدل بطريق الكناية على أن ما تعرضوا له من أنواع الإيذاء لم يجعلهم يتراجعون عن التمسك بدين الله - تعالى -، فيكونوا مثالاً يجب أن يحتذى للفتية في مكة الذين يتعرضون للإيذاء في دينهم، فلا يرجعون عنه، ولغيرهم فيما يلي من عصور.

٤- بيان أثر رحمة الله - تعالى - وهدايته لمن كان على طريقهم، فقد آزر هؤلاء الفتية بأن ضرب على آذانهم، وحفظهم من سطوة الكفار استجابة لدعائهم : ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ [الكهف : ١٠]، فالدعاء من صفات المؤمنين يجب أن يلجأ إليه كل مؤمن حلّت به ضائقة، ومسه كرب وشدة، فكانت بمثابة تعليم لمؤمني أمة محمد ﷺ ليسلكوا مسلكهم، فإن الله جاعل لهم من همهم فرجاً، ومن ضيقهم مخرجاً.

٥- الإثارة والتشويق في أحداث القصة ؛ حيث بعثهم بعد مكثهم في حكم الأموات، وفي ذلك بيان لقدرته - تعالى - على إحياء الموتى، وفي إحيائهم عظة أخرى وعبرة، فهي دليل على استحقاقه ﷻ العبادة دون سواه.

---

(١) ينظر : إعجاز القرآن (ص ٣٢٧) لعبد الكريم الخطيب.

٦- بيان جانب التوحيد الحقيقي أثناء سرد الأحداث دون التصريح به، وهو أنه لما علم - سبحانه - منهم صدق الإيمان، بارك ذلك منهم، وزادهم هداية، ومنحهم من قوة الإيمان ما جعلهم يزدادون تمسكاً بدينهم حيث قالوا بأن الله هو: «الذي خلقنا، ورزقنا، ودبرنا، وربّانا، هو خالق السموات والأرض، المنفرد بخلق هذه المخلوقات العظيمة، لا تلك الأوثان والأصنام التي لا تخلق ولا ترزق ولا تملك نفعاً ولا ضراً، ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً، فاستدلوا بتوحيد الربوبية على توحيد الألوهية»[1].

٧- وهبهم من مقومات الشجاعة ما جعلهم يجهرون بدينهم، فلا يخافون في الله - تعالى - لومة لائم، فكانوا مثلاً يُحتذى، وقمةً يرتقى إليها في زمنهم وفي زمن رسولنا الكريم ﷺ، فشهدوا لله - تعالى - بالقدرة الباهرة ﴿رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، ثم الشهادة بالوحدانية لله ﷻ، وهم يذكروننا بقصة الصحابة المجاهدين رضوان الله عليهم[2] الذين تحملوا في سبيل دين الله - تعالى - ما لا طاقة للبشرية به، وبذلك جمعوا: «بين الإقرار بتوحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، والتزام ذلك، وبيان أنه الحق وما سواه باطل، وهذا دليل على كمال معرفتهم بربهم، وزيادة الهدى من الله لهم»[3].

٨- الملاحظ على الجانب القرآني أنه لم يظهر نصيراً من البشر لهؤلاء الفتية؛ بل كان الله - وحده - ناصرهم فيما سبق من أحداث، لأنه في عون من أخلصوا له فعبدوه وحده.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (١/ ٩٩٩).

(٢) أمثال: بلال، وعمار، وياسر، وسمية رضوان الله عليهم.

(٣) تيسير الكريم الرحمن (١/ ٩٩٩).

٩- الفتية ينعون على قومهم الكفر وتمسكهم به، قالوا ما حكاه الله - تعالى - عنهم: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً...﴾ [الكهف: ١٥] أصناماً لا تنفع ولا تضر، ومن فعل ذلك فهو في ضلال بيّن.

١٠- أهمية تشاور المؤمنين فيما بينهم في شؤونهم عامة، وفي أهم مقومات حياتهم، وهي: العقيدة - خاصة - فقد قالوا ما حكاه الله عنهم: ﴿وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأۡوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ...﴾ [الكهف: ١٦]، ففي ذلك دليل على أن الهجرة أمر لا بد منه للمؤمنين الذين ضاقت بهم الأرض، فلا يستطيعون أن يعبدوا الله في أرضهم، فقوله: ﴿إِلَّا ٱللَّهَ﴾ استثناء متصل، على ما روي عن قوم أصحاب الكهف أنهم كانوا يقرون بالخالق، ويشركون معه كما كان أهل مكة يفعلون[1]، وهي إشارة مناسبة لما عليه مؤمنو أهل مكة من ضيقٍ وحرجٍ في إقامة شعائر الله وفرائضه التي أمرهم بها.

بلاغة الآيات:

تتمثل بلاغة الآيات الكريمة في جانبين:

(أ) عناصر التشويق في القصة.

(ب) بلاغة التراكيب.

وسأتناول هذين الجانبين على هذا الترتيب:

[أ] عناصر التشويق في القصة:

وتتراءى صفات المؤمنين من بين عناصر التشويق في الأمور الآتية:

١- مكان أحداث القصة ذلك الكهف الذي في جبلٍ بعيد، ثم الهجرة إليه فراراً بدينهم، وهم حديثو عهد بالدين، وفي ربيع العمر، فهُدُوا إلى ذلك العمل الجليل.

---

(١) ينظر: الكشاف (٢/ ٦٨٠).

٢- اللجوء إلى الله بالدعاء أن يرحمهم، ويهيئ لهم من أمرهم رشداً، فلم يطلبوا ناصراً من البشر، ولم يتخذوا من تضييق الكافرين عليهم تكأة للانهزام النفسي، فأعلنوا تمردهم على الكفر، واعتصموا بالله، فعصمهم الله القدير.

٣- اتخاذهم الأسباب الممكنة، ففروا بدينهم، فجعلهم الله - تعالى - مثلاً تتحدث به الأجيال؛ إذ كان منامهم، وإيقاظهم أعجوبة من أعاجيب قدرة الله العظيم الذي لا يعجزه شيء.

ثانياً من بلاغة التراكيب:

١ - المبالغة في قوله - تعالى -: ﴿وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾.

ذهب الكازروني[1] أن فيه مبالغتين:

إحداهما: جَعْل الأمر نفس الرشد، فهو (كزيد عدْل)؛ لأن الرشد مصدر.

الثانية: تجريد الرشد من الأمر، فانتزع من الأمر الرشد[2].

٢- حذف المفعول في قوله - تعالى -: ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ﴾.

وتقديره: ضربنا عليها حجاباً فلا تسمع، وأراد بذلك إنامتهم إنامة ثقيلة، فلا تسمع صياح أصواتٍ توقظها.

وحذف المفعول كما في قولك: بنى على امرأته، يريدون بنى عليها القُبَّة[3]، وحذف المفعول لظهوره.

---

(١) أبو الفضل القرشي الصديقي الخطيب المشهور بالكازروني، له حاشية على تفسير البيضاوي، توفي سنة ٩٤٥هـ. ينظر: كشف الظنون (١/١٩٩).

(٢) ينظر: حاشية الكازروني (٣/٢١٧).

(٣) ينظر: الكشاف (٢/٦٧٨)، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل (٢/٥).

وإنما عبَّر بالضرب على الآذان دون العيون، مع أنه يرتبط بها أكثر؛ لأن «ضرب الحجاب على العين لا يصلح كناية عن المبالغة في النوم، لأن سدَّ الأبصار إنما يدل على كمال ألا يكون ما هو طريق الإزالة مؤثراً في زواله»[1].

٣- في قوله - تعالى -: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾.

الإظهار في موضع الإضمار:

لأن مقتضى الظاهر الاكتفاء بالضمير الواقع اسماً لـ(إنَّ)، فيقال: إنهم آمنوا؛ لسبق لفظ ﴿فِتْيَةٌ﴾، ولكن عدل عن ذلك لأنه أراد التعريف بهؤلاء الفتية بكونهم متقاربي السن، كما أن فيه إيماء إلى اكتمال خُلُق الرجولة من سداد رأي، ومقدرة على مواجهة المواقف، فهي المعين للدفاع عن دينهم[2].

وقد يكون الإظهار لبيان أنهم ليسوا كثيري العدد، وليس لهم من التجارب ما يهتدون إليه من أمور الدين والدنيا[3].

٤- الاستعارة في قوله - تعالى -: ﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ...﴾ تبعية لتثبيت الإيمان بقلوبهم دلالة على رسوخ العقيدة، ونظيره ما في قوله - تعالى -: ﴿لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[القصص: ١٠].

حيث «شبه تثبيت قلوبهم وتقويتها وحملها على الصبر على الشدائد التي تحملوها بربط الدابة، وشدَّها بالرباط، وهو الحبل، فإن ربط الدابة شدها بالرباط، والمربط أيضاً هو الحبل»[4]. وسر بلاغتها واضح، فقد أشارت استعارة

---

(١) حاشية زادة (٣/ ٢٥٠).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير (٧/ ١٥/ ٢٦٦).

(٣) ينظر: نظم الدرر (١٢/ ١٧).

(٤) حاشية زاده (٣/ ٢٥١).

الحبل للربط إلى عمق هذا الإيمان وصدقه، وجعلت الخيال ينطلق بنا نحو الفتية الذين تولاهم الله ﷻ بالرعاية، فأحكم تثبيت قلوبهم على الإيمان، فلم يعودوا إلى الكفر، كما يشد الحبل مربوطه فيمنعه من الفرار أو التفلت.

٥- الظرف وأثره في أداء المعنى في قوله - تعالى -: ﴿إِذْ قَامُوا﴾ دل على أن الربط كان وقت قيامهم.

والقيام يحتمل أن يكون حقيقياً بأن مَثُلُوا أمام ملك الروم المشرك، واحتمال: أنه استعار القيام للإقدام والشجاعة، فعملوا هذا العمل العظيم تشبيهاً للاهتمام بقيام الشخص من قعود إرادة عمل ما، فالمعنى قد يكون أنهم قالوا ما قالوه وهم قعود[1].

وأرى أنه قيام حقيقي، بدليل قوله - تعالى -: (﴿قَامُوا﴾، ﴿فَقَالُوا﴾) حيث الفاء التي تفيد ترتيب القيام فالقول، والقيام دلالة على الاستعداد والتهيؤ للقول، ومن جهة أخرى فإن قوله تعالى: ﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ يدل على أنهم أصبحوا على قدر كبيرٍ من الشجاعة وقوة القلب، مما يمكنهم من القيام ومحاورة ملكهم الظالم؛ حيث يمنعهم من الإيمان بالله - تعالى -. كما أن عون الله - تعالى - لهم بالربط على قلوبهم يتناسب وزيادة الهدى التي منحوها. والله أعلم.

٦- الالتفات في قوله - تعالى -: ﴿ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ﴾ من التكلم إلى الغيبة:

حيث انتقل من التكلم إلى الرسول ﷺ في قوله - تعالى -: ﴿نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم﴾ إلى أسلوب الغيبة في قوله - تعالى -: ﴿ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ﴾ إذ لو جاء على

(١) ينظر: التحرير والتنوير (٧/١٥/٢٧٢).

نسق ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾ لقيل آمنوا بي أو بنا، وكذلك الشأن في قوله - تعالى -: (﴿وَزِدْنَٰهُمْ﴾، ﴿وَرَبَطْنَا﴾)[1]، فقد التفت - سبحانه - إلى أحبائه المؤمنين في الإخبار عن الفتية عن طريق الغيبة؛ تعظيماً لشأنهم، ورفعاً من قدرهم، وحثاً لفتية مؤمني مكة على التحلي بصفاتهم. والله أعلم.

ومن الشواهد على الفرق بين صفات المؤمنين في الآيات المكية والمدنية قوله - تعالى -: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ۝ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ۝ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [الصافات: ١٧١-١٧٣].

ارتباط الآية بسابقتها:

ترتبط الآية بسابقتها ارتباطاً متيناً؛ ذلك أنه سبقها تهديد الكفار في قوله - تعالى -: ﴿فَكَفَرُوا۟ بِهِۦ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [الصافات: ١٧٠].

ثم جاءت آية الشاهد الكريمة بما يقوي قلب الرسول ﷺ بالبشارة بوعده وبنصرته، والنصرة والغلبة أنواع، فمنها ما يكون بقوة الحجة والاستيلاء على بلاد العدو، أو بتكوين دولة، والمؤمن وإن صار مغلوباً في بعض أوقاته، فلا بد أنه الغالب بما وعد الله ﷻ[2].

أما كونها مكية، فيتبين من أمور:

١- ما ذكره بعض المفسرين[3].

---

(١) ينظر: حاشية زاده (٢٥١/٣).

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب (١٥٠/٢٦/١٣)، وحاشية زاده (١٦٩/٤).

(٣) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٢٨٩/٢).

٢- دلالة موضوعها: فهو حديث لرسول الله ﷺ أنه وعده بالنصر لعباده المرسلين، وما دام قد سبق الوعد لهم بذلك، فإن له من ذلك الوعد مثل إخوانه؛ الذين على دربهم.

٣- صياغتها الأسلوبية المتمثلة في كثافة المؤكدات، من القسم و(قد)، في قوله: ﴿وَلَقَدْ﴾، و﴿وَإِنَّ﴾، و(اللام)، واسمية الجملة، والقصر في قوله: ﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ﴾.

وهذه الصياغة جعلت الآية عالية النبرة، جزلة التركيب تمضي إلى طريقها من النفس في تؤدة أخّاذة، وتلك خصائص الأسلوب المكي، فما نلحظه على الخصائص الأسلوبية للآيات الكريمة يبين أن المراد منها توكيد الوعد لجند الله من مؤمني مكة بالنصر المؤزَّر؛ حيث كان الجنود المؤمنون قلة في عددهم، وعدوّهم حريص على النيل منهم، لذلك فالمقام هنا بحاجةٍ إلى تأكيد، لأن الآية تثبيت لجند المؤمنين.

وسائل التأكيد وإيماءاتها:

١- قوله - تعالى -: ﴿وَلَقَدْ﴾ اللام جواب القسم[1]، وهو استئناف مقرر للوعيد، والمعنى: والله لقد سبق وعدنا بالنصر، وتصدير الكلام به لكمال الاعتناء بشأنه[2].

---

(١) ومن ذلك ما جاء من أن اللام في: (ولقد علموا) [البقرة: ١٠٢] "لام جواب القسم، والمعنى: والله لقد علموا الذي اشتراه ما له في الآخرة من خلاق". كتاب اللامات (ص ٨٠)، لأبي الحسن علي بن محمد الهروي النحوي، تحقيق يحيى علوان البلداوي، مكتبة الفلاح، ط١، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠.

(٢) ينظر: إرشاد العقل السليم (٥/ ٣٤٣).

٢- تأكيد الخبر بـ﴿إنَّ﴾، وبلام الابتداء[1] في قوله - تعالى -: ﴿ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴾، وقوله: ﴿ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾، ليستشعر المؤمنون وهم حديثو عهدٍ بالإسلام في مكة بهذه المؤكدات أنهم في أمان الله ﷻ، وليسد عليهم ثغرات قد يتسلل منها الشيطان إلى نفوس بعضهم فيضعفها.

٣- تكرار الجملة بمؤكداتها، بأن عطف عليها قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾.

٤- إضافة الوعد والعبودية والجنود إلى (نا) الدالة على المولى - تبارك وتعالى - للدلالة على عظم ذلك الوعد، وتلك العبودية، وأن الجنود في حمى الرحمن الرحيم، وللاعتزاز بهم.

٥- التشويق الذي يحدثه ضمير الفصل ولام الابتداء في قوله: ﴿لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ﴾ وقوله: ﴿لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ مُخْبَراً بهما عن اسم ﴿إنَّ﴾ لبيان أنه لا نصر، ولا غلبة إلاّ للمؤمنين.

٦- وقوله - تعالى -: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا﴾ جاءت على صيغة الجمع؛ لأن المراد حزب الله هم الغالبون[2].

---

(١) ينظر: كتاب اللامات (ص ٧٦).

ولام الابتداء واقعة في خبر ﴿إنَّ﴾، وتسمى (المزحلقة)، والضمير الداخلة عليه إما أن يكون ضمير الفصل لا محل له من الإعراب، أو مبتدأ خبره ﴿ٱلْمَنصُورُونَ﴾، والجملة من المبتدأ والخبر خبر ﴿إنَّ﴾.

(٢) ينظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٣١٦) للزجاج.

وهذا الحزب من جند الله - تعالى - هنا هم المرسلون ومن تبعهم، ولكن لما كان معنى الجند في اللغة أعم، فهم العسكر والأعوان وأصناف الناس، لذلك الجمع على المعنى دون اللفظ(١)، وخصّوا بأنهم اتباع المرسلين(٢).

وهذا الأسلوب يرتفع بالمؤمنين المجاهدين في سبيله يوم كان الإسلام ضعيفاً إلى مصافٍّ عليَّة.

من بلاغة الآيات الكريمة:

قوله - سبحانه -: ﴿كَلِمَتُنَا﴾، وإنما سماها كلمةً، وهي كلمات عدة؛ لأنها لما انتظمت الكلمات في معنى واحد، كانت في حكم كلمة مفردة، ويناسب ذلك الوصف لمعنى الكلمة أنها جاءت في معرض وعدٍ بنصرهم وعلوهم على عدوهم في ساحات الحجاج، وملاحم القتال في الدنيا، والنصر في الآخرة(٣).

التشبيه في قوله - تعالى -: ﴿سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا﴾:

ذهب الطاهر بن عاشور إلى: «الكلمة مراد بها الكلام، عبر عن الكلام بكلمة إشارة إلى أنه منتظم في معنى واحد دال على المقصود دلالة سريعة، فشُبِّه بالكلمة الواحدة في سرعة الدلالة وإيجاز اللفظ»(٤).

---

(١) ينظر: نظم الدرر (١٦/٣١٤).

(٢) ينظر: إرشاد العقل السليم (٥/٣٤٣).

(٣) ينظر: الكشاف (٤/٦٤)، وإرشاد العقل السليم (٥/٣٤٣).

(٤) التحرير والتنوير (١١/٢٣/١٩٥)، ولعله في ذلك تابع النيسابوري في غرائب القرآن ورغائب الفرقان. ينظر: (١/٦٧).

يقال: كلمة بليغة، والمراد الكلام المركب (ينظر في هذا: الإيضاح (ص ١١)، كالخطبة أو القصيدة، وتطلق الكلمة على الكلام، كما قوله - تعالى -: ﴿قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ٩٩- ١٠٠]، والكلمة التي قالوها إنما هي كلمات.

وفي قوله: (فشُبِّه) أرى أنَّ التشبيه غير واضح، بل لفظ الكلمة مجاز مرسل، أُطلق فيه الجزء (كلمة)، وأريد الكل، كما يقال: الكلمة، والمراد مقالة، أو قصيدة.

ولقد تضمنت ﴿كَلِمَتُنَا﴾ الوعد الذي لا خلف فيه ولا تغيير، وليس له تبدل، كما هو حال الكلمة الواحدة الحكيمة في موضعها، والتي لا تستبدل بغيرها لأداء المعنى نفسه[1] لمناسبة مقام الآية.

وقوله - سبحانه -: ﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ﴾ بيان للكلمة، وهي بشارة للنبي ﷺ وتثبيت لقلبه.

التعريف في جزأي الجملة المباركة قوله - تعالى -: ﴿لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ﴾، و﴿لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ يفيد أن ثبوت اختصاصهم بالنصر والتأكيد على أنه محقق[2].

وهو قصر قلب: أي إن كنتم أيها الكفار تعتقدون غير ذلك، فالنصر والغلبة للمؤمنين، ونقيضها للكافرين. والله أعلم.

ومن صفات المؤمنين المتألقة في السور المكية قوله - تعالى -: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [الشورى: ٣٨].

ترتبط الآية المباركة بسابقتها قوله - تعالى -: ﴿وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ [الشورى: ٣٧].

ذكر في الآية رذائل الصفات التي تخلى عنها المؤمنون طلباً في الوصول إلى كمال الإيمان في الدنيا والآخرة، فناسب في آية الشاهد أن يذكر أربع صفات

---

(١) ينظر: نظم الدرر (١٦/ ٣١٤)، التحرير والتنوير (١١/ ٢٣/ ١٩٥).

(٢) ينظر: نظم الدرر (١٦/ ٣١٤).

تصوغ من المؤمنين قالباً متماسكاً في أجزائه؛ فأفعاله وأقواله واحدة، لا تأخذهم نوائب في الدنيا، ولا في الآخرة[١].

ارتباط الآية بالمجتمع الإسلامي:

ارتباط الآية بالمجتمع الإسلامي واضح متميز، لأن له سمات جعلته متميزاً عن غيره من المجتمعات، وذلك منذ إقراره بالعبودية لله وحده لا شريك له. ولقد امتاز بالحرية، فانطلق المسلم في تحقيق تعاليم الدين الحكيم التي تحكمه، وتدعوه إلى التساوي والعدالة بين أفراد المجتمع؛ فالكل مسؤول يتحمل عبء ما يستطيع حمله، فلا طبقية بينهم؛ بل أمرهم شورى بينهم.

وكذلك فهو مطالب «بالمشاركة في تسيير أمور مجتمعه، سواء بالتصدي لتحمل مسؤولية الحكم، أو من خلال الاختيار السليم لمن يقوم بها»[٢].

ولعظم أمر الشورى في المجتمع الإسلامي وأهميتها، فسبحانه وتعالى جعلها إلى جانب الصلاة والزكاة وأدرجها معها.

صفات المؤمنين في آية الشاهد مكية بدليلين:

الأول: ما ورد في كتب التفسير وأسباب النزول. فقد ورد أن السورة كلها مكية إلاَّ الآيات (٢٣-٢٧)، فمدنية[٣]، وقيل في سبب نزولها: إنها نزلت في عثمان بن عفان ﷺ لما دعاه رسول الله ﷺ إلى الإيمان بالله - تعالى -، بادر بمتابعته إلى الإسلام، فهذا قوله - سبحانه -: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمۡ﴾، وهو المعنيُّ ﷺ

---

(١) ينظر: نظم الدرر (١٧/٣٣١).

(٢) التصوير القرآني للمجتمع (١/١١٦) د. صلاح الفوال، دار الفكر العربي، القاهرة، بدون تاريخ طبعة.

(٣) ينظر: الكشاف (٤/٢٠٢)، وكتاب التسهيل لعلوم التنزيل (٤/١٧).

بقوله ﷻ: ﴿وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾؛ لأنه كان يقوم بالليل؛ وهو الذي ولي الخلافة بالشورى، وهو الذي جهَّز جيش العسرة؛ كما أنه كان كثير النفقة في سبيل الله - تعالى -[1].

وقيل: إنها نزلت في الأنصار - رضوان الله عليهم -، حيث دعاهم رسول الله ﷺ إلى الإيمان، فاستجابوا له[2].

الثاني: خصائصها الأسلوبية، وهي على وجهين:

(أ) أنواع صفاتهم، فهي تتناسب معها هذه الصفات:

فقد أشادت الآية الكريمة بهذه الصفات خاصةً؛ لأن المجتمع المسلم آنذاك في مستهل ظهوره، وهو بحاجةٍ إلى تحلي المؤمنين بها، فهم في فترة عصيبة يلاقون فيها أعداء الله على كثرتهم ووفرة مالهم، فناسب ذلك الإشادة بالذين بادروا إلى الإيمان بالله - تعالى -، وقبلوا شرعه[3]، ليقوى الدين، ويكونوا قدوة حسنةً لغيرهم، ثم إقامة الصلاة لتعودهم على الصبر ليواجهوا به أعداء الله - تعالى -، كما أنهم في أمسِّ الحاجة إلى أن يكونوا على صلة بربهم ليمدهم بتأييده وعونه، فيثبتهم على دينهم، وينصرهم على عدوهم، ثم الإشادة بالنفقة؛ لأن المؤمنين في حاجة إلى مال، فأغلب أوائل المؤمنين كانوا من الفقراء، ومال الغني منهم صادره العدو، كما أن الحرب تحتاج إلى تجهيز

---

(١) ينظر: كتاب التسهيل لعلوم التنزيل (٤/٢٢).

(٢) ينظر: الكشاف (٤/٢٢٢)، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل (٢/٣٦٤).

(٣) ينظر: الجواهر الحسان في تفسير القرآن (٣/١٣٤)، للشيخ عبد الرحمن الثعالبي، حققه وخرج أحاديثه: أبو محمد الغُماري الإدريسي الحسني، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م..

ومؤونة، وفي حال الأسرى فهم في حاجة إلى فداء، وكل ذلك لا يتأتى إلاَّ بالمال؛ الذي قلّت مادته بين أيديهم، وازدادت حاجتهم إليه، فالنفقة لها موضعها وأثرها في إنجاح الدعوة، لذلك أشاد بالمنفقين ترغيباً في المزيد منها، وتحريضاً على النيل من ثوابها في الآخرة.

وأما صفة الشورى: فتمس الحاجة إليها في كل حال، ولكن المسلمين في تلك الآونة أحوج ما يكونون إليها، ليصلوا إلى القرار الأوفق والأرشد فيما يواجهون به أعداءهم؛ ولذلك جُعلت إحدى علامات الاستجابة لله والإيمان به ﷻ، حيث اعتبر الله ﷻ الشورى هي الميزان الذي يتحقق به العدل، أو الضمان الذي يدفع الله به طغيان حاكم جائر، أو ولي ظالم مستبد، ودليل ذلك أن الشورى كانت أمراً من الله تعالى لرسوله الكريم، قوله - تعالى -: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩][(١)].

(ب) بلاغة النظم وأثرها في بيان صفات المؤمنين في السور المكية:

في قوله - تعالى -: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ﴾، إن العطف كان من قبيل عطف الخاص على العام، فالذين سبقوا عبارة عن المؤمنين الذين لهم تلك الصفات، ثم عطف عليهم الأنصار الذين استجابوا لربهم، فدل على كمال الإجابة والانقياد[(٢)].

والتعبير بصيغة ﴿ٱسْتَجَابُوا۟﴾: حيث السين والتاء للمبالغة في الإجابة، فهي إجابة إلى داعي الله دون تردد وكراهية، حتى بلغوا الكمال فيها.

---

(١) ينظر: التصوير القرآني للمجتمع (١/ ١٢٠).

(٢) ينظر: حاشية زاده (٤/ ٢٨٣).

والاستجابة لله - تعالى - ثابتة لجميع من آمن بالله - تعالى -، وأما الشورى فالمراد بها ابتداءً الأنصار؛ فهم الذين تأصل فيهم خلق الشورى[١].

واللام في قوله - تعالى -: ﴿لِرَبِّهِمْ﴾ فإنها لمزيد امتداحهم بهذه الصفة، فقد جيء بها لتقوية الحكم[٢].

وأرى أنها لام الاستحقاق التي فرَّق الهروي بينها وبين لام الملك ولام الاستحقاق كما في قولك: (الحمد لله والشكر لله): «فهذه لام الاستحقاق، والفرق بينها وبين لام الملك أن هذه الأشياء ليست مما يملك، وإنما هي تستحق فتضيف بهذه اللام ما استحق من الأشياء إلى مستحقه»[٣]. فدلَّ هذا المعنى بأن استجابتهم عن اقتناع وإيمان منهم باستحقاقها للمولى - تبارك وتعالى - والله أعلم.

كما أرى أن هذه اللام تدل على كمال الإخلاص والعبودية لله - تعالى -.

وفي قوله - تعالى -: ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ﴾ فذِكْر الصلاة منوهاً بها في الزمن المكي يدل على مبادرة الأنصار بعد إسلامهم إلى إقامة الصلاة جماعة؛ إذ أرسل إليهم النبي ﷺ مصعب بن عمير[٤] ليقرئهم القرآن، ويؤمهم في الصلاة لأنها عماد الدين[٥]، ولم يكونوا يعرفونها من قبل، فالدين في مقتبله.

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير (١٢/٢٥/١١١).

(٢) ينظر: المرجع والموضع ذاته (١٢/٢٥/١١١).

(٣) كتاب اللامات (ص ٣٨) للهروي.

(٤) مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد الدار بن قصي القرشي العبدري، كان أعطر أهل مكة، وأنهد شبابها، حبسته أمه لما علمت بإسلامه، وهو من جلة الصحابة وفضلائهم، هاجر إلى الحبشة في أول من هاجر إليها، ثم بعثه رسول الله ﷺ إلى المدينة قبل الهجرة ليعلم أهلها، شهد بدراً، وقتل يوم أحد شهيداً. ينظر: الاستيعاب (٣/٤٦٨)، والإصابة (٣/٤٢١).

(٥) ينظر: التحرير والتنوير (١٢/٢٥/١١٣).

وقوله - تعالى -: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾، فالشورى على فُعْلى مصدر كالفتيا، بمعنى التشاور، والمعنى ذوو شورى لا يتفردون برأي حتى يتشاوروا فيه ويجتمعوا عليه، وكان هذا ديدنهم قبل الهجرة وبعدها[1]، والمشورة استخراج الرأي بمراجعة البعض إلى البعض، و(الشورى): الأمر الذي يُتَشاور فيه[2].

والتعبير بالمصدر: ﴿شُورَىٰ﴾ دلَّ على أنهم بلغوا مرحلة عظيمة في الشورى وثبتوا عليها، ودلّ أن لها مكانة رفيعة بدليل عطف الاسمية ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ﴾ على الفعلية ﴿وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾. ولقد دل التعبير بالمصدر على المبالغة في حرصهم على التشاور؛ جُعل أمرهم نفس الشورى مدحاً على هذه الخصلة الحميدة، فما تشاور قوم إلاّ هدوا إلى الطيب من القول والعمل[3].

والشورى لا تكون إلاّ لقوم على درجة عالية من التفاهم والتقدير والإخاء فيما بينهم، وكذلك لا تكون مثمرة إلاّ لقوم اجتمعوا على ما هو أعظم، وهو الإيمان بالله - تعالى -.

المجاز العقلي وأثره في قوله تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ﴾ وذلك بإسناد (الشورى) إلى الأمر، وهو في الحقيقة إلى المتشاورين[4]. وجعل هذا الأمر وهو شيء معنوي كأنه كائن حي يحدث منه التشاور.

---

(١) ينظر: الكشاف (٤/٢٢٢)، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل (٢/٣٦٥)، وإرشاد العقل السليم (٦/٢١). والفتيا: من ذوات الياء. ينظر: الممتع في التصريف (٢/ ٥٤٣). وينظر على وزن فُعلى مثل القُصيا، والقصوى (ص ٤٨٨، ٤٨٩) من أدب الكاتب.

(٢) ينظر: المفردات (ص ٢٧٠).

(٣) ينظر: حاشية زاده (٤/٢٨٣).

(٤) ينظر: التحرير والتنوير (١٢/٢٥/١١٢).

أما تقييد الشورى بقوله - تعالى -: ﴿بَيْنَهُمْ﴾ فإيماء إلى أن الشورى ينبغي ألاّ تتجاوز من يهمهم الأمر من أهل الرأي، وإلى أنها سر بين المتشاورين[١].

ويتضح من ذلك القيد ﴿بَيْنَهُمْ﴾ إرشاد وبيان للمؤمنين، وبيان للطريقة المثلى في معالجة قضاياهم، فلا يُدخلون فيها غير مؤمن، ابتعاداً من موالاة النصارى واليهود، وإن كانوا أولي قربى؛ لأن المجتمع آنذاك - خاصة في مكة - مختلط فيه المؤمنون والكافرون، فحرم ذلك عليهم. وبذلك تتحقق الذاتية المؤمنة بغرس المبادئ والأسس القرآنية الصحيحة في نفوسهم.

ما سر الفصل بين قوله - تعالى -: ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ﴾ وبين قوله - سبحانه -: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ بقوله ﷻ: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾.

ورد: أنها لوقوع الشورى عند اجتماع المؤمنين للصلوات[٢].

وقيل: لأن الاستجابة لله - تعالى -، وإقام الصلاة أثر من آثار المشورة[٣].

الإدماج[٤] في قوله - تعالى -: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ فقد أدمج امتنانه - سبحانه - من خلال المدح بأمر النفقة، وأنها من عند الله - تعالى -؛ لأنه لا نفقة من غير ما يرزقه الله - تعالى - للمنفق[٥].

---

(١) ينظر: إرشاد العقل السليم (٢١/٦).

(٢) ينظر: المصدر والموضع ذاته (٢١/٦).

(٣) ينظر: روح المعاني (٤٧/٢٥/١٣).

(٤) الإدماج هو: "أن يضمن كلام سيق لمعنى معني آخر".الإيضاح (ص ٣٢٧).

(٥) ينظر: التحرير والتنوير (١١٣/٢٥/١٢).

والإسناد إلى (نا) دليل على عظمة الرازق، فمن غير توفيقه - سبحانه - لا يكون لهم حول ولا قوة[1]، وأطلقت النفقة ولم تقيد بوجه معين؛ لتعم كل وجوه أعمال البر المعينة على إنجاح الدعوة.

سر التعبير عن النفقة بالمضارع لتجدد فعلها: كرماً منهم؛ وإن قلَّ ما بأيديهم[2]، بينما الصفات الأخرى فالتعبير عنها جاء بالماضي (﴿ٱسْتَجَابُوا۟﴾، ﴿أَقَامُوا۟﴾، و﴿رَزَقْنَٰهُمْ﴾) لتأكيد حصوله منهم، وثبوتهم عليه. والله أعلم.

---

(١) ينظر: نظم الدرر (١٧/ ٣٣٣).

(٢) ينظر: المصدر والموضع ذاته (١٧/ ٣٣٣).

المبحث الخامس

مناسبة الصفات لسياق السورة

القرآن الكريم مترابط متسق في موضوعاته، مترابط في سوره بعضها إثر بعض، ومع اختلاف موضوعاته إلاَّ أنَّ ألفاظه وعباراته متلائمة متوائمة فيما بينها، وكذلك فيما بينها وبين السورة التي جاءت فيها.

وصفات المؤمنين على اختلافها، وكثرة انتشارها في تضاعيف القرآن الكريم، جاءت كل صفة منها في موضعها المناسب من معنى الآية ومعنى السورة.

والصفات الكريمة التي أقدمها بالدراسة مثال من بحرٍ زاخرٍ عن صفات المؤمنين التي تمثل عنواناً لموضوع كل آية مباركة، ودليلاً على ارتباطها كذلك بموضوع السورة، وفي هذا بيان لإحدى جوانب إعجاز القرآن الكريم الذي لا يُجارى في شيءٍ من صفاته.

فما جاء في سورة الأحقاف، قوله - تعالى -: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ...﴾ [الآية ١٣] امتداح وثناء على من آمن واستقام على ذلك، فالإيمان صفة تمثل لب الدين الإسلامي، وهي أساس التوحيد، والمنبع الذي يغذي ما تبقى من روافد الأسس الإيمانية.

ثم إنَّ وصف المؤمنين بالاستقامة والثبات على دين الله - تعالى - وامتداحهم بذلك يثمر عن شجرته السكينة، التي كان من نتائجها تلك الفتوحات العظيمة، وذلك الخير الكبير الذي تحدثت عنه سورة الفتح بأكملها.

ولقد جاء التعبير بصفة ﴿ٱلسَّكِينَةَ﴾[1] لهؤلاء المؤمنين المبايعين تحت الشجرة مناسباً لبيان حال المؤمنين الراسخين في الإيمان وكان هذا الوصف - كما قال البقاعي -: «بعد أن دهمهم ما من شأنه أن يزعج النفوس، ويزيغ القلوب من صدِّ الكفار ورجوع الصحابة ﷺ دون مقصودهم، فلم يرجع أحد منهم عن الإيمان بعد أن ماج الناس وزلزلوا حتى عمر ﷺ، مع أنه الفاروق، ومع وصفه في الكتب السالفة بأنه قرن مِنْ حديد، فما الظن بغيره في قلق نفسه، وتزلزل قلبه، وكان للصديق ﷺ من القدم الثابت، والأصل الراسخ ما علم به ﷺ أنه لا يسابق، ثم ثبتهم الله جميعاً»[2]، وكان مجيئها في موضعها هذا غاية في الدقة والبلاغة؛ إذ جمعت في معناها كل ما سبق بيانه عن أحوال المؤمنين آنذاك.

ثم من أوصاف المؤمنين غضُّ الصوت وخفضه بمجرد سماع داعي السماء[3] يدعو إلى ذلك، مما ينبئ عن قوةٍ في الدين، والاستقامة عليه، وهذه من أهم صفات المؤمنين التي تدعو إليها سورة (الحجرات): ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [الحجرات: ٣]،

---

(١) في سورة الفتح: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الآيتان: ٤-٥].

(٢) نظم الدرر (١٨/ ٢٨٤).

(٣) قدم ركب من بني تميم على النبي ﷺ، فقال أبو بكر: أمِّر القعقاع بن معبد بن زرارة، قال عمر: بل أمِّر الأقرع بن حابس، قال أبو بكر: ما أردت إلا خلافي، قال عمر: ما أردت خلافك، فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما، فنزل في ذلك: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ﴾ حتى انقضت. رواه البخاري في الصحيح (ص ٨٢٥)، رقم (٤٣٦٧)، كتاب التفسير، باب: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ﴾.

إذ إن المجتمع المدني آنذاك، بعد أن استقرت عقائده الدينية، أصبح في حاجةٍ لما تترسخ به أصول ومبادئ الإسلام، لتُصبح أخلاقه القرآن الكريم.

فهذه الصفات كلها مترابطة فيما بينها، فالسكينة وغض الصوت مرجعهما إلى نفس المؤمن التي رسخت عقيدته. وأساس كل ذلك الاستقامة على دين الله ﷻ، وفيما يلي توضيح الشواهد التي تمثل ذلك قوله - تعالى -: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَـٰنًا مَّعَ إِيمَـٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝ لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الفتح: ٤-٥].

موضوع السورة المباركة ومكان النزول:

سورة الفتح مدنية نزلت في الطريق عند الانصراف من الحديبية؛ ذلك أنه لما أراد النبي ﷺ أن يعتمر، فصده المشركون ومنعوه، وعاد النبي ﷺ إلى المدينة، وفي الطريق قال ﷺ: **(لقد أنزلت عليَّ سورة هي أحبُّ إليَّ مما طلعت عليه الشمس)**[1].

لكن هذه العودة إلى المدينة لم تكن على الفور من الصد والمنع، بل كانت شوطاً طويلاً من السفارات والمفاوضات، كانت الحرب في بعضها وشيكة الوقوع.

فبعد أن صدَّ المشركون المؤمنين من العمرة، ومنعوهم من دخول مكة، انتدب الرسول ﷺ عثمان بن عفان ﷺ للمفاوضة مع قريش، فاحتجزته

---

(١) ينظر: كتاب التسهيل (٤/٥١)، وتاريخ الإسلام السياسي (١/١٢٧).

وينظر: صحيح البخاري (ص ٧٩٣)، رقم (٤١٧٧)، كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية، والترمذي في الجامع الصحيح (٥/٣٨٥)، رقم (٣٢٦٢)، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة الفتح.

عندها، فشاع بين المسلمين أنه قُتل، عندئذٍ تأهب الرسول ﷺ لقتال قريش، وبايعه من كان معه من المسلمين على حربها، وهذه البيعة تسمى بيعة الرضوان، وهي البيعة التي نوه الله - تعالى - بها في قوله - تعالى -: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ١٨].

ولما علمت قريش بأمر البيعة، أسقط في يدها، وأخذت في بعث الرسل إلى النبي الكريم تفاوضه العدول عن دخول مكة هذا العام، وتم التفاوض والاتفاق[1] على أمور، منها: أن يرجع المسلمون إلى المدينة دون عمرة، إذ كانوا واثقين من فتح مكة بعد رؤيا الرسول ﷺ التي تنبئ بذلك.

فأخذ الشيطان ينزغ بين المسلمين نظراً لما جاء في الاتفاق من بنود، وشرعوا يتساءلون فيما بينهم عن سبب قبول الرسول ﷺ هذه الشروط، والرجوع عن العمرة، لكنَّ أحداً لم يجرؤ على مفاتحة النبي الكريم في شأن ذلك، حتى قام عمر ﷺ، فسأل الرسول ﷺ عن هذا القرار. لكنه ﷺ عالج هذه الفورة بحكمة وسداد

---

(١) ومن شروط هذا الاتفاق:

(أ) أن تضع الحرب أوزارها بين الفريقين عشر سنين.

(ب) أن يرد الرسول ﷺ من يأتيه من قريش مسلماً بدون إذن وليه.

(جـ) ألا تلتزم قريش برد من يأتي إليها من عند محمد.

(د) أن من أحب الدخول في دين قريش وعهدها فله ذلك، ومن أراد أن يدخل في عهد محمد ﷺ من غير قريش دخل فيه. ينظر: السيرة النبوية لابن هشام (٣/٢٠٣)، وتاريخ الإسلام السياسي (١/١٢٧، ١٢٨).

رأي بقوله: (**أنا عبدالله ورسوله، لن أخلف أمره، ولن يضيعني**)[١]، ثم عاتب الصحابة الشاكين في أمر الدعوة عتاباً خفيفاً، واستغل ﷺ هذه الهدنة، وذلك الصلح، في تدبير أمورٍ كثيرةٍ تعود بالنفع على الإسلام والمسلمين[٢].

التناسب بين موضوع السورة المباركة وبين صفة ﴿ٱلسَّكِينَةَ﴾ من جهات:

قوله - تعالى -: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

الآيتان المباركتان بشارة للمؤمنين بحسن عاقبة صلح الحديبية، فإنه نصر وفتح من الله - تعالى - تعقبه فتوح وانتصارات؛ كما أنها امتنان منه على رسوله ﷺ؛ فهو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين تثبيتاً لهم، ونصراً لنبيهم - عليه الصلاة والسلام -، وهذه إحدى مسوغات النصر، فلولا ما فيه من الخير، لما اطمأنت نفوسهم، ورسخت أفئدتهم، وإلاّ لبقوا كاسفي البال، شديدي البلبال، فذلك الاطمئنان هو الذي سماه الله بالسكينة، وسمّى إحداثه في نفوسهم إنزالاً للسكينة في قلوبهم، فكان النصر مشتملاً على أشياء، أهمها إنزال السكينة[٣]، وأنها الرحمة لعباده[٤].

---

(١) رواه بنحوه البخاري في صحيحه (ص ٦١٠)، رقم (٣١٨٢)، كتاب الجزية والموادعة، باب، ومسلم في صحيحه (ص ٩٨٦)، رقم (١٧٨٥)، كتاب الجهاد والسير، باب صلح الحديبية في الحديبية.

(٢) ينظر: تاريخ الإسلام السياسي، (١/١٢٧، ١٢٨، ١٢٩)، والتحرير والتنوير (١٢/٢٦/١٤٩).

(٣) التحرير والتنوير (١٢/٢٦/١٤٩) بتصرف.

(٤) ينظر: النكت والعيون (تفسير الماوردي) (٥/٣١١)، لأبي الحسن بن محمد بن الماوردي البصري، تعليق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ومؤسسة الكتب الثقافية، مكتبة المؤيد بالرياض، ط١، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.، وإيجاز البيان (٢/٧٤٩)، ونظم الدرر (١٨/٢٨٤).

و﴿ٱلسَّكِينَةَ﴾: هي الثقة بوعد الله والصبر على حكمه، كما ورد فيها أنها الوقار، وليس السكينة التي بمعنى فقد الحركة[١].

وأما أثرها: فهو الوقار والخشوع، وظهور الحزم في الأمور[٢].

وإنزالها: أصل الإنزال: الانحطاط من علو، يقال: نزل عن دابته، ونزل في مكان كذا، أي حطّ رحله فيه[٣].

وقد قيل عن ﴿ٱلسَّكِينَةَ﴾: إنها مَلَك يُسكّن قلب المؤمن والمؤمنة[٤]، فقد ذكر الرازي: «أن منْ علم شيئاً من قبل وتذكره، واستدام تذكره، فإذا وقع لا يتغير، ومن كان غافلاً عن شيء، فيقع دفعة يرجف فؤاده (...)، والمؤمن أتاه من حيث كان يذكره، فسكن»[٥]، مما يوقع في عقليهما ونفسيهما الطمأنينة، وخلق أسبابها، وأطلق على ذلك الإيقاع إنزالاً: «تشريفاً لذلك الوجدان بأنه كالشيء الذي هو مرتفع فوق الناس، فألقي إلى قلوب الناس، وتلك رفعة تخييلية مراد بها شرف ما أثبتت له على طريقة تخييلية»[٦].

ومن جهة أخرى، فإن من عواقب السكينة أنها من أسباب إزالة ما يلقي به الشيطان في نفوس المؤمنين من تأويلات، حول ما وعدوا به من النصر على الأعداء.

---

(١) ينظر: التبيان في تفسير غريب القرآن (ص ٢٢٢، ٢٢٣).

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب (١٤/٢٨/٧٠)، ونظم الدرر (١٨/٢٨٤).

(٣) ينظر: المفردات (ص ٤٨٨).

(٤) ينظر: المصدر ذاته (ص ٢٣٧).

(٥) مفاتيح الغيب (١٤/٢٨/٧٠).

(٦) التحرير والتنوير ٢(/٢٦/١٤٩، ١٥٠).

من بلاغة الآيتين:

تعريف الطرفين في قوله - تعالى -: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ﴾ أريد به بيان اختصاص الله تعالى بهذا الفضل، وإيماء به إلى امتنانه على رسوله به.

وقوله - تعالى -: ﴿لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَـٰنًا﴾ يوحي برسوخ العقيدة، واطمئنان النفس عليها[1]؛ حيث جعل الازدياد كالعلة لإنزال السكينة في قلوب المؤمنين، لأن الله - تعالى - عالم «أن السكينة إذا حصلت في قلوبهم رسخ إيمانهم، فعومل المعلوم حصوله من الفعل معاملة العلة، وأدخل عليه حرف التعليل وهو لام كي. وجعلت قوة الإيمان بمنزلة إيمان آخر دخل على الإيمان الأسبق، لأن الواحد من أفراد الجنس إذا انضم إلى أفراد أُخر (زادها قوة)، فلذلك علّق بالإيمان ظرف ﴿مَّعَ﴾ في قوله: ﴿مَّعَ إِيمَـٰنِهِمْ﴾»[2].

ومما تشير إليه البلاغة العناية بالمؤمنين وحفظهم في قوله - تعالى -: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ..﴾ [الفتح: ٤] أن المؤمنين اختصوا بتنزيل الملائكة - عليهم السلام - لنصرتهم، مما أفاد تفرده بالقدرة في ملكه، فلا عجب أن يفتح الله ذلك الفتح العظيم على رسوله الكريم وعلى عباده المؤمنين، وأن ينصره ذلك النصر المؤزّر على أعدائه، فهو وحده الذي يملك جميع وسائل النصر، ومنها - كذلك - إنزال السكينة، وعلى قلوبهم، وما نصر المؤمنين ﷺ، ونصر رسولهم الكريم إلاّ بعضاً مما أنزله من قوته ونصره - سبحانه -[3].

---

(١) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٢/٤٠٧).

(٢) التحرير والتنوير (١٢/٢٦/١٥٠).

(٣) ينظر: معالم التنزيل (٥/ ١٦٧، ١٦٨)، ونظم الدرر (١٨/٢٨٥)، والتحرير والتنوير (١٢/٢٦/١٥٠).

والفاصلة الكريمة في قوله - تعالى -: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ متناسبة مع موضوع الآية المباركة، من حيث أن علم الله - تعالى - محيط بعباده قبل خلقهم، فعلم صدق الصحابة في موقفهم من شروط الصلح، لذلك ثبتهم، وأنزل السكينة عليهم؛ لأنهم بشر لا يعلمون ما كتب الله - تعالى - من قادم النصر والتأييد، فناسبه وصفه - تعالى - بكونه: ﴿عَلِيمًا﴾.

كما وصف نفسه بالحكمة في قوله - تعالى -: ﴿حَكِيمًا﴾؛ حيث أرشد رسوله ﷺ إلى صحة ورشاد صلح الحديبية، وأنه سيعود عليهم بالفائدة الكثيرة، فناسب وصفه بالحكمة، فتلك أمور غيبية لا يعلمها أحد، ولا يستطيع بشر أن يضعها في موضعها الصحيح.

ولقد عدّها ابن عاشور من قبيل التذييل، حيث قال: «وجملة: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ تذييل لما قبله من الفتح والنصر، وإنزال السكينة في قلوب المؤمنين»[(١)]، وهو ليس كذلك؛ لأن معنى الجملة الكريمة ليس معنى الآية السابقة، وهو إنزال الجنود، وإنزال السكينة.

في الآية بلاغة من حيث التعبير بالجنود، للدلالة على جنود السموات، وهم الملائكة الذين أنزلوا يوم بدر والريح التي أرسلت على الأعداء يوم الأحزاب، والمطر، وجنود الأرض، وهم جيوش المؤمنين، فلو شاء الله - تعالى - لدمَّر أعداءه بجنوده من غير نصرة هؤلاء المؤمنين، ولم يحتاجوا إلى إنزال السكينة؛ لكن فعل ذلك - سبحانه - ليكون النصر بهم فيعلو أمرهم ويعظم أجرهم[(٢)].

---

(١) التحرير والتنوير: (١٥١/٢٦/١٢).

(٢) ينظر: نظم الدرر (٢٨٥/١٨)، والتحرير والتنوير (١٥١/٢٦/١٢).

* **وتقديم المسند على المسند إليه:** «لإفادة الحصر، وهو حصر ادعائي، إذ لا اعتداد بما يجمعه الملوك والفاتحون من الجنود لغلبة العدو، بالنسبة لما لله - تعالى - من الغلبة لأعدائه والنصر لأوليائه»[١]. والحصر بهذا المعنى - في الواقع - يكون حقيقياً تحقيقياً، وليس ادعائياً، لأن القصر الادعائي - وإن كان فيه المقصور يختص بالمقصور عليه - فإنه نفي يقوم على المبالغة والتجوز، ولا يقوم على مطابقة الحقيقة للواقع[٢]، وهذا وصف لا يطابق ما عند الله ﷻ من الجنود، بل وينافي مطلق قدرته.

* تقديم قوله تعالى: ﴿لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ..﴾ على قوله - تعالى -: ﴿وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ..﴾ مع أن الترتيب على غير وضعه الطبيعي؛ إذ تكفير السيئات قبل دخول الجنة[٣]، فذلك للمسارعة إلى بيان ما هو المطلب الأعلى[٤].

ومن الشواهد ما جاء في قوله - تعالى -: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [الحجرات: ٣].

أما موضوع السورة المباركة:

فالآية الكريمة خبرية لفظاً، إنشائية معنى؛ لأنها تومئ إلى طلب غض الصوت عند رسول الله ﷺ، وهي تمتدح من تلبس بهذه الصفة، وتعده بالوعود الكريمة التي جاءت فيه، ففي مضمونها بيان لكيفية الأدب مع الله - تعالى -

---

(١) التحرير والتنوير (١٢/٢٦/١٥١).

(٢) ينظر: الإيضاح (ص ١٢٣) لمعرفة تعريف القصر الادعائي.

(٣) ينظر: المحرر الوجيز (١٥/٩١).

(٤) ينظر: إرشاد العقل السليم (٦/٩٨).

ومع رسوله الكريم، وإعطائهما حقهما من التعظيم، فإنَّ من أجلِّها بظاهر الأقوال والأفعال دل صدق باطنه، وذلك من موجبات الإيمان، كما أن في ذلك بناءً لشخصية المؤمن وللمجتمع الإسلامي الجديد؛ ليكون أبناؤه أمة واحدة، طريقها مستقيم، وخلقها القرآن الكريم، لهذا فإن ما جاء فيها من صفات المؤمنين متناسب مع موضوعها أشد التناسب[1].

والتناسب بين موضوع السورة المباركة والصفة من عدة جهات:

١- من جهة امتثال الأوامر والنواهي، فقد نادى المولى - تبارك وتعالى - عباده المؤمنين بالصفة المحببة لديهم، وهي الإيمان به ليذكرهم بما يجب عليهم، وليستميل قلوبهم لامتثال أمر الله ﷻ، واجتناب نواهيه، فلا يتقدمون بين يدي الله ورسوله، ولا يقولون ولا يأمرون حتى يأمرهم، قال - تعالى -: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ...﴾ [الحجرات: ١].

٢- من جهة التعامل مع رسوله والتأدب في مخاطبته، فلا يعلو على صوت المصطفى صوت، ولا يخاطب إلاَّ بأدب ولين؛ تعظيماً له وتكريماً - عليه أفضل الصلاة والسلام -، وبهذا يجب على المؤمن أن يميز رسوله الكريم عن غيره من البشر في الإيمان به؛ والحب له، والطاعة المطلقة كما أمر به ونهى عنه، وما يجب عند ذكره ومخاطبته، فإن عدم القيام بذلك، وأدائه حقه تاماً يكون سبباً في إحباط الأعمال دون أن يشعر العبد، كما يعرضه لإنزال العقوبة.

---

(١) ينظر: نظم الدرر (١٨/ ٣٤٩).

٣- من جهة سبب النزول: ويتبين ذلك مما رواه «عطاء[١] عن ابن عباس[٢] ﷺ من أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ﴾ تألى أبو بكرٍ أن لا يكلم رسول الله ﷺ إلاّ كاخي السرار، فأنزل الله تعالى في أبي بكر ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ﴾»[٣].

ولما كان سبب النزول في أبي بكرٍ ﷺ؛ فناسبه الوصف والامتداح بالتقوى.

٤- من جهة دلالة غض الصوت صيرورة القلوب خالصة للتقوى: فإنه لعظم هذه الصفة عند الله - تعالى - أثنى على من غضَّ صوته عند رسول الله ﷺ ترغيباً في الانتهاء عما نُهوا عنه، بعد الترهيب من الإخلال به خشية مخالفة النهي؛ لأن المؤمنين تعرضوا للامتحان والابتلاء في دينهم، المُجَرَّبة قلوبهم بضروبٍ من التكاليف الشاقة، والمحن العظيمة، لأن التقوى لا تظهر فضائلها إلاّ بالاصطبار عليها[٤].

---

(١) عطاء بن أبي رباح، أبو محمد القرشي مولى أبي ميسرة الفهري، مفتي الحرم، وأعلم الناس بالمناسك، ولد في خلافة عثمان، وروى عن جمع من الصحابة كابن عباس وأبي هريرة وعائشة وأم سلمة وغيرهم، وحدَّث عنه أئمة الإسلام، وكان ثقة فقيهاً عالماً كثير الحديث، وكان أعور أشل أفطس أعرج أسود. ينظر: الطبقات الكبرى (٥/ ٣٢٠)، ووفيات الأعيان (٣/ ٢٦١)، وتقريب التهذيب (ص ٣٩١).

(٢) عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن عبد مناف، ابن عم رسول الله ﷺ، ولد سنة ٣ ق.هـ، دعا له النبي ﷺ بالفهم، فكان يسمى الحبر لسعة علمه، توفي سنة ٦٨هـ بالطائف. ينظر: الاستيعاب (٢/ ٣٥٠)، والإصابة (٢/ ٣٣٠)، وتقريب التهذيب (ص ٢٥١).

(٣) أسباب النزول للواحدي (ص ٣٢٤).

(٤) ينظر: إرشاد العقل السليم (٦/ ١١٢)، وينظر: تيسير الكريم الرحمن (٢/ ٧١٦، ٧١٧).

٥- وكذلك من جهة التقوى فإنها صفة متناسبة مع ما تقدمت به الآيات من معاني الامتثال لأوامر الله - تعالى -، وكذلك متناسبة مع ما جاء به بعد ذلك من آياتٍ، بناءً على ما فيها من نداءات وأوامر ونواهٍ بوجوب صدق المسلمين فيما يخبرون به، والتثبت في نقل الخبر مطلقاً، وأن ذلك من خلق المؤمنين، ومجانبة أخلاق الكافرين والفاسقين، وتطرّق إلى ما يحدث من التقاتل بين المسلمين، والإصلاح بينهم لأنهم إخوة، وما أمر الله مِنْ آداب حسن المعاملة بين المسلمين في أحوالهم في السر والعلانية، وتخلص من ذلك إلى التحذير من بقايا خلق الكفر في بعض جفاة الأعراب تقويماً لأود نفوسهم[1].

من البلاغة في الآية الكريمة:

١- شبه كمال اتصال في قوله - تعالى -: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ..﴾ [الحجرات: ٣] ذلك أن هذه الجملة المباركة استئناف بياني نشأ من التحذير، ورد في قوله تعالى: ﴿أَن تَحْبَطَ أَعْمَـٰلُكُمْ...﴾ فقد أثار في النفس سؤالاً عن ضد حال من يرفع صوته، وهو عن المؤمنين وماذا سيحل به.

وهذا أسلوب رقيق من أساليب النصح والإرشاد والتعليم والدعوة إلى الله - تعالى -.

٢- ﴿إِنَّ﴾ تتصدر الجملة المستأنفة للتأكيد على مضمونها، وهو الثناء والرضا على هؤلاء المؤمنين[2].

(١) ينظر: التحرير والتنوير (١٢/٢٦/٢١٤).

(٢) ينظر: المرجع ذاته (١٢/٢٦/٢٢٢).

٣- في قوله - تعالى -: ﴿يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ..﴾ «من الغض، الغين والضاد أصلان، أحدهما يدل على كف ونقصٍ، وكل شيء كففته فقد غضضته، والآخر على طراوة»[١].

ويرى الطاهر بن عاشور أنَّ (الغضّ) «حقيقته: خفضُ العين، أي: لا يحدق بها إلى شخصٍ، وهو هنا مستعار لخفض الصوت والميل إلى الإسرار»[٢].

وأرى بناءً على ما تقدم من معنى الغضّ أنه لا استعارة، لأن من معانيه الكف، وهو مناسب لكف الصوت عن الارتفاع، فجاء التعبير على أصل وضعه في اللغة، ومن ثم فليس الغض مستعاراً.

٤- في قوله - تعالى -: ﴿ٱمْتَحَنَ﴾: الميم والحاء والنون، حروف ثلاثة على غير قياس، منها: المحْن بمعنى الاختبار. ويقال محنه وامتحنه[٣]، ويحتمل في اللفظ المبارك ألوان البيان الآتية:

(أ) أن يكون كناية: ذهب الزمخشري إلى أنها كناية تلويحية[٤] عن صبرهم على التقوى، وثباتهم عليها، ولتحملهم مشاقها، فالممتحن جرَّب وتعود الفعل مرة بعد أخرى، فهو دال على التمرن للاضطلاع بالعمل[٥]، وذلك «بطريق إطلاق

---

(١) معجم مقاييس اللغة (٤/٣٨٣)، ومجمل اللغة (٣/٦٨٢).

(٢) التحرير والتنوير (١٢/٢٦/٢٢٣).

(٣) ينظر: معجم مقاييس اللغة (٥/٣٠٢).

(٤) من أنواع الكناية بحسب الوسائط، لأن التلويح أن تشير إلى غيرك عن بعد. ينظر: الإيضاح (ص ٢٩٣).

(٥) ينظر: الكشاف (٤/٣٤٦)، وروح المعاني (١٣/٢٦/٢٩٠)، والتحرير والتنوير (١٢/٢٦/٢٢٣).

الملزوم، وإرادة اللازم، فإن بامتحان الشيء للعمل يستلزم أن يتكرر صدور ذلك العمل منه مرة بعد أخرى، وذلك يستلزم ثمرته، أي اعتياده واستمراره عليه»[١].

(ب) أن يكون استعارة تمثيلية: أي جعلها خالصة، بأن أزال عنها الملكات الردية، والعادات الدنية، فيكون ﴿ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾: «استعارة تمثيلية من امتحن الذهب، بأن شبه تنقية القلوب عما سوى التقوى، وجعلها خالصة لها بامتحان الذهب الإبريز، وتخليصه من الخبث بإذابته بالنار، فأطلق عليها اسم الامتحان»[٢].

(جـ) **أن يكون مجازاً:** «عن الصبر بعلاقة اللزوم وحاصل المعنى عليه كحاصله على الكناية، أي أنهم صبروا على التقوى أقوياء على مشاقها»[٣]، أي عن طريق إطلاق السبب، وإرادة المسبب، لأن الامتحان سبب للمعرفة[٤].

صفة التقوى: وامتداحهم بها على صيغة المصدر للمبالغة في بلوغهم مرحلة الكمال فيها.

صفة (المغفرة) ومناسبتها لموضوع السورة المباركة: في قوله تعالى: ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾ على هفواتهم وزلاَّتهم[٥]، على الرغم من أن الله تعالى امتحن قلوبهم للتقوى، فإنه وعدهم بالمغفرة، ليكون أكمل وأتم لإيمانهم.

---

(١) حاشية زاده (٤/٣٦٦).

(٢) حاشية زاده (٤/٣٦٧)، وينظر: الكشاف (٤/٣٤٧)، ونظم الدرر (١٨/٣٥٨، ٣٥٩)، وروح المعاني (١٣/٢٦/٢٩٠).

(٣) روح المعاني (١٣/٢٦/٢٩٠)، وينظر: التحرير والتنوير (١٢/٢٦/٢٢٣).

(٤) ينظر: حاشية زاده (٤/٣٦٧)، وروح المعاني (١٣/٢٦/٢٩٠).

(٥) ينظر: نظم الدرر (١٨/٣٥٩).

ومن الشواهد التي تناسبت فيها صفات المؤمنين مع موضوع السورة قوله - تعالى -: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأحقاف: ١٣-١٤].

موضوع السورة المباركة:

يدل على إثبات الألوهية، وبيان أنواع الضلال التي يتردى فيه المشركون.

والآيتان الكريمتان ثناء على الذين آمنوا بالقرآن الكريم، ثم ﴿قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ وقد تبع هذا الإيمان صفة جليلة تناسبه، وهي الاستقامة.

ثم ذكر جزاءهم، وأنه من جنس عملهم، ألا وهو الأمن والخلود في الجنة، وقولهم: ﴿رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ اعتراف وإقرار بتفرده بالألوهية، وبيان أنه المستحق للعبادة.

التناسب بين موضوع السورة المباركة، وبين الصفة من عدة جهات:

١- أن السورة المباركة افتتحت بالحروف المقطعة، ليثبت إعجاز القرآن الكريم، وأنه منزل من عند الله - تعالى -، لذلك فهو معجز بإحكام كلامه، وبما تضمنه من إرشاد إلى الاهتداء بنوره، والإقبال على تدبر آياته.

قال - تعالى -: ﴿ حمٓ ۝ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴾ [الأحقاف: ١-٢].

٢- ومن دلائل قدرته التي توجب له الوحدانية، بيان قدرته - تعالى - على خلق السموات والأرض، فدلت على قدرة الخالق، وأنه القادر على جزاء الأعمال، قال تعالى: ﴿ مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ... ﴾ [الأحقاف: ٣].

٣- أبطل - سبحانه - كل الشركاء، ودلل على خلوهم من صفات الألوهية، فثبت أنه الإله الخالق، قال تعالى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [الأحقاف: ٤].

٤- إبطال دعوة من ادَّعى أن القرآن سحر، أو غير ذلك من الأقاويل؛ ليثبت أنه من عند الله وحده. قال - تعالى -: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا ...﴾ [الأحقاف: ٧].

٥- من وسائل الدعوة إلى الله - تعالى - الترغيب في الإيمان به، وبيان أن القرآن منزل من عند الله - تعالى -، وشهادة شاهد من بني إسرائيل، قال - تعالى -: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ...﴾ [الأحقاف: ١٠-١٢][1].

البلاغة في تلازم الصفة المباركة: ﴿رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ مع موضوع السورة الكريمة:

قوله - تعالى -: ﴿قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ...﴾.

لما بيَّن - تعالى - اختلاف أحوال الناس في الإقرار بوحدانية الله ﷻ، وفي قبول دعوة الرسول ﷺ، واختلافهم في التمرد والإصرار على الشرك والطغيان، حيث قال في أول السورة ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ ...﴾ [الأحقاف: ٣] ثم ساق الكلام إلى أن قال - سبحانه -: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟...﴾[2].

فقد جمعوا بين التوحيد الذي هو خلاصة علمهم بالله ﷻ، والإقرار بقدرته المشار إليها في الآيات السابقة، وبين الاستقامة التي هي منتهى الإخلاص في العمل[3].

---

(١) ينظر: مفاتيح الغيب (٣/٢٨/١٤) وما بعدها، والتحرير والتنوير (٦/٢٦/١٢).

(٢) ينظر: حاشية زاده (٣٣٤/٤).

(٣) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٣٩٤/٢).

الخلاصة:

بذلك يتبين التلاؤم والتوافق بين الصفة مع المعنى العام للسورة، بعد أن بين أنواع ضلال الكافرين والمشركين في مكة، وإصرارهم على الكفر لعدم تصديق النبي الكريم، ولقولهم على القرآن ما ليس فيه، بعد ذلك أثنى - سبحانه - على الذين آمنوا واستقاموا.

والملاحظ أنه - سبحانه - أفرد في هذه الآية الكريمة المؤمنين بصفة الإيمان والاستقامة عليه، فلم يذكر معها صفات أخرى؛ ذلك لأن مقام السورة اشتمل على صفات الإنكار والتكذيب، فناسبها الإشادة بصفة الإيمان.. والله أعلم.

وقوله - سبحانه -: ﴿ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟﴾ حيث أداة التراخي ﴿ثُمَّ﴾ التي تشير إلى علو رتبة عملهم، فهو مجاهدات شديدة للثبات على الدين(١)، وتأخير رتبة العمل عن رتبة العلم بالله؛ لأن العمل لا يُقبل إلاّ بعد الإيمان والعلم بالله - تعالى -(٢).

مناسبة الصفة للسورة من حيث مدلولها وصيغتها:

فقوله: ﴿رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾:

دلالة على اعترافهم بأنه ﷻ الخالق، والمحسن إلى عباده، وهو - سبحانه - ﴿ٱللَّهُ﴾ الذي له كل صفات الكمال(٣).

---

(١) ينظر: نظم الدرر (١٨/ ١٤٣).

(٢) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٢/ ٣٩٤).

(٣) ينظر: نظم الدرر (١٨/ ١٤٣).

فمدلول لفظ (الرب) ينبئ عن إقرارهم بفضله، ثم بوحدانيته.

وقولهم: ﴿رَبُّنَا﴾ بصيغة الجمع: للدلالة على أنه لا يليق بأحدٍ من عباده أن ينكر ذلك، فهو رب الجميع.

والتعبير بالجملة الاسمية: دلالة على ثبات ومداومة اعترافهم، وإقرارهم بربوبيته ووحدانيته - تعالى -.

هذا: وللآية نظير في سورة فصلت، وهو قوله - تعالى -: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ﴾ [فصلت: ٣٠].

فهنا رفع الواسطة، ولم يذكر من يبلغهم هذه البشارة، فذكر قوله - تعالى - أنه: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢]، ومن مجموع ما ورد في معنى الآيتين المباركتين نتبين أن الملائكة تبشر المؤمنين، والحق ﷻ يسمعهم بهذه البشارة أيضاً من غير واسطة(١).

---

(١) ينظر: مفاتيح الغيب (١٤/ ٢٨/ ١٢).

المبحث السادس

الصفات المثبتة والصفات المنفية

صفات المؤمنين قد تأتي منسوبة إليهم بطريق الإثبات، إذا كانت الصفات محمودة؛ فإذا كانت مذمومة، فإنها تنسب إليهم بطريق النفي؛ سواء كان ذلك النفي بأدواته المعروفة، أو بطريق فعلٍ تدل مادته على الترك، مثل: يجتنون.

وعلى هذا، فإن الصفات المنفية تأتي بطريقين:

١- بالأدوات المستعملة للنفي.

٢- بالأفعال الدالة على ذلك.

ولقد أوردت أمثلة على كل نوع من ذلك. فمنها قوله - تعالى -: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا۟ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾

أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾ قُلْ مَا يَعْبَؤُاْ بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ ۖ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًۢا ﴾ [الفرقان: ٦٣-٧٧].

ارتباط الآيات المباركة بالسورة الكريمة:

ابتدأت السورة الكريمة بالحديث عن القرآن الكريم، ثم ذكرت فريقاً من المشركين الذين عرفوا الحق، وأقروا به، ثم ارتدوا عنه إلى الضلال، ثم اختتمت السورة بالتذكر والشكر، وكان التقدير: فعباد الشيطان لا يتذكرون، ولا يشكرون عطف على هذا المقدَّر أضدادهم في أوصافهم، مبشراً لهم بضد جزاء أولئك، فقال: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ...﴾ الآيات[1].

وترتبط آيات الشاهد الكريمة بسابقتها، وهي قوله - تعالى -: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ [الفرقان: ٦٢] ارتباطاً وثيقاً؛ ذلك أنه لما اختصت الآية بقوله: ﴿لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ [الفرقان: ٦٢] ناسب ذكر من أراد أن يذَّكر إشارة إلى خصال المؤمنين اتباع النبي ﷺ حتى تستكمل السورة أغراض التنويه بهم، ومن جاء به ومن اتبعه.. وهذا من أبدع التخلص إذ كان مفاجئاً للسامع، مطمعاً أنه استطراد عارض كسوابقه حتى يفاجئه ما يؤذن بالختام. وهو ﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُاْ بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ﴾ [الفرقان: ٧٧][2].

---

(١) ينظر: نظم الدرر (١٣/ ٣٢٩ وما بعدها، ٤١٩-٤٢٠).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير (٩/١٩/٦٦، ٦٧).

وقد يجري في خاطر المتلقي أن يسأل: ما المراد بالعبودية في القول الكريم: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾. ويتضح هنا أن العبودية لله نوعان:

(أ) عبودية لربوبيته: فهذه يشترك فيها سائر الخلق، مسلمهم وكافرهم، برهم وفاجرهم، فكلهم عبيد الله مربوبون، مدبرون ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا﴾ [مريم: ٩٣].

(ب) عبودية لألوهيته: وعبادته ورحمته، وهي: «عبودية أنبيائه، وأوليائه، وهي المراد هنا، ولهذا أضافها إلى اسمه ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ إشارة إلى أنهم إنما وصلوا إلى هذه الحال بسبب رحمته، فذكر أن صفاتهم أكمل الصفات، ونعوتهم أفضل النعوت، فوصفهم بأنهم ﴿يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾، أي ساكنين متواضعين لله، وللخلق، فهذا وصف لهم بالوقار والسكينة والتواضع له ولعباده»[1].

وقد تضمنت العبودية صفات بينتها صلة الموصول، والواقع صفة للفظ ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾.

وأول هذه الصفات: (المشي على الأرض هوناً).

المراد بالمشي: تصرفاتهم في معاشرة الناس بالحسنى، متواضعين غير أشرين ولا مرحين ولا متكبرين[2]؛ بل مشياً رويداً فيه السكينة والوقار[3]، وهو المشي الذي ليس فيه ضرب بالأقدام، وخفق بالنعال، فهو مخالف لمشي المتجبرين

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (٢٠١/٢).

(٢) ينظر: معالم التنزيل (٢٤٦/٤).

(٣) ينظر: التبيان في تفسر غريب القرآن (ص ٣١٧).

المعجبين بنفوسهم وقوتهم، وهو دليل على التواضع لله ﷻ، والتخلق بآداب الإسلام، وزوال بطر الجاهلية[(١)].

والهوْن: صفة لمصدر محذوف للفعل ﴿يَمْشُونَ﴾، وتقديره (مشياً هيناً)، والتعبير بالمصدر موضع الصفة للمبالغة في تأدبهم أثناء المشي[(٢)].

وقيل: إن (الهوْن) هو تذلل الإنسان في نفسه لما لا يلحق به غضاضة؛ فيمدح به[(٣)]، لما فيه من الرفق واللين[(٤)]، وقيل: إنه أراد به مشياً رويداً[(٥)].

وخالف ابن عطية هذا الرأي حيث رأى أن (الهوْن) ليس وصفاً للمصدر، ولا للمؤمن؛ بل هو وصف لأخلاق المؤمن، بحيث تتناسب مع مشيه، وذلك حيث قال: «إن هوناً مرتبط بقوله: يمشون على الأرض، أي المشي هو هون، ويشْبه أن يتأول هذا على أن تكون أخلاق ذلك الماشي هوناً مناسبة لمشيه، فيرجع القول إلى نحو ما بيناه، وإما أن يكون المراد صفة المشي وحده فباطل؛ لأنه ربَّ ماشٍ هوناً رويداً، وهو ذئيب أطلس[(٦)]، وقد كان رسول الله ﷺ يتكفأ في مشيه كأنما يمشي في صببٍ، وهو ﷺ الصدر في هذه الآية، وقوله

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير (٩/١٩/٦٨).

(٢) ونصب نيابة عن المفعول المطلق. ينظر: الكشاف (٣/٢٨٣).

(٣) ينظر: المفردات (ص ٥٤٧).

(٤) ينظر: معالم التنزيل (٤/٢٤٦).

(٥) ينظر: تفسير المشكل من غريب القرآن (ص ٣١٧).

(٦) الأطلس من الذئاب هو الذي تساقط شعره، وهو أخبث ما يكون. ينظر: لسان العرب، (٦/ ١٢٤)، (باب السين، فصل الطاء)، ونظم الدرر (١٣/ ٤٢٠).

ﷺ: (من مشى منكم في طمع فليمش رويداً)[1] رويداً، إنما أراد في عقد نفسه ولم يرد المشي وحده»[2].

وتقييد المشي بأنه «على الأرض تذكيراً بما هم منه، وما يصيرون إليه حثاً على السعي في معالي الأخلاق للترقي»[3].

الثانية: مقابلة الإساءة بالإحسان: وذلك ما يبينه قوله - تعالى -: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَـٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَـٰمًا﴾.

وفي قوله - تعالى -: ﴿سَلَـٰمًا﴾ تذكير لهم بصفةٍ من صفات الجاهلية، وهي السفه والطيش التي استبدلت بقولهم ﴿سَلَـٰمًا﴾[4]، وهو مفعول مطلق يصح في معناه وجهان:

الأول: أن يكون مصدراً بمعنى السلامة من كل سوء، وليس المراد التحية، أي: لا خير بيننا ولا شر، فهذه الآية مكية، ولم يؤمر المسلمون بالسلام على الكافرين[5].

---

(١) أورده الذهبي في ميزان الاعتدال وابن حجر في لسان الميزان (١/ ٦١)، في ترجمة إبراهيم ابن زياد العجلي، وعلق عليه: "قال الأزدي متروك الحديث، ومن مناكيره ثنا أبو بكر بن عياش عن عاصم عن زر عن عبد الله ﷺ عن النبي ﷺ: قال: **(من مشى منكم إلى طمع فليمش رويداً)**. انتهى قال ابن أبي حاتم: سألت أبي عنه فقال: مجهول. والحديث الذي يرويه منكر.

(٢) المحرر الوجيز (١٢/ ٣٧).

(٣) نظم الدرر (١٣/ ٤٢٠).

(٤) ينظر: معالم التنزيل (٤/ ٢٤٧).

(٥) ينظر: نظم الدرر (١٣/ ٤٢١).

الثاني: أن يكون مراداً به لفظ التحية، فيكون مستعملاً في لازمه، وهو المتاركة، أي: عدم الإهاجة، والتأمين أول ما يلقى به المرء من يريد إكرامه[١].

الثالثة: التهجد، وهو مضمون قوله - تعالى -: ﴿وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا﴾، وقد اقترنت هذه الصفة بإعادة الاسم الموصول ﴿ٱلَّذِينَ﴾ لتأكيد أنهم يعرفون بهذه الصفة[٢].

وصيغة المضارع. ﴿يَبِيتُونَ﴾ هنا تدل على تجدد التهجد واستمراره.

ومعنى البيتوتة: خلاف الظلول، وهو أن يدركك الليل، نمت أم لم تنم[٣].

الإطناب في قوله - تعالى -: ﴿سُجَّدًا وَقِيَٰمًا﴾ تعبير عن الصلاة بركنيها، مع تقديم السجود على القيام: وفي ذلك دلالة على منتهى الخضوع لله ﷻ، وهو الذي أباه المشركون، ثم أتبعه ما هو تلوه في المشقة، فيخلص الفعلان للصلاة، مع الإشارة إلى الاهتمام بالسجود، وهو ما أشار إليه النبي ﷺ بقوله: **(أقرب ما يكون لعبد من ربه وهو ساجد، فأكثروا الدعاء)**[٤]، أو أنه قدم لمراعاة الفاصلة[٥]،

---

(١) ينظر: الكشاف (٣/٢٨٣)، والتحرير والتنوير (٩/١٩/ ٧٠).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير (٩/١٩/٧٠).

(٣) ينظر: معالم التنزيل (٤/ ٢٤٧)، والكشاف (٣/٢٨٤).

(٤) صحيح مسلم (ص ٢٥٠) رقم (٤٨٢)، كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود.

(٥) ينظر: نظم الدرر (١٣/ ٤٢٢).

وجاء في التفسير: «أن من قرأ شيئاً من القرآن في صلاةٍ - وإن قلت - فقد بات ساجداً قائماً، وذكروا أنهما الركعتان بعد المغرب، وبعد العشاء ركعتان»[1].

الثالثة: التضرع إلى الله بالدعاء بصرف العذاب عنهم. **في قوله تعالى:** ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ [الفرقان: ٦٥-٦٦].

حيث وصفهم بإحياء الليل ساجدين قائمين، عقبه بذكر دعائهم، وهو دليل على شدة خوفهم من عذاب جهنم، وهو ما عبَّر عنه بالصَّرف[2].

والصرف: هو ردُّ الشيء من حالة إلى أخرى، أو إبداله بغيره، يقال: صرفته فانصرف[3].

والغراماً: ما ينوب الإنسان من شدة ومصيبة[4].

الرابعة: الدعاء بصلاح الأزواج والذرية، وإمامة المتقين، وهو ما نجده في قوله - تعالى -: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤].

وفي هذا الدعاء ما ينم عن الرغبة إليه - تعالى - في سعادة الدنيا بصلاح الأسرة؛ حيث صلاح الأزواج والأبناء من أعظم ما يتطلع إليه المرء في حياته، ويعظم الجزاء في الآخرة؛ فإن إمامة المتقين تستدعي الجزاء الأوفى.

---

(١) معاني القرآن للفراء (٢/٢٧٢).

(٢) ينظر: الكشاف (٣/٢٨٤).

(٣) ينظر: المفردات (ص ٢٧٩).

(٤) ينظر: المفردات (ص ٣٦٠)، والتبيان في تفسير غريب القرآن (ص ٣١٧)، وتفسير المشكل من غريب القرآن (ص ١٧٣).

وعلى هذا يحتمل في ﴿مِنْ﴾ أن تكون بيانية، كأنه: «قيل: هب لنا قُرَّة أعينٍ، ثم بُيِّنت القُرَّة وفُسِّرت بقوله: من أزواجنا وذرياتنا (...)، وهو من قولهم: رأيت منك أسداً، أي: أنت أسد، أو أن تكون ابتدائية على معنى: : هب لنا من جهتهم ما تقر به عيوننا من طاعة وصلاح»[١].

والتعبير بجمع القلة ﴿أَعْيُنٍ﴾ ؛ لأن المتقين الذين يفعلون الطاعات قليل بجنب العاصين، فناسبه التعبير به[٢].

ودعاء المؤمنين لأزواجهم وذرياتهم بأن يكونوا ﴿قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ مشتق من القرور، وهو الماء البارد، ومعنى قولهم: أقرَّ الله عينك، أبرد الله دمعتك ؛ لأن دمعة السرور باردة، ودمعة الحزن حارة[٣].

الصفة الخامسة: الاعتدال في الإنفاق، وهو ما نراه في قوله - تعالى -: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: ٦٧]، ومن الملحوظ أن الإبانة عن هذه الصفة **كُني** عنها بنفي الإسراف والإقتار، ثم عُبِّر عنها بالوسطية بينهما حيث قال - عز من قائل -: ﴿وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾، أي: وسطاً بين الإسراف والإقتار، **وتعدد الكناية** عن المعنى الواحد لقصد تمام الوضوح، وللترغيب في تلك الوسطية.

---

(١) الكشاف (٣/٢٨٨)، وينظر: نظم الدرر (١٣/٤٣٤).

(٢) ينظر: ذات المصدرين والموضعين.

(٣) ينظر: المفردات (ص ٣٩٨).

وقد قيل في بيان معنى الآية أن: «من أنفق في غير طاعة الله - تعالى - فهو الإسراف، ومن أمسك عن طاعة الله فهو الإقتار، ومن أنفق في طاعة الله فهو القوام»[١].

وقيل: غير الواجب من النفقة، ومنه النفقة على أهل البيت والأصحاب، وغيرها من النفقات، فإن الإسراف فيها مذموم، وأما الإنفاق الواجب فإنه لا يذم الإسراف فيه؛ لأنه من فعل الطاعات، والمقصود هنا: النفقة غير الواجبة، كما يُشعر به المعنى في قوله - تعالى -: ﴿إِذَآ أَنفَقُوا﴾ أنهم مخيرون فيه[٢]، وهذا هو الأوفق والأنسب لدلالة اللغة.

وبالتأمل في الصفات الخمس السابقة، يتبين أنها مجتمعة في طلب الخير للمؤمن، وجلب الخير أول ما يسعى إليه المرء، كما يشهد لذلك واقع السلوك الإنساني، وقد أردف القرآن الكريم هذه الصفات بأخرى يجمعها قوله - تعالى -: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴾ [الفرقان: ٦٨-٦٩].

وقوله - تعالى -: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِٱللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴾ [الفرقان: ٧٢-٧٣].

وهي صفات تدور حول محور واحدٍ هو (عدم التعدي على الغير)، وفي المقدمة من ذلك الغير: خالق الكون، وسر وجوده وهو الله - جلَّ وعلا - بأن

---

(١) إعراب القرآن (١٦٨/٣) للنحاس.

(٢) ينظر: الكشاف (٢٨٥/٣)، والتحرير والتنوير (٧١/١٩/٩).

لا يشرك معه غيره في الطاعة، ثم يلي ذلك عدم التعدي على النفس بالقتل، وعدم التعدي على العرض بارتكاب الزنا، ويليها التخلي عن شهادة الزور، ثم إذا كان شيء من حديث اللغو لم ينهمكوا فيه، وفي الختام ترك الإصرار على الإعراض عند التذكير بآيات الله - تعالى -.

وفي تكرار الموصول إشارة إلى الإطار الذي يجمع الصفات المتماثلة الداخلة في حيزه، فالموصول الأول تمثل في ثلاث آيات هي: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ...﴾ إلى قوله: ﴿...غَفُورًا رَّحِيمًا﴾، وقد أشارت الآيتان الأوليان منها إلى أن عباد الرحمن منزهون عنها، فقد جمع الفاحشة مع الشرك وقتل النفس، وجعل جزاء ذلك الخلود في العذاب ضعفاً، ولا ترتفع عن فاعلها عقوبة إلا بموجب التوبة والإيمان والعمل الصالح[1].

وفي عرض هذه الصفات جاء الأسلوب رائعاً غاية الروعة؛ إذ صرح بالنفي بلا في صدر كل صفةٍ، مع التعبير عنها بالمضارع الذي يدل على التجدد الاستمراري، وهي صفات ست، لكن طريقة عرضها لافتة للنظر؛ حيث جمع ثلاثاً منها في إطار صلة الموصول ﴿ٱلَّذِينَ﴾، واثنين في إطار صلة لموصول آخر ﴿وَٱلَّذِينَ﴾؛ والأخيرة انفردت بالصلة وحدها.

الثلاث الأولى، هي: ﴿لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ﴾ والاثنتان الأخريان: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا﴾.

---

(١) ينظر: بدائع التفسير (٣/٣٠٤).

فما السر وراء هذا التوزيع؟ أهو حجم المعصية ومدى بشاعتها، أم شيء آخر يكشف عنه السياق؟.

الذي يبدو لمن يقلب النظر في مضمون الشرك، والقتل، والزنا يلحظ التدرج في بشاعة المعصية بالشرك أعظم الذنوب وأقبحها، ويليه قتل النفس، ثم الزنا، لكن وراء ذلك أمر آخر، وهو التستر في حين ارتكاب هذه المعاصي، والقاتل - غالباً - ما يحاول قتل غريمه متخفياً حتى لا يثبت عليه حد القصاص، وكذلك الزاني حتى لا يعاقب بالجلد أو بالرجم، وقد يستشكل على ذلك بأن المشرك لا يتستر، وهذا الاستشكال يذوب إذا علمنا أن المشرك عند محاجته في شركه يحاول التخلص منه بما يستر قبح جريمته، فيقول: إنني أتخذ من هذا الشرك وسيلة إلى الله - تعالى -، وذلك ما نبه الله ﷻ عليه بقوله حكاية عن أفعال هؤلاء: ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾ [الزمر: ٣].

ويتأكد هذا الملمح، أو هذا السر إذا تأملنا في قوله - تعالى - عقب هذه الصفات: ﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ ﴾؛ فالتوعد بالعقاب المضاعف لا يكون إلا لمن أفلت من إقامة الحد عليه؛ إذ لم يثبت عليه، وإن حامت حوله الشكوك.

أما شهادة الزور، واللغو فإنما يكونان في العلن، وعلى مشهد من الآخرين لا يتورع شاهد الزور عن شهادته علناً، وكذلك من يصدر عنه حديث اللغو، فإنه يفعل ذلك على مسمع ومرأى من الناس.

وعليه، فليس حجم المعصية - وحده - هو السر في هذا التوزيع، وإلا لكان ينبغي أن تُقدم شهادة الزور على القتل، وعلى الزنا، فقد تكون سبباً في أي

منهما، بل ربما دفعت من شهد ضده على الانتقام من الشاهد بقتله لفداحة ما ألحقته به الشهادة من إضاعة حق هو كل قوام حياته من مال، أو مكانة اجتماعية، أو عمل، أو ما إلى ذلك.

بقيت الصفة الأخيرة، وهي الماثلة في قوله - تعالى -: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ..﴾ وقد انفردت هذه الصفة بجملة الصلة؛ لأنها فيما يلوح لي تطوي في ثناياها كل الصفات السابقة عليها، فمن يستجيب للتذكير إذا ذكر بآيات ربه يحرص على الإنصاف بكل تلك الصفات وغيرها.

هذا هو التناول الأسلوبي بعامة، وأعود لتناول الجزئيات فيما يلي:

فقد جاء التعبير بالمضارع في قوله - تعالى -: (﴿لَا يَدۡعُونَ﴾، ﴿وَلَا يَقۡتُلُونَ﴾، ﴿وَلَا يَزۡنُونَ﴾)، وبأداة النفي ﴿لَا﴾ يدل على نفي هذه الأفعال عنهم في حاضرهم وفي المستقبل[1].

والتعبير بقوله - سبحانه -: ﴿مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ بمعنى غير الله: «لكن لما كانوا يتعنتون، حتى أنهم يتعرضون بتعديد الأسماء كما مرَّ في آخر (سبحان والحجر)[2]، قال - تعالى - قطعاً لتعنتهم: (آخر) أي دعاء جلياً

(١) ذلك أن ﴿لَا﴾ إذا دخلت على الفعل، فالغالب أن تكون النافية، وليس العاطفة، وأن الفعل الذي بعدها مضارع، ونصَّ الزمخشري ومعظم المتأخرين على أنها تخلصه للاستقبال، وهو ما ذهب إليه سيبويه. ينظر: الكتاب (١٣٧/٣)، ولكن ذهب الأخفش (لم أجده في معاني الأخفش)، والمبرد، ينظر: المقتضب (٤٧/١)، وابن مالك، ينظر: شرح التسهيل (١٨/١، ١٩) إلى أن ذلك غير لازم، بل قد يكون المنفي به الحال. ينظر الجنى الداني (ص ٢٩٦).

(٢) أي سورتا (الإسراء، والحجر).

بالعبادة لـه، ولا خفياً بالرياء، فيكونون كمن أُرسلت عليهم الشياطين فأزتهم أزاً»[١]، ولقد جاء قوله - تعالى -: ﴿ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾ بياناً لقانون البشرية الذي وُضع منذ بَدء الخليقة، والذي يحرم قتل النفس إلاّ بسببٍ شرعي محافظة على بقاء ذرية آدم ﷺ، لذلك عُبِّر بلفظ الجلالة ﴿ٱللَّهُ﴾ بياناً لعظم حرمة هذا الإنسان، وبياناً لأهمية الشرط في قوله - تعالى -: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا...﴾[٢].

وبناء الفعل لما لم يُسمّ فاعله قوله - سبحانه -: ﴿يُضَٰعَفْ﴾ دليل على تنوع العذاب والمعذبين، كل بحسب ذنبه، فالمشرك يختلف عذابه عن قاتل النفس، وهذا تختلف عقوبته عن غيره.

ومعنى مضاعفة العذاب: أن يُعاقب المشرك على شركه، وعلى المعاصي جميعاً، فتضاعف العقوبة[٣].

تقديم التوبة على الإيمان في قوله - تعالى -: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ المراد بالتوبة هنا الإيمان بالله - تعالى - بعد الشرك؛ لأن ﴿مَن تَابَ﴾ مستثنى من ﴿مَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾، فتعين أن السيئات المضافة إليهم هي السيئات التي تقدم ذكرها، والواقعة منهم زمن الشرك[٤]. لذلك ذُكر المفعول به ﴿وَعَمِلَ عَمَلًا﴾.

---

(١) نظم الدرر (١٣/٤٢٥).

(٢) ينظر: نظم الدرر (١٣/٤٢٥)، والتحرير والتنوير (٩/١٩/٧٤، ٧٥).

(٣) ينظر: الكشاف (٣/٢٨٦).

(٤) ينظر: التحرير والتنوير (٩/١٩/٧٦).

الفاصلة في قوله - تعالى -: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾:

بعد الإشارة إليهم باسم الإشارة ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ أنهم التائبون المؤمنون العاملون لصالح الأعمال، فإن منهم من اقترف شيئاً مما سبقت الإشارة إليه من السيئات، كالشرك والقتل، فإن الله - تعالى - يغفر لهم هذه المعاصي، ويبدلها حسنات.

والموصول الثاني تمثل في آية واحدة هي قوله - تعالى -: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا﴾ [الفرقان: ٧٢]، وفيها نفى الله - تعالى - عنهم حضور مجالس الزور، فأثبت لهم حضور غيرها من مجالس الخير، وبذلك يتم وصفهم بصفة كمال الإيمان، حتى إنهم لا يقولون زوراً بأنفسهم، ولا يحضرون مجالسه، وتوَّج ذلك بإعراضهم عن اللغو.

ولقد أشار التعبير بقوله: ﴿إِذَا﴾ الشرطية، فدلت أنهم لا يمرون باللغو إلاّ لماماً إذا اضطروا إلى ذلك.

ومعنى ﴿يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ﴾: مجالس الكذب والمعاصي، وقيل: إنها أعياد المشركين، لما فيها من الكذب والزور؛ لكونها لغير الله - تعالى -. ويحتمل أنهم لا يشهدون شهادة الزور، فحذف المضاف، وأقيم المضاف إليه مقامه[1].

واللغو: أنهم يكنون عند ذكر النكاح، وقيل: هو الباطل من الكلام[2].

وتكرار الفعل ﴿مَرُّواْ﴾: لبناء الحال عليه قوله - تعالى -: ﴿كِرَامًا﴾، وذلك من محاسن الاستعمال[3].

---

(١) ينظر: معاني القرآن (٢/٢٧٤) للفراء، والكشاف (٣/٢٨٧).

(٢) ينظر: الكشاف (٣/٢٨٧)، والتبيان في تفسير غريب القرآن (ص ٣١٨).

(٣) ينظر: التحرير والتنوير (٩/١٩/٧٩).

التوافق بين معاني الصفات المنفية والمثبتة:

لَمّا نفى أنهم ﴿يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ﴾، أثبت تميزهم بطلب علم كتاب الله ﷻ، فقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا۟ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴾ [الفرقان: ٧٣]، جاءت **الاستعارة** في قوله - تعالى -: ﴿لَمْ يَخِرُّوا۟ عَلَيْهَا﴾ لبيان: «شدة الكراهية والتباعد، بحيث إن حالهم عند سماع القرآن كحال الذي يخر إلى الأرض، لئلا يرى ما يكره، بحيث لم يبق له شيء من التقوم والنهوض، فتلك حالة هي غاية في نفي إمكان القبول (...)، ويجوز أن يكون الخرور واقعاً منهم أو من بعضهم حقيقةً؛ لأنهم يكونون جلوساً في مجتمعاتهم ونواديهم، فإذا دعاهم الرسول ﷺ إلى الإسلام، طأطأوا رؤوسهم وقربوها من الأرض، لأن ذلك للقاعد يقوم مقام الفرار أو ستر الوجه»[1].

ويجوز أن يكون توجُّه النفي إلى القيد، كما هو الاستعمال الغالب، فالنفي ليس واقعاً على الخرور: «وإنما هو إثبات له، ونفي للصمم والعمى، كما تقول: لا يلقاني زيد مُسلّماً، هو نفي للسلام لا للقاء، والمعنى: أنهم إذا ذكروا بها أكبوا عليها حرصاً على استماعها، وأقبلوا على المذكر بها، وهم في إكبابهم عليها سامعون بآذان واعية، مبصرون بعيون راعية، لا كالذين يُذكَّرون بها فتراهم مكبِّين عليها مقبلين على ما يُذكّر بها، مظهرين الحرص الشديد على استماعها، وهم كالصم والعميان؛ حيث لا يعونها ولا يتبصرون ما فيها، كالمنافقين وأشباههم»[2].

---

(١) التحرير والتنوير ٩/١٩/٨٠.

(٢) الكشاف (٣/٢٨٧).

فالمعنى: لم يخروا عليها في حالة كالصم والعمى؛ ولكنهم يخرون عليها سامعين مبصرين، وليس حالهم: «كما يفعل المنافقون والكفار في الإقبال عليها سماعاً واعتباراً، والإعراض عنها تغطيةً لما عرفوا من حقيقتها، وستراً لما رأوا من نورها، فعل من لا يسمع ولا يبصر»[١].

وأما فائدة العطف بـ**(الواو)** ذكر العطف بالواو بين هذه الصفات تنبيهاً على أن كلَّ واحدةٍ منها لها أهميتها وعظمتها وأثرها في تحقيقه المآل الحسن[٢].

ومن المعلوم - كذلك - أن صفات المؤمنين تتكرر بصيغ مختلفةٍ لمناسبة المقام الذي جاءت فيه.

ونلاحظ أنه - سبحانه - نفى الزنا عنهم بـ(لا) في قوله - تعالى -: ﴿وَلَا يَزْنُونَ﴾ [الفرقان: ٦٨]، بينما جاءت في سورة (المؤمنون) بصيغة الإثبات في قوله - تعالى -: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَـٰفِظُونَ﴾ [الآية: ٥]، نجد أنه امتدح المؤمنين بالمحافظة على فروجهم، والقيام على ذلك، وتعهده ورعايته، وهو كناية عن العفة[٣]، ولا يخفى ما في وصف المحافظة من الدقة والحرص على ذلك، والابتعاد عن كل مسوغاته، فناسبه بعد ذلك في سورة (النور) ذكر أحكام وعقوبة من لم يحافظ على فرجه، ووصفه بأنه يعد زانياً، وبين ما يتبع

---

(١) نظم الدرر (١٣/٤٣٣).

(٢) ينظر: ذات المصدر (١٣/٤٢٢).

(٣) ينظر: المفردات (ص ١٢٤).

هذه الصنعة من نتائج تأتي على المجتمع المسلم بسلبيات لا تليق به، بعد أن أُنزل عليه القرآن الكريم بتعاليمه السمحة[١].

ولهذا فإنه من المناسب أن يُمتدح المؤمنون في السورة التي تليها (سورة المؤمنون) بنفي الزنا عنهم، فقال ﷻ: ﴿وَلَا يَزْنُونَ﴾ حتى لا يداخل بعض النفوس شك في أن هذه الصفة قد تقع من كل المؤمنين، بل هناك من برَّأهم الله - تعالى - منها، وحفظهم من فعلها، وأعانهم على أنفسهم فحفظوها، ورعوا عهد أمانة الدين، فلذلك امتدحوا بصيغة النفي بـ﴿لَا﴾[٢]؛ دلالة على نفيه مطلقاً، وهي الأداة الدالة على ذلك، وبالمضارع الذي يدل على التجدد والاستمرار بأن هذه الصفة يتجدد عنهم نفيها، ويثبت لهم الوصف بالطهارة منها.

ولا يخفى ما في التوافق بالتعبير بالمضارع بين الصيغتين: (﴿يَزْنُونَ﴾، ﴿يُحَافِظُونَ﴾)، ليصور شدة ارتباط المؤمنين بدينهم، وحسن قيامهم على مداومة أخلاقه.

ولقد وردت صفات المؤمنين مُشِعَّةً بين جنبات الألفاظ الدالة على النفي، يفوح منها عبق أخلاق المؤمنين التي تربت في مدرسة المصطفى ﷺ حيث قال - تعالى -: ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ ۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ ۖ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [النجم: ٣٢].

---

(١) ينظر: تناسق الدرر في تناسب السور (ص ١٠٤).

(٢) ينظر معنى النفي بـ(لا) في الشاهد السابق.

هـذه الآية الكريمة في بيان نوعٍ من المؤمنين وهم المحسنون الذين وصفهم بأنهم يجتنبون كبائر الإثـم والفواحش، فإن ذلك معفو لهم عنه[١]، وهي تقرير: «أنه لا يكـون محسناً مجزياً بإحسانه، ناجياً من عذاب الله - تعالى -، إلا من اجتنب كبائـر الإثـم والفـواحش، فحـسن حينـئذٍ اسـتثناء اللمـم، وإن لم يـدخل في الكبائر، فإنه داخل في جنس الإثم والفواحش»[٢].

والآية مرتبطة بما قبلها في سورة (الطور)، وهي قوله - تعالى -: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَـٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَـٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ۚ كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [الآية: ٢١].

ذلك أن سورة (النجم) شديدة المناسبة لسورة (الطور)؛ التي اختتمت بقوله - تعـالى -: ﴿وَإِدْبَـٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾ [الطـور: ٤٩]؛ افتـتحت سـورة (الـنجم) بقـوله - تعالى -: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ [الآية: ١].

ويتبع ذلـك أن سـورة (الطـور) ذكـر فـيها ذرية المؤمنين، وأنهم تبع لآبائهم، وهـذه فـيها ذكـر ذريـة الـيهود حيث قـال - تعالى -: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ [النجم: ٣٢]، وهذا وجه بديع يُقدَّم بين يدي المناسبة[٣].

وتـرتبط آيـة الـشاهد الكـريمة بما قبلها قولـه - تعالى -: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَـٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى﴾ [النجم: ٣١].

---

(١) ينظر: جامع البيان (٧/ ١٥١، ١٥٢).

(٢) بدائع التفسير (٤/٣٠٣، ٣٠٤).

(٣) ينظر: تناسق الدرر في تناسب السُّور (ص ١١٩).

الآية تبين سعة ملكه - سبحانه -، وأنه مالك هذا الملك، المقتدر على أن يعاقب كلاً بما عمل؛ فيجزي الذين ضلوا عن الطريق المستقيم بعذابي الدنيا والآخرة، أما الذين أحسنوا فثبتوا على دينهم، وصبروا على أعدائهم، فإن الحسنى هي جزاؤهم[١].

ولما بيَّن ما وعد به المحسنين، ناسبه أن يبين أوصافهم، فقال - تعالى -: ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ...﴾ الآية[٢].

صفات المؤمنين بين النفي والإثبات، في قوله - تعالى -: ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ﴾ فقد نفى عنهم كبائر الإثم والفواحش، دون أن يستعمل أدواته المعهودة: مثل (﴿مَا﴾، ﴿لَا﴾، ﴿لَمْ﴾، ﴿لَيْسَ﴾) بل عبَّر بلفظ: ﴿يَجْتَنِبُونَ﴾، فجاء الوصف في حيِّز الصلة ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ﴾ بمعنى يتركون، وإن كان لفظ (الاجتناب) مفاده النفي، إلا أنه يشي بما يجب أن يكون عليه المؤمن، حريصاً حاذقاً في عدم فعل المعاصي، بأن يبتعد عنها، ويتركها من أساسها، فلا يعرض نفسه لمزلقٍ قد لا تستطيع فيه الصمود على قمم الفضيلة، وهو وصف رائع للمؤمنين، يبين جميل نفوسٍ صقلها نور الإيمان، فأصبحت ساطعة متوهجة بحقيقة الإيمان.. فدلّ بهذا الأسلوب أنهم «يكلفون أنفسهم، ويجهدونها على أن يتركوا كبائر الإثم»[٣]، وذلك مدح صريح لهم بتجنب طريق المعاصي، ومدافعة النفس مما يشير أنهم يقصدون الكمال بسيرهم على الطريق المستقيم، ولهذا اعتُبر

---

(١) ينظر: جامع البيان (٧/١٥٠).

(٢) ينظر: نظم الدرر (١٩/٦٧).

(٣) نظم الدرر (١٩/ ٦٧).

الاستثناء في قوله - تعالى -: ﴿إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾ منقطعاً[1]؛ لأن الآية الكريمة بينت أن

---

(١) ينظر: إعراب القرآن (٤/٢٧٥) للنحاس، وجامع البيان (٤/١٥١)، والدر المصون (١٠/١٠٠)، والتحرير والتنوير (١٣/٢٧/١٢١).
وتفصيل قوله: ﴿إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾ أن فيها أوجهاً كالآتي:
١. أن الاستثناء منقطع. ٢. أنه استثناء متصل. ٣. أن ﴿إِلَّا﴾ بمعنى (غير)، وهي صفة.
وبالرجوع للمعاني يتضح لنا الأمر. "فالكبائر من الذنوب: هي الآثام الكبيرة فيما شرع الله، وهي ما شدد الدين على التحذير منه، وذكر له وعيداً...".
"والفواحش: هي الفعلات التي يُعدُّ الذي فعلها متجاوزاً الكبائر، مثل: الزنا، والسرقة، وقتل الغيلة، وغيرها...".
﴿ٱللَّمَمَ﴾: هي الذنوب الصغيرة"، أو "ضرب من المعاصي حذر الدين منها"، فهي "الصغائر".
ينظر: التحرير والتنوير (١٣/١٢١).
وتوجيه هذه الآراء كالتالي:
١. أنه استثناء منقطع، لأسباب:
(أ) لأن الكبائر والمعاصي غير اللمم (الذنوب الصغيرة)، فالكبائر لا تتناول الصغائر.
(ب) لأن الكبائر والمعاصي غير اللمم (المعاصي: الآثام التي ألَمّوا بها في الجاهلية، ثم تاب الله عليهم، وعفا عنها بعد الإسلام).
٢. أنه استثناء متصل، لأسباب:
(أ) لأن الكبائر والمعاصي واللمم كلها (ذنوب) توجب العقاب، فالصغيرة قد يعاقب فاعلها، ولو لم يرتكب كبيرة. وكذلك ﴿ٱللَّمَمَ﴾ قد يلم بها ويفعلها ثم يتوب، فتغفر له.
(ب) لأن الكبائر والمعاصي واللمم كلها (ضرب من الأعمال) التي حذر منها الدين، باختلاف العقاب واختلاف العفو وعدمه.
٣. أن ﴿إِلَّا﴾ صفة بمعنى (غير)، كقوله: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾، وذهب إليه الزمخشري مع بقاء الاستثناء، ويضعفه ما يلي:
- أن هذا الاستثناء ليس بثابت عند سيبويه.
- أن هذا قائم على جعل المضاف إلى المعرف بأل الجنس في حكم النكرة، وفيه جعل (غير)، و(إلا) التي بمعناها تتعرف بالإضافة..، وهذا خلاف المشهور عند الجمهور. والوجه الأول هو المشهور، والذي أيده عدد من العلماء، كالنحاس، والطبري، وغيرهما. ينظر: إعراب القرآن (٤/٢٧٥)، وجامع البيان (٧/١٥١)، وحاشية القونوي (١٨/٢٩٣)، والدر المصون (١٠/ ١٠٠)، والتحرير والتنوير (١٣/١٢١).

﴿ٱللَّمَمَ﴾ معفو عنه ؛ فمن أتى به لا يخرج عن ﴿ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾ في الآية التي قبلها، لذلك يُعَدُّ منقطعاً.

والمعتبر في ذلك هو معنى ﴿ٱللَّمَمَ﴾ الذي هو مقاربة الذنب، ثم الامتناع عنه، ويعبرون به كذلك عن صغائر الذنوب[١].

وللاستثناء المنقطع هنا بلاغة يظهر أثرها في المعنى، من حيث إن ﴿ٱللَّمَمَ﴾ لا يُلحَق فاعله بمرتكب الكبائر والفواحش، ولهذا فوائد، منها: ألا يعامل مرتكبها على شيء منها معاملة أصحاب الكبائر.

ومن فوائده كذلك: إسعاد المسلمين الذين قد يقعون فيها دون إصرارٍ عليها، وتعمد فعلها، ويكون ذلك بمثابة البشارة لهم، وليس ترخيصاً في عملها[٢].

ولهذا أرجح أن يكون الاستثناء منقطعاً ؛ لأن قوله - تعالى -: ﴿إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾ وصف لهم بأنهم بشر قد يَغْشَوْن بعض صغائر الذنوب دون قصد، ولا إقامةٍ عليها، فإنها مغفورة بإذنِ من الله ﷻ، وكذلك فلأنه لما ذكر كبائر الإثم والفواحش، وهما من أعظم ما يقع فيه المؤمن بعد الشرك بالله ﷻ، فناسبه أن يكون المراد باللمم صغائر الذنوب التي يقاربون الوقوع فيها، وأيضاً لأنهم إن وقعوا فيها لم يعاودوها[٣].

---

(١) ينظر: المفردات (ص ٤٥٤)، ونظم الدرر (١٩/ ٦٧).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير (١٣/ ٢٧/ ١٢١، ١٢٢).

(٣) ينظر: معالم التنزيل (٥/ ٢٥٢).

المبحث السابع

الصفات الضمنية

التضمين لغة:

من ضَمِن: «الضاد والميم والنون، أصل صحيح، وهو جعل الشيء في شيءٍ يحيويه، من ذلك قولهم: ضَمَّنْتُ الشيء، إذا جعلته في وعائه، والكفالة تسمى ضماناً من هذا؛ لأنه كأنه إذا ضمنه فقد استوعب ذمته»[1].

وهذا المعنى اللغوي يعبر عنه **البلاغيون باسم الإدماج**، ويعرفونه: «أن يُضَمَّن كلام سيق لمعنى معنى آخر»[2]. ويمثلون له بقول أبي الطيب:

أُقلِّب فيه أجفاني كأني أعُدُّ به على الدَّهرِ الذُّنُوبا[3]

فالشاعر عبر عن طول ليله بسهره، فكما أن ذنوب الدهر لا تفنى، كذلك أجفانه لا تفْترُ.

ولقد كنَّى عن طول سهره وما يقاسيه من آلام السهر في قوله: (أقلب فيه أجفاني)، فالقول بتقليب الأجفان تضمَّن معنى السهر، وقوله: (كأني أَعُدُّ به

---

(١) معجم مقاييس اللغة (٣/٣٧٢)، وينظر لسان العرب (١٣/٢٥٧، ٢٥٨)، (باب النون، فصل الضاد).

(٢) الإيضاح (ص ٣٢٧).

(٣) البيت من البحر الوافر في الديوان (١/١٤٠)، ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح أبي البقاء العكبري، وهو المسمى "بالتبيان في شرح الديوان"، ضبط وشرح: مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ شلبي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر، الطبعة الأخيرة ١٣٩١هـ، وفي معاهد التنصيص أيضاً (٣/١٣٤).

على الدهر الذنوبا)، فهذه كناية عن التشكي، أراد بذلك أن ذنوب الدهر لا تفنى، وحالها هذا مثل حال أجفانه التي لا تفْتُر[١]، وهذه الكناية عن سهره المتواصل غير مُصرَّحٍ بها في البيت[٢]، ولكنها تضمَّنت شكواه، ولقد فهمت من السياق.

ومن أمثلته قول عبيد الله بن طاهر[٣] لعبد الله بن سليمان بن وهب[٤] حين وَزَر للمعتضد:

أبى دهْرُنا إسعافنا في نفوسنا ... وأسعفنا فيمن نحب ونكرم

فقلت له: نُعماك فيهم أتمّها ... ودع أمْرنا إنَّ المهم المقدم[٥]

فأدرك ابن سليمان مراده، وأكرمه، ووصله[٦].

---

(١) ينظر شرح ديوان أبي الطيب المتنبي (١/١٤٠) للعكبري.

(٢) ينظر الإيضاح ، هامش بغية الإيضاح (٤/٦٢) بتحقيق عبد المتعال الصعيدي.

(٣) عبيد الله بن طاهر؛ أبو محمد، أديب وشاعر، كان من خواص المأمون، توفي سنة ٣٠٠هـ، وكان أميراً، ولي الشرطة في خلافة محمد بن عبد الله بن طاهر ببغداد، وكان سيداً، وله من الكتب: كتاب الإشارة في أخبار الشعر، وكتاب رسالته في السياسة الملوكية، وكتاب مراسلاته لعبد الله بن المعتز، وكتاب البراعة والفصاحة. ينظر: الفهرست (ص ١٧٠).

(٤) عبد الله بن سليمان بن وهب، ذكره ابن الأثير في الكامل في التاريخ (٦/ ٢٧٦)، محمد بن محمد بن عبد الواحد الشيباني، تحقيق: أبي الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، عندما خرج مع أبيه الوزير سليمان بن وهب على المعتمد: "فسار الموفق من بغداد إلى سامراء ومعه عبد الله بن سليمان بن وهب، فلما قرب من سامراء تحول المعتمد إلى الجانب الغربي فعسكر به مغاضباً للموفق".

(٥) البيتان من البحر الطويل.

(٦) ينظر: العمدة (٢/٤١)، ومعاهد التنصيص (٣/١٣٦، ١٣٧).

ولقد ورد عن أحمد بن يوسف الكاتب[1] أنه: «دخل على المأمون وفي يده كتاب من عمرو بن مسعدة[2] يردد فيه النظر، فقال: لعلك فكّرت في ترديدي النظر في هذا؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، قال: إني عجبت من بلاغته، واحتياله لمراده، كتبت كتابي إلى أمير المؤمنين أعزه الله، ومَن قِبَلي من قواده وأجناده في الطاعة والانقياد على أحسن ما يكون عليه طاعة جندٍ تأخرت أرزاقهم، واختلت أحوالهم، ألا ترى يا أحمد إدماجه المسألة في الإخبار، وإعفاءه سلطانه من الإكثار؟ ثم أمر لهم برزق ثمانية أشهر»[3]، فأدمج الافتخار في أثناء المدح[4].

أما الدكتور أحمد أبو زيد، فقد عرَّف التضمين بقوله: «ويعبر القرآن أحياناً عن الإيمان والعمل الصالح تعبيراً ضمنياً مجملاً، وذلك باستعمال بعض الكلمات الجوامع، كالتقوى والصبر.

استعمل القرآن لفظ التقوى بمعنى واسع، يدخل في ضمنه الإيمان والعمل الصالح، ولذلك نرى هذا اللفظ يحل محل الإيمان في بعض الآيات، وفي بعضها الآخر محل العمل الصالح. ومما يدل على أن كلمة التقوى تحمل هذا المعنى

---

(١) أحمد بن يوسف الكاتب؛ أبو جعفر الكوفي، كان وزيراً ورئيساً لديوان المأمون، توفي سنة (٢١٣هـ). ينظر: معجم الأدباء (٥/ ٣١٢).

(٢) عمرو بن مسعدة بن سعيد بن صول الكاتب، وكنيته أبو الفضل، من كتّاب المأمون وأحد وزرائه، وبلغاء العباسيين، كان نبيهاً، وبليغاً، وشاعراً جزل العبارة، سديد المقاصد، توفي سنة (٢١٤هـ). ينظر: معجم الأدباء (١٦/ ١٢٧)، ووفيات الأعيان (٣/ ٤٧٥).

(٣) العمدة (٢/ ٤١، ٤٢). وينظر: وفيات الأعيان (٣/ ٤٧٨)، والمنزع البديع (ص٤٦٥، ٤٦٦) للسجلماسي.

(٤) ينظر: معاهد التنصيص على شواهد التلخيص (٣/ ١٣٦).

الواسع في القرآن الكريم، ما نراه في بعض الآيات التي وُصف فيها المتقون، كقوله - تعالى -: ﴿ الٓمٓ ۝ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝ ﴾ [البقرة: ١-٥][1].

فمن خلال فهمنا لهذه الآيات يتضح أن كلمة التقوى كلمة جامعة، وأنها تدل[2] بطريق التضمين، على الإيمان والعمل الصالح؛ فإن جاءت مقرونة إلى كلمة الإيمان فهي بمعنى العمل الصالح، وإن جاءت مع العمل الصالح فهي بمعنى الإيمان»[3].

فقوله: (بطريق التضمين)، ثم استشهاده بآيتي سورة البقرة، يدخل فيها ما جاء على منهج ما عرف في باب الإطناب تحت عنوان الإجمال ثم التفصيل، أي أن ينظر إلى كلمة التقوى، (مثلاً) بمعنى عامٍ مجملٍ يشمل هذه الصفات، ثم تأتي الصفات الأخرى بعدها مبينةً لها، وذلك كما مثل لها في آيات سورة البقرة.

وأرى أن المراد بالصفات الضمنية، هو ما سبق بيان معناه في اللغة، وفي اصطلاح البلاغيين، فهي التي لا يذكر بعدها ما يبينها؛ بل تفهم من الكلام ضمناً.

---

(١) ومثّل أيضاً بآية البقرة (١٧٧) قوله - تعالى -: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ...﴾ الآية.

(٢) سبق بيان التضمين في النفقة في موضوع (الفرق بين صفات المؤمنين في الآيات المكية والمدنية).

(٣) التناسب البياني في القرآن (٨٥، ٨٦).

ومن مزايا هذا الأسلوب:

* مقدرته البالغة في الدلالة على المقصود دون تصريحٍ به، وهو بذلك يحفظ على الإنسان كرامته، وماء وجهه عند الطلب.

* أما ما جاء في آيات صفات المؤمنين؛ فإنه يؤدي إلى إثراء الآيات التي ورد فيها بمعانٍ ثرة فياضة.

والجدير بالذكر أن المصادر والمراجع الحديثة لم أجد فيها شواهد من القرآن الكريم، وإنما تلمَّست بعض الآيات الكريمة التي وجدتها متوافقة مع معنى التضمين الذي نحن بصدد دراسته في هذه الأطروحة.

* ومن الشواهد على آيات صفات المؤمنين ما جاء في قوله - تعالى -: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ ۖ لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠٣].

* وقوله - تعالى -: ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٧٩].

* ومنها ما جاء في قوله - تعالى -: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦].

* وقوله - تعالى -: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ [يونس: ٦٣-٦٤].

* وقوله - تعالى -: ﴿وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ [فصلت: ١٨].

فالملاحظ على هذه الآيات الكريمة أن الإيمان فيها جاء مقترناً بالتقوى، فهي لذلك تعني العمل الصالح المتعارف عليه، والذي ورد مفصلاً في آياتٍ أخرى،

ولهذا فإن العمل الصالح صفة ضمنية لتضمينها في صفة التقوى، وكذلك الشأن عند تأمل صفة التقوى عندما تقترن بالعمل الصالح، فإنها تعني الإيمان، ولذلك أمثلة، منها ما جاء في قوله - تعالى -: ﴿فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأعراف: ٣٥].

* وقوله - تعالى -: ﴿فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ [الأنفال: ١].

* وقوله - تعالى -: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨].

ويمكن القول بعد هذا إن صفة الإيمان هنا صفة ضمنية لتضمينها في التقوى، ومما لوحظ على الآيات التي جاء فيها الصبر مقترناً بالعمل الصالح أنها تعني الإيمان، كما في قوله - تعالى -: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [هود: ١١].

* وقوله - تعالى -: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [لقمان: ٣١]؛ حيث إن الصبر ورد بمعنى الإيمان، فالصبر الذي استحق لأجله المؤمنون الأجر الكبير، بل وامتدح كل صبّار شكور، يدل على أن صفة الصبر صفة زائدة على الإيمان، بل تضمنت الإيمان، وزادت عليه بالصبر؛ لذلك تعتبر صفة الإيمان صفة ضمنية في صفة الصبر.

ومما سبق اتضح أن مجيء التقوى بمعنى العمل الصالح؛ فلأنّ المؤمن جاء بالتقوى التي هي إحدى الأعمال الصالحة، والتي يتحتم على المؤمن القيام بها بعد الإيمان؛ أصبح العمل الصالح صفة ضمنية في صفة التقوى.

وكذلك عندما تقترن التقوى بالصلاح؛ فإن صفة التقوى تتضمن الإيمان كذلك؛ لأن المؤمن لا يوصف بالمتقي إلاّ إذا تقلد الإيمان، لذلك يعتبر الإيمان صفة ضمنية في التقوى. ومما يدل على ذلك بيان ما لهم من الآجر عند الله - تعالى -.

وأيضاً فإن الصبر الذي وُعد أهله بالمغفرة والأجر الكبير، ثم امتُدح المؤمن في الآية الأخرى بكثرة صبره وشكره، وما ذلك إلا لتلبسه بصفة الإيمان التي من دواعيها الصبر؛ فأصبح الصابر متصفاً بالإيمان والصبر، والإيمان أصبح صفة ضمنية لذلك.

ومن شواهد الإدماج ما ورد في قوله - تعالى -: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر: ٩][١].

في الآية الكريمة استئناف مسوق لبيان الفرق بين الفريقين، وبالإضافة إلى ذلك، فإن فيها إدماجاً؛ حيث أدمج بشارة المؤمنين، ونذارة المشركين[٢].

وذلك أن في قوله - تعالى -: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ﴾: «محذوف تقديره: أمن هو قانت كغيره، وإنما حذف لدلالة الكلام عليه، وهو جري ذكر الكافر قبله، وقوله بعده: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾، وقيل معناه: أمن هو قانت أفضل، أمن هو كافر»[٣].

---

(١) سبق شرح هذه الآية، وبيان أسرارها البلاغية في موضوع الجناس. وستختص الدراسة هنا بموضوع الإدماج.

(٢) ينظر: التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم (٣/٤١٤).

(٣) الكشاف (٤/١١٢).

الخاتمــــة

وفيها:

[أ] النتائج.

[ب] التوصيات.



خاتمة البحث

بعد أن قضيت أسعد أوقاتي بين الكتب للبحث عن صفات المؤمنين، واستجلاء ما تيسر من أسرارها البلاغية ، وفقاً لموضوع الدراسة والخطة المرسومة له ؛ فإنه يسرني أن أقدم ما استنبطت من النتائج والتوصيات بعد الدراسة :

النتائج:

* كانت صفة الإيمان أكثر وروداً من غيرها من الصفات ، فقد بلغ عددها (ستاً وسبعين مرة)، وهو ما لم تبلغه صفة أخرى ؛ لأن الإيمان هو الأساس الذي ترتكز عليه كل الصفات. وكان التعبير بالفعل ماضياً في حيز صلة الموصول في (أربعة وثلاثين موضعاً)، (ثمان) مواضع منها مقترنة بـ(إن). وجاء منها الوصف بالإيمان فعلاً مضارعاً في (خمسة عشر موضعاً)، وما ورد بالجملة الاسمية منها معرفاً بـ(أل) في (سبعة عشر) موضعاً.

* أما صفة النفقة، فقد وردت في (أربعة وثلاثين موضعاً)، منها (ست مرات) بالجملة الفعلية، فعلها ماضٍ، وبالفعلية فعلها مضارع في (عشرين موضعاً)، أما التعبير بالجملة الاسمية فقد ورد (مرة واحدة)، وجاء التعبير بالنفقة بأساليب مختلفة (سبع مرات).

* ويلي النفقة في العدد صفة التقوى، فقد وردت في (ستة وعشرين موضعاً)، منها: التعبير بالجملة الفعلية فعلها ماضٍ في (عشرة مواضع)، وبالفعلية فعلها مضارع (مرة واحدة)، وبالجملة الاسمية في (خمسة عشر موضعاً).

* وأما الصلاة فقد وردت صفة للمؤمنين في (ثلاثة وعشرين موضعاً)، عُبِّر عنها بوصف الإقامة، وبالفعل المضارع (ست مرات)، وجاءت (سبع مرات) بالفعل الماضي، أما بالجملة الاسمية ففي (ثلاثة مواضع).

كما ورد التعبير عنها بأساليب مختلفة في (ستة مواضع)، منها (ثلاث مرات) إشادة بمحافظتهم عليها، و(مرة واحدة) بالمداومة عليها، وعُبر عنها أخرى (مرة واحدة)، حيث قال تعالى: ﴿وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾ [الأعلى: ١٥].

وجاء التعبير عن بعض أركان الصلاة في (موضعين).

* أما الصبر فقد تزينت به نفوس المؤمنين في (اثنين وعشرين موضعاً)، (مرة واحدة) بالجملة الفعلية فعلها مضارع، و(ستة مواضع) جاء الفعل ماضياً، وبالاسمية في (خمسة عشر موضعاً).

* وأما الجهاد مورث الجنان، فقد تردد ذكره في (ثمانية عشر موضعاً)، منها (مرة واحدة) بالفعل المضارع في سورة الصف قوله - تعالى -: ﴿وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ...﴾ [الآية ١١]، وبالفعل الماضي جاء في (عشرة مواضع) ورد الجهاد مقترناً بالهجرة في (ستة مواضع) منها، أما التعبير بالجملة الاسمية ففي (ثلاث مرات)، (مرتان) منها اقترن فيها الجهاد بالمال والنفس، و(مرة واحدة) في معرض التفضيل، قال تعالى: ﴿فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ...﴾ الآية. [النساء: ٩٥]، وجاء التعبير بأسلوبٍ آخر، وهو القتل (أربع مرات).

* كما وُصف المهتدون في (سبعة عشر موضعاً)، منها (خمس مرات) بالفعل المضارع، و(أربع مرات) بالفعل الماضي، وأما بالاسم فـ(ثمان مرات).

* لقد ترددت أصداء الموصوفين بالصدق في (اثني عشر موضعاً)، منها (مرة واحدة) بالفعل المضارع، و(خمس مرات) بالفعل الماضي. أما التعبير بالجملة الاسمية ففي (ستة مواضع).

* أما الخشية فقد جاء ذكرها في (أحد عشر موضعاً)، منها (تسع مرات) بالجملة الفعلية فعلها مضارع، وبالفعلية فعلها ماضٍ (مرة واحدة) في قوله - تعالى -: ﴿ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ... ﴾ [يس: ١١]، وكذلك التعبير بالاسم (مرة واحدة)، هي قوله - تعالى -: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴾ [المؤمنون: ٥٧].

* ولما كان الفلاح هو مطلب كل مؤمن، فقد جاءت الإشادة به في (عشرة مواضع)، ورد التعبير في جميعها بالاسم معرفاً بـ(أل)، وكلها تعقيبات على الإيمان بالله، ومجموعة من صفات المؤمنين.

* وتتبعها صفة (الصلاح) في التعبير بالاسم معرفاً بـ(أل) في (أربعة مواضع)، وكلها معرفٌ بـ(أل).

* تفوق عدد صفات الإيمان على كل الصفات؛ وتليها صفة النفقة، بل إنّ البون في ذلك شاسع بينها وبين الصفات الأخرى، فالإنفاق هو المظلة الرئيسة التي تنطوي تحتها أسس الدين الحنيف بعد الإيمان بالله - تعالى -.

* ولقد تلمست الفوائد التي من أجلها كثرت الإشادة بهذه الصفة، فوجدتها متعددة ومتباينة، مما جعل فوائد النفقة في المجتمع المسلم تمتد وتتنامى حتى يعم الخير جميع طبقات المجتمع المسلم، وفي كل أحواله، فقد اتسع نطاقها حتى شملت الوالدين والأقربين.

كما تبين من خلال تلك الآيات أنها حددت أوقات النفقة، وأنها في السرّ ليلاً ونهاراً، أفضل منها في العلن، مما يؤكد حرص الإسلام على سلامة مشاعر المنفق عليهم، ومن جهة أخرى فإن سرية الإنفاق في تزويد الجيوش المسلمة، بما تحتاجه لا يكشف للعدو قوتهم، فيتأهب لها، وأما نفقة العلن فإنها دعوة حث على فعلها وتذكير لمن غفل عنها.

ولأهمية النفقة في شريان الحياة، وعمودها الفقري، فإنهم أصبحوا في ديمومة ينفقونها في السراء والضراء رغبة في إدخال المسرة على قلوب المحتاجين.

* ولقد جاءت هذه الصفات بأسلوب الترغيب والتشويق، وكأن هذه الآيات الكريمة تعالج ما في النفوس من بقايا جاهلية الطبقيّة التي عرفت في العصر الجاهلي، طبقة الأثرياء ذوي المال والجاه، وطبقة الفقراء المعوزين، مما أدى إلى انتشار الربا، وإنَّ كثرة آيات النفقة والدعوة إليها تشير في مجملها إلى قبح الربا، وإلى أثره السيئ في المجتمع، والخلاص منها بتأصل صفة النفقة في نفوس المؤمنين. ومما تجدر الإشارة إليه أن النفقة تُعد من الجهاد في سبيل الله - تعالى - لعظمها ؛ فقد قدمت على الجهاد بالنفس في بعض المواقف.

وإنَّ هذه الملحوظات - فيما يبدو - كانت هي إحدى أسرار كثرة عدد آيات الإنفاق.

* ثم تمضي بقية الصفات تتناقص أعدادها تبعاً للمواقف التي تتطلبها ..

وأما طرائق أدائها فجاءت بطريقين:

(أ) مباشرة على طريق الحقيقة مع تغيير في الصيغة حسب المقام، فما هو معلوم عن أهمية علم البيان والمعاني والبديع في إظهار صفات المؤمنين ؛ ولكن هناك من صفاتهم ما جاء بغير هذا أو ذاك، بل الاعتماد في نظمها جاء على

ترتيب معين فيما بينها حسب ما يقتضيه المقام، وتنضيدها بترابط عجيب، ونسيج متفرد محكم. كما تمت دراسته في موضوع الصفات المثبتة والصفات المنفية في سورة الفرقان.

(ب) عن طريق التصوير البياني من تشبيه واستعارة وغيرها لزيادة الإيضاح والتأكيد.

* وفي هذه الطريقة وتلك، جاء مخاطباً القلوب والعقول للإقناع والتأثير، فكل عناصر التصوير البياني ذات هدف واحد، وكأنها أفنان شجرةٍ واحدةٍ امتدت إلى جهات مختلفة، وهي مع تنوع اتجاهاتها لها طابع واحد؛ فهي تنبثق من أصل واحد معبرةً عن منهج القرآن الكريم في تناول الحقائق والأفكار.

- تنوعت صور البيان وفق مقتضيات الهدف الذي ترمي إلى بيانه، وحسب ما يدعو إليه السياق الذي وردت فيه هذه الصفة أو تلك؛ لتعميق مضمونها، ولبيان أثرها في تحقيق كيان المؤمن، وإبراز شخصيته وتشخيص ملامحه.

- فعلى سبيل المثال عند الحديث عن صفة الإنفاق يختار لفظ التشبيه التمثيلي، حيث صور المؤمن المنفق في سبيل الله ﷻ وما له من جزاء مضاعف بصورة الحبة التي أنبتت سبع سنابل، في كلٍ منها مائة حبة .

- تم اختيار الحبة والسنبلة لوصف أعمال المؤمنين المتنامية المتزايدة يصور مشهد الحبوب وقد تراكمت بعضها فوق بعض، وكأنها جبال من نور تذكرنا بما وعد - سبحانه - من تنامي الصدقة.

- كما أن هذه الأمثلة تتناول صنفاً أساسياً في غذاء البشرية منذ ذلك الحين وإلى يومنا هذا، فهو مثال للنماء والخير، مما يجعل الصورة نابضة بالحيوية لا تحتاج إلى عناء في فهم طبيعتها، وأنَّ أعمال المؤمنين محل تقدير وتعظيم كما هي الحبوب .

- وفي إطلاق لفظة (حبة) دون تعريف يدل على ثراء تلك الحبة من أي موطنٍ كانت ؛ لأن الشعوب مختلفة في نوعية الحبوب المفضلة لديها ، وكذلك الصدقة تُقبل وتتنامى من كل مؤمن في أي مكان.

* وفي تصوير الإقبال على الله ﷻ يؤثر المجاز، الذي يعبر عن المراد بعبارات موجزة، تدعو إلى أفق أرحب نحو ظلال المعاني لدقته في اختيار الألفاظ المناسبة للمعنى المراد، وذلك على النحو التالي :

- اختيار الوجه، وهو من أشرف أعضاء الإنسان ؛ فناسب التعبير به عن الدين في قوله - تعالى - : ﴿أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ﴾ [آل عمران: ٢٠]، وقوله تعالى: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [الأنعام: ٧٩].

- وفي اختيار الوجه للتعبير: فلأنه مجمع الحواس التي هي محل المسؤولية والتكليف، فالسمع والبصر والكلام كلها المسؤولة عن أعمال الإنسان .

- السجود من العبارات التي امتدح بها المؤمنون حتى من غير أمة محمد ﷺ، وصفهم بالسجود للأذقان، وهو أسلوب مجازي قد بين تناهي ذلهم وانكسارهم لله - تعالى - ورغبتهم الأكيدة فيما عند الله ﷻ.

- فما هو معلوم عن علم البديع أنه يؤتى به بعد تمام المعنى، ومع هذا فإنه يؤدي غرضاً لا تؤديه أساليب البلاغة الأخرى ؛ على إيجازه عنها، وهذا التعريف لا يتنافى والبلاغة، فمن قدرة الله — عز وجل — التي اقتدر بها على كل شيء أن طوَّع اللغة والأساليب العربية لإعجاز القرآن الكريم ؛ فجاءت صفات المؤمنين على تمامها وكمالها لا تناقض فيها مع عدم المساس بصحة التراكيب، فأضاف جمال ألفاظ البديع إلى ذلك أريجاً عبقة لا يخفي لإحيائه

العقول والنفوس بما يذهبه عنها من أحمال لتستجيب لذلك الفيض العظيم من المعاني التي يغدقها طباق ألفاظه وجناس كلماته، وتقابل عباراته.

* هذا فيما يتصل بالتصوير، أما ما يتصل بالبناء الأسلوبي، فإن التعبير عن المؤمن المتصف بالصفات المراد تقريرها يؤثر في الغالب الاسم الموصول، أو المعرف بأداة التعريف (أل).

* وعند إيثار الموصول يكون الغرض منه النظر إلى الصلة، وغالباً ما تكون فعلاً، وهذا يشير إلى وصولهم إلى الإيمان بعد أن كان كأن لم يكن، ولهذا شواهد كثيرة في القرآن الكريم، منها ما جاء في قوله - تعالى -: ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَـٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [آل عمران: ٦٨]، فالمقصود بالذين آمنوا هنا: «أي من أمته وغيرهم وإن كانوا في أدنى درجات الإيمان»[١].

* ومن ذلك ما جاء في قوله ﷻ: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ ۖ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ﴾ [محمد: ٢٠] والآية الكريمة إشارة إلى الذين: «ادعوا ذلك بألسنتهم، وفيهم الصادق والمنافق، دالين على صدقهم في إيمانهم بالتحريض على طلب الخير بتجدد الوحي الذي هو الروح الحقيقي»[٢].

* ومنها ما جاء في قوله - تعالى -: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الحديد: ١٦]، وأراد بالذين آمنوا: «أي أقروا بالإيمان بألسنتهم صدقاً أو كذباً ﴿أَن تَخْشَعَ﴾ أي أن يكون لهم رتبه عالية في الإيمان بأن تلين وتسكن وتخضع وتذل»[٣].

---

(١) نظم الدرر (٤/٤٥٤).

(٢) المصدر ذاته (١٨/٢٣٦).

(٣) المصدر ذاته (١٩/٢٧٨).

* وكما ورد في قوله - تعالى -: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ [براءة: ٢٠]، والمراد بالذين آمنوا في هذا المقام كما يقول البقاعي: «أي أوقعوا هذا الفعل وهو إيمان المخاطب من أنْ يكذبوه بشيء مما يخبر به عن الله»[1]، فإن وصفهم بالإيمان وإن كان في حيز الصلة؛ فإنه دل على ترقيهم إلى درجاتٍ أعلى عند الله - تعالى -، وذلك لأنه عطف على إيمانهم أعظم الأوصاف وهي الهجرة والجهاد بالأموال والأنفس.

* ومما يدعم هذه النتيجة، ويدعو إلى الأخذ بها ما جاء في قوله - تعالى -: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمْ ۚ وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧٤، ٧٥]، وفي ذلك يقول البقاعي: «ولما حصر المؤمنين في الموصوفين؛ بين أن من ترك ما هو عليه من لزوم دار الفكر، والقعود عن الجهاد، لحق بمطلق درجتهم، وإن كانوا فيها أعلى فئة فقال: (...) ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾، ولما كانوا قد تأخروا عن دعوة النبي ﷺ مدة أدخل الجار فقال: ﴿مِنۢ بَعْدُ﴾، أي من بعد تأخر إيمانهم عن السابقين»[2].

* ومن بلاغة آياته المباركة التي جاء التعبير فيها بالاسم الموصول: أن يكون الفعل الواقع صلة غير متعدٍ بحرف الجر في كل آية، وفي هذا أسرار من البلاغة، منها ما جاء في سورة (براءة) قوله - تعالى -: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي

---

(١) نظم الدرر (٤١٧/٨).

(٢) المصدر ذاته (٣٤٨/٨).

﴿سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: ٢٠]، فإنَّ المراد من ذلك هو: «قصر الفعل، وهو في الأصل متعدٍ ليفيد أنه لا إيمان غير هذا، وإن وجد غيره فهو عدم بالنسبة إليه، وكذا كل فعل قَصر على هذا المنوال ليشار به إلى أنه لعظم نفعه لا فُعل من جنسه غيره»[1].

وكذلك ما جاء في قوله - تعالى -: ﴿وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ﴾ [براءة: ٦١]، فقد ذكر البقاعي أنه: «لما بيَّن أن تصديقه ظاهراً وباطناً إنما هو للراسخين في الإيمان؛ بيَّن أن تصديقه لغيرهم إنما هو في الظاهر؛ فقال: ﴿وَرَحْمَةٌ﴾، أي وهو رحمة ﴿لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾، أي أظهروا الإيمان بألسنتهم منكم، فهو (...) إشارة إلى المنافقين، ومنْ في حكمهم ممن جزم لسانه، وقلبه مزلزل، أي أنَّ إظهار تصديقهم قبولاً لما ظهر منهم، وستْر قبائح أسرارهم سبب للكف عن دمائهم»[2].

- فهاتان الآيتان دليل على أنَّ التعبير بالاسم الموصول وبفعل الإيمان دون تعدية بحرفٍ له في موضعه سر وبلاغة تناسب السياق الذي جاءت فيه.

* وبجانب الوصف بالذين آمنوا، نجد الوصف معرفاً بأداة التعريف (أل) في قوله - تعالى -: ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ۗ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٦٨]، فأراد من التعريف بالمؤمنين في الآية الكريمة: «ليعم الأنبياء كلهم وأتباعهم من كل فرقة، ويعلم أنَّ الوصف الموجب للتقريب العراقة في الإيمان ترغيباً لمن لم يبلغه في بلوغه»[3].

---

(١) نظم الدرر (٨ / ٤١٧).

(٢) المصدر ذاته (٨ / ٥١٠).

(٣) المصدر ذاته (٤/ ٤٥٤).

* وكما ورد في قوله – تعالى -: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾ [آل عمران: ١٧٩] أراد بالمؤمنين في هذه: «الثابتين في وصف الإيمان»[1].

- ومنها ما جاء في قوله – تعالى -: ﴿وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [براءة: ٦١]، والمراد أنه يعني: «الراسخين بوقع الإيمان لهم من التكذيب بأن يصدقهم في كل ما يخبرونه به مما يحتمل التصديق»[2]، فدل على المراد بالإيمان كماله الذي به يكون التفاوت في المنازل والرتب، لذلك جاء وصفهم بقوله سبحانه: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾ [الحجرات: ١٥].

* فالوصف بالإيمان معرفاً بـ(أل) يشير إلى أن صاحبه قد حاز الأوصاف الواردة في الآية الكريمة كلها، وهي الإيمان بالله - تعالى - وبرسوله ﷺ بصدق وإخلاص، كما دل على ذلك تعدي فعل الإيمان بالباء، ثم صفة أخرى وهي ثباتهم على ذلك، فهذا شرط أساس الدين، ولقد كمَّلوا دينهم، وصدَّقوا بأعمال العبادات المختلفة كالجهاد ... إلخ، وهو ما عبرَّ عنه البقاعي بقوله: «أي العريقون في الإيمان الذي هو حياة القلوب»[3]. ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾: «أي صدقوا معترفين ﴿بِٱللَّهِ﴾ معتقدين جميع ما له من صفات الكمال»[4].

* ولكنَّ السيوطي يرى أنه لا بأس من تبادل التعبير بأحد الوصفين ﴿ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾، أو ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾، فكل وصف يقوم مقام الآخر، بل وعَدَّ أنَّ

---

(١) نظم الدرر (٥/ ١٣٥).

(٢) المصدر ذاته (٨/ ٥٠٩).

(٣) المصدر ذاته (١٨/ ٣٨٨).

(٤) المصدر ذاته (١٨/ ٣٨٩).

الوصف بالذين آمنوا من باب الإطناب، إذ كان يقوم مقامه ﴿ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾، يقول في ذلك: «وفيها الإطناب في موضعين: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾، ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾؛ إذ كان يقوم مقامهما (﴿ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾، ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ﴾)»[1].

* وننتهي من ذلك: أنه إذا عُرِّف الاسم بـ(أل) كان الغرض حقيقة الإيمان التي استقرت في نفوسهم، بغض النظر عن حدوثها بعد عدم، أي أن الموصول منظور فيه إلى الصلة التي تدل على حدوث الإيمان بعد أن لم يكن، والاسم يدل على حقيقة الإيمان باعتبارها أمراً مستقراً لا نظر فيها إلى الحدوث بعد العدم، والفعل يدل على حدوثه وقتاً بعد آخر.

- كما يدل التعبير بالاسم - كذلك - على وصول المؤمنين إلى مراتب كمال الإيمان.

* لا يمكن أن تحيط آية أو آيتان أو أكثر بصفات المؤمنين كاملة، وإنما تذكر صفات المؤمنين عند الحديث عنهم في سورةٍ ما على حسب ما تتطلبه السورة وموضوعها.

* هذا فيما يتصل بالتعبير القرآني؛ سواء أكان بالتصوير، أو بالبناء الأسلوبي، فإذا توجه النظر إلى الصفات ففيها نتبين ما يلي:

- أن القرآن الكريم في حديثه عن صفات المؤمنين لم يذكرها على سبيل الحصر، فهناك صفات أخرى لم تُذكر منفردة، وإن كانت ذات شأن في أوصاف

---

(١) فتح الجليل للعبد الذليل (ص ٢٦)، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق وتعليق وشرح: عبد القادر أحمد عبد القادر، دار البشير للنشر والتوزيع.

المؤمنين، والتي منها صفة الحياء، فقد جاءت مرة واحدة في سورة (القصص: ٢٥) صفة للمرأة المسلمة، ولم تأت صفة للرجل، بل ذكرها النبي ﷺ في قوله: **(الإيمان بضع وستون شعبة والحياء شعبة من الإيمان)**[١].

- ومن الصفات التي وردت في الحديث النبوي قوله ﷺ: **(من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذي جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليسكت)**[٢]. وغيرها الكثير من الصفات التي تكمل المؤمنين وتجملهم بخير الصفات.

ويستنتج من هذا أن كل ما يرضي الله - تعالى - ويرضي رسوله ﷺ، فهو داخل في مسمى الإيمان، وفي صفات المؤمنين، ولهذا يمكن القول، إنه لا يمكن الحصر العددي لهذه الصفات، لا في القرآن الكريم، ولا في الحديث النبوي الشريف. وأن بعض الصفات عُبر عنها بلفظ المحسنين أو بالصالحين أخرى وبأولي الألباب في موضع آخر، وذلك حسب المقام الذي وردت فيه.

* أن هناك نوعاً من المتشابه اللفظي، اختصت به صفات المؤمنين، ولم ترد الإشارة إليه في الكتب المتخصصة بذلك، ذلك أن بعض صفات المؤمنين جاءت متشابهة في مجموعها إلاّ في واحدة أو اثنتين يقع الاختلاف فيها، وهي قوله

---

(١) الحديث في صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب أمور الإيمان (ص ٢٦)، رقم الحديث (٩)، ولفظ مسلم (بضع وسبعون)، كتاب الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان (..) (ص ٣٩)، رقم الحديث (٣٥).

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الحث على إكرام الجار والضيف ولزوم الصمت وكون ذلك كله من الإيمان (ص ٤٣)، رقم الحديث (٤٧).

- تعالى -: ﴿ طسٓ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ۝ هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ [النمل: ١- ٣]، وقوله - تعالى -: ﴿ الٓمٓ ۝ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ۝ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ۝ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝ أُولَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [لقمان: ١ - ٥]، وقوله - تعالى -: ﴿ الٓمٓ ۝ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝ أُولَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [البقرة: ١ - ٥].

* أن بعض الصفات جاءت متضمنة، ولم تفرد بالدراسة والبحث الشامل، المدعم بالشواهد والأدلة القرآنية إلاَّ بعض التعريفات بأمثلة تكررت بذاتها في ثنايا صحف بعض المؤلفات، لذلك كان العمل فيه غير ميسرٍ، وخاصة أنني مقيدة بآيات صفات المؤمنين.

* في موضوع الخبر وأنواعه، نوع يسمى تنزيل المنكر منزلة غير المنكر، ولم أجد له شواهد في صفات المؤمنين، لأنه من الموضوعات التي لا تناسب صفات المؤمنين. فلا منكر بينهم، وإلاَّ انتفت عنهم صفة كمال الإيمان، وكذلك في موضوع تأكيد الذم بما يشبه المدح.

* أن صفات المؤمنين التي وردت في القرآن الكريم ليست مقصورة على من آمن بالرسول محمد ﷺ، بل تتجاوزهم إلى كل من وقر الإيمان في قلبه، ومن ثم ورد الحديث عن المؤمنين من الأمم الأخرى، وعن الفتية الذين آمنوا، وعن رجل (يس)، ورجل موسى عليه السلام. وهي قصص الإيمان المتفرد،

ومنها قصص المؤمنات - المتفردة - كامرأة فرعون، وعن الجن وغيره مما بينت في هذه الدراسة.

* أن هناك فرقاً بين الصفات التي وردت في السور المكية، والصفات التي وردت في السور المدنية، فالمكية يغلب عليها الإشادة بتمسكهم بالإيمان، والإشادة برغبتهم في النفقة، أما الصفات في الآيات المدنية، فإنها تمثلت فيها صفات المؤمنين وتكاملت، وامتدت حتى تناولت أهم صفاتهم الاجتماعية، والتي تدل على ارتقاء المجتمع المسلم آنذاك، وأنه أصبح على قدر كبير في اختيار خليفتهم وفق شروط الدين الجديد، متمسكين بمبدأ الشورى الذي علمهم رسولهم الكريم ﷺ.

* ومن خصائص الآيات المدنية طول آياتها، والإطناب بالتعبير عن المعاني الإسلامية، ثم أوصاف المؤمنين وتقييدها في بعض الآيات بقيود تناسب المراد؛ لأنها آيات تقرر صفات المؤمنين التي تحلوا بها بعد الإيمان، ومن أظهرها الدعاء إلى الله تعالى والتوسل إليه بخضوع وذل يناسبان كمال الإيمان، وذلك أدى إلى ميل الجرس الصوتي إلى الهمس، فلم يكن عالي النبرة، كالذي وجدناه في الآيات المكية، وكذلك نعومة الفواصل، وانسيابها في هدوء دون نظائرها المكية.

* تميزت الآيات المدنية بتصوير مشاهد بين الرسول ﷺ وبين أصحابه رضوان الله عليهم في كثير من المواقف والتي منها:

(أ) موقف الصحابة الكرام عندما أنزلت آيات خواتيم سورة البقرة بما لا يطيقون.

(ب) ما جاء في قصة صلح الحديبية، حيث الأمر بالعودة إلى المدينة، والرجوع مرة ثانية إلى مكة في العام القادم، وما حصل أثناءها من محاورات ومشاورات انتهت بإذعان المؤمنين لأمر الله - عز وجل -، ولأمر رسوله ﷺ.

* في موضوع الطول والقِصر، ليس المقصود بالقِصَر هنا ما جاء ضمن إيجاز حذف، وإيجاز قِصر، وإنما هو من نوعٍ آخر، حيث طول بعض الآيات لمجيء صفات المؤمنين متعددة متنوعة، وفي سورة أخرى جاءت مختصرة بعضها على بعض، ولقد تمت دراسة هذا النوع، وتبين أن لكلٍ من الطول والقصر أسبابه ودواعيه.

* كما وردت المقابلة بين صفات المؤمنين وبين صفات المنافقين، من ذلك ما ورد في قوله - تعالى -: ﴿أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ۝ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ۝ وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ...﴾ [الرعد: ١٩-٢٢]، فذكر للمنافقين صفات، ولم يقابلها بكل صفات المؤمنين؛ فدل على قطع الرجاء منهم، وعلى خيبة آمالهم، وسوء فعالهم وأقوالهم، والتي تضمنت الكثير من أوصافهم.

* أن بعض صفات المؤمنين جاءت بعبارات مختلفة لتدل على ذات الصفة:

منها مجيء الإيمان بالله ﷻ وبرسوله ﷺ بمعنى: (قالوا ربنا الله)، ومن ذلك ما جاء في قوله - تعالى -: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ ...﴾ [فصلت: ٣٠]، ومنها قوله - تعالى -: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأحقاف: ١٣].

* ومن تلك الصفات التي امتدحهم بها: الصلاة، فقد ورد التعبير ببعض أجزائها، كما قوله - تعالى -: ﴿وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا﴾ [الفرقان: ٦٤]، ومنها قوله ﷻ: ﴿ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ﴾ [التوبة: ١١٢].

* أما صفة النفقة، فقد وردت بمعنى الجهاد بالأموال، كما قال - تعالى -: ﴿وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾ [النساء: ٩٥]، وقوله ﷻ: ﴿لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ جَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ...﴾ [التوبة: ٨٨].

* ومن صفات المؤمنين العظيمة الجهاد في سبيل الله - تعالى -، فقد وردت هذه الصفة بمعنى القتل في سبيل الله في (أربعة مواضع)، حيث يقول - تعالى -: وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ ...﴾ [البقرة: ١٥٤]، وقوله ﷻ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًا ...﴾ [آل عمران: ١٦٩]، وما ورد في آية الحج قوله ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓا۟ أَوْ مَاتُوا۟...﴾ [الآية: ٥٨]، وكذلك صفة الجهاد معبراً عنها بالقتل في قوله - عز من قائل -: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا﴾ [الصف: ٤].

* ومن الصفات التي امتدح بها المؤمنون (رجال) في (خمسة مواضع) من القرآن الكريم: سورة (الأعراف: ٤٦)، (التوبة: ١٠٨)، (الأحزاب: ٢٣)، (الفتح: ٢٥)، (النور: ٣٧)، فدل بذلك أن صفة (رجل) إنما تدل على كمال هذا الجنس البشري عند إحسانه في القيام بأعمال الإيمان كاملة؛ وعند التحلي بصفات المؤمنين على أتمها.

التوصيات:

أما الاقتراحات التي أرى في طرحها نفعاً من خلال دراسة صفات المؤمنين، فهي:

* أنْ تحظى الدراسة البلاغية في القرآن الكريم والحديث الشريف والتراث العربي شعره ونثره، بالاتجاه إلى دراسة الموضوعات الشاملة، كأسرار تنوع المجازات في صفات المؤمنين، أو تنوع التشبيهات في الوصف بالنفقة، أو التقوى دون غيرها، أو تنوع الوصف بالصيغ المختلفة، مثلاً دراسة لفظ (الصلاة) بمختلف صيغه: الماضي، والمضارع، أو الأمر، من خلال علاقة الآية المباركة بما سبقها من الآيات، وعلاقة الصيغة بالآية، ومنها كذلك التعبير بالاسم الموصول، والمعرف بأل؛ سواء في صفات الكفار، أو المنافقين[1]، أو المؤمنين. وبيان أسرارها البلاغية.

* وكذلك وجدت في دراسة الألفاظ التي تأتي مقيدة في موضع وفي آخر مطلقة نفعاً في استنباط قواعد فقهية مهمة كما في قوله تعالى: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾، النساء: ٩٢].

هذا بالإضافة إلى تلمس وجوه البلاغة من خلال ذلك التقييد والإطلاق.

* أنْ تحظى بعض الموضوعات التي لا تزال بحاجة إلى الدرس البلاغي مثل: الصفات الضمنية للمؤمنين أو للكافرين أو غيرهما كالمنافقين. مدعمة بالشواهد القرآنية والحديث الشريف والأمثلة من تراث الأدب العربي؛ لأن الدراسة البلاغية نهر تغذيه روافد متعددة.

---

(١) من المؤلفات التي وجهت بعض الملحوظات في ذلك الكشاف، وكذلك نظم الدرر للبقاعي.



تحميل كتب و رسائل علمية
قناة عامة
معلومات
t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah
رابط الدعوة
الإشعارات
معطّلة

الفهـــارس

وفيها:



تحميل كتب و رسائل علمية
قناة عامة
معلومات
t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah
رابط الدعوة
الإشعارات
معطّلة

فهرس الآيات القرآنية

الرقم	الآية	رقمها	الصفحة
	سورة الفاتحة		
١	﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾		٤٤٨
٢	﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾		٦٤٠
	سورة البقرة		
٣	﴿ الٓمٓ ۝ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾	٥.١	٣٣٣، ٤٧٥، ٨١٢
٤	﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾	٣.٢	٦٩٤
٥	﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾	٥	٦٤٧
٦	﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾	١١٢	٤٩٣
٧	﴿ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴾	١٥٤	٤٥٢
٨	﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾	١٧٧	٢٧٣

الرقم	الآية	رقمها	الصفحة
٩	﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾	٢٥٦	٦٦٠
١٠	﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾	٢٥٧	٦٦٥
١١	﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾	٢٦٥	٥٨٧
١٢	﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾	٢٧٤.٢٧٣	١٠٧، ٦٩٤
١٣	﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾	٢٧٤	٧٠٤
١٤	﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾	٢٨٦.٢٨٥	٢٨٣

الرقم	الآية	رقمها	الصفحة
سورة آل عمران			
١٥	﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٌ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۗ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾	٧	٣٥٦
١٦	﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾	٧	٤٥٥
١٧	﴿وَإِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصۡطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَٰمَرۡيَمُ ٱقۡنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسۡجُدِى وَٱرۡكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾	٤٣،٤٢	٤٧٧
١٨	﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ وَلَوۡ ءَامَنَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَكَانَ خَيۡرًا لَّهُمۚ مِّنۡهُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾	١١٠	٤٨١، ٥٢١
١٩	﴿إِن تَمۡسَسۡكُمۡ حَسَنَةٌ تَسُؤۡهُمۡ وَإِن تُصِبۡكُمۡ سَيِّئَةٌ يَفۡرَحُواْ بِهَاۖ وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔاۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾ وَإِذۡ غَدَوۡتَ مِنۡ أَهۡلِكَ تُبَوِّئُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلۡقِتَالِۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾ إِذۡ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمۡ أَن تَفۡشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَاۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدۡرٍ وَأَنتُمۡ أَذِلَّةٌۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذۡ تَقُولُ لِلۡمُؤۡمِنِينَ أَلَن يَكۡفِيَكُمۡ أَن يُمِدَّكُمۡ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓۚ إِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأۡتُوكُم مِّن فَوۡرِهِمۡ هَٰذَا يُمۡدِدۡكُمۡ رَبُّكُم بِخَمۡسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ لَكُمۡ وَلِتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦۗ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ﴾	١٢٦،١٢٠	٣٨٣، ٧٨١

الرقم	الآية	رقمها	الصفحة
٢٠	﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۗ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴾	١٢٦	٧٤٥
٢١	﴿ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾	١٣٤.١٣٣	٥٣١
٢٢	﴿ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَـٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ ﴾	١٣٦.١٣٣	٢٣٨
٢٣	﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾	١٣٤	٦٧٤
٢٤	﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِىٍّ قَـٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾	١٤٨.١٤٦	٧٤٠

الرقم	الآية	رقمها	الصفحة
٢٥	﴿ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾	١٤٨	٧٦٦
٢٦	﴿ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَـٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴾	١٩٣	٦٤
سورة النساء			
٢٧	﴿ لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَـٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَـٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَـٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَـٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَـٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَـٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾	٩٦.٩٥	٣١٧
٢٨	﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴾	١٢٢	٣٢٢
٢٩	﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴾	١٢٥.١٢٤	٢٤٦
سورة المائدة			
٣٠	﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ ۙ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾	٩	٨١٥، ٨١٦، ٨١٩
٣١	﴿ وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّـٰهِدِينَ ﴾	٨٣	٧٥١

الرقم	الآية	رقمها	الصفحة
٣٢	﴿ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴾	٨٥،٨٣	٤٩٧، ٦١٦
	سورة الأنعام		
٣٣	﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾	٨٢	٣٤٠، ٤٨٣
	سورة الأعراف		
٣٤	﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِ ۚ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴾	٧٥	٥٦٧
٣٥	﴿ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِ ۚ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴾	٧٥	٥٦٨
٣٦	﴿ قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَا أَن نَّعُودَ فِيهَا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴾	٨٩	٤٠٥، ٥٦٣، ٧٦٩
٣٧	﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾	٩٦	٩١٢
٣٨	﴿ وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴾	١٢٢.١٢٠	٣٢٦

الرقم	الآية	رقمها	الصفحة
٣٩	﴿ قَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ۝ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا ۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴾	١٢٦.١٢٥	٤٠٨
٤٠	﴿ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا ۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴾	١٢٦	٦٧٩
٤١	﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾	١٥٧	٦٨١
٤٢	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾	٢٠١	٣٩٤
	سورة الأنفال		
٤٣	﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ﴾	١	٩١٣
٤٤	﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾	٤.٢	٢٦، ٦١٠
٤٥	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ ۚ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾	٧٢	٨١٩

الرقم	الآية	رقمها	الصفحة
٤٦	﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ مَعَكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنكُمْ ۚ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴾	٧٥،٧٤	٨١٩، ٨٢٦
	سورة التوبة		
٤٧	﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴾	٢٠	٨٢٠
٤٨	﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾	٦٧	٨٠٢
٤٩	﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾	٧١	٨٠٣
٥٠	﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾	٧٢،٧١	٢٦٤
٥١	﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾	١٠٠	٣٦٠

الرقم	الآية	رقمها	الصفحة
٥٢	﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ ﴾	١٠٧	٢٢٠
٥٣	﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝ ٱلتَّـٰٓئِبُونَ ٱلْعَـٰبِدُونَ ٱلْحَـٰمِدُونَ ٱلسَّـٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّـٰجِدُونَ ٱلْـَٔامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَـٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾	١١٢،١١١	٣٦٣، ٥٣٦، ٧٨٢
٥٤	﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَـٰلِحٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾	١٢٠	٢٦٧
	سورة يونس		
٥٥	﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴾	٢٦	٣٢٩
٥٦	﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴾	٦٣،٦٢	٢٤٣
٥٧	﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ۝ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾	٦٤،٦٣	٩١٢
٥٨	﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَـٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَـٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴾	٩٨	٦١٧

الرقم	الآية	رقمها	الصفحة
	سورة الرعد		
٥٩	﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ۝ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ۝ وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴾	٢٢.١٩	١٩٥، ٨٠٦
٦٠	﴿ وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴾	٢٥	٨٠٨
٦١	﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ۝ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴾	٢٩.٢٨	٤١٠، ٥٢٣، ٥٣٦
	سورة إبراهيم		
٦٢	﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ۝ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾	٢٥.٢٤	٥٩٣
	سورة النحل		
٦٣	﴿ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَلَأَجْرُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ۝ ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾	٤٢.٤١	٢٥١
٦٤	﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾	٩٧	٢٩٤
٦٥	﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾	١٢٨	٥١٠

الرقم	الآية	رقمها	الصفحة
	سورة الإسراء		
٦٦	﴿ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ﴾	٢٥	١١٤
٦٧	﴿ قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا (١٠٧) وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا (١٠٨) وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴾	١٠٩.١٠٧	٦٢٦
	سورة الكهف		
٦٨	﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا (٩) إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا (١٠) فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا (١١) ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا (١٢) نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى (١٣) وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا (١٤) هَٰؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾	١٥.٩	٨٤٩
٦٩	﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى (١٣) وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا ﴾	١٤.١٣	٢١٣

الرقم	الآية	رقمها	الصفحة
٧٠	﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا (٣٧) لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا﴾	٣٨،٣٧	٤٣٥
	سورة طه		
٧١	﴿وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ (٧٥) جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ﴾	٧٦،٧٥	٣٠٥
	سورة الأنبياء		
٧٢	﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ﴾	٩٤	٣٤٤
	سورة الحج		
٧٣	﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾	٥	٥٨٧
٧٤	﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ (٣٤) ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾	٣٥،٣٤	١٢٢
٧٥	﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾	٤١	٥٥٢
٧٦	﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾	٥٤	١١٩

الرقم	الآية	رقمها	الصفحة
سورة المؤمنون			
٧٧	﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾	١١.١	١٥٣، ٨٣٥، ٨٣٦
٧٨	﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴾	٣	١٦٢، ١٦٤
٧٩	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ۝ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ۝ وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾	٦٢.٥٧	١٧٧
سورة النور			
٨٠	﴿ ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾	٢٦	٢٥٣
٨١	﴿ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴾	٣٦	٤٥٦

الرقم	الآية	رقمها	الصفحة
٨٢	﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾	٣٦-٣٨	٤٨٤، ٧٠٦
٨٣	﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴾	٣٧	٤٩٧
	سورة الفرقان		
٨٤	﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا ﴾	٦٣	٨٣٨
٨٥	﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا۟ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا أُو۟لَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا قُلْ مَا يَعْبَؤُا۟ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ ۖ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴾	٦٣-٧٧	٨٨٧

الرقم	الآية	رقمها	الصفحة
	سورة السجدة		
٩٤	﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۝ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾	١٦.١٥	٧٨٣
	سورة الأحزاب		
٩٥	﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾	٢١	٥٤١، ٧٠٧
٩٦	﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ۝ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَـٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَـٰنًا وَتَسْلِيمًا ۝ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ۝ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّـٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾	٢٤.٢١	٣٧٢، ٥٢٤، ٧٤٩
٩٧	﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَـٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَـٰنًا وَتَسْلِيمًا ۝ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ۝ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّـٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾	٢٤.٢٢	٧٩٢
٩٨	﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾	٢٣	٧٠٨، ٧٤٦

الرقم	الآية	رقمها	الصفحة
٩٩	﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّـٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾	٢٤،٢٣	٤٣٠
١٠٠	﴿ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴾	٢٣	٧٤٩
١٠١	﴿ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَـٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴾	٣١	٢٥٧
١٠٢	﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَـٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ وَٱلْقَـٰنِتِينَ وَٱلْقَـٰنِتَـٰتِ وَٱلصَّـٰدِقِينَ وَٱلصَّـٰدِقَـٰتِ وَٱلصَّـٰبِرِينَ وَٱلصَّـٰبِرَٰتِ وَٱلْخَـٰشِعِينَ وَٱلْخَـٰشِعَـٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَـٰتِ وَٱلصَّـٰٓئِمِينَ وَٱلصَّـٰٓئِمَـٰتِ وَٱلْحَـٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَـٰفِظَـٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًا مُّبِينًا ﴾	٣٦،٣٥	٢٩٨
١٠٣	﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّـٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّـٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَـٰلَـٰتِكَ ٱلَّـٰتِى هَاجَرْنَ مَعَكَ وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِىِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِىُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۗ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِىٓ أَزْوَٰجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾	٥٠	٣٠٢

الرقم	الآية	رقمها	الصفحة
	سورة فاطر		
١٠٤	﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ مُخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَۗ إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾		٥٣٢
١٠٥	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرۡجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ (٢٩) لِيُوَفِّيَهُمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾	٣٠.٢٩	٥٢٥، ٥٤٥، ٧٧١
١٠٦	﴿ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ (٣٤) ٱلَّذِيٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلۡمُقَامَةِ مِن فَضۡلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴾	٣٥.٣٤	١٩٩، ٢٠٠، ٢٠٢
	سورة يس		
١٠٧	﴿ وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلًا أَصۡحَٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ إِذۡ جَآءَهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ (١٣) إِذۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱثۡنَيۡنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزۡنَا بِثَالِثٖ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيۡكُم مُّرۡسَلُونَ (١٤) قَالُواْ مَآ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَكۡذِبُونَ (١٥) قَالُواْ رَبُّنَا يَعۡلَمُ إِنَّآ إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ (١٦) وَمَا عَلَيۡنَآ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴾	١٧.١٣	٧٣٤
١٠٨	﴿ وَجَآءَ مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ رَجُلٞ يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ (٢٠) ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرٗا وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴾	٢١.٢٠	٥٢٦
١٠٩	﴿ وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ (٢٢) ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرّٖ لَّا تُغۡنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يُنقِذُونِ ﴾	٢٣.٢٢	٥٤١
١١٠	﴿ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرّٖ لَّا تُغۡنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يُنقِذُونِ ﴾	٢٣	٣٩٧
	سورة الصافات		
١١١	﴿ وَلَقَدۡ سَبَقَتۡ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلۡمُرۡسَلِينَ (١٧١) إِنَّهُمۡ لَهُمُ ٱلۡمَنصُورُونَ (١٧٢) وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴾	١٧٣.١٧١	٨٥٧

الرقم	الآية	رقمها	الصفحة
	سورة الزمر		
١١٢	﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْآخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾	٩	٣٠٨، ٤٥٧، ٧٢٥
١١٣	﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾	٢٢-٢٣	١٤١
	سورة غافر		
١١٤	﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ۝ يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ۚ قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴾	٢٨-٢٩	٧٠٩، ٧٩٣
١١٥	﴿ يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ۚ قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴾	٢٩	٥٦٤
	سورة فصلت		
١١٦	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ۝ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْآخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ۝ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴾	٣٠-٣٢	٧٧

الرقم	الآية	رقمها	الصفحة
	سورة الشورى		
١١٧	﴿ يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ لَفِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴾	١٨	٧٦٠
١١٨	﴿ فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴾	٣٩،٣٦	٤٢٠
١١٩	﴿ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾	٣٨	٨٦١
	سورة الأحقاف		
١٢٠	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾	١٤،١٣	٨٨٣
	سورة الفتح		
١٢١	﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾	٥،٤	٨٧١

الرقم	الآية	رقمها	الصفحة
١٢٢	﴿ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ۝ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾	١٩،١٨	٥٥٦
١٢٣	﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴾	٢٩	٤٢٤، ٥٩٩
١٢٤	﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴾	٢٩	٨١٥، ٨١٦
	سورة الحجرات		
١٢٥	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾	٣	٨٧٧
١٢٦	﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴾	٧	٣٩٩
١٢٧	﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴾	١٥	٤٦٤، ٦١٢

الرقم	الآية	رقمها	الصفحة
سورة الطور			
١٢٨	﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ ۚ كُلُّ امْرِيٍٕ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾ وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾ يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴿٢٤﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوٓا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِيٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ السَّمُومِ﴾	٢٧.٢١	٢٠٢، ٢٠٤
١٢٩	﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾	٢٨	٢٠٢
سورة النجم			
١٣٠	﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾	٢	٦٦٨
١٣١	﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَٰحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ الْمَغْفِرَةِ ۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ ۖ فَلَا تُزَكُّوٓا أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰٓ﴾	٣٢	٩٠٣
سورة المجادلة			
١٣٢	﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُولَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ أُولَٰٓئِكَ حِزْبُ اللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾	٢٢	٤٣٩
سورة الملك			
١٣٣	﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾	١٢	٣٤٩

فهرس الآيات القرآنية الشواهد

الرقم	الآية	رقمها	الصفحة
	سورة الفاتحة		
١	﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ...﴾	١	٤٤٨
٢	﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾	٣،٢	٤٥١، ٧٧٥
٤	﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾،	٥	٤٤٨، ٤٥١، ٦٤٦
٥	﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾	٦	٣٣٣، ٤٥٢، ٦٠٦، ٦٤٠
	سورة البقرة		
٦	﴿ الٓمٓ ۝ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝ ﴾	١ — ٥	٩١١
٧	﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾	٢	٣٣٦
٨	﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾	٣	٣٣٦، ٣٣٧
٩	﴿ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾	٣	٧٧٨
١٠	﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾	٣	٧٧٨
١١	﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ﴾	٤	٦٤٨، ٨١٣
١٢	﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾	٤	٦٤٨

الرقم	الآية	رقمها	الصفحة
٣١	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾	١٥٣	٤٥٣
٣٢	﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ۝﴾	١٥٦.١٥٥	١٣٣
٣٣	﴿عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾	١٥٧	١٩٢
٣٤	﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾	١٦٤	
٣٥	﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ ۚ فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ ۝ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ﴾	١٧٦.١٧٤	٢٧٤
٣٦	﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُواْ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾	١٨٥	٧٤٠
٣٧	﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً﴾	٢٠١	٦٨١
٣٨	﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ﴾	٢١٤	٥٢٤

الرقم	الآية	رقمها	الصفحة
٥١	﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾	٢٨٤	٢٨٤
٥٢	﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾	٢٨٦	١٥٢
	سورة آل عمران		
٥٣	﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ۝ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾	٦.٥	٣٥٦
٥٤	﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ۝ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾	١٧.١٦	٧٨٠
٥٥	﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾	١٩	٢٠
٥٦	﴿بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾	٢٥	٣٩١، ٧٤٦
٥٧	﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾	٣٥	٤٧٧
٥٨	﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾	٤٢	٤٧٧
٥٩	﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾	٨٥	٢٢
٦٠	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾	١٠٢	٤٨٣
٦١	﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾	١٠٧	٦٢٥

الرقم	الآية	رقمها	الصفحة
٧٢	﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾	١٣٣	٦٧٤
٧٣	﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ۗ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْءَاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ۚ وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾	١٤٥	٧٤٠
٧٤	﴿ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ ﴾	١٤٦	٧٤٢
٧٥	﴿ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْءَاخِرَةِ ﴾	١٤٨	٧٦٦
٧٦	﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾	١٥٩	٨٦٤
٧٧	﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾	١٥٩	٥٥١
٧٨	﴿ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾	١٧٠	٧١
٧٩	﴿ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ وَإِن تُؤْمِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾	١٧٩	٩١٢
٨٠	﴿ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ﴾	١٨١	٤٨
٨١	﴿ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَواْ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُواْ بِمَا لَمْ يَفْعَلُواْ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾	١٨٨	٥٢
٨٢	﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾	١٨٩	٤٩، ٥٣
٨٣	﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾	١٩٠	٧٤، ٧٤٤

الرقم	الآية	رقمها	الصفحة
٨٤	﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ (١٩٠) ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ (١٩١) رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ (١٩٢) رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ (١٩٣) رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ (١٩٤) فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴾	١٩٠،١٩٥	٤٧،٤٨
٨٥	﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ (١٩٠) ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾	١٩٠،١٩١	٧٤٤
٨٦	﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾	١٩١	٧٤
٨٧	﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾	١٩١	٦١
٨٨	﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾	١٩٢	٦٣، ٧٥
٨٩	﴿ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴾	١٩٣	٧٦

الرقم	الآية	رقمها	الصفحة
١٠٣	﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ۝ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾	٩٦.٩٥	٨٣٨
١٠٤	﴿وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ۝ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ۝ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا﴾.	١٢١.١١٩	٣٢٣
١٠٥	﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾	١٢٠	٣٢٥
١٠٦	﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِىِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾	١٢٣	٢٤٦
١٠٧	﴿إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾	١٤٠	١٩
١٠٨	﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾	١٧٠	٣٥٦
	سورة المائدة		
١٠٩	﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾	٢	٤٥٠
١١٠	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾	٢	٨١٥
١١١	﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾	٥٥	٦١٢

الرقم	الآية	رقمها	الصفحة
١١٢	﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾	٨٢	٤٩٧
١١٣	﴿ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾	٨٥	٧٥٢
١١٤	﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ﴾	٩٢	١٩
١١٥	﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾	١٠٠	٥٥
	سورة الأنعام		
١١٦	﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ ﴾	٣٨	٣٨٢
١١٧	﴿ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ ﴾	٣٨	٥٢٠
١١٨	﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ﴾	٥٩	٤٤٦
١١٩	﴿ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾	٨١	٣٤٠
١٢٠	﴿ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾	٨١	٣٤١، ٤٨٤
١٢١	﴿ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ ﴾	٩٧	٧٧٦
١٢٢	﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ ﴾	١٢٢	٦٨٧
١٢٣	﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾	١٥٣	٦٦٦

الرقم	الآية	رقمها	الصفحة
	سورة الأعراف		
١٢٤	﴿ فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾	٣٥	٩١٣
١٢٥	﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِي فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾	٣٥، ٣٦	٤٦
١٢٦	﴿ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ۖ قَالُوا۟ نَعَمْ ۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾	٤٤	٥٤٩
١٢٧	﴿ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ۝ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾	٥٥،٥٦	٢٩٣
١٢٨	﴿ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا ﴾	٦٢	٧٥٤
١٢٩	﴿ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾	٧٤	٥٦٨
١٣٠	﴿ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴾	٧٥	٥٦٨
١٣١	﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴾.	٨٨	٤٠٦
١٣٢	﴿ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ﴾	٨٩	٤٠٧

الرقم	الآية	رقمها	الصفحة
١٣٣	﴿ قَالُوا يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ۝ قَالَ أَلْقُوا۟ ۖ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ۝ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ۝ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ﴾	١١٥، ١١٩	٣٢٧
١٣٤	﴿ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴾	١٢١، ١٢٢	٣٢٨
١٣٥	﴿ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾	١٢٤	٤٠٨
١٣٦	﴿ قَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴾	١٢٥	٤٠٨، ٤٠٩
١٣٧	﴿ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا ۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴾	١٢٦	٧٥٣
١٣٧	وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴾	١٥٦	٦٨١
١٣٨	﴿ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾	١٥٧	٦٨٧
١٣٩	﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴾	١٧٩	٣٣٥، ٦٥٩
١٤٠	﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾	٢٠٠	٣٩٤
١٤١	﴿ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ۝ وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴾	٢٠١، ٢٠٢	٧٧٠
١٤٢	﴿ وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴾	٢٠٢	٣٩٧

الرقم	الآية	رقمها	الصفحة
	سورة الأنفال		
١٤٣	﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾	١	٨٣٣
١٤٤	﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾	٢، ٤	٢٦، ٨٣٣
١٤٥	﴿ مَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا ﴾	٦٧	٤٦٧
١٤٦	﴿ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾	٦٧	٨٢٣
١٤٧	﴿ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾	٦٨	٨٢٣
١٤٨	﴿ فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾	٦٩	٨٢٣
١٤٩	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّمَن فِىٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٠﴾ وَإِن يُرِيدُوا۟ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾	٧٠، ٧١	٨٢١
١٥٠	﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾	٧٢	٤٦٧
١٥١	﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ مَعَكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنكُمْ ۚ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾	٧٤، ٧٥	٦٢٦، ٨١٩

الرقم	الآية	رقمها	الصفحة
١٥٢	﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمْۚ وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾	٧٥	٣٦٨
سورة التوبة			
١٥٣	﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُواْ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ﴾	١٦	٨٢٤
١٥٤	﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ وَجَٰهَدَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾	١٩	٨٢٢
١٥٥	﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾	٢٠	٣٦٨
١٥٦	﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ﴾	٢٩	٣٦٥
١٥٧	﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا...﴾	٤١	٣٦٥
١٥٨	﴿فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾	٤٥	٦٥٥
١٥٩	﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْۖ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ﴾	٥٠	٣٨٧
١٦٠	﴿وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ﴾	٥٦	٨٠٤
١٦١	﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ (٦٥) لَا تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ مُجْرِمِينَ (٦٦)﴾	٦٥، ٦٦	٨٠٢
١٦٢	﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْۚ نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ (٦٧) وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ هِيَ حَسْبُهُمْۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾	٦٧، ٦٨	٢٦٤

الرقم	الآية	رقمها	الصفحة
١٦٢	﴿ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ وَأَصْحَٰبِ مَدْيَنَ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتِ ۚ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾	٧٠	٢٦٥، ٨٠٣
١٦٣	﴿ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴾	٨٠	٥٨٥
١٦٤	﴿ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ ۚ أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ ۚ سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾	٩٩	٣٦٠
١٦٥	﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾	١٠٧	٢٢٠
١٦٦	﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾	١٠٧، ١٠٩	٣٦٤
١٦٧	﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم ﴾	١١١	٣٢٠
١٦٨	﴿ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾	١١٨، ١١٩	٢٦٨

الرقم	الآية	رقمها	الصفحة
١٧٨	﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَىَّ إِجْرَامِى وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ﴾	٣٥	٧٥٩
١٧٩	﴿وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ﴾	٣٥	٧٥٩
سورة يوسف			
١٨٠	﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾	١٧	١٥
١٨١	﴿إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ خَمْرًا﴾	٣٦	٦٢٥
١٨٢	﴿إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾	٣٧	٦٧٣
١٨٣	﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾	٩٠	٥١٧
سورة الرعد			
١٨٤	﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾	١٨	١٩٦، ٨٠٧
١٨٥	﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾	١٩	٤٦٦
١٨٦	﴿وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ﴾	٢١	١٩٩
١٨٧	﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾	٢٣، ٢٤	٨٠٨
١٨٨	﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ﴾	٢٧	٤١١، ٥٢٣
١٨٩	﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾	٢٨	٦١٥
١٩٠	﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ﴾	٢٩	٤١٢

الرقم	الآية	رقمها	الصفحة
سورة إبراهيم			
١٩١	﴿ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي ۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ ۖ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾	٢٢	٥٩٤
١٩٢	﴿ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ﴾	٣١	٧٧٨
سورة النحل			
١٩٣	﴿ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۙ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ ۚ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰذِبِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾	٤٠.٣٨	٢٥١
١٩٤	﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾	٥٠	١٩٩
١٩٥	﴿ وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌۢ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ۗ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓا۟ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾	٩٦.٩٤	٢٩٥
١٩٦	﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴾	١٢٦	٢٧١

الرقم	الآية	رقمها	الصفحة
٢٠٩	﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا ۚ وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴾	٣٦،٣٢	٤٣٥
٢١٠	﴿ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴾	٣٨	٤٣٦
٢١١	﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ... ﴾	٤٥	٦٠٣
٢١٢	﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾	٤٦	٢٠٢
٢١٣	﴿ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّى عُذْرًا ﴾	٧٦	٦٦٧
	سورة مريم		
٢١٤	﴿ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى ﴾	٤	٧٤٢
٢١٥	﴿ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ ﴾	٢٠	٣٤٢
٢١٦	﴿ إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا ﴾	٦١	٦٠٩
٢١٧	﴿ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴾	٩٣	٨٨٩
	سورة طه		
٢١٨	﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴾	٣٩	٢٣٦
٢١٩	﴿ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴾	٧٤	٣٠٥، ٣٠٧
٢٢٠	﴿ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴾	١٢١	٦٦٨

الرقم	الآية	رقمها	الصفحة
٢٤٦	﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَـٰنَـٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴾	٨	١٦٨، ١٦٩
٢٤٧	﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾	٩	١٦٢
٢٤٨	﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴾	١٠	١٧٤.١٧٢
٢٤٩	﴿ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴾،	١١	١٧٤
٢٥٠	﴿ وَإِنَّ هَـٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ فَذَرْهُمْ فِى غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴾	٥٦.٥٢	١٩١
٢٥١	﴿ فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ فَذَرْهُمْ فِى غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴾	٥٦.٥٣	١٧٧
٢٥٢	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴾	٥٧	١٧٨، ١٩٠
٢٥٣	﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴾	٦٠	١٨٣
	سورة النور		
٢٥٤	﴿ ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾	٣	٢٥٤
٢٥٥	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَـٰتِ ٱلْغَـٰفِلَـٰتِ ٱلْمُؤْمِنَـٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴾	٢٥.٢٣	٢٥٤

الرقم	الآية	رقمها	الصفحة
٢٥٦	﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾	٣١	١٥٧
٢٥٧	﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾	٣٥	٤٨٥
٢٥٨	﴿ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ۝ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴾	٣٦، ٣٧	٧٠٦
٢٥٩	﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴾	٣٧	٥٢٢، ٧٦٧
٢٦٠	﴿ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴾	٣٧	٤٨٨
٢٦١	﴿ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ وَيَزِيدَهُم مِّن ... ﴾	٣٨	٤٨٨
٢٦٢	﴿ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾	٤٧	٨٣٥
٢٦٣	﴿ وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴾	٤٨	٤٠٢
٢٦٤	﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُواْ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُواْ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾	٦٢	٨٣٤

الرقم	الآية	رقمها	الصفحة
سورة الفرقان			
٢٦٥	﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ۝ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ۝ وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴾	١٣.١١	٧٧٧
٢٦٦	﴿ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا ﴾	٢٣	٣٤٦
٢٦٧	﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴾	٢٧	٦٩٠
٢٦٨	﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ ﴾	٤٥	٢٣٣
٢٦٩	﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا ﴾	٥٥	٨٣٨
٢٧٠	﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴾	٦٢	٨٣٨، ٨٨٨
٢٧١	﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾	٦٣	٨٣٩
٢٧٢	﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴾	٦٦.٦٥	٨٩٣
٢٧٣	﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾	٦٧	١٤٠، ٨٩٤
٢٧٤	﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ۝ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴾	٦٩.٦٨	٨٩٥
٢٧٥	﴿ وَلَا يَزْنُونَ ﴾	٦٨	٩٠٢
٢٧٦	﴿ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴾	٧٢	٩٠٠
٢٧٧	﴿ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴾	٧٢	٤١٩، ٨٣٩

الرقم	الآية	رقمها	الصفحة
٢٧٨	﴿ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ۝ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴾	٧٣،٧٢	٨٩٥
٢٧٩	﴿ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴾	٧٣	٩٠١
٢٨٠	﴿ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾	٧٤	٨٩٣
٢٨١	﴿ قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ ﴾	٧٧	٨٨٨
	سورة الشعراء		
٢٨٢	﴿ وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴾	٨٤	٦٢٥
٢٨٣	﴿ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانتَصَرُوا مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا ۗ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾	٢٢٧	٨٣٩ ،٨٢٧
	سورة النمل		
٢٨٤	﴿ طس ۚ تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ۝ هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾	١ — ٣	٨٢٨
٢٨٥	﴿ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ﴾	٣٩	٣٨٩
٢٨٦	فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ ﴾	٧٩	٦٥٥
٢٨٧	﴿ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ ﴾	٨٧	٢٨٧
	سورة القصص		
٢٨٨	﴿ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾	١٠	٨٥٥

الرقم	الآية	رقمها	الصفحة
٢٨٩	﴿ فَأَصْبَحَ فِى ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ ۚ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ ۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴾	١٩،١٨	٨٢٩
٢٩٠	﴿ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ ﴾	٢٠	٥٢٨، ٨٢٨
٢٩١	﴿ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾	٥١	٤١٤
٢٩٢	﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ ﴾	٦٦	٣٤٧
٢٩٣	﴿ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ ﴾	٧٣	٧٣٩
	سورة العنكبوت		
٢٩٤	﴿ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴾	٥٨،٥٦	٥٥٠
٢٩٥	﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴾	٦٨	٢٧٠
٢٩٦	﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾	٦٩	٦٤٢
	سورة الروم		
٢٩٧	﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا.. ﴾	٣٠	٥٤٤

الرقم	الآية	رقمها	الصفحة
	سورة لقمان		
٢٩٨	﴿ الٓمٓ ۝ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ۝ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ۝ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾	١ — ٥	٨٢٧
٢٩٩	﴿ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾	٢٢	٦٦٣
٣٠٠	﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾	٣١	٩١٣
	سورة السجدة		
٣٠١	﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ۝ فَذُوقُوا۟ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ ۖ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾	١٣، ١٤	٧٨٤
	سورة الأحزاب		
٣٠٢	﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ﴾	٤	٥٢٠
٣٠٣	﴿ وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَٰرَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ﴾	١٥	٤٣١
٣٠٤	﴿ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ۝ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ۝ يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟ ۖ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ ۖ وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا ﴾	١٨، ٢٠	٧٠٧

الرقم	الآية	رقمها	الصفحة
٣٠٥	﴿ يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟ ۖ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ ۖ وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم مَّا قَـٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا ﴾.	٢٠	٣٧٣
٣٠٦	﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾	٢١	٧٤٩
٣٠٧	﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴾	٢٣	٧٠٨
٣٠٨	﴿ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّـٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ ... ﴾	٢٤	٧٤٧
٣٠٩	﴿ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّـٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ إِن شَآءَ ﴾	٢٤	٤٣١
٣١٠	﴿ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴾	٢٦	٧٧٩
٣١١	﴿ يَـٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴾	٣٢،٣٤	٢٩٩
٣١٢	﴿ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَـٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴾	٣١	٢٥٦
٣١٣	﴿ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ﴾	٣٧	٧٦٨
٣١٤	﴿ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴾	٦٦	٧٧٧

الرقم	الآية	رقمها	الصفحة
٣١٥	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ۝ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ۝ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ۝ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا ۖ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴾	٤٩،٤٥	٣٠٤
	سورة فاطر		
٣١٦	﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ ﴾	١٨	٤٦٦، ٥٣٣
٣١٧	﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴾	٢٧	٥٣٣
٣١٨	﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ﴾.	٢٨	١٧٩، ١٩٩، ٥٣٢، ٥٤٦
٣١٩	﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ۝ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ... ﴾	٣٣،٣٢	٢٠٠
	سورة يس		
٣٢٠	﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ۝ إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ۝ قَالُوا۟ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ۝ قَالُوا۟ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ۝ وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ۝ قَالُوٓا۟ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا۟ لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ قَالُوا۟ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ ۚ أَئِن ذُكِّرْتُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴾	١٩،١٣	٥٢٦

الرقم	الآية	رقمها	الصفحة
٣٣١	﴿إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۞ وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾	٨.٧	٤٥٧
٣٣٢	﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾	٨	٣٠٩، ٧٢٦
٣٣٣	﴿قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا﴾	٨	٧٣١
٣٣٤	﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾	٩	٩١٤
٣٣٥	﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي...﴾	٩	٧٣١
٣٣٦	وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾	١٧	٦٧١
٣٣٧	﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ ۞ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾	١٨.١٧	١٤٢
٣٣٨	﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي النَّارِ﴾	١٩	١٤٢
٣٣٩	﴿لَٰكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ﴾	٢٠	١٤٣

الرقم	الآية	رقمها	الصفحة
٣٥٣	﴿ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْآخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ۝ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴾	٣٢،٣١	٨٥
	سورة الشورى		
٣٥٤	وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴾	١٤	٦٥٥
٣٥٥	﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ ۗ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴾	٢٧	٧٦٠
٣٥٦	﴿ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴾	٣٧	٨٦١
٣٥٧	﴿ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴾	٣٩	٤٢٣
٣٥٨	﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِي مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾	٥٢	٢٨٨
	سورة الزخرف		
٣٥٩	﴿ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِيٓ أُوحِيَ إِلَيْكَ ﴾	٤٣	٦٦١
	سورة الدخان		
٣٦٠	﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴾	٥٦	٢٦٧
	سورة الأحقاف		
٣٦١	﴿ حمٓ ۝ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴾	٢،١	٨٨٣
٣٦٢	﴿ مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ... ﴾	٣	٨٨٣
٣٦٣	﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ ... ﴾	٣	٨٨٤

الرقم	الآية	رقمها	الصفحة
٣٦٤	﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى﴾	٤	٨٨٣
٣٦٥	﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا ...﴾	٧	٨٨٤
٣٦٦	﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ...﴾	١٢،١٠	٨٨٤
٣٦٧	﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟...﴾	١٤،١٣	٨٦٩، ٨٨٣
٣٦٨	﴿ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟﴾	١٣	٤٦٧
٣٦٩	﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾	٣٥	٥١٧
	سورة محمد		
٣٧٠	﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى﴾	١٧	٦٤٢
	سورة الفتح		
٣٧١	﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ..﴾	٤	٨٧٥
٣٧٢	﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾	١٧	٥٥٧
٣٧٣	﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾	١٨	٥٥٦، ٨٧٢
٣٧٤	﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾	٢٨	٤٢٥، ٦٠٠، ٨١٥
٣٧٥	﴿سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم﴾	٢٩	٣٩٣
	سورة الحجرات		
٣٧٦	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ...﴾	١	٨٧٨
٣٧٧	﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾	٣	٨٧٠، ٨٧٧
٣٧٨	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ﴾	٦	٣٩٩

الرقم	الآية	رقمها	الصفحة
٣٧٩	﴿ قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡ ﴾	١٤	١٩٥
٣٨٠	﴿ قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتۡكُم مِّنۡ أَعۡمَٰلِكُمۡ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴾	١٤	٤٦٤، ٨٣٦
٣٨١	﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ ﴾	١٥	٧٩، ٦١٢، ٨٣٦
سورة الذاريات			
٣٨٢	﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾	٤٧	٣٠٢
٣٨٣	﴿ وَمِن كُلِّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَا زَوۡجَيۡنِ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾	٤٩	٢٤٥
٣٨٤	﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ﴾	٥٨	٣٨٢
سورة الطور			
٣٨٥	﴿ وَٱلطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٖ مَّسۡطُورٖ ۝٢ فِي رَقّٖ مَّنشُورٖ ۝٣ وَٱلۡبَيۡتِ ٱلۡمَعۡمُورِ ﴾	٤.١	٧٧٥
٣٨٦	﴿ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَعِيمٖ ۝١٧ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ وَوَقَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ۝١٨ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ۝١٩ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٖ مَّصۡفُوفَةٖۖ وَزَوَّجۡنَٰهُم بِحُورٍ عِينٖ ﴾	٢٠.١٧	٢٠٤
٣٨٧	﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ ﴾	٢١	٢٠٤
٣٨٨	﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖۚ كُلُّ ٱمۡرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٞ ﴾	٢١	٩٠٤

الرقم	الآية	رقمها	الصفحة
سورة الملك			
٤٠٣	﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴾	٣	٥٤
٤٠٤	﴿ فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾	١١	٣٥٠
سورة الجن			
٤٠٥	﴿ وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ۝ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا ﴾	١١، ١٢	٣٥٢
سورة المزمل			
٤٠٦	﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴾	٦	٤٦٠
٤٠٧	﴿ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ۝ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ ﴾	١٥ - ١٦	٢٦٣
سورة المدثر			
٤٠٨	﴿ كَلَّا ۖ بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۝ كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ﴾	٥٣-٥٤	٧٧٨
سورة الإنسان			
٤٠٩	﴿ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ۝ قَوَارِيرَا۟ ﴾	١٥-١٦	٧٧٩
سورة النبأ			
٤١٠	﴿ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ۝ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ۝ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ۝ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ۝ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ۝ جَزَآءً وِفَاقًا ۝ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ۝ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابًا ۝ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ كِتَٰبًا ۝ فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴾	٢١-٣٠	٢٢٠
٤١١	﴿ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴾	٣٢	٢٢٣
٤١٢	﴿ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴾	٣٣	٢٢٤

الرقم	الآية	رقمها	الصفحة
٤١٣	﴿ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴾	٣٤	٢٢٤
٤١٤	﴿ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴾	٣٦	٢٢٨
٤١٥	﴿ يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ﴾	٤٠	٢٨٠
	سورة النازعات		
٤١٦	﴿ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَـٰهَا ﴾	٤٥	٤٦٦
	سورة المطففين		
٤١٧	﴿ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾	١٤	١٨
٤١٨	﴿ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَـٰفِسُونَ ﴾	٢٦	١٨٨
	سورة الانشقاق		
٤١٩	﴿ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴾	١٩	٧٢٥
	سورة البروج		
٤٢٠	﴿ قُتِلَ أَصْحَـٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴾	٧.٤	٧٥٦
	سورة الطارق		
٤٢١	﴿ وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝ ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ ﴾	٣.١	٧٧٣
٤٢٢	﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَـٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴾	٦.٥	٦٠٩
	سورة الأعلى		
٤٢٣	﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴾	١	٧٧٨
	سورة البلد		
٤٢٤	﴿ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ۝ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴾	١٢.١١	٩٤
٤٢٥	﴿ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ۝ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴾	١٦.١٥	٩٥، ٩٩
٤٢٦	﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴾	١٧	٩٥

فهرس الأحاديث النبوية والآثار

فهرس الموضوعات البلاغية

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة



فهرس الأشعار

فهرس الأعلام

العلم	الصفحة

فهرس المصادر والمراجع

[أ]

[١] آيات الدعوة إلى الله في سورة الأعراف: دراسة بلاغية تحليلية للدكتور علي بن سليمان بن محمد الزبن، دراسة غير منشورة، ١٤٢٣-١٤٢٤هـ.

[٢] أبو تمام الطائي حياته وشعره، لنجيب محمد البهبيتي، جار الفكر للطباعة والنشر.

[٣] الإتقان في علوم القرآن، لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي، دار المعرفة، بيروت - لبنان، طبعة وتاريخ بدون.

[٤] أخبار أبي تمام، لأبي بكر محمد بن يحيى الصولي، حققه: محمد عبده عزام وآخرون، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط٣، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م

[٥] أدب الكاتب، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الكوفي المروزي الدينوري، تحقيق وضبط: الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المطبوعات العربية للطباعة والنشر، بدون تاريخ طبعة.

[٦] ارتشاف الضَّرَب من لسان العرب، لأبي حيان الأندلسي، ت/د. رجب عثمان محمد، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.،

[٧] إرشاد العقل السليم، للقاضي أبي السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي، وضع حواشيه: عبد اللطيف عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، ١٤١٩هـ -١٩٩٩م.

[٨] الأزهية في علم الحروف، تأليف علي بن محمد النحوي الهروي، ت: عبد المنعم الملوحي، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، سنة ١٤٠١هـ -١٩٨٢م.

[٩] أساس البلاغة، لجار الله الزمخشري، دار صادر، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

[١٠] أسباب النزول، لأبي الحسن علي ابن أحمد الواحدي النيسابوري. دراسة: السيد الجميلي، دار الكتاب العربي، ط ٧، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
[١١] الاستعارة، نشأتها، تطورها، أثرها في أساليب العربية، للدكتور محمود سيد شيخون، مكتبة الكليات الأزهرية، ط٢، ١٤٠٤هـ -١٩٨٤م.
[١٢] الاستيعاب في أسماء الأصحاب، لأبي عمر يوسف بن عبدالبر القرطبي المالكي، (مطبوع على هامش الإصابة)، دار العلوم الحديثة، مصورة عن الطبعة المغربية بتاريخ ١٣٢٨هـ.
[١٣] أسرار التكرار في القرآن، لمحمود بن حمزة بن نصر الكرماني، دراسة وتحقيق: عبدالقادر أحمد عطا، دار الاعتصام، القاهرة، بدون تاريخ طبعة.
[١٤] أسرار التنوع في تشبيهات القرآن الكريم، تأليف: ملك حسن بخش، دار المجتمع للنشر والتوزيع، ط١، ١٤١٤هـ -١٩٩٣م.
[١٥] الإسلام لله تعالى في سورة البقرة، لعبد الحميد طهماز، دار القلم، دمشق/ الدار الشامية، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ -١٩٩٣م.
[١٦] الأسلوب الحكيم دراسة بلاغية تحليلية، للدكتور محمد بن علي الصامل، بحث نشرته مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ومعه تحقيق رسالة عن الأسلوب الحكيم لابن كمال باشا. دراسة بلاغية تحليلية، العدد الخامس عشر - شعبان ١٤١٦هـ.
[١٧] أسلوب الدعوة القرآنية بلاغةً ومنهاجاً، للدكتور عبد الغني محمد سعد بركة، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.
[١٨] الأسلوب الكنائي، للدكتور محمد السيد شيخون، الناشر مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ط ١، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨.
[١٩] الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز للإمام الحافظ عز الدين بن عبدالسلام السلمي، تقديم: رمزي دمشقية، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م.

[٢٠] الاشتقاق، لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد، تحقيق عبد السلام محمد هارون، الناشر مؤسسة الخانجي بمصر، مطبعة السنة المحمدية، ط ١٣٧٨هـ ١٩٥٨م.

[٢١] الإصابة في تمييز الصحابة، تأليف شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني المصري المعروف بابن حجر، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ.

[٢٢] إعجاز القرآن، لأبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف، الطبعة الرابعة.

[٢٣] إعجاز القرآن الكريم، لعبد الكريم الخطيب (في دراسة كاشفة لخصائص البلاغة العربية ومعاييرها)، الكتاب الثاني، دار المعرفة للطباعة، بيروت - لبنان، ط٢، ١٣٩٥هـ/١٩٨٥م.

[٢٤] إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، لمصطفى صادق الرافعي، المكتبة التجارية الكبرى بمصر، ط٨، ١٣٨٤هـ ١٩٦٥م.

[٢٥] إعراب القرآن وبيانه، لمحيى الدين الدرويش، دار ابن كثير للطباعة والنشر، ط ٨، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

[٢٦] الأعلام، لخير الدين الزركلي، ط٣، بدون تاريخ طبعة.

[٢٧] أعلام التراث في العصر الحديث، لمحمود الأرناؤوط، مكتبة دار العروبة، الكويت - ودار ابن العماد، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

[٢٨] الأغاني، لأبي الفرج الأصبهاني، دار الفكر للطباعة والنشر، بدون تاريخ طبعة.

[٢٩] الإكسير في علم التفسير، الفقيه الطوفي سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم الصرصري البغدادي. تحقيق: د. عبد القادر حسين، ضبط وإخراج مكتبة الآداب لصاحبها علي حسين بالقاهرة. طبعة: بدون.

[٣٠] الأمالي الشجرية، إملاء الشريف ضياء الدين أبي السعادات المعروف بابن الشجري، دار المعرفة بيروت — لبنان.

[٣١] إملاء ما من بن الرحمن ، لأبي البقاء عبد الله بن عبد الحسن بن عبد الله العكبري، تحقيق : إبراهيم عطوة عوض، دار الحديث، القاهرة، طبعة ١٤١٢هـ -١٩٩٢م.

[٣٢] إنباه الرواة ، لجمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف القفطي، تحقيق : محمد أبوالفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط١، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

[٣٣] الانتصاف حاشية على الكشاف ، لأحمد بن المنير الإسكندري، مطبوع مع الكشاف، وحاشية الأستاذ محمد عليان مرزوقي الشافعي، ومشاهد الإنصاف على شواهد الكشاف، دار المعرفة ،بيروت، بدون تاريخ.

[٣٤] أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي ، لناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١ ، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

[٣٥] أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، لابن هشام، تحقيق : محمد محيي الدين عبدالحميد، ط دار الفكر، سنة ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.

[٣٦] الإيضاح، للخطيب القزويني، تحقيق د. عبد الحميد هنداوي، مؤسسة المختار، ط١ ، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

[٣٧] إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، لإسماعيل باشا بن محمد أمين البغدادي، مطبوع باسم كشف الظنون المجلد الثالث والرابع، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ، ١٤١٤هـ ١٩٩٤م، بيروت، لبنان.

[٣٨] إيضاح الوقف والابتدا ، لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري، تحقيق : محيي الدين عبد الرحمن رمضان، طبعة مجمع اللغة العربية بدمشق، بتاريخ ١٣٩٠هـ -١٩٧١م.

[٣٩] الإيمان ومعالمه وسننه واستكماله ودرجاته، للإمام أبي عبيد القاسم ابن سلاّم، تحقيق ناصر الألباني، الرسالة الثانية، ضمن مجموعة كنوز السنة، دار الأرقم بالكويت، بدون طبعة.

[٤٠] بحر الدموع، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، تحقيق : إبراهيم باجس عبد المجيد، دار ابن حزم، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤١٨هـ -١٩٩٨م.

[٤١] البحر المحيط، لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان، ت: الشيخ عادل أحمد عبدالموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.
[٤٢] بدائع التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن قيم الجوزية، جمع: يسري السيد محمد، دار ابن الجوزي، ط١، ١٤١٤هـ ١٩٩٣م.
[٤٣] البدر الطالع، تحقيق حسين عبد الله العمري، دار الفكر — دمشق/ دار الفكر المعاصر — بيروت، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
[٤٤] البديع لأبي العباس عبدالله بن المعتز، تقديم وشرح د. محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت - لبنان، ط١، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
[٤٥] البديع تأصيل وتجديد، دكتور منير سلطان، الناشر، منشأة المعارف بالإسكندرية، ط ١٩٨٦م.
[٤٦] البرهان في علوم القرآن، للإمام بدر الدين الزركشي، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، دار المعرفة، بيروت — لبنان. (بدون تاريخ طبعة).
[٤٧] البرهان في متشابه القرآن، للإمام محمود بن حمزة بن نصْر الكرماني، تحقيق وتقديم: أحمد عز الدين عبدالله خلف الله، دار الوفاء للطباعة والنشر، ط١، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.
[٤٨] بصائر ذوي التمييز، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، ت: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، بيروت - لبنان.
[٤٩] بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، (بدون طبعة).
[٥٠] البلاغة الاصطلاحية، للدكتور عبده عبد العزيز قلقيلة، دار الفكر العربي، الرياض، طبعة ١٤٠٧هـ -١٩٧٨م.
[٥١] بلاغة الكلمة والجملة والجمل، للدكتور منير سلطان، منشأة المعارف بالإسكندرية، ط٣، ١٩٩٦م.
[٥٢] البلغة في تاريخ أئمة اللغة، محمد بن يعقوب الفيروزابادي، اعتنى به بركات يوسف هبود، المكتبة العصرية، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.

[٥٣] بيان إعجاز القرآن الكريم، للخطابي، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق: محمد خلف الله أحمد ود. محمد زغلول سلام، دار المعارف بمصر، ط٣، ١٣٧٦هـ، ١٩٥٦م.

[٥٤] بيان الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللب، لأبي عبد الله محمد بن علي الحكيم الترمذي، تحقيق: الدكتور نقولا زهير، دار إحياء الكتب العربية — عيسى البابي الحلبي، طبعة ١٩٥٨م.

[٥٥] البيان في ضوء أساليب القرآن، تأليف الدكتور عبد الفتاح لاشين، دار الفكر العربي، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

[٥٦] البيان والتبيين، عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق: فوزي عطوي، الشركة اللبنانية للكتاب، بيروت - لبنان، بدون تاريخ طبعة.

[٥٧] تأويل مشكل القرآن، لابن قتيبة، تحقيق وشرح: السيد أحمد صقر، دار التراث، ط٢، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.

[٥٨] تاج العروس، للإمام اللغوي محمد مرتضى الزبيدي، دار البيان للنشر والتوزيع، بنغازي، الطبعة بدون.

[٥٩] التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول، صديق حسن القنوجي، مكتبة دار السلام، الرياض، ط١، ١٤١٦هـ -١٩٩٥م.

[٦٠] تاريخ الأدب العربي، حنا الفاخوري، دار الجيل، بيروت، بدون تاريخ طبعة.

[٦١] تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، للدكتور حسن إبراهيم حسن، ط٧، ١٩٦٥م، مكتبة النهضة المصرية.

[٦٢] تاريخ بغداد، للخطيب أحمد بن علي بن ثابت البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ.

[٦٣] التبيان في إعجاز القرآن، د. صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار عمان، عمان — الأردن، سنة ١٤٠٩هـ.

[٦٤] التبيان في تفسير غريب القرآن ، للعلامة شهاب الدين بن أحمد الهائم المصري، تحقيق د. فتحي أنور الدانولي، دار الصحابة للتراث بطنطا، ط ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

[٦٥] تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، لابن أبي الإصبع المصري، تقديم وتحقيق: الدكتور حفني محمد شرف، إصدار المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث، يشرف على إصدارها: محمد توفيق عويضة، توزيع دار الكتاب السعودي، طبعة ١٣٨٣هـ -١٩٦٣م.

[٦٦] التحرير والتنوير، للشيخ محمد الطاهر بن عاشور، بدون ط، بدون تاريخ طبعة.

[٦٧] التشبيه، دراسة في تطور المصطلح ، بقلم الدكتور= إبراهيم عبد الحميد السيد التلب، دار الطباعة المحمدية، ط١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

[٦٨] التصوير القرآني للمجتمع، د. صلاح الفوال، دار الفكر العربي، القاهرة، بدون تاريخ طبعة.

[٦٩] تفسير ابن عباس ، تحقيق: راشد عبد المنعم الرجّال، مكتبة السنة، القاهرة، ط١، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

[٧٠] التفسير البلاغي للاستفهام في الذكر الحكيم ، للدكتور عبد العظيم المطعني، مكتبة وهبة، ط١، ١٤٢٠هـ -١٩٩٩م.

[٧١] تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي، ضبطه حسين زهران، دار الفكر، ط٢، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

[٧٢] التفسير القيم لابن قيم الجوزية، جمعه: محمد أويس النَّدوي، حققه: محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت — لبنان، بدون تاريخ طبعة.

[٧٣] تفسير المشكل من غريب القرآن ، للإمام مكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق د. علي حسين البواب، مكتبة المعارف، الرياض، ط ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م.

[٧٤] تفسير المنار المسمى بتفسير القرآن الحكيم ، لمحمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، ط ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.

[٧٥] تفسير روح البيان ، للشيخ إسماعيل حقي البروسوي، تعليق: أحمد عزو، عناية دار إحياء التراث العربي، بيروت — لبنان، ط١ ، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

[٧٦] تفسير سورة الرعد ، للدكتور محمد صالح علي مصطفى، دار النفائس، ط١ ، ١٤٠٨هـ -١٩٨٨م.

[٧٧] تفسير سورتي الفاتحة والبقرة، لأبي المظفر السمعاني، دراسة وتحقيق= عبد القادر منصور منصور، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط١ ، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

[٧٨] تفسير غريب القرآن ، لأبي بكر السجستاني، مكتبة التراث بالقاهرة.

[٧٩] تفسير مجاهد ، لأبي الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي المخزومي، تحقيق عبد الرحمن السورتي، ط١ ، ١٣٩٦هـ ١٩٧٦م.

[٨٠] تقريب التهذيب، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، قابله وقدم له محمد عوامة، دار الرشيد، حلب، ط١ ، ١٤٠٦ هـ -١٩٨٦م.

[٨١] تلخيص البيان في مجازات القرآن ، للشريف الرضي، تحقيق: محمد: عبد الغني حسن، دار إحياء الكتب العربية.

[٨٢] التلخيص الحبير، للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، صححه ونسقه وعلق عليه: السيد عبدالله هاشم اليماني المدني، المدينة المنورة، ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤م.

[٨٣] التمهيد في علم التجويد ، للإمام محمد بن محمد بن الجزري، تحقيق: د. علي حسين البواب، مكتبة المعارف، الرياض، ط ١ ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

[٨٤] التناسب البياني في القرآن دراسة في النظم المعنوي والصوتي ، للدكتور أحمد أبو زيد، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، سنة ١٩٩٢م.

[٨٥] تناسق الدرر في تناسب الآيات والسور، للإمام جلال الدين عبدالرحمن السيوطي، ت: عبدالقادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١ ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

[٨٦] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان وما بعدها، للشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي، ت: محمد زهري النجار، دار المؤيد، مؤسسة الرسالة. ط١، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.
[٨٧] جامع البيان عن تأويل آي القرآن، المعروف بتفسير الطبري، ت: د. بشار عواد معروف وعصام فارس الحرستاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.
[٨٨] الجامع الصحيح (سنن الترمذي)، لمحمد بن عيسى بن سورة الترمذي. تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط١، الناشر: المكتبة الإسلامية، دون تاريخ طبعة.
[٨٩] جامع الدروس العربية، للشيخ مصطفى غلاييني، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط٢٩، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.
[٩٠] جامع العلوم والحكم شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، لابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مصر، مصطفى البابي الحلبي، ط٤، ١٣٩٣هـ.
[٩١] الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تحقيق محمد إبراهيم الحفناوي، خرج أحاديثه محمد حامد عثمان، دار الحديث، ط١، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.
[٩٢] جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي عند العرب، د. ماهر مهدي هلال.
[٩٣] جماليات المفردة القرآنية، د. أحمد ياسوف، دار المكتبي، ط١، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.
[٩٤] الجمان في تشبيهات القرآن، لابن ناقياء البغدادي، تحقيق الدكتور مصطفى الصاوي الجويني، مكتبة المعارف بالإسكندرية.
[٩٥] جمهرة اللغة لابن دريد، لأبي بكر محمد بن الحسن الأزدي البصري، طبعة دار صادر، بيروت، ط١، ١٣٤٥هـ.
[٩٦] كتاب جمهرة الأمثال لأبي هلال الحسن بن عبدالله بن سهل العسكري، ضبطه: د. أحمد عبدالسلام، خرَّج أحاديثه: أبوهاجر محمد سعيد زغلول، دار الكتب العلمية بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
[٩٧] الجنى الداني في حروف المعاني، للحسن بن قاسم المرادي، تحقيق: د. فخر الدين قباوة والأستاذ محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط١، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

[٩٨] الجواهر الحسان في تفسير القرآن، للشيخ عبد الرحمن الثعالبي، حققه وخرج أحاديثه: أبو محمد الغماري الإدريسي الحسني، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

[٩٩] حاشية ابن التمجيد لمصلح الدين مصطفى بن إبراهيم الرومي الحنفي، ضبط: عبدالله محمود محمد عمر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.

[١٠٠] حاشية السيد الشريف الجرجاني على الكشاف، الناشر دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، الطبعة بدون.

[١٠١] حاشية السيد على المطول، طبعة أحمد كامل، تركيا، سنة ١٣١٢هـ، وهي الطبعة الوحيدة.

[١٠٢] حاشية الشهاب المسماة: عناية القاضي وكفاية الراضي، للقاضي شهاب الدين أحمد ابن محمد الخفاجي، ضبطه وخرّج أحاديثه وآياته الشيخ عبد الرزاق المهدي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

[١٠٣] حاشية الصبان على الأشموني، ط دار إحياء الكتب العربية، عيسى الحلبي وشركاه بالقاهرة.

[١٠٤] حاشية الصاوي على تفسير الجلالين، لأحمد بن محمد الصاوي المالكي الخلوتي، مراجعة الشيخ علي محمد الصباغ، الطبعة الأخيرة، دار الجبل - بيروت.

[١٠٥] حاشية القونوي على تفسير البيضاوي، لعصام الدين إسماعيل بن محمد الحنفي، ضبط وتصحيح: عبد الله محمود محمد عمر، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

[١٠٦] حاشية الكازروني، لأبي الفضل القرشي الصديقي الخطيب، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ طبع.

[١٠٧] حاشية زاده على تفسير البيضاوي، لمحيي الدين شيخ زاده، المكتبة الإسلامية، محمد أزدمير ديار بكر، تركيا- دار صادر، بيروت.

[١٠٨] الحذف البلاغي في القرآن الكريم، للدكتور مصطفى عبد السلام أبو شادي، مكتبة القرآن للطبع والنشر، بولاق، القاهرة، ط ١٤١٢هـ-١٩٩١م.

[١٠٩] خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تأليف الشيخ عبد القادر بن عمر البغدادي على شرح الكافية، تحقيق وتقديم= د. محمد نبيل طريفي، إشراف: د. إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨ـ١٩٩٨، منشورات محمد بيضون.

[١١٠] الخصائص، لأبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، بدون طبعة.

[١١١] خصائص التراكيب، للدكتور محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، الطبعة الثالثة.

[١١٢] خصائص التشبيه في سورة البقرة، للأستاذ الدكتور إبراهيم حسن داود، مطبعة الأمانة، ط١، ١٤٠٦هـ -١٩٨٦م.

[١١٣] الدر المصون، لأحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي، ت: د. أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، ط ١، ١٤٠٧هـ -١٩٨٧م.

[١١٤] الدر المنثور، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار المعرفة، بيروت.

[١١٥] دراسات في القرآن والحديث، للدكتور يوسف خليف، مكتبة غريب، الفجالة، بدون تاريخ طبعة.

[١١٦] دراسة تحليلية لسورة الأحزاب، د. محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، مصر، القاهرة، ط٢، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

[١١٧] درة التنزيل وغرة التأويل، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بالخطيب الإسكافي، برواية ابن أبي الفرج الأردستاني، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، ١٤١٦هـ -١٩٩٥م.

[١١٨] دلائل الإعجاز، قراءة وتعليق محمود محمد شاكر، الناشر مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة، ط٣، ١٤١٣هـ، ١٩٩٢م.

[١١٩] ديوان امرئ القيس، تقديم وشرح د.محمد محمود، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط١، ١٩٩٥م.

[١٢٠] ديوان تأبط شراً، جمع وتحقيق وشرح: علي ذو الفقار شاكر، دار العرب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م.
[١٢١] ديوان أبي تمام، تحقيق: محمد عبده عزام، دار المعارف، الطبعة الرابعة.
[١٢٢] ديوان حاتم الطائي، شرح وتقديم: أحمد رشاد، منشورات دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠٠٢م.
[١٢٣] ديوان حسان بن ثابت شرحه علي العسيلي، منشورات مؤسسة الأعلمي، ط١، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.
[١٢٤] ديوان الصنوبري، لأحمد بن محمد بن الحسن الضبي، تحقيق: د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٩٨م.
[١٢٥] ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح أبي البقاء العكبري، وهو المسمى (بالتبيان في شرح الديوان)، ضبط وشرح: مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، وعبدالحفيظ شلبي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر، الطبعة الأخيرة ١٣٩١هـ.
[١٢٦] ديوان كعب بن زهير، قرأه وقدم له الدكتور محمد يوسف نجم، دار صادر، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
[١٢٧] ديوان لبيد، بشرح الطوسي، قدم له ووضع هوامشه ونهايته الدكتور: حنا نصر الحِتّي، دار الكتاب العربي للنشر، ط٢ ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.
[١٢٨] ديوان النابغة الذبياني، جمع الديوان وشرحه الشيخ الطاهر بن عاشور، الشركة التونسية للتوزيع، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، سنة ١٩٧٦م.
[١٢٩] رسالة عن الأسلوب الحكيم لابن كمال باشا. دراسة بلاغية تحليلية، ت: د. محمد علي الصامل، العدد الخامس عشر - شعبان ١٤١٦هـ.
[١٣٠] رصف المباني في شرح حروف المعاني، للإمام أحمد عبد النور المالقي، تحقيق: د. أحمد محمد خراط، دار القلم، دمشق، ط٢، ١٤٠٥-١٩٨٥م.
[١٣١] روح المعاني، لأبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي، تحقيق علي عبدالباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط ١، ١٤١٥هـ ١٩٩٤م.

[١٣٢] الرياض النضرة في مناقب العشرة، لأحمد بن عبد الله المحب الطبري، منشورات محمد علي بيضون ـ دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط٢، ٢٠٠٣م - ١٤٢٤هـ.

[١٣٣] زاد المسير في علم التفسير، للإمام أبي الفرج جمال الدين بن محمد الجوزي القُرشي البغدادي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٤، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

[١٣٤] زيادة الحروف بين التأييد والمنع وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم ، د. هيفاء عثمان فدا، رسالة دكتوراه مخطوطة، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

[١٣٥] سر الفصاحة، لأبي محمد عبدالله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي، شرح وتصحيح عبدالمتعال الصعيدي، مكتبة محمد علي صبيح، الأزهر، سنة ١٣٨٩هـ -١٩٦٩م.

[١٣٦] سر صناعة الإعراب ، لأبي الفتح عثمان بن جني، دراسة وتحقيق د. حسن هنداوي، ط٢، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، دار القلم، دمشق.

[١٣٧] سنن الدارمي، لعبد الله بن عبد الرحمن الدارمي. تحقيق: عبد الله هاشم مدني، ط١ ، باكستان، دار الحديث، ١٤٠٤هـ.

[١٣٨] سنن أبي داود، لسليمان بن الأشعث السجستاني. تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، بيروت، المكتبة العصرية، د.ت.

[١٣٩] سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، حققه محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر العربي.

[١٤٠] سورة الرعد/ دراسة أدبية ولغوية وفكرية ، للشيخ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، مكتبات عكاظ للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

[١٤١] السيرة النبوية لابن هشام عبد الملك بن هشام المعَافري، تعليق: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة القاهرة، بدون تاريخ طبعة.

[١٤٢] سيكولوجية القصة في القرآن ، د. التهامي نقره، رسالة دكتوراه، الحلقة الثالثة - جامعة الجزائر، ١٩٧١ ، الشركة التونسية للتوزيع.

[١٤٣] شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ، لمحمد بن محمد مخلوف، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، بدون تاريخ طبعة.

[١٤٤] شذرات الذهب ، للمؤرخ أبي الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، بدون تاريخ طبعة.

[١٤٥] شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، لهبة الله بن الحسن بن منصور الطبري اللالكائي، تحقيق الدكتور أحمد سعد حمدان الغامدي، الرياض ـ دار طيبة ـ ط٢، ١٤١١هـ.

[١٤٦] شرح ابن عقيل لبهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي الهمداني على ألفية ابن مالك، وهو أبو عبد الله محمد جمال الدين بن مالك. أعرب الألفية، وعلق عليها الشيخ قاسم الشماعي الرفاعي ، دار القلم، بيروت - لبنان، ط١.

[١٤٧] شرح التسهيل، لابن مالك جمال الدين محمد بن عبد الله الطائي الجياني الأندلسي، تحقيق: الدكتور عبد الرحمن السيد، ومحمد بدوي المختون، دار هجر، مصر للطباعة والنشر، ط١، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

[١٤٨] شرح التصريح على التوضيح على ألفية ابن مالك لجمال الدين أبي محمد بن هشام الأنصاري، للشيخ خالد بن عبدالله الأزهري، طبع دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.

[١٤٩] شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، لابن هشام الأنصاري، تحقيق: حنا الفاخوري بمؤازرة الدكتور وفاء الباني، وربيعة الجوني، دار الجيم بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

[١٥٠] شرح العقيدة الطحاوية ، للقاضي علي بن علي بن أبي العز الدمشقي، تحقيق الدكتور: عبدالله التركي، وشعيب الأرنؤوط، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٨، ١٤١٦هـ.

[١٥١] شرح تلخيص مفتاح العلوم للعلامة: إبراهيم بن محمد بن عربشاه عصام الدين الحنفي، ت: د. عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، منشورات عباس الباز بمكة المكرمة، ط١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

[١٥٢] شرح ديوان الحماسة لأبي تمام، تأليف الخطيب التبريزي أبي زكريا يحيى ابن محمد ابن حسن بن بسطام الشيباني، كتب حواشيه فريد الشيخ، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

[١٥٣] شرح شافية ابن الحاجب، للشيخ رضي الدين الأستراباذي النحوي، تحقيق: محمد نور الحسن ومحمد الزفزاف ومحمد محيى الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، طبعة ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.

[١٥٤] شرح عقود الجمان على هامش عقود الجمان، لجلال الدين السيوطي مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر، ط٢، ١٣٧٤هـ، ١٩٥٥م.

[١٥٥] شرح قطر الندى وبل الصدى، لجمال الدين بن هشام الأنصاري، تحقيق: عرفات مِطرْجي، مكتبة دار حراء بجدة، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

[١٥٦] شرح كتاب الحدود في النحو للإمام عبد الله الفاكهي، ت: د. المتولي رمضان أحمد الدميري، مكتبة وهبة، ط٢ بمصر، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

[١٥٧] شرح مختصر التصريف العزِّي في فن الصرف، لمسعود بن عمر سعد الدين التفتازاني، شرح وتحقيق: عبد العال سالم مكرم، منشورات ذات السلاسل، الكويت، ط١، ١٩٨٣م.

[١٥٨] شرح المفصل، للعلامة موفق الدين بن يعيش النحوي، عالم الكتب، بيروت.

[١٥٩] الشعر الشعراء، عبدالله بن مسلم بن قتيبة، عالم الكتب، بيروت، ط٣، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

[١٦٠] شعر النابغة الجعدي، تحقيق: عبد العزيز رباح، منشورات المكتب الإسلامي بدمشق، الطبعة الأولى ١٣٨٤هـ -١٩٦٤م.

[١٦١] شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر بن عاشور، حياته وآثاره، لبلقاسم الغالي، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

[١٦٢] الصاحبي ، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: السيد أحمد صقر، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة.

[١٦٣] الصحاح، لإسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، القاهرة، ط٢، ١٤٠٢هـ -١٩٨٢م.

[١٦٤] صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل البخاري، بيت الأفكار الدولية، الرياض ١٤١٩هـ -١٩٩٨م.

[١٦٥] صحيح الجامع الصغير، لمحمد ناصر الدين الألباني، أشرف على طبعه زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤٠٦هـ -١٩٨٦م.

[١٦٦] صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج النيسابوري، دار المغني، الرياض، ١٤١٩هـ -١٩٩٨م.

[١٦٧] ضعيف الجامع الصغير، محمد ناصر الدين الألباني، أشرف على طبعه زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

[١٦٨] ضوابط التكفير، د.عبدالله القرني، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ١٤٢٠هـ.

[١٦٩] طبقات الحفاظ، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.

[١٧٠] طبقات الشافعية ، لجمال الدين عبد الرحيم الأسنوي، ت: عبد الله الجبوري، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، ١٩٨١م/١٤٢١هـ.

[١٧١] طبقات الشعراء، لمحمد بن سلام الجمحي، تحقيق وشرح: الشيخ محمد سويد، دار إحياء العلوم، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ -١٩٩٨م.

[١٧٢] طبقات الصوفية لأبي عبد الرحمن السلمي، تحقيق= نور الدين سريبة، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط٣، ١٤١٨هـ -١٩٩٧م.

[١٧٣] طبقات فحول الشعراء لمحمد بن سلام الجمحي، شرح محمود محمد شاكر، مطبعة المدني.

[١٧٤] طبقات الفقهاء، أبو إسحق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي، تصحيح خليل الميس، دار القلم، بيروت، دون تاريخ طبع.
[١٧٥] طبقات المفسرين، جلال الدين السيوطي، تحقيق علي محمد عمر، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م.
[١٧٦] طبقات المفسرين، محمد بن علي بن أحمد الداودي، صبطه عبدالسلام عبدالمعين، منشورات محمد علي بيضون (دار الكتب العلمية)، بيروت -لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.
[١٧٧] الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، تأليف: السيد الإمام يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي اليمني، مراجعة وضبط محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١ ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م.
[١٧٨] طريق الهجرتين وباب السعادتين، للإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، ت: عبدالله الأنصاري مدير الشؤون الدينية، طبع في قطر.
[١٧٩] عقود الجمان في المعاني والبيان، لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي، شرح العلامة عبد الرحمن العمري، مطبعة الحلبي، ط٢، ١٣٧٤هـ -١٩٥٥م.
[١٨٠] عقيدة المؤمن، لأبي بكر جابر الجزائري، دار الشروق، جدة، ط٥، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.
[١٨١] العقيدة الواسطية، لشيخ الإسلام ابن تيمية، شرحه الشيخ محمد الصالح العثيمين، خرَّج أحاديثه سعد بن فوَّاز الصُّمَيْل، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط٥، ١٤١٩هـ.
[١٨٢] علم البديع (دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة)، تأليف: الدكتور بسيوني عبد الفتاح فيود، مؤسسة المختار، القاهرة، ط٢، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.
[١٨٣] علم البيان والبديع، للدكتور فضل حسن عباس، دار الفرقان للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

[١٨٤] علوم البلاغة، لأحمد مصطفى المراغي، بدون تاريخ طبعة.
[١٨٥] عمدة القاري شرح صحيح البخاري، للشيخ بدر الدين أبي محمد محمود ابن أحمد العيني، إشراف ومراجعة: صدقي جميل العطار، ط١، دار الفكر، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.
[١٨٦] العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، لأبي الحسن بن رشيق القيرواني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت – لبنان، ط٤، ١٩٧٢م.
[١٨٧] غرائب القرآن ورغائب الفرقان، لنظام الدين الحسن بن محمد بن الحسين القمي النيسابوري، ت: د. حمزة النشرتي والشيخ عبد الحفيظ فرغلي ود. عبدالحميد مصطفى.
[١٨٨] غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي، مراقبة الدكتور محمد خان، دائرة المعارف العثمانية، دار الكتاب العربي، لبنان ـ بيروت، ط١، ١٣٨٥هـ/١٩٦٦م.
[١٨٩] غزوة الأحزاب في ضوء القرآن الكريم عرض وتحليل، أ.د. سعود بن عبد الله الفنيسان، دار إشبيليا، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
[١٩٠] الفاصلة في القرآن الكريم، لمحمد الحسناوي، المكتب الإسلامي، بيروت، دار عمار، عمّان، ط٢، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
[١٩١] فتح الجليل للعبد الذليل، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق وتعليق وشرح: عبد القادر أحمد عطا، دار البشير للنشر والتوزيع.
[١٩٢] فتح القدير، للإمام محمد بن علي الشوكاني، تحقيق: سيد إبراهيم، دار الحديث، ط١ ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.
[١٩٣] الفتوحات الإلهية، للإمام سليمان بن عمر العجيلي الشافعي الشهير بالجمل، ضبط وتصحيح: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.
[١٩٤] الفروق اللغوية، للإمام اللغوي أبي هلال العسكري، تحقيق: حسام الدين القدسي، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ طبعة.
[١٩٥] الفهرست، محمد بن إسحاق النديم، دار المعرفة، بيروت، دون تاريخ طبعة.

[١٩٦] في تفسير القرآن وأسلوبه المعجز - علمياً وأدبياً، للدكتور نور الدين عتر، مطبعة الصبَّاح، دمشق، ط٢، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.
[١٩٧] في ظلال القرآن، لسيد قطب، دار الشروق لمحمد المعلم، ط ٢٥، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.
[١٩٨] القاموس المحيط، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان بدون تاريخ.
[١٩٩] القرآن والصورة البيانية، للدكتور عبد القادر حسين، عالم الكتب، بيروت، ط٢، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
[٢٠٠] الكامل في التاريخ، محمد بن محمد بن عبد الواحد الشيباني، تحقيق: أبي الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.
[٢٠١] الكامل في اللغة والأدب، لأبي العباس محمد بن يزيد المعروف بالمبرد، الناشر: مكتبة المعارف، بيروت، بدون تاريخ طبعة.
[٢٠٢] الكتاب، لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، تحقيق: عبد السلام هارون، الهيئة العامة المصرية للكتاب، ١٩٧٧م.
[٢٠٣] كتاب العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي، طبعة مؤسسة الأعلمي، بيروت.
[٢٠٤] كتاب القول البديع في علم البديع، للشيخ مرعي بن يوسف الكرمي المقدسي الحنبلي، دراسة وتحقيق: دكتور عوض بن معيوض الجميعي، سنة ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.
[٢٠٥] كتاب الكبائر، للإمام الحافظ شمس الدين الذهبي، المكتبة الثقافية، بيروت ـ لبنان.
[٢٠٦] كتاب اللامات، لأبي الحسن علي بن محمد الهروي النحوي، ت: يحيى علوان البلداوي، مكتبة الفلاح، الكويت، ط١، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
[٢٠٧] كتاب جمهرة الأمثال، لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري. ضبطه: د. أحمد عبدالسلام، خرَّج أحاديثه: أبو هاجر محمد سعيد زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

[٢٠٨] كتاب حروف المعاني، لأبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي، تحقيق: د. علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة. سوريا، ط٢، ١٤٠٦هـ.

[٢٠٩] كتاب همع الهوامع شرح جمع الجوامع، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تصحيح: السيد محمد بدر النعساني محمد، مكتبة الخانجي، ط١، ١٣٢٧هـ.

[٢١٠] الكشاف، لأبي القاسم جار الله الزمخشري، تحقيق: محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت — لبنان، ط١، ١٤١٥هـ ١٩٩٥م.

[٢١١] كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لمصطفى بن عبد الله القسطنطيني الرومي الحنفي المشهور بحاجي خليفة، دار الفكر، بيروت، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

[٢١٢] الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي، ت: د.محيى الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٥، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

[٢١٣] الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، قابله على نسخ خطية د. عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

[٢١٤] الكناية أساليبها ومواقعها في الشعر الجاهلي، تأليف محمد الحسن علي الأمين أحمد. مكتبة الفيصلية، مكة المكرمة، ط١، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

[٢١٥] لسان العرب، لأبي الفضل جمال الدين بن منظور، دار الفكر.

[٢١٦] لسان الميزان، لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار الكتاب الإسلامي لإحياء التراث الإسلامي، طبعة مصورة عن الطبعة الهندية سنة ١٣٣١هـ.

[٢١٧] لطائف المنان وروائع البيان في دعوى الزيادة بالقرآن، د. فضل حسن عباس، دار النور للطباعة والنشر والتوزيع، ط ١، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م.

[٢١٨] المؤتلف والمختلف، للإمام الحافظ أبي الحسن علي بن عمر الدار قطني البغدادي، دراسة وتحقيق: د. موفق عبد القادر، دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

[٢١٩] المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم، لأبي القاسم الحسن بن بشر الآمدي، صححه الدكتور ف. كرنكو، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

[٢٢٠] مباحث في علوم القرآن، د. صبحي الصالح، دار العلم للملايين، بيروت، ط٢٠، ١٩٧٧م.

[٢٢١] مباحث في علوم القرآن، للشيخ مناع القطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢٥، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

[٢٢٢] المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لضياء الدين بن الأثير، تقديم وتعليق د. أحمد الحوفي ود. بدوي طبانة، نهضة مصر للطباعة.

[٢٢٣] مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، دار الفكر، بيروت، طبعة ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

[٢٢٤] مجمل اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا اللغوي، تحقيق: زهير عبدالمحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

[٢٢٥] مجموع الفتاوى لابن تيمية، ط٦، جامعة الإمام.

[٢٢٦] محاسن التأويل، لمحمد جمال الدين القاسمي، تحقيق= محمد فؤاد عبد الباقي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت - لبنان، ط١، ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م.

[٢٢٧] المحرر الوجيز، للقاضي أبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي، ت: المجلس العلمي بفاس.

[٢٢٨] مختصر زوائد مسند البزار على الكتب الستة ومسند أحمد، للحافظ ابن حجر العسقلاني، تحقيق: صبري عبد الخالق أبو ذر، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

[٢٢٩] مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن قيم الجوزية، تحقيق: عبدالعزيز ناصر الجُلَيِّل، دار طيبة للنشر، ط١، ١٤٢٣هـ.

[٢٣٠] المستدرك على الصحيحين، لأبي عبد الله الحاكم النيسابوري، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.
[٢٣١] مسند الإمام أحمد، للإمام أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.
[٢٣٢] مشاهير الشعراء والأدباء، عبد. أ. مهنا وعلي نعيم خريس، دار الكتب العلمية، بيروت -لبنان، ط١، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.
[٢٣٣] المصباح في تهذيب تفسير ابن كثير، إعداد جماعة من العلماء بإشراف الشيخ صفي الرحمن المباركفوري. دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.
[٢٣٤] المصباح في المعاني والبيان والبديع، تأليف بدر الدين بن مالك. تحقيق: د. حسني عبد الجليل يوسف، طبع ونشر مكتبة الآداب، بدون تاريخ.
[٢٣٥] المصنف، لابن أبي شيبة، ت: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٠٩هـ.
[٢٣٦] المصنف، عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٣٩١هـ.
[٢٣٧] المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، للعلامة سعد الدين التفتازاني، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، منشورات علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.
[٢٣٨] المعاصرون، محمد كرد علي، علق عليه محمد المصري، دار صادر بيروت، ط٢، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.
[٢٣٩] معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، للشيخ عبدالرحيم بن أحمد العباسي، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، عالم الكتب، بيروت، طبعة ١٣٦٧هـ ـ ١٩٤٧م.
[٢٤٠] المعجزة الكبرى، لمحمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، بدون تاريخ طبعة.
[٢٤١] معجم البلاغة القرآنية، للدكتور محمد سعد الدبل، الناشر مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ١٤١٩هـ -١٩٩٨م.

[٢٤٢] معجم البلدان، لشهاب الدين أبي عبد الله ياقوت الحموي الرومي البغدادي، المكتبة الفيصلية، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ طبعة.
[٢٤٣] معجم الشعراء، لمحمد بن عمران المرزباني، صححه وعلق عليه: الأستاذ الدكتور ف. كرنكو، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.
[٢٤٤] المعجم الكبير، للطبراني سليمان بن أحمد بن أيوب، ت: حمدي عبدالمجيد السلفي، دار الزهراء، الموصل، ط٢، ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م.
[٢٤٥] معجم المؤلفين، لعمر رضا كحالة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون طبعة.
[٢٤٦] المعجم المفصل في الأدب، إعداد: محمد التونجي، دار الكتاب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.
[٢٤٧] المعجم المفصل في النحو العربي، إعداد د. عزيزة فوال بابتي، ط دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.
[٢٤٨] المعجم الوسيط، إخراج: د. إبراهيم مصطفى، د. أحمد حسن الزيات، حامد عبدالقادر، محمد علي النجار، دار الدعوة، إستانبول، تركيا، ط٢ ١٣٩٢هـ/١٩٧٤م.
[٢٤٩] معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، ت: عبدالسلام محمد هارون، ط دار الجيل- بيروت.
[٢٥٠] المغني الجديد في علم الصرف، لمحمد خير حلواني، دار الشرق العربي، لبنان - بيروت.
[٢٥١] مغني اللبيب، لجمال الدين بن هشام الأنصاري، تحقيق: د. مازن المبارك ومحمد علي الحمد، بيروت، ط١، ١٩٨٥م.
[٢٥٢] مفاتيح الغيب، للإمام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين البكري الرازي الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.
[٢٥٣] مفتاح العلوم، لأبي يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن السكاكي، المكتبة العلمية الجديدة، بيروت - لبنان، ط بدون.

[٢٥٤] المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين ابن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد سيد الكيلاني، دار المعرفة، بيروت ـ لبنان.
[٢٥٥] المفصل في علم العربية، لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر بن محمد الزمخشري، ط٢، دار الجيل، بيروت.
[٢٥٦] المقتضب، لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق محمد عبدالخالق عظيمة، عالم الكتب.
[٢٥٧] مقدمة ابن خلدون، لعبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي، دار القلم، بيروت، ط٥، ١٩٨٤م.
[٢٥٨] مقدمة تفسير ابن النقيب في علم البيان والمعاني والبديع وإعجاز القرآن، للإمام أبي عبدالله جمال الدين محمد بن سليمان البلخي المقدسي الشهير بابن النقيب، تعليق الحواشي: د. زكريا سعيد علي، ط١، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة.
[٢٥٩] المكتفى في الوقف والابتدا في كتاب الله ﷻ للإمام أبي عمرو عثمان بن سعيد الداني الأندلسي، تحقيق: د. يوسف عبد الرحمن مرعشلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.
[٢٦٠] ملاك التأويل، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي العاصمي الغرناطي، تحقيق: سعيد الفلاّح، دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
[٢٦١] الممتع في التصريف، لابن عُصْفور الإشبيلي، تحقيق: الدكتور فخر الدين قباوة، دار المعرفة، ط١، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.
[٢٦٢] من أسرار حروف الجر في الذكر الحكيم، للدكتور محمد الأمين الخضري، مكتبة وهبة، ط١، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.
[٢٦٣] من أسرار حروف العطف في الذكر الحكيم، للدكتور محمد الأمين الخضري، الناشر: مكتبة وهبة، القاهرة، ط١ ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.
[٢٦٤] من أعلام التراث في العصر الحديث، محمود الأرناؤوط، مكتبة دار العروبة، الكويت، ودار ابن العماد، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.
[٢٦٥] من بدائع النظم القرآني، للدكتور السيد عبدالفتاح حجاب، ط الجندي، بنها الجديدة.

[٢٦٦] من بلاغة القرآن الكريم، د. أحمد أحمد بدوي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة – القاهرة.

[٢٦٧] من بلاغة المتشابه اللفظي في القرآن الكريم، تأليف د. محمد بن علي الصامل، ط١، دار إشبيليا، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

[٢٦٨] من روائع القرآن، للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفارابي، دمشق.

[٢٦٩] المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع، لأبي محمد القاسم السجلماسي، تقديم وتحقيق: علال الفاسي، مكتبة المعارف، الرباط، ط ١، ١٤٠١هـ/١٩٨٠م.

[٢٧٠] منهاج البلغاء وسراج الأدباء، لأبي الحسن حازم القرطاجني، تقديم وتحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط٣، سنة ١٩٨٦م.

[٢٧١] المنهج الصرفي في الإبدال والإعلال والتعويض والتقاء الساكنين. والإدغام، للدكتور إبراهيم البسيوني، دار الطباعة المحمدية.

[٢٧٢] المدخل إلى دراسة بلاغة أهل السنة، للأستاذ الدكتور محمد بن علي الصامل، دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع – الرياض – المملكة العربية السعودية، ط٢، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

[٢٧٣] نزهة الألباء في طبقات الأدباء، لأبي البركات عبدالرحمن بن محمد الأنباري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا ـ بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

[٢٧٤] نزهة القلوب في تفسير غريب القرآن العزيز، لأبي بكر محمد بن عُزيز السجستاني، حقق نصوصه وعلق عليه: د. يوسف عبد الرحمن المرعشلي، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

[٢٧٥] النشر في القراءات العشر، محمد بن محمد بن الجزري، أشرف على تصحيحه علي محمد الضباع، دار الفكر، دون تاريخ..

[٢٧٦] نظرات جديدة في القرآن الكريم، تأليف د. محمد عبدالله دراز، اعتنى به وخرج أحاديثه عبد الحميد الدّخاخيني، دار طيبة للنشر، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

[٢٧٧] نظم الدرر، لبرهان الدين أبي الحسن إبراهيم البقاعي، دار الكتاب الإسلامي بالقاهرة، ط٢، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

[٢٧٨] النظم القرآني في آيات الجهاد، د. ناصر بن عبد الرحمن الخنين، مكتبة التوبة، الرياض، ط١، ١٤١٦هـ ١٩٩٦م.
[٢٧٩] النظم القرآني في سورة الرعد، للدكتور محمد بن سعد الدبل، عالم الكتب، القاهرة، بدون تاريخ.
[٢٨٠] النكت والعيون، لأبي الحسن بن محمد بن الماوردي البصري، تعليق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ومؤسسة الكتب الثقافية، مكتبة المؤيد بالرياض، ط١، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م.
[٢٨١] نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، لأحمد بن علي بن عبد الله القلقشندي، دار الكتب العلمية، بيروت — لبنان، ط١، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م.
[٢٨٢] النهاية في غريب الحديث والأثر، لمجد الدين أبي السعادات بن الأثير الجزري، خرج أحاديثه أبو عبد الرحمن صلاح بن محمد بن عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١ ،١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.
[٢٨٣] النهر الماد من البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي، تقديم وضبط بوران الضناوي وهديان الضناوي، دار الجنان، مؤسسة الكتب الثقافية، ط١، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
[٢٨٤] نوادر الأصول في معرفة أحاديث الرسول، للحكيم الترمذي أيضاً، دار صادر، بيروت، دون تاريخ طبعة.
[٢٨٥] هامش بغية الإيضاح، لعبد المتعال الصعيدي، مكتبة إحياء الكتب الإسلامية، بيروت، دون تاريخ طبعة.
[٢٨٦] هدية العارفين، لإسماعيل باشا البغدادي، مطبوع مع كشف الظنون وباسمه (المجلدان (٥-٦)، دار الفكر، بيروت، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.
[٢٨٧] الوافي بالوفيات، لصلاح الصفدي، تحقيق: إحسان عباس، طبعة دار صادر، بيروت، ١٩٧٣م.

[٢٨٨] وسطية أهل السنة بين الفرق، تأليف: د. محمد باكريم محمد با عبد الله، دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.

[٢٨٩] وصف الفردوس، لعبد الملك بن حبيب السلمي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

[٢٩٠] وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد ابن أبي بكر بن خلكان، تحقيق: الدكتور إحسان عباس، دار صادر، ودار الثقافة، بيروت- لبنان، الطبعة بدون.



فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الموضـوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة



تحميل كتب و رسائل علمية
قناة عامة
معلومات
t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah
رابط الدعوة
الإشعارات
معطّلة